الدليل الرشيد إلى
متون العقيدة والتوحيد
٥٠ متنا في العقيدة السلفية
طبعة مشكولة ومنقحة ومخرجة الأحاديث
تأليف
نخبة من العلماء
دار الصحابة

٥٠ متنا في العقيدة السلفية

طبعة مشكولة ومنقحة ومخرجة الأحاديث

تأليف

نخبة من العلماء

دار الاستقامة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعتني

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد: لا شك أن ما يتعلق بالاعتقاد من المؤلفات والبحوث والدروس هو أولىٰ ما ينبغي لطالب العلم أن يهتم به، لا سيما مع كثرة العقائد الفاسدة في هذا الباب، واشتباه الحق بالباطل علىٰ كثير من الناس.

ولذلك ينبغي لطالب العلم أن يعتني بمسائل الاعتقاد، وأن يحرر القول فيها، وأن يبني اعتقاده وما يدين الله به علىٰ حجة وبرهان من الكتاب والسنة، وهذا لا يتأتىٰ إلا بتدبر واتباع ما ذكره الله جل وعلا في كتابه من العقائد، وما ذكره رسول الله ﷺ في سنته، وما كان عليه السلف ﷺ.

وينبغي للمؤمن أن يتحرىٰ ما كانوا عليه، فإنهم علىٰ الحق والهدىٰ، تلقوا عن رسول الله ﷺ الاعتقاد والعمل، فعملوا بما اعتقدوا، وكانوا علىٰ حجة بينة، وعلىٰ هدىٰ وبرهان، لم يقعوا فيما وقع فيه مَن بعدهم من العقائد المختلفة، والأقوال المبتدعة، والآراء الناشئة عن عقائد وأقوال فاسدة، فينبغي لطالب العلم أن يحرر هذا المقصد وأن يعتني به.

ومن رحمة الله جل وعلا بهذه الأمة أن جعل كتابها محفوظًا، وقيض لسنة النبي ﷺ من يميز الحق فيها من الباطل، ومن يميز الصحيح من غير الصحيح، وأيضًا يسر الله جل وعلا من يدون عقائد السلف ويبين أقوالهم وما كانوا عليه، ويبين ضلال الضالين ويرد على المنحرفين.

وقد جمعنا في هذا الكتاب مجموعة قيمة من كتب العقيدة والتوحيد لا غنى لطالب العلم عنها.

نسأل الله أن ينفع به طلبة الحق القويم، إنه سبحانه هو العلي العظيم.

عملنا في الكتاب:

أولا: ضبط نص الكتاب ومقابلته.

ثانيًا: عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

ثالثًا: عزو الأحاديث إلى مصادرها من كتب السنة، فالأحاديث التي في «الصحيحين» العزو إليهما يكفي في الدلالة على صحة الحديث، وما كان في غيرهما قمنا بعزوه إلى مصادره، واستعنا بتحقيقات العلامة الألباني رحمه الله في الحكم على الأحاديث التي وجدنا له أحكامًا عليها.

وختامًا: فهذا جهد المقل، فما كان من توفيق فهو من الله وحده، وما كان من زلل أو خطإ فهو من عند أنفسنا ومن الشيطان.

فنسأل الله سبحانه أن يغفر لنا ويتجاوز عن زلاتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ونسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

* * *

١- أصول السنة للحميدي

للحافظ

أبي بكر عبد الله بن الزبير الحُميديُّ

(المتوفى ٢١٩هـ)

١- أصول السنة للحميدي

«حَدَّثَنَا بِشْرُ بنُ مُوسَىٰ حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ:

السُّنَّةُ عِندَنَا أن يُؤمِنَ الرَّجُلُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، حُلوِهِ وَمُرِّهِ، وَأن يَعلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَم يَكُن لِيُخطِئَهُ ، وَأَنَّ مَا أَخطَأَهُ لَم يَكُن لِيُصِيبَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ قَضَاءٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَنَّ الإِيمَانَ قَولٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنقُصُ، وَلا يَنفَعُ قَولٌ إِلا بِعَمَلٍ، وَلا عَمَلٌ وَقَولٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلا قَولٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِسُنَّةٍ.

وَالتَّرَحُّمُ عَلَىٰ أصحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلِّهِم، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]

فَلَم نُؤمَر إِلا بِالاستِغفَارِ لَهُم، فَمَن سَبَّهُم أو تَنَقَّصَهُم أو أَحَدًا مِنهُم فَلَيسَ عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَلَيسَ لَهُ فِي الفَيءِ حَقٌّ.

-أخبَرَنَا بِذَلِكَ غَيرُ وَاحِدٍ عَن مَالِكِ بنِ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: قَسَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ الفَيءَ فَقَالَ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ الآيَةَ [الحشر: ٨ - ١٠] فَمَن لَم يَقُل هَذَا لَهُم فَلَيسَ مِمَّن جُعِلَ لَهُ الفَيءُ.

وَالقُرآنُ كَلَامُ اللهِ، سَمِعتُ سُفيَانَ يَقُولُ: والقُرآنُ كَلَامُ اللهِ، وَمَن قَالَ: مَخلُوقٌ؛ فَهُوَ مُبتَدِعٌ، لَم نَسمَع أَحَدًا يَقُولُ هَذَا.

وَسَمِعتُ سُفيَانَ يَقُولُ: الإِيمَانُ قَولٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنقُصُ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ إِبرَاهِيمُ بنُ عُيَينَةَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لا تَقُل: يَنقُصُ، فَغَضِبَ وَقَالَ: اسكُت يَا صَبِيُّ، بَل

حَتَّىٰ لا يَبقَىٰ مِنهُ شَيءٌ.

وَالإقرَارُ بِالرُّؤيَةِ بَعدَ المَوتِ.

وَمَا نَطَقَ بِهِ القُرآنُ وَالحَدِيثُ مِثلُ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَمِثلُ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَمَا أَشبَهَ هَذَا مِنَ القُرآنِ وَالحَدِيثِ لا نَزِيدُ فِيهِ، وَلا نُفَسِّرُهُ، ونَقِفُ عَلَىٰ مَا وَقَفَ عَلَيهِ القُرآنُ وَالسُّنَّةُ، وَنَقُولُ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وَمَن زَعَمَ غَيرَ هَذَا فَهُوَ مُعَطِّلٌ جَهمِيٌّ.

وَألا نَقُولَ كَمَا قَالَتِ الخَوَارِجُ: مَن أَصَابَ كَبِيرَةً فَقَد كَفَرَ.

وَلا نُكَفِّرُ بِشَيءٍ مِنَ الذُّنُوبِ، إِنَّمَا الكُفرُ فِي تَركِ الخَمسِ الَّتِيٰ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسلامُ عَلَىٰ خَمسٍ: شَهَادَةِ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَومِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيتِ»(١).

فَأَمَّا ثَلاثٌ مِنهَا فَلا يُنَاظَرُ تَارِكُهَا: مَن لَم يَتَشَهَّد وَلَم يُصَلِّ وَلَم يَصُم؛ لأَنَّهُ لا يُؤَخَّرُ شَيءٌ مِن هَذَا عَن وَقتِهِ، وَلا يُجزِئُ مَن قَضَاهُ بَعدَ تَفرِيطِهِ فِيهِ عَامِدًا عَن وَقتِهِ.

فَأَمَّا الزَّكَاةُ، فَمَتَىٰ مَا أَدَّاهَا أَجزَأَت عَنهُ، وَكَانَ آثِمًا فِي الحَبسِ.

وَأَمَّا الحَجُّ؛ فَمَن وَجَبَ عَلَيهِ وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيهِ - وَجَبَ عَلَيهِ، وَلا يَجِبُ عَلَيهِ فِي عَامِهِ ذَلِكَ حَتَّىٰ لا يَكُونَ لَهُ مِنهُ بُدٌّ مَتَىٰ أَدَّاهُ كَانَ مُؤَدِّيًا، وَلَم يَكُن آثِمًا فِي تَأخِيرِهِ إِذَا أَدَّاهُ كَمَا كَانَ آثِمًا فِي الزَّكَاةِ؛ لأَنَّ الزَّكَاةَ حَقٌّ لِمُسلِمِينَ مَسَاكِينَ حَبَسَهُ عَلَيهِم، فَكَانَ آثِمًا حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَيهِم.

وَأَمَّا الحَجُّ؛ فَكَانَ فِيمَا بَينَهُ وَبَينَ رَبِّهِ إِذَا أَدَّاهُ فَقَد أَدَّىٰ، وَإِن هُوَ مَاتَ وَهُوَ وَاجِدٌ

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

مُستَطِيعٌ وَلَم يَحُجَّ سَأَلَ الرَّجعَةَ إِلَىٰ الدُّنيَا أن يَحُجَّ، وَيَجِبُ لأَهلِهِ أن يَحُجُّوا عَنهُ، وَنَرجُو أن يَكُونَ ذَلِكَ مُؤَدِّيًا عَنهُ، كَمَا لَو كَانَ عَلَيهِ دَينٌ فَقُضِي عَنهُ بَعدَ مَوتِه.

تَمَّ الكِتَابُ وَالحَمدُ لِلَّهِ وَحدَهُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَأَزوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ أجمَعِينَ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا».

* * *

٢- أصول السنة للإمام أحمد

للإمام

أحمد بن محمد بن حنبل

(المتوفى ٢٤١هـ)

٢- أصول السنة للإمام أحمد

الجُزءُ فِيهِ رِسَالَةُ عَبدُوسٍ عَنِ الإِمَامِ أَحمَدَ رَحِمَهُ اللهُ:

- رِوَايَةُ عَبدُوسِ بنِ مَالِكٍ العَطَّارِ عَنِ الإِمَامِ أَبِي عَبدِ الله.
- رِوَايَةُ أَبِي جَعفَرٍ مُحَمَّدِ بنِ سُلَيمَانَ المنقَرِيِّ البَصرِيِّ التِّنِّيسِيِّ عَنهُ.
- رِوَايَةُ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بنِ عَبدِ الوَهَّابِ عَنهُ.
- رِوَايَةُ عُثمَانَ بنِ أَحمَدَ بنِ السَّمَّاكِ عَنهُ.
- رِوَايَةُ أَبِي الحُسَينِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الله بنِ بِشرَانَ المُعدِّلِ عَنهُ.
- رِوَايَةُ الشَّيخِ أَبِي عَلِيٍّ الحَسَنِ بنِ أَحمَدَ بنِ البَنَّا عَنهُ.
- رِوَايَةُ وَلَدِهِ أَبِي عَبدِ الله يَحيَىٰ بنِ الحَسَنِ بنِ أَحمَدَ بنِ البَنَّا عَنهُ.
- وَقفُ الحَافِظِ ضِيَاءِ الدِّينِ أَبِي عَبدِ الله مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَاحِدِ المقدِسيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ أَبُو المُظَفَّرِ عَبدُ المَلِكِ بنُ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ الهَمدَانِيُّ:

حَدَّثَنَا الشَّيخُ أَبُو عَبدِ الله يَحيَىٰ بنُ أَبِي الحَسَنِ بنِ البَنَّا قَالَ: أَخبَرَنَا وَالِدِي أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بنُ أَحمَدَ بنِ عَبدِ الله بنِ البَنَّا.

قَالَ: أَخبَرَنَا أَبُو الحُسَينِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الله بنِ بِشرَانَ المُعَدَّلُ قَالَ: أَنَا عُثمَانُ بنُ أَحمَدَ بنِ السَّمَّاكِ: قثنا أَبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ بنِ أَبِي العَنبَرِ – قِرَاءَةً عَلَيهِ مِن كِتَابِهِ – فِي شَهرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ مِن سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسعِينَ وَمِائَتَينِ (٢٩٣هـ): قثنا أَبُو جَعفَر مُحَمَّدُ بنُ سُلَيمَانَ المِنقَرِيُّ البَصرِيُّ بِـ: «تِنِّيس» قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبدُوسُ بنُ مَالِكٍ العَطَّارُ قَالَ: سَمِعتُ أَبَا عَبدِ الله أَحمَدَ بنَ مُحَمَّدِ بنِ حَنبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ:

أُصُولُ السُّنَّةِ عِندَنَا:

١–التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيهِ أَصحَابُ رَسُولِ الله ﷺ

٢–وَالاقتِدَاءُ بِهِم.

٣–وَتَركُ البِدَعِ.

٤–وَكُلُّ بِدعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ.

٥–وَتَركُ الخُصُومَاتِ وَالجُلُوسِ مَعَ أَصحَابِ الأَهوَاءِ.

٦–وَتَركُ المِرَاءِ وَالجِدَالِ وَالخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ.

٧–وَالسُّنَّةُ عِندَنَا: آثَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ

٨–وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرآنَ، وَهِيَ دَلَائِلُ القُرآنِ.

٩–وَلَيسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاس.

١٠-وَلَا تُضرَبُ لَهَا الأَمثَالُ، وَلَا تُدرَكُ بِالعُقُولِ وَلَا الأَهوَاءِ؛ إِنَّمَا هُوَ الاتِّبَاعُ وَتَركُ الهَوَىٰ.

١١-وَمِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ الَّتِي مَن تَرَكَ مِنهَا خَصلَةً، لَم يَقبَلْهَا وَيُؤمِنْ بِهَا، لَم يَكُن مِن أَهلِهَا.

١٢-الإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَالتَّصدِيقُ بِالأَحَادِيثِ فِيهِ، وَالإِيمَانُ بِهَا، لَا يُقَالُ: «لِمَ؟» وَلَا: «كَيفَ؟» إِنَّمَا هُوَ التَّصدِيقُ وَالإِيمَان بِهَا.

وَمَن لَم يَعرِف تَفسِيرَ الحَدِيثِ وَيبلغهُ عَقلُهُ، فَقَد كُفِيَ ذَلِكَ وَأُحكِمَ لَهُ، فَعَلَيهِ الإِيمَانُ بِهِ؛ وَالتَّسلِيمُ لَهُ، مِثلُ: حَدِيثِ «الصَّادِقِ المَصدُوق».

وَمِثلُ: مَا كَانَ مِثلَهُ فِي القَدَرِ، وَمِثلُ: أَحَادِيثِ الرُّؤيَةِ كُلِّهَا، وَإِن نَبَتْ عَنِ الأَسمَاعِ، وَاستَوحَشَ مِنهَا المُستَمِعُ، وَإِنَّمَا عَلَيهِ الإِيمَانُ بِهَا، وَأَلَّا يَرُدَّ مِنهَا حَرفًا وَاحِدًا، وَغَيرِهَا مِنَ الأَحَادِيثِ المَأثُورَاتِ عَنِ الثِّقَاتِ.

وأَلَّا يُخَاصِمَ أَحَدًا، وَلَا يُنَاظِرَهُ، وَلَا يَتَعَلَّمَ الجِدَالَ، فَإِنَّ الكَلَامَ فِي القَدَرِ وَالرُّؤيَةِ وَالقُرآنِ وَغَيرِهَا مِنَ السُّنَنِ مَكرُوهٌ وَمَنهِيٌّ عَنهُ، لَا يَكُونُ صَاحِبُهُ- وَإِن أَصَابَ بِكَلَامِهِ السُّنَّةَ - مِن أَهلِ السُّنَّةِ حَتَّىٰ يَدَعَ الجِدَالَ وَيُسلِّمَ، وَيُؤمِنَ بِالآثَارِ.

١٣-وَالقُرآنُ كَلَامُ اللهِ، وَلَيسَ بِمَخلُوقٍ، وَلَا يَضعُفُ أَن يَقُولَ: لَيسَ بِمَخلُوقٍ.

قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ الله لَيسَ بِبَائِنٍ مِنهُ، وَلَيسَ مِنهُ شَيء مَخلُوقٌ.

وَإِيَّاكَ وَمُنَاظَرَةَ مَن أَحدَثَ فِيهِ، وَمَن قَالَ بِاللَّفظِ وَغَيرِهِ، وَمَن وَقَفَ فِيهِ فَقَالَ: «لَا أَدرِي مَخلُوقٌ أَو لَيسَ بِمَخلُوقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ الله»؛ فَهَذَا صَاحِبُ بِدعَةٍ، مِثلُ مَن قَالَ: «هُوَ مَخلُوقٌ». وَإِنَّمَا هُوَ كلَامُ الله لَيسَ بِمَخلُوقٍ.

١٤-وَالإِيمَانُ بِالرُّؤيَةِ يَومَ القِيَامَةِ كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ.

١٥-وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَد رَأَىٰ رَبَّهُ، فَإِنَّهُ مَأثُور عَن رَسُولِ الله ﷺ صَحِيحٌ، رَوَاهُ

قَتَادَةُ عَن عِكرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

وَرَوَاهُ الحَكَمُ بنُ أَبَانَ عَن عِكرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

وَرَوَاهُ عَلِيُّ بنُ زَيدٍ عَن يُوسُفَ بنِ مِهرَانَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

وَالحَدِيثُ عِندنَا عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالكَلَامُ فِيهِ بِدعَةٌ؛ وَلَكِن نُؤمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَا نُنَاظِرُ فِيهِ أَحَدًا.

١٦- وَالإِيمَانُ بِالمِيزَانِ يَومَ القِيَامَةِ، كَمَا جَاءَ: «يُوزَنُ العَبد يَوم القِيَامَةِ فَلَا يَزِن جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»[1]، وَ: «تُوزَنُ أَعمَالُ العِبَادِ» كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ.

وَالإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصدِيقُ بِهِ، وَالإِعرَاضُ عَمَّن رَدَّ ذَلِكَ، وَتَركُ مُجَادَلَتِهِ.

١٧- وَأَنَّ الله تَعَالَىٰ يُكَلِّمُ العِبَادَ يَومَ القِيَامَةِ لَيسَ بِينَهُم وَبَينَهُ تَرجُمَانٌ؛ وَالإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصدِيقُ بِهِ.

١٨- وَالإِيمَانُ بِالحَوضِ، وَأَنَّ لِرَسُولِ الله ﷺ حَوضًا يَومَ القِيَامَةِ تَرِدُ عَلَيهِ أُمَّتُهُ، عَرضُهُ مِثلُ طُولِهِ مَسِيرَةَ شَهرٍ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، عَلَىٰ مَا صَحَّت بِهِ الأَخبَارُ مِن غَيرِ وَجهٍ.

١٩- وَالإِيمَانُ بِعَذَابِ القَبرِ.

٢٠- وَأَنَّ هَذه الأُمَّةَ تُفتَنُ فِي قُبُورِهَا، وَتُسأَل عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسلَامِ، وَمَن رَبُّهُ، وَمَن نَبِيُّهُ؟ وَيَأتِيهِ مُنكَرٌ وَنَكيرٌ كَيف شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وكيفَ أَرَادَ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصدِيقُ بِهِ.

٢١- وَالإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِقَومٍ يَخرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعدَمَا احتَرَقُوا وَصَارُوا فَحمًا، فَيُؤمَرُ بِهِم إِلَىٰ نَهرٍ عَلَىٰ بَابِ الجَنَّةِ- كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ- كَيفَ شَاءَ الله، وَكَمَا شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصدِيقُ بِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

٢٢- وَالإِيمَانُ أَنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٍ، مَكتُوبٌ بَينَ عَينَيهِ «كَافِرٌ»، وَالأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَت فِيهِ، وَالإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كائِن.

٢٣- وَأَنَّ عِيسَىٰ بنَ مَريَمَ عليه السلام يَنزِلُ فَيَقتُلُه بِبَابِ لُدٍّ.

٢٤- وَالإِيمَانُ قَولٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنقُصُ؛ كَمَا جَاءَ فِي الخَبَرِ: «أَكمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا»(١).

٢٥- وَمَن تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَد كَفَرَ.

وَلَيسَ مِنَ الأَعمَالِ شَيءٌ تَركُهُ كُفرٌ إِلَّا الصَّلَاةُ؛ مَن تَرَكَهَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَد أَحَلَّ الله قَتلَهُ.

٢٦- وَخَيرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبِيِّهَا؛ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ، نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ: كَمَا قَدَّمَهُم أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَم يَختَلِفُوا فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ بَعدَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ: أَصحَابُ الشُّورَىٰ الخَمسَة: عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلحَة، وَالزُّبَيرُ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ، وَسَعد، كُلُّهم يَصلُحُ لِلخِلَافَةِ، وَكلُّهُم إِمَامٌ.

وَنَذهَبُ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ: «كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُول الله ﷺ حَيٌّ وَأَصحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ: أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثمَانُ، ثُمَّ نَسكُتُ»(٢).

ثُمَّ مِن بَعدِ أَصحَابِ الشُّورَىٰ: أَهلُ بَدرٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ، ثُمَّ أَهلُ بَدرٍ مِنَ الأَنصَارِ مِن أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَدرِ الهِجرَةِ وَالسَّابِقَةِ أَوَّلًا فَأَوَّلًا.

٢٧- ثُمَّ أَفضَلُ النَّاسِ بَعدَ هَؤُلَاءِ - أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ - القَرنُ الَّذِي بُعِثَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٤)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٥).

فِيهِم، كُلُّ مَن صَحِبَهُ سَنَةً، أو شَهرًا، أو يَومًا، أو سَاعَةً، أو رَآهُ فَهُوَ مِن أصحَابِهِ، لَهُ مِنَ الصُّحبَةِ عَلَىٰ قَدرِ مَا صَحِبَهُ، وَكَانَت سَابِقَتُهُ مَعَهُ، وَسَمِعَ مِنهُ، وَنَظَرَ إِلَيهِ نَظرَةً.

فَأَدنَاهُم صُحبَةً هُوَ أَفضَلُ مِنَ القَرنِ الَّذِينَ لَم يَرَوهُ، وَلَو لَقُوا اللهَ بِجَمِيعِ الأعمَالِ.

كَانَ هَؤلَاءِ الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيَّ ﷺ وَرَأَوهُ وَسَمِعُوا مِنهُ، وَمَن رَآهُ بِعَينِهِ وَآمَنَ بِهِ وَلَو سَاعَةً أَفضَلُ لِصُحبَتِهِ مِنَ التَّابِعِينَ وَلَو عَمِلُوا كُلَّ أعمَالِ الخَيرِ.

٢٨- وَالسَّمعُ وَالطَّاعَةُ لِلأَئِمَّةِ وَأَمِيرِ المُؤمِنِينَ؛ البَرِّ وَالفَاجِرِ، وَمَن وَلِيَ الخِلَافَةَ، وَاجتَمَعَ النَّاسُ عَلَيهِ، وَرَضُوا بِهِ، وَمَن عَلَيهِم بِالسَّيفِ حَتَّىٰ صَارَ خَلِيفَةً وَسُمِّيَ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ.

٢٩- وَالغَزوُ مَاضٍ مَعَ الأُمَرَاءِ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ - البَرِّ وَالفَاجِرِ - لَا يُترَكُ.

٣٠- وَقِسمَةُ الفَيءِ، وَإِقَامَةُ الحُدُودِ إِلَىٰ الأَئِمَّةِ مَاضٍ، لَيسَ لأَحَدٍ أَن يَطعَنَ عَلَيهِم، وَلَا يُنَازِعَهُم.

٣١- وَدَفعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيهِم جَائِزَةٌ نَافِذَةٌ، مَن دَفَعَهَا إِلَيهِم أَجزَأَت عَنهُ، بَرًّا كَانَ أَو فَاجِرًا.

٣٢- وَصَلَاةُ الجُمُعَةِ خَلفَهُ، وَخَلفَ مَن وَلَّاهُ جَائِزَةٌ بَاقِيَةٌ تَامَّةٌ رَكعَتَينِ، مَن أَعَادَهُمَا فَهُوَ مُبتَدِعٌ، تَارِكٌ لِلآثَارِ، مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ، لَيسَ لَهُ مِن فَضلِ الجُمُعَةِ شَيءٌ؛ إِذَا لَم يَرَ الصَّلَاةَ خَلفَ الأَئِمَّةِ - مَن كَانُوا - بَرِّهِم وَفَاجِرِهِم، فَالسُّنَّةُ بِأَن يُصَلِّيَ مَعَهُم رَكعَتَينِ ويدين بِأَنَّهَا تَامَّةٌ، لَا يَكُن فِي صَدرِكَ مِن ذَٰلِكَ شَكٌّ.

٣٣- وَمَن خَرَجَ عَلَىٰ إِمَامٍ مِن أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ، وَقَد كَانَ النَّاسُ اجتَمَعُوا عَلَيهِ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالخِلَافَةِ بِأَيِّ وَجهٍ كَانَ؛ بِالرِّضَا أَو بِالغَلَبَةِ، فَقَد شَقَّ هَذَا الخَارِجُ عَصَا المُسلِمِينَ، وَخَالَفَ الآثَارَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِن مَاتَ الخَارِجُ عَلَيهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً.

٣٤- وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلطَانِ، وَلَا الخُرُوجُ عَلَيهِ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبتَدِعٌ عَلَىٰ غَيرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ.

٣٥- وَقِتَالُ اللُّصُوصِ وَالخَوَارِجِ جَائِزٌ إِذَا عَرَضُوا لِلرَّجُلِ فِي نَفسِهِ وَمَالِهِ، فَلَهُ أَن يُقَاتِلَ عَن نَفسِهِ وَمَالِهِ، وَيَدفَعَ عَنهَا بكُلِّ مَا يَقدِرُ، وَلَيسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ، أو تَرَكُوهُ أَن يَطلُبَهُم، وَلَا يَتَّبِعَ آثَارَهُم، لَيسَ لأَحَدٍ إِلَّا الإِمَامُ، أو وُلَاةُ المُسلِمِينَ؛ إِنَّمَا لَهُ أَن يَدفَعَ عَن نَفسِهِ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ، وَيَنوِيَ بِجهدِهِ أَلَّا يَقتُلَ أَحَدًا.

فَإِن مَاتَ عَلَىٰ يَدَيهِ فِي دَفعِهِ عَن نَفسِهِ فِي المَعرَكَةِ فَأَبعَدَ اللّه المَقتُولَ.

وَإِن قُتِلَ هَذَا فِي تِلكَ الحَالِ وَهُوَ يَدفَعُ عَن نَفسِهِ وَمَالِهِ رَجَوتُ لَهُ الشَّهَادَةَ، كَمَا جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ. وَجَمِيعُ الآثَارِ فِي هَذَا إِنَّمَا أُمِرَ بِقِتَالِهِ، وَلَم يُؤمَر بِقَتلِهِ وَلَا اتِّبَاعِهِ، وَلَا يُجِيزُ عَلَيهِ إِن صُرِعَ أَو كَانَ جَرِيحًا.

وَإِن أَخَذَهُ أَسِيرًا فَلَيسَ لَهُ أَن يَقتُلَهُ، وَلَا يُقِيمَ عَلَيهِ الحَدَّ، وَلَكِن يَرفَعُ أَمرَهُ إِلَي مَن وَلَّاهُ اللّه فَيَحكُمُ فِيهِ.

٣٦- وَلَا نَشهَدُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِن أَهلِ القِبلَةِ بِعَمَلٍ يَعمَلُهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، نَرجُو لِلصَّالِحِ، وَنَخَافُ عَلَيهِ، وَنَخَافُ عَلَىٰ المُسِيءِ المُذنِبِ، وَنَرجُو لَهُ رَحمَةَ اللّه.

٣٧- وَمَن لَقِيَ اللّه بِذَنبٍ يَجِبُ لَهُ بِهِ النَّارُ- تَائِبًا غَيرَ مُصِرٍّ عَلَيهِ- فَإِنَّ اللّه يَتُوبُ عَلَيهِ، وَيَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ، وَيَعفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ.

٣٨- وَمَن لَقِيَهُ وَقَد أُقِيمَ عَلَيهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنبِ فِي الدُّنيَا فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، كَمَا جَاءَ فِي الخَبَرِ عَن رَسُولِ اللّه ﷺ .

٣٩- وَمَن لَقِيَهُ مُصِرًّا غَيرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي قَد استَوجَبَ بِهَا العُقُوبَةَ؛ فَأَمرُهُ إِلَىٰ اللّه؛ إِن شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِن شَاءَ غَفَرَ لَهُ.

٤٠- وَمَن لَقِيَهُ - مِن كَافِرٍ - عَذَّبَهُ وَلَم يَغفِر لَهُ.

٤١- وَالرَّجمُ حَقٌّ عَلَىٰ مَن زَنَىٰ وَقَد أُحصِنَ إِذَا اعتَرَفَ أَو قَامَت عَلَيهِ بَيِّنَة.

٤٢- وَقَد رَجَمَ رَسُولُ الله ﷺ.

٤٣- وَقَد رَجَمَتِ الأئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ.

٤٤- وَمَنِ انتَقَصَ أحَدًا مِن أصحَابِ رَسُولِ الله ﷺ أو أبغَضَهُ بِحَدَثٍ كَانَ مِنهُ؛ أو ذَكَرَ مَسَاوِئَهُ كَانَ مُبتَدِعًا حَتَّىٰ يَتَرَحَّمَ عَلَيهِم جَمِيعًا، وَيَكُونَ قَلبُهُ لَهم سَلِيمًا.

٤٥- وَالنِّفَاقُ هُوَ الكُفرُ: أن يَكفُرَ بِالله وَيَعبُدَ غَيرَهُ، وَيُظهِرَ الإسلامَ فِي العَلَانِيَةِ، مِثل المُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهدِ رَسُولِ الله ﷺ.

٤٦- وَقَولُهُ ﷺ: «ثَلاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِق»(١). هَذَا عَلَىٰ التَّغلِيظِ؛ نَروِيهَا كَمَا جَاءَت، وَلَا نُفَسِّرُهَا.

٤٧- وَقَولُهُ: «لا تَرجِعُوا بَعدِي كُفَّارًا ضُلَّالًا يَضرِبُ بَعضُكُم رِقَابَ بَعضٍ»(٢).

وَمِثلُ: «إِذَا التَقَىٰ المُسلِمَانِ بِسَيفَيهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقتُولُ فِي النَّارِ»(٣).

وَمِثلُ: «سِبَابُ المُسلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفرٌ»(٤).

وَمِثلُ: «مَن قَالَ لأخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَد بَاءَ بِهَا أحَدُهمَا»(٥).

وَمِثلُ: «كُفرٌ بِالله تَبَرُّؤٌ مِن نَسَبٍ وَإِن دَقَّ»(٦).

٤٨- وَنَحوُ هَذِهِ الأحَادِيثِ مِمَّا قَد صَحَّ وَحُفِظَ، فَإِنَّا نُسَلِّمُ لَهُ، وَإِن لَم نَعلَم تَفسِيرَهَا، وَلَا نَتَكَلَّمُ فِيهَا، وَلَا نُجَادِلُ فِيهَا، وَلَا نُفَسِّرُ هَذِهِ الأحَادِيثَ إِلَّا مِثلَمَا جَاءَت؛ لَا نَرُدُّهَا إِلَّا بِأحَقَّ مِنهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٥) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (١٩٨٧).

٤٩- وَالجنَّةُ وَالنَّارُ مَخلُوقَتَانِ قَد خُلِقَتَا كَمَا جَاءَ عَن رَسُولِ الله ﷺ: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَرَأَيتُ قَصرًا»[(١)].

وَ: «رَأَيتُ الكوثَرَ»[(٢)].

وَ: «اطَّلَعتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيتُ أَكثَرَ أَهلِهَا...» كَذَا[(٣)].

وَ: «اطَّلَعت فِي النَّارِ فرَأيتُ...» كَذَا وَكذَا[(٤)].

فَمَن زَعَمَ أَنَّهُمَا لَم تُخلَقَا فَهُوَ مَكَذِّبٌ بِالقُرآنِ، وَأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَحسَبُهُ يُؤمنُ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ.

٥٠- وَمَن مَاتَ مِن أَهلِ القِبلَةِ مُوَحِّدًا؛ يُصَلَّىٰ عَلَيهِ، وَيُستَغفَرُ لَهُ، وَلَا يُحجَبُ عَنهُ الاستِغفَارُ، وَلَا تُترَكُ الصَّلَاةُ عَلَيهِ لِذَنبٍ أَذنَبَهُ - صَغِيرًا كَانَ أَو كَبِيرًا - أَمرُهُ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ.

آخِرُ الرِّسَالَةِ...

وَالحَمدُ لله وَحدَهُ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٧٩)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٤)، ومسلم (٤٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٧).

(٤) تقدم تخريجه.

٣- أصول السنة لابن أبي زمنين

للإمام

محمد بن عبد الله بن أبي زمنين

(٣٢٤-٣٩٩)

٣- أصول السنة لابن أبي زمنين

باب
فِي الحَضِّ عَلَى لُزُومِ السُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الأَئِمَّةِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ السُّنَّةَ دَلِيلُ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهَا لَا تُدْرَكُ بِالْقِيَاسِ وَلَا تُؤْخَذُ بِالْعُقُولِ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي الِاتِّبَاعِ لِلْأَئِمَّةِ وَلِمَا مَشَى عَلَيْهِ جُمْهُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَقْوَامًا أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، وَأَمَرَ عِبَادَهُ فَقَالَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣]

١- وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَزْمِ وَهْبُ بْنُ مَسَرَّةَ الْحِجَازِيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ مُعَاوِيَةَ الصُّمَادِحِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: ثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، وَقَرَأَ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الْآيَةَ(١).

٢- ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: وَحَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٢).

٣- ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، أَنَّهُ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٦٥)، وحسنه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «عَمَلٌ قَلِيلٌ فِي سُنَّةٍ، خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ فِي بِدْعَةٍ»(١).

٤-حَدَّثَنِي (أَبِي ؓ) عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَىٰ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْخَلِيلُ بْنُ مُرَّةَ عَنِ الْوَضِينِ بْنِ عَطَاءَ عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «السُّنَّةُ سُنَّتَانِ سُنَّةٌ فِي فَرِيضَةٍ الأَخْذُ بِهَا هُدَىٰ وَتَرْكُهَا ضَلَالَةٌ، وَسُنَّةٌ فِي غَيْرِ فَرِيضَةٍ الأَخْذُ بِهَا فَضِيلَةٌ وَتَرْكُهَا لَيْسَ بِخَطِيئَةٍ»(٢).

٥-يَحْيَىٰ قَالَ: وَحَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ عُمَرَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٣).

٦-يَحْيَىٰ قَالَ: وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ دِينَارٍ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ يُكَذِّبُنِي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ حَشَايَاهُ، يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ: كِتَابُ اللهِ: وَدَعُونَا مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٤).

٧-وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَسْلَمَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الأَعْلَىٰ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الأَشَجِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ؓ قَالَ: «سَيَأْتِي قَوْمٌ يَأْخُذُونَكُمْ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ»(٥).

٨-ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنْ صَدَقَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ أَصْحَابَ الرَّأْيِ أَعْدَاءُ السُّنَنِ

---

(١) أخرجه الرافعي في «تاريخه» (١/ ٢٥٧)، وضعفه العلامة الألباني في «الضعيفة» (٣٢٥١).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٢٣)، وقال العلامة الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٥٦): موضوع.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٤٩).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٤٥٣) بنحوه.

(٥) أخرجه الدارمي (١١٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٠٢).

أَعْيَتْهُمْ أَنْ يَحْفَظُوهَا وَتَفَلَّتَ مِنْهُمْ أَنْ يَعُوهَا، وَاسْتَحْيَوْا حِينَ سُئِلُوا أَنْ يَقُولُوا: لَا نَعْلَمُ، فَعَارَضُوا السُّنَنَ بِرَأْيِهِمْ»[١].

٩- ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي خَالِدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أُسَيْدٍ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَرْسَلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ إِلَى أَقْوَامٍ خَرَجُوا فَقَالَ لَهُ: «إِنْ خَاصَمُوكَ بِالْقُرْآنِ فَخَاصِمهمْ بِالسُّنَّةِ»[٢].

١٠- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ الصُّمَادِحِيِّ، عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ عَامٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، لَا أَعْنِي عَامًا أَخْصَبَ مِنْ عَامٍ وَلَا أَمْطَرَ مِنْ عَامٍ، وَلَكِنْ ذَهَابَ عُلَمَائِكُمْ وَخِيَارِكُمْ، ثُمَّ يُحْدِثُ قَوْمٌ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ فَيُهْدَمُ الْإِسْلَامُ وَيُثْلَمُ»[٣].

١١- ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ»[٤].

١٢- ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: وَحَدَّثَنِي زَمْعَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَاضِرٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَوْصِنِي قَالَ: «عَلَيْكَ بِالِاسْتِقَامَةِ، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ»[٥].

١٣- ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: وَحَدَّثَنَا عبدالمؤمن بْنُ عبيد الله قَالَ: حَدَّثَنِي مَهْدِيُّ بْنُ أَبِي أَبِي الْمَهْدِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ عَامٌ إِلَّا

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ١٤٦١)، واللالكائي (٢٠١)، وغيرهما.

(٢) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣٦١١٤).

(٣) أخرجه الدارمي (١٨٨)، والداني (٣/ ٥١٧).

(٤) أخرجه ابن نصر في «السنة» (٦٦)، وصححه العلامة الألباني في «كتاب العلم» لأبي خيثمة (٥٤).

(٥) أخرجه الدارمي (١٤١).

أَحْدَثُوا فِيهِ بِدْعَةً، وَأَمَاتُوا فِيهِ سُنَّةً حَتَّىٰ تَحْيَىٰ الْبِدَعُ وَتَمُوتُ السُّنَنُ»[(١)].

باب
فِي الإِيمَانِ بِصِفَاتِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ بِاللهِ وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُ وَرُسُلُهُ يَرَوْنَ الْجَهْلَ بِمَا لَمْ يُخْبِرْ بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْ نَفْسِهِ عِلْمًا، وَالْعَجْزَ عَمَّا لَمْ يَدْعُ إِيمَانًا، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَنْتَهُونَ مِنْ وَصْفِهِ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ إِلَىٰ حَيْثُ انْتَهَىٰ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ، وَقَدْ قَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا﴾ [الأنعام:١٩] وَقَالَ: ﴿تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨] وَقَالَ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩] وَقَالَ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وَقَالَ: ﴿مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩] وَقَالَ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ﴾ [المائدة:٦٤] وَقَالَ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ﴾ [الزمر:٦٧] وَقَالَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦] وَقَالَ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء:١٦٤] وَقَالَ: ﴿۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ﴾ [النور:٣٥] وَقَالَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي﴾ [البقرة:٢٥٥] وَقَالَ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ﴾ [الحديد:٣]

وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَهُ وَجْهٌ وَنَفْسٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَيَسْمَعُ وَيَرَىٰ وَيَتَكَلَّمُ، الأَوَّلُ وَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ الْبَاقِي إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرُ

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٢٦)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٦١٣).

الْعَالِي فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ وَالْبَاطِنُ بَطَنَ عِلْمُهُ بِخَلْقِهِ تَعَالَىٰ: وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ حَيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ.

١٤- وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْقَطَّانِ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَشْرَسُ بْنُ رَبِيعَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو ظِلَالٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَىٰ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا ظِلَالٍ مَتَىٰ أُصِبْتَ فِي بَصَرِكَ؟ قَالَ: لَا أَعْقِلُهُ، قَالَ: أَفَلَا أُحَدِّثُكَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ عَنْ جِبْرِيلَ ﷺ عَنْ رَبِّهِ أَنَّ اللهَ قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ مَا ثَوَابُ عَبْدِي إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَهُ؟ قَالَ جِبْرِيلُ: رَبِّ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنِي، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ ثَوَابُ عَبْدِي إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَهُ النَّظَرَ إِلَىٰ وَجْهِي» انْتَهَىٰ[(١)].

١٥- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ فَقَالَ مُوسَىٰ يَا آدَمُ أَنْتَ أَسْكَنَكَ اللهُ الْجَنَّةَ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ...» ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ[(٢)].

١٦- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ مُوسَىٰ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ وَهُوَ سَاجِدٌ: ... ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِي آخِرِهِ: «أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»[(٣)]

١٧- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ بَكْرٍ السَّهْمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي

---

(١) أخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (٤٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٦).

أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، وَقَضَى الْقَضِيَّةَ، وَأَخَذَ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ فَأَخَذَ أَهْلَ الْيَمِينِ بِيَمِينِهِ، وَأَهْلَ الشِّمَالِ بِيَدِهِ الْأُخْرَى، وَكِلْتَا يَدِ الرَّحْمَنِ يَمِينٌ...» ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ[1] .

١٨- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ خَرَجَ عَنْ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَإِذَا حَلْقَةٌ فِي الْمَسْجِدِ ... ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثًا وَفِيهِ: «إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ مَعِي مِنْ أُمَّتِي مَنْ يُقِرُّ بِهِ عَيْنَيَّ الْجَنَّةَ، فَأَعْطَانِي سَبْعِينَ أَلْفًا، ثُمَّ اسْتَزَدْتُهُ فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا، ثُمَّ اسْتَزَدْتُهُ فَأَشَارَ إِلَيَّ بِكَفَّيْهِ هَكَذَا وَهَكَذَا»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَسْبُنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا بَكْرٍ دَعْنَا نَدْخُلُ الْجَنَّةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا عُمَرُ وَمَا تُبْقِي (حَفْنَتَانِ) مِنْ حَفَنَاتِ اللهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ[2] .

١٩- ابْنُ وَهْبٍ: قَالَ: وَأَخْبَرَنِي مَسْلَمَةُ بْن عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّكَ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ»[3] .

٢٠- وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ فَحْلُون عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ حُمَيْدٍ الْعَكِّيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟

---

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١/ ٣٦)، والطبراني في «الأوسط» (٧/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه هناد في الزهد (١/ ٣٦).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢)، وصححه الأرناؤوط.

فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ» (١).

٢١- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ نَبْهَانَ، عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: كُنَّا فِي مَسِيرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا أَهْبَطَ النَّاسُ كَبَّرُوا، وَإِذَا عَلَوْا كَبَّرُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا» (٢).

٢٢- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، عَنْ أَحْمَدَ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَىٰ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْإِيمَانُ؟ ... ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّك إِنْ لا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (٣).

٢٣- ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ الْمَسِيحَ بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ (الْعَيْنِ) الْيُمْنَىٰ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ» (٤).

٢٤- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، عَنْ أَسْلَمَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَىٰ بْنُ حُسَيْنٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الرِّجَالِ، عَنْ مُوسَىٰ بْنِ عُقْبَةَ أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً ... ثُمَّ ذَكَرَ الدُّعَاءَ وَفِي أَوَّلِهِ: يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٩)، ومسلم (٦٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٠٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (٢٢٤٧).

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/ ٥٢).

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَهَذِهِ صِفَاتُ رَبِّنَا الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ ﷺ، وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا تَحْدِيدٌ وَلَا تَشْبِيهٌ وَلَا تَقْدِيرٌ فَسُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ فَتَحُدُّهُ كَيْفَ هُوَ كَيْنُونِيَّتُهُ، لَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ فِي حَقَائِقِ الْإِيمَانِ بِهِ.

٢٥- وَقَدْ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ لُبَابَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْعُتْبِي، عَنْ عِيسَىٰ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عبد الرحمن بْنِ الْقَاسِمِ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَصِفَ اللهَ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا يُشَبِّهُ يَدَيْهِ بِشَيْءٍ، وَلَا وَجْهَهُ بِشَيْءٍ، وَلَكِنْ يَقُولُ: لَهُ يَدَانِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَهُ وَجْهٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، يَقِفُ عِنْدَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ وَلَكِنْ هُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَيَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ كَمَا وَصَفَهَا: وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ قَالَ: وَكَانَ مَالِكٌ يُعَظِّمُ أَنْ يُحَدِّثَ أَحَدٌ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا: أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ وَضَعَّفَهَا.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا...» ثُمَّ ذَكَرَهَا كُلَّهَا.

فَأَسْمَاءُ رَبِّنَا وَصِفَاتُهُ قَائِمَةٌ فِي التَّنْزِيلِ، مَحْفُوظَةٌ عَنِ الرَّسُولِ، وَهِيَ كُلُّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَلَا مُسْتَحْدَثَةٍ، فَتَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُلْحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

٢٦- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي خِدَاشٌ، عَنْ عَوْفٍ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تُفَكِّرُوا فِي اللهِ وَتَفَكَّرُوا فِيمَا خَلَقَ»(١) .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٦٧)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٧٦).

٤٧- عَلِيٌّ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ بْنِ سَلَامٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَشْعَثُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الأَرْضَ؟ فَيَقُولُ اللهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ -ثَلَاثًا-»(١).

باب
فِي الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ وَتَنْزِيلُهُ، لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

٢٨- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْطَاةَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَىٰ اللهِ بِشَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ خَرَجَ مِنْهُ - يَعْنِي الْقُرْآنَ -»(٢).

٢٩- وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ مَسَرَّةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَيُّونَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُطَيَّنٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ حَفْصِ بْنِ ذَكْوَانَ، عَنْ مَوْلَىٰ الْحُرَقَةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَرَأَ طه وَيس قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفِ عَامٍ، فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ الْقُرْآنَ، قَالُوا: طُوبَىٰ لِأُمَّةٍ يَنْزِلُ هَذَا عَلَيْهَا، وَطُوبَىٰ لِأَجْوَافٍ تَحْمِلُ هَذَا، وَطُوبَىٰ لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا»(٣).

٣٠- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عَبَّادٍ، عَنْ عَبَّادٍ قَالَ: كَانَ كُلُّ مَنْ أَدْرَكْتُهُ مِنَ الْمَشَايِخِ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، وَعِيسَىٰ بْنُ يُونُسَ، وعَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَوَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ أَدْرَكْتُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٩).

(٣) أخرجه الدارمي (٢/ ٤٥٦)، وقال العلامة الألباني في «الضعيفة» (١٢٤٨): منكر.

مِنْ فُقَهَاءِ الأَمْصَارِ: مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَغَيْرِهَا يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمٌ حَتَّىٰ يَعْلَمَ وَيُؤْمِنَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ.

قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: وَلَا يَسَعُ أَحَدًا أَنْ يَقُولَ: كَلَامُ اللهِ قَطُّ حَتَّىٰ يَقُولَ: لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمٌ حَتَّىٰ يَعْلَمَ وَيُوقِنَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، مِنْهُ ﷻ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَمَنْ قَالَ بِغَيْرِ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ.

وَقَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ الْقَاسِمِ ﷺ: كَلَامُ اللهِ ﷻ مُنَزَّلٌ مَفْرُوقٌ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، لَا تَدْخُلُ فِيهِ أَلْفَاظُنَا وَإِنَّ تِلَاوَتَنَا لَهُ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛ لِأَنَّ التِّلَاوَةَ هِيَ الْقُرْآنُ بِعَيْنِهِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ التِّلَاوَةَ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ زَعَمَ الْقُرْآنَ مَخْلُوقًا، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللهِ مَخْلُوقٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللهِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ.

باب
فِي الإِيمَانِ بِالْعَرْشِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ الْعَرْشَ وَاخْتَصَّهُ بِالْعُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ فَوْقَ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: ٥، ٦]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ﴾ [الحديد: ٤]، فَسُبْحَانَ مَنْ بَعُدَ فَلَا يُرَىٰ، وَقَرُبَ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ فَسَمِعَ النَّجْوَىٰ.

٣١- وَقَدْ حَدَّثَنِي ابْنُ مُطَرِّفٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عُثْمَانَ الْعِنَاقِيِّ عَنْ نَصْرِ بْنِ مَرْزُوقٍ، عَنْ أَسَدِ بْنِ مُوسَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ يَعْلَىٰ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ، عَنْ أَبِي رُزَيْنٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَىٰ

الْمَاءِ»(١).

قَالَ مُحَمَّدٌ: الْعَمَاءُ السَّحَابُ الْكَثِيفُ الْمُطْبِقُ فِيمَا ذَكَرَ الْخَلِيلُ.

٣٢- أَسَدٌ قَالَ: وَحَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ زِيَادٍ الْكُوفِيُّ عَنْ عبد المنعم بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ سِنَانِ بْنِ بِنْتِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ وَهْبِ بْنِ كَعْبِ الْأَحْبَارِ أَنَّهُ وَجَدَ فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّ اللهَ كَانَ عَلَىٰ عَرْشِهِ عَلَىٰ الْمَاءِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، وَقَالَ: الْمَاءُ عَلَىٰ مَتْنِ الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ(٢).

٣٣- أَسَدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ قَالَ: هُمُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَةُ صُفُوفٍ وَهُمُ الْكُرُوبِيُّون، وَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِي يَحْمِلُهُمْ وَيُمْسِكُهُمْ بِقُدْرَتِهِ لَيْسَ هُمْ يَحْمِلُونَهُ وَلَكِنَّهُ عَظَّمَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ.

٣٤- أَسَدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرحمن بْنُ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ مُوسَىٰ، عَنْ عُقْبَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ مَخْفِقُ الطَّيْرِ سَبْعَمِائَةِ عَامٍ»(٣).

٣٥- أَسَدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَصْرِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَسِيرَةُ مَا بَيْنَ هَذِهِ الْأَرْضِ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَسِيرَةُ مَا بَيْنَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، فَكَذَلِكَ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَىٰ الْعَرْشِ كَمَا بَيْنَ سَمَاءَيْنِ»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١١)، وضعفه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (٦١٢).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٨٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٨٥٤).

(٤) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٢).

باب
فِي الْإِيمَانِ بِالْكُرْسِيِّ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الْكُرْسِيَّ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ.

٣٦- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عبد الرحمن بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيُّ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ عُثْمَانَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ بِالْجُمُعَةِ وَهِيَ كَالْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ...» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: «إِنَّ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ هَبَطَ مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ حَفَّ الْكُرْسِيَّ بِمَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ بِالْجَوْهَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ النَّبِيُّونَ فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا»(١).

٣٧- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْمُعَلَّىٰ بْنُ هِلَالٍ عَنْ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: إِنَّ الْكُرْسِيَّ الَّذِي وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَلَا يَعْلَمُ قَدْرَ الْعَرْشِ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ(٢).

٣٨- وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُطَرِّفٍ، عَنِ الْعِنَاقِيِّ، عَنْ نَصْرِ بْنِ مَرْزُوقٍ، عَنْ أَسَدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عبد المنعم بْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: «تَحْتَ هَذِهِ السَّمَاءِ بَحْرُ مَاءٍ يَطْفَحُ فِيهِ الدَّوَابُّ مِثْلُ مَا فِي بَحْرِكُمْ هَذَا، وَمِنْ ذَلِكَ الْبَحْرِ أَغْرَقَ اللهُ قَوْمَ نُوحٍ، وَهُوَ مَا أَسْكَنَهُ اللهُ فِي مَوْضِعِهِ لِلْعَذَابِ وَسَيُنْزِلُهُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُغْرِقُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ فَالسَّمَاوَاتُ

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ٢٨)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١/ ٩١).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٨٢)، وحسنه العلامة الألباني في «العلو» (١٢٤).

وَالْأَرْضُ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ فِي جَوْفِ الْكُرْسِيِّ، وَالْكُرْسِيُّ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ».

٣٩- أَسَدُ بْنُ مُوسَىٰ وَقَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: «مَا بَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي يَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»(١).

باب
الْإِيمَانِ بِالْحُجُبِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، مُحْتَجِبٌ عَنْهُمْ بِالْحُجُبِ، فَتَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف:٥]

٤٠- وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُطَرِّفٍ الْعِنَاقِيُّ عَنْ نَصْرٍ، عَنْ أَسَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَىٰ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قُلْتُ لِجِبْرِيلَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ وَلَوْ دَنَوْتُ إِلَىٰ وَاحِدٍ مِنْهَا لَاحْتَرَقْتُ»(٢).

٤١- أَسَدٌ قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِقْسَمٍ أَنَّهُ ذَكَرَ: «أَنَّ دُونَ الْعَرْشِ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ، حُجُبٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، لَا يُنْفِذُهَا شَيْءٌ، وَحُجُبٌ مِنْ نُورٍ لَا يُنْفِذُهَا شَيْءٌ، وَحُجُبٌ مِنْ مَاءٍ لَا يَسْمَعُ حَسِيسَ

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥١)، وصححه العلامة الألباني في «مختصر العلو» (١/ ٧٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٢٧٨)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١/ ٧٣).

ذَلِكَ الْمَاءِ شَيْءٌ إِلَّا خُلِعَ قَلْبُهُ، إِلَّا مَنْ رَبَطَ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ»(١).

٤٢- أَسَدٌ قَالَ: حَدَّثَنِي وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ الْمُكْتِبِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «احْتَجَبَ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ بِأَرْبَعٍ: نَارٍ، وَظُلْمَةٍ، وَنُورٍ، وَظُلْمَةٍ»(٢).

٤٣- أَسَدٌ قَالَ: وَحَدَّثَنَا هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَبَيْنَ الْعَرْشِ سَبْعُونَ حِجَابًا مِنْ نَارٍ، وَسَبْعُونَ حِجَابًا مِنْ ظُلْمَةٍ، وَحِجَابٌ مِنْ نُورٍ، وَحِجَابٌ مِنْ ظُلْمَةٍ»(٣).

٤٤- أَسَدٌ قَالَ: وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ فِي حَدِيثِهِ: «بَيْنَ حَمَلَةِ الْكُرْسِيِّ وَبَيْنَ حَمَلَةِ الْعَرْشِ سَبْعُونَ حِجَابًا مِنْ ظُلْمَةٍ، وَسَبْعُونَ حِجَابًا مِنَ الْبَرْدِ، وَسَبْعُونَ حِجَابًا مِنَ الثَّلْجِ، وَسَبْعُونَ حِجَابًا مِنَ النُّورِ غِلَظُ كُلِّ حِجَابٍ مِنْهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَلَوْلَا تِلْكَ الْحُجُبُ لَاحْتَرَقَتْ مَلَائِكَةُ الْكُرْسِيِّ مِنْ نُورِ مَلَائِكَةِ الْعَرْشِ فَكَيْفَ بِنُورِ الرَّبِّ الَّذِي لَا يُوصَفُ عَنْ وَجْهِهِ»(٤).

باب
فِي الْإِيمَانِ بِالنُّزُولِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَيُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحُدُّوا فِيهِ حَدًّا.

٤٥- وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ فَحْلُونَ، عَنِ الْعَكِّي، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْأَغَرِّ، وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عبدالرحمن، عَنْ أَبِي

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣٢).

(٢) أخرجه أبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (١١٨)، واللالكائي (٧٢٩)، وغيرهما.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٣٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥٦)، وغيرهما.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٩٢).

هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(١).

٤٦- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَنْزِلُ اللهُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا بِنِصْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، أَوْ ثُلُثِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، حَتَّىٰ يَطْلُعَ الْفَجْرُ الصُّبْحِ»(٢).

* وَأَخْبَرَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عُبَادَةَ قَالَ: كُلُّ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنَ الْمَشَايِخِ: مَالِكٍ وَسُفْيَانَ وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وَعِيسَىٰ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَوَكِيعٍ كَانُوا يَقُولُونَ: النُّزُولُ حَقٌّ.

قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: وَسَأَلْتُ يُوسُفَ بْنَ عَدِيٍّ عَنِ النُّزُولِ؟

فَقَالَ: نَعَمْ: أُقِرُّ بِهِ وَلَا أَحُدُّ حَدًّا، وَسَأَلْتُ عَنْهُ ابْنَ مَعِينٍ فَقَالَ: نَعَمْ، أُقِرُّ بِهِ وَلَا أَحُدُّ فِيهِ حَدًّا.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَهَذَا الْحَدِيثُ بَيِّنٌ أَنَّ اللهَ ﷻ عَلَىٰ عَرْشِهِ فِي السَّمَاءِ دُونَ الأَرْضِ، وَهُوَ أَيْضًا بَيِّنٌ فِي كِتَابِ اللهِ، وَفِي غَيْرِ مَا حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، وَقَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦]، وَقَالَ: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك:١٧]، وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٤)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٤).

وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ﴾ [فاطر:١٠].

وَقَالَ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، وَقَالَ لِعِيسَىٰ: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾ [آل عمران:٥٥]، وَقَالَ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨].

٤٧- وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ فَحْلُونَ عَنِ الْعَكِّيِّ، عَنْ أَبِي بُكَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أُسَامَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ(١) أَنَّهُ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ جَارِيَةً لِي كَانَتْ تَرْعَىٰ غَنَمًا لِي فَجِئْتُهَا وَقَدْ فُقِدَتْ شَاةٌ مِنَ الْغَنَمِ فَسَأَلْتُهَا عَنْهَا فَقَالَتْ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ فَأَسِفْتُ عَلَيْهَا وَكُنْتُ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلَطَمْتُ وَجْهَهَا، وَعَلَيَّ رَقَبَةٌ أَفَأُعْتِقُهَا؟ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيْنَ اللهُ؟» فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ فَقَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَعْتِقْهَا»

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَالْحَدِيثُ مِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ جِدًّا فَسُبْحَانَ اللهِ مَنْ عِلْمُهُ بِمَا فِي الْأَرْضِ كَعِلْمِهِ بِمَا فِي السَّمَاءِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

باب
فِي الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ يُحَاسِبُ عِبَادَهُ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُحَاسِبُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَسْأَلُهُمْ مُشَافَهَةً مِنْهُ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟﴾ [المائدة:١٠٩] وَقَالَ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النساء:٤١] وَقَالَ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف:٦] وَقَالَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ۝٦٢﴾ [الأنعام:٦٢] وَقَالَ: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ۝١١٣﴾ [الشعراء:١١٣] وَهَلْ يُحَاسِبُ الْعِبَادَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ وَتَعَبَّدَهُمْ وَأَحْصَىٰ أَعْمَالَهُمْ وَحَفِظَهَا عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

يَسْأَلُهُمْ عَنْهَا، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ.

٤٨- وَقَدْ حَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَىٰ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا آخِذٌ بِيَدِ ابْنِ عُمَرَ إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي النَّجْوَىٰ؟ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُ عَبْدِي أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: إِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَإِنَّهُ يُنَادَىٰ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ»[1].

٤٩- ابْنُ شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ ابْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»[2].

٥٠- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ فِي قَوْلِهِ: «وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أَيْ: لَا يُكَلِّمُهُمْ بِمَا يُحِبُّونَ وَقَدْ يُكَلِّمُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَيَأْخُذُ مِنْهُمْ.

باب
فِي الْإِيمَانِ بِالنَّظَرِ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّهُ يَحْتَجِبُ عَنِ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ فَلَا يَرَوْنَهُ، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ﴾ [يونس:٢٦] وَقَالَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وَقَالَ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين:١٥] فَسُبْحَانَ مَنْ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

٥١- وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عبد الله، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ مُوسَىٰ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ وَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: هَكَذَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا تُضَامُّون فِي رُؤْيَتِهِ»(١).

٥٢- قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: حَدَّثَنِي حِبَرَةُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَلَيْسَ دُونَهُ حِجَابٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، وَلَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَلَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»(٢).

٥٣- ابْنُ وَضَّاحٍ قَالَ: وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ نُوحٍ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عبد الرحمن بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ نُودُوا يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ مَوْعِدًا قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَظْهَرُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٥٧٣) نحوه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) نحوه.

(٣) أخرجه مسلم (١٨١) نحوه.

٥٤- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ الْبَجَلِيِّ قَالَ: قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ هَذِهِ الْآيَةَ أَوْ قُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الزِّيَادَةُ؟ الزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ رَبِّنَا»(١).

٥٥- يَحْيَىٰ قَالَ: وَحَدَّثَنِي الْمَسْعُودِيُّ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: «سَارِعُوا إِلَىٰ الْجُمَعِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْرُزَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ فِي كَثِيبٍ مِنْ كَافُورٍ أَبْيَضَ، فَيَكُونُونَ مِنْهُ فِي الْقُرْبِ كَمُسَارَعَتِهِمْ إِلَىٰ الْجُمَعِ فِي الدُّنْيَا، فَيُحْدِثُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ شَيْئًا لَمْ يَكُونُوا رَأَوْهُ قَبْلُ، ذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ فَيَجِدُونَهُ قَدْ أَحْدَثَ لَهُمْ أَيْضًا»(٢).

قَالَ يَحْيَىٰ: وَسَمِعْتُ غَيْرَ الْمَسْعُودِيِّ يَزِيدُ فِيهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ

٥٦- يَحْيَىٰ قَالَ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ قَالَ: نَاعِمَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ قَالَ: تَنْظُرُ إِلَىٰ اللهِ، قَالَ يَحْيَىٰ: وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَيَحْتَجِبُ عَنْهُمْ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين:١٥].

باب
فِي الْإِيمَانِ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ وَالْقَلَمَ حَقٌّ يُؤْمِنُونَ بِهِمَا، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ وَقَالَ: وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ وَقَالَ: وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (١/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٣١).

٥٧- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: وَثَنِي أَبِي قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ الْقَلَمَ ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ(١).

٥٨- وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُطَرِّفٍ عَنِ الْعُنَابِيِّ عَنْ نَصْرٍ عَنْ أَسَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حُمَيْدٍ عَنِ الْحَكَمِ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ قَالَ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ وَخُلِقَتْ لَهُ الدَّوَاةُ وَهِيَ النُّونُ فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ، فَجَرَىٰ بِمَا كَانَ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»(٢).

٥٩- أَسَدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ إِدْرِيسَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي وَهْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ فِي مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ وَهُوَ مِنْ دُرٍّ أَبْيَضَ صَفْحَتَاهُ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ كَلَامُهُ النُّورُ، وَكِتَابُهُ النُّورُ»(٣).

٦٠- أَسَدٌ قَالَ: وَقَالَ وَهْبٌ فِي حَدِيثِهِ: «وَخَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ مِنْ نُورٍ طُولُهُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ فَقَالَ لِلْقَلَمِ اكْتُبْ فَقَالَ الْقَلَمُ: وَمَا أَكْتُبُ يَا رَبِّ؟ قَالَ: اكْتُبْ عِلْمِي فِي خَلْقِي إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَجَرَىٰ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فِي عِلْمِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِنَّ كِتَابَ ذَلِكَ الْقَلَمِ عَلَىٰ اللهِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣١٩)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٧١، ٨٩٤).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٢٤١).

يَسِيرٌ»(١).

٦١- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو أُمَيَّةَ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ عَنْ أَبِي الضَّيْفِ، عَنْ كَعْبٍ قَالَ: «إِنَّ أَقْرَبَ الْمَلَائِكَةِ إِلَىٰ اللهِ إِسْرَافِيلُ وَلَهُ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ، جَنَاحٌ بِالْمَشْرِقِ وَجَنَاحٌ بِالْمَغْرِبِ، وَقَدْ تَرَدَّدَ بِالثَّالِثِ وَالرَّابِعِ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ أَمْرًا جَاءَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ حَتَّىٰ يُصَفِّقَ جَبْهَةَ إِسْرَافِيلَ فَيَرْفَعَ رَأْسَهُ فَيَنْظُرَ فَإِذَا الْأَمْرُ مَكْتُوبٌ، فَيُنَادِي جِبْرِيلَ فَيُلَبِّيهُ، فَيَقُولُ: أُمِرْت بِكَذَا أُمِرْت بِكَذَا، فَلَا يَهْبِطُ جِبْرِيلُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ إِلَّا فَزِعَ أَهْلُهَا تَخَلُّفَهُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَقُولَ جِبْرِيلُ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ، فَيَهْبِطَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَيُوحِي إِلَيْهِ».

باب
فِي الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَدْ خُلِقَتَا

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَدْ خُلِقَتَا، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] وَقَالَ: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [يس:٢٦] وَقَالَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦]

٦٢- وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ فَحْلُونَ عَنِ الْعَلَاءِ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

٦٣- مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ

---

(١) أخرجه بنحوه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦) نحوه.

أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَىٰ جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»(١) .

٦٤- مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ مَعَهُ ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ. وَفِيهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ تَكَعْكَعْتَ .

فَقَالَ: «رَأَيْت الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»(٢) .

٦٥- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ شَبِيبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: وَجَاءَ مِنْ أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ رَجُلٌ يَعْبُدُ اللهَ، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهُ حَتَّىٰ بَلَغَ إِلَىٰ قَوْلِهِ: فَاسْمَعُونِ قَالَ: فَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّىٰ قَتَلُوهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ.

٦٦- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدٌ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَتْ أَرْوَاحُ أَهْلِ أُحُدٍ عَلَىٰ اللهِ جُعِلَتْ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ، تُجَاوِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا بِصَوْتٍ سَارَعْنَا فِيهِ فَإِنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا، وَوَعَدَهُمُ اللهُ لِيُخْبِرَنَّ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ ﷺ، حَتَّىٰ يُخْبِرَهُمْ بِذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩، ١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

٦٧- يَحْيَىٰ قَالَ: وَحَدَّثَنِي حَمَّادٌ عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ أَنَّهُ أَتَىٰ عَلَىٰ سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ حَيْثُ يَنْطَلِقُ بِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا فَنَادَوْا وَكَانَ مِمَّا قَالُوا رَبَّنَا لَا تُقِمِ السَّاعَةَ؛ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

باب
فِي الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ لَا يَفْنَيَانِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ لَا يَفْنَيَانِ وَلَا يَمُوتُ أَهْلُوهَا، وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] وَقَالَ: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [غافر:٣٩] وَقَالَ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ ﴾ [النحل:٩٦] وَقَالَ: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ﴾ [الدخان:٥٦] وَقَالَ رَدًّا عَلَىٰ الْيَهُودِ وَتَكْذِيبًا لَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ وَالسَّيِّئَةُ هَا هُنَا الشِّرْكُ، كَذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [البقرة:٨٠، ٨١] .

وَقَالَ أَهْلُ الْإِيمَانِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء:١٢٢] ... ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر:٣٤] ... ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فاطر:٣٥] ... ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾

[فاطر:٣٦] وَقَالَ: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝﴾ [الكهف:٣] وَقَالَ: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝﴾ [الحجر:٤٨]

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَوْ لَمْ يَذْكُرْ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْخُلُودَ إِلَّا فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ لَكَانَتْ كَافِيَةً لِمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ. وَلَكِنْ رَدَّدَ ذَلِكَ لِيَكُونَ لَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ.

٦٨- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَد، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمَ الَّذِي هُمْ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ: فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمَ الَّذِي هُمْ فِيهِ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَبَّنَا هَذَا الْمَوْتُ، فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا: خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ لا مَوْتَ فِيهَا أَبَدًا»(١).

٦٩- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أَدْخَلَ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ، نَادَىٰ مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، وَكُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ»(٢).

٧٠- يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ يَحْيَىٰ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: إِذَا تَوَجَّهَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، مَرُّوا بِشَجَرَةٍ يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ سَاقِهَا عَيْنَانِ، يَشْرَبُونَ مِنْ أَحَدِهِمَا فَتَجْرِي عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ، فَلَا تُغَيَّرُ أَبْشَارُهُمْ، وَلَا تَشْعَثُ أَشْعَارُهُمْ بَعْدَهَا، ثُمَّ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٥) بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٥٠) نحوه.

يَشْرَبُونَ مِنَ الأُخْرَى فَيَخْرُجُ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ أَذًى وَقَذًى، ثُمَّ تَسْتَقْبِلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ(١).

٧١- يَحْيَى قَالَ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو قَالَ: مَا نَزَلَ عَلَى أَهْلِ النَّارِ آيَةٌ أَشَدُّ مِنْ قَوْلِهِ: فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا قَالَ: فَهُمْ فِي زِيَادَةٍ مِنَ الْعَذَابِ أَبَدًا(٢).

٧٢- يَحْيَى، وَقَالَ سُفْيَانُ: بَلَغَنِي أَنَّهُ إِذَا خَرَجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أُخْرِجَ فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا أَهْلُ الْخُلُودِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ فَيَقُولُ اللهُ: قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ أُطْبِقَتْ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا أَحَدٌ(٣).

٧٣- قَالَ يَحْيَى: وَبَلَغَنِي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِذَا بَقِيَ فِي النَّارِ مَنْ يُخَلَّدُ فِيهَا فَجُعِلُوا فِي تَوَابِيتَ مِنْ نَارٍ فِيهَا مَسَامِيرُ مِنْ نَارٍ ثُمَّ جُعِلَتِ التَّوَابِيتُ فِي تَوَابِيتَ أُخْرَى، ثُمَّ جُعِلَتْ تِلْكَ التَّوَابِيتُ فِي تَوَابِيتَ أُخْرَى، فَلَا يَرَوْنَ أَحَدًا يُعَذَّبُ فِي النَّارِ غَيْرَهُمْ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ(٤).

باب
فِي الإِيمَانِ بِالْحَفَظَةِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَفَظَةِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ الْعِبَادِ.

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]

وَقَالَ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝﴾ [ق:١٨]

---

(١) أخرجه بنحوه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٩٧).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٨).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٠٥).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١٥١).

٧٤- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ لَهِيعَةَ عَنْ أَبِي يُونُسَ مَوْلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ ذَلِكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً وَأَنْتَ أَبْصَرُ بِهِ، فَيَقُولُ: ارْقُبُوا فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَلَيْهِ بِمِثْلِهَا وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً فَإِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ خَشْيَتِي»(١).

قَالَ يَحْيَىٰ: فَقَالَ الْحَسَنُ: الْحَفَظَةُ أَرْبَعَةٌ يَتَعَقَّبُونَهُ مَلَكَانِ بِاللَّيْلِ وَمَلَكَانِ بِالنَّهَارِ، يَجْتَمِعُ هَذِهِ الْأَمْلَاكُ الْأَرْبَعَةُ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء:٧٨]

٧٥- يَحْيَىٰ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ لَهِيعَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: «الذِّكْرُ الَّذِي لَا تَسْمَعُهُ الْحَفَظَةُ يُضَاعَفُ عَلَىٰ الَّذِي تَسْمَعُهُ الْحَفَظَةُ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَالَ اللهُ لِلْعَبْدِ: لَكَ عِنْدِي كَنْزٌ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَهُوَ الذِّكْرُ الْخَفِيُّ».

قَالَ يَحْيَىٰ: قَوْلُهُ: إِذْ يَتَلَقَّىٰ الْمُتَلَقِّيَانِ الْمَلَكَانِ، الْكَاتِبَانِ، الْحَافِظَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ رَصِيدٌ يَرْصُدُهُ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ أَيْ: حَافِظٌ حَاضِرٌ يَكْتُبَانِ كُلَّ مَا يَلْفِظُ بِهِ.

قَالَ يَحْيَىٰ: قَالَ مُجَاهِدٌ: يَكْتُبَانِ حَتَّىٰ أَنِينَهُ.

يَحْيَىٰ: قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ مُرَّةَ بِإِسْنَادٍ ذَكَرَهُ أُمِرَ صَاحِبُ الشِّمَالِ أَنْ يُكْتَبَ مَا لَا يَكْتُبُ صَاحِبُهُ.

٧٦- وَحَدَّثَنِي نُعَيْمُ بْنُ يَحْيَىٰ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَعْمَالُ الْعِبَادِ تُعْرَضُ كُلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ فَيَجِدُونَهُ عَلَىٰ مَا فِي الْكِتَابِ.

يَحْيَىٰ: وَفِي تَفْسِيرِ الْكَلْبِيِّ: أَنَّهُ إِذَا عُرِضَتِ الْأَعْمَالُ فَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا خَيْرًا وَلَا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٩) نحوه.

شَرًّا مُحِي فَلَمْ يَثْبُتْ، وَذَلِكَ كُلَّ يَوْمِ إِثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ.

باب
فِي الإِيمَانِ بِقَبْضِ مَلَكِ المَوْتِ الأَنْفُسَ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَنْفُسَ.

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١] فَإِذَا قَبَضَ نَفْسًا مُؤْمِنَةً دَفَعَهَا إِلَىٰ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ، وَإِذَا قَبَضَ نَفْسًا كَافِرَةً أَوْ فَاجِرَةً دَفَعَهَا إِلَىٰ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام:٦١] بَلْ يَقْبِضُونَهَا مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَصْعَدُونَ بِهَا إِلَىٰ اللهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:٦٢]

٧٧- وَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنِ الْحَكَمِ أَنَّ مُجَاهِدًا قَالَ: حُوِيَتِ الْأَرْضُ لِمَلَكِ الْمَوْتِ فَجُعِلَتْ مِثْلَ الطَّسْتِ يَنَالُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ(١).

قَالَ يَحْيَىٰ: بَلَغَنِي -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنَّهُ يَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَبَلَغَنِي أَنَّ لِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَانًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ هُمُ الَّذِينَ يَسْلُبُونَ الرُّوحَ مِنَ الْجَسَدِ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ عِنْدَ خُرُوجِهِ قَبَضَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ آجَالَ الْعِبَادِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ اللهِ.

٧٨- قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ فَحْلُونَ عَنِ الْعِنَاقِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَسَدُ بْنُ مُوسَىٰ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣] ثُمَّ قَالَ رَسُولُ

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٤٢٣).

اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مَنْ يُسَرُّ بِفِرَاقِ رُوحِهِ جَسَدَهُ، حَتَّىٰ يَرَىٰ أَيَّ الْمَنْزِلَتَيْنِ يَصِيرُ، وَإِنَّهُ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ» ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثًا وَفِيهِ طُولٌ وَفِيهِ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَسُلُّونَ النَّفْسَ شَيْئًا شَيْئًا حَتَّىٰ تَبْلُغَ ذَقَنَهُ، فَيَتَوَلَّىٰ قَبْضَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِهَا وَيَنْزِعُ، هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة:١١] الْآيَةَ.

باب
فِي الْإِيمَانِ بِسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُفْتَنُ فِي قُبُورِهَا، وَتُسْأَلُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَيْفَ شَاءَ اللهُ، وَيُصَدِّقُونَ بِذَلِكَ بِلَا كَيْفٍ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٧]

٧٩- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعِيدٍ، عَنِ الْعِنَاقِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأُوَيْسِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا فِتْنَةُ الْقَبْرِ بِي، فَإِذَا سُئِلْتُمْ عَنِّي فَلَا تَشُكُّوا»، قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَصْنَعُ وَأَنَا امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ؟ قَالَ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم:٢٧] الْآيَةَ(١).

٨٠- عَبْدُ الْمَلِكِ قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَسَدُ بْنُ مُوسَىٰ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الطَّائِفِيِّ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعُمَرَ: «كَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا دَخَلْتَ قَبْرَكَ وَدَخَلَ عَلَيْكَ فَتَّانَا الْقَبْرِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ؟» فَقَالَ: وَمَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يَطَآنِ شُعُورَهُمَا، وَيَكْسَحَانِ الْأَرْضَ بِأَنْيَابِهِمَا. مَعَهُمَا أَرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا أَهْلُ مِنًىٰ لَمْ يُطِيقُوهَا وَهِيَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمَا مِنْ هَذَا»، وَرَفَعَ شَيْئًا مِنَ

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٢)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٩٥٦).

الْأَرْضِ وَذَلِكَ فِي قَالَ عُمَرُ: فَيَكُفُّ أَنَا يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «كَهَيْئَتِكَ الْيَوْمَ» قَالَ: إِذًا أَكْفِيكَهُمَا يَا رَسُولَ اللهِ(١).

٨١- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَىٰ فِي قُبُورِهَا إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ قَبْرَهُ، وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَ مَلَكٌ شَدِيدُ الِانْتِهَارِ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: أَقُولُ إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَعَبْدُهُ، فَيَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ الَّذِي كَانَ لَكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَعَاذَكَ اللهُ مِنْهُ وَأَبْدَلَكَ بِمَقْعَدِكَ الَّذِي فِي النَّارِ مَقْعَدَكَ الَّذِي تَرَىٰ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا كِلَيْهِمَا فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ دَعُونِي أُبَشِّرُ أَهْلِي فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيَقْعُدُ إِذَا تَوَلَّىٰ عَنْهُ أَهْلُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ، هَذَا مَقْعَدُكَ الَّذِي كَانَ لَكَ فِي الْجَنَّةِ قَدْ أُبْدِلْتَ مَكَانَهُ مَقْعَدًا مِنَ النَّارِ»(٢).

قَالَ جَابِرٌ: وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ فِي الْقَبْرِ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ(٣).

باب
فِي الْإِيمَانِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ أَعَاذَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤] وَقَالَ: ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة:١٠١]

٨٢- وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُطَرِّفٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَىٰ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ

---

(١) أخرجه بنحوه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٧٣٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٨) دون قوله: «في القبر».

يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ يَهُودِيَّةً جَاءَتْهَا تَسْأَلُ فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ[١].

وَفِي آخِرِهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ[٢].

٨٣- مَالِكٌ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَىٰ صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[٣].

٨٤- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَعِيشَةً ضَنْكًا: عَذَابُ الْقَبْرِ»[٤]

٨٥- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنِ ابْنِ مَخْلُونَ عَنِ الْعِنَاقِيِّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: حَدَّثَنِي (...) عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ قَالَ: يَعْنِي فِي الْقَبْرِ[٥].

٨٦- قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَحِمَهُ اللهُ حَدَّثَنِي الْمَكْفُوفُ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ خُوطٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ يَعْنِي عَذَابَ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْقَبْرِ ﴿نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة:١٠١] يَعْنِي عَذَابَ جَهَنَّمَ[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٤٩)، ومسلم (٩٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤٩)، ومسلم (٩٠٣).

(٣) أخرجه مالك (٥٣٦)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٦٨٩).

(٤) أخرجه ابن حبان (٧/ ٣٨٩)، وحسنه العلامة الألباني في «التعليق على صحيح ابن حبان».

(٥) أخرجه البزار (٨/ ١٨٠) من قول مجاهد رحمه الله.

(٦) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١١).

عَبْد الْمَلِكِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ وَعَذَابُهُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِيمَانُ بِاللهِ قَوِيٌّ لَيْسَ عِنْدَهُمْ فِيهِ شَكٌّ، وَمَنْ كَذَّبَ بِذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ التَّكْذِيبِ بِاللهِ، وَإِنَّمَا يُكَذِّبُ بِهِ الزَّنَادِقَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ، وَقَدْ طَلَعَ مِنْ كَلَامِهِمْ طَرَفٌ رَأَيْتُهُ دَبَّ فِي النَّاسِ، خِفْتُ عَلَيْهِمْ مِنَ الضَّلَالِ فِي دِينِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ، فَاحْذَرُوهُمْ فَهُمُ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْأَرْوَاحَ تَمُوتُ بِمَوْتِ الْأَجْسَادِ، إِرَادَةَ التَّكْذِيبِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِمَا بَعْدَهُ.

باب
فِي الْإِيمَانِ بِالْحَوْضِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ حَوْضًا أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

٨٧- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ، عَنْ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ ظُهُورِنَا حَتَّىٰ إِذَا غَفَا إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «نَزَلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١-٣] ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ يَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(١).

٨٨- وَحَدَّثَنِي عَنْ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ عُثْمَانَ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ عَنْ جَدِّهِ أَبِي سَلَامٍ، عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ رِجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا حَوْضُكَ هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُ عَنْهُ؟ قَالَ: «هُوَ مَا بَيْنَ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٠) نحوه.

أَيْلَةَ إِلَىٰ عُمَانَ، شَرَابُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ وَفِيهِ مِنَ الْآنِيَةِ أَوْ قَالَ مِنَ الْأَبَارِيقِ مِثْلُ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ لَهُ وُرُودًا فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ» قِيلَ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الشُّعْثُ رُؤُوسًا، الدُّنْسُ ثِيَابًا، الَّذِينَ لا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ وَلا يَنْكِحُوا الْمُتَنَعِّمَاتِ الَّذِينَ يُعْطُونَ الَّذِي عَلَيْهِمْ وَلا يُعْطَوْنَ الَّذِي لَهُمْ»(١).

٨٩- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ: سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيِّ عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ قَالَ: «أَنَا عِنْدَ عُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ عَنْهُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ إِنِّي لَأَضْرِبُهُمْ بِعَصَايَ حَتَّىٰ يَرْفَضَّ» قَالَ: وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ سَعَةِ الْحَوْضِ؟ فَقَالَ: «مِثْلُ مَا بَيْنَ مَقَامِي هَذَا إِلَىٰ عُمَانَ» فَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ؟ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ مِدَادُهُ أَوْ مِدَادُهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ وَرِقٍ وَالْآخَرُ مِنْ ذَهَبٍ»(٢).

باب
الإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِالْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٦-٩] وَقَالَ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن﴾ [الأنبياء:٤٧]

٩٠- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ، عَنِ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٤٣٧)، وقال العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٢): إسناده صحيح.
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٠١).

الْمُغِيرَةِ، عَنْ أُمِّ مُوسَىٰ قَالَتْ: سَمِعْتَ عَلِيًّا يَقُولُ: أَمَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَبْد اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ أَنْ يَصْعَدَ بِشَجَرَةٍ فَيَأْتِيهِ بِشَيْءٍ مِنْهَا، فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَىٰ خموسةِ سَاقَيْهِ فَضَحِكُوا مِنْهَا فَقَالَ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟! لَرِجْلُ عَبْد اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ»(١).

٩١- أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ عِمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ»(٢).

٩٢- وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ فَحْلُون عَنِ الْوَلِيِّ، عَنْ عَبْد الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيِّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ جَهْمَان أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ جِئْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَلِمَتَيْنِ ثَقِيلَتَيْنِ فِي الْمِيزَانِ، خَفِيفَتَيْنِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، يُرْضِيَانِ الرَّحْمَنِ تَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَإِنَّهُمَا قَرِينَانِ».

٩٣- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَوْ وُضِعَ فِي كِفَّتِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْهَا، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا لِمَنْ يُوزَنُ بِهَذَا فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ رَبَّنَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ(٣).

قَالَ يَحْيَىٰ: قَوْلُهُ: فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١١٤)، وحسنه العلامة الألباني في غاية المرام (٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٣٨٢).

وَأَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عَبَّادٍ أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنَ الْمَشَايِخِ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ وَفُضَيْلٍ وَعِيسَىٰ بْنِ يُونُسَ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَوَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ كَانُوا يَقُولُونَ: الْمِيزَانُ حَقٌّ.

وَقَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: سَأَلْتُ يَحْيَىٰ بْنَ مَعِينٍ عَنْهُ فَقَالَ: حَقٌّ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَرَأَيْتُ فِي تَفْسِيرِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ مِيزَانٌ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ.

باب
فِي الْإِيمَانِ بِالصِّرَاطِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِالصِّرَاطِ وَأَنَّ النَّاسَ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ.

٩٤- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنِ ابْنِ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ مُسْهِرٍ عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم:٤٨] أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: عَلَىٰ الصِّرَاطِ[١].

٩٥- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ: يَا رَسُول اللهِ، أَيَذْكُرُ الرَّجُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمِيمَهُ؟ فَقَالَ: «ثَلَاثَةُ مَوَاطِنَ لَا يَذْكُرُ فِيهَا أَحَدٌ حَمِيمَهُ، عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّىٰ يَنْظُرَ أَيَثْقُلُ مِيزَانُهُ أَوْ يَخِفُّ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ حَتَّىٰ يَنْظُرَ أَيَجُوزُ أَمْ لَا يَجُوزُ، وَعِنْدَ الصُّحُفِ حَتَّىٰ يَنْظُرَ أَبِيَمِينِهِ يَأْخُذُ صَحِيفَتَهُ أَمْ بِشِمَالِهِ»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

٩٦- يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «الصِّرَاطُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ، وَالْمَلَائِكَةُ مَعَهُمْ كَلَالِيبُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا وَقَعَ رَجُلٌ اخْتَطَفُوهُ فَيَمُرُّ الصَّفُّ الْأَوَّلُ كَالْبَرْقِ، وَالثَّانِي كَالرِّيحِ، وَالثَّالِثُ كَأَجْوَدِ خَيْلٍ، وَالرَّابِعُ كَأَجْوَدِ الْبَهَائِمِ، وَالْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»(١).

يَحْيَىٰ، فِي تَفْسِيرِ الْكَلْبِيِّ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ﴾ [التحريم:٨] قَالَ: يُعْطَىٰ كُلُّ مُؤْمِنٍ نُورًا وَبَعْضُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ بَعْضٍ فَيَجُوزُونَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ كَهَيْئَةِ الْبَرْقِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ كَرَكْضِ الْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْعَىٰ سَعْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا وَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

باب
فِي الْإِيمَانِ بِالشَّفَاعَةِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِالشَّفَاعَةِ، وَقَالَ ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء:٧٩]

٩٧- وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ فَحْلُونَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، عَنْ خَزْرَجِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»(٢).

٩٨- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنِ ابْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَىٰ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ،

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١٢٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٣٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧١٤).

وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(١).

٩٩- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ صِلَةَ بْنِ زُفَرَ قَالَ: سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ يَقُولُ: يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ حُفَاةً عُرَاةً كَمَا خُلِقُوا يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيُنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ، وَلَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَأَوَّلُ مَنْ يُدْعَىٰ مُحَمَّدٌ، يَا مُحَمَّدُ فَيَقُولُ: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَمِنْكَ وَإِلَيْكَ، وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، وَعَلَىٰ عَرْشِكَ اسْتَوَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اشْفَعْ" قَالَ فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ(٢).

١٠٠- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنِ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَصِفُ أَهْلَ النَّارِ فَيُعَزَّلُونَ قَالَ: فَيَمُرُّ بِهِمَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُوا لِرَجُلٍ مِنْهُمْ: يَا فُلَانُ فَيَقُولُ: مَا لَكَ، فَيَقُولُ: أَتَذْكُرُ رَجُلًا سَقَاكَ شَرْبَةَ مَاءٍ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنَّكَ لأَنْتَ هُوَ، قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَالَ: فَيَشْفَعُ فِيهِ، قَالَ: وَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: يَا فُلَانُ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: أَمَا تَذْكُرُ رَجُلًا وَهَبَ لَكَ وَضُوءًا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: وَإِنَّكَ لأَنْتَ هُوَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَالَ: فَيَشْفَعُ فِيهِ»(٣).

باب
فِي الإِيمَانِ بِإِخْرَاجِ قَوْمٍ مِنَ النَّارِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُدْخِلُ نَاسًا الْجَنَّةَ مِنْ أَهْلِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) نحوه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١/ ٤٨٤).

(٣) أخرجه هناد في «الزهد» (١/ ١٤٢).

التَّوْحِيدِ بَعْدَمَا مَسَّتْهُمُ النَّارُ بِرَحْمَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اسْمُهُ، وَبِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ. وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر:٢] وَقَالَ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر:٤٨]

١٠١- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو أُمَيَّةَ بْنُ يَعْلَىٰ الثَّقَفِيُّ عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شَفَعَ النَّبِيُّ لِأُمَّتِهِ، وَالشَّهِيدُ لِأَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ بَيْتِهِ وَيَبْقَىٰ شَفَاعَةُ الرَّحْمَنِ، يُخْرِجُ اللهُ أَقْوَامًا مِنَ النَّارِ قَدِ احْتَرَقُوا فِيهَا وَصَارُوا فَحْمًا، فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَىٰ نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ الْحَيَاةُ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي بَطْنِ السَّيْلِ ثُمَّ يَقُومُونَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَهُمْ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا وَأَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً»(١).

١٠٢- يَحْيَىٰ قَالَ: وَحَدَّثَنِي عُثْمَانُ عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ لِمَنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ قَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ؟ قَالَ: فَيَقِفُ لَهُمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ(٢).

١٠٣- حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَىٰ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَىٰ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ عَلَىٰ حَسَكٍ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوجٌ بِهِ، ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ وَمَنْكُوسٌ فِيهَا، فَإِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ يَفْقِدُ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالًا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ

---

(١) أخرج نحوه البخاري (٨٠٦).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٧٠).

صَلاَتَهُمْ وَيُزَكُّونَ زَكَاتَهُمْ وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ فَيَقُولُونَ: أَيْ رَبَّنَا عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ صَلاَتَنَا، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا لا نَرَاهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إِلَىٰ النَّارِ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا فَأَخْرِجُوهُ قَالَ: فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ أُزْرَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ وَلَمْ تَغْشَ الْوَجْهَ، قَالَ فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا فَيَطْرَحُونَهُمْ فِي مَاءِ الْحَيَاةِ، قِيلَ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَمَا مَاءُ الْحَيَاةِ؟ قَالَ: غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ غُثَاء السَّيْلِ، ثُمَّ يَشْفَعُ الأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، قَالَ: ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَىٰ مَنْ فِيهَا فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا»[1].

باب
فِي الإِيمَانِ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ﴾ [الأنعام:١٥٨]

١٠٤- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنُوا كُلُّهُمْ، فَذَلِكَ يَوْمٌ لا يَنْفَعُ نَفْسٌ إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»[2].

١٠٥- يَحْيَىٰ قَالَ: وَحَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ

---

(١) أخرجه ابن خزيمة بطوله (٤٩٣)، وأصل الحديث في البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧) نحوه.

صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ باب التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ أَوْ أَنَّ بِالْمَغْرِبِ باب التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ لا يَزَالُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ أُغْلِقَ» (١).

١٠٦- يَحْيَىٰ وَحَدَّثَنِي الْمُعَلَّىٰ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ وَهْبِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنُ عُمَرَ قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ، فَإِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَطْلُعَ تَقَاعَسَتْ حِينَ تَغْرُبُ بِالْعَمْدِ وَتَقُولُ: يَا رَبِّ إِنِّي إِذَا طَلَعْتُ عُبِدْتُ دُونَكَ: فَتَطْلُعُ عَلَىٰ وَلَدِ آدَمَ فَتَجْرِي حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْمَغْرِبُ فَتُسَلِّمُ فَيُرَدُّ عَلَيْهَا وَتَسْجُدُ فَيُنْظَرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ تَسْتَأْذِنُ لَهَا فَتَجْرِي إِلَىٰ الْمَشْرِقِ، وَالْقَمَرُ كَذَلِكَ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ عَلَيْهَا يَوْمٌ تَغْرُبُ فِيهِ فَتُسَلِّمُ، فَلَا يُرَدُّ عَلَيْهَا، وَتَسْجُدُ فَلَا يُنْظَرُ إِلَيْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا فَتُحْبَسُ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْقَمَرُ فَيُسَلِّمُ فَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ وَيَسْجُدُ فَلَا يُنْظَرُ إِلَيْهِ ثُمَّ يَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهُ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمَا: ارْجِعَا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمَا فَيَطْلُعَانِ مِنَ الْمَغْرِبِ كَالْبَعِيرَيْنِ الْمُقْتَرِنَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨] الْآيَةَ» (٢).

١٠٧- يَحْيَىٰ قَالَ: وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ صَالِحٍ مَوْلَىٰ التَّوْأَمَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «اللَّيْلَةُ الَّتِي تَطْلُعُ فِي صَبِيحَتِهَا الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، طُولُهَا قَدْرُ ثَلَاثِ لَيَالٍ» (٣).

باب
الإِيمَانِ بِخُرُوجِ الدَّجَّالِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِخُرُوجِ الدَّجَّالِ أَعَاذَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِنْ فِتْنَتِهِ.

١٠٨- وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ فُحْلُونَ عَنِ الْعَكِّيِّ عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ

---

(١) أخرجه أبو عمرو الداني في «السنن الورادة في الفتن» (٦/ ١٢٦٥).

(٢) أخرجه الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٦/ ١٢٧٠).

(٣) أخرجه الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٦/ ١٢٧٣).

أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، عَنْ طَاوُسٍ الْيَمَانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»(١).

١٠٩- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَدِيثًا لَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَبِيٌّ قَبْلِي؟ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ فَهِيَ النَّارُ، وَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا النَّارُ هِيَ الْجَنَّةُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ»(٢).

١١٠- ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ»(٣).

١١١- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ الدَّبَرِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِلنَّاسِ وَهُوَ يُحَذِّرُهُمْ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ: «إِنَّهُ لَنْ يَرَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (٢٩٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩).

(٤) أخرجه مسلم قبل حديث (٢٩٣٠).

١١٢- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعَلَّىٰ بْنُ هِلَالٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجْمَ حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللهِ فَلَا تُفْتَنَّ عَنْهُ، فَإِنَّهُ سَيَأْتِي قَوْمٌ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ وَبِالدَّجَّالِ، وَبِالْمِيزَانِ، وَبِالْحَوْضِ، وَبِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَبِالشَّفَاعَةِ، وَبِأَقْوَامٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ»(١).

باب
فِي الْإِيمَانِ بِنُزُولِ عِيسَى وَقَتْلِهِ الدَّجَّالَ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِنُزُولِ عِيسَىٰ وَقَتْلِهِ الدَّجَّالَ وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا﴾ [الزخرف:٦١] يَعْنِي عِيسَىٰ.

وَقَالَ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ﴾ [النساء:١٥٩] يَعْنِي: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَىٰ.

١١٣- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدٌ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ نَازِلٌ لا مَحَالَةَ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعُ الْخَلْقِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطُ الرَّأْسِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ مَاءً، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ، وَحَتَّىٰ تَقَعَ الْأَمَنَةُ فِي الْأَرْضِ، وَحَتَّىٰ يَرْتَعَ الْأَسَدُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الْغِلْمَانُ بِالْحَيَّاتِ لا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣)، وضعفه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (٣٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٦).

قَالَ مُحَمَّدٌ: الثِّيَابُ الْمُمَصَّرَةُ: هِيَ الَّتِي فِيهَا صُفْرَةٌ خَفِيفَةٌ.

١١٤- حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنِ الْحَضْرَمِيِّ بْنِ لَاحِقٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂ قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَآنِي أَبْكِي فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتُ الدَّجَّالَ، قَالَ: «لا تَبْكِي فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا حَيٌّ أَكْفِيكُمُوهُ، وَإِنْ أَمُتْ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مَعَهُ يَهُودُ أَصْبَهَانَ، فَيَسِيرُ حَتَّىٰ يَنْزِلَ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَىٰ كُلِّ بابٍ مَلَكَانِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا فَيَنْطَلِقَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ لُدَّ فَيَنْزِلَ عِيسَىٰ فَيَقْتُلَهُ ثُمَّ يَمْكُثُ عِيسَىٰ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ إِمَامًا عَدْلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا»(١).

١١٥- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ عَنْ يَحْيَىٰ فِي قَوْلِهِ: وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: يَعْنِي نُزُولَ عِيسَىٰ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا بِالسَّاعَةِ وَلَا تَشُكُّنَّ فِيهَا(٢).

١١٦- قَالَ: حَدَّثَنِي قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، قَالَ: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَىٰ إِذَا نَزَلَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا بِأَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ وَأَقَرَّ بِالْعُبُودِيَّةِ عَلَىٰ نَفْسِهِ(٣).

باب
فِي الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الْمَقَادِيرَ كُلَّهَا خَيْرَهَا وَشَرَّهَا حُلْوَهَا وَمُرَّهَا مِنَ اللهِ ﷿ فَإِنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ وَقَدْ عَلِمَ مَا يَعْمَلُونَ وَمَا إِلَيْهِ يَصِيرُونَ،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥/ ١٣٤).

(٢) أخرجه الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٦/ ١٢٤٣).

(٣) أخرجه ابن جرير (٤/ ١٨).

فَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَىٰ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤] وَقَالَ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [الأحزاب:٣٨] وَقَالَ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر:٤٩] وَقَالَ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ﴾ [التوبة:٥١] وَقَالَ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥] وَقَالَ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤] وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦﴾ [يونس: ٩٦] وَقَالَ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة:١٣] وَقَالَ: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل:٣٧] مِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

١١٧- وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُطَرِّفٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَىٰ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَاوُسٍ الْيَمَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ. قَالَ طَاوُسٌ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّىٰ الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ»(١).

١١٨- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ سَعِيدِ ابْنِ مَرْيَمَ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنَّهُمَا أَخْبَرَاهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ يُقَدِّرُ عَلَيَّ أَمْرًا يُعَذِّبُنِي عَلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ فَتَخَطَّىٰ النَّاسَ حَتَّىٰ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: أَنَا الَّذِي يَزْعُمُ ذَلِكَ فَقَالَ عَمْرٌو: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، كِدْتُ أَهْلَكُ، صَدَقْتَ أَبَا مُوسَىٰ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذُكِرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يُؤْمِنَنَّ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ،

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

وَيَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»[١].

١١٩- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَتَادَةَ السُّلَمِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالِي» قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ فَعَلَىٰ مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: عَلَىٰ مَوَاقِعِ الْقَدَرِ[٢].

١٢٠- ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو هَانِئٍ الْخَوْلَانِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ كُلَّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ»[٣].

١٢١- ابْنُ وَهْبٍ وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عبدالرحمن، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[٤].

١٢٢- ابْنُ وَهْبٍ وَحَدَّثَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْمَكِّيِّ أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ الْبَكْرِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: إِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٦)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٤٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٩٣)، ومسلم (١١٢).

(٥) أخرجه اللالكائي في «الاعتقاد» (٤/ ٥٩٣).

فَقُلْتُ: كَيْفَ يَشْقَىٰ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ؟ فَلَقِيتُ حُذَيْفَةَ بْنَ أُسَيْدٍ الْغِفَارِيَّ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ لِي: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْعَبْدَ قَالَ الْمَلَكُ: يَا رَبَّنَا ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ الْمَلَكُ رَبَّنَا شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَيَقُولُ الرَّبُّ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ، ثُمَّ يَقُولُ الْمَلَكُ رَبَّنَا مَا (...) فَيَقُولُ الرَّبُّ مَا شَاءَ، ثُمَّ يَقُولُ الْمَلَكُ: مَا رِزْقُهُ؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبَّنَا مَا أَجَلُهُ؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ»(١).

١٢٣- ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَفْصٍ الْقُرَشِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَيُفْتَحُ عَلَىٰ أُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ باب مِنَ الْقَدَرِ وَلا يَسُدُّهُ شَيْءٌ وَيَكْفِيكُمْ أَنْ تَقْرَءُوا هَذِهِ: ﴿مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة:١٠٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج:٧٠]»(٢).

١٢٤- ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَحَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ عَنْ رَجَاءِ بْنِ سُوَيْدٍ أَنَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ سَأَلَ رَبَّهُ فَقَالَ: «يَا رَبِّ إِنَّكَ عَدْلٌ، وَقَضَاؤُكَ عَدْلٌ فَكَيْفَ يَقْضِي الْعَبْدُ عَلَىٰ الذَّنْبِ ثُمَّ تُعَذِّبُهُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْبَتُولِ إِلْهَ عَنْ هَذَا فَإِنَّهُ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِي».

١٢٥- ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ سَعِيدٍ الثَّوْرِيِّ أَنَّ عُزَيْرًا سَأَلَ رَبَّهُ عَنْ مِثْلِ مَا سَأَلَهُ عِيسَىٰ فَقَالَ: انْتَهِ عَنْ هَذَا فَأَعَادَ ذَلِكَ مِرَارًا، قَالَ لَهُ: سَأَلْتَنِي عَنْ عِلْمِي وَإِنَّ عُقُوبَتَكَ عِنْدِي أَنْ أَمْحُوَ اسْمَكَ مِنَ النُّبُوَّةِ»(٣).

١٢٦- ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: سَمِعْتُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٥).

(٢) أخرجه اللالكائي في «الاعتقاد» (٣/ ٥٧١).

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٢٣٦).

سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: الزِّنَا مُقَدَّرٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ؟ قَالَ: نَعَمْ: قَالَ: كَتَبَهُ عَلَيَّ وَيُعَذِّبُنِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ سَالِمٌ الحَصَىٰ فَحَصَبَهُ(١).

١٢٧- ابْنُ وَهْبٍ وَحَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ أَنَّ غَيْلَانَ وَقَفَ عَلَىٰ رَبِيعَةَ فَقَالَ: يَا رَبِيعَةُ أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُعْصَىٰ، قَالَ: رَبِيعَةُ: وَيْحَكَ يَا غَيْلَانُ فَأَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنْ يُعْصَىٰ قَسْرًا(٢).

١٢٨- ابْنُ وَهْبٍ وَأَخْبَرَنِي ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ لَوْ أَرَادَ أَنْ لَا يُعْصَىٰ لَمْ يَخْلُقْ إِبْلِيسَ(٣).

١٢٩- ابْنُ وَهْبٍ وَأَخْبَرَنِي زَيْدُ الْحُبَابِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ سَعِيدٍ الثَّوْرِيِّ عَنْ سُلَيْمَانَ الأَعْمَشِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾ [النساء:٧٩] قَالَ: فَذَنْبُكَ وَأَنَا قَدَرْتُ عَلَيْكَ.

١٣٠- وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَوْنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْوَرْدِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الأَرْطَانِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْحَوَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩] قَالَ: لَيْسَ فِي إِحْدَاثٍ، وَلَكِنْ فِي تَنْفِيذِ مَا قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَيْسَ مِنْ أَمْرِهِ شَيْءٌ يُحْدَثُ.

١٣١- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ المعفاني عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الأَعْلَىٰ عَنْ أَشْهَبَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَبْيَنُ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ أَهْلِ الْقَدَرِ مِنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٣٠، ٣١] وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِيَ

---

(١) أخرجه اللالكائي (١٢٧٠)، والآجري ص(٢١٠)، وغيرهما.

(٢) أخرجه اللالكائي (١٢٦٥) وغيره.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٩٣٦)، واللالكائي (١٢١٥)، وغيرهما.

إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ﴾ [الأعراف:١٥٥].

وَقَالَ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧] وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء:٤]

وَقَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

باب
فِي أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الإِيمَانَ إِخْلَاصٌ لِلَّهِ بِالْقُلُوبِ وَشَهَادَةٌ بِالأَلْسِنَةِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، عَلَى نِيَّةٍ حَسَنَةٍ وَإِصَابَةِ السُّنَّةِ.

قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥]

وَقَالَ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ [التوبة:١١١] ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ فَقَالَ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢]

وَقَالَ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥]

وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ﴾ [فاطر:١٠]

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَالإِيمَانُ بِاللهِ هُوَ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ وَتَصْدِيقِ ذَلِكَ الْعَمَلِ، فَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ قَرِينَانِ لَا يَقُومُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ.

١٣٢- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ:

حَدَّثَنَا أَسَدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَسْعُودِيُّ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ إِلَىٰ أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ مَا الْإِيمَانُ؟ فَقَرَأَ عَلَيْهِ ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾. فَقَالَ الرَّجُلُ: لَيْسَ عَنِ الْبِرِّ سَأَلْتُكَ؛ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَمَّا سَأَلْتَ عَنْهُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي قَرَأْتُ عَلَيْكَ، فَأَبَىٰ أَنْ يَرْضَىٰ كَمَا أَبَيْتَ أَنْ تَرْضَىٰ[(١)].

١٣٣- أَسَدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ قَالَ سَمِعْتُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ يَقُولُ: لَا يَسْتَوِي قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا يَصْلُحُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يَصْلُحُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِالسُّنَّةِ[(٢)].

١٣٤- أَسَدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ قَالَ: لَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافَقَةِ السُّنَّةِ.

١٣٥- أَسَدٌ قَالَ: وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ وَهِشَامَ بْنَ حَسَّانٍ عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَالَا: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ[(٣)].

قَالَ يَحْيَىٰ: وَسَأَلْتُ ابْنَ جُرَيْجٍ عَنْهُ: فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَسَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ.

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٧٧٣).

(٢) أخرجه اللالكائي (١٨).

(٣) أخرجه اللالكائي (١٥٨٤).

باب
فِي تَمَامِ الْإِيمَانِ وَزِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: إِنَّ الْإِيمَانَ دَرَجَاتٌ وَمَنَازِلُ يَتِمُّ وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَلَوْلَا ذَلِكَ اسْتَوَى فِيهِ النَّاسُ، وَلَمْ يَكُنْ لِلسَّابِقِ فَضْلٌ عَلَى الْمَسْبُوقِ.

وَبِرَحْمَةِ اللهِ وَبِتَمَامِ الْإِيمَانِ يَدْخُلُ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ، وَبِالزِّيَادَةِ فِيهِ يَتَفَاضَلُونَ فِي الدَّرَجَاتِ [انظر] كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

١٣٦- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدَّرَجَةُ فِي الْجَنَّةِ فَوْقَ الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ فَيَلْمَعُ بَرْقٌ يَكَادُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ، فَيَفْزَعُ لِذَلِكَ فَيَقُولُ مَا هَذَا؟ فَيُقَالُ هَذَا نُورُ أَخِيكَ فُلَانٍ، فَيَقُولُ أَخِي فُلَانٍ، كُنَّا نَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا جَمِيعًا وَقَدْ فَضَلَ عَلَيَّ هَكَذَا، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْكَ عَمَلًا، ثُمَّ يُجْعَلُ فِي قَلْبِهِ الرِّضَا حَتَّى يَرْضَى»[1].

١٣٧- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ مَاشِيَةٍ أَوْ صَيْدٍ، نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطٌ كُلَّ يَوْمٍ»[2].

١٣٨- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَامِدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ ذَرٍّ عَنْ وَائِلِ بْنِ مَهَانَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نُقْصَانُ دِينِ النِّسَاءِ الْحَيْضُ»[3].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٨٠)، ومسلم (١٥٧٤)، نحوه.

(٣) أخرج هذا المعنى البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠).

١٣٩- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ ابْنِ شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(١).

١٤٠- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَسَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ» قَالُوا: وَمَا زِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ؟ قَالَ: «إِذَا ذَكَرْنَا اللهَ وَصُمْنَا وَصَلَّيْنَا زَادَ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَسَهَوْنَا نَقَصَ»(٢).

١٤١- أَسَدٌ قَالَ: وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبِيعَةَ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»(٣).

١٤٢- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ سَمْعَانَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ حُسَيْنٍ أَخْبَرَهُ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ الْأَشْعَرِيِّ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ خَلَفَهُ عَبْد اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِي مَجْلِسِهِ وَأَخَذَ بِيَدِ الصَّاحِبِ لَهُ أَوِ الصَّاحِبَيْنِ أَوِ الثَّلَاثَةِ فَيَقُولُ: تَعَالَوْا نَزْدَدْ إِيمَانًا، تَعَالَوْا نُؤْمِنْ سَاعَةً، تَعَالَوْا نَذْكُرْ رَبَّنَا بِطَاعَتِهِ لَعَلَّهُ يَذْكُرُنَا بِرَحْمَتِهِ

فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا تُكَفِّرْهُ وَلَا تُخْرِجْهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ كُلِّهَا(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٣٠).

(٢) أورده الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» (١/ ٦٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٧٤)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٣٢)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

١٤٣- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي رِجَالٌ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَىٰ ثَلاثٍ» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: «وَكُفُّوا عَنْ أَهْلِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لا تُكَفِّرُوهُمْ بِذَنْبٍ وَلا تَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ بِشِرْكٍ»(١).

١٤٤- إِسْحَاقُ قَالَ حَدَّثَنِي قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ هَلْ كُنْتُمْ تُسَمُّونَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ كَافِرًا؟ قَالَ: مَعَاذَ اللهِ، قَالَ: فَهَلْ تُسَمُّونَهُ مُشْرِكًا؟ قَالَ: لَا(٢).

١٤٥- حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَسْلَمُ عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عِمَارَةَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تُنْزِلُوا الْعَارِفِينَ الْمُحْدِثِينَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَتَّىٰ يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

١٤٦- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنْ مُوسَىٰ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا لَا نَقُولُ فِي رَجُلٍ شَيْئًا حَتَّىٰ نَنْظُرَ عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ يَمُوتُ، فَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ رَجَوْنَا أَنْ يُصِيبَ خَيْرًا، وَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ خِفْنَا عَلَيْهِ.

ابْنُ وَضَّاحٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي زُهَيْرُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَ: كُلُّ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنَ الْمَشَايِخِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَعِيسَىٰ بْنِ يُونُسَ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وعَبْدِ اللهِ بْنِ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٨٩)، وقال العلامة الألباني في «الضعيفة» (١٠٩٧): موضوع.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٣٠).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥/ ١٩٧).

الْمُبَارَكِ وَوَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ وَغَيْرِهِمْ لَا يُكَفِّرُونَ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَلَا يَشْهَدُونَ لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ يَعْصِ اللهَ وَلَا أَنَّهُ فِي النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ، وَمَنْ خَالَفَ هَذَا فَهُوَ عِنْدَهُمْ مُبْتَدِعٌ.

قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: وَقَالَ لِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: الْزَمْ هَذَا وَلَا تَدَعْهُ. وَقَالَ حُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ: نَعَمْ، هَذَا هُوَ الْحَقُّ وَلَا يَقُولُ خِلَافَهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ.

باب
فِي الِاسْتِغْفَارِ لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ لَا يَحْجُبُونَ الِاسْتِغْفَارَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلَا يَرَوْنَ أَنْ تُتْرَكَ الصَّلَاةُ عَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْرَافِ عَلَىٰ نَفْسِهِ. وَقَالَ ﷻ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩] ، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣]

١٤٧- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ أُسَيْدٍ، عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا دَعَا بِهِ مِمَّنْ مَضَىٰ وَمِمَّنْ بَقِيَ»(١) .

وَأَخْبَرَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ: كَانَ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنَ الْمَشَايِخِ يَرَوْنَ أَنْ لَا تُتْرَكَ الصَّلَاةُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ.

١٤٨- وَحَدَّثَنِي أَبِي سَعِيدُ بْنُ فَحْلُونَ عَنِ الْعَنَاقِيِّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: السُّنَّةُ أَنْ يُصَلَّىٰ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ وَحَّدَ اللهَ، وَإِنْ مَاتَ مُسْرِفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالذُّنُوبِ، وَإِنْ كَانَتْ كَبَائِرَ، إِذَا كَانَ مُسْتَمْسِكًا بِالتَّوْحِيدِ مُقِرًّا بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ،

---

(١) ذكره ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة» (٢/ ٣٣٦).

وَإِثْمُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ رَبِّهِ، وَهُوَ عِنْدَنَا مُؤْمِنٌ بِذَنْبِهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَلَا نُخْرِجُهُ بِالذُّنُوبِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَا يُوجِبُ لَهُ بِهَا النَّارَ حَتَّىٰ يَكُونَ اللهُ الَّذِي يَحْكُمُ فِيهِ بِعِلْمِهِ، وَيُصَيِّرُهُ إِلَىٰ حَيْثُ شَاءَ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، إِلَّا أَنَّا نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنخشَىٰ عَلَىٰ الْمُسِيءِ الْمُذْنِبِ.

بِهَذَا نَدِينُ اللهَ وَبِهِ نُوصِي مَنِ اقْتَدَىٰ بِنَا وَأَخَذْنَا بِهَدْيِنَا وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَجُمْهُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَحِمَهُ اللهُ: وَمَعْنَىٰ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: «إِذَا لَقِيتُمْ شَرَبَةَ الْخَمْرِ فَلَا تُسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ، وَإِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ" إِنَّمَا يَعْنِي تَأْخُذُ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَلَا يَعْنِي أَنَّ الصَّلَاةَ تُتْرَكُ عَلَيْهِمْ أَصْلًا.

وَأَخْبَرَنِي إِسْحَاقُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ لُبَابَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْعُتْبِيِّ قَالَ: سُئِلَ سَحْنُونٌ عَنْ قَوْلِ مَالِكٍ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ الْإِبَاضِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَجَمِيعِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ أَنَّهُ لَا يُصَلَّىٰ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ تَأْدِيبًا لَهُمْ، وَنَحْنُ نَقُولُ بِهِ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ، فَأَمَّا إِذَا وُقِفُوا، وَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِمْ، فَأَرَىٰ أَنْ لَا يُتْرَكُوا بِغَيْرِ صَلَاةٍ. قِيلَ لَهُ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَتَلَهُمُ الْإِمَامُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ لَمَّا بَانُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ وَدَعَوْا إِلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ وَنَصَبُوا الْحَرْبَ هَلْ يُصَلَّىٰ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَ بِذُنُوبِهِمَ الَّتِي اسْتَوْجَبُوا بِهَا الْقَتْلَ يُتْرَكُونَ بِغَيْرِ صَلَاةٍ.

فَقِيلَ لَهُ: فَمَا الْقَوْلُ فِي إِعَادَةِ الصَّلَاةِ خَلْفَ أَهْلِ الْبِدَعِ؟ فَقَالَ: لَا يُعَادُ فِي الْوَقْتِ وَلَا بَعْدَهُ.

وَكَذَلِكَ يَقُولُ أَشْهَبُ وَالْمُغِيرَةُ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ، وَقَدْ أَنْزَلَهُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الصَّلَاةَ تُعَادُ خَلْفَهُ فِي الْوَقْتِ وَبَعْدَهُ بِمَنْزِلَةِ النَّصْرَانِيِّ، وَرَكَّبَ قِيَاسَ قَوْلِ الْإِبَاضِيَّةِ وَالْحَرُورِيَّةِ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِالذُّنُوبِ مِنَ الْقَوْلِ.

باب
في الأحاديث التي فيها نفي الإيمان بالذنوب

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ وَرُبَّمَا ذَكَرْتُ لَكَ شَيْئًا مِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَىٰ مَعَانِي مَا ضَاهَاهَا مِمَّا لَمْ أَذْكُرْهُ وَتَحْرِيفِ تَأْوِيلِهَا كَفَّرَ الْخَوَارِجُ النَّاسَ بِصِغَارِ الذُّنُوبِ وَكِبَارِهَا، مِنْهَا مَا حَدَّثَنِي بِهِ:

١٤٩- إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ أَبْصَارَهُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» (١).

١٥٠- أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ الْمِقْدَامِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِلَالٍ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: «لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ» (٢).

١٥١- أَبُو بَكْرٍ قَالَ: وَحَدَّثَنَا ابْنُ هَارُونَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ سِنَانِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا هُوَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» (٣).

١٥٢- أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِاللَّعَّانِ وَلا الطَّعَّانِ، وَبِالْفَاحِشِ وَلا بِالْبَذِيءِ» (٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٧٩).

(٣) أخرجه مسلم (٤٦).

(٤) أخرجه الترمذي (١٩٧٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

١٥٣-أَبُو بَكْرٍ قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَلا يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ» (١).

١٥٤-وَحَدَّثَنِي ابْنُ فَحْلُونَ عَنِ العَكِيِّ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ قَالَ: فَقَالَ: «لا» (٢)

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَهَذِهِ الأَقْوَالُ الْمَذْمُومَةُ فِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ لَا تُزِيلُ إِيمَانًا وَلَا تُوجِبُ كُفْرًا، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَعْنَاهَا: التَّغْلِيظُ لِيَهَابَ النَّاسُ الأَفْعَالَ الَّتِي ذَكَرَ الْحَدِيثُ أَنَّهَا تَنْفِي الإِيمَانَ وَتُجَانِبُهُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَرَادُ بِهَا أَنَّهَا تَنْفِي مِنَ الإِيمَانِ حَقِيقَتَهُ وَإِخْلَاصَهُ فَلَا يَكُونُ إِيمَانُ مَنْ يَرْتَكِبُ هَذِهِ الْمَعَاصِيَ خَالِصًا حَقِيقِيًّا كَحَقِيقَةِ إِيمَانِ مَنْ لَا يَرْتَكِبُهَا. لِأَهْلِ الإِيمَانِ عَلَامَةٌ يُعْرَفُونَ بِهَا، وَشُرُوطٌ أُلْزِمُوهَا، يَنْطِقُ بِهَا الْقُرْآنُ وَالآثَارُ فَإِذَا نُظِرَ إِلَى مَنْ خَالَطَ إِيمَانَهُ هَذِهِ الْمَعَاصِي قِيلَ لَيْسَ مِمَّا وُصِفَ بِهِ أَهْلُ الإِيمَانِ فَنَفَيْتَ هَذِهِ حِينَئِذٍ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ وَتَمَامَهُ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَشْبَهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

١٥٥- وَيُصَدِّقُهُ عِنْدِي قَوْلُ عُمَرَ رضي الله عنه: «لَا يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يَدَعَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ، وَالْكَذِبَ فِي الْمِزَاحِ».

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ الصُّمَادِحِيِّ عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: لَا يَبْلُغُ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ (٣).

١٥٦-وَمِثْلُ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو: «لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ كُلَّ الإِيمَانِ حَتَّى

---

(١) أخرجه مسلم (٧٦).

(٢) أخرجه مالك (١٧٩٥)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٧٥٢).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٦٦٢).

لَا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا، وَيُتِمَّ الْوُضُوءَ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَيَدَعَ الْكَذِبَ وَلَوْ فِي الْمِزَاحِ». حَدَّثَنِي بِذَلِكَ إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَشِيطٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (١).

باب
فِي الأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ

قَالَ مُحَمَّدٌ:

١٥٧- حَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ الصُّمَادِحِيِّ، عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ (٢).

١٥٨- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُقْرِنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ (٣).

١٥٩- ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَحَلَفَ رَجُلٌ بِالْكَعْبَةِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه: وَيْحَكَ، لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ أَوْ كَفَرَ» (٤).

١٦٠- ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ حَكِيمٍ الأَثْرَمِ، عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوِ امْرَأَةً

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٦٦١).

(٢) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٤) أخرجه الترمذي (١٥٣٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا وَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ»(١).

١٦١- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ أَنَّ مَحْمُودَ بْنَ رَبِيعٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ ثُمَّ قَالَ: لَا يَبْعُدُ الْإِسْلَامُ مِنْ أَهْلِهِ، فَقُلْتُ: وَمَاذَا يُتَّهَمُونَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: الشِّرْكُ وَشَهْوَةٌ خَفِيَّةٌ، قُلْتُ: أَيُخَافُ عَلَيْهِمَ الشِّرْكُ وَقَدْ عَرَفُوا اللهَ؟ فَدَفَعَ بِكَفِّهِ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَمَا الشِّرْكُ إِلَّا أَنْ تَجْعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ(٢).

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَمَا أَشْبَهَهَا مَعْنَاهَا أَنَّ هَذِهِ الْأَفْعَالَ الْمَذْكُورَةَ فِيهَا مِنْ أَخْلَاقِ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَسُنَنِهِمْ مَنْهِيٌّ عَنْهَا لِيَتَحَاشَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَأَمَّا أَنْ يَكُونُ مَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْهَا مُشْرِكًا بِاللهِ أَوْ كَافِرًا فَلَا يَدُلُّك عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «الشِّرْكُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَىٰ الْحَجَرِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا لا أَعْلَمُ»(٣).

١٦٢- حَدَّثَنِي بِذَلِكَ إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَنْعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الشِّرْكُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عز وجل فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا -ولد ذكر- جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٠]، وَذَلِكَ إِنَّمَا سَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِث، وَعَلَّمَنَا أَنَّ ثَمَّ شِرْكًا غَيْرَ شِرْكِ مَنْ يَجْعَلُ مَعَهُ إِلَهًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عز وجل: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٦٣٩)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

(٢) أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» (٢/ ٧٩٨).

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦٠).

﴿٤٤﴾ [المائدة:٤٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ: لَيْسَ هُوَ كُفْرٌ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ[١].

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنَ الْكُفْرِ أَيْضًا مَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ مَا يَكُونُ مَعْنَاهُ كُفْرُ النِّعْمَةِ.

١٦٣- مِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي النِّسَاءِ ذَكَرَ النَّارَ فَقَالَ: «وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» قَالُوا بِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ» قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاللهِ، قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»[٢].

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ سَعِيدٌ عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي خُسُوفِ الشَّمْسِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي آخِرِهِ مَا ذَكَرَهُ عَنِ النِّسَاءِ.

١٦٤- وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِنَّ اللهَ لَيُصَبِّحُ الْقَوْمَ بِالنِّعْمَةِ أَوْ يُمَسِّيهِمْ بِهَا، ثُمَّ يُصْبِحُ قَوْمٌ بِهَا كَافِرِينَ يَقُولُونَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا حَدَّثَنِي بِذَلِكَ إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ رَجُلٍ حَدَّثَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ..." وَذَكَرَ الْحَدِيثَ[٣].

باب
فِي ذِكْرِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ النِّفَاقِ

قَالَ مُحَمَّدٌ:

١٦٥- حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٥٩، ٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩)، ومسلم (٩٠٧).

(٣) أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١٣/ ٢١٥).

عَبْد اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُرَّةَ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(١).

١٦٦- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَلَّىٰ وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٢).

١٦٧- ابْنُ وَهْبٍ عَنِ ابْنِ أَنْعَمَ عَنْ سَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللِّينُ وَالْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْفُحْشُ وَالْبَذَاءُ مِنَ النِّفَاقِ»(٣).

١٦٨- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ الصُّمَادِحِيِّ عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ سَلَّامِ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَرِيبٍ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّا إِذَا دَخَلْنَا عَلَىٰ الْأُمَرَاءِ زَكَّيْنَاهُمْ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ دَعَوْنَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ ذَلِكَ النِّفَاقَ(٤).

١٦٩- حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ ابْنِ فَحْلُون عَنِ الْعِنَاقِيِّ عَنْ عَبْد الْمَلِكِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَسَدُ بْنُ مُوسَىٰ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُطَرِّفٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ كَعْبٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الزَّرْعَ»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٣) أخرجه ابن وهب في «الجامع في الحديث» (١/ ٤٢٣).

(٤) أخرج نحوه البخاري (٧١٧٨).

(٥) أخرجه البيهقي في «سننه الكبرىٰ» (١٠/ ٢٢٣)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٩٣٦).

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَالنِّفَاقُ لَفظٌ إِسْلَامِيٌّ لَمْ تَكُنْ الْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ تَعْرِفُهُ وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ "نَافِقِ الْيَرْبُوعِ" وَهُوَ جُحْرٌ مِنْ جُحُورِهِ يَخْرُجُ مِنْهُ إِذَا أُخِذَ عَلَيْهِ الْجُحْرُ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ. فَيُقَالُ قَدْ نَفَقَ وَنَافَقَ وَمُنَافِقٌ يَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ بِاللَّفْظِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ بِالْعَقْدِ شَبِيهٌ بِفِعْلِ الْيَرْبُوعِ؛ لِأَنَّهُ يَدْخُلُ مِنْ باب وَيَخْرُجُ مِنْ باب، فَمَا كَانَ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِيهَا ذِكْرُ النِّفَاقِ وَلَيْسَ مَعْنَاهَا أَنَّ مَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِمَّا ذُكِرَ فِيهَا فَهُوَ مُنَافِقٌ كَنِفَاقِ مَنْ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ وَيُسِرُّ الْكُفْرَ أَنَّهَا مَعْنَاهَا أَنَّ هَذِهِ الْأَفْعَالَ وَالْأَخْلَاقَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُنَافِقِينَ وَشِيَمِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، هَذَا وَمِثْلُهُ. يَدُلُّك عَلَىٰ ذَلِكَ.

١٧٠- أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي قَرَأْتُ الْبَارِحَةَ "بَرَاءَةٌ" فَخَشِيتُ أَنْ أَكُونَ قَدْ نَافَقْتُ، فَقَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «تُحَدِّثُ بِذَلِكَ نَفْسَك؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «أَنْتَ مُؤْمِنٌ».

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَبِي عَنْ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي يَحْيَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ بْنِ سَلَامٍ عَنْ جَدِّهِ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

باب
مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ الْبَرَاءَةِ

قَالَ مُحَمَّدٌ:

١٧١- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ آدَمَ عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ شَهَرَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

١٧٢- ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ يَعْلَىٰ بْنِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١).

حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي لَبِيدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ انْتَهَبَ نُهْبَةً فَلَيْسَ مِنَّا»[١].

١٧٣- ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[٢].

١٧٤- ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ، وَمَنْ خَبَّبَ عَلَىٰ امْرِئٍ زَوْجَتَهُ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ هُوَ مِنَّا»[٣].

قَالَ مُحَمَّدٌ: مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ هَذِهِ الأَحَادِيثِ لَيْسَ مِثْلَنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهَا أَنَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الأَفْعَالَ فَلَيْسَ مِنَ الْمُطِيعِينَ لَنَا وَلَيْسَ مِنَ الْمُقْتَدِينَ بِنَا وَلَا مِنَ الْمُحَافِظِينَ عَلَىٰ شَرَائِعِنَا.

هَذِهِ النُّعُوتُ وَمَا أَشْبَهَهَا، إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهَا التَّبَرُّؤ مِمَّنْ فَعَلَهَا، وَأَمَّا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ فَيَكُونَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْمِلَّةِ فَلَا.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ وَاللهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ ﷺ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَأْخُذْ شَارِبَهُ[٤]

١٧٥- وَحَدَّثَنِي بِهِ إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ صُهَيْبٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَذَكَرَهُ، فَهَلْ يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَأَوَّلَ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٠٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٢) أخرجه مسلم (١٠١).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٣٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٧٦١)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (٤٤٣٨).

رَسُولِ اللهِ ﷺ التَّبَرُّؤ مِمَّنْ لَمْ يَأْخُذْ شَارِبَهُ.

باب
مِنَ الأَحَادِيثِ الَّتِي شُبِّهَ فِيهَا الذَّنْبُ بِأَجْزَاءِ أَكْبَرَ مِنْهُ أَوْ قُرِنَ بِهِ

١٧٦- قَالَ مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنِ الْكَبَائِرِ فَقَالَ: «أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، وَأَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»، ثُمَّ قَرَأَ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ الآيَةَ(١).

١٧٧- ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الْعُصْفُرِيُّ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَامَ فَقَالَ: «عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالإِشْرَاكِ بِاللهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ تَلَا: وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ»(٢).

١٧٨- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنِ ابْنِ فَحْلُونَ عَنِ الْعِنَاقِيِّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: حَدَّثَنِي الْمَاجِشُونُ عَنِ الْمُنْكَدِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ مُدْمِنًا خَمْرًا مَاتَ كَعَابِدِ وَثَنٍ»(٣).

وَمَعْنَى الإِدْمَانِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ شَارِبُهَا يَعْتَقِدُ التَّمَادِيَ فِيهَا وَلَوْ لَمْ يَشْرَبْهَا فِي السَّنَةِ إِلَّا مَرَّةً إِذَا كَانَتْ نِيَّتُهُ الْعَوْدَةَ إِلَيْهَا فَهُوَ مُدْمِنٌ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمَا كَانَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الأَحَادِيثِ الَّتِي شُبِّهَ الذَّنْبُ بِأَجْزَاءِ أَعْظَمَ مِنْهُ أَوْ قُرِنَ بِهِ فَالْمَعْنَى فِيهَا: أَنَّ مَنْ أَتَى شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ فَقَدْ لَحِقَ بِمَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦) نحوه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٠١)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٣٨٧).

(٣) أخرجه البزار في «مسنده» (١١/ ٢٨٩)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٤٩).

شُبِّهَ بِهِ فِي لُزُومِ اسْمِ الْمَعْصِيَةِ بِهِ إِلَّا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي الْإِثْمِ عَلَىٰ قَدْرِ ذَنْبِهِ.

وَبِتَحْرِيفِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ الْمَعَانِيَ لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي سَطَّرْتُهَا لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ وَالْأَبْوَابِ الْأَرْبَعَةِ قَبْلَهُ، وَتَفْسِيرِهِمْ لَهَا بِآرَائِهِمْ نَفَوْا أَهْلَ الذُّنُوبِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْإِيمَانِ وَكَفَّرُوهُمْ وَحَجَبُوهُمُ الِاسْتِغْفَارَ، وَلَمْ يُوَالُوهُمْ.

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللهَ الْمُعَافَاةَ مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ، وَنَسْأَلُهُ الثَّبَاتَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَالتَّوْفِيقَ لِمَرْضَاتِهِ.

باب
فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْوَعْدَ فَضْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنِعْمَتُهُ، وَالْوَعِيدَ عَدْلُهُ وَعُقُوبَتُهُ وَأَنَّهُ جَعَلَ الْجَنَّةَ دَارَ الْمُطِيعِينَ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ، وَجَهَنَّمَ دَارَ الْكَافِرِينَ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ، وَأَرْجَىٰ لِمَشِيئَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَاصِينَ مَنْ شَاءَ وَاللهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ فِعْلِهِ، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا وَعَدَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

وَقَالَ فِي الْعُصَاةِ وَالْكَافِرِينَ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤] وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء:٥٦] ... ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء:٥٧] وَقَالَ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء:١١٩] ...

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء:١٢٠] ... ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء:١٢١] ... ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء:١٢٢] وَقَالَ فِي الْمُرْجَئِينَ لِمَشِيئَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء:٤٨] وَقَالَ: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ﴾ [الإسراء:٥٤]

فَوَعْدُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ صِدْقٌ، وَوَعِيدُهُ لِلْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ حَقٌّ، وَمَنْ مَاتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مُصِرًّا عَلَىٰ ذَنْبِهِ فَهُوَ فِي مَشِيئَتِهِ وَخِيَارِهِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَسَوَّرَ عَلَىٰ اللهِ فِي عِلْمِ غَيْبِهِ وَبِجُحُودِ قَضَائِهِ فَيَقُولُ أَبَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَغْفِرَ لِلْمُصِرِّينَ، كَمَا أَبَىٰ أَنْ يُعَذِّبَ التَّائِبِينَ، مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

١٧٩- وَقَدْ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ عَنْ عُبَادَةَ قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «بَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلا تَسْرِقُوا وَلا تَزْنُوا، فَمَنْ وَفَّىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»(١).

١٨٠- ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَخْبَرَنِي يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ بْنِ حِبَّانَ أَخْبَرَهُ عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ الْقُرَشِيِّ أَخْبَرَهُ عَنِ الْمُخْدَجِيِّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَىٰ الْعِبَادِ، مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا جَاءَ وَلَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ انْتَقَصَ مِنْ حَقِّهِنَّ شَيْئًا جَاءَ وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٤)، ومسلم (١٧٠٩).

عَهْدٌ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»(١) .

١٨١- وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُطَرِّفٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَىٰ، عَنْ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَنْتَهُوا عَنْ حُدُودِ اللهِ، مَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَةِ شَيْئًا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِ لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ»(٢) .

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَالْحَدِيثُ بِمِثْلِ هَذَا أَكْبَرُ فَاعْتَبِرْ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَنْ أَصَابَ هَذِهِ الْقَاذُورَةَ شَيْئًا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ مَا هُوَ إِلَّا لِمَا يَرْجُو لَهُ مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ الْأَوْلَىٰ بِهِ إِذْ هُوَ النَّاصِحُ الْأَمِينُ أَنْ يُشِيرَ بِالِاعْتِرَافِ فَيَقَعُ لِحُدُودٍ فَيَكُونُ تَطْهِيرُهُ إِلَىٰ مَا عَمِلَهُ ﷺ بِهَا حَضَّ اللهُ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ أَوْلَىٰ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ عِبَادِهِ.

١٨٢- وَقَدْ حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَوْنِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْوَرْدِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ فَجَاءَهُ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو هَلْ يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا وَعَدَ عَلَىٰ عَمَلٍ ثَوَابًا يُنْجِزُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَذَلِكَ إِذَا وَعَدَ عَلَىٰ عَمَلٍ عِقَابًا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّ الْوَعْدَ غَيْرُ الْوَعِيدِ إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَعُدُّ خُلْفًا أَنْ تُوعِدَ شَرًّا فَلَا تَفِي بِهِ، وَإِنَّمَا الْخُلْفُ أَنْ تَعِدَ خَيْرًا فَلَا تَفِي بِهِ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

وَلَا يَرْهَبُ ابْنُ الْعَمِّ وَالْجَارُ صَوْلَتِي ... وَلَا أَنْثَنِي مِنْ خَشْيَةِ الْمُتَهَدِّدِ
وَإِنِّي إِذَا أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ ... لَمُخْلِفُ إِيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي(٣)

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٤٣).

(٢) أخرجه مالك (١٥٠٨)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٩٥).

(٣) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٨٨).

١٨٣- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ الْمُوجِبَاتِ الَّتِي أَوْجَبَ عَلَيْهَا النَّارَ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا، مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ كُنَّا نَبُتُّ عَلَيْهِ الشَّهَادَةَ حَتَّىٰ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ فَكَفَفْنَا عَنِ الشَّهَادَةِ وَخِفْنَا عَلَيْهِمْ.

يَحْيَىٰ: وَبَلَغَنِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْفَقِيهَ كُلَّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُؤَيِّسِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَمْ يَدْحَضْهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

باب
فِي مَحَبَّةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ مُحَمَّدٌ رَحِمَهُ اللهُ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنْ يَعْتَقِدَ الْمَرْءُ الْمَحَبَّةَ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْ يَنْشُرَ مَحَاسِنَهُمْ وَفَضَائِلَهُمْ، وَيُمْسِكَ عَنِ الْخَوْضِ فِيمَا دَارَ بَيْنَهُمْ.

وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ ثَنَاءً أَوْجَبَ التَّشْرِيفَ إِلَيْهِمْ بِمَحَبَّتِهِمْ وَالدُّعَاءِ لَهُمْ فَقَالَ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ﴾ [الفتح:٢٩] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

وَقَالَ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ﴾ [الحشر:٨] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأعراف:٨].

١٨٤- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي مِنْهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣٤).

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ الصُّمَادِحِيِّ عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ جَعْفَرِ بْنِ إِيَاسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

١٨٥- وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَوْنِ اللهِ بْنِ الْوَرْدِ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مُوسَىٰ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ عَنْ خَالِدِ بْنِ عَمْرٍو الْقُرَشِيِّ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ سَهْلِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَاضٍ عَنْهُ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فَاعْرِفُوا ذَلِكَ لَهُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لِأَهْلِ بَدْرٍ وَالْحُدَيْبِيَةَ أَيُّهَا النَّاسُ لا تُسِيؤُنِي فِي أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي أَيُّهَا النَّاسُ لا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ بِمَظْلَمَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَإِنَّهَا مِمَّا لا تُوهَبُ»(١)

١٨٦- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»(٢)

قَالَ النَّضْرُ: وَسَمِعْتُ أَبَا قِلَابَةَ يَقُولُ لِأَيُّوبَ: يَا أَيُّوبَ احْفَظْ مِنِّي ثَلَاثًا: لَا تُقَاعِدْ أَهْلَ الأَهْوَاءِ، وَلَا تَسْمَعْ مِنْهُمْ، وَلَا تُفَسِّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِكَ، فَإِنَّكَ لَسْتَ مِنْ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ، وَانْظُرْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا تَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ.

١٨٧- يَحْيَىٰ قَالَ: وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: ثَلَاثَةٌ ارْفُضُوهُنَّ مُجَادَلَةُ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ، وَشَتْمُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالنَّظَرُ فِي النُّجُومِ(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/ ١٢٦)، وقال العلامة الألباني في «الضعيفة» (٣٢٣٧): موضوع.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٧٨)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٥).

(٣) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٩).

١٨٨- يَحْيَىٰ قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعُوا لِي أَصْحَابِي، لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ أُحُدٍ لَمْ يَبْلُغْ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»[1].

١٨٩- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَلُولٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَىٰ قَالَ:حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَاتِلٍ قَالَ: قَالَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ: مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ اسْتَنَارَ بِنُورِ اللهِ ﷻ وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَخَذَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ، وَمَنْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ وَمَنْ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْهُمْ أَوْ يُبْغِضُهُ لِشَيْءٍ كَانَ مِنْهُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ، وَالْخَوْفُ عَلَيْهِ أَنْ لا يُرْفَعَ لَهُ عَمَلٌ إِلَىٰ السَّمَاءِ حَتَّىٰ يُحِبَّهُمْ جَمِيعًا وَيَكُونَ قَلْبُهُ لَهُمْ سَلِيمًا[2].

١٩٠- وَهْبٌ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَضَّاحٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْأَيْلِيِّ قَالَ: قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ: لَيْسَ لِمَنِ انْتَقَصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْفَيْءِ حَقٌّ[3].

باب
فِي تَقَدُّمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ

قَالَ مُحَمَّدٌ رَحِمَهُ اللهُ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّنَا ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَهُمَا عُثْمَانُ وَعَلِيٌّ.

١٩١- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ الْعِنَاقِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْبِشْرِ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنُ الْجَارُودِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْد اللهِ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ زُهْرَةَ بْنِ سَعِيدٍ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) نحوه.

(٢) أخرجه اللالكائي (٢٣٣٢) بنحوه.

(٣) أخرجه اللالكائي (٢٤٠٠).

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْد الله: قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَىٰ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ سِوَىٰ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَارَ لِي مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةً أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا فَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أَصْحَابِي وَفِي أَصْحَابِي كُلُّهُمْ خَيْرٌ، وَاخْتَارَ أُمَّتِي عَلَىٰ سَائِرِ الأُمَمِ»(١).

١٩٢- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا شَاذَانُ عَنْ عَبْد الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نُفَاضِلُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ فَنَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ثُمَّ نَسْكُتُ(٢).

١٩٣- وَهْبٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعِنَاقِيِ قَالَ: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ مَرْزُوقٍ قَالَ: سَمِعْتُ إِدْرِيسَ يَقُولُ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُخْتَارٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ صُبَيْحٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: أَدْرَكْتُ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُمْ يُفَضِّلُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ.

١٩٤- الْعِنَاقِيِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ الْجُهَنِيُّ قَالَ: قُلْتُ لِشَرِيكٍ مَا تَقُولُ فِيمَنْ فَضَّلَ عَلِيًّا عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ فَقَالَ: أَزْرَىٰ عَلَىٰ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: ثُمَّ ذَهَبْتُ مِنْ فَوْرِي إِلَىٰ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: أَزْرَىٰ عَلَىٰ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا أَخْوَفَنِي مَعَ هَذَا أَنْ لَا يَصْعَدَ لَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ تَطَوُّعٌ(٣).

١٩٥- وَهْبٌ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْد الْمَلِكِ بْنِ أَيْمَنَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَارِثُ ابْنِ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُقْرِئُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عُبَيْدٍ الْخَزَّازُ قَالَ: حَدَّثَنَا

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٣٠/ ٢٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٧) بنحوه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٣٠)، بنحوه.

سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا مَعْشَرَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ: أَفْضَلُ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ نَسْكُتُ(١).

١٩٦- وَهْبٌ قَالَ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ وَضَّاحٍ قَالَ: سَأَلْتُ يُوسُفَ بْنَ عَدِيٍّ فَقُلْتُ لَهُ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَفْضَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَيْسَ يَخْتَلِفُ فِي ذَلِكَ إِلَّا مَنْ لَا يُعْبَأُ بِهِ، وَإِذَا أَرَدْتَ فَضْلَهُمَا فَانْظُرْ إِلَيْهِمَا مِمَّا جَعَلَهُمَا اللهُ مَعَ نَبِيِّهِ فِي قَبْرٍ.

قَالَ يُوسُفُ: وَإِنَّمَا وَقَعَ الِاخْتِلَافُ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَأَنَا أَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، هَذَا رَأْيِي وَرَأْيُ مَنْ لَقِينَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَا يَسَعُ الْقَوْلُ بِمَا سِوَىٰ ذَلِكَ.

١٩٧- وَهْبٌ قَالَ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ وَضَّاحٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ: نَأْخُذُ بِاجْتِمَاعِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَنَدَعُ مَا سِوَاهُ، وَقَدِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ عُثْمَانَ خَيْرُهُمْ، فَعُثْمَانُ خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَبَعْدَهُمْ عَلِيٌّ، ثُمَّ خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الأَرْبَعَةِ أَصْحَابُ الشُّورَىٰ، ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ، ثُمَّ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ مِنْ سَائِرِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ (فَاعْرِفْ) هُمْ حَقَّ سَابِقِهِمْ.

١٩٨- وَهْبٌ قَالَ: وَحَدَّثَنَا ابْنُ وَضَّاحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنِ النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَبْدُ اللهِ مِنَ الْمَدِينَةِ بَعْدَ قَتْلِ عُمَرَ قَالَ: أَمَّرْنَا خَيْرَ مَنْ بَقِيَ، وَلَمْ نَأْلُ يَعْنِي عُثْمَانَ(٢).

قَالَ وَهْبٌ: وَقَالَ لِي ابْنُ وَضَّاحٍ وَهَذَا رَأْيِي.

---

(١) أخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (١٢١٩).

(٢) أخرجه الخلال في «السنة» (٢/ ٣٨٤).

باب
فِي وُجُوبِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ السُّلْطَانَ ظِلُّ اللهِ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرَ عَلَىٰ نَفْسِهِ سُلْطَانًا بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا فَهُوَ عَلَىٰ خِلَافِ السُّنَّةِ، وَقَالَ ﷻ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن﴾ [النساء:٥٩] وَفَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ هَذِهِ الآيَةَ بِتَفَاسِيرَ تَئُولُ إِلَىٰ مَعْنًىٰ وَاحِدٍ إِذَا تَعَقَّبَهَا مُتَعَقِّبٌ، كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: هُمُ الْعُلَمَاءُ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: هُمْ أُمَرَاءُ السَّرَايَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يُخَالِفُوهُ وَأَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا وَكَانَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ يَقُولُ: هُمُ الْوُلَاةُ أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ بَدَأَ بِهِمْ فَقَالَ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم﴾ [النساء:٥٨] يَعْنِي: الْفَيْءَ وَالصَّدَقَاتِ الَّتِي اسْتَأْمَنَهُمْ عَلَىٰ جَمْعِهَا وَقَسْمِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ قَالَ: فَأَمَرَ الْوُلَاةَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا نَحْنُ فَقَالَ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن﴾ [النساء:٥٩] إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيكُمْ مَالٌ، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩] عَاقِبَةً.

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوُلَاةِ الأَمْرِ أَمْرٌ وَاجِبٌ وَمَهْمَا قَصَّرُوا فِي ذَاتِهِمْ فَلَمْ يَبْلُغُوا الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَيُؤْمَرُونَ بِهِ، وَيَدُلُّونَ عَلَيْهِ، فَعَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَىٰ رَعَايَاهُمْ مَا حُمِّلُوا مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُمْ.

١٩٩- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنَ النَّاسِ اثْنَانِ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠١)، ومسلم (١٨٢٠).

٢٠٠- ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُبَشِّرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي عَتَّابٍ قَالَ: قَامَ مُعَاوِيَةُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ فَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الأَمْرِ خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلَامِ»(١) .

٢٠١- ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: وَحَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ مَسْعُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلَ يَزِيدُ بْنُ سَلَمَةَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَاذَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَجَذَبَهُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الثَّانِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»(٢) .

٢٠٢- ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: وَحَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا قُلْنَا: فَمَا تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ»(٣) .

٢٠٣- ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ آدَمَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيَّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَرْوِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مِيتَةً جَاهِلِيَّةً(٤) .

٢٠٤- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ الصُّمَادِحِيِّ عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٥)، ومسلم (١٨١٨، ١٨١٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٤٩)، والبخاري (٧٠٥٣) نحوه.

حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَّامٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَلَّامٍ حَدَّثَهُ أَنَّ الْحَارِثَ الْأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللهُ بِهِنَّ؛ الْجَمَاعَةِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ الْإِسْلَامَ مِنْ رَأْسِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ وَمَنْ ادَّعَىٰ دَعْوَىٰ جَاهِلِيَّةٍ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ». فَقَالَ رَجُلٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ؟ قَالَ: وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ؟ تَدَاعَوْا بِدَعْوَىٰ اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ[١].

٢٠٥- ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ بْنُ يُونُسَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: أَخَذَ عُمَرُ بِيَدِي فَقَالَ: يَا أَبَا أُمَيَّةَ إِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّنَا لَا نَلْتَقِي بَعْدَ يَوْمِنَا هَذَا، اتَّقِ اللهَ رَبَّكَ إِلَىٰ يَوْمِ تَلْقَاهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَأَطِعِ الْإِمَامَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا، إِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَهَانَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَمَرَكَ بِأَمْرٍ يُنْقِصُ دِينَكَ فَقُلْ طَاعَةٌ دَمِي دُونَ دِينِي، وَلَا تُفَارِقِ الْجَمَاعَةَ[٢].

٢٠٦- ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: لَمَّا بُويِعَ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ: إِنْ كَانَ خَيْرًا رَضِينَا وَإِنْ كَانَ شَرًّا صَبَرْنَا[٣].

باب
فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ الْوُلَاةِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَعَرَفَةَ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، مِنَ السُّنَّةِ وَالْحَقِّ وَأَنَّ مَنْ صَلَّىٰ مَعَهُمْ ثُمَّ أَعَادَهَا فَقَدْ خَرَجَ مِنْ جَمَاعَةِ مَنْ مَضَىٰ مِنْ صَالِحِ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَالَ: نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ وَقَدْ عَلِمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ حِينَ

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٥٤٤)، والبيهقي (٨/ ١٥٩)، وغيرهما.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ١٠٣).

افْتَرَضَ عَلَيْهِمَ السَّعْيَ إِلَيْهَا وَإِجَابَةَ النِّدَاءِ لَهَا أَنَّهُ يُصَلِّيهَا بِهِمْ مِنْ مُجْرِمِي الْوُلَاةِ وَفُسَّاقِهَا مَنْ لَمْ يَجْهَلْهُ فَلَمْ يَكُنْ لِيَفْتَرِضَ عَلَىٰ عِبَادِهِ السَّعْيَ إِلَىٰ مَا لَا يَجْزِيهِمْ شُهُودُهُ وَيَجِبُ عَلَيْهِمْ إِعَادَتُهُ، وَقُضَاتِهِمْ وَحُكَّامِهِمْ وَمَنِ اسْتَخْلَفُوهُ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، وَالصَّلَاةُ وَرَاءَهُمْ جَائِزَةٌ.

٢٠٧- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ فَحْلُونَ عَنْ يُوسُفَ بْنِ يَحْيَىٰ الْعِنَاقِيِّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: فِي تَفْسِيرِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ وَأَنَّ الصَّلَاةَ جَائِزَةٌ وَرَاءَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ إِنَّمَا يُرَادُ بِذَلِكَ الْإِمَامُ الَّذِي تُؤَدَّىٰ إِلَيْهِ الطَّاعَةُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ تَكُنِ الصَّلَاةُ وَرَاءَهُ جَائِزَةً وَرَاءَهُ مَنِ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا وَخُلَفَاؤُهُمْ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَاسْتِبَاحَةِ الْحَرِيمِ وَتَفَتُّحِ الْفِتَنِ.

فَالصَّلَاةُ وَرَاءَهُمْ جَائِزَةٌ الْجُمُعَةُ وَغَيْرُهَا مَا صَلَّوْا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَمَنْ عُرِفَ مِنْهُمْ بِبَعْضِ الْأَهْوَاءِ الْمُخَالِفَةِ لِلْجَمَاعَةِ مِثْلَ الْإِبَاضِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ فَلَا بَأْسَ بِالصَّلَاةِ خَلْفَهُ أَيْضًا، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ.

٢٠٨- وَقَدْ حَدَّثَنِي أَسَدُ بْنُ مُوسَىٰ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَعْبَدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ حَيَّانَ عَنْ مَكْحُولٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ إِمَامٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْنِي الْوُلَاةَ»[1].

٢٠٩- أَسَدٌ قَالَ حَدَّثَنِي الرَّبِيعُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ سَوَّارِ بْنِ شَبِيبٍ قَالَ: حَجَّ نَجْدَةُ الْحَرُورِيُّ فِي أَصْحَابِهِ فَوَادَعَ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَصَلَّىٰ هَذَا بِالنَّاسِ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَهَذَا بِالنَّاسِ يَوْمًا وَلَيْلَةً، فَصَلَّىٰ ابْنُ عُمَرَ خَلْفَهُمَا فَاعْتَرَضَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَتُصَلِّي خَلْفَ نَجْدَةَ الْحَرُورِيِّ؟

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِذَا نَادَوْا حَيَّ عَلَىٰ خَيْرِ الْعَمَلِ أَجَبْنَا، وَإِذَا نَادَوْا حَيَّ عَلَىٰ قَتْلِ

---

(١) أخرجه الدارقطني (٢/ ٤٠٦)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٤٧٨).

نَفْسٍ قُلْنَا: لَا، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ.

٢١٠- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ الصُّمَادِحِيِّ عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الأَعْمَشِ قَالَ: كَانَ كِبَارُ أَصْحَابِ عَبْدِ اللهِ يُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ مَعَ الْمُخْتَارِ وَيَحْتَسِبُونَ بِهَا.

٢١١- ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ فَقُلْتُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَؤُمُّنَا أَنُصَلِّي خَلْفَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ أَمَّ النَّاسَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ.

٢١٢- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ قَالَ: سَأَلْتُ حَارِثَ بْنَ مِسْكِينٍ هَلْ نَدَعُ الصَّلَاةَ خَلْفَ أَهْلِ الْبِدَعِ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْجُمُعَةُ خَاصَّةً فَلَا، وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنَ الصَّلَاةِ فَنَعَمْ.

قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: وَسَأَلْتُ يُوسُفَ بْنَ عَدِيٍّ عَنْ تَفْسِيرِ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ قَالَ: الْجُمُعَةُ خَاصَّةً، قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ الْإِمَامُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ؛ لِأَنَّ الْجُمُعَةَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَيْسَ تُوجَدُ فِي غَيْرِهِ.

باب
دَفْعِ الزَّكَاةِ إِلَى الْوُلَاةِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ دَفْعَ الصَّدَقَاتِ إِلَى الْوُلَاةِ جَائِزٌ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ: أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَفِي قَوْلِهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا»

٢١٣- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَالِكٍ الْقُرَشِيِّ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَ الْأَعْرَابُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ يَظْلِمُونَنَا.

فَقَالَ: «أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ وَإِنْ ظَلَمُوا».

قَالَ جَابِرٌ: فَمَا مَنَعْتُ مُصَدِّقًا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا[(١)].

٢١٤- وَهْبٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَىٰ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ وَأَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ عَنِ الزَّكَاةِ أَيُنْفِذُهَا عَلَىٰ مَا أَمَرَ اللهُ أَوْ يَدْفَعُهَا إِلَىٰ الْوُلَاةِ؟ قَالَ: بَلْ يَدْفَعُهَا إِلَىٰ الْوُلَاةِ[(٢)].

٢١٥- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنِ ابْنِ فَحْلُونَ عَنِ الْعِنَاقِيِّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَىٰ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَتِ الزَّكَاةُ مِنَ الْفَاجِرِ وَغَيْرِهِ تُدْفَعُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِلَىٰ مَنِ اسْتَعْمَلَ، وَإِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ وَإِلَىٰ مَنِ اسْتَعْمَلَ وَإِلَىٰ عُمَرَ وَإِلَىٰ مَنِ اسْتَعْمَلَهُ وَإِلَىٰ عُثْمَانَ وَإِلَىٰ مَنِ اسْتَعْمَلَهُ فَلَمَّا كَانَ مُعَاوِيَةُ وَمَنْ بَعْدَهُ اخْتَلَفَ النَّاسُ فَمِنْهُمْ مَنْ دَفَعَهَا وَمِنْهُمْ مَنْ تَصَدَّقَ بِهَا.

٢١٦- قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَحَدَّثَنِي مُطَرِّفٌ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا كَانَ الْإِمَامُ عَدْلًا لَمْ يَنْبَغِ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَوَلَّوْا تَفْرِقَةَ زَكَاتِهِمْ وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ دَفْعُهَا إِلَىٰ الْإِمَامِ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَإِذَا كَانَ الْوُلَاةِ يَعْدِلُونَ فِي الصَّدَقَاتِ، فَقَدْ كَانَ مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَأْمُرُونَ بِأَنَّ مَنْ تُسْتَحَقُّ عَلَيْهِمْ وَأَنْ يُحَالَ لِلسَّلَامَةِ مَنْ دَفَعَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ وَإِنْ خَافُوا مِنْهُمْ عُقُوبَةً فَلْيَدْفَعُوهَا إِلَيْهِمْ، وَعَلَيْهِمُ الْإِثْمُ مَا عَمِلُوا فِيهَا وَهِيَ تَجْزِيءُ عَمَّنْ أَخَذُوهَا مِنْهُ.

باب
فِي الْحَجِّ وَالْجِهَادِ مَعَ الْوُلَاةِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ إِنَّ الْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَعَ كُلِّ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ مِنَ

---

(١) أخرجه مسلم (٨٩٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ١٥٦)، وعبد الرزاق (٤/ ٤٦).

السُّنَّةِ وَالْحَقِّ، وَقَدْ فَرَضَ اللهُ الْحَجَّ فَقَالَ: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَأَعْلَمَنَا بِفَضْلِ الْجِهَادِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَقَدْ عَلِمَ أَحْوَالَ الْوُلَاةِ الَّذِينَ لَا يَقُومُ الْحَجُّ وَالْجِهَادُ إِلَّا بِهِمْ فَلَمْ يَشْتَرِطْ وَلَمْ يُبَيِّنْ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا.

٢١٧- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنِ ابْنِ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي نُشْبَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَذَكَرَ حَدِيثًا فِيهِ: «أَنَّ الْجِهَادَ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلا عَدْلُ عَادِلٍ»[١].

٢١٨- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنِ ابْنِ فُحْلُونَ عَنِ الْعِنَاقِيِّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَبِيبٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ يَقُولُونَ: لَا بَأْسَ بِالْجِهَادِ مَعَ الْوُلَاةِ وَإِنْ لَمْ يَضَعُوا الْخُمُسَ مَوْضِعَهُ، وَإِنْ لَمْ يُوفُوا بِعَهْدٍ إِنْ عَاهَدُوا، وَلَوْ عَمِلُوا مَا عَمِلُوا، وَلَوْ جَازَ لِلنَّاسِ تَرْكُ الْغَزْوِ مَعَهُمْ بِسُوءِ حَالِهِمْ لَاسْتُذِلَّ الْإِسْلَامُ، وَتُخُيِّفَتْ أَطْرَافُهُ وَاسْتُبِيحَ حَرِيمُهُ وَلَعَلَا الشِّرْكُ وَأَهْلُهُ[٢].

٢١٩- وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَدْ حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى عَنْ بَقِيَّةَ بْنِ الْوَلِيدِ عَنِ الزُّبَيْدِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَيَكُونُ بَعْدِي نَاسٌ يَشْكُونَ فِي الْجِهَادِ، لِلْمُجَاهِدِ يَوْمَئِذٍ مِثْلُ مَا لِلْمُجَاهِدِ مَعِي الْيَوْمَ».

٢٢٠- أَسَدٌ عَنْ مُغِيرَةَ قَالَ: سُئِلَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْوُلَاةِ؟ فَقَالَ: إِنْ هِيَ إِلَّا نَزْغَةُ شَيْطَانٍ نَزَغَ بِهَا يُثَبِّطُكُمْ عَنْ جِهَادِكُمْ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ.

فَقَالَ: قَدْ عَلِمَتِ الدَّيْلَمُ وَالرُّومُ عَلَى مَا يُقَاتِلُونَ.

٢٢١- قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَحَدَّثَنِي الطَّلْحِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٣٢)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٢) أخرجه سعيد بن منصور (٢٣٦٧).

أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يَزَالُ الْجِهَادُ حُلْوًا خَضِرًا مَا مَطَرَ الْقَطْرُ مِنَ السَّمَاءِ وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَقُولُ فِيهِ قُرَّاءٌ مِنْهُمْ: لَيْسَ هَذَا بِزَمَانِ جِهَادٍ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ فَنِعْمَ زَمَانُ الْجِهَادِ».

قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: وَأَحَدٌ يَقُولُ ذَلِكَ؟

فَقَالَ: «نَعَمْ، مَنْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١) .

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَهَذَا قَوْلُ مَالِكٍ وَرَأْيُ جَمِيعِ أَصْحَابِهِ لا يَرَوْنَ الْغَزْوَ مَعَهُمْ بَأْسًا.

٢٢٢- وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ: كَانَ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنَ الْمَشَايِخِ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَوَكِيعٍ وَغَيْرِهِمْ كَانُوا يَحُجُّونَ مَعَ كُلِّ خَلِيفَةٍ.

باب
النَّهْيِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ السُّنَّةِ يَعِيبُونَ أَهْلَ الأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ وَيُخَوِّفُونَ فِتْنَتَهُمْ وَيُخْبِرُونَ بِخَلاقِهِمْ، وَلا يَرَوْنَ ذَلِكَ غِيبَةً لَهُمْ وَلا طَعْنًا عَلَيْهِمْ.

٢٢٣- وَقَدْ حَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ الصُّمَادِحِيِّ عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَلا هَذِهِ الآيَةَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ الآيَةَ.

ثُمَّ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَاحْذَرُوهُمْ»(٢) .

---

(١) أخرجه الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٧٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

٢٢٤- وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَىٰ قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَّادٌ عَنْ أَبِي غَالِبٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي أُمَامَةَ وَهُوَ عَلَىٰ حِمَارٍ حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَىٰ دَرَجِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَإِذَا رُؤُوسٌ مِنْ رُؤُوسِ الْخَوَارِجِ مَنْصُوبَةٌ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الرُّؤُوسُ؟ فَقَالُوا: رُؤُوسُ خَوَارِجَ جِيءَ بِهَا مِنَ الْعِرَاقِ. فَقَالَ: «كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ شَرُّ قَتْلَىٰ تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ شَرُّ قَتْلَىٰ تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ شَرُّ قَتْلَىٰ تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، ثُمَّ بَكَىٰ قُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَحْمَةً لَهُمْ، إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَخَرَجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي﴾ [آل عمران:٧] إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن﴾ [آل عمران:١٠٥] إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران:١٠٦] فَقُلْتُ: هُمْ هَؤُلَاءِ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقُلْتُ شَيْءٌ تَقُولُهُ بِرَأْيِكَ أَمْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ؟ فَقَالَ: إِنِّي إِذًا لَجَرِيءٌ إِنِّي إِذًا لَجَرِيءٌ، إِنِّي إِذًا لَجَرِيءٌ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ حَتَّىٰ بَلَغَ سَبْعًا، وَوَضَعَ أُصْبُعَهُ فِي أُذُنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وَإِلَّا فَصُمَّتَا، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تَفَرَّقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ سَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَايِرُهَا فِي النَّارِ فَقُلْتُ: وَلَتَزِيدُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَيْهِمْ وَاحِدَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَايِرُهَا فِي النَّارِ»، فَقُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ» قَالَ: فَقُلْتُ فِي السَّوَادِ الأَعْظَمِ مَا قَدْ تَرَىٰ؛ قَالَ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ خَيْرٌ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالْمَعْصِيَةِ(١).

٢٢٥- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَسْلَمَةُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ زُرْعَةَ الزُّبَيْدِيِّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الأَمَلِ عَنْ مَكْحُولٍ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَفَعَ

---

(١) أخرجه المروزي في «السنة» (٤٣، ٤٤).

الْحَدِيثَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لُعِنَتِ الْقَدَرِيَّةُ وَالْمُرْجِئَةُ عَلَىٰ لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا آخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ»(١).

٢٢٦- ابْنُ وَهْبٍ وَأَخْبَرَنِي مَسْلَمَةُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْمُثَنَّىٰ عَنْ بَزَّارِ بْنِ حَسَّانٍ عَنْ زَيْدٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(٢).

٢٢٧- ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ حَكِيمِ بْنِ شَرِيكٍ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْقَدَرِ وَلا تُفَاتِحُوهُمْ» الْحَدِيثَ.

٢٢٨- ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ عَنْ أَبِي حَازِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَصْحَابُ الْقَدَرِ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ»(٣).

٢٢٩- ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ قَالَ: ذُكِرَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَاسًا يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَوُصِفَ لَهُ بَعْضُ مَا يَقُولُونَ، فَقَالَ: أَهَلْ فِي الْبَيْتِ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَأَقُومُ إِلَيْهِ فَأَفْرُكُ رَقَبَتَهُ؟(٤).

٢٣٠- ابْنُ وَهْبٍ وَأَخْبَرَنِي ابْنُ مَهْدِيٍّ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيَّ عَنِ الأَهْوَاءِ أَيُّهَا خَيْرٌ؟ فَقَالَ: جَعَلَ اللهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَمَا هِيَ إِلَّا زِينَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمَا الأَمْرُ إِلَّا الأَمْرُ الأَوَّلُ.

٢٣١- ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي مَالِكٌ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ يَكْتُبُ فِي

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٤٩)، وضعفه العلامة الألباني في الضعيفة (١٢/ ١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩٣)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤٢).

(٤) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥٤٠).

كُتُبِهِ أَنِّي أُحَذِّرُكُمْ مَا قَالَتْ إِلَيْهِ الْأَهْوَاءُ وَالزَّيْغُ الْبَعِيدُ(١).

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: وَسَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُهُ، وَسُئِلَ عَنْ خُصُومَةِ أَهْلِ الْقَدَرِ وَكَلَامِهِمْ؟ فَقَالَ: مَا كَانَ مِنْهُمْ عَارِفًا بِمَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَا يُوَاضَعُ الْقَوْلَ وَيُخْبَرُ بِخَلَافِهِمْ، وَلَا يُصَلَّىٰ خَلْفَهُمْ وَلَا أَرَىٰ أَنْ يُنَاكَحُوا.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: كَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِذَا جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَعَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَاكٌّ فَاذْهَبْ إِلَىٰ مَنْ هُوَ شَاكٌّ مِثْلُكَ فَخَاصِمْهُ.

٢٣٣- وَهْبٌ قَالَ: وَحَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ أَنَّهُ قَالَ لِجُلَسَائِهِ فِي أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ: إِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ أَحَدًا قَدْ جَلَسَ إِلَيْنَا فَأَعْلِمُونِي بِأَمَارَةٍ أَجْعَلُهَا بَيْنَهُمْ، فَإِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَأَعْلَمُوهُ أَخَذَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ قَامَ.

٢٣٤- ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ يَزِيدَ الْخُرَاسَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يَقُولُ: قَرَأْتُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ كِتَابًا مَا مِنْهَا كِتَابٌ إِلَّا وَحَذَّرَ فِيهِ: مَنْ أَضَافَ إِلَىٰ نَفْسِهِ شَيْئًا مِنْ قَدَرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ(٢).

٢٣٥- وَأَخْبَرَنِي ابْنُ مَسَرَّةَ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ الصُّمَادِحِيِّ عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ شَيْخَنَا يَقُولُ: حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: أَيْ بُنَيَّ لَا تُجَالِسْ مَفْتُونًا فَإِنَّهُ لَا يُخْطِئُكَ مِنْهُ إِحْدَىٰ خَصْلَتَيْنِ، إِمَّا أَنْ يَسْتَزِلَّكَ، وَإِمَّا أَنْ يُمْرِضَ قَلْبَكَ(٣).

٢٣٦- ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٦١٩٣).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٤/ ٢١٤).

(٣) أخرجه البيهقي في «الاعتقاد» ص(١٣١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٤٣٢).

قِلَابَةَ وَكَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ ذَوِي الْأَلْبَابِ: لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ أَوْ يُلَبِّسُوا عَلَيْكُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ(١).

٢٣٧- ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ عَنْ عَبْد الْمَلِكِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ كَانَ يَرَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ(٢).

٢٣٨- ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: وَحَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ قَالَ: لَئِنْ يُجَاوِرُنِي فِي دَارِي هَذِهِ قِرَدَةٌ وَخَنَازِيرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ يُجَاوِرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَلَقَدْ دَخَلُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ(٣).

٢٣٩- ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ: حُدِّثْت عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَعْظَمُ عَلَيَّ، أَنْ هَدَانِي إِلَىٰ الْإِسْلَامِ أَوْ أَنْ جَنَّبَنِي الْأَهْوَاءَ(٤).

٢٤٠- ابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: وَحَدَّثَنَا سَلَّامُ بْنُ مِسْكِينٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَعْظَمُ عَلَيَّ، نِعْمَةٌ أَنْعَمَهَا عَلَيَّ فَأَنْقَذَنِي بِهَا مِنَ الشِّرْكِ، أَوْ نِعْمَةٌ أَنْعَمَهَا عَلَيَّ فَأَنْقَذَنِي بِهَا مِنَ الْحَرُورِيَّةِ(٥).

٢٤١- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ لُبَابَةَ عَنِ الْعُتْبِيِّ عَنْ سَحْنُونَ

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٧٨).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٤٣١).

(٣) أخرجه اللالكائي (٢٣١).

(٤) أخرجه الدارمي (١/ ٩٢).

(٥) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٢٣٠).

عَنِ ابْنِ الْقَاسِمِ قَالَ: قَالَ مَالِكٌ: مَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ أَشَدُّ عَلَىٰ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[1].

قَالَ مَالِكٌ: فَأَيُّ كَلَامٍ أَبْيَنُ مِنْ هَذَا.

قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ: قَالَ لِي مَالِكٌ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ.

قَالَ سَحْنُونٌ: وَكَانَ ابْنُ غَانِمٍ يَقُولُ فِي كَرَاهِيَةِ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ أَرَأَيْتَ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَعَدَ إِلَىٰ سَارِقٍ وَفِي كُمِّهِ بِضَاعَةٌ أَمَا كَانَ يَحْتَرِزُ بِهَا مِنْهُ خَوْفًا أَنْ يَنَالَهُ فِيهَا، فَدِينُكُمْ أَوْلَىٰ بِأَنْ تُحْرِزُوهُ وَتَحْفَظُوا بِهِ، قِيلَ وَإِنْ جَاءَ مَعَنَا فِي ثَغْرٍ أَخْرَجْنَاهُمْ مِنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ سَحْنُونٌ وَقَالَ أَشْهَبُ سُئِلَ مَالِكٌ عَنِ الْقَدَرِيَّةِ فَقَالَ: قَوْمُ سُوءٍ فَلَا تُجَالِسُوهُمْ، قِيلَ وَلَا يُصَلَّىٰ خَلْفَهُمْ؟ فَقَالَ: نَعَمْ.

باب
فِي اسْتِتَابَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَاخْتِلَافِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَكْفِيرِهِمْ

قَالَ مُحَمَّدٌ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَكْفِيرِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُمْ كُفَّارٌ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ. وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَبْلُغُ بِهِمَ الْكُفْرُ وَلَا يُخْرِجُهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيَقُولُ: إِنَّهُمُ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ فُسُوقٌ وَمَعَاصٍ إِلَّا أَنَّهَا أَشَدُّ الْمَعَاصِي وَالْفُسُوقِ، وَهَذَا مَذْهَبُ مَشَايِخِنَا بِالْأَنْدَلُسِ، وَالَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ فِيهِمْ وَكَانُوا يَقُولُونَ لَا يُوَاضِعُ أَحَدٌ مِنْهُ الْكَلَامَ وَالِاحْتِجَاجَ وَلَكِنْ يُعَرَّفُ بِرَأْيِهِ رَأْيَ السُّوءِ وَيُسْتَتَابُ مِنْهُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ.

٢٤٢- وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَتْ حَرُورِيَّةٌ بِالْعِرَاقِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِالْعِرَاقِ مَعَ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، فَكَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ

---

(١) أخرجه الداني في «الرسالة الوافية» (١/ ٢٦٥).

بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَأْمُرُنَا أَنْ نَدْعُوَهُمْ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَلَمَّا أَعْذَرَ فِي دُعَائِهِمْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ قَاتِلْهُمْ فَإِنَّ اللهَ وَلَهُ الْحَمْدُ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ سَلَفًا يَحْتَجُّونَ بِهِ عَلَيْنَا، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ الْحَمِيدِ جَيْشًا فَهَزَمَتْهُمُ الْحَرُورِيَّةُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي جَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَكَتَبَ إِلَىٰ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي مَا فَعَلَ جَيْشُكَ السُّوءَ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ فَخَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَلَقِيَهُمْ مَسْلَمَةُ فَأَظْفَرَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَأَظْفَرَهُ بِهِمْ(١).

٢٤٣- ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَحَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: سَأَلَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: مَا تَرَىٰ فِي هَؤُلَاءِ الْقَدَرِيَّةِ؟ فَقُلْتُ: أَسْتَتِيبُهُمْ فَإِنْ قَبِلُوا ذَلِكَ وَإِلَّا فَأَعْرِضُهُمْ عَلَىٰ السَّيْفِ، فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنَا أَرَىٰ ذَلِكَ(٢).

عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ، وَيُكَذِّبُونَ بِالدَّجَّالِ، وَيُكَذِّبُونَ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَيُكَذِّبُونَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَيُكَذِّبُونَ بِالشَّفَاعَةِ، وَيُكَذِّبُونَ بِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا امْتَحَشُوا، فَلَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ وَثَمُودَ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَمَنْ كَذَّبَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ أَوْ بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرَ عُمَرُ فِي حَدِيثِهِ هَذَا: اسْتُتِيبَ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ.

٢٤٤- وَأَخْبَرَنِي إِسْحَاقُ عَنِ ابْنِ لُبَابَةَ عَنِ الْعُتْبِيِّ عَنْ عِيسَىٰ عَنِ ابْنِ الْقَاسِمِ أَنَّهُ قَالَ فِي أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِثْلَ الْقَدَرِيَّةِ وَالْإِبَاضِيَّةِ وَمَا أَشْبَهُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِمَّنْ هُوَ عَلَىٰ غَيْرِ مَا عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْبِدَعِ وَالتَّحْرِيفِ بِكِتَابِ اللهِ وَتَأْوِيلِهِ عَلَىٰ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، فَإِنَّ أُولَئِكَ يُسْتَتَابُونَ أَظْهَرُوا ذَلِكَ أَمْ أَسَرُّوهُ فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا ضُرِبَتْ رِقَابُهُمْ

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٥/ ٣٥٧).

(٢) أخرجه الآجري (٥١١).

لِتَحْرِيفِهِمْ كِتَابَ اللهِ، وَخِلَافِهِمْ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّابِعِينَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِأَصْحَابِهِ، وَبِهَذَا عَمِلَتْ أَئِمَّةُ الْهُدَىٰ.

وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ﷺ: الرَّأْيُ فِيهِمْ أَنْ يُسْتَتَابُوا فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا عُرِضُوا عَلَىٰ السَّيْفِ وَضُرِبَتْ رِقَابُهُمْ، وَمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ فَمِيرَاثُهُ لِوَرَثَتِهِ لِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ إِلَّا أَنَّهُمْ قُتِلُوا لِرَأْيِهِمْ رَأْيَ السُّوءِ.

قَالَ عِيسَىٰ: وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَىٰ، اسْتُتِيبَ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ.

وَأَرَاهُ مِنَ الْحَقِّ الْوَاجِبِ، وَهُوَ الَّذِي أَدِينُ اللهَ عَلَيْهِ.

٢٤٥- قَالَ الْعُتْبِيُّ: وَسُئِلَ سَحْنُونُ عَمَّنْ قَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ أَخْطَأَ بِالْوَحْيِ، وَإِنَّمَا كَانَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَّا أَنَّ جِبْرِيلَ أَخْطَأَ الْوَحْيَ، أَهَلْ يُسْتَتَابُ أَوْ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ؟

قَالَ: بَلْ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، قِيلَ: فَإِنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَوْ عُثْمَانَ أَوْ عَلِيًّا أَوْ مُعَاوِيَةَ أَوْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ؟ فَقَالَ لِي: أَمَّا إِذَا شَتَمَهُمْ فَقَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ ضَلَالٍ وَكُفْرٍ قُتِلَ، وَإِنْ شَتَمَهُمْ بِغَيْرِ هَذَا -كَمَا يَشْتُمُ النَّاسُ- رَأَيْتُ أَنْ يُنَكَّلَ نَكَالًا شَدِيدًا.

٢٤٦- قَالَ الْعُتْبِيُّ: قَالَ الصُّمَادِحِيُّ قَالَ مَعْنٌ: وَكَتَبَ إِلَىٰ مَالِكٍ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمٍ يُصَلُّونَ رَكْعَتَيْنِ وَيَجْحَدُونَ السُّنَّةَ وَيَقُولُوا: مَا نَجِدُ إِلَّا صَلَاةَ رَكْعَتَيْنِ.

قَالَ مَالِكٌ: أَرَىٰ أَنْ يُسْتَتَابُوا فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا.

٢٤٧- الْعُتْبِيُّ عَنْ عِيسَىٰ، عَنِ ابْنِ الْقَاسِمِ قَالَ: وَمَنْ سَبَّ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قُتِلَ وَلَمْ يُسْتَتَبْ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الزِّنْدِيقِ الَّذِي لَا يُعْرَفُ لَهُ تَوْبَةٌ، فَلِذَلِكَ لَا يُسْتَتَابُ؛ لِأَنَّهُ يَتُوبُ بِلِسَانِهِ وَيُرَاجِعُ ذَلِكَ فِي سَرِيرَتِهِ فَلَا تُعْرَفُ مِنْهُ تَوْبَةٌ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ سَبَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: آمَنَ

الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ.

وقال: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ وَقَالَ: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

قَالَ مُحَمَّدٌ: قَدْ أَعْلَمْتُكَ بِقَوْلِ أَئِمَّةِ الْهُدَىٰ وَأَرْبَابِ الْعِلْمِ فِيمَا سَأَلْتَ عَنْهُ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ عَمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ مِنْ أُصُولِ السُّنَّةِ الَّتِي خَالَفَ فِيهَا أَهْلُ الأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ وَنَبِيِّهِ ﷺ وَلَوْلَا أَنَّ أَكَابِرَ الْعُلَمَاءِ يَكْرَهُونَ أَنْ يُسَطَّرَ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِمْ وَيُخَلَّدَ فِي كِتَابٍ، لَأَنْبَأْتُكَ مِنْ زَيْغِهِمْ وَضَلَالِهِمْ بِمَا يَزِيدُكَ عَنْ رَغْبَةٍ فِي الْفِرَارِ عَنْهُمْ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَتِهِمْ عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، وَوَفَّقَنَا لِمَا يُرْضِيهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَقَرَّبَنَا إِلَيْهِ زُلَفًا زُلَفًا.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا آخِرَهُ، وَحَمِدَ لِلَّهِ وَحَمِدَهُ وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ دَائِمًا أَبَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ آمِينَ.

كَانَ الْفَرَاغُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ يَوْمَ الأَحَدِ الْمُبَارَكِ عِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ مُحَرَّمٍ الْحَرَامِ سَنَةَ (١٠٨٤).

* * *

٤- شرح السنة للمزني

للإمام

إسماعيل بن يحيى المزني

(١٧٥-٢٦٤هـ)

٤- شرح السنة للمزني

بسم الله الرحمن الرحيم

أَخبَرَنَا الفَقِيهُ الإِمَامُ: شَمْسُ الدِّينِ، أَبُو العِزِّ، يُوسُفُ بنُ عُمَرَ بنِ أبي نَصْرٍ الهَكَّارِيُّ فِي شَهْرِ صَفَرٍ، سَنَةَ سِتَّ عَشرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الشَّيخُ الإِمَامُ الحَافِظُ الثِّقَةُ بَقِيَّةُ السَّلَفِ: أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُثْمَانَ بنِ عِيسَىٰ بنِ دِرْبَاسٍ المَارَانِيُّ، مِنْ لَفْظِهِ، بِالمَوصِلِ، فِي تَاسِعَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَىٰ الأُولَىٰ، سَنَةَ إِحدَىٰ عَشرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، قَالَ: أَخبَرَنَا الشَّيخُ الصَّالِحُ العَالِمُ: أَبُو عَبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ أَحمَدَ بنِ حَمدِ بنِ مُفَرِّجِ بنِ غَيَّاثٍ، الأَرتَاحِيُّ، بِقِرَاءَتِي عَلَيهِ، بِفُسطَاطِ مِصرَ، قَالَ: أَخبَرَنَا الشَّيخُ المُسْنِدُ العَالِمُ: أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بن الحُسَينِ بنِ عُمَرَ المَوصِلِيُّ الفَرَّاءُ، فِيمَا أَذِنَ فِيهِ لِي.

ح: قَالَ الشَّيخُ إِبرَاهِيمُ بنُ عُثمَانَ.

وَأَخبَرَنَا الشَّيخُ الإِمَامُ الفَقِيهُ الحَافِظُ: أَبُو طَاهِرٍ، أَحمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ إِبرَاهِيمَ بنِ سِلَفَةَ، الأَصبَهَانِيُّ السِّلَفِيُّ، فِي كِتَابِهِ إِلَينَا مِنَ الإِسكَندَرِيَّةِ، فِي رَبِيعٍ الآخِرِ، سَنَةَ أَربَعٍ وَسَبعِينَ وَخَمسِمِائَةٍ، قَالَ: أَخبَرَنَا الشَّرِيفُ أبو مُحَمَّدٍ عَبدُ المَلِكِ بنُ الحَسَنِ بنِ بِنتَةَ، الأَنصَارِيُّ بِمَكَّةَ، بِقِرَاءَتِي عَلَيهِ، فِي سَنَةِ تِسعٍ وَتِسعِينَ وَأَربَعِمِائَةٍ، قَالَا: أَخبَرَنَا أبو عَبدِ اللهِ الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ النَّسَوِيُّ الفَقِيهُ - قَدِمَ عَلَينَا مَكَّةَ - أَخبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ إِسمَاعِيلُ بنُ رَجَاءِ بنِ سَعِيدٍ، العَسقَلَانِيُّ، بِعَسقَلَانَ، أَخبَرَنِي أَبُو الحُسَينِ مُحَمَّدُ بنُ أَحمَدَ بنِ عَبدِ الرَّحمَنِ المَلطِيُّ، وَأَبُو أَحمَدَ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الرَّحِيمِ القَيسَرَانِيُّ، قَالَا: أَخبَرَنَا أَحمَدُ بنُ بكرٍ اليَازُورِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ اليَازُورِيُّ الفَقِيهُ، حدَّثَنِي عَلِيُّ بنُ عَبدِ اللهِ الحُلوَانِيُّ، قَالَ: كُنتُ بِطَرَابُلسٍ

المَغرِبِ، فَذَكَرتُ أنا وَأصحَابٌ لَنا السُّنَّةَ، إلىٰ أن ذَكَرنَا المُزَنِيَّ رَحِمَهُ اللهُ، فَقَالَ بَعضُ أصحَابِنَا: بَلَغَنِي أنَّه يَتَكَلَّمُ فِي القُرآنِ وَيَقِفُ عِندَهُ، وَذَكَرَ آخَرُ أنَّهُ يَقُولُهُ، إلَىٰ أنِ اجتَمَعَ مَعَنَا قَوم أُخَرُ، فَغَمَّ النَّاسَ ذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا، فَكَتَبنَا إلَيهِ كِتَابًا نُرِيدُ أن نَستَعلِمُ مِنهُ، فَكَتَبَ إلَينَا «شَرح السُّنَّة» فِي القَدَرِ وَالإرجَاءِ وَالقُرآنِ وَالبَعثِ وَالنُّشُورِ وَالمَوَازِينِ وَفِي النَّظَرِ، فَكَتَبَ:

بسم الله الرحمن الرحيم

عَصَمَنَا اللهُ وَإيَّاكُم بِالتَّقوَىٰ، وَوَفَّقَنَا وَإيَّاكُم لِمُوَافَقَةِ الهُدَىٰ.

أمَّا بَعدُ:

فَإنَّكَ- أصلَحَكَ اللهُ - سَألتني أن أُوضِّحَ لَكَ مِنَ السُّنَّةِ أمرًا تُصَبِّرُ نَفسَكَ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِهِ، وَتَدرَأُ بِهِ عَنكَ شُبَهَ الأقَاوِيلِ، وَزَيغَ مُحدَثَاتِ الضَّالِّينَ، وَقَد شَرَحتُ لَكَ مِنهَاجًا مُوَضَّحًا لَم آلُ نَفسِي وَإيَّاكَ فِيهِ نُصحًا، بَدَأتُ فِيهِ بِحَمدِ اللهِ ذِي الرُّشدِ السَّدِيدِ.

الحَمدُ للهِ أحَقُّ مَن ذُكِرَ، وَأولَىٰ مَن شُكِرَ، وَعَلَيهِ أُثنِي.

١- الوَاحِدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَيسَ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، جَلَّ عَنِ المَثِيلِ، فَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا عَدِيلَ، السَّمِيعُ البَصِيرُ، العَلِيمُ الخَبِيرُ، المَنِيعُ الرَّفِيعُ.

٢- عَالٍ عَلَىٰ عَرشِهِ، وَهُوَ دَانٍ بِعِلمِهِ مِن خَلقِهِ.

٣- أحَاطَ عِلمُهُ بِالأُمُورِ، وَأنفَذَ فِي خَلقِهِ سَابِقَ المَقدُورِ، ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾[غافر: ١٩].

فَالخَلقُ عَامِلُونَ بِسَابِقِ عِلمِهِ، وَنَافِذُونَ لمَا خلَقَهم لهُ مِن خَيرٍ وَشَرٍّ، لَا يَملكونَ لأنفُسِهِم مِنَ الطَّاعَةِ نَفعًا، وَلَا يَجِدُونَ إلَىٰ صَرفِ المَعصِيَةِ عَنهَا دَفعًا، خَلَقَ

الخَلقَ بِمَشِيئَتِهِ مِن غَيرِ حَاجَةٍ كَانَت بِهِ.

٤- وَخَلَقَ المَلَائِكَةَ جَمِيعًا لِطَاعَتِهِ، وَجَبَلَهُم عَلَىٰ عِبَادَتِهِ؛ فَمِنهُم مَلَائِكَة بِقُدرَتِهِ لِلعَرشِ حَامِلُونَ، وَطَائِفَة مِنهُم حَولَ عَرشِهِ يُسَبِّحُونَ، وَآخَرُونَ بِحَمدِهِ يُقَدِّسُونَ، وَاصطَفَىٰ مِنهُم رُسُلًا إِلَىٰ رُسُلِهِ، وَبَعضٌ مُدَبِّرُونَ لأمرِهِ.

٥- ثُمَّ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَأَسكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَقَبلَ ذَلِكَ لِلأَرضِ خَلَقَهُ، وَنَهَاهُ عَن شَجَرَةٍ قَد نَفَذَ قَضَاؤُهُ عَلَيهِ بِأَكلِهَا، ثُمَّ ابتَلَاهُ بِمَا نَهَاهُ عَنهُ مِنهَا، ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيهِ عَدُوَّهُ فَأَغوَاهُ عَلَيهَا، وَجَعَلَ أَكلَهُ لَهَا إِلَىٰ الأرضِ سَبَبًا، فَمَا وَجَدَ إِلَىٰ تَركِ أَكلِهَا سَبِيلًا، وَلَا عَنهُ لَهَا مَذهَبًا.

٦- ثُمَّ خَلَقَ لِلجَنَّةِ مِن ذُرِّيَّتِهِ أهلًا؛ فَهم بِأعمَالِهَا بِمَشِيئَتِهِ عَامِلُونَ، وَبِقدرَتِهِ وَبِإِرَادَتِهِ يَنفُذُونَ.

وَخَلَقَ مِن ذُرِّيَّتِهِ لِلنَّارِ أهلًا، فَخَلَقَ لَهُم أعيُنًا لَا يُبصِرُونَ بِهَا، وَآذَانًا لَا يَسمَعُونَ بِهَا، وَقُلُوبًا لَا يَفقَهُونَ بِهَا، فَهُم بِذَلِكَ عَنِ الهُدَىٰ مَحجُوبُونَ، وَبِأعمَالِ أهلِ النَّارِ بِسَابِقِ قَدَرِهِ يَعمَلُونَ.

٧- وَالإِيمَانُ قَولٌ وَعَمَل، وَهُمَا سِيَّانِ وَنِظَامَانِ وَقَرِينَانِ، لَا نُفَرِّقُ بَينَهُمَا، لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ.

وَالمُؤمِنُونَ فِي الإِيمَانِ يَتَفَاضَلُونَ، وَبِصَالِحِ الأعمَالِ هُم مُتَزَايِدُونَ، وَلَا يَخرُجُونَ بِالذُّنُوبِ مِنَ الإِيمَانِ، وَلَا يُكفَّرونَ بِرُكُوبِ كَبِيرَةٍ وَلَا عِصيَان، وَلَا نُوجِبُ لِمُحسِنِهِم الجِنَانَ بَعدَ مَن أوجَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا نَشهَدُ عَلَىٰ مُسِيئِهِم بِالنَّارِ.

٨- وَالقُرآنُ كَلَامُ اللهِ تبارك وتعالى، وَمِن لَدُنهُ، وَلَيسَ بِمَخلُوقٍ فَيَبِيدُ.

٩- وَكَلِمَاتُ اللهِ، وَقُدرَةُ اللهِ، وَنَعتُهُ وَصِفَاتُهُ - كَامِلَاتٌ غَيرُ مَخلُوقَاتٍ، دَائِمَات أَزَلِيَّات، وَلَيسَت بِمُحدَثَاتٍ فَتَبِيدُ، وَلَا كَانَ رَبُّنَا نَاقِصًا فَيَزِيدُ.

جَلَّت صِفَاتُهُ عَن شَبَهِ صِفَاتِ المَخلوقِينَ، وَقَصُرَت عَنهُ فِطَنُ الوَاصِفِينَ،

قَرِيبٌ بِالإِجَابَةِ عِندَ السُّؤالِ، بَعِيدٌ بِالتَّعزُّزِ لَا يُنَالُ، عَالٍ عَلَىٰ عَرشِهِ، بَائِن مِن خَلقِهِ، مَوجُودٌ وَلَيسَ بِمَعدُومٍ وَلَا بِمَفقُودٍ.

١٠- وَالخَلقُ مَيتونَ بِآجَالِهِم، عِندَ نَفَادِ أرزَاقِهِم، وَانقِطَاعِ آثَارِهِم.

١١- ثُمَّ هُم بَعدَ الضَّغطَةِ فِي القُبُورِ مُسَاءَلُونَ.

١٢- وَبَعدَ البِلىٰ مَنشُورُونَ، وَيَومَ القِيَامَةِ إِلَىٰ رَبِّهِم مَحشُورُونَ، وَلَدَىٰ العَرضِ عَلَيهِ مُحَاسَبُونَ، بِحَضرَةِ المَوَازِينِ، وَنَشرِ صُحُفِ الدَّوَاوِينِ، أحصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ، ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾. [المعارج: ٤]، لَو كَانَ غَيرُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الحَاكِمَ بَينَ خَلقِهِ؛ لَكِنَّهُ اللهُ يَلِي الحُكمَ بَينَهُم بِعَدلِهِ بِمِقدَارِ القَائِلَةِ فِي الدُّنيَا، ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾. [الأنعام: ٦٢]، كَمَا بَدَأَهُ لَهُم مِن شَقَاوَةٍ وَسَعَادَةٍ يَومَئِذٍ يَعُودُونَ، ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

١٣- وَأهلُ الجَنَّةِ يَومَئِذٍ فِي الجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ، وَبِصُنُوفِ اللَّذَّاتِ يتلذَّذُونَ، وَبِأفضَلِ الكَرَامَاتِ يحبَرُونَ.

١٤- فَهُم حِينَئِذٍ إِلَىٰ رَبِّهِم يَنظُرونَ، لَا يُمَارُونَ فِي النَّظَرِ إِلَيهِ وَلَا يَشُكُّونَ، فَوُجُوهُهُم بِكَرَامَتِهِ نَاضِرَةٌ، وَأعيُنُهُم بِفَضلِهِ إِلَيهِ نَاظِرَةٌ، فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ مُقِيمٍ ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]. ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

وَأهلُ الجَحدِ عَن رَبِّهِم يَومَئِذٍ مَحجُوبُونَ، وَفِي النَّارِ يُسجَرُونَ ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠]، ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [فاطر: ٣٦]. خَلَا مَن شَاءَ الله مِنَ المُوَحِّدِينَ إخرَاجَهُم مِنهَا.

١٥- وَالطَّاعَةُ لأولي الأمرِ فِيمَا كان عِندَ الله عَزَّوَجَلَّ مَرضِيًّا، وَاجتِنَابُ مَا كَانَ عِندَ اللهِ مُسخِطًا.

وَتَرْكُ الخرُوجِ عِندَ تَعَدِّيهِم وَجَورِهِم، وَالتَّوبَةُ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَيما يَعطِفُ بِهِم عَلَىٰ رَعِيَّتِهِم.

١٦- وَالإمسَاكُ عَن تَكفِيرِ أهلِ القِبلَةِ، وَالبَرَاءَةُ مِنهُم فِيمَا أحدَثُوا مَا لَم يَبتَدِعُوا ضَلَالًا، فَمَنِ ابتَدَعَ مِنهُم ضَلَالًا، كَانَ عَلَىٰ أهلِ القِبلَةِ خَارِجًا، وَمنَ الدِّينِ مَارِقًا، وَيُتقَرَّبُ إلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِالبَرَاءَةِ مِنهُ، ويُهجَرُ ويُحتَقَرُ، وَتُجتَنَبُ غُدَّتُهُ، فَهِيَ أعدَىٰ مِن غُدَّةِ الجَرَبِ.

١٧- وَيُقَالُ بِفَضلِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أبِي بَكرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنه؛ فَهُوَ أفضلُ الخَلقِ وَأخيَرُهُم بَعدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَنُثَنِّي بَعدَهُ بِالفَارُوقِ، وَهُوَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه؛ فَهُمَا وَزِيرَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَضَجِيعَاهُ فِي قَبرِهِ، وَنُثَلِّثُ بِذِي النُّورَينِ عُثمَانَ بنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، ثُمَّ بِذِي الفَضلِ وَالتُّقَىٰ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ - رضي الله عنهم أجمَعِينَ -.

ثُمَّ البَاقِينَ مِنَ العَشَرَةِ الَّذِينَ أوجَبَ لَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ الجَنَّةَ، ونخلصُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنهُم مِنَ المَحَبَّةِ بِقَدرِ الَّذِي أوجَبَ لَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ التَّفضِيلِ، ثُمَّ لِسَائِرِ أصحَابِهِ مِن بَعدِهِم - رضي الله عنهم أجمَعِينَ -.

وَيُقَالُ بِفَضلِهِم، وَيُذكَرُونَ بِمَحَاسِنِ أفعَالِهِم، وَنُمسِكُ عَنِ الخَوضِ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُم، فَهُم خِيَارُ أهلِ الأرضِ بَعدَ نَبِيِّهِم، ارتَضَاهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ، وَجَعَلَهُم أنصَارًا لِدِينِهِ، فَهُم أئِمَّةُ الدِّينِ، وَأعلَامُ المُسلِمِين - رضي الله عنهم أجمَعِينَ.

١٨- وَلَا نَترُكُ حُضُورَ الجُمُعَةِ، وَصَلَاةٌ مَعَ بَرِّ هَذِهِ الأمَّةِ وَفَاجِرِهَا لَازِمٌ، مَا كَانَ مِنَ البِدعَةِ بَرِيئًا، فَإنِ ابتَدَعَ ضَلَالًا فَلَا صَلَاةَ خَلفَهُ، وَالجِهَادُ مَعَ كُلِّ إمَامٍ عَدلٍ أو جَائِرٍ، وَالحَجُّ.

١٩- وَقَصرُ الصَّلَاةِ فِي الأسفَارِ، وَالاختِيَارُ فِيهِ بَينَ الصِّيَامِ وَالإفطَارِ فِي الأسفَارِ إن شَاءَ صَامَ، وَإن شَاءَ أفطَرَ.

٢٠- هَذِهِ مَقَالَاتٌ وَأفعَال اجتَمَعَ عَلَيهَا المَاضُونَ الأوَّلُونَ مِن أئِمَّةِ الهُدَىٰ،

وَبِتَوفِيقِ اللهِ اعتَصَمَ بِهَا التَّابِعُونَ قُدوَةً وَرِضًا، وَجَانَبُوا التَّكَلُّف فِيمَا كُفُوا، فَسُدِّدُوا - بِعَونِ اللهِ - وَوُفِّقُوا، لَم يَرغَبُوا عَن الاتِّبَاعِ فَيقصِّرُوا، وَلَم يُجَاوِزُوهُ تَزَيُّدًا فَيَعتَدُوا، فَنَحنُ بِاللهِ وَاثِقونَ، وَعَلَيهِ مُتَوَكِّلُونَ، وَإِلَيهِ فِي اتِّبَاعِ آثَارِهِم رَاغِبُونَ.

[٢١] فَهَذَا «شَرحُ السُّنَّة» تَحَرَّيتُ كشفَهَا، وَأَوضَحتُهَا؛ فَمَن وَفَّقَهُ اللهُ لِلقِيَامِ بِمَا أَبَنتُه مَعَ مَعُونَتِهِ لَهُ بِالقِيَامِ عَلَىٰ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ؛ بِالاحتِيَاطِ فِي النَّجَاسَاتِ، وَإِسبَاغِ الطَّهَارَةِ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ، وَأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ عَلَىٰ الاستِطَاعَاتِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ عَلَىٰ أَهلِ الجِدَاتِ، وَالحَجِّ عَلَىٰ أَهلِ الجِدَة وَالاستِطَاعَاتِ، وَصِيَامِ الشَّهرِ لأَهلِ الصِّحَّاتِ، وَخَمسُ صَلَوَاتٍ سَنَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: صَلَاةَ الوِترِ فِي كُلِّ لَيلَةٍ، وَرَكعَتَا الفَجرِ، وَصَلَاةَ الفِطرِ وَالنَّحرِ، وَصَلَاةَ كُسُوفِ الشَّمسِ وَالقَمَرِ إِذَا نَزَل، وَصَلَاةَ الاستِسقَاءِ مَتَىٰ وَجَبَ.

[٢٢] وَاجتِنَابِ المَحَارِمِ، وَالاحتِرَازِ مِنَ النَّمِيمَةِ، وَالكَذِبِ، وَالغِيبَةِ، وَالبَغيِ بِغَيرِ الحَقِّ، وَأَن يُقَالَ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا يُعلَمُ، كُلُّ هَذَا كَبَائِرُ مُحَرَّمَاتٌ.

وَالتَّحَرِّي فِي المَكَاسِبِ، وَالمَطَاعِمِ، وَالمَحَارِمِ، وَالمَشَارِبِ، وَالمَلَابِسِ، وَاجتِنَابِ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّهَا دَاعِيَة لِرُكُوبِ المُحَرَّمَاتِ، فَمَن رَعَىٰ حَولَ الحِمىٰ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَن يَقَعَ فِي الحِمىٰ.

فَمَن يُسِّرَ لِهَذَا فَإِنَّهُ مِنَ الدِّينِ عَلَىٰ هُدًىٰ، وَمِنَ الرَّحمَةِ عَلَىٰ رَجَاءٍ.

وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ إِلَىٰ سَبِيلِهِ الأَقوَمِ، بِمَنِّهِ الجَزِيلِ الأَقدَمِ، وَجَلَالِهِ العَلِيِّ الأَكرَمِ.

وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَن قَرَأَ عَلَينَا السَّلَامَ، وَلَا يَنَالُ سَلَامُ اللهِ الضَّالِّينَ.

وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

تُجزَت الرِّسَالَةُ بِحَمدِ اللهِ وَمَنِّهِ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصحَابِهِ وَأَزوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ، وَسَلَّم كَثِيرًا كَثِيرًا.

* * *

٥- شرح السنة للبربهاري

للإمام

الحسن بن علي بن خلف البربهاري

(٢٣٣-٣٢٩هـ)

٥- شرح السنة للإمام البربهاري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِلإسْلامِ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ، وَأَخْرَجَنَا فِي خَيْرِ أُمَّةٍ، فَنَسْأَلُهُ التَّوفِيقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ، وَالحِفْظَ مِمَّا يَكْرَهُ وَيَسْخَطُ.

[١] اعْلَمُوا أَنَّ الإِسْلَام هُوَ السُّنَّةُ، وَالسُّنَّةَ هِيَ الإِسْلامُ، وَلا يَقُومُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالآخَرِ.

[٢] فمِنَ السُّنَّةِ لُزُومُ الجَماعةِ، فَمَنْ رَغِبَ عن الجَمَاعة وَفَارَقَهَا؛ فَقَدْ خَلَعَ رِبقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ[١]، وَكَانَ ضَالًّا مُضِلًّا.

[٣] وَالأَسَاسُ الَّذِي تُبْنَىٰ عَلَيْهِ الجَمَاعَةُ: وهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلىٰ الله عليه وسلم وَرَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، فَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ عَنْهُمْ؛ فَقَدْ ضَلَّ وَابْتَدَعَ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَالضَّلالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ[٢].

وَقَالَ عُمَرُ بن الخَطَّابِ ﷺ: «لا عُذْرَ لأَحَدٍ فِي ضَلالَةٍ رَكِبِهَا حَسِبَهَا هُدَىً، وَلا فِي هُدىً تَرَكَهُ حَسِبَهُ ضَلالَةً، فَقَدْ بُيِّنَتِ الأُمُورُ، وثَبَتَتِ الحُجَّةُ، وَانْقَطَعَ العُذْرُ»[٣].

وَذَلِك أَنَّ السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ قَدْ أَحْكَمَا أَمْرَ الدِّينِ كُلَّهُ، وَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ، فَعَلَىٰ

---

(١) أخرج أبو داود (٤٧٥٨)، قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الجماعة شبرًا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (٨٩٢).

(٢) كما ثبت في قوله ﷺ: «وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة...» الحديث. أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٣) أخرجه عمر بن شبة في «أخبار المدينة» (٢/ ١٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٢).

النَّاسِ الِاتِّبَاعُ.

[٤] وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ الدِّينَ إِنَّما جَاءَ مِنْ قِبَلِ اللهِ - تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ - لَمْ يُوضَعْ عَلَىٰ عُقُولِ الرِّجَالِ وَآرَائِهِمْ، وَعِلْمُهُ عِنْدَ اللهِ، وَعِنْدَ رَسُولِهِ، فَلا تَتَّبِعْ شَيْئًا بِهَوَاكَ؛ فَتَمْرُقَ مِنَ الدِّينِ (١) فَتَخْرُجَ مِنَ الإِسْلامِ؛ فَإِنَّهُ لا حُجَّةَ لَكَ، فَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ الله ﷺ لأُمَّتِهِ السُّنَّةَ، وَأَوْضَحَهَا لأَصْحَابِهِ، وَهُمُ الجَمَاعَةُ، وَهُمُ السَّوَادُ الأَعْظَمُ، وَالسَّوَادُ الأَعْظَمُ: الحَقُّ وَأَهْلُهُ، فَمَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَقَدْ كَفَرَ.

[٥] وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعُوا بِدْعَةً قَطُّ حَتَّىٰ تَرَكُوا مِنَ السُّنَّةِ مِثْلَهَا (٢)، فَاحْذَرِ المحدثات مِنَ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَالضَّلالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ (٣).

[٦] وَاحْذَرْ صِغَارَ المُحْدَثَاتِ مِنَ الأُمُورِ، فَإِنَّ صَغِيرَ الْبِدَعِ يَعُودُ حَتَّىٰ يَصِيرَ كَبِيرًا، وكَذَلِكَ كُلُّ بِدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ كَانَ أَوَّلُهَا صَغِيرًا يُشْبِهُ الْحَقَّ، فَاغْتَرَّ بِذَلِكَ مَنْ دَخَلَ فِيهَا، ثُمَّ لَمْ يَسْتَطِعِ الْخُرُوجَ مِنْهَا، فَعَظُمَتْ وَصَارَتْ دِينًا يُدَانُ بِهِ، فَخَالَفَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فَخَرَجَ مِنَ الإِسْلَامِ.

فَانْظُرْ - رَحِمَكَ اللهُ - كُلَّ مَنْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ خَاصَّةً فَلَا تَعْجَلَنَّ، وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَسْأَلَ وَتَنْظُرَ: هَلْ تَكَلَّمَ بِه أَصْحَابُ رسول الله

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٤٣/ ١٠٦٤)، وصف النبي ﷺ للخوارج بلفظ: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية».

(٢) أخرج الدارمي (٩٨)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٢٩)، وغيرهما عن حسان بن عطية المحاربي رَحِمَهُ اللهُ قال: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة»، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٨٨).

(٣) أخرج أحمد (٤/ ١٢٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣)، وغيرهما، بلفظ: «وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وصححه العلامة الألباني في «الظلال» (٢٦-٣٤).

ﷺ أَوْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ؟ فَإِنْ وجدت فِيهِ أَثَرًا عَنْهُمْ فَتَمَسَّكْ بِهِ، وَلَا تُجَاوِزْهُ لِشَيْءٍ، وَلَا تَخْتَرْ عَلَيْهِ شَيْئًا فَتَسْقُطَ فِي النَّارِ.

[٧]وَاعْلَمْ أَنَّ الْخُرُوجَ عَنِ الطَّرِيقِ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ:

أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَجُلٌ زَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الخَيْرَ؛ فَلَا يُقْتَدَىٰ بِزَلَّتِهِ فَإِنَّهُ هَالِكٌ، وَآخر عَانَدَ الحَقَّ وَخَالفَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ المُتَّقِينَ؛ فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ، شَيْطَانٌ مَرِيدٌ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، حَقِيقٌ عَلَىٰ مَنْ يعْرِفُهُ أَنْ يُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْهُ، وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ قِصَّتَهُ، لِئَلَّا يَقَعَ أَحَدٌ فِي بِدْعَتِهِ فَيَهْلِكَ.

[٨] وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِسْلَامُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَكُونَ مُتَّبِعًا مُصَدِّقًا مُسَلِّمًا، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قَدْ بَقِي شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الإسْلامِ لم يكفوناه أَصْحَابُ محمد ﷺ فَقَدْ كَذَّبَهُمْ، وَكفىٰ بِهِ فُرْقَةً وَطَعْنًا عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ، مُحْدِثٌ فِي الإِسْلَامِ مَا لَيْسَ فيه.

[٩] وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّهُ لَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ [(١)]، وَلَا يُضْرَبُ لَهَا الأَمْثَالُ [(٢)]، وَلا تُتَّبَعُ فِيهَا الأَهْوَاءُ [(٣)]، وهُوَ التَّصْدِيقُ بِآثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِلا كَيْفٍ وَلَا شَرْحٍ، لا يُقَالُ: لِم؟ وَكَيفَ؟

[١٠]وَالكَلامُ والخُصُومَةُ وَالجِدَالُ وَالِمرَاءُ مُحْدَثٌ يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي القَلْبِ، وَإِنْ أَصَابَ صَاحِبُهُ الحَقَّ وَالسُّنَّةَ.

[١١]وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرَّبِّ مُحْدَثٌ، وَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلالَةٌ،

---

(١)القياس هنا المراد به: القياس الذي يعارض ويرد به سنَّة رسول الله ﷺ والله أعلم.

(٢)أخرج ابن ماجه (٢٢)، عن أبي هريرة ﷺ أنه قال لرجل: «يا ابن أخي! إذا حدثتك عن رسول الله ﷺ حديثًا فلا تضرب له الأمثال»، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

(٣)قال الإمام أحمد في «أصول السنَّة» (ص٣٧): «وليس في السنَّة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوىٰ».

وَلَا يُكَلَّمُ فِي الرَّبِّ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ، وَهُوَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - وَاحِدٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

رَبُّنَا أَوَّلٌ بِلَا مَتَى، وَآخِرٌ بِلَا مُنْتَهَى، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَعَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى، وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ.

[١٢] وَلَا يَقُولُ فِي صِفَاتِ الرَّبِّ: كَيْفَ؟ وَلِمَ؟ إِلَّا شَاكٌّ فِي اللهِ.

[١٣] وَالقُرْآنُ كَلامُ اللهِ وَتَنْزِيلُهُ وَنُورُهُ، لَيسَ بمَخْلُوق؛ لأَنَّ القُرْآنَ مِنَ اللهِ، وَمَا كَانَ مِنَ اللهِ فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَهَكَذَا قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ[١]، وَأَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ[٢]، وَالفُقَهاءِ قَبْلَهُمَا وبَعدَهُمَا، وَالمِرَاءُ فِيهِ كُفْرٌ[٣].

[١٤] وَالإِيمانُ بِالرُّؤْيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَرَوْنَ الله بأبصار رُءوسِهِمْ[٤]، وَهُوَ يُحَاسِبُهُمْ بِلَا حِجَابٍ وَلَا تَرْجُمَانٍ[٥].

[١٥] وَالإِيمَانُ بِالمِيزَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُوزَنُ فِيهِ الخَيْرُ وَالشَّرُّ، لَهُ كِفَّتَانِ

---

(١) أخرج اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤١٣)، والآجري في «الشريعة» (١٦٥)، وغيرهما عن ابن أبي أويس، قال: «سمعت خالي مالك بن أنس وجماعة من العلماء، فذكروا القرآن، فقالوا: كلام الله، وهو منه، وليس من الله شيء مخلوق».

(٢) قال الإمام أحمد في «أصول السنّة» (ص٥٦): «والقرآن كلام الله وليس بمخلوق، ولا يضعف أن يقول: ليس بمخلوق، قال: فإن كلام الله ليس ببائن منه وليس منه شيء مخلوق».

(٣) أخرج أبو داود (٤٦٠٣)، وأحمد (٢/٢٨٦)، وغيرهما، بلفظ: «المراء في القرآن كفر»، وحسنه العلامة الألباني في «المشكاة» (٢٣٦).

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، بلفظ: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر...».

(٥) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦)، بلفظ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه».

وَلِسَانٌ(١).

[١٦] وَالإِيمَانُ بِعَذَابِ القَبْرِ(٢)، وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ(٣).

[١٧] وَالإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ(٤) وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ(٥)، إِلَّا صَالِح النَّبِيُّ ﷺ فَإِنَّ حَوْضَهُ ضَرْعُ نَاقَتِهِ(٦).

[١٨] وَالإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِلْمُذْنِبِينَ الْخَاطِئِينَ(٧) فِي الْقِيَامَةِ، وَعَلَى الصِّرَاطِ(٨)، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ جَوْفِ جَهَنَّمَ(٩)، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ شَفَاعَةٌ، وَكَذَلِكَ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحُونَ(١٠)، وَللهِ بَعْدَ ذَلِكَ تَفَضُّلٌ كَثِيرٌ فِيمَنْ يَشَاءُ(١١)، وَالْخُرُوجُ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا(١٢).

---

(١) كما في حديث البطاقة الذي أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه». وانظر في هذا: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٤/ ٣٠٢).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٣٩١).

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢)، بلفظ: «حوضي مسيرة شهر...».

(٥) وصح ذلك من حديث سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضًا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة». أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٥٦).

(٦) أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ٦٤)، وقال العلامة الألباني في «الضعيفة» (٧٧٢): موضوع.

(٧) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، بلفظ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (٥٥٩٩).

(٨) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، وفيه: «ثم يُضرب على جهنم وتحل الشفاعة».

(٩) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(١٠) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(١١) كما في الحديث المتقدم الذي أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(١٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨٥).

[١٩] وَالإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ عَلَىٰ جَهَنَّمَ، يَأْخُذُ الصِّرَاطُ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَيَجُوزُ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَيَسْقُطُ فِي جَهَنَّمَ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَلَهُمْ أَنْوَارٌ عَلَىٰ قَدْرِ إِيمَانِهِمْ(١).

[٢٠] وَالإِيمَانُ بِالأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ(٢).

[٢١] وَالإِيمَانُ بِأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ(٣)، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَسَقْفُهَا الْعَرْشُ(٤)، وَالنَّارُ تَحْتَ الأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَىٰ(٥)، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، قَدْ عَلِمَ اللهُ عَدَدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا، وَعَدَدَ أَهْلِ النَّارِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا(٦)، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، بَقَاؤُهُمَا مَعَ بَقَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَبَدَ الْآبِدِينَ، وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ، وَآدَمُ كَانَ فِي الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ الْمَخْلُوقَةِ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا بَعْدَمَا عَصَىٰ اللهَ(٧).

[٢٢] وَالإِيمَانُ بِالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ(٨).

[٢٣] وَبِنُزُولِ عِيسَىٰ بنِ مَرْيَمَ عليه السلام(٩)، يَنْزِلُ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ(١٠)، وَيَتَزَوَّجُ(١١)،

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، بلفظ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله...».

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٣١٧)، ومسلم (٧٦٩)، وفيه: «والجنة حق، والنار حق».

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٤٢٣).

(٥) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ١١٩٢).

(٦) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

(٧) أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٨) من ذلك ما أخرجه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩).

(٩) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٩٠١)، وفيه: «... ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ...».

(١٠) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، و(٢٨٩٧).

(١١) ذكره ابن الجوزي عن ابن عمر رضي الله عنهما في «العلل المتناهية» (١٥٢٩)، وقال عقبه: «هذا حديث لا يصح».

وَيُصَلِّي خَلْفَ الْقَائِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ(١) وَيَمُوتُ وَيَدْفِنُهُ الْمُسْلِمُونَ(٢).

[٢٤] وَالإِيمَانُ بِأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَعَمَلٌ وَقَوْلٌ، وَنِيَّةٌ وَإِصَابَةٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ، وَيَنْقُصُ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ مِنْهُ شَيْءٌ(٣).

[٢٥] وَخَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ وَفَاةِ نبيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، وعُمَرَ، وعُثْمَانَ، هَكَذَا رُوِيَ لَنَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَر وَعُثْمَانُ، وَيَسْمَعُ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَلا يُنْكِرُهُ(٤).

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: عَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ، وَسَعِيدُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الْجَرَّاحِ(٥)، وَكُلُّهُمْ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ(٦).

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الْقَرْنُ الأَوَّلُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ: الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ، وَالأَنْصَارُ، وَهُمْ مَنْ صَلَّىٰ إِلَىٰ الْقِبْلَتَيْنِ(٧).

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَوْ سَنَةً أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ تَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَتَذْكُرُ فَضْلَهُ، وَتَكُفُّ عَنْ زَلَّتِهِ، وَلَا تَذْكُرُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ.

لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»(٨).

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٥٦).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٦)، وأبو داود (٤٣٢٤)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢١٨٢).

(٣) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥/ ٩٦٠).

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٦٥٥، ٣٦٩٨).

(٥) كما في الحديث الذي أخرجه ابن حبان (٧٠٠٢)، والترمذي (٣٧٤٨، ٣٧٥٧)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (٦١١٨، ٦١١٩).

(٦) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٩٢).

(٧) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٨) كما في الحديث الذي أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٠٨)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٢٦)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٣٤).

وَقَالَ ابنُ عُيَيْنَةَ: «مَنْ نَطَقَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِكَلِمَةٍ؛ فَهُوَ صَاحِبُ هَوًى».

وَقَالَ النَّبِيُّ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيتم اهْتَدَيتم» (١).

[٢٦] وَالسَّمْعُ والطَّاعَةُ للأئمَّةِ فِيمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَى (٢)، وَمَنْ وَلِيَ الخِلافَةَ بِإجْمَاعِ النَّاسِ عَلَيهِ، وَرِضَاهُمْ بِهِ؛ فَهُوَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ (٣).

وَلَا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَبِيتَ لَيْلَةً وَلَا يَرَى أَنْ لَيْسَ عَلَيهِ إِمَام، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا (٤).

[٢٧] وَالحَجُّ وَالغَزْوُ مَعَ الإمَامِ مَاضٍ، وَصَلاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جَائِزَةٌ (٥)، وَيُصَلِّي بَعْدَهَا سِتَّ رَكَعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، هَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ.

[٢٨] وَالخِلافَةُ فِي قُرَيشٍ إِلَى أَنْ يَنْزِلَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ (٦).

[٢٩] وَمَنْ خَرَجَ عَلَى إِمامٍ مِنْ أَئمَّةِ المُسْلمين؛ فَهُوَ خَارِجِيٌّ، وقَدْ شَقَّ عَصَا المُسْلِمِين، وَخَالَفَ الآثَارَ، وَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ (٧).

[٣٠] وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ، وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ وَإِنْ جَارَ، وَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لأَبِي ذَرٍّ: «اصْبِرْ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا» (٨)، وَقَوْلُهُ لِلأَنْصَارِ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» (٩)، وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ قِتَالُ السُّلْطَانِ؛ فَإِنَّ فِيهِ فَسَادَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع العلم» (٢/ ٩١)، وقال العلامة الألباني في «الضعيفة» (٥٨): موضوع.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٦٠/ ١٨٥٢).

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (٥٦/ ١٨٤٩).

(٥) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨٥٠).

(٦) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٥٠١)، ومسلم (١٨٢٠).

(٧) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٨) أخرجه مسلم (١٨٣٧).

(٩) أخرجه البخاري (٣٧٩٢)، ومسلم (١٨٤٥)، وفيه: «فاصبروا حتى تلقوني على الحوض».

[٣١] وَيَحِلُّ قِتَالُ الخَوَارِجِ إِذَا عَرَضُوا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ، وَلَيْسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُمْ أَنْ يَطْلُبَهُمْ، وَلا يُجْهِزُ عَلَىٰ جَرِيحِهِمْ، وَلا يَأْخُذُ فَيْئَهُمْ، وَلايَقْتُلُ أَسِيرَهُمْ، وَلايَتْبَعُ مُدْبِرَهُمْ.

[٣٢] وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّهُ لا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ[١].

مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ، وَلا يُشْهَدُ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلا يُشْهَدُ لَهُ بِعَمَلِ خَيْرٍ وَلا شَرٍّ، فَإِنَّكَ لا تَدْرِي بِمَ يُخْتَمُ لَهُ[٢] عِنْدَ المَوْتِ، تَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللهِ وَتَخَافُ عَلَيْهِ، وَلا تَدْرِي مَا يَسْبِقُ لَهُ عِنْدَ المَوْتِ إِلَىٰ اللهِ مِنَ النَّدَمِ، وَمَا أَحْدَثَ اللهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ إِذَا مَاتَ عَلَىٰ الإِسْلامِ، تَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللهِ، وَتَخَافُ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ.

وَمَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَ لِلْعَبْدِ مِنْهُ تَوْبَةٌ.

[٣٣] وَالرَّجْمُ حَقٌّ[٣].

[٣٤] وَالمَسْحُ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ سُنَّةٌ[٤].

[٣٥] وَتَقْصِيرُ الصَّلاةِ فِي السَّفَرِ سُنَّةٌ[٥].

[٣٦] وَالصَّومُ فِي السَّفَرِ؛ مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ[٦].

[٣٧] وَلَا بَأْسَ بِالصَّلاةِ فِي السَّرَاوِيلِ[٧].

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠، ٢٢٣)، وابن أبي عاصم (٣٩٣)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٣٣٤).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٨٢٩)، ومسلم (١٦٩١).

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٨٢)، ومسلم (٢٧٤).

(٥) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٦٨٦).

(٦) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٩٤٣)، ومسلم (١١٢١).

(٧) حديث: «أن النبي ﷺ نهىٰ عن الصلاة في السراويل»، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٨٣٧)، وضعفه العلامة الألباني في «الضعيفة» (٤٧٢١).

[٣٨] وَالنِّفَاقُ أَنْ تُظْهِرَ الإِسْلَامَ بِاللِّسَانِ وَيُخْفِي الكُفْرَ بِالضَّمِيرِ.

[٣٩] وَاعلَمْ بِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ إِيمَانٍ وَإِسْلَامٍ.

وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيهَا مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ.

لَا تَشْهَدْ لأَحَدٍ بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِجَمِيعِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، فَإِنْ قَصَّرَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كَانَ نَاقِصَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ يَتُوبَ، وَعِلمُ إِيمَانِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ: تَامَّ الإِيمَانِ أَوْ نَاقِص الإِيمَانِ، إِلَّا مَا أَظْهَرَ لَكَ مِنْ تَضْيِيعِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ(١).

[٤٠] وَالصَّلاةُ عَلىٰ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ سُنَّةٌ، وَالمَرْجُومُ، وَالزَّانِي، وَالزَّانِيَةُ، وَالَّذِي يَقْتُلُ نَفْسَهُ(٢)، وَغَيْرُهُم مِنْ أَهْلِ القِبْلَة، وَالسَّكْرَانُ وَغَيْرُهُ، الصَّلاةُ عَلَيْهِمْ سُنَّةٌ.

[٤١] وَلَا نُخرِجُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ مِنَ الإِسْلَامِ حَتَّىٰ يَرُدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، أَوْ يَرُدَّ شَيْئًا مِنْ آثَارِ رِسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ يَذْبَحَ لِغَيرِ اللهِ، أَوْ يُصلِّي لِغَيْرِ اللهِ، فَإِذا فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تُخرِجَهُ مِنَ الإِسْلَامِ، وَإِذا لَمْ يَفْعَل شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ شيْئًا فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ بِالاسْمِ لَا بِالحَقِيقَةِ.

[٤٢] وَكُلَّمَا سَمِعْتَ مِنَ الآثَارِ مِمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ عَقلُكَ، نَحْوَ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»(٣).

وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَنْزِلُ إِلَىٰ سمَاءِ الدُّنْيَا»(٤)، وَيَنْزِلُ يَوْمَ عَرَفَةَ(٥). وَيَنْزِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٦)، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَا تَزَالُ يُطْرَحُ فِيهَا حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهَا قَدَمَهُ

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٩٧٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٢١)، ومسلم (٧٥٨).

(٥) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٣٤٨).

(٦) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

جَلَّ ثَنَاؤُهُ[١]، وَقَوْلِ اللهِ لِلْعَبْدِ: «إِنْ مَشَيْتَ إِلَيَّ هَرْوَلْتُ إِلَيْكَ»[٢]، وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَنْزِلُ يَوْمَ عَرَفَةَ» وَقَوْلِهِ: «إن اللهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ»[٣]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»[٤].

وَأَشْبَاهَ هَذِهِ الأَحَادِيثِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّفْوِيضِ[٥] وَالرِّضَا، لَا تُفَسِّرْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ بِهَوَاكَ، فَإِنَّ الإِيمَانَ بِهَذَا وَاجِبٌ، فَمَنْ فَسَّرَ شَيْئًا مِنْ هَذَا بِهَوَاهُ، أَوْ رَدَّهُ فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

[٤٣] وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَىٰ رَبَّهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ.

[٤٤] وَالفِكْرَةُ فِي اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِدْعَةٌ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «تَفَكَّرُوا فِي الخَلْقِ ولا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ»[٦]. فَإِنَّ الفِكْرَةَ فِي الرَّبِّ تَقْدَحُ الشَّكَّ فِي القَلْبِ.

[٤٥] وَاعْلَم أَنَّ الهَوَامَّ وَالسِّبَاعَ والدَّوَابَّ كُلَّهَا نَحْوَ الذَّرِّ وَالذُّبَابِ وَالنَّمْلِ كُلَّهَا مَأْمُورَةٌ، لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

[٤٦] والإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ، وَمَا لَم يَكُنْ، مَا هُوَ كَائِنٌ، أَحْصَاهُ وَعَدَّهُ عَدًّا، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ العَظِيمِ.

[٤٧] و«لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ»[٧] وَصَدَاقٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ[٨]، وَمَنْ لَمْ

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٢٣٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩).

(٥) المراد بالتفويض هنا: تفويض علم الكيفية فقط، لا تفويض علم المعاني.

(٦) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٥)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٤٧٠).

(٧) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٤٠٧٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٥٧).

(٨) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٠٣٠)، ومسلم (١٤٢٥).

يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ(١) .

[٤٨] وَإِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ، لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ.

[٤٩] وَلَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: زَانٍ بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ مُرْتَدٌّ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا مُؤْمِنَةً بِغَيْرِ حَقٍّ فَيُقْتَلُ بِهِ(٢) ، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَدَمُ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ أَبَدًا حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ(٣) .

[٥٠] وَكُلُّ شَيْءٍ مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيهِ الْفَنَاءَ يَفْنَىٰ، إِلَّا الْجَنَّةَ والنَّارَ وَالْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ واللَّوْحَ والْقَلَمَ والصُّورَ، لَيْسَ يَفْنَىٰ شَيْءٌ مِنْ هَذَا أَبَدًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ الْخَلْقَ عَلَىٰ مَا مَاتُوا عَلَيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٤) ، فَيُحَاسِبُهُمْ بِمَا شَاءَ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ، وَيَقُولُ لِسَائِرِ الْخَلْقِ مِمَّنْ لَمْ يُخْلَقْ لِلبَقَاءِ(٥) : كُونُوا تُرَابًا.

[٥١] وَالإِيمَانُ بِالقِصَاصِ يَومَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْخَلقِ كُلِّهِمْ، بَنِي آدَمَ وَالسِّبَاعِ والْهَوَامِّ، حَتَّىٰ لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ، حَتَّىٰ يَأْخُذَ اللهُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ؛ لأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وأَهْلِ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ وأَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، وأَهْلِ النَّارِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ(٦) .

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٢٠٨٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠٩).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٨٧٨).

(٥) الذي أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٠٦، ٣٤٤) وغيره، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٩٦٦).

(٦) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٠) وغيره، وصححه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (٥١٤).

[٥٢]وَإِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ (١).

[٥٣]وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ (٢).

[٥٤]وَالصَّبْرُ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ.

[٥٥]والإيمان بما قال الله عَزَّوَجَلَّ.

[٥٦]وَالإِيمَانُ بِأَقْدَارِ اللهِ كُلِّها، خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، حُلْوِهَا وَمُرِّهَا (٣).

قَدْ عَلِمَ اللهُ مَا العِبَادُ عَامِلُونَ، وَإِلَىٰ مَا هُمْ صَائِرُونَ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْ عِلْمِ اللهِ، ولَا يَكُونُ فِي الأَرضِينَ وَلها فِي السَّمَوَاتِ إِلَّا مَا عَلِمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

[٥٧]وَتَعلمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ (٤).

[٥٨]وَلَا خَالِقَ مَعَ اللهِ.

[٥٩]وَالتَّكْبِيرُ عَلَىٰ الجَنَائِزِ أَرْبَعٌ (٥)، وَهُوَ قَولُ مَالكِ بنِ أَنسٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَالحَسَنِ بنِ صَالِحٍ، وَأَحْمدَ بنِ حَنْبلٍ، وَالفُقَهَاءِ، وَهَكَذا قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ.

[٦٠]وَالإِيمَانُ بَأَنَّ مَعَ كَلِّ قَطرَةٍ مَلَكًا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّىٰ يَضَعَهَا حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

[٦١]وَالإِيمَانُ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ كَلَّمَ أَهْلَ القَلِيبِ يَومَ بَدْرٍ، أن المُشْرِكِينَ

---

(١)كما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (٢٣٠)، وصححه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (٩٤).

(٢)كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤)، وفيه: «وأسألك الرضا بعد القضاء»، وصححه العلامة الألباني في «الكلم الطيب» (١٠٦).

(٣)كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٨)، بلفظ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره...».

(٤)أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، من طريق الديلمي رَحِمَهُ اللهُ، بلفظ: «... فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك...»، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢٤٣٩).

(٥)كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١)، وفيه: «... وكبر أربع تكبيرات».

كَانُوا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ(١).

[٦٢] والإِيمَانُ بِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَرِضَ يأجُرُهُ اللهُ عَلَىٰ مَرَضِهِ(٢).

[٦٣] وَالشَّهِيدُ يَأْجُرُهُ اللهُ عَلَىٰ القتل.

[٦٤] وَالإِيمَانُ بِأَنَّ الأَطْفَالَ إِذَا أَصَابَهُمْ شَيْءٌ فِي دَارِ الدُّنْيَا يَأْلَمُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ بَكْرَ ابنَ أُختِ عَبْدِ الوَاحِدِ قَالَ: لَا يَأْلَمُونَ وَكَذَبَ.

[٦٥] وَاعلَمْ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللهِ(٣)، وَلَا يُعَذِّبُ اللهُ أَحَدًا إِلَّا بِذُنُوبِهِ، بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ، وَلَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِين بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ؛ عَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: إِنَّهُ يَظلم، وإِنَّما يَظْلِمُ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَاللهُ جَلَّ ثناؤه لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ، الَخلْق خَلْقُهُ، والدَّارُ دَارُهُ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ بخلقه، وَلَا يُقَالُ: لِمَ؟ وَكَيْفَ؟ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ.

[٦٦] وإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَىٰ الآثَارِ وَلَا يَقْبَلُهَا، أَوْ يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاتَّهِمْهُ عَلَىٰ الإِسْلَام، فَإِنَّهُ رَجُلٌ رَدِيءُ القَوْلِ وَالمذْهَبِ، وَلَا يُطْعَن عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأَصْحَابِهِ ﷺ؛ لأَنَّه إِنَّمَا عَرَفْنَا اللهَ وَعَرَفْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَعَرَفْنَا القُرْآنَ وَعَرَفْنَا الخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرةَ بِالآثَارِ.

فَإِنَّ القُرْآنَ إِلىٰ السُّنَّةِ أَحْوَجُ مِنَ السُّنَّة إِلَىٰ القُرْآنِ.

[٦٧] وَالكَلَامُ وَالجِدَالُ وَالخُصُومَةُ فِي القدَرِ خَاصَّةً مَنْهِيٌّ عَنْهُ عِنْدَ جَمِيع

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٥).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٦٤٧)، ومسلم (٢٥٧١)، قوله: «ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطَّ الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها».

(٣) أخرجه مسلم (٢٨١٧)، بلفظ: «لا يدخل الجنة أحدًا منكم عمله ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا برحمة الله ﷻ».

الفِرَقِ؛ لأنَّ القَدَرَ سِرُّ اللهِ[1]، وَنَهَىٰ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الأَنْبِيَاءَ عَنِ الكَلَامِ فِي القَدَرِ، وَنَهَىٰ رسول الله ﷺ عَنِ الخُصُومَةِ فِي القَدَرِ[2]، وَكَرِهَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَ‌رضي الله عنهم، وَكَرِهَهُ التَّابِعُونَ، وَكَرِهَهُ العُلَمَاءُ وَأَهْلُ الوَرَعِ، وَنَهَوا عَنِ الجِدَالِ فِي القَدَرِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالإِقْرَارِ وَالإِيمَانِ، وَاعْتِقَادِ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي جُمْلَةِ الأَشْيَاءِ وَتَسْكُتُ عَمَّا سِوَىٰ ذَلِكَ.

[٦٨] وَالإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُسْرِيَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَصَارَ إِلَىٰ العَرْشِ وَكَلَّمَه اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَدَخَلَ الجَنَّةَ، وَاطَّلَعَ إِلَىٰ النَّارِ، وَرَأَىٰ المَلَائِكَةَ، وَسَمِعَ كَلَامَ اللهِ عز وجل، ونُشِرَت لَهُ الأَنْبِيَاءُ، وَرَأَىٰ سُرَادِقَاتِ العَرْشِ وَالكُرْسِيِّ وَجَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرَضِينَ فِي اليَقَظَةِ، حَمَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَىٰ البُرَاقِ حَتَّىٰ أَدَارَهُ فِي السَّمَوَاتِ، وفُرِضَتْ له الصَّلاة فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَرَجَعَ إِلَىٰ مَكَّةَ في تلك الليلة، وَذَلِكَ قَبْلَ الهِجْرَةِ[3].

[٦٩] واعْلَمْ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي قَنَادِيلَ تَحْتَ العَرْشِ[4] شرح في الجنة، وأرواح المؤمنين تحت العرش، وَأَرْوَاحَ الكُفَّارِ وَالفُجَّارِ فِي بَرَهُوتَ[5]، وَهِيَ فِي سِجِّينٍ.

[٧٠] والإِيمَانُ بِأَنَّ المَيِّتَ يُقْعَدُ فِي قَبْرِهِ، وَيرْسِلُ الله فِيهِ الرُّوحَ حَتَّىٰ يَسْأَلَهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ عَنِ الإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ، ثُمَّ يَسُلُّ رُوحَهُ بِلَا أَلَمٍ[6].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٨٢)، بلفظ: «لا تكلموا في القدر؛ فإنه سر الله، فلا تفشوا لله سره»، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٤١٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٨٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

(٣) كما في حديث الإسراء والمعراج الذي أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨٨٧).

(٥) لم يصح بذلك حديث.

(٦) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

[٧١] وَيَعْرِفُ الميتُ الزَّائِرَ إِذَا أتاه[١] ، ويُنَعَّمُ فِي القَبْرِ الْمُؤْمِنُ، وَيُعَذَّبُ الفَاجِرُ كَيْفَ شَاءَ اللهُ.

[٧٢] وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّرَّ وَالخيْرَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ.

[٧٣] وَالإيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَىٰ بنَ عِمْرَانَ يَوْمَ الطُّورِ، وَمُوسَىٰ يَسْمَعُ مِنَ اللهِ الكَلامَ بِصَوْتٍ وَقَعَ فِي مَسَامِعِهِ مِنْهُ، لا مِنْ غَيْرِهِ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ.

[٧٤] وَالعَقْلُ مَوْلُودٌ، أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَ العَقْلِ مَا أَرَادَ اللهُ، يَتَفَاوتُونَ فِي العُقُولِ مِثْلَ الذَّرَّةِ فِي السَّمَواتِ، وَيُطْلَبُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ العَمَلِ عَلَىٰ قَدْرِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ العَقْلِ، وَلَيْسَ العَقْلُ بِاكْتِسَابٍ، إِنَّمَا هُوَ فَضْلٌ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

[٧٥] وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ فَضَّلَ العِبَادَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الدين والدُّنْيا، عَدْل مِنْهُ، لَا يُقَالُ: جَارَ وَلا حَابَىٰ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ فَضْلَ اللهِ عَلَىٰ المُؤْمِنِ وَالكَافِرِ سَوَاءٌ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، بَلْ فَضَّلَ اللهُ المُؤْمنينَ عَلَىٰ الكَافِرِين. والطَّائِعَ عَلَىٰ العَاصِي، وَالمَعْصُومَ عَلَىٰ المَخْذُولِ، عَدْل مِنْهُ، هُوَ فَضْلُهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ.

[٧٦] ولَا يَحِلُّ أَنْ تَكْتُمَ النَّصِيحَةَ للمُسْلِمِينَ، بَرُّهُمْ وَفَاجِرِهِمْ فِي أَمْرِ الدِّينِ[٢] ، فَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ غَشَّ المُسْلِمِينَ، وَمَنْ غَشَّ المُسْلِمِينَ فَقَدْ غَشَّ الدِّينَ، وَمَنْ غَشَّ الدِّينَ فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ[٣] .

[٧٧] واللهُ تبارك وتعالىٰ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، سميع عَلِيمٌ، يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ، قَدْ عَلِمَ اللهُ أَنَّ الخَلْقَ يَعْصُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، عِلْمُهُ نَافِذٌ فِيهِمْ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ عِلْمُهُ فِيهِمْ أَنْ هَدَاهُم لِلإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ، كَرَمًا وَجُودًا وَتَفَضُّلًا، فَلَهُ الحَمْدُ.

---

(١) لم يصح في ذلك حديث.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٠١)، بلفظ: «ومن غشنا فليس منا».

[٧٨]واعْلَمْ أَنَّ الْبِشَارَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ ثَلَاثُ بِشَارَاتٍ؛ يُقَالُ: أَبْشِرْ يَا حَبِيبَ اللهِ بِرِضَا اللهِ وَالْجَنَّةِ، وَيُقَالُ: أَبْشِرْ يَا عَدُوَّ اللهِ بِغَضَبِ اللهِ وَالنَّارِ وَيُقَالُ: أَبْشِرْ يَا عَبْدَ اللهِ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ الإِسْلَامِ.

هَذَا قَوْلُ ابنِ عَبَّاسٍ.

[٧٩]واعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ اللهِ فِي الْجَنَّةِ الأَضِرَّاءُ (١)، ثُمَّ الرِّجَالُ، ثُمَّ النِّسَاءُ، بِأَعْيُنِ رُءوسِهِمْ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ» (٢)وَالإِيمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ وَإِنْكَارُهُ كُفْرٌ.

[٨٠]وَاعْلَمْ - رحمك الله - أَنَّه مَا كَانَتْ زَنْدَقَةٌ قط وَلَا كُفْرٌ وَلَا شَكٌّ وَلَا بِدْعَةٌ وَلَا ضَلَالَةٌ وَلا حَيْرَةٌ فِي الدِّينِ إِلَّا مِنَ الكَلَامِ وَأصحاب الكَلَامِ وَالجِدَالِ وَالمِرَاءِ وَالخُصُومَةِ.

وَالعَجَبِ، كَيْفَ يَجْتَرِئُ الرَّجُلُ عَلَىٰ المِرَاءِ وَالخُصُومَةِ والجِدَالِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُول: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا بِالآثَارِ وأهل الآثار وَالكَفِّ وَالسُّكُوتِ (٣).

[٨١] وَالإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُعَذِّبُ الخَلْقَ فِي النَّارِ فِي الأَغْلَالِ وَالأَنْكَالِ وَالسَّلَاسِلِ، وَالنَّارُ فِي أَجْوَافِهِمْ وَفَوْقَهُمْ وَتَحْتَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَهْمِيَّةَ مِنْهُمْ هِشَامٌ الفُوطِيُّ قَالَ: إِنَّما يُعَذِّبُ عِنْدَ النَّارِ، رَدٌّ عَلَىٰ اللهِ وَعلىٰ رَسُولِهِ.

[٨٢] وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّلَاةَ الفَرِيضَةَ خَمْسٌ، لَا يُزَادُ فِيهِنَّ وَلَا يُنْقَصُ فِي

---

(١)أخرج اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٩٢٤)، عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: «أول من ينظر إلىٰ وجه الرب- تبارك وتعالىٰ- الأعمىٰ»، وفي إسناده جهالة، ولا يصح، والله أعلم.

(٢)أخرجه البخاري (٥٢٩)، ومسلم (٦٣٣).

(٣)أخرجه الترمذي (١٩٩٣)، وابن ماجه (٥١)، بلفظ: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا»، والحديث حسنه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣).

مَوَاقِيتِهَا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَانِ(١)، إِلَّا المَغْرِبَ، فَمَنْ قَالَ: أَكْثَرَ مِنْ خَمْسٍ؛ فَقَدِ ابْتَدَعَ، وَمَنْ قَالَ: أَقَلَّ مِنْ خَمْسٍ؛ فَقَدِ ابْتَدَعَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا لِوَقْتِهَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نِسْيَانًا فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ، يَأْتِي بِهَا إِذَا ذَكَرَهَا(٢)، أَوْ يَكُونَ مُسَافِرًا فَيَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ إِنْ شَاءَ(٣).

[٨٣] وَالزَّكَاةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالتَّمْرِ وَالحُبُوبِ وَالدَّوَابِّ، عَلَىٰ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِنْ قَسَّمَهَا فَجَائِزٌ، وَإِنْ أَعْطَاهَا الإِمَامَ فَجَائِزٌ.

[٨٤] وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ الإِسْلَامِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِله إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

[٨٥] وَأَنَّ مَا قَالَ اللهُ كَمَا قَالَ، وَلَا خُلْفَ لِما قَالَ، وَهُوَ عِنْدَ مَا قَالَ.

[٨٦] وَالإِيمَانُ بِالشَّرَائِعِ كُلِّهَا.

[٨٧] وَاعْلَمْ أَنَّ الشِّرَاءَ وَالبَيْعَ مَا بِيعَ فِي أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ حَلَالٌ مَا بِيعَ عَلَىٰ حُكْمِ الكِتَابِ وَالْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلَهُ تَغْرِيرٌ أَوْ ظُلْمٌ أَوْ غَدْرٌ أَوْ خِلَافٌ لِلقُرْآنِ أَوْ خِلَافٌ لِلْعِلْمِ.

[٨٨] وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلعَبْدِ أَنْ تَصْحَبَهُ الشَّفَقَةُ أَبَدًا مَا صَحِبَ الدُّنْيَا؛ لأَنَّهُ لَا يَدْرِي عَلَىٰ مَا يَمُوتُ، وَبِمَ يُخْتَمُ لَهُ، وَعَلَامَ يَلْقَىٰ اللهَ ﷻ، وَإِنْ عَمِلَ كُلَّ عَمَلٍ مِنَ الخَيْرِ(٤).

وَيَنْبَغِي لِلرَّجُلِ المُسْرِفِ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَلَّا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عِنْدَ المَوْتِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠)، ومسلم (٦٨٥)، بلفظ: «فُرِضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأُقرت صلاة السفر وزِيْدَ في صلاة الحضر».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤)، بلفظ: «من نسي صلاة أو نام عنها؛ فكفارته أن يصليها إذا ذكرها».

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١١٠٩)، ومسلم (٧٠٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «رأيت رسول الله ﷺ إذا أعجله السير في السفر يؤخر صلاة المغرب حتىٰ يجمع بينها وبين العشاء».

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٦٥١).

وَيُحْسِنَ ظَنَّهُ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ(١)، وَيَخَافَ ذُنُوبَهُ(٢)، فَإِنْ رحمه الله فَبِفَضْلٍ، وَإِنْ عَذَّبَهُ فَبِذَنْبٍ.

[٨٩] وَالإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَطْلَعَ نَبِيَّهُ عَلَىٰ مَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ(٣).

[٩٠] وَاعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»(٤).

وهَكَذَا كَانَ الدِّينُ إِلَىٰ خِلَافَةِ عُمَرَ وَهَكَذَا كَانَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ جَاءَ الاخْتِلَافُ وَالبِدَعُ، وَصَارَ النَّاسُ أَحْزَابًا، وصَارُوا فِرَقًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ ثَبَتَ عَلَىٰ الحَقِّ عِنْدَ أَوَّلِ التَّغْيِيرِ، وَقَالَ بِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ.

فَكَانَ الأَمْرُ مُسْتَقِيمًا حَتَّىٰ كَانَتِ الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ فِي خِلَافَةِ بَنِي فُلَانٍ انْقَلَبَ الزَّمَانُ، وَتَغَيَّرَ النَّاسُ جِدًّا، وَفَشَتِ البِدَعُ، وَكَثُرَت الدُّعَاةُ إِلىٰ غَيْرِ سَبِيلِ الحَقِّ وَالجَمَاعَةِ، وَوَقَعَتِ المِحَن فِي شَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَا أَصْحَابُهُ.

وَدَعَوْا إِلىٰ الفُرْقَةِ وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ عَنِ الفُرْقَةِ، وَكَفَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَكُلُّ داعٍ إِلَىٰ رَأْيِهِ وَإِلَىٰ تَكْفِيرِ مَنْ خَالَفَهُ فَضَلَّ الجُهَّالُ وَالرِّعَاعُ وَمَنْ لا عِلْمَ لَهُ، وَأَطْمَعُوا النَّاسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَخَوَّفُوهُمْ عِقَابَ الدُّنْيَا، فَاتَّبَعَهُمُ الخَلْقُ عَلَىٰ خَوْفٍ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٧)، بلفظ: «لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن».

(٢) أخرج ابن ماجه (٤٢٦١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٠١)، من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «كيف تجدك؟» قال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف»، وحسنه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٠٥١).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٨٩١).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢٠٣، ٢٠٤).

فِي دِينِهِم وَرَغْبَةٍ فِي دُنْيَاهُمْ.

فَصَارَتِ السُّنَّةُ وَأَهْلُها مَكْتُومِينَ، وَظَهَرتِ البِدَعُ وَفَشَتْ، وَكَفَرُوا مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّىٰ، وَوَضَعُوا القِيَاسَ، وَحَمَلُوا قُدْرَةَ الرَّبِّ في آيَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ عَلَىٰ عُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ، فَمَا وَافَقَ عُقُولَهم قَبِلُوهُ، وَمَا لَمْ يُوَافِقْ عُقُولَهمْ رَدُّوهُ، فَصَارَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وَالسُّنَّةُ غَرِيبَةً، وَأَهْلُ السُّنَّةِ غُرَبَاءَ فِي جَوْفِ دِيَارِهِمْ.

[٩١]وَاعْلَمْ أَنَّ المُتْعَةَ - مُتْعَةَ النِّسَاءِ - والاسْتِحْلالَ حَرَامٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ [١].

[٩٢] واعْرِفْ لِبَنِي هَاشِمٍ فَضْلَهُمْ؛ لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٢]، وَتَعَرَّفْ فَضْلَ قُرَيْشٍ [٣] وَالعَرَبِ وَجَمِيعِ الأَفْخَاذِ، فَاعْرِفْ قَدْرَهُمْ وَحُقُوقَهُمْ فِي الإِسْلامِ، وَمَوْلَىٰ القَوْمِ مِنْهُمْ [٤]، وَتَعَرَّفْ لِسَائِرِ النَّاسِ حَقَّهُمْ فِي الإِسْلامِ.

وَتَعَرَّفْ فَضْلَ الأَنْصَارِ [٥] وَوَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِمْ [٦]، وَآلَ الرَّسُولِ فَلا تَسُبَّهُمْ، وَتَعَرَّفْ فَضْلَهُمْ، وَجِيرَانَهُ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ فَاعْرِفْ فَضْلَهُمْ.

[٩٣] وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ لَمْ يَزَالُوا يَرُدُّونَ قَوْلَ الجَهْمِيَّةِ، حَتَّىٰ

---

(١) أما المتعة فلما أخرج مسلم (٢١/ ١٤٠٦)، بلفظ: «يا أيها الناس، إني قد كنت أذنتُ لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة...».

أما الاستحلال فلما أخرجه أبو داود (٢٠٧٦)، وابن ماجه (١٩٣٥)، من حديث علي ﷺ قال: «لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له»، وصححه العلامة الألباني في «إرواء الغليل» (١٨٩٧).

(٢) أخرج مسلم (٢٢٧٦)، من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ، قال النبي ﷺ «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

(٣) انظر ما تقدم في الحديث السابق.

(٤) أخرجه البخاري (٦٧٦١)، بلفظ: «مولى القوم من أنفسهم».

(٥) من أحاديث فضائل الأنصار ما أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤)، بلفظ: «آية المنافق بغض الأنصار، وآية المؤمن حب الأنصار».

(٦) أخرج البخاري (٣٨٠١)، ومسلم (٢٥١٠)، بلفظ: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم؛ فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم».

كَانَ فِي خِلافَةِ بَنِي فلان تَكَلَّمَ الرُّوَيْبِضَةُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ، وَطَعَنُوا عَلَىٰ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأَخَذُوا بِالقِيَاسِ وَالرَّأْيِ وكَفَّرُوا مَنْ خَالَفَهُمْ.

فَدَخَلَ فِي قَوْلِهِمُ الجَاهِلُ وَالمُغَفَّلُ وَالَّذِي لا عِلْمَ لَهُ، حَتَّىٰ كَفَرُوا مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ، فَهَلَكَتِ الأُمَّةُ مِنْ وُجُوهٍ، وَكَفَرَتْ مِنْ وُجُوهٍ، وَتَزَنْدَقَتْ مِنْ وُجُوهٍ، وَضَلَّتْ مِنْ وُجُوهٍ، وَتَفَرَّقَتْ وَابْتَدَعَتْ مِنْ وُجُوهٍ، إِلَّا مَنْ ثَبَتَ عَلَىٰ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَمْرِهِ وَأَمْرِ أَصْحَابِهِ، وَلَمْ يُخَطِّئْ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلَمْ يُجَاوِزْ أَمْرَهُمْ، وَوَسِعَهُ مَا وَسِعَهُمْ، وَلَمْ يَرْغَبْ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ، وَعَلِمَ أَنَّهُم كَانُوا عَلَىٰ الإِسْلامِ الصَّحِيحِ، والإِيمَانِ الصَّحِيحِ فَقَلَّدَهُمْ دِينَهُ وَاسْتَرَاحَ، وَعَلِمَ أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ، وَالتَّقْلِيدُ لأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

[٩٤] وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ سَكَتَ فَلَمْ يَقُلْ: مَخْلُوقٌ وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَهَكَذا قَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ[١]. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[٢].

[٩٥] وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ هَلاكُ الجَهْمِيَّةِ: أَنَّهُمْ فَكَّرُوا فِي الرَّبِّ، فَأَدْخَلُوا: لِمَ؟ وكَيْفَ؟ وتَرَكُوا الأَثَرَ، وَوَضَعُوا القِيَاسَ، وَقَاسُوا الدِّينَ عَلَىٰ رَأْيِهِمْ، فَجَاؤُوا بِالكُفْرِ عِيَانًا لا يَخْفَىٰ أنه كفر، وَأكفَروا الخَلْقَ، وَاضْطَرَّهُمُ الأَمْرُ حتىٰ قَالُوا بِالتَّعْطِيلِ.

وَقَال بَعْضُ العُلَمَاءِ - مِنْهُمْ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ: الجَهْمِيُّ كَافِرٌ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، حلالُ الدَّمِ، لا يَرِثُ، وَلا يُورَثُ؛ لأَنَّهُ قَالَ: لا جُمُعَةَ وَلا جَمَاعَةَ، وَلا

(١) انظر: «السنة» لعبد الله (١/ ١٦٣)، و«مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (١٢/ ٣٥٩-٣٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧).

عِيدَينِ وَلا صَدَقَةَ، وَقَالُوا: إِنَّ مَنْ لَمْ يَقُلْ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَاسْتَحَلُّوا السَّيْفَ عَلَىٰ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَخَالَفُوا مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، وَامْتَحَنُوا النَّاسَ بِشَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ وَأَرَادُوا تَعْطِيلَ المَسَاجِدِ وَالجَوَامِعِ.

وَأَوْهَنُوا الإِسْلامَ، وَعَطَّلُوا الجِهَادَ، وَعَمِلُوا فِي الفُرْقَةِ، وَخَالَفُوا الآثَارَ، وَتَكَلَّمُوا بِالمَنْسُوخِ، وَاحْتَجُّوا بِالمُتَشَابِهِ، فَشَكَّكُوا النَّاسَ فِي آرائِهِمْ وأَدْيَانِهِمْ، وَاخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ، وَقَالُوا: لَيْسَ هُنَاكَ عَذَابُ قَبْرٍ، وَلا حَوْضٌ وَلا شَفَاعَةٌ، وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ لَمْ يُخْلَقَا، وَأَنْكَرُوا كَثِيرًا مِمَّا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَحَلَّ مَنِ اسْتَحَلَّ تَكْفِيرَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ مِنْ هَذَا الوَجْهِ؛ لأَنَّ مَنْ رَدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَقَدْ رَدَّ الكِتَابَ كُلَّهُ، وَمَنْ رَدَّ أَثَرًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَدْ رَدَّ الأَثَرَ كُلَّهُ، وَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ العَظِيمِ.

فَدَامَتْ لَهُمُ المُدَّةُ، وَوَجَدُوا مِنَ السُّلْطَانِ مَعُونَةً عَلَىٰ ذَلِكَ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ وَالسَّوْطَ دُونَ ذَلِكَ، فَدَرَسَ عِلْمَ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ وَأَوْهَنُوهُمَا، وَصَارَتَا مَكْتُومَتَيْنِ لإِظْهَارِ البِدَعِ وَالكَلامِ فِيهَا، وَلِكَثْرَتِهِمْ، وَاتَّخَذُوا المَجَالِسَ وأَظْهَروا رَأْيَهُمْ، وَوَضَعُوا فِيهِ الكُتُبَ، وَأَطْمَعُوا النَّاسَ، وَطَلَبُوا لَهُم الرِّئَاسَةَ، فَكَانَتْ فِتْنَةً عَظِيمَةً، لَمْ يَنْجُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ، فَأَدْنَىٰ مَا كَانَ يُصِيبُ الرَّجُلَ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ أَنْ يَشُكَّ فِي دِينِه، أَوْ يُتَابِعَهُمْ أَوْ يَزْعُمَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ الحَقِّ، وَلا يَدْرِي أَنَّهُ عَلَىٰ الحَقِّ أَوْ عَلَىٰ البَاطِلِ، فَصَارَ شَاكًّا، فَهَلَكَ الخَلْقُ حَتَّىٰ كَانَ أَيَّامَ جَعْفَرٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ المُتَوَكِّلُ؛ فَأَطْفَأَ اللهُ بِهِ البِدَعَ، وَأَظْهَرَ بِهِ الحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَطَالَتْ أَلْسِنَتُهُمْ، مَعَ قِلَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ أَهْلِ البِدَعِ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا.

وَالرَّسْمُ وَأَعْلامُ الضَّلالَةِ قَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِهَا، وَيَدْعُونَ إِلَيْهَا، لا مَانِعَ يَمْنَعُهُمْ، وَلا أَحَدَ يَحْجُزُهُمْ عَمَّا يَقُولُون وَيَعْمَلُونَ.

[٩٦] وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ تَجِئْ بِدْعَةٌ قَطُّ إِلَّا مِنَ الهَمَجِ الرَّعَاعِ أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ

مَعَ كُلِّ رِيحٍ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا، فَلا دِينَ لَهُ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧] وَقَالَ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤] وَقَالَ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣] وَهُمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ أَصْحَابُ الطَّمَعِ وَالبِدَعِ.

[٩٧] وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا يَزَالُ النَّاسُ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ وَالسُّنَّةِ، يَهْدِيهِمُ اللهُ، وَيَهْدِي بِهِمْ غَيْرَهُمْ، وَيُحْيِي بِهِمُ السُّنَنَ، فَهُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ مَعَ قِلَّتِهِمْ عِنْدَ الاخْتِلافِ وقَالَ: ﴿الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، فَاسْتَثْنَاهُمْ فَقَالَ: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣] وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[1].

[٩٨] وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ العِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَالكُتُبِ، إِنَّمَا العَالِمُ مَنِ اتَّبَعَ العِلْمَ والسُّنَنَ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ العِلْمِ وَالكُتُبِ، وَمَنْ خَالَفَ الكِتَابَ والسُّنَّةَ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ العِلْمِ وَ الكُتُبِ.

[٩٩] وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ مَنْ قَالَ فِي دِينِ اللهِ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِهِ وَتَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، فَقَدْ قَالَ عَلَى اللهِ مَا لا يَعْلَمُ، وَمَنْ قَالَ عَلَى اللهِ مَا لا يَعْلَمُ فَهُوَ مِنَ المُتَكَلِّفِينَ.

وَالْحَقُّ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالسُّنَّةُ: سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، والجَمَاعَةُ: مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي خِلافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وعُثْمَانَ.

ومَنِ اقْتَصَرَ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَالجَمَاعَةُ فَلَجَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٤).

عَلَىٰ أَهْلِ البِدَعِ كُلِّهَا، وَاسْتَرَاحَ بَدَنُهُ وَسَلِمَ لَهُ دِينُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ، لأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي»[١] وَبَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاجِي مِنْهَا، فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وأَصْحَابِي»[٢]، فَهَذَا هُوَ الشِّفَاءُ وَالبَيَانُ وَالأَمْرُ الوَاضِحُ، وَالمَنَارُ المُسْتَنِيرُ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ وإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَعَلَيْكُمْ بِدِينِكُمُ العَتِيقِ»[٣].

[١٠] وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ العَتِيقَ: مَا كَانَ مِنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ قَتْلِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، وَكَانَ قَتْلُهُ أَوَّلَ الفُرْقَةِ وَأَوَّلَ الاخْتِلافِ، فَتَحَارَبَتِ الأُمَّةُ، وَتَفَرَّقَتْ وَاتَّبَعَتِ الطَّمَعَ وَالأَهْوَاءَ، وَالمَيْلَ إِلَىٰ الدُّنْيَا، فَلَيْسَ لأَحَدٍ رُخْصَةٌ فِي شَيْءٍ أَحْدَثَهُ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ يَكُونُ رجل يَدْعُو إِلَىٰ شَيْءٍ أَحْدَثَهُ مَنْ قَبْلَهُ أَوْ مِنْ قِبَلِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ، فَهُوَ كمَنْ أَحْدَثَهُ، فمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ أَوْ قَالَ بِهِ فَقَدْ رَدَّ السُّنَّةَ، وَخَالَفَ الحَقَّ وَالجَمَاعَةَ، وَأَبَاحَ البِدَعَ، وَهُوَ أَضَرُّ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ إِبْلِيسَ.

وَمَنْ عَرَفَ مَا تَرَكَ أَصْحَابُ البِدَعِ مِنَ السُّنَّةِ، وَمَا فَارَقُوا فِيهِ فَتَمَسَّكَ به فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَصَاحِبُ جَمَاعَةٍ، وَحَقِيقٌ أَنْ يُتَّبَعَ وَأَنْ يُعَانَ وَأَنْ يُحْفَظَ وَهُوَ مِمَّنْ أَوْصَىٰ به رَسُولُ اللهِ ﷺ[٤].

[١١] وَاعْلَموا رَحِمَكُم اللهُ أَنَّ أُصُولَ البِدَعِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ: انْشَعَبَ مِنْ هَذِهِ الأَرْبَعَةِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ هوَىٰ، ثُمَّ يَصِيرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ البِدَعِ يَتَشَعَّبُ حَتَّىٰ تَصِيرَ كُلُّهَا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) هو من قول ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه الدارمي (١٤٢، ١٤٣)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٠٨).

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، بلفظ: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة...»، وصححه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (٨٨).

إِلَىٰ أَلْفَيْنِ وَثَمَانِمِائَةِ مقالة وكُلُّهَا ضَلَالَةٌ، وكُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً: وَهُوَ مَنْ آمَنَ بِمَا فِي هَذَا الكِتَابِ، وَاعْتَقَدَهُ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ فِي قَلْبِهِ، وَلا شُكُوكٍ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَهُوَ النَّاجِي إِنْ شَاءَ اللهُ.

[١٠٢] وَاعْلَمْ رحمك الله لو أَنَّ النَّاسَ وَقَفُوا عِنْدَ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا بِشَيْءٍ وَلَمْ يُوَلِّدُوا كَلامًا مِمَّا لَمْ يَجِئْ فِيهِ أَثَرٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا عَنْ أَصْحَابِهِ لَمْ تَكُنْ بِدْعَةٌ.

[١٠٣] وَاعْلَمْ رحمك الله أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا حَتَّىٰ يَصِيرَ كَافِرًا؛ إِلَّا أَنْ يَجْحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ تعالىٰ، أَوْ يَزِيدَ فِي كَلامِ اللهِ، أَوْ يُنْقِصَ، أَوْ يُنْكِرَ شَيْئًا مِما قَالَ اللهُ، أَوْ شَيْئًا مِمَّا تَكَلَّمَ به رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاتَّقِ الله - رَحِمَكَ اللهُ - وَانظُرْ لِنَفْسِكَ وَإِيَّاكَ وَالغُلُوَّ فِي الدينِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَرِيقِ الحقِّ فِي شَيْءٍ.

[١٠٤] وَجَمِيعُ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الكِتَابِ فَهُوَ عَنِ اللهِ، وَعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ وَعَنِ التَّابِعِينَ وَالقَرْنِ الثَّالِثِ إِلَىٰ القَرْنِ الرَّابِعِ.

فَاتَّقِ اللهَ يا عَبْدَ اللهِ، وَعَلَيْكَ بِالتَّصْدِيقِ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيضِ وَالرِّضَا لِمَا فِي هَذَا الكِتَابِ، وَلا تَكْتُمْ هَذَا الكِتَابَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ فَعَسَىٰ يَرُد اللهُ بِهِ حَيْرَانًا عَنْ حَيْرَتِهِ، أَوْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ عَنْ بِدْعَتِهِ، أَوْ ضَالًّا عَنْ ضَلالَتِهِ فَيَنْجُو بِهِ، فَاتَّقِ اللهَ، وَعَلَيْكَ بِالأَمْرِ الأَوَّلِ العَتِيقِ، وَهُوَ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الكِتَابِ، فَرَحِمَ اللهُ عَبْدًا، وَرَحِمَ وَالِدَيْهِ، قَرَأَ هَذَا الكِتَابَ، وَبَثَّهُ وَعَمِلَ بِهِ، وَدَعَا إِلَيْهِ، وَاحْتَجَّ بِهِ، فَإِنَّهُ دِينُ اللهِ وَدِينُ رَسُولِ اللهِ ﷺ

فَإِنَّهُ مَنِ انْتَحَلَ شَيْئًا خِلافَ مَا فِي هَذَا الكِتَابِ فَإِنَّهُ لَيْسَ يَدِينُ لله بِدِينٍ، وَقَدْ رَدَّهُ كُلَّهُ، كَمَا لَوْ أَنَّ عَبْدًا آمَنَ بِجَمِيعِ مَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا أَنَّهُ شَكَّ فِي حَرْفٍ فَقَدْ رَدَّ جَمِيعَ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَهُوَ كَافِرٌ، كَمَا أَنَّ شَهَادَةَ: أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لا تُقْبَلُ مِنْ صَاحِبِهَا إِلَّا بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَخَالِصِ اليَقِينِ؛ كَذَلِكَ لا يَقْبَلُ اللهُ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ فِي

تَرْكٍ بَعْضٍ، وَمَنْ تَرَكَ مِنَ السُّنَّةِ شَيْئًا فَقَدْ تَرَكَ السُّنَّةَ كُلَّهَا، فَعَلَيْكَ بِالقَبُولِ، وَدَعْ عَنْكَ الْمَحْكَ وَاللَّجَاجَةَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ دِيْنِ اللهِ فِي شَيْءٍ، وَزَمَانُكَ خَاصَّةً، زَمَانُ سُوءٍ فَاتَّقِ اللهَ.

[١٠٥] وَإِذَا وَقَعَتِ الفِتْنَةُ فَالْزَمْ جَوْفَ بَيْتِكَ، وَفِرَّ مِنْ جِوَارِ الفِتْنَةِ(١)، وَإِيَّاكَ وَالعَصَبِيَّةَ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ قِتَالٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ عَلَىٰ الدُّنْيَا فَهُوَ فِتْنَةٌ، فَاتَّقِ اللهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلا تَخْرُجْ فِيهَا، وَلا تُقَاتِلْ فِيهَا، وَلا تَهْوَ وَلا تُشَايِعْ وَلا تُمَايِلْ، وَلا تُحِبَّ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهِمْ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ فِعَالَ قَوْمٍ - خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا - كَانَ كَمَنْ عَمِلَهُ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَرْضَاتِهِ، وَجَنَّبَنَا وَإِيَّاكُمْ مَعْصِيته.

[١٠٦] وَأَقِلَّ النَّظَرَ فِي النُّجُومِ، إِلَّا مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ مَوَاقِيتِ الصَّلاةِ، وَالْهَ عَمَّا سِوَىٰ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ الزَّنْدَقَةِ(٢).

[١٠٧] وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي الكَلامِ، وَالجُلُوسَ إِلَىٰ أَصْحَابِ الكَلامِ(٣).

وَعَلَيْكَ بِالآثَارِ، وَأَهْلِ الآثَارِ، وَإِيَّاهُمْ فَاسْأَلْ، وَمَعَهُمْ فَاجْلِسْ، وَمِنْهُمْ فَاقْتَبِسْ.

[١٠٨] وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ بِمِثْلِ الخَوْفِ مِنَ اللهِ، وَطَرِيقِ الخَوْفِ وَالحَزَنِ وَالشَّفَقَاتِ وَالحَيَاءِ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

[١٠٩] واحْذَرْ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَىٰ الشَّوْقِ والمَحَبَّةِ، وَمَنْ يَخْلُو مَعَ النِّسَاءِ وَطَرِيقِ المَذْهَبِ، فَإِنَّ هَؤُلاءِ كُلَّهُمْ عَلَىٰ الضَّلالَةِ.

[١١٠] وَاعْلَمْ رحمك الله أَنَّ اللهَ تبارك وتَعَالَىٰ دَعَا الخَلْقَ كُلَّهُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ، ومَنَّ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ بِالإِسْلامِ تَفَضُّلًا مِنْهُ.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٥/ ١٤٩)، وصححه العلامة الألباني في «إرواء الغليل» (٢٤٥١).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٧٩٣).

(٣) قال الإمام أحمد: «لا تجالسوا أصحاب الكلام وإن ذبوا عن السنة». أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣/ ٤٢١)، وابن الجوزي في «مناقب أحمد» (ص٢١٠).

[١١١] وَالكَفُّ عَنْ حَرْبِ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَعَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ومَنْ كَانَ مَعَهُم، وَلا تُخَاصِم فِيهِم، وَكِلْ أَمْرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُم وَذِكْرَ أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي وَأَخْتَانِي»[١].

وقَوْلُهُ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُم»[٢].

[١١٢] وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّهُ لا يَحِلُّ مالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ[٣]، وَإِنْ كَانَ مَعَ رَجُلٍ مَالٌ حَرَامٌ فَقَدْ ضَمِنَهُ، لا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّهُ عَسَىٰ أَنْ يَتُوبَ هَذَا فيُرِيد أَنْ يَرُدَّهُ عَلَىٰ أَرْبَابِهِ فَأَخَذْتَ حَرَامًا.

[١١٣] وَالمَكَاسِبُ مطلقة مَا بَانَ لَكَ صِحَّتُهُ فَهُوَ مُطْلَقٌ، إِلَّا مَا ظَهَرَ فَسَادُهُ، وَإِنْ كَانَ فَاسِدًا يَأْخذ مِنَ الفَسَادِ مَسِيكَةَ نَفْسِهِ، لا تَقُولُ: أَتْرُكُ المَكَاسِبَ وآخُذُ مَا أَعْطَوْنِي، لَمْ يَفْعَلْ هَذَا الصَّحَابَةُ وَلا العُلَمَاءُ إِلَىٰ زَمَانِنَا هَذَا، وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: كَسْبٌ فِيهِ بَعْضُ الدَّنِيَّةِ خَيْرٌ مِنَ الحَاجَةِ إِلَىٰ النَّاسِ[٤].

[١١٤] وَالصَّلَوَاتُ الخَمْسُ جَائِزَةٌ خَلْفَ مَنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَهْمِيًّا، فَإِنَّهُ مُعَطِّلٌ، وَإِنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ فَأَعِدْ صَلاتَكَ، وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ جَهْمِيًّا وَهُوَ سُلْطَانٌ فَصَلِّ خَلْفَهُ، وَأَعِدْ صَلاتَكَ، وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ صَاحِبَ سُنَّةٍ فَصَلِّ خَلْفَهُ وَلا تُعِدْ صَلاتَكَ.

---

(١) ورد بألفاظ متقاربة، وكلها لا تصح، انظر: «الضعيفة» (٣٦٠١) للألباني، و«ضعيف الجامع» (١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١١٣)، بلفظ: «ألا ولا يحل لامرئ من مال أخيه شيء إلا بطيب نفس منه...»، وصححه العلامة الألباني في «إرواء الغليل» (١٤٥٩).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٣٢١)، وابن حبان في «الثقات» (٨/ ٢٠٤)، من طرق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[١١٥]وَالإِيمَانُ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ دُفِنَا هُنَاكَ مَعَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَ القَبْرَ فَالتَّسْلِيمُ عَلَيْهِما وَاجِبٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

[١١٦]وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ وَاجِبٌ (١) إِلَّا مَنْ خِفْتَ سَيْفَهُ أَوْ عَصَاهُ.

[١١٧]والتَّسْلِيمُ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ أَجْمَعِينَ (٢).

[١١٨] ومَنْ تَرَكَ صَلاةَ الجُمُعَةِ وَالجَمَاعَةِ فِي المَسْجِدِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ (٣)، والعُذْرُ: كَمَرَضٍ لا طَاقَةَ لَهُ بِالخُرُوجِ إِلَىٰ المَسْجِدِ، أَوْ خَوْفٍ مِنْ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَلا عُذْرَ لَه.

[١١٩]وَمَنْ صَلَّىٰ خَلْفَ إِمَامٍ فَلَمْ يَقْتَدِ بِهِ فَلا صَلاةَ لَهُ.

[١٢٠]وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ بِاليَدِ وَاللِّسَانِ وَالقَلْبِ بِلا سَيفٍ.

[١٢١]وَالمَسْتُورُ مِنَ المُسْلِمِينَ مَنْ لم تَظْهَرْ له رِيبَةٌ.

[١٢٢]وَكُلُّ عَلْمٍ ادَّعَاهُ العِبَادُ مِنْ عِلْمِ البَاطِنِ لَمْ يُوجَدْ فِي الكِتَابِ والسُّنَّةِ، فَهُوَ بِدْعَةٌ وضَلالَةٌ، وَلا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أن يَعْمَلَ بِهِ، وَلا يَدْعُو إِلَيْهِ.

[١٢٣]وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ فَإِنَّهَا لا تَحِلُّ لَهُ، يُعَاقَبَانِ إِنْ نَالَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ (٤) وَصَدَاقٍ.

[١٢٤]وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ قَوْلِ سُوءٍ وَهَوًىٰ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا» (٥)

---

(١)كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٤٩)، بلفظ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره...».

(٢)كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٥٤).

(٣)كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (١٠٥٢)، بلفظ: «من ترك ثلاث جُمَع تهاونًا بها طبع الله علىٰ قلبه»، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٦٥).

(٤)أخرجه أبو داود (٢٠٨٥)، وصححه العلامة الألباني في «الإرواء» (١٨٣٩).

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٧٨/ ٢)، بلفظ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكِرَت النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكِرَ القدر فأمسكوا»، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٣٤).

قَدْ عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الزَّلَلِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَلَمْ يَقُلْ فِيهِم إِلَّا خَيْرًا، وقَوْلُهُ: «ذَرُوا أَصْحَابِي، لا تَقُولُوا فِيهِم إِلَّا خَيْرًا»(١) وَلا تُحَدِّثْ بِشَيْءٍ مِنْ زَلَلِهِمْ، وَلا حَرْبِهِمْ، وَلا مَا غَابَ عَنْكَ عِلْمُهُ، وَلا تَسْمَعْهُ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِهِ، فَإِنَّهُ لا يَسْلَمُ لَكَ قَلْبُكَ إِنْ سَمِعْتَ.

[١٢٥] وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَىٰ الآثارِ أَوْ يَرُدُّ الآثار أَوْ يُرِيدُ غَيْرَ الآثارِ فَاتَّهِمْهُ عَلَىٰ الإِسْلامِ، وَلا تَشُكَّ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًىٰ مُبْتَدِعٌ.

[١٢٦] وَاعْلَمْ أَنَّ جَوْرَ السُّلْطَانِ لا يُنْقِصُ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ ﷻ الَّتِي افْتَرَضَهَا عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، جَوْرُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَتَطَوُّعُكَ وَبِرُّكَ مَعَهُ تَامٌّ إِنْ شَاءَ اللهُ، يَعْنِي الجَمَاعَةَ وَالجُمُعَةَ مَعَهُم، والجِهَادَ مَعَهُم، وَكُلَّ شَيْءٍ مِنَ الطَّاعَاتِ فَشَارِكْ فِيهِ، فَلَكَ نِيَّتُكَ.

[١٢٧] وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو عَلَىٰ السُّلْطَانِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًىٰ، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو لِلسُّلْطَانِ بِالصَّلاحِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ شَاءَ اللهُ؛ لِقَوْلِ فُضَيْلٍ: «لَوْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مَا جَعَلْتُهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ».

أَنَا أَحْمَدُ بنُ كَامِلٍ قَالَ: نَا الحُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ، نَا مَرْدَوَيْه الصَّائِغُ، قَالَ: سَمِعْتُ فُضَيْلًا يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً مَا جَعَلْتُهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ.

قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، فَسِّرْ لَنَا هَذَا. قَالَ: «إِذَا جَعَلْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تَعْدُنِي، وَإِذَا جَعَلْتُهَا فِي السُّلْطَانِ صَلَحَ، فَصَلَحَ بِصَلاحِهِ العِبَادُ وَالبِلادُ»(٢).

فَأُمِرْنَا أَنْ نَدْعُوَ لَهُمْ بِالصَّلاحِ، وَلَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نَدْعُوَ عَلَيْهِم إِنْ ظَلَمُوا وَإِنْ جَارُوا؛ لأَنَّ ظُلْمَهُمْ وَجَوْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَصَلاحَهُم لأَنْفُسِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٦)، بلفظ: «دعوا لي أصحابي»، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٩٢٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٤٤٧)، من طريق مردويه الصائغ به.

[١٢٨] وَلا تَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ إِلَّا بِخَيْرٍ.

[١٢٩] وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الفَرَائِضَ فِي جَمَاعَةٍ مَعَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ بِالفَرَائِضِ فِي جَمَاعَةٍ وَإِنْ كَانَ مَعَ السُّلْطَانِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى.

[١٣٠] والحَلالُ مَا شَهِدْتَ عَلَيْهِ وَحَلَفْتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَلالٌ؛ وَكَذَلِكَ الحَرَامُ، وَمَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ فَهُوَ شُبْهَةٌ[١].

[١٣١] وَالمَسْتُورُ مَنْ بَانَ سِتْرُهُ، والمَهْتُوكُ مَنْ بَانَ هَتْكُهُ.

[١٣٢] وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فُلانٌ مُشَبِّهٌ، وفُلانٌ يَتَكَلَّمُ في التَّشْبِيهِ؛ فَاتَّهِمْهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ.

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: تَكَلَّمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَاشْرَحْ لِيَ التَّوْحِيدَ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ خَارِجِيٌّ مُعْتَزِلِيٌّ[٢]، أَوْ يَقُولُ: فُلانٌ مُجْبِرٌ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالإِجْبَارِ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالعَدْلِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدَرِيٌّ؛ لأَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ مُحْدَثَةٌ أَحْدَثَهَا أَهْلُ الأَهْوَاءِ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ: «لَا تَأْخُذُوا عَنْ أَهْلِ الكُوفَةِ فِي الرَّفْضِ شَيْئًا، وَلا عَنْ أَهْلِ الشَّامِ فِي السَّيْفِ شَيْئًا، وَلا عَنْ أَهْلِ البَصْرَةِ فِي القَدَرِ شَيْئًا، وَلا عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ فِي الإِرجَاءِ شَيْئًا، وَلا عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الصَّرْفِ شَيْئًا، وَلا عَنْ أَهْلِ المَدِينَةِ فِي الغِنَاءِ، لا تَأْخُذُوا عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الأَشْيَاءِ شَيْئًا».

[١٣٣] وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَنَسَ بنَ مَالِكٍ، وَأُسَيدَ بنَ حُضَيرٍ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَيُّوب، وابنَ عَوْنٍ،

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، بلفظ: «إن الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ».

(٢) المقصود بالتوحيد هنا: هو توحيد المعتزلة. فإن للمعتزلة أصولًا خمسة؛ منها التوحيد، ويعنون به: نفي الصفات عن الله تبارك وتعالى. وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٨٧)، و«درء التعارض» (١/ ٢٢٤).

وَيُونُسَ بنَ عُبَيْدٍ، وَعَبْدَ اللهِ بنَ إِدْرِيسَ الأَوْدِي، وَالشَّعْبِيَّ، وَمَالِكَ بنَ مِغْوَلٍ، وَيزِيدَ بنَ زُرَيعٍ، وَمُعَاذَ بنَ مُعَاذٍ، وَوَهْبَ بنَ جَرِيرٍ، وَحَمَّادَ بنَ سَلَمَةَ، وَحَمَّادَ بنَ زَيدٍ، وَمَالِكَ بنَ أَنسٍ، والأَوْزَاعِيَّ، وَزَائِدَةَ بنَ قُدَامَةَ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ الحَجَّاجَ بنَ المِنْهَالِ، وأَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، وأَحْمَدَ بنَ نَصْرٍ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إن شاء الله.

إذا ذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ، وَقَالَ بِقَوْلِهِمْ.

[١٣٤] وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَجْلِسُ مَعَ رجل من أَهْلِ الأَهْوَاءِ فَحَذِّرْهُ، وَعَرِّفْهُ، فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُ بَعْدَمَا عَلِمَ فَاتَّقِهِ، فَإِنَّهُ صَاحِبُ هَوًى.

[١٣٥] وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ تَأْتِيهِ بِالأَثَرِ فَلا يُرِيدُهُ، ويُرِيدُ القُرْآنَ فَلا تَشُكَّ أَنَّهُ رَجُلٌ قَدِ احْتَوَى عَلَى الزَّنْدَقَةِ، فَقُمْ مِنْ عِنْدِهِ(١) وَدَعْهُ.

[١٣٦] وَاعْلَمْ أَنَّ الأَهْوَاءَ كُلَّهَا رَدِيَّةٌ تَدْعُو كُلُّهَا إِلَى السَّيْفِ، وَأَرْدَاهَا وَأَكْفَرُهَا: الرَّوَافِضُ، والمُعْتَزِلَةُ، والجَهْمِيَّةُ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدونَ النَّاسَ عَلَى التَّعْطِيلِ والزَّنْدَقَةِ.

[١٣٧] وَاعْلَمْ أَنَّه مَنْ تَنَاوَلَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدًا ﷺ وَقَدْ آذَاهُ فِي قَبْرِهِ.

[١٣٨] وَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مِنَ إِنْسَانٍ شَيْءٌ مِنَ البِدَعِ، فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّ الَّذِي أَخْفَى عَنْكَ أَكْثَرُ مِمَّا أَظْهَرَ.

[١٣٩] وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة رَدِيءَ الطَّرِيق والمَذْهَبِ، فَاسِقًا فَاجِرًا، صَاحِبَ مَعَاصٍ ضالًّا ظَالِمًا، وَهُوَ عَلَى السُّنَّةِ فَاصْحَبْهُ، وَاجْلِسْ مَعَهُ، فَإِنَّهُ

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الدارمي (٥٨٧)، والترمذي (٢٦٦٤)، بلفظ: «يوشك الرجل متكئًا على أريكته يُحدِّث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله فهو مثل ما حرم الله»، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٦٣).

لَيْسَ تَضُرُّكَ مَعْصِيَتُهُ.

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُجْتَهِدًا فِي العِبَادَةِ مُتَقَشِّفًا مُحْتَرِقًا بِالعِبَادَةِ صَاحِبَ هَوًى، فَلا تُجَالِسْهُ، ولا تقعد معه، وَلا تَسْمَعْ كَلامَهُ، وَلا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ، فَإِنِّي لا آمَنُ أَنْ تَسْتَحْلِيَ طَرِيقَته فَتَهْلِكَ مَعَهُ.

ورَأَىٰ يُونُسُ بنُ عُبَيْدٍ ابْنَهُ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ صَاحِبِ هَوًى، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ مِنْ أَيْنَ جِئت؟ قَالَ: مِنْ عِنْدِ فلان، قَالَ: يَا بُنَيَّ، لأَنْ أَرَاكَ تخرج مِنْ بَيتِ خُنثَىٰ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَاكَ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِ فُلانٍ (١) وَلأَنْ تَلْقَىٰ الله يَا بُنَيَّ زَانِيًا سَارِقًا فاسقًا خَائِنًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِقَوْلِ فُلانٍ وفُلانٍ.

أَلا تَرَىٰ أَنَّ يُونُسَ بنَ عُبَيْدٍ عَلِمَ أَنَّ الخُنثَىٰ لا يُضِلُّ ابْنَهُ عَنْ دِينِهِ، وَأَنَّ صَاحِبَ البِدْعَةِ يُضِلُّهُ حَتَّىٰ يُكَفِّرَه.

[١٤٠]واحْذَرْ ثُمَّ احْذَرْ أَهْلَ زَمَانِكَ خَاصَّةً، وَانْظُرْ مَنْ تُجَالِسُ، وَمِمَّنْ تَسْمَعُ، وَمَنْ تَصْحَبُ، فَإِنَّ الخَلْقَ كَأَنَّهُمْ فِي رِدَّةٍ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهُمْ.

[١٤١]وَانظر إِذَا سمعت الرَّجُلَ يَذْكُرُ ابنَ أَبِي دُؤَادٍ، وَبِشْرًا المرِيسِيَّ، وَثُمَامَةَ، أَوْ أَبَا الهُذَيلِ، أَوْ هِشَامًا الفُوطِيَّ، أَوْ أَحَدًا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَأَشْيَاعِهِمْ، فَاحْذَرْهُ فَإِنَّهُ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، فَإِنَّ هَؤُلاءِ كَانُوا عَلَىٰ الرِّدَّةِ، وَاتْرُكْ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي ذَكَرَهُمْ بِخَيرٍ، وَمَنْ ذَكَرَ مِنْهُم بمنزلتهم.

[١٤٢]وَالمِحْنَةُ فِي الإِسْلامِ بِدْعَةٌ، وَأَمَّا اليَوْمَ فَيُمْتَحَنُ بِالسُّنَّةِ، لِقَوْلِهِ: «إِنَّ هَذَا العِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ» (٢)، وقَوْلِهِ: «لا تَقْبَلُوا الحَدِيثَ إِلَّا مِمَّنْ

---

(١) أخرجه بنحوه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٣٧٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٧٢)، والبغوي في «الجعديات» (١٣٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢١)، من طريق خويل ختن شعبة بن الحجاج رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة (١/ ١٤)، من قول محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ، وصححه العلامة الألباني في

تَقْبَلُونَ شَهَادَتَهُ»[1] فَتَنْظُر فَإِنْ كَانَ صَاحِبَ سُنَّة لَهُ مَعْرِفَةٌ صَدُوقٌ كَتَبْتَ عَنْهُ وَإِلَّا تَرَكْتَهُ.

[١٤٣] وَإِذَا أَرَدْتَ الاسْتِقَامَةَ عَلَىٰ الحَقِّ وَطَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ قَبْلَكَ، فَاحْذَرِ الكَلَامَ، وَأَصْحَابَ الكَلَامِ وَالْجِدَالِ وَالمِرَاءِ، وَالقِيَاسِ وَالمُنَاظَرَةَ في الدِّينِ، فَإِنَّ اسْتِمَاعَكَ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي القَلْبِ، وَكَفَىٰ بِهِ قَبُولًا، فَتَهْلِكُ، وَمَا كَانَتْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ، وَلا بِدْعَةٌ، وَلا هَوىً، وَلا ضَلالَةٌ، إِلَّا مِنَ الكَلَامِ وَالجِدَالِ وَالمِرَاءِ وَالقِيَاسِ، وَهِيَ أَبْوَابُ البِدْعَةِ، وَالشُّكُوكِ وَالزَّنْدَقَةِ.

[١٤٤] فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ، وَعَلَيْكَ بِالآثَارِ وأَصْحَابِ الأَثَرِ وَالتَّقْلِيدِ، فَإِنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ، يَعْنِي: لِلنَّبِيِّ ﷺ وأَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ، وَمَنْ قَبْلَنَا لَمْ يَدَعُونَا فِي لَبْسٍ فَقَلِّدْهُمْ وَاسْتَرِحْ، وَلا تُجَاوِزِ الأَثَرَ وَأَهْلَ الأَثَرِ.

وَقِفْ عِنْدَ المُتَشَابِهِ وَلا تَقِسْ شَيْئًا.

[١٥٤] وَلا تَطْلُبْ مِنْ عِنْدِكَ حِيلَةً تَرُدُّ بِهَا عَلَىٰ أَهْلِ البِدَعِ، فَإِنَّكَ أُمِرْتَ بَالسُّكُوتِ عَنْهُمْ، وَلا تُمَكِّنْهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدَ بنَ سِيرِينَ فِي فَضْلِهِ لَمْ يُجِبْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ البِدَعِ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلا سَمِعَ مِنْهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «أَخَافُ أَنْ يُحَرِّفَهَا فَيَقَعُ فِي قَلْبِي شَيْءٌ»[2].

[١٥٥] وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: إِنَّا نَحْنُ نُعَظِّمُ اللهَ، إِذَا سَمِعَ آثَارَ رَسُولِ اللهِ

=

«المشكاة» (٢٧٣).

(١) أخرجه الخطيب في «الكفاية في علم الرواية» (ص٩٥)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (ص٤١١)، وقال العلامة الألباني في «الضعيفة» (٣٩٠): باطل، ولفظه: «لا تأخذوا الحديث إلا ممن تجيزون شهادته».

(٢) أخرجه الدارمي (٣٩٧)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٤٢)، وابن بطة في «الإبانة» (٣٧٧) عن محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ.

ﷺ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَدْفَع بِهَذِهِ الكَلِمَةِ آثار رسول الله ﷺ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُعَظِّمُ اللهَ ويُنَزِّهُهُ إِذَا سَمِعَ حَدِيثَ الرُّؤْيَةِ، وَحَدِيثَ النُّزُولِ، وَغَيْرَهُ، أَفَلَيْسَ يردُّ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وإِذَا قَالَ: إِنَّا نُعَظِّمُ اللهَ أَنْ يَزُولَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنْ غَيْرِهِ، فَاحْذَرْ هَؤُلاءِ، فَإِنَّ جُمْهُورَ النَّاسِ مِنَ السُّوقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَىٰ هَذَا الحالِ، وَحَذِّرِ النَّاسَ مِنْهُمْ.

[١٤٦] وَإِذَا سَأَلَكَ أَحَدٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي هَذَا الكتابِ وَهُوَ مُسْتَرْشِدٌ فَكَلِّمْهُ وَأَرْشِدْهُ، وَإِذَا جَاءَكَ يُنَاظِرُكَ؛ فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّ فِي المُنَاظَرَةِ: المِرَاء وَالجِدَال وَالمُغَالَبَة والخُصُومَة وَالغَضَب، وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ هَذَا جِدًّا، يُخْرِجانِ جَمِيعًا مِنْ طَرِيقِ الحَقِّ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ فُقَهَائِنَا وَعُلَمَائِنَا أَنَّهُ نَاظَرَ أَوْ جَادَلَ أَوْ خَاصَمَ.

[١٤٧] قَالَ الحَسَنُ: «الحَكِيمُ لا يُمَارِي وَلا يُدَارِي، حِكْمَتَهُ يَنْشُرُهَا؛ إِنْ قُبِلَتْ حَمِدَ اللهَ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمِدَ الله»[١].

وجَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ الحَسَنِ فَقَالَ: أَنَا أُنَاظِرُكَ فِي الدِّينِ، فَقَالَ الحَسَنُ: «أَنَا عَرَفْتُ دِينِي، فَإِنْ ضَلَّ دِينُكَ فَاذْهَبْ فَاطْلُبْهُ»[٢].

وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ هُوَ التَّقْلِيدُ، والتَّقْلِيدُ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَسَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمًا عَلَىٰ بَابِ حُجْرَتِهِ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذَا؟ وقَالَ الآخَرُ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذَا؟ فَخَرجَ مُغْضَبًا فَقَالَ: «أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ؟! أَمْ بِهَذا بُعِثْتُ إِلَيكُمْ؟! أَنْ تَضرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَه بِبَعْضٍ؟!»[٣] فَنَهَىٰ عَنِ الجِدَالِ.

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد في «زوائده على الزهد لابن المبارك» (٣٠)، وابن بطة في «الإبانة» (٦١١) عن الحسن رحمه الله، وإسناده ضعيف؛ لأن فيه راوٍ مبهم.

(٢) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢١٥)، والآجري في «الشريعة» (ص٥٧)، وابن بطة في «الإبانة» (٥٨٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٥، ١٩٦)، وحسنه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (٦٠٤).

وَكَانَ ابنُ عُمَرَ يَكْرَهُ المُنَاظَرَةَ، ومَالِكُ بنُ أَنَسٍ، ومَنْ فَوْقَهُ، ومَنْ دُونَهُ، إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا، وَقَوْلُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ قَوْلِ الخَلْقِ، قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤].

وسَأَلَ رَجُلٌ عُمَرَ فَقَالَ: مَا ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ [النازعات: ٢]؟ فَقَالَ: «لَوْ كُنْتَ مَحْلُوقًا، لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ».

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «المُؤْمِنُ لا يُمَارِي، وَلا أَشْفَعُ لِلْمُمَارِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَدَعُوا المِرَاءَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ»(١).

[١٤٨] وَلا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ: فُلانٌ صَاحِبُ سُنَّةٍ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ مِنْهُ أَنَّهُ قَدِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ خِصَالُ السُّنَّةِ، لا يُقَالُ لَهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ حَتَّىٰ تَجْتَمِعَ فِيهِ السُّنَّةُ كُلُّهَا.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ: «أَصْلُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ هَوَىٰ أَرْبَعَةُ أَهْوَاءٍ، فَمِنْ هَذِهِ الأَرْبَعَةِ أَهْوَاءٍ انشَعَبَتْ هذه الاِثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوَىٰ: القَدَرِيَّةُ، وَالمُرْجِئَةُ، وَالشِّيعَةُ، والخَوَارِجُ»(٢).

فَمَنْ قَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وعُثْمَانَ وَعَلِيًّا عَلَىٰ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي البَاقِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ وَدَعَا لَهُمْ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ التَّشَيُّعِ أَوَّلِهِ وآخِرِهِ.

وَمَنْ قَالَ: الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الإِرْجَاءِ كُلِّهِ أَوَّلِهِ وآخِرِهِ.

وَمَنْ قَالَ: الصَّلاةُ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وفَاجِرٍ، والجِهَادُ مَعَ كُلِّ خَلِيفَةٍ، وَلَمْ يَرَ الخُرُوجَ عَلَىٰ السُّلْطَانِ بِالسَّيْفِ، وَدَعَا لَهُمْ بِالصَّلاحِ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الخَوَارِجِ أَوَّلِهِ وآخِرِهِ.

---

(١) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٢٥، ٢٢٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٣/ ٣٦٧، ٣٦٨)، وقال العلامة الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١١٤): موضوع.

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢٧٨)، من طريق حفص بن حميد عن ابن المبارك.

وَمَنْ قَالَ: المَقَادِيرُ كُلُّهَا مِنَ اللهِ، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، يُضِلُّ مِنْ يَشَاءُ، ويَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ القَدَرِيَّةِ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

[١٤٩] وَبِدْعَةٌ ظَهَرَتْ هِيَ كُفْرٌ بِاللهِ العَظِيمِ، وَمَنْ قَالَ بِهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ لا شَكَّ فِيهِ، مَنْ يُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ، ويَقُولُ: عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ حَيٌّ، وَسَيَرْجِعُ قَبْلَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ، وَجَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ، وَمُوسَىٰ بنُ جَعْفَرٍ، وتَكَلَّمُوا فِي الإِمَامَةِ، وأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الغَيْبَ، فَاحْذَرْهُمْ، فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللهِ العَظِيمِ، وَمَنْ قَالَ بِهَذَا القَوْلِ.

قَالَ طُعْمَةُ بنُ عَمْرٍو، وسُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ: «مَنْ وَقَفَ عِنْدَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، فَهُوَ شِيعِيٌّ، لا يُعَدَّلُ، وَلا يُكَلَّمُ، وَلا يُجَالَسُ، وَمَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَىٰ عُثْمَانَ فَهُوَ رَافِضِيٌّ، قَدْ رَفَضَ أمر أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنْ قَدَّمَ الأَرْبَعَةَ عَلَىٰ جَمَاعَتِهِمْ، وَتَرَحَّم عَلَىٰ البَاقِينَ وَكَفَّ عَنْ زَلَلِهِمْ، فَهُوَ عَلَىٰ طَرِيقِ الاسْتِقَامَةِ وَالهُدَىٰ فِي هَذَا البَابِ».

[١٥٠] وَالسُّنَّةُ أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ العَشَرَةَ الَّذِينَ شَهِدَ لَـهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ أَنَّهُمْ فِي الجَنَّةِ لا شَكَّ.

[١٥١] وَلا تُفْرِدْ بِالصَّلاةِ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَىٰ آلِهِ فَقَطْ.

[١٥٢] وتَعَلَّمْ أَنَّ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَمَنْ قَتَلَهُ كَانَ ظَالِـمًا.

[١٥٣] فَمَنْ أَقَرَّ بِمَا فِي هَذَا الكِتَابِ وَآمَنَ بِهِ وَاتَّخَذَهُ إِمَامًا، وَلَمْ يَشُكَّ فِي حَرْفٍ مِنْهُ، وَلَمْ يَجْحَدْ حَرْفًا وَاحِدًا؛ فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَجَمَاعَةٍ، كَامِلٌ قَدِ كَمُلَتْ فِيهِ السُّنَّةُ، وَمَنْ جَحَدَ حَرْفًا مِمَّا فِي هَذَا الكِتَابِ، أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنْهُ، أَوْ شَكَّ فيه أو وَقَفَ، فَهُوَ صَاحِبُ هَوًىٰ.

وَمَنْ جَحَدَ أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنَ القُرْآنِ أَوْ فِي شَيْءٍ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ - لَقِيَ اللهَ تَعَالَىٰ مُكَذِّبًا، فَاتَّقِ اللهَ وَاحْذَرْ وَتَعَاهَدْ إِيمَانَكَ.

[١٥٤] ومِنَ السُّنَّةِ أَلا تُعِينَ أَحَدًا عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا أُولِي الْخَيْرِ ولا الخَلْقَ أَجْمَعِيْنَ، لا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلا يُحِبُّ عَلَيْهِ أَحَدًا، وَاكْرَهْ ذَلِكَ كُلَّهُ للهِ

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

[١٥٥]وَالإِيمَانُ بِأَنَّ التَّوْبَةَ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ العِبَادِ، أَنْ يَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ ﷻ مِنْ كَبِيرِ المَعَاصِي وَصَغِيرِهَا.

[١٥٦]وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ؛ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، وَضَلالَةٍ، شَاكٌّ فِيمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

قَالَ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ: «مَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ مَاتَ، كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وإِنْ كَانَ لَهُ تَقْصِيرٌ فِي العَمَلِ».

وقَالَ بِشْرُ بنُ الحَارِثِ: «الإِسْلامُ هُوَ السُّنَّةُ، والسُّنَّةُ هِيَ الإِسْلامُ».

وقَالَ فُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ: «إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَكَأَنَّمَا أَرَىٰ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ البِدَعِ فَكَأَنَّمَا أَرَىٰ رَجُلًا مِنَ المُنَافِقِينَ».

وقَالَ يُونُسُ بنُ عُبَيْدٍ: «العَجَبُ مِمَّنْ يَدْعُو اليَوْمَ إِلَىٰ السُّنَّةِ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ ومَنْ يُجِيبُ إِلَىٰ السُّنَّةِ فَيَقْبَلُ» (١)

وكَانَ ابنُ عَوْنٍ يَقُولُ عِنْدَ المَوْتِ: «السُّنَّةَ، السُّنَّةَ، وَإِيَّاكُمْ وَالبِدَعَ» حَتَّىٰ مَاتَ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: «ومَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَرُئِيَ فِي المَنَامِ، فَقَالَ: قُولُوا لأَبِي عَبْدِ اللهِ: عَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي الله سألني عَنِ السُّنَّةِ».

وَقَالَ أَبُو العَالِيَةِ: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ السُّنَّةِ مَسْتُورًا فَهُوَ صِدِّيق وَيُقَالُ: الاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ» (٢)

---

(١)أخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢١)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢١، ٢٢، ٢٣)، من طرق عن يونس بن عبيد.

(٢)أخرجه الدارمي (٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٦٩)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٣٦، ١٣٧)، عن الزهري قال: «كان من مضى من علمائنا يقول: الاعتصام بالسنة نجاة».

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: «مَنْ أَصْغَىٰ بِأُذُنِهِ إِلَىٰ صَاحِبِ بِدْعَةٍ خَرَجَ مِنْ عِصْمَةِ اللهِ، وَوُكِلَ إِلَيْهَا» يَعْنِي إِلَىٰ البِدَعِ[١].

وَقَالَ دَاوُدُ بنُ أَبِي هِنْدٍ: «أَوْحَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ مُوسَىٰ بنِ عِمْرَانَ: لا تُجَالِسْ أَهْلَ البِدَعِ، فَإِنْ جَالَسْتَهُمْ فَحَاكَ فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُونَ أَكْبَبْتُكَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»[٢].

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ لَمْ يُعْطَ الحِكْمَةَ»[٣]. وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «لا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ»[٤]. وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «مَنْ أَحَبَّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ؛ أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ، وَأَخْرَجَ نُورَ الإِسْلامِ مِنْ قَلْبِهِ»[٥]. وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ وَرَّثَهُ الْعَمَىٰ. وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاض: إذا رأيت صاحب بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ، فَجُزْ فِي طَرِيق غَيْرِهِ»[٦].

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَىٰ هَدْمِ الإِسْلامِ[٧]، وَمَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ؛ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٦، ٣٤)، وابن بطة في «الإبانة» (٤٤٤)، عن سفيان رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أخرج الآجري في «الشريعة» (ص٥٧)، وابن بطة في «الإبانة» (٥٥٦) نحوه عن خصيف الجزري.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٨٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١١٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣).

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٧٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٢)، وابن بطة في «الإبانة» (٤٤١، ٤٥١).

(٥) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، وابن بطة في «الإبانة» (٤٤٠).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، وابن بطة في «الإبانة» (٤٩٣).

(٧) انظر: «الضعيفة» للألباني (١٨٦٢).

ﷺ، وَمَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ مُبْتَدِعٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا، وَمَنْ تَبِعَ جَنَازَةَ مُبْتَدِعٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ»[١].

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «آكُلُ مَعَ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ وَلا آكُلُ مَعَ مُبْتَدِعٍ، وَأُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ»[٢].

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «إِذَا عَلِمَ اللهُ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّهُ مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ؛ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ[٣]، وَلا يَكُنْ صَاحِبُ سُنَّةٍ يُمَالِئُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ إِلَّا نِفَاقًا[٤]، وَمَنْ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا، وَمَنِ انْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ آمَنَهُ اللهُ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، رَفَعَهُ اللهُ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، فَلا تَكُنْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي اللهِ أَبَدًا».

انْتَهَىٰ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

* * *

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣).

(٢) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١١٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٨/ ٣٩٧).

(٤) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٦٦)، وابن بطة في «الإبانة» (٤٢٩).

٦- صريح السنة للطبري

للإمام

أبي جَعفَرِ مُحَمَّدِ بنِ جَرِير الطَّبَرِيِّ

(٢٢٤-٣١٠هـ)

٦- صريح السنة للطبري

بسم الله الرحمن الرحيم

وَصلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

أخبَرَنَا الشَّيخُ أبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ بنِ الحَسَنِ الأسَدِيُّ، أنبَأنَا جَدِّي أبو القَاسِمِ الحُسَينُ بنُ الحَسَنِ بنِ مُحَمَّدٍ الأسَدِيُّ، أنبَأنَا أبو القَاسِمِ عَلِيُّ بنُ أبِي العَلَاءِ، أنبَأنَا أبو مُحَمَّدٍ عَبدُ الرَّحمَنِ بنِ عُثمَانَ بنِ أبِي نَصرٍ، أنبَأنَا أبو سَعِيدٍ عَمرُو بنُ مُحَمَّدِ بنِ يَحيَىٰ الدِّينَوَرِي، قَالَ: قُرِئَ عَلَىٰ أبِي جَعفَرٍ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ - وَأنَا أسمَعُ -.

١- الحَمدُ للَّهِ مُفْلِجِ الحَقِّ وَنَاصِرِهِ، وَمُدحِضِ البَاطِلِ وَمَاحِقِهِ، الَّذِي اختَارَ الإسلَامَ لِنَفسِهِ دِينًا فَأمَرَ بِهِ، وَأحَاطَهُ وَتَوَكَّلَ بِحِفظِهِ، وَضَمِنَ إظهَارَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ، ثُمَّ اصطَفَىٰ مِن خَلقِهِ رُسُلًا ابتَعَثَهُم بِالدُّعَاءِ إلَيهِ، وَأمَرَهُم بِالقِيَامِ بِهِ، وَالصَّبرِ عَلَىٰ مَا نَابَهُم فِيهِ مِن جَهَلَةِ خَلقِهِ، وَامتَحَنَهُم مِنَ المِحَنِ بِصُنُوفٍ، وَابتَلَاهُم مِنَ البَلَاءِ بِضُرُوبٍ؛ تَكرِيمًا لَهُم غَيرَ تَذلِيلٍ، وَتَشرِيفًا غَيرَ تَخسِيرٍ، وَرَفَعَ بَعضَهُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجَاتٍ، فَكَانَ أرفَعُهُم عِندَهُ دَرَجَةً أجَدَّهُم إمضَاءً مَعَ شِدَّةِ المِحَنِ، وَأقرَبَهُم إلَيهِ زُلفًا، وَأحسَنَهُم إنفَاذًا لِمَا أرسَلَهُ بِهِ مَعَ عَظِيمِ البَلِيَّةِ.

٢- يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي مُحكَمِ كِتَابِهِ لِنَبِيِّهِ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]

وَقَالَ لَهُ ﷺ وَلِأتبَاعِهِ - رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴾ [الأحزاب: ٩-١٢].

وَقَالَ- تَعَالَىٰ ذِكرهُ: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

٣- فَلَم يُخلِ- جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أحَدًا مِن مُكَرَّمِي رُسُلِهِ، وَمقَرَّبِي أوليَائِهِ مِن مِحنَةٍ فِي عَاجِلِه دُونَ آجِله، لِيَستَوجِبَ بِصَبرِهِ عَلَيهَا مِن رَبِّهِ مِنَ الكَرَامَةِ مَا أعَدَّ لَهُ، وَمِنَ المَنزِلَةِ لَدَيهِ مَا كَتَبَهُ لَهُ، ثُمَّ جَعَلَ- تَعَالَىٰ جَلَّ وَعَلَا ذِكرُهُ - عُلَمَاءَ كُلِّ أُمَّةِ نَبِيٍّ ابتَعَثَهُ مِنهُم وُرَّاثَهُ مِن بَعدِهِ، وَالقُوَّامَ بِالدِّينِ بَعدَ اختِرَامِهِ إِلَيهِ وَقَبضِهِ، الذَّابِّينَ عَن عُرَاهُ وَأَسبَابِهِ، وَالحَامِينَ عَن أعلَامِهِ وَشَرَائِعِهِ، وَالنَّاصِبِينَ دُونَهُ لِمَن بَغَاهُ وَحَادَّهُ، وَالدَّافِعِينَ عَنهُ كَيدَ الشَّيطَانِ وَضَلَالَهُ.

٤- فَضَّلَهُم بِشَرَفِ العِلمِ، وَكَرَّمَهُم بِوَقَارِ الحِلمِ، وَجَعَلَهُم لِلدِّينِ وَأهلِهِ أعلَامًا، وَللإِسلَامِ وَالهُدَىٰ مَنَارًا، وَللخَلقِ قَادَةً، وَللعِبَادِ أئِمَّةً وَسَادَةً، إِلَيهِم مَفزَعُهُم عِندَ الحَاجَةِ، وَبِهِم استِغَاثَتُهُم عِندَ النَّائِبَةِ، لَا يُثنِيهِم عِندَ التَّعَطُّفِ وَالتَّحَنُّنِ عَلَيهِم سُوءُ مَا هُم مِن أنفُسِهِم يُولُونَ، وَلَا تَصُدُّهُم عَنِ الرِّقَّةِ عَلَيهِم وَالرَّأفَةِ بِهِم قُبحُ مَا إِلَيهِ مَا يَأتُونَ مُحَرَّمًا مَنَعَهُم طَلَبُ جَزِيلِ ثَوَابِ اللهِ فِيهِم، وَتَوَخِّيًا طَلَب رِضَا اللهِ فِي الأخذِ بِالفَضلِ عَلَيهِم.

ثُمَّ جَعَلَ- جَلَّ ثَنَاؤُهُ - ذِكرَهُ عُلَمَاءَ أمَّةِ نَبِيِّنَا مِن أفضلِ عُلَمَاءِ الأُمَمِ الَّتِي خَلَت قَبلَهَا فِيمَا كَانَ قُسِمَ لَهُم مِنَ المَنَازِلِ وَالدَّرَجَاتِ وَالمَرَاتِبِ وَالكَرَامَاتِ قِسمًا،

وَأجزَل لَهُم فيهِ حَظًّا وَنَصِيبًا مَعَ ابتِلَاءِ اللهِ أفاضِلهَا بِمَنَافِعِهَا وَامتِحَانِهِ خِيَارَهَا بِشِرَارِهَا، وَرُفَعَاءَهَا بِسُفَّلِهَا وَوُضَعَائِهَا، فَلَم يَكُن يَثنِيهِم مَا كَانُوا بِهِ مِنهُم يُبتَلَونَ، وَلَا كَانَ يَصُدُّهُم مَا فِي اللهِ مِنهُم يَلقَوْنَ عَنِ النَّصِيحَةِ للهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ أيَّامَ حَيَاتِهِم.

بَل كَانُوا بِعِلمِهِم عَلَىٰ جَهلِهِم يَعُودُونَ، وَبِحِلمِهِم لِسَفَهِهِم يَتَعَمَّدُونَ، وَبِفَضلِهِم عَلَىٰ نَقصِهِم يَأخذُونَ، بَل كَانَ لَا يَرضَىٰ كَثِيرٌ مِنهُم مَا أزلَفَهُ لِنَفسِهِ عِندَ اللهِ مِن فَضلِ ذَلِكَ أيَّامَ حَيَاتِهِ، وَادَّخَرَ مِنهُ مِن كَرِيمِ الذَّخَائِرِ لَدَيهِ قَبلَ مَمَاتِهِ، حَتَّىٰ تَبقَىٰ لِمَن بَعدَهُ آثَارًا عَلَىٰ الأيَّامِ بَاقِيَةً، وَلَهُم إِلَىٰ الرَّشَادِ هَادِيَةً.

جَزَاهُمُ اللهُ عَن أمَّةِ نَبِيِّهِم أفضَلَ مَا جَزَىٰ عَالِمَ أُمَّةٍ عَنهُم، وَحَبَاهُم مِنَ الثَّوَابِ أجزَلَ ثَوَابٍ، وَجَعَلَنَا مِمَّن قَسَمَ لَهُ مِن صَالِحِ مَا قَسَمَ لَهُم، وَألحَقَنَا بِمَنَازِلِهِم، وَكَرَّمَنَا بِحُبِّهِم وَمَعرِفَةِ حُقُوقِهِم، وَأعَاذَنَا وَالمُسلِمِينَ جَمِيعًا مِن مُردِيَاتِ الأهوَاءِ وَمُضِلَّاتِ الآرَاءِ إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

٥- ثُمَّ إِنَّه لَم يَزَل مِن بَعدِ مُضِيِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِسَبِيلِهِ حَوَادِثُ فِي كُلِّ دَهرٍ تَحدُثُ، وَنَوَازِلُ فِي كلِّ عَصرٍ تَنزِلُ، يَفزَعُ فِيهَا الجَاهِلُ إِلَىٰ العَالِمِ فَيَكشِفُ فِيهَا العَالِمُ سُدَفَ الظَّلَامِ عَنِ الجَاهِلِ بِالعِلمِ الَّذِي آتَاهُ اللهُ، وَفَضَّلَهُ بِهِ عَلَىٰ غَيرِهِ، إمَّا مِن أثَرٍ، وَإمَّا مِن نَظَرٍ.

فَكَانَ مِن قَدِيمِ الحَادِثَةِ بَعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الحَوَادِثِ الَّتِي تَنَازَعَت فِيهِ أمَّتُه، وَاختِلَافِهَا فِي أفضَلِهِم بَعدَهُ ﷺ وَأحَقِّهِم بالإمَامَةِ وَأولَاهُم بِالخِلَافَةِ.

٦- ثُمَّ القَولُ فِي أعمَالِ العِبَادِ؛ طَاعَتِهَا وَمَعَاصِيهَا، وَهَل هِيَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ أم الأمرُ فِي ذَلِكَ المُبهَمِ مُفَوَّض.

٧- ثُمَّ القَولُ فِي الإيمَانِ، هَل هُوَ قَولٌ وَعَمَل، أم هُوَ قَول بِغَيرِ عَمَلٍ، وَهَل يَزِيدُ وَيَنقُصُ، أم لَا زِيَادَةَ لَهُ وَلَا نُقصَان.

٨- ثُمَّ القَولُ فِي القُرآنِ، هَل هُوَ مَخلُوق أو غَيرُ مَخلُوقٍ.

٩- ثُمَّ رُؤيَةُ المُؤمِنِينَ رَبَّهُم تَعَالَىٰ يَومَ القِيَامَةِ.

١٠- ثُمَّ القَولُ فِي أَلفَاظِهِم بِالقرآنِ.

١١- ثُمَّ حَدَثَ فِي دَهرِنَا هَذَا حَمَاقَات خَاضَ فِيهَا أَهلُ الجَهلِ وَالغَبَاءِ، وَنَوكَىٰ الأَمَّةِ الرَّعَاعَ يُتعِبُ إِحصَاؤُهَا وَيُمَلُّ تَعدَادُهَا، فِيهَا القَول فِي اسمِ الشَّيءِ أَهوَ هُوَ أم هُوَ غَيرُهُ، وَنَحنُ نُبَيِّنُ الصَّوَابَ لَدَينَا مِنَ القَولِ فِي ذَلِكَ إن شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَبِاللهِ التَّوفِيقُ.

القَولُ فِي القُرآنِ وَأَنَّهُ كلامُ اللهِ:

١٢- فَأَوَّلُ مَا نَبدَأُ بِالقَولِ فِيهِ مِن ذَلِكَ عِندَنَا: القُرآنُ كَلَامُ اللهِ وَتَنزِيلُهُ، إذ كَانَ مِن مَعَانِي تَوحِيدِهِ، فَالصَّوَابُ مِنَ القَولِ فِي ذَلِكَ عِندَنَا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ غَيرُ مَخلُوقٍ، كَيفَ كُتِبَ وَحَيثُ تُلِيَ وَفِي أَيِّ مَوضِعٍ قُرِئَ، فِي السَّمَاءِ وُجِدَ، وَفِي الأَرضِ حَيثُ حُفِظَ، فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ كَانَ مَكتُوبًا، وَفِي أَلوَاحِ صِبيَانِ الكَتَاتِيبِ مَرسُومًا، فِي حَجَرٍ نُقِشَ، أو فِي وَرَقٍ خُطَّ، أو فِي القَلبِ حُفِظَ وَبِلِسَانٍ لُفِظَ.

فَمَن قَالَ غَيرَ ذَلِكَ أو ادَّعَىٰ أَنَّ قُرآنًا فِي الأَرضِ أو فِي السَّمَاءِ سِوَىٰ القُرآنِ الَّذِي نَتلُوهُ بِألسِنَتِنَا وَنَكتُبُهُ فِي مَصَاحِفِنَا، أو اعتَقَدَ غَيرَ ذَلِكَ بِقَلبِهِ، أو أَضمَرَهُ فِي نَفسِهِ، أو قَالَهُ بِلِسَانِهِ دَائِنًا بِهِ، فَهُوَ بِاللهِ كَافِر حَلَالُ الدَّمِ، بَرِيء مِنَ اللهِ، وَاللهُ مِنه بَرِيءٌ؛ بِقَولِ اللهِ ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[البروج: ٢١-٢٢] .

وَقَالَ وَقَولهُ الحَقُّ ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التوبة: ٦] .

١٣- فَأَخبَرَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - أَنَّهُ فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ مَكتُوبٌ، وَأَنَّهُ مِن لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَسمُوعٌ، وَهُوَ قُرآن وَاحِدٌ مِن مُحَمَّدٍ مَسمُوعٌ، فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ مَكتُوبٌ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي الصُّدورِ مَحفُوظ وَبِألسُنِ الشُّيوخِ وَالشَّبَابِ مَتلُوٌّ.

١٤- قَالَ أبو جَعفَرٍ: فَمَن رَوَىٰ عَنَّا أو حَكَىٰ عَنَّا أو تَقَوَّلَ عَلَينَا؛ فَادَّعَىٰ أَنَّا قلنَا

غَيرَ ذَلِكَ؛ فَعَلَيهِ لَعنَةُ اللهِ وَغَضَبُهُ وَلَعنَةُ اللَّاعِنِينَ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أجمَعِينَ، لَا قَبِلَ اللهُ لَهُ صَرفًا وَلَا عَدلًا، وَهَتَكَ سِترَهُ وَفَضَحَهُ عَلَىٰ رُءُوسِ الأشهَادِ يَومَ لَا يَنفَعُ الظالِمِينَ مَعذِرَتُهُم، وَلَهُمُ اللَّعنَةُ وَلَهُم سُوءُ الدَّارِ.

١٥-حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بنُ سَهلٍ الرَّملِي حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بنُ دَاودَ حَدَّثَنَا مَعبَد أبو عَبدِ الرَّحمَنِ عَن مُعَاوِيَةَ بنِ عَمَّارٍ الدُّهنِي قَالَ: قُلتُ لِجَعفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ ﷺ: إنَّهُم يَسألُونَ عَنِ القُرآنِ مَخلُوق أو خَالِق؟

فَقَالَ: إنَّهُ لَيسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخلُوقٍ، وَلكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ عز وجل.

١٦-وَحدَّثني مُحَمَّدُ بنُ مَنصُورٍ الآمُلِيُّ، حَدَّثَنَا الحَكَمُ بنُ مُحَمَّدٍ الآمُلِيُّ أبُو مَروَانَ، حَدَّثَنَا ابنُ عُيَينَةَ قَالَ: سَمِعتُ عَمرَو بنَ دِينَارٍ يَقُول: أدرَكتُ مَشَايِخَنَا مُنذ سَبعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: القُرآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنهُ بَدَأَ وَإلَيهِ يَعُودُ.

القَولُ فِي رُؤيَةِ اللهِ عز وجل:

١٧-وَأمَّا الصَّوَابُ مِنَ القَولِ فِي رُؤيَةِ المُؤمِنِينَ رَبَّهُم عز وجل يَومَ القِيَامَةِ، وَهُوَ دِينُنَا الَّذِي نَدِينُ اللهَ بِهِ، وَأدرَكنَا عَلَيهِ أهلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فَهُوَ: أنَّ أهلَ الجَنَّةِ يَرَونَهُ عَلَىٰ مَا صَحَّت بِهِ الأخبَارُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ

١٨- حَدَّثَنَا أبُو السَّائِبِ سَلَمُ بنُ جُنَادَةَ، حَدَّثَنَا ابنُ فُضَيلٍ، وحَدَّثَنَا تَمِيمُ بنُ المُنتَصِرِ وَمُجَاهِدُ بنُ مُوسَىٰ، قَالَ تَمِيم: أنبَأنَا يَزِيدُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بنُ هَارُونَ، وَحَدَّثَنَا ابنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا سُفيَانُ، وَمَروَانُ بنُ مُعَاوِيَةَ، وَيَزِيدُ بنُ هَارُونَ جَمِيعًا عَن إسمَاعِيلَ بنِ أبِي خَالِدٍ عَن قَيسِ بنِ أبِي حَازِمٍ عَن جَرِيرِ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِندَ رَسُول الله ﷺ فَنظَرَ إلَىٰ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ، فَقَالَ: «إنَّكُم رَاءون رَبَّكم عز وجل كَمَا تَرَون هَذا القَمَر لا تُضَامونَ فِي رُؤيَتِهِ؛ فَإنِ استَطَعتُم ألَّا تُغلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمس وَقَبلَ غُرُوبِهَا فَافعَلُوا»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ

ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾[ق: ٣٩](١). وَلَفظُ الحَدِيثِ لِحَدِيثِ مُجَاهِدٍ.

قَالَ يَزِيدُ: مَن كَذَّبَ بِهَذَا الحَدِيثِ فَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ. حَلَفَ غَير مَرَّةٍ.

وَأقُولُ أنَا: صَدَقَ رَسُولُ اللهِ، وَصَدَقَ يَزِيدُ، وَقَالَ الحَقَّ.

القَولُ فِي أفعَالِ العِبَادِ وَحَسَنَاتِهِم وَسَيِّئَاتِهِم:

١٩- وَأمَّا الصَّوَابُ مِنَ القَولِ لَدَينَا فِيمَا اختُلِفَ فِيهِ مِن أفعَالِ العِبَادِ وَحَسَنَاتِهِم وَسَيِّئَاتِهِم؛ فَإنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ مِن عِندِ اللهِ تَعَالَى، وَاللهُ سُبحَانَهُ مُقَدِّرُهُ وَمُدَبِّرُهُ، لا يَكُونُ شَيءٌ إلَّا بِإذنِهِ، وَلَا يَحدُثُ شَيءٌ إلَّا بِمَشِيئَتِهِ، لَهُ الخَلقُ وَالأمرُ كَمَا يُرِيدُ.

٢٠- حَدَّثَنِي زِيَادُ بنُ يَحيَى الحَسَّانِيُّ، وَعُبَيدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ الفِريَابِيُّ، قَالا: حَدَّثَنَا عَبدُ اللهِ بنُ مَيمُون حَدَّثَنَا جَعفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ عَن أبِيهِ عَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «لا يُؤمِنُ عَبد حَتَّى يُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَحَتَّى يَعلَمَ أنَّ مَا أصَابَهُ لَم يَكُن لِيُخطِئَهُ، وَمَا أخطَأَهُ لَم يَكُن لِيُصِيبَهُ»(٢).

اللَّفظُ لِحَدِيثِ أبِي الخَطَّابِ زِيَادِ بنِ يَحيَى.

٢١- حَدَّثَنِي يَعقُوبُ بنُ إبرَاهِيمَ الجوزجَانِيُّ حَدَّثَنَا ابنُ أبِي حَازِمٍ حَدَّثَنِي أبِي عَنِ ابنِ عُمَرَ قَالَ: «القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأمَّةِ؛ فَإن مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُم، وَإن مَاتُوا فَلَا تَشهَدُوهُم».

القَولُ فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

٢٢- وَأمَّا الحَقُّ فِي اختِلَافِهِم فِي أفضَلِ أصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا جَاءَ عَنهُ ﷺ وَتَتَابَعَ عَلَى القَولِ بِهِ السَّلَفُ وَذَلِكَ مَا:

٢٣- حَدَّثَنِي مُوسَى بنُ سَهلٍ الرَّملِي، وَأحمَدُ بنُ مَنصُورِ بنِ سَيَّارٍ الرَّمَادِيُّ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٤٤)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٨٥).

قَالَا: حَدَّثَنَا عَبدُ اللهِ بنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِي نَافِعُ بنُ يَزِيدَ عَن زُهرَةَ بنِ مَعبَدٍ عَن سَعِيدِ بن المُسَيَّبِ عَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ اللهَ- جَلَّ وَعَلَا - اختَارَ أَصحَابِي عَلَىٰ جَمِيعِ العَالَمِينَ سِوَىٰ النَّبِيِّينَ وَالمُرسَلِينَ، وَاختَارَ مِن أَصحَابِي أَبَا بَكرٍ وَعُمَرَ وَعُثمَانَ وَعَلِيًّا - رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِم - فَجَعَلَهُم خَيرَ أَصحَابِي، وَفِي أَصحَابِي كُلِّهِم خَيرٌ، وَاختَارَ أُمَّتِي عَلَىٰ سَائِرِ الأُمَمِ، وَاختَارَ مِن أُمَّتِي أَربَعَةَ قُرونٍ مِن بَعدِ أَصحَابِي: القَرنُ الأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالثَّالِثُ تَترَىٰ، وَالقَرنُ الرَّابِعُ فَردًا»[1].

٢٤- وَكَذَلِكَ نَقُولُ: فَأَفضَلُ أَصحَابِه الصِّدِّيقُ أبو بَكرٍ ﷺ، ثُمَّ الفَارُوقُ بَعدَهُ عُمَرُ، ثُمَّ ذُو النُّورَينِ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ، ثُمَّ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ، وَإِمَامُ المُتَّقِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ - رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِم أجمَعِينَ.

٢٥- وَأَمَّا أَولَىٰ الأَقوَالِ بِالصَّوَابِ عِندَنَا فِيمَا اختَلَفُوا: مَن أَولَىٰ الصَّحَابَةِ بِالإِمَامَةِ؟ فَبِقَولِ مَن قَالَ بِمَا:

٢٦- حَدَّثَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بنُ عمَارَةَ الأَسَدِيُّ حَدَّثَنَا عُبَيدُ اللهِ بنُ مُوسَىٰ حَدَّثَنَا حَشرَجُ بنُ نُبَاتَةَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ جُمهَانَ عَن سَفِينَةَ مَولَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ «الخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مِن بَعدِ ذَلِكَ مُلكٌ».

قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكرٍ سَنَتَانِ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ عَشر، وَخِلَافَةَ عُثمَانَ اثنَتَا عَشرَةَ، وَخِلَافَةَ عَلِيٍّ سِتٌّ.

قَالَ: فَنَظَرتُ فَوَجَدتُهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً[2].

القَولُ فِي الإِيمَانِ زِيَادَتِه وَنُقصَانِه:

٢٧- وَأَمَّا القَولُ فِي الإِيمَانِ، هَل هُوَ قَولٌ وَعَمَلٌ؟ وَهَل يَزِيدُ وَيَنقُصُ أم لَا

---

(١) أخرجه البزار (٣/ ٢٨٨)، وضعفه العلامة الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦١٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٢٦)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٤٥٩).

زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نُقصَانَ؟ فَإِنَّ الصَّوَابَ فِيهِ قَولُ مَن قَالَ: هُوَ قَول وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنقُصُ، وَبِهِ جَاءَ الخَبَرُ عَن جَمَاعَةٍ مِن أصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَيهِ مَضَىٰ أهل الدِّينِ وَالفَضلِ.

٢٨- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَلِي بنِ الحَسَنِ بنِ شَقِيقٍ قَالَ: سَألنَا أبَا عَبدِ اللهِ أحمَدَ بنَ حَنبَلُ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ الإيمَانِ فِي مَعنَىٰ الزِّيَادَةِ وَالنُّقصَانِ؟ فَقَالَ: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بنُ مُوسَىٰ الأشيَبُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ عَن أبِي جَعفَرٍ الخَطمِيِّ عَن أبِيهِ عَن جَدِّهِ عُمَيرِ بنِ حَبِيبٍ، قَالَ: الإيمَانُ يَزِيدُ وَيَنقُصُ.

فَقِيلَ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَمَا نُقصَانُه؟

فَقَالَ: إذَا ذَكرنا الله فَحَمِدنَاهُ وَسَبَّحنَاهُ فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإذَا غَفَلنَا وَضَيَّعنَا وَنَسِينَا فَذَلِكَ نُقصَانُهُ.

٢٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ سَهلٍ الرَّملِيُّ حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بنُ مُسلِمٍ قَالَ: سَمِعتُ الأوزَاعِيَّ، وَمَالِكَ بنَ أنَسٍ، وَسَعِيدَ بنَ عَبدِ العَزِيزِ - رَحِمَهُم الله - يُنكِرونَ قَولَ مَن يَقولُ: إنَّ الإيمَانَ إقرارٌ بِلَا عَمَلٍ، وَيَقُولُونَ: لَا إيمَانَ إلَّا بِعَمَلٍ وَلَا عَمَلَ إلَّا بِإيمَانٍ.

القَولُ فِي ألفَاظِ العبَادِ بِالقُرآنِ:

٣٠- وَأمَّا القَولُ فِي ألفَاظِ العِبَادِ بالقُرآنِ، فَلَا أثَرَ فِيهِ نَعلَمُهُ عَن صَحَابِيٍّ مَضَىٰ وَلَا تَابِعِيٍّ قَضَىٰ، إلَّا عَمَّن فِي قَولِهِ الغَنَاءُ وَالشِّفَاءُ - رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِ وَرِضوَانُهُ - وَفِي اتِّبَاعِهِ الرُّشدُ وَالهُدَىٰ، وَمَن يَقُومُ قَولُهُ لَدَينَا مَقَامَ قَولِ الأئِمَّةِ الأولَىٰ، أبِي عَبدِ اللهِ أحمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَنبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

٣١- فَإنَّ أبَا إسمَاعِيلَ التِّرمِذِيَّ حَدَّثَنِي قَالَ: سَمِعتُ أبَا عَبدِ اللهِ أحمَدَ بنَ حَنبَلٍ يَقُولُ: اللَّفظِيةُ جَهمِيَّة؛ لِقَولِ اللهِ - جَلَّ اسمُهُ -: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٦]. فَمِمَّن يَسمَعُ؟

٣٢- ثُمَّ سَمِعتُ جَمَاعَةً مِن أصحَابِنَا لَا أحفَظُ أسمَاءَهُم يَذكُرونَ عَنهُ أنَّهُ كَانَ

يَقُولُ: مَن قَالَ: (لَفظِي بِالقُرآنِ مَخلُوق)؛ فَهُوَ جَهمِيٌّ، وَمَن قَالَ: (هُوَ غَيرُ مَخلُوقٍ)؛ فَهُوَ مُبتَدِعٌ.

٣٣- وَلَا قَولَ فِي ذَلِكَ عِندَنَا يَجُوزُ أن نَقُولَهُ إذ لَم يَكُن لَنَا فِيهِ إمَامٌ نَأتَمُّ بِهِ سِوَاهُ، وَفِيهِ الكِفَايَةُ وَالمَنعُ، وَهُوَ الإمَامُ المُتَّبَعُ - رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِ وَرِضوَانُهُ.

القَولُ فِي الاسمِ: أهُوَ المُسَمَّىٰ أم هُوَ غَيرُ المسَمَّىٰ؟

٣٤- وَأمَّا القَولُ فِي الاسمِ: أهُوَ المُسَمَّىٰ أم غَيرُ المُسَمَّىٰ؟ فَإنَّهُ مِنَ الحَمَاقَاتِ الحَادِثَةِ الَّتِي لَا أثَرَ فِيهَا فَيُتَّبَعَ، وَلَا قَولَ مِن إمَامٍ فَيُستَمَع، فَالخَوضُ فِيهِ شَينٌ، وَالصَّمتُ عَنهُ زَينٌ.

٣٥- وَحَسْبُ امرِئٍ مِنَ العِلمِ بِهِ وَالقَولِ فِيهِ أن يَنتَهِيَ إلَىٰ قَولِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ ثَنَاؤهُ - الصَّادِقِ، وَهُوَ قَولُهُ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الإسراء: ١١٠] .

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠] ، وَيَعلَمَ أنَّ رَبَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَىٰ العَرشِ استَوَىٰ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرضِ وَمَا بَينَهُمَا وَمَا تَحتَ الثَّرَىٰ، فَمَن تَجَاوَزَ ذَلِكَ فَقَد خَابَ وَخَسِرَ وَضَلَّ وَهَلَكَ.

التَّحذيرُ من تَقويلِ أحَدٍ مَا لَم يَقُلْهُ:

٣٦- فَليُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنكُم - أيُّهَا النَّاسُ- مَن بَعُدَ مِنَّا فَنَأىٰ، أو قَرُبَ فَدَنَا: أنَّ الَّذِي نَدِينُ اللهَ بِهِ فِي الأشيَاءِ الَّتِي ذَكَرنَاهَا مَا بَيَّنَّاهُ لَكُم عَلَىٰ وَصفِنَا، فَمَن رَوَىٰ عَنَّا خِلَافَ ذَلِكَ أو أضَافَ إلَينَا سِوَاهُ، أو نَحَّلَنَا فِي ذَلِكَ قَولًا غَيرَهُ، فَهُوَ كَاذِب مُفتَرٍ مُتَخَرِّص مُعتَدٍ، يَبُوءُ بِسَخطِ اللهِ، وَعَلَيهِ غَضَبُ اللهِ وَلَعنَتُهُ فِي الدَّارَينِ، وَحُقَّ عَلَىٰ اللهِ أن يُورِدَهُ المَورِدَ الَّذِي وَرَّدَ رَسُولُ اللهِ ضُرَبَاءَهُ، وَأن يُحِلَّه المَحِلَّ الَّذِي أخبَرَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ أنَّ اللهَ يُحِلُّ أمثَالَهُ، عَلَىٰ مَا أخبَرَﷺ .

٣٧- قَالَ أبُو جَعفَرٍ: وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا أبُو كُرَيبٍ حَدَّثَنَا المُحَارِبِيُّ عَن إسمَاعِيلَ

بنِ عَيَّاشٍ الحِمصِيِّ عَن ثَعلَبَةَ بنِ مُسلِمِ الخَثعَمِيِّ عَن أَيُّوبَ بنِ بَشِيرِ العِجلِيِّ عَن شُفَيِّ بنِ مَاتِعِ الأصبَحِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أربَعَة يُؤذُونَ أهلَ النَّارِ عَلَىٰ مَا بِهِم مِنَ الأذَىٰ، يَسعَونَ بَينَ الحَمِيمِ وَالجَحِيمِ يَدعُونَ بِالوَيلِ وَالثُّبُورِ، يَقُولُ أهلُ النَّارِ بَعضُهُم لِبَعضٍ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ قَد آذَونَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذَىٰ؟

فَرَجُل مُغلَقٌ عَلَيهِ تَابُوتٌ مِن جَمرٍ، وَرَجُل يَجُرُّ أمعَاءَهُ، وَرَجُل يَسِيلُ فُوهُ قَيحًا وَدَمًا، وَرَجُلٌ يَأكُلُ لَحمَهُ.

فَيَقُول لِصَاحِبِ التَّابُوتِ: مَا بَالُ الأبعَدِ قَد آذَانَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذَىٰ؟!

فَيَقُولُ: إنَّ الأبعَدَ مَاتَ وَفِي عُنُقِهِ أموَالُ النَّاسِ.

وَيُقَالُ لِلَّذِي يَجُرُّ أمعَاءَهُ: مَا بَالُ الأبعَدِ قَد آذَانَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذَىٰ؟!

قَالَ: فَذَكَرَ كلامًا سَقَطَ مِنِّي.

وَيقَالُ لِلَّذِي يَسِيلُ فُوهُ قَيحًا وَدَمًا: مَا بَالُ الأبعَدِ قَد آذَانَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذَىٰ؟!

فَيَقُولُ: إنَّ الأبعَدَ كَانَ يَنظُرُ إلىٰ كُلِّ كَلِمَةٍ قَذِعَةٍ قَبِيحَةٍ فَيَستَلِذُّهَا كَمَا يَستَلِذُّ الرَّفَثَ.

وَيُقَالُ لِلَّذِي يَأكُلُ لَحمَهُ: مَا بَالُ الأبعَدِ قَد آذَانَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذَىٰ؟!

فَيَقُولُ: إنَّ الأبعَدَ كَانَ يَمشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَيَأكُلُ لُحُومَ النَّاسِ» [(١)].

٣٨- حَدَّثَنَا خَلَّادُ بنُ أسلَمَ عَنِ النَّضرِ بنِ شُمَيلِ بنِ حَرَشَةَ عَن مُوسَىٰ بنِ عُقبَةَ عَن عُمَرَ بنِ عَبدِ اللهِ الأنصَارِيِّ عَن أبِي الدَّردَاءِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ «مَن ذَكَرَ امرأً بِمَا لَيسَ فِيهِ لِيَعِيبَهُ حَبَسَهُ اللهُ فِي جَهَنَّمَ حَتَّىٰ يَأتِيَ بِنَفَاذِ مَا قَالَ فِيهِ» [(٢)].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/ ١٧١-١٧٢)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٦٨٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٧٣)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٣٥٩).

٣٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَوفٍ الطَّائِيُّ، وَمُحَمَّدُ بنُ مُسلِمٍ الرَّازِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو المُغِيرَةِ عَبدُ القُدُّوسِ بنُ الحَجَّاجِ حَدَّثَنَا صَفوَانُ بنُ عَمرو وقَالَ: حَدَّثَنِي رَاشِدُ بنُ سَعدٍ، وَعَبدُ الرَّحمَن بن جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرتُ بِقَومٍ لَهُم أظفَارٌ مِن نُحَاسٍ يَخمِشُونَ صُدُورَهُم، فَقُلتُ: مَن هَؤلاءِ يَا جِبرِيلُ؟! قَالَ: هَؤلاءِ الَّذِينَ يَأكلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أعراضِهِم»(١).

٤٠- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ سَهلٍ الرَّملِيُّ حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بنُ مُسلِمٍ عَن عُثمَانَ بنِ أَبِي العَاتِكَةِ عَن أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: أَتَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَقِيعَ الغَرقَدِ، فَوَقَفَ عَلَىٰ قَبرَينِ ثَرِيَّينِ فَقَالَ: «أَدَفَنتُم هُنَا فُلَانًا وَفُلَانَةَ؟» أو قَالَ: «فُلَانًا وَفُلَانًا؟».

فَقَالُوا: نَعَم يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَالَ: «قَد أُقعِدَ فُلَانٌ الآنَ يُضرَبُ» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَقَد ضُرِبَ ضَربَةً مَا بَقِيَ مِنهُ عُضوٌ إِلَّا انقَطَعَ، وَلَقَد تَطَايَرَ قَبرُهُ نَارًا، وَلَقَد صَرَخَ صَرخَةً سَمِعَهَا الخَلَائِقُ إِلَّا الثَّقَلَينِ مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ، وَلَولَا تَمرِيجٌ فِي قُلُوبِكُم وَتَزَيُّدُكُم فِي الحَدِيثِ لَسَمِعتُم مَا أَسمَعُ».

ثُمَّ قَالَ: «الآنَ يُضرَبُ هَذَا، الآنَ يُضرَبُ هَذَا»، ثم قَالَ: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَقَد ضُرِبَ ضَربَةً مَا بَقِيَ مِنهُ عُضو إِلَّا انقَطَعَ، وَلَقَد تَطَايَرَ قَبرُهُ نَارًا، وَلَقَد صَرَخَ صَرخَةً سَمِعَتهَا الخَلَائِقُ إِلَّا الثَّقَلَينِ مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ، وَلَولَا تَمرِيجٌ فِي قُلُوبِكُم وَتَزَيُّدُكُم فِي الحَدِيثِ لَسَمِعتُم مَا أَسمَعُ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا ذَنبُهُمَا؟!

قَالَ: «أَمَا فُلَانٌ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَستَبرِئُ مِنَ البَولِ، وَأَمَّا فُلَان - أو: فُلَانَة - فَإِنَّهُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٧٨)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٥٣٣).

كَان يَأكُلُ لُحومَ النَّاسِ»(١).

١١- حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بنُ يَزِيدَ الرِّفَاعِيُّ حَدَّثَنَا ابنُ فُضَيلٍ ح وَحَدَّثَنا مُحَمَّدُ بنُ العَلَاءِ حَدَّثَنا أسوَدُ بنُ عَامِرٍ حَدَّثَنَا أبُو بَكرِ بنُ عَيَّاشٍ جَمِيعًا، عَنِ الأعمَشِ عَن سَعِيدِ بنِ عَبدِ اللهِ عَن أبِي بَرْزَةَ الأسلَمِيِّ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ «يَا مَعشَرَ مَن آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَم يَدخُلِ الإيمَانُ قَلبَهُ، لا تَغتَابُوا المُسلِمِينَ وَلا تَتَّبِعُوا عَورَاتِهِم؛ فَإنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَورَاتِهِم تَتَبَّعَ اللهُ عَورَتَهُ، وَمَن تَتَبَّعَ عَورَتَهُ يَفضَحهُ فِي بَيتِهِ»(٢).

آخِرُ الكِتَابِ، وَالحَمدُ للهِ وَحدَهُ.

وَكَانَ الفَرَاغُ مِنهُ فِي يَومِ الأربِعَاءِ ثَانِيَ عَشَرَ مِن شَهرِ المُحَرَّمِ الحَرَامِ، افتِتَاحِ سَنَةِ أربَعَةٍ وَثَمَانِينَ وَألفٍ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا إلَىٰ يَومِ الدِّينِ، آمِين آمِين آمِين.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٦) بنحوه، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٦٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٨٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٣٤٠).

٧- المَنظُومَةُ الحَائِيَّة في السُّنَّة

للإمام

أَبِي بَكر بنِ أَبِي دَاوُد السِّجِستَانِيِّ

(٢٣٠ - ٣١٦ هـ)

٧- المَنظُومَةُ الحَائِيَّة في السُّنَّة

١- تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَىٰ ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ

٢- وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلوقٍ كَلامُ مَلِيكِنَا بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصحُوا

٤- وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلا كَمَا قَالَ أتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

٥- وَلا تَقُلِ القُرآنُ خَلْقٌ قرَاْتُهُ فَإِنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ

٦- وَقُلْ يَتَجلَّىٰ اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا البَدْرُ لا يَخفىٰ وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

٧- وَلَيسَ بمولُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ تَعَالَىٰ الْمُسَبَّحُ

٨- وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وعِنْدَنَا بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

٩- رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

١٠- وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أيضًا يَمِينَهُ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ في كُلِّ لَيْلَةٍ بِلا كَيْفَ جَلَّ الوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ

١٢- إلىٰ طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وَتُفْتَحُ

١٣- يَقُولُ ألا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

١٤- رَوَىٰ ذَاكَ قَوْمٌ لا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ ألا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُم وقُبِّحُوا

١٥- وَقُلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ

١٦- وَرابِعُهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيرِ بِالخَيْرِ مُنْجِحُ

١٧- وَإنَّهُمْ لَلرَّهْطُ لا رَيْبَ فِيهِمُ عَلَىٰ نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ

١٨- سَعِيدٌ وسَعْدٌ وَابنُ عَوْفٍ وطَلْحةٌ وعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

١٩- وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ وَلا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

٢٠- فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الفَتْحِ آيٌ لِلصَّحابةِ تَمْدَحُ

٢١- وبِالقَدَرِ المقْدُورِ أيْقِنْ فإنَّهُ دِعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَحُ

٢٢- وَلا تُنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيرًا ومُنْكَرًا وَلا الحَوضَ وَالْمِيزَانَ إنَّكَ تُنْصَحُ

٢٣- وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أجْسَادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

٢٤- عَلَىٰ النَّهرِ في الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَحُ

٢٥- وَإنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلْ فِي عَذابِ القَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ

٢٦- وَلا تُكْفِرَنْ أهْلَ الصَّلاةِ وَإنْ عَصَوْا فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرْشِ يَصْفَحُ

٢٧- ولا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الخَوَارِجِ إنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ

٢٨- ولا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ ألا إنَّمَا المُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ

٢٩- وقُلْ: إنَّمَا الإيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَىٰ قَولِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

٣٠- ويَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الوَزْنِ يَرْجَحُ

٣١- وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُم فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أزْكَىٰ وَأشْرَحُ

٣٢- وَلا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلَهَّوا بِدِينِهِم فَتَطْعَنَ في أهْلِ الحَدِيثِ وتَقْدَحُ

٣٣- إذا مَا اعتقَدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هَذِهِ فَأنْتَ عَلَىٰ خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

* * *

٨- عقيدة الرَّازِيَّيْنِ (أبي حاتم وأبي زرعة)

للإمامين

أبي حاتم الرازي (ت : ٢٧٥ هـ)

وأبي زرعة الرازي (١٩٤ - ٢٦٤هـ)

٨- عقيدة الرَّازِيَّيْنِ (أبي حاتم وأبي زرعة)

❁ قالَ عبدُ الرَّحمن بنُ أبي حاتم:

«سَألتُ أبي وأبا زُرعةَ عَن مَذاهبِ أهْل السُّنَّة فِي أصُولِ الدِّينِ وَمَا أدرَكَا عَلَيه العُلماءَ في جَميع الأمصارِ ومَا يَعتقِدانِ مِن ذلكَ.

فقالا: أدرَكْنا العُلماءَ في جَميع الأمْصار حِجازًا وعِراقًا ومصرَ وشامًا ويَمَنًا، فكانَ مِن مَذهبِهم أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، يَزيدُ ويَنقصُ.

والقُرآنُ كلَامُ الله غيرُ مَخلوقٍ بجَميع جِهاتِهِ.

وَقَالا: والقَدَرُ خَيرُه وشرُّه مِنَ الله ﷻ.

وخيرُ هَذه الأمَّة بعدَ نبيِّها أبو بَكرٍ الصِّدِّيق، ثمَّ عُمرُ بن الخطَّاب، ثمَّ عُثمانُ بن عفَّانَ، ثمَّ عليُّ بن أبي طالبٍ ﵃، وهُم الخُلفاءُ الرَّاشدونَ المَهديُّون.

وأنَّ العشَرةَ الَّذين سمَّاهم رسولُ الله ﷺ وشَهدَ لهم بالجنَّةِ ونَشهدُ علىٰ ما شَهِدَ بِهِ وَقَولُهُ حَقٌّ.

وَالتَّرحُّم عَلَىٰ جَميع أصحَابِ مُحمَّدٍ ﷺ، والكفُّ عمَّا شَجَرَ بَيْنَهُم.

وَقَالا: وأنَّ الله ﷻ علىٰ عرشِهِ، بائِن مِن خَلْقِه، كَمَا وَصَف بِهِ نَفسَه فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ بِلَا كَيفٍ، أحَاطَ بكُلِّ شَيءٍ عِلمًا، لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُو السَّميعُ البَصِيرُ.

والله - تبارك وتعالي - يُرىٰ في الآخِرةِ، وَيَرَاه أهلُ الجَنَّةِ بأبْصارِهِم، وَيَسمَعُونَ كَلَامَهُ كَيفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ.

وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَهُمَا مَخلُوقَتَانِ، لَا تَفنَيَانِ أبَدًا، فَالجَنَّةُ ثَوَابٌ لِأوليَائِهِ، والنَّارُ عِقَابٌ لِأهْلِ مَعصِيَتِهِ إلَّا مَنْ رَحِم.

وَالصِّرَاط حَقٌّ.

وَالمِيزَانِ الَّذِي لَهُ كِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ العِبَادِ - حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا - حقٌّ.

وَقَالا: وَالحَوضُ المُكَرَّمُ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ حَقٌّ.

وَالشَّفَاعَةُ حَقٌّ، وَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ يَخرجُونَ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ حَقٌّ.

وعَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ.

وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ حَقٌّ.

وَالكِرَامُ الكَاتِبُونَ حَقٌّ.

وَالبَعْثُ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ حَقٌّ.

وَقَالا: وَأَهْلُ الكَبَائِرِ فِي مَشِيئَةِ الله عز وجل.

وَلَا نُكَفِّرُ أَهْلَ القِبْلَةِ بِذُنُوبِهِمْ، وَنَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله عز وجل.

وَنُقِيمُ فَرْضَ الجِهَادِ وَالحَجَّ مَعَ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ.

ولَا نَرَىٰ الخُرُوجَ عَلَىٰ الأَئِمَّةِ، وَلَا القِتَالَ فِي الفِتْنَةِ، ونَسْمعُ وَنُطِيعُ لمنْ وَلَّاهُ الله أَمْرَنَا، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَة.

وَأَنَّ الجِهادَ ماضٍ منذُ بعثَ اللهُ نَبيَّهُ ﷺ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ مَعَ أُولي الأمرِ من أئِمةِ المسلمينَ، لَا يُبطلهُ شيءٌ، والحجُّ كذَلِك.

وَدَفعُ الصَّدقاتِ مِنَ السَّوائِمِ إِلَىٰ أولي الأمرِ من أئمَّةِ المُسلمين.

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ والجَماعةَ، ونَجتنبُ الشُّذوذَ والفُرقةَ والخلافَ.

وَقَالا: وَالنَّاسُ مُؤمِنُونَ فِي أَحكامِهم ومَوارِيثِهم، وَلَا يُدرَىٰ مَا هُم عِندَ الله، فمَن قالَ: إنَّه مُؤمن حَقًّا فهوَ مُبتدِع، ومَن قَالَ: هُو مُؤمن عِندَ الله فَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ، وَمَن قَالَ: إنِّي مُؤمن بالله فَهُوَ مُصِيبٌ.

والمُرجِئةُ مُبتدِعةٌ ضُلَّالٌ، والقَدَرِيَّةُ ضُلَّالٌ، وأنَّ الجَهميَّةَ كفَّارٌ، وَأَمَّا الرَّافِضةُ رَفَضُوا الإِسْلَامَ، وَالخَوَارِجُ مُرَّاقٌ.

وَمَن زَعَمَ أَنَّ القُرآنَ مَخلُوقٌ فَهُو كَافِرٌ بالله العَظِيم كُفرًا يَنقِلُ عَنِ المِلَّةِ، ومَن

شَكَّ فِي كُفرِهِ مِمَّن يَفهمُ فَهُو كَافِرٌ.

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَسَمعتُ أَبِي يَقُولُ: وَعَلَامَةُ أَهْلِ البِدَعِ الوَقِيعةُ فِي أَهْلِ الأثر، وَعَلَامةُ الزَّنادقةِ تَسميتُهم أهلَ السُّنَّة حَشويةً؛ يُرِيدُونَ إِبطَالَ الآثَارِ، وَعَلَامَةُ الجَهميَّة تَسميتُهم أهلَ السُّنَّة مُشبِّهةً، وَعَلَامَةُ القدريَّة تَسميتُهم أهلَ السُّنَّة مُجبرةً، وَعَلَامَةُ المُرجئةِ تَسميتُهم أهلَ السُّنَّة مُخالفةً ونُقصَانيَّةً، وَعَلَامَةُ الرَّافضةِ تَسميتُهم أهلَ السُّنة ناصِبةً.

وَلَا يَلحقُ أهلَ السُّنَّة إِلَّا اسمٌ وَاحِد، وَيَستحيلُ أن تَجمعَهم هَذِهِ الأَسمَاءُ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَسَمعتُ أَبِي وَأَبَا زُرعةَ يَأمُران بهجرَانِ أهلِ الزَّيغِ وَالبِدَعِ، وَيُغلِّظَان فِي ذَلِكَ أشدَّ التَّغليظِ، وَيُنكِرانِ وَضعَ الكُتُبِ بِالرَّأي بِغَيرِ آثَارٍ، وَيَنهَيَانِ عَن مُجَالَسَةِ أَهْلِ الكَلَامِ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِ المُتَكَلِّمِينَ، وَيَقُولَانِ: لَا يُفلحُ صَاحِبُ كَلَامٍ أَبَدًا.

قَالَ أَبُو مُحَمَّد بنُ أَبِي حَاتِم: «وَبِهِ أقولُ أنَا».

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ بنُ حُبَيْشٍ المُقرئ: «وَبِهِ أقولُ».

قَالَ شَيخُنا ابنُ المُظَفَّر: «وَبِهِ أقولُ».

وقالَ شَيخُنا - يَعني المُصنِّفَ: «وَبِهِ أقولُ».

وَفَّقَنَا الله وَكُلَّ مُؤمنٍ لِمَا يُحِبُّ وَيَرضَىٰ مِنَ القَولِ وَالعَمَلِ.

وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

* * *

٩- كتاب اعتقاد أهل السنة

للإمام

أبي بكرٍ أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي

(٢٧٧-٣٧١هـ)

٩- كتاب اعتقاد أهل السنة

قَالَ ابنُ قُدَامَةَ: أنبَأ الشَّرِيفُ أبُو العَبَّاسِ مَسعُودُ بنُ عَبدِ الوَاحِدِ بنِ مَطَرٍ الهَاشِمِيُّ، قَالَ: أنبَأ الحَافِظُ أبُو العَلاء صَاعِدُ بنُ سَيَّارٍ الهَرَوِيُّ: أنبَأ أبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الجُرجَانِي: أنبَأ أبُو القَاسِمِ حَمزَةُ بنُ يُوسُفَ السَّهمِيُّ: أنبَأ أبُو بَكرٍ أحمَدُ بنُ إبرَاهِيمَ الإسمَاعِيلِيُّ بِكِتَابِ: «اعتِقَاد السُّنَّةِ» لَهُ؛ قَالَ:

اعلَمُوا - رَحِمَنَا اللهُ وَإيَّاكُم - أنَّ مَذهَبَ أهلِ الحَدِيثِ أهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ:

١-الإقرَارُ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ.

٢-وَقَبُولُ مَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ الله تَعَالَىٰ، وَمَا صَحَّت بِهِ الرِّوَايَةُ عَن رَسُولِ الله ﷺ لا مَعدِلَ عَمَّا وَرَدَا بِهِ، وَلا سَبِيلَ إلَىٰ رَدِّهِ، إذ كَانُوا مَأمُورِينَ بِاتِّبَاعِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، مَضمُونًا لَهُمُ الهُدَىٰ فِيهِمَا، مَشهُودًا لَهُم بِأنَّ نَبِيَّهُم ﷺ يَهدِي إلَىٰ صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ، مُحذِّرِينَ فِي مُخَالَفَتِهِ الفِتنَةَ وَالعَذَابَ الألِيمَ.

٣- وَيَعتَقِدُونَ: أنَّ الله تَعَالَىٰ مَدعُوٌّ بِأسمَائِهِ الحُسنَىٰ، مَوصُوفٌ بِصِفَاتِهِ الَّتِي سَمَّىٰ وَوَصَفَ بِهَا نَفسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ ﷺ

٤-خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ.

٥-وَيَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيفَ يَشَاءُ، بِلا اعتِقَادِ كَيفٍ.

٦-وَأنَّهُ عزوجل استَوَىٰ عَلَىٰ العَرشِ بِلا كَيفٍ، فَإنَّ الله تَعَالَىٰ أنهَىٰ إلَىٰ أنه استَوَىٰ عَلَىٰ العَرشِ، وَلَم يَذكُر كَيفَ كَانَ استِوَاؤُهُ.

٧-وَأنَّهُ مَالِكُ خَلقِهِ، وَأنشَأهُم لَا عَن حَاجَةٍ إلَىٰ مَا خَلَقَ، وَلَا لِمَعنًىٰ دَعَاهُ إلَىٰ أن خَلَقَهُم، لَكِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ، وَيَحكُمُ مَا يُرِيدُ، لا يُسألُ عَمَّا يَفعَلُ، وَالخَلقُ مَسئُولُونَ عَمَّا يَفعَلُونَ.

٨- وَأنَّهُ مَدعُوٌّ بِأسمَائِهِ الحُسنَىٰ، وَمَوصُوفٌ بِصِفَاتِهِ الَّتِي سَمَّىٰ وَوَصَفَ بِهَا

نَفسَهُ، وَسَمَّاهُ وَوَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ ﷺ.

٩- لَا يُعجِزُهُ شَيءٌ فِي الأَرضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

١٠- وَلَا يُوصَفُ بِمَا فِيهِ نَقصٌ أَو عَيبٌ أَو آفَةٌ، فَإِنَّهُ ﷻ تَعَالَىٰ عَن ذَلِكَ.

١١- وَخَلَقَ آدَمَ ﷺ بِيَدِهِ.

١٢- وَيَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيفَ يَشَاءُ، بِلَا اعتِقَادِ كَيفَ يَدَاهُ؛ إِذ لَم يَنطِق كِتَابُ الله تَعَالَىٰ فِيهِ بِكَيفٍ.

١٣- وَلَا يُعتَقَدُ فِيهِ الأَعضَاءُ وَالجَوَارِحُ، وَلَا الطُّولُ وَالعَرضُ، وَالغِلَظُ وَالدِّقَّةُ، وَنَحوُ هَذَا مِمَّا يَكُونُ مِثلُهُ فِي الخَلقِ، وَأَنَّهُ لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ، تَبَارَكَ وَجهُ رَبِّنَا ذِي الجَلَالِ وَالإِكرَامِ.

١٤- وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّ أَسمَاءَ الله غَيرُ الله كَمَا يَقُولُهُ المُعتَزِلَةُ وَالخَوَارِجُ، وَطَوَائِفُ مِن أَهلِ الأَهوَاءِ.

١٥- وَيُثبِتُونَ أَنَّ لَهُ وَجهًا، وَسَمعًا، وَبَصَرًا، وَعِلمًا، وَقُدرَةً، وَقُوَّةً، وَعِزَّةً، وَكَلَامًا، لَا عَلَىٰ مَا يَقُولُهُ أَهلُ الزَّيغِ مِنَ المُعتَزِلَةِ وَغَيرِهِم، وَلَكِن كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَقَالَ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦].

وَقَالَ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَالَ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وَقَالَ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

١٦- فَهُوَ تَعَالَىٰ ذُو العِلمِ، وَالقُوَّةِ، وَالقُدرَةِ، وَالسَّمعِ، وَالبَصَرِ، وَالكَلَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾ [هود: ٣٧].

وَقَالَ: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وَقَالَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤].

وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠].

١٧- وَيَقُولُونَ مَا يَقُولُهُ المُسلِمُونَ بِأَسرِهِم: «مَا شَاءَ الله كَانَ، وَمَا لَم يَشَأْ لَا يَكُونَ»، كَمَا قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [التكوير: ٢٩].

١٨- وَيَقُولُونَ: لَا سَبِيلَ لأَحَدٍ أَن يَخرُجَ عَن عِلمِ الله، وَلَا أَن يَغلِبَ فِعلُهُ وَإِرَادَتُهُ مَشِيئَةَ الله، وَلَا أَن يُبَدِّلَ عِلمَ الله، فَإِنَّه العَالِمُ: لَا يَجهَلُ وَلَا يَسهُو، وَالقَادِرُ: لَا يُغلَبُ.

١٩- وَيَقُولُونَ: القُرآنُ كَلَامُ الله غَيرُ مَخلُوقٍ، وَإِنَّهُ كَيفَمَا تَصَرَّفَ بِقِرَاءَةِ القَارِئِ لَهُ وَبِلَفظِهِ، وَمَحفُوظًا فِي الصُّدُورِ، مَتلُوًّا بِالألسنِ، مَكتُوبًا فِي المَصَاحِفِ، غَيرُ مَخلُوقٍ، وَمَن قَالَ بِخَلقِ اللَّفظِ بِالقُرآنِ يُرِيدُ بِهِ القُرآنَ؛ فَقَد قَالَ بِخَلقِ القُرآنِ.

٢٠- وَيَقُولُونَ: إِنَّه لَا خَالِقَ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ إِلَّا الله عَزَّوَجَلَّ، وَإِنَّ أَكسَابَ العِبَادِ كُلَّهَا مَخلُوقَةٌ لله، وَإِنَّ الله يَهدِي مَن يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَن يَشَاءُ، لَا حُجَّةَ لِمَن أَضَلَّه الله عَزَّوَجَلَّ وَلَا عُذرَ، كَمَا قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وَقَالَ: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ ﴾ [الأعراف: ٢٩-٣٠].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وَقَالَ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ ﴾ [الحديد: ٢٢]. وَمَعنَىٰ: ﴿نَّبۡرَأَهَآۚ﴾: نَخلُقَهَا، بِلَا خِلَافٍ فِي اللُّغَةِ.

وَقَالَ مُخبِرًا عَن أَهلِ الجَنَّةِ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ

هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأعراف: ٤٣] .

وَقَالَ: ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[الرعد: ٣١] .

وَقَالَ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود: ١١٨-١١٩] .

٢١- وَيَقُولُونَ: إنَّ الخَيرَ وَالشَّرَّ، والحُلوَ والمُرَّ، بِقَضَاءٍ مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ ، أمضَاهُ وَقَدَّرَهُ لَا يَملِكُونَ لأنفُسِهِم ضَرًّا وَلَا نَفعًا، إلَّا مَا شَاءَ الله.

٢٢- وَإِنَّهُم فُقَرَاءُ إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ لا غِنَىٰ لَهُم عَنهُ فِي كُلِّ وَقتٍ.

٢٣- وَإِنَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَنزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ عَلَىٰ مَا صَحَّ بِهِ الخَبَرُ عَن رَسُولِ الله[1] بِلَا اعتِقَادِ كَيفٍ فِيهِ.

٢٤- وَيَعتَقِدُونَ جَوَازَ الرُّؤيَةِ مِنَ العِبَادِ المُتَّقِينَ لله عَزَّوَجَلَّ فِي القِيَامَةِ دُونَ الدُّنيَا، وَوُجُوبَهَا لِمَن جَعَلَ ذَلِكَ ثَوَابًا لَهُ فِي الآخِرَة، كَمَا قَالَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣] .

وَقَالَ فِي الكُفَّارِ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥] .

فَلَو كَانَ المُؤمِنُونَ كُلُّهُم وَالكَافِرُونَ كُلُّهُم لَا يَرونَهُ كَانُوا بِأجمَعِهِم عَنهُ مَحجُوبِينَ، وَذَلِكَ مِن غَيرِ اعتِقَادِ التَّجسِيمِ فِي الله عَزَّوَجَلَّ، وَلَا التَّحدِيدِ لَهُ؛ وَلَكِن يَرونَهُ - جَلَّ وَعَزَّ - بِأعيُنِهِم عَلَىٰ مَا يَشَاءُ هُوَ بِلَا كَيفٍ.

٢٥- وَيَقُولُونَ: إِنَّ الإِيمَانَ قَولٌ وَعَمَلٌ وَمَعرِفَةٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنقُصُ بِالمَعصِيَةِ، وَمَن كَثُرَت طَاعَتُهُ أَزيَدُ إِيمَانًا مِمَّن هُوَ دُونَهُ فِي الطَّاعَةِ.

٢٦- وَيَقُولُونَ: إِنَّ أَحَدًا مِن أَهلِ التَّوحِيدِ وَمَن يُصَلِّي إِلَىٰ قِبلَةِ المُسلِمِينَ، لَو ارتَكَبَ ذَنبًا، أَو ذُنُوبًا كَثِيرَةً، صغَائِرَ، أَو كَبَائِرَ، مَعَ الإِقَامَةِ عَلَىٰ التَّوحِيدِ لله، وَالإِقرَارِ

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

بِمَا التَزَمَهُ وَقَبِلَهُ عَنِ اللهِ، فَإِنَّه لَا يُكفِّرُ بِهِ، وَيَرجُونَ لَهُ المَغفِرَةَ ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٢٧- وَاختَلَفُوا فِي مُتَعَمِّدِي تَركِ الصَّلَاةِ المَفرُوضَةِ حَتَّىٰ يَذهَبَ وَقتُهَا مِن غَيرِ عُذرٍ، فَكَفَّرَهُ جَمَاعَةٌ، لِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَينَ العَبدِ وَبَينَ الكُفرِ تَركُ الصَّلَاةِ»(١).

وَقَولُهُ: «مَن تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَد كَفَرَ»(٢).

وَ: «مَن تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَد بَرِئَت مِنهُ ذِمَّةُ اللهِ»(٣).

وَتَأَوَّلَ جَمَاعَةٌ مِنهُم أَنَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ مَن تَرَكَهَا جَاحِدًا لَهَا، كَمَا قَالَ يُوسُفُ عليه السلام: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]. تَركَ جُحُودٍ.

٢٨- وَقَالَ كَثِيرٌ مِنهُم: إِنَّ الإِيمَانَ قَولٌ وَعَمَلٌ، وَالإِسلَامَ: فِعلُ مَا فُرِضَ عَلَىٰ الإِنسَانِ أَن يَفعَلَهُ إِذَا ذُكِرَ كُلُّ اسمٍ عَلَىٰ حِدَتِهِ مَضمُومًا إِلَىٰ الآخَرِ، فَقِيلَ: المُؤمِنُونَ وَالمُسلِمُونَ جَمِيعًا أَو مُفرَدَينِ أُرِيدَ بِأَحَدِهِمَا مَعنًىٰ لَم يُرَد بِالآخَرِ، وَإِن ذُكِرَ أَحَدُ الاسمَينِ شَمِلَ الكُلَّ وَعَمَّهُم.

٢٩- وَكَثِيرٌ مِنهُم قَالُوا: الإِسلَامُ وَالإِيمَانُ وَاحِدٌ.

فَقَالَ اللهُ عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فَلَو أَنَّ الإِيمَانَ غَيرُهُ لَم يُقبَل، وَقَالَ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦].

٣٠- وَمِنهُم: مَن ذَهَبَ إِلَىٰ أَنَّ الإِسلَامَ مُختَصٌّ بِالاستِسلَامِ للهِ وَالخُضُوعِ لَهُ، وَالانقِيَادِ لِحُكمِهِ فِيمَا هُوَ مُؤمِنٌ بِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟

(١) أخرجه مسلم (٨٢).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٣٤٨)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٥٦٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٨١٨)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٦٩).

وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾. [الحجرات: ١٤].

وَقَالَ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ ﴾[الحجرات: ١٧]. وَهَذَا أَيضًا دَلِيلٌ لِمَن قَالَ: هُمَا وَاحِدٌ.

٣١- وَيَقُولُونَ: إِنَّ الله يُخرِجُ مِنَ النَّارِ قَومًا مِن أهلِ التَّوحِيدِ بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ بِرَحمَتِهِ.

٣٢- وَإِنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ.

٣٣- وَإِنَّ الحَوضَ حَقٌّ.

٣٤- وَالمِيزَانَ حَقٌّ.

٣٥- وَالحِسَابَ حَقٌّ.

٣٦- وَلَا يَقطَعُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِن أَهلِ المِلَّةِ أَنَّهُ مِن أَهلِ الجَنَّةِ، أَو أَنَّهُ مِن أَهلِ النَّارِ؛ لأَنَّ عِلمَ ذَلِكَ يَغِيبُ عَنهُم لَا يَدرُونَ عَلَىٰ مَاذَا يَمُوتُ: أَعَلَىٰ الإِسلَامِ أَم عَلَىٰ الكُفرِ؟

وَلَكِن يَقُولُونَ: إِنَّ مَن مَاتَ عَلَىٰ الإِسلَامِ مُجتَنِبًا لِلكَبَائِرِ وَالأَهوَاءِ وَالآثَامِ، فَهُوَ مِن أَهلِ الجَنَّةِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[البينة: ٧]. وَلَم يَذكُر عَنهُم ذَنبًا: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾[البينة: ٧-٨].

٣٧- وَمَن شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِعَينِهِ بِأَنَّهُ مِن أَهلِ الجَنَّةِ، وَصَحَّ لَهُ ذَلِكَ عَنهُ، فَإِنَّهُم يَشهَدُونَ لَهُ بِذَلِكَ اتِّبَاعًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَصدِيقًا لِقَولِهِ.

٣٨- وَيَقُولُونَ: إِنَّ عَذَابَ القَبرِ حَقٌّ، يُعَذِّبُ اللهُ مَن استَحَقَّهُ إِن شَاءَ، وَإِن شَاءَ عَفَا عَنهُ، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾[غافر: ٤٦].

فَأَثبَتَ لَهُم مَا بَقِيَتِ الدُّنيَا عَذَابًا بِالغُدُوِّ وَالعَشِيِّ دُونَ مَا بَينَهُمَا، حَتَّىٰ إِذَا قَامَتِ القِيَامَةُ عُذِّبُوا أَشَدَّ العَذَابِ، بِلَا تَخفِيفٍ عَنهُم، كَمَا كَانَ فِي الدُّنيَا.

وَقَالَ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤] يَعنِي: قَبلَ فَنَاءِ الدُّنيَا.

لِقَولِهِ تَعَالَىٰ بَعدَ ذَلِكَ: ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ بيَّنَ أَنَّ المَعِيشَةَ الضَّنكَ قَبلَ يَومِ القِيَامَةِ، وَفِي مُعَايَنَتِنَا اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ وَالمُشرِكِينَ فِي العَيشِ الرَّغدِ وَالرَّفَاهَةِ فِي المَعِيشَةِ، مَا يُعلَمُ بِهِ أَنَّهُ لَم يُرِد بِهِ ضِيقَ الرِّزقِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا، لِوُجُودِ مُشرِكِينَ فِي سَعَةٍ مِن أَرزَاقِهِم، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ بَعدَ المَوتِ قَبلَ الحَشرِ.

٣٩- وَيُؤمِنُونَ بِمَسأَلَةِ مُنكَرٍ وَنَكِيرٍ عَلَىٰ مَا ثَبَتَ بِهِ الخَبَرُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وَمَا وَرَدَ تَفسِيرُهُ عَنِ النَّبِيِّ (١).

٤٠- وَيَرَونَ تَركَ الخُصُومَاتِ وَالمِرَاءِ فِي القُرآنِ وَغَيرِهِ لِقَولِ اللهِ ﷻ: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [غافر: ٤] يَعنِي: يُجَادِلُ فِيهَا تَكذِيبًا بِهَا، وَاللهُ أَعلَمُ.

٤١- وَيُثبِتُونَ خِلَافَةَ أَبِي بَكرٍ رضي الله عنه بَعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِاختِيَارِ الصَّحَابَةِ إِيَّاهُ، ثُمَّ خِلَافَةَ عُمَرَ بَعدَ أَبِي بَكرٍ رضي الله عنه، بِاستِخلَافِ أَبِي بَكرٍ إِيَّاهُ، ثُمَّ خِلَافَةَ عُثمَانَ رضي الله عنه بِاجتِمَاعِ أَهلِ الشُّورَىٰ وَسَائِرِ المُسلِمِينَ عَلَيهِ عَن أَمرِ عُمَرَ، ثُمَّ خِلَافَةَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، بِبَيعَةِ مَن بَايَعَ مِنَ البَدرِيِّينَ: عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ، وَسَهلِ بنِ حُنَيفٍ، وَمَن تَبِعَهُمَا مِن سَائِرِ الصَّحَابَةِ مَعَ سَابِقَتِهِ وَفَضلِهِ.

٤٢- وَيَقُولُونَ بِتَفضِيلِ الصَّحَابَةِ الَّذِين رَضِيَ اللهُ عَنهُم؛ لِقَولِهِ: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨]

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

وَقولِهِ: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَمَن أثبتَ الله رِضَاهُ عَنهُ؛ لَم يَكُن مِنهُ بَعدَ ذَلِكَ مَا يُوجِبُ سَخَطَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلَم يُوجِب ذَلِكَ للتَّابِعِينَ إِلَّا بِشرطِ الإحسَانِ، فَمَن كَانَ مِنَ التَّابِعِينَ مِن بَعدِهِم لَم يَأتِ بِالإحسَانِ، فَلَا مَدخَلَ لَهُ فِي ذَلِكَ.

وَمَن غَاظَهُ مَكَانُهُم مِنَ الله، فَهُوَ مَخُوفٌ عَلَيهِ مَا لَا شَيءَ أعظَمُ مِنهُ؛ لِقَولِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩].

فَأخبرَ أَنَّهُ جَعَلَهُم غَيظًا لِلكَافِرِينَ، وَقَالُوا بِخِلَافَتِهِم؛ لِقَولِ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ فَخَاطَبَ بِقَولِهِ: ﴿ مِنكُمْ ﴾ مَن نَزَلَتِ الآيَةُ وَهُوَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ دِينِهِ، فَقَالَ بَعدَ ذَلِكَ: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥].

فَمَكَّنَ الله بِأَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ وَعُثمَانَ - الدِّينَ، وَعْدُ الله، آمِنِينَ يَغزُونَ وَلَا يُغزَونَ، وَيُخِيفُونَ العَدُوَّ وَلَا يُخِيفُهُمُ العَدُوُّ.

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ لِقَومٍ تَخَلَّفُوا عَن نَبِيِّهِ ﷺ فِي الغَزوَةِ الَّتِي نَدَبَهُمُ الله عَزَّوَجَلَّ بِقَولِهِ: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ [التوبة: ٨٣].

فَلَمَّا لَقوا النَّبِيَّ ﷺ يَسأَلُونَهُ الإذنَ فِي الخُرُوجِ لِلغَزوِ فَلَم يَأذَن لَهُم، أَنزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح: ١٥].

وَقَالَ لَهُم: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦].

وَالَّذِينَ كَانُوا فِي عَهدِ رَسُولِ الله ﷺ أَحيَاءً خُوطِبُوا بِذَلِكَ لَمَّا تَخَلَّفُوا عَنهُ، وَبَقِي مِنهُم فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ وَعُثمَانَ ﷺ فَأَوجَبَ لَهُم بِطَاعَتِهِم إِيَّاهُمُ الأَجرَ، وَبِتَركِ طَاعَتِهِمُ العَذَابَ الأَلِيمَ، إِيذَانًا مِنَ الله ﷻ بِخِلَافَتِهِم ﷺ وَلَا جَعَلَ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِأَحَدٍ مِنهُم؛ فَإِذَا ثَبَتَ خِلَافَةُ وَاحِدٍ مِنهُم، انتُظِمَ مِنهَا خِلَافَةُ الأَربَعَةِ.

٤٣- وَيَرَونَ الصَّلَاةَ -الجُمُعَةَ وَغَيرَهَا- خَلفَ كُلِّ إِمَامٍ مُسلِمٍ بَرًّا كَانَ أَو فَاجِرًا، فَإِنَّ الله ﷻ فَرَضَ الجُمُعَةَ وَأَمَرَ بِإِتيَانِهَا فَرضًا مُطلَقًا، مَعَ عِلمِهِ تَعَالَىٰ بِأَنَّ القَائِمِينَ يَكُونُ مِنهُمُ الفَاجِرُ وَالفَاسِقُ، فَلَم يَستَثنِ وَقتًا دُونَ وَقتٍ، وَلَا أَمرًا بِالنِّدَاءِ لِلجُمُعَةِ دُونَ أَمرٍ.

٤٤- وَيَرَونَ جِهَادَ الكُفَّارِ مَعَهُم، وَإِن كَانُوا جَوَرَةً.

٤٥- وَيَرَونَ الدُّعَاءَ لَهُم بِالإِصلَاحِ وَالعَطفِ إِلَىٰ العَدلِ.

٤٦- وَلَا يَرَونَ الخُرُوجَ بِالسَّيفِ عَلَيهِم.

٤٧- وَلَا القِتَالَ فِي الفِتنَةِ.

٤٨- وَيَرَونَ قِتَالَ الفِئَةِ البَاغِيَةِ مَعَ الإِمَامِ العَدلِ، إِذَا كَانَ وَوُجِدَ عَلَىٰ شَرطِهِم فِي ذَلِكَ.

٤٩- وَيَرَونَ الدَّارَ دَارَ إِسلَامٍ، لَا دَارَ كُفرٍ - كَمَا رَأَتهُ المُعتَزِلَةُ - مَا دَامَ النِّدَاءُ بِالصَّلَاةِ وَالإِقَامَةِ ظَاهِرَينِ، وَأَهلُهَا مُمَكَّنِينَ مِنهَا آمِنِينَ.

٥٠- وَيَرَونَ أَنَّ أَحَدًا لَا تُخلَصُ لَهُ الجَنَّةُ وَإِن عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، إِلَّا بِفَضلِ الله وَرَحمَتِهِ الَّتِي يَخُصُّ بِهِمَا مَن يَشَاءُ، فَإِنَّ عَمَلَهُ لِلخَيرِ وَتَنَاوُلَهُ الطَّاعَاتِ إِنَّمَا كَانَ عَن فَضلِ الله الَّذِي لَو لَم يَتَفَضَّل بِهِ عَلَيهِ لَم يَكُن لِأَحَدٍ عَلَىٰ الله حُجَّةٌ وَلَا عَتبٌ.

كما قال الله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] وَقَالَ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤]

٥١- وَيَقُولونَ: إِنَّ الله ﷻ أجَلَ لِكُلِّ حَيٍّ مَخلُوقٍ أَجَلًا هُوَ بَالِغُهُ، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وَإِن مَاتَ أو قُتِلَ فَهُوَ عِندَ انتِهَاءِ أَجَلِهِ المُسَمَّىٰ لَهُ، كَمَا قَالَ الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

٥٢- وَإِنَّ الله تَعَالَىٰ يَرزُقُ كُلَّ حَيٍّ مَخلُوقٍ رِزقَ الغِذَاءِ الَّذِي بِهِ قِوَامُ الحَيَاةِ، وَهُوَ مَا يَضمَنُهُ الله لِمَن أَبقَاهُ مِن خَلقِهِ، وَهُوَ الَّذِي رَزَقَهُ مِن حَلَالٍ أو مِن حَرَامٍ، وَكَذَلِكَ رِزقُ الزِّينَةِ الفَاضِلِ عَمَّا يَحيَا بِهِ.

٥٣- وَيُؤمِنُونَ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ خَلَقَ شَيَاطِينَ تُوَسوِسُ للآدَمِيِّينَ، وَيَختَدِعُونَهُم وَيَغُرُّونَهُم.

٥٤- وَأَنَّ الشَّيطَانَ يَتَخَبَّطُ الإِنسَانَ.

٥٥- وَأَنَّ فِي الدُّنيَا سِحرًا وَسَحَرَةً، وَأَنَّ السِّحرَ وَاستِعمَالَهُ كُفرٌ مِن فَاعِلِهِ مُعتَقِدًا لَهُ نَافِعًا ضَارًّا بِغَيرِ إِذنِ الله.

٥٦- وَيَرَونَ مُجَانَبَةَ البِدعَةِ وَالآثَامِ، وَالفَخرِ، وَالتَّكَبُّرِ، وَالعُجبِ، وَالخِيَانَةِ، وَالدَّغَلِ، وَالاغتِيَالِ وَالسِّعَايَةِ.

٥٧- وَيَرَونَ كَفَّ الأَذَىٰ وَتَركَ الغِيبَةِ، إِلَّا لِمَن أَظهَرَ بِدعَةً وَهَوَىٰ يَدعُو إِلَيهِمَا، فَالقَولُ فِيهِ لَيسَ بِغِيبَةٍ عِندَهُم.

٥٨- وَيَرَونَ تَعَلُّمَ العِلمِ، وَطَلَبَهُ مِن مَظَانِّهِ، وَالجِدَّ فِي تَعَلُّمِ القُرآنِ وَعُلُومِهِ، وَتَفسِيرِهِ، وَسَمَاعِ سُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَجَمعِهَا وَالتَّفَقُّهِ فِيهَا، وَطَلَبِ آثَارِ أَصحَابِهِ.

وَالكَفَّ عَنِ الوَقِيعَةِ فِيهِم، وَتَأَوُّلِ القَبِيحِ عَلَيهِم، وَيَكِلُونَهُم فِيمَا جَرَىٰ بَينَهُم

عَلَىٰ التَّأوِيلِ إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

٥٩- مَعَ لُزُومِ الجَمَاعَةِ.

٦٠- وَالتَّعَفُّفِ فِي المَأكَلِ وَالمَشرَبِ وَالمَلبسِ.

٦١- وَالسَّعيِ فِي عَمَلِ الخَيرِ.

٦٢- وَالأَمرِ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ وَالإِعرَاضِ عَنِ الجَاهِلِينَ، حَتَّىٰ يُعَلِّمُوهُم، وَيُبَيِّنُوا لَهُمُ الحَقَّ، ثُمَّ الإِنكَارُ وَالعُقُوبَةُ مِن بَعدِ البَيَانِ، وَإِقَامَةِ العُذرِ بَينَهُم وَبَينَهُم.

هَذَا أَصلُ الدِّينِ وَالمَذهَبِ، وَاعتِقَادُ أَئِمَّةِ أَهلِ الحَدِيثِ، الَّذِينَ لَم تَشِنْهُم بِدعَةٌ، وَلَم تَلبِسهُم فِتنَةٌ، وَلَم يَخِفُّوا إِلَىٰ مَكرُوهٍ فِي دِينٍ، فَتَمَسَّكُوا مُعتَصِمِينَ بِحَبلِ الله جَمِيعًا، وَلَا تَفَرَّقُوا عَنهُ، وَاعلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَىٰ أَوجَبَ مَحَبَّتَهُ وَمَغفِرَتَهُ لِمُتَّبِعِي رَسُولِهِ ﷺ فِي كِتَابِهِ، وَجَعَلَهُمُ الفِرقَةَ النَّاجِيَةَ وَالجَمَاعَةَ المُتَّبِعَةَ.

فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ لِمَنِ ادَّعَىٰ أَنَّهُ يُحِبُّ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

نَفَعَنَا الله وَإِيَّاكُم بِالعِلمِ، وَعَصَمَنَا بِالتَّقوَىٰ مِنَ الزَّيغِ وَالضَّلَالَةِ بِمَنِّهِ وَرَحمَتِهِ.

* * *

١٠- العقيدة الطحاوية

للإمام

أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي

(٢٣٩-٣٢١هـ)

١٠- العقيدة الطحاوية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ أَبُو جَعْفَرٍ الْوَرَّاقُ الطَّحَاوِيُّ -بِمِصْرَ- رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، عَلَىٰ مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْكُوفِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-؛ وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

١- نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ -مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ-: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

٢- وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ.

٣- وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ.

٤- وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

٥- قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ.

٦- لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَبِيدُ.

٧- وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ.

٨- لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ.

٩- وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ.

١٠- حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ.

١١- خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ.

١٢- مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.

١٣- مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.

١٤- لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ «الْخَالِقِ»، وَلَا بِإِحْدَاثِ الْبَرِيَّةِ اسْتَفَادَ اسْمَ «الْبَارِي».

١٥- لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبٌ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقٌ.

١٦- وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا؛ اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ.

١٧- ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

١٨- خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ.

١٩- وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا.

٢٠- وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا.

٢١- وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ.

٢٢- وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

٢٣- وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ، لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

٢٤- يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا.

٢٥- وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ.

٢٦- وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ.

٢٧- لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ.

٢٨- آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ.

٢٩- وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى.

٣٠- وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٣١- وَكُلُّ دَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوَىٰ.

٣٢- وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الْجِنِّ، وَكَافَّةِ الْوَرَىٰ، بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

٣٣- وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ وَعَابَهُ، وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦]. فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٥]. عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ.

٣٤- وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمَعْنًىٰ مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ، وعَلِمَ أَنَّهُ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ.

٣٥- وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. وَتَفْسِيرُهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَعَلِمَهُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَ، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا؛ فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ للهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَىٰ عَالِمِهِ.

٣٦- وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَىٰ ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ، فَمَنْ رَامَ؛ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ؛ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ، فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، مُوَسْوَسًا تَائِهًا، شَاكًّا، زَائِغًا لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا

جَاحِدًا مُكَذِّبًا.

٣٧- وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ؛ إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ، وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ بِتَرْكِ التَّأْوِيلِ وَلُزُومِ التَّسْلِيمِ، وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ. وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ؛ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ؛ فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ.

٣٨- وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ.

٣٩- وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ⑪﴾ [النجم: ١١] فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى.

٤٠- وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ -غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ- حَقٌّ.

٤١- وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ.

٤٢- وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ.

٤٣- وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ.

٤٤- وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ.

٤٥- وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ

يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ؛ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

٤٦- فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ، وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ.

٤٧- وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ، فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ؛ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ؛ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا؛ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ.

٤٨- وَعَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلَا مُعَقِّبٌ، وَلَا مُزِيلٌ وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا نَاقِصٌ وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ، وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ، وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرُبُوبِيَّتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨].

فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لِلهِ تَعَالَىٰ فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.

٤٩- وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ.

٥٠- وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ.

٥١- مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.

٥٢- وَنقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا.

٥٣- وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ.

٥٤- وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ.

٥٥- وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ.

٥٦- وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ أَجْمَعِينَ - وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ، لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

٥٧- وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ.

٥٨- وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.

٥٩- وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ.

٦٠- وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ.

٦١- وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فيه.

٦٢- وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.

٦٣- وَجَمِيعُ ما صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ.

٦٤- وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، والتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ

وَالتُّقَىٰ، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَىٰ، وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَىٰ.

٦٥- وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ.

٦٦- وَالإِيمَانُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالبَعْثِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ الله تَعَالَىٰ.

٦٧- وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَىٰ مَا جَاءُوا بِهِ.

٦٨- وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ لَا يُخَلَّدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا الله عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ، وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ تَوَلَّىٰ أَهْلَ طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ، الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلَايَتِهِ. اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنَا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ نَلْقَاكَ بِهِ.

٦٩- وَنَرَىٰ الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وعَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ.

٧٠- وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ.

٧١- وَلَا نَرَىٰ السَّيْفَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.

٧٢- وَلَا نَرَىٰ الْخُرُوجَ عَلَىٰ أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَىٰ طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ الله ﷻ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ.

٧٣- وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ.

٧٤- وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ.

٧٥- وَنَقُولُ: الله أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ.

٧٦- وَنَرَىٰ الْمَسْحَ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ.

٧٧- وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا.

٧٨- وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؛ فَإِنَّ الله قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ.

٧٩- وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ.

٨٠- وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَىٰ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنِ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ.

٨١- وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.

٨٢- وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ.

٨٣- وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، وأن الله تَعَالَىٰ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَىٰ النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَىٰ مَا خُلِقَ لَهُ.

٨٤- وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَىٰ الْعِبَادِ.

٨٥- وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ، فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمْكِينِ وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

٨٦- وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هي خَلْقُ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ.

٨٧- وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ الله تَعَالَىٰ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ تَفْسِيرُ: «لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ». نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ الله إِلَّا بِمَعُونَةِ الله، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَىٰ إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ.

٨٨- وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ الله تَعَالَىٰ وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا. تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ. ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

٨٩- وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ.

٩٠- وَاللهُ تَعَالَىٰ يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ.

٩١- وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ، وَلَا غِنَىٰ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَفَرَ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ.

٩٢- وَاللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَىٰ.

٩٣- وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ.

٩٤- وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَىٰ جَمِيعِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، ثُمَّ لِعُثْمَانَ رضي الله عنه، ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَئِمَّةُ الْمُهْتَدُونَ.

٩٥- وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، عَلَىٰ مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو

عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ - رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

٩٦- وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.

٩٧- وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ - أَهْلِ الْخَيْرِ وَالأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ -، لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ، فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ.

٩٨- وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ﷺ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ.

٩٩- وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ.

١٠٠- وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْ: خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.

١٠١- وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الأُمَّةِ.

١٠٢- وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

١٠٣- وَدِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الإِسْلَامِ. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

١٠٤- وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالإِيَاسِ.

١٠٥- فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بُرَآءُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ، وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ،

وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ: الْمُشَبِّهَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بُرَآءُ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ وَبِاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

* * *

١١- العقيدة القيروانية

للإمام

أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني

(٣١٠ - ٣٨٦ هـ)

١١- العقيدة القيروانية

قَالَ أَبُو مُحَمَّد عَبْد الله بْن أَبِي زَيْد الْقَيْرَوَانِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاه:

باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات

* مِنْ ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ أَنَّ اللهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلا وَالِدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ وَلَا شَرِيكَ لَهُ.

* لَيْسَ لأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، لاَ يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ، يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلاَ يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَاتِهِ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

* الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، الْمُدَبِّرُ الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ.

* خَلَقَ الإِنْسَانَ وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

* عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى، وَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَى.

لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً وَأَسْمَاؤُهُ مُحْدَثَةً.

كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكًّا مِنْ جَلالِهِ.

وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدُ، وَلاَ صِفَةً لِمَخْلُوقٍ فَيَنْفَدُ.

وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وَكُلُّ ذَٰلِكَ قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنَا، وَمَقَادِيرُ الأُمُورِ بِيَدِهِ وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ.

عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ، فَجَرَىٰ عَلَىٰ قَدَرِهِ، لاَ يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلاَ عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٤]، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ بِتَيْسِيرِهِ إِلَىٰ مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.

* تَعَالَىٰ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لأَحَدٍ عَنْهُ غِنًىٰ، أَوْ يَكُونَ خَالِقٌ لِشَيْءٍ إِلَّا هُوَ، رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُقَدِّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَآجَالِهِمْ، الْبَاعِثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ؛ لإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

* ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالنِّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ﷺ فَجَعَلَهُ آخِرَ الْمُرْسَلِينَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

* وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ، وَهَدَىٰ بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

* وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ.

* وَأَنَّ اللهَ ﷻ ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كَبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الْكَبَائِرِ صَائِرًا إِلَىٰ مَشِيئَتِهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَمَنْ عَاقَبَهُ بِنَارِهِ أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧] وَيَخْرُجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ.

* وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ، فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لأَوْلِيَائِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا

بِالنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتَهُ إِلَىٰ أَرْضِهِ بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ.

وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَأَلْحَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ.

* وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا لِعَرْضِ الأُمَمِ وَحِسَابِهَا، وَعُقُوبَتِهَا، وَثَوَابِهَا، وَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَيُؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيرًا.

* وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَنَاجُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ.

* وَالإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَرِدُهُ أُمَّتُهُ، لاَ يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ وَيُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ.

* وَأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلاَصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا، فَيَكُونُ فِيهَا النَّقْصُ، وَبِهَا الزِّيَادَةُ، وَلاَ يَكْمُلُ قَوْلُ الإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ.

* وَلاَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلاَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ.

* وَأَنَّهُ لاَ يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

* وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

* وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، وَيُسْأَلُونَ، ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

* وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلاَ يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ

رَبِّهِمْ، وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

* وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.

* وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ.

* وَأَلَّا يُذْكَرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ.

* وَالطَّاعَةُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَعُلَمَائِهِمْ وَاتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمْ.

* وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَتَرْكُ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ.

* وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

* * *

١٢- الاقتصاد في الاعتقاد

للإمام

عَبد الغَنِيّ بن عَبدِ الوَاحِدِ المقدِسيّ

(٥٤١-٦٠٠هـ)

١٢- الاقتصاد في الاعتقاد

رب يسّر وأعن

وَالحَمدُ لله وَحدَهُ، حَسبُنَا اللهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ.

قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ العَالِمُ الزَّاهِدُ الحَافِظُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبدُ الغَنِيِّ بنُ عَبدِ الوَاحِدِ بنِ عَلِيِّ بنِ سُرورٍ الحَنبَلِيُّ المَقدِسِيُّ رحمه الله تَعَالَىٰ:

الحَمدُ للهِ المُتَفَرِّدِ بِالكَمَالِ وَالبَقَاءِ، وَالعِزِّ وَالكِبرِيَاءِ، المَوصُوفِ بِالصِّفَاتِ وَالأَسمَاءِ، المُنَزَّهِ عَنِ الأَشبَاهِ وَالنُّظَرَاءِ، الَّذِي سَبَقَ عِلمُهُ فِي بَرِيَّتِهِ بِمُحكَمِ القَضَاءِ، مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ، وَاستَوَىٰ عَلَىٰ عَرشِهِ فَوقَ السَّمَاءِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ الهَادِي إِلَىٰ المَحَجَّةِ البَيضاءِ وَالشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ، مُحَمَّدٍ سَيِّدِ المُرسَلِينَ وَالأَنبِيَاءِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ الطَّاهِرِينَ الأَتقِيَاءِ، صَلَاةً دَائِمَةً إِلَىٰ يَومِ اللِّقَاءِ.

اعلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ لِمَا يُرضِيهِ مِن القَولِ وَالنِّيَّةِ وَالعَمَلِ، وَأَعَاذَنَا وَإِيَّاكَ مِن الزَّيغِ وَالزَّلَلِ، أَنَّ صَالِحَ السَّلَفِ، وَخِيَارَ الخَلَفِ، وَسَادَةَ الأَئِمَّةِ، وَعُلَمَاءَ الأُمَّةِ، اتَّفَقَت أَقوَالُهُم، وَتَطابقت آرَاؤُهُم عَلَىٰ الإِيمَانِ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَنَّهُ أَحَدٌ فَردٌ صَمَد، حَيٌّ قَيُّومٌ، سَمِيعٌ بَصِيرٌ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَلَا عِدلَ وَلَا مِثلَ.

وَأَنَّهُ عَزَّوَجَلَّ مَوصُوفٌ بِصِفَاتِهِ القَدِيمَةِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا كِتَابُهُ العَزِيزُ الَّذِي لَا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلَا مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

وَصَحَّ بِهَا النَّقلُ عَن نَبِيِّهِ وَخِيرَتِهِ مِن خَلقِهِ محمَّدٍ سَيِّدِ البَشَرِ، الَّذِي بَلَّغَ رِسالَةَ رَبِّهِ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَأَقَامَ المِلَّةَ، وَأَوضَحَ المَحَجَّةَ، وَأَكمَلَ الدِّينَ، وَقَمَعَ الكَافِرِينَ، وَلَم يَدَع لِمُلحِدٍ مَجَالًا، وَلَا لِقَائِلٍ مَقَالًا.

فَرَوَىٰ طَارِقُ بنُ شِهَابٍ قَالَ: «جَاءَ يَهُودِيٌّ إِلَىٰ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ:

يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، آيَة فِي كِتَابِكُم تقرَءُونَهَا لَو عَلَينَا مَعشَرَ يَهُودٍ نَزَلَت، نَعلَمُ اليَومَ الَّذِي نَزَلَت فِيهِ لَاتَّخَذنَا ذَلِكَ اليَومَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

فَقَالَ: إِنِّي لَأَعلَمُ اليَومَ الَّذِي نَزَلَت وَالمَكَانَ، نَزَلَت عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَحنُ بِعَرَفَةَ عَشِيَّةَ جُمُعَةٍ»(١).

فَآمَنُوا بِمَا قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ فِي كِتَابِهِ، وَصَحَّ عَن نَبِيِّهِ، وَأَمَرُّوهُ كَمَا وَرَدَ مِن غَيرِ تَعَرُّضٍ لِكَيفِيَّةٍ، أَوِ اعتِقَادِ شُبهَةٍ او مِثلِيَّةٍ، أَو تأوِيلٍ يُؤَدِّي إِلَىٰ التَّعطِيلِ، وَوَسِعَتهُمُ السُّنَّةُ المُحَمَّدِيَّةُ، وَالطَّرِيقَةُ المَرضِيةُ، وَلَم يَتَعَدَّوهَا إِلَىٰ البِدعَةِ المُردِيَةِ الرَّدِيَّةِ، فَحَازُوا بِذَلِكَ الرُّتبَةَ السَّنِيةَ، وَالمَنزِلَةَ العَلِيَّةَ.

فَمِن صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفسَهُ، وَنَطَقَ بِهَا كِتَابُهُ، وَأَخبَرَ بِهَا نَبِيُّهُ: أَنَّهُ مُستَوٍ عَلَىٰ عَرشِهِ كَمَا أَخبَرَ عَن نَفسِهِ؛ فَقَالَ عَزَّ مِن قَائِلٍ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

وَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢].

وَقَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وَقَالَ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩].

وَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤].

وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

[الحديد: ٤].

فَهَذِهِ سَبعَةُ مَوَاضِعَ أخبرَ الله فِيهَا سُبحَانَهُ أنَّهُ عَلَىٰ العَرشِ.

وَرَوَىٰ أبُو هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ اللهَ عز وجل كَتَبَ كِتَابًا قَبلَ أن يَخلُقَ الخَلقَ: إنَّ رَحمَتِي سَبقَت غَضَبِي. فَهُوَ عِندَهُ فَوقَ العَرشِ»(١).

وَرَوَىٰ العَبَّاسُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ رضي الله عنه: «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ سَبعَ سَمَوَاتٍ وَمَا بَينَهَا ثُمَّ قَالَ: وَفَوقَ ذَلِكَ بَحرٌ بَينَ أعلاهُ وَأسفَلِهِ، كَمَا بَينَ سَمَاءٍ إلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أوعَالٍ مَا بَينَ أظلافِهِنَّ وَرُكَبِهِنَّ مَا بَينَ سَمَاءٍ إلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوقَ ظُهُورِهِنَّ العَرشُ مَا بَينَ أعلاهُ وَأسفَلِهِ مَا بَينَ سَمَاءٍ إلَىٰ سَمَاءٍ، وَاللهُ تَعَالَىٰ فَوقَ ذَلِكَ». رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ، وَالتِّرمِذِيُّ، وَابنُ مَاجَه القَزوِينِيُّ(٢).

وَقَالَت أمُّ سَلَمَةَ زَوجُ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَالِكُ بنُ أنَسٍ فِي قَولِهِ عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾: «الِاستِوَاءُ غَيرُ مَجهُولٍ، وَالكَيفُ غَيرُ مَعقُولٍ، وَالإقرَارُ بِهِ إيمانٌ، وَالجُحُودُ بِهِ كُفرٌ».

وَرَوَىٰ أبُو هُرَيرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، مَا مِن رَجُلٍ يَدعُو امرَأتَهُ إلَىٰ فِرَاشِهَا فَتَأبَىٰ عَلَيهِ إلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيهَا حَتَّىٰ يَرضَىٰ»(٣).

وَرَوَىٰ أبُو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ألا تَأمَنُونِي وَأنَا أمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ، يَأتِينِي خَبَرُ مَن فِي السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»(٤).

وَرَوَىٰ مُعَاوِيَةُ بنُ الحَكَمِ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجَارِيَتِهِ: «أينَ اللهُ؟»

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٢٠)، وضعفه العلامة الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٢٤٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٣٦).

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

قَالَت: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَن أَنَا؟» قَالَت: أَنت رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «اعتِقهَا فَإِنَّهَا مُؤمِنَةٌ». رواه مُسلِمُ بنُ الحَجَّاجِ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَأَبُو عَبدِ الرَّحمَنِ النَّسَائِيُّ [(١)].

وَمَن أَجهَلُ جَهلًا، وَأَسخَفُ عَقلًا، وَأَضَلُّ سَبِيلًا مِمَّن يَقُولُ إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَن يُقَالَ: أَينَ اللهُ، بَعدَ تَصرِيحِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ بِقَولِهِ: «أَينَ اللهُ»؟!

وَرَوَى أَنَسُ بنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: «كَانَت زَينَبُ بِنتُ جَحشٍ تَفخَرُ عَلَى أَزوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ مِن فَوقِ سَبعِ سَمَوَاتٍ». رواه البُخَارِيُّ [(٢)].

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ المُؤمِنَ عِندَ مَوتِهِ، وَأَنَّهُ يُعرَجُ بِرُوحِهِ حَتَّى يَنتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ ﷻ». رَوَاهُ الإِمَامُ أَحمَدُ، وَالدَّارَقُطنِيُّ وَغَيرُهُمَا [(٣)].

وَرَوَى أَبُو الدَّردَاءِ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ اشتَكَى مِنكُم أَو اشتَكَى أَخٌ لَهُ فَليَقُل: رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسمُكَ، أَمرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرضِ، كَمَا رَحمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اغفِر لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنزِل رَحمَةً وَشِفَاءً مِن شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ فَيَبرَأُ». رَوَاهُ أَبُو القَاسِمِ الطَّبَرِيُّ فِي «سُنَنِهِ» [(٤)].

وَفِي هَذِهِ المَسأَلَةِ أَدِلَّةٌ من الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَطُولُ بِذِكرِهَا الكِتَابُ.

وَمُنكِرُ أَن يَكُونَ اللهُ فِي جِهَةِ العُلُوِّ بَعدَ هَذِهِ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ مُخَالِفٌ لِكِتَابِ اللهِ، مُنكِرٌ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٠).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٤)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٦٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٩٤)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٤٢٢).

وَقَالَ مَالِكُ بنُ أَنسٍ: «اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَعِلمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخلُو مِن عِلمِهِ مَكَان».

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «خِلَافَةُ أَبِي بَكرٍ حَقٌّ قَضَاهَا اللهُ فِي سَمَائِهِ، وَجَمَعَ عَلَيهَا قُلُوبَ أَصحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ».

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ: «نَعرِفُ رَبَّنَا فَوقَ سَبعِ سَموَاتٍ، بَائِنًا مِن خَلقِهِ، وَلَا نَقولُ كَمَا قَالَت الجَهمِيةُ: إِنَّهُ هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَىٰ الأَرضِ».

* وَمن الصِّفَاتِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا القُرآنُ، وَصَحَّتْ بِهَا الأَخبَارُ: الوَجهُ.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَرَوَىٰ أَبو مُوسَىٰ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّاتُ الفِردَوسِ أَربعٌ: ثِنتَانِ مِن ذَهَبٍ حِليَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَثِنتَانِ مِن فِضَّةٍ حِليَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَينَ القَومِ وَبَينَ أَن يَنظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِم عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا رِدَاءُ الكِبرِيَاءِ عَلَىٰ وَجهِهِ فِي جَنَّةِ عَدنٍ»(١).

وَرَوَىٰ أَبُو مُوسَىٰ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَربعٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لا يَنَامُ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَن يَنَامَ، يَخفِضُ القِسطَ وَيَرفَعُهُ، يُرفَعُ إِلَيهِ عَمَلُ اللَّيلِ قَبلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبلَ اللَّيلِ، حِجَابُهُ النَّارُ، لَو كَشَفَهَا لَأَحرَقَت سُبُحَاتُ وَجهِهِ كُلَّ شَيءٍ أَدرَكَهُ بَصَرُهُ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨]. رواه مُسلِمٌ(٢).

فَهَذِهِ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ بِنَصِّ الكِتَابِ وَخَبَرِ الصَّادِقِ الأَمِينِ، فَيَجِبُ الإِقرَارُ بِهَا، وَالتَّسلِيمُ؛ كَسَائِرِ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ بِوَاضِحِ الدَّلَالَاتِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩) دُون ذِكر الآيَة.

وَتَوَاتَرَتِ الأَخبَارُ، وَصَحَّتِ الآثَارُ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَنزِلُ كُلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا؛ فَيَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّسلِيمُ لَهُ، وَتَركُ الاعتِرَاضِ عَلَيهِ، وَإِمرَارُهُ مِن غَيرِ تكيِيفٍ وَلَا تَمثِيلٍ، وَلَا تَأوِيلٍ، وَلَا تَنزِيهٍ يَنفِي حَقِيقَةَ النُّزُولِ.

فَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنزِلُ رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ كُلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَبقَىٰ ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَن يَدعُونِي فَأَستَجِيبَ لَهُ؟ مَن يَسأَلُنِي فَأُعطِيَهُ؟ مَن يَستَغفِرُنِي فَأَغفِرَ لَهُ؟ حَتَّىٰ يَطلُعَ الفَجرُ»(١). وَفِي لَفظٍ: «يَنزِلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ».

وَلَا يَصِحُّ حَملُهُ عَلَىٰ نُزُولِ القُدرَةِ وَلَا الرَّحمَةِ، وَلَا نُزُولِ المَلَكِ؛ لِمَا رَوَىٰ مُسلِم بِإِسنَادِهِ عَن سُهَيلِ بنِ أَبِي صَالِحٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنزِلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَمضِي ثُلُثُ اللَّيلِ فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ، مَن ذَا الَّذِي يَدعُونِي فَأَستَجِيبَ لَهُ؟ مَن ذَا الَّذِي يَستَغفِرُنِي فَأَغفِرَ لَهُ؟ حَتَّىٰ يُضِيءَ الفَجرُ»(٢).

وَرَوَىٰ رِفَاعَةُ بنُ عَرَابَةَ الجُهَنِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَضَىٰ نِصفُ اللَّيلِ أَو ثُلُثُ اللَّيلِ، يَنزِلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا فَيَقُولُ: لا أَسأَلُ عَن عِبَادِي أَحَدًا غَيرِي، مَن ذَا الَّذِي يَستَغفِرُنِي أَغفِرُ لَهُ؟ مَن ذَا الَّذِي يَدعُونِي أَستَجِيبُ لَهُ؟ مَن ذَا الَّذِي يَسأَلُنِي أُعطِيه؟ حَتَّىٰ يَنفَجِرَ الصبحُ». رواه الإِمَامُ أَحمَدُ(٣).

وَهَذَانِ الحَدِيثَانِ يَقطَعَانِ تَأوِيلَ كُلِّ مُتَأَوِّلٍ، وَيَدحَضَانِ حُجَّةَ كُلِّ مُبطِلٍ.

وَرَوَىٰ حَدِيثَ النُّزُولِ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ، وَجُبَيرُ بنُ مُطعِمٍ، وَجَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ، وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدرِي، وَعَمرُو بنُ عَبَسَةَ، وَأَبُو الدَّردَاءِ، وَعُثمَانُ بنُ أَبِي العَاصِ، وَمَعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَأُمُّ سَلَمَةَ زَوجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَخَلقٌ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٨).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٧٨٢)، وأصل الحديث في البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

سِوَاهُم.

وَنَحنُ مُؤمنُونَ بِذَلِكَ مُصَدِّقُونَ، مِن غَيرِ أن نَصِفَ لَهُ كَيفِيةً، أو نشَبِّهَهُ بِنُزُولِ المَخلُوقِينَ.

وَقَد قَالَ بَعضُ العُلَمَاءِ: «سُئِلَ أَبُو حَنِيفَةَ عَنهُ - يَعنِي: عَنِ النُّزُولِ - فَقَالَ: يَنزِلُ بلَا كَيفٍ».

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الشَّيبَانِيُّ - صَاحِبُهُ -: «الأحَادِيثُ الَّتِي جَاءَت أَنَّ اللهَ يَهبطُ إلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا، وَنَحوُ هَذَا مِنَ الأحَادِيثِ قَد رَوَتهَا الثِّقَاتُ، فَنَحنُ نَروِيهَا، وَنُؤمنُ بِهَا، وَلَا نُفَسِّرُهَا».

وَرُوِّينَا عَن عَبدِ اللهِ بنِ أحمَدَ بنِ حَنبَلٍ قَالَ: «كُنتُ أَنَا وَأَبِي عَابِرِينَ فِي المَسجِدِ، فَسَمِعَ قَاصًّا يَقُصُّ بِحَدِيثِ النُّزُولِ فَقَالَ: إِذَا كَانَ لَيلَةُ النِّصفِ مِن شَعبَانَ يَنزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا بِلَا زَوَالٍ وَلَا انتِقَالٍ وَلَا تَغَيُّرِ حَالٍ، فَارتَعَدَ أَبِي رَحِمَهُ اللهُ وَاصفَرَّ لَونهُ، وَلَزِمَ يَدِي، وَأَمسَكتُهُ حَتَّىٰ سَكَنَ ثُمَّ قَالَ: قِف بِنَا عَلَىٰ المُتَخَوِّضِ، فَلَمَّا حَاذَاهُ قَالَ: يَا هَذَا، رَسُولُ اللهِ أَغيَرُ عَلَىٰ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنكَ، قُل كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَانصَرَفَ».

قَالَ حَنبَلٌ: «قُلتُ لِأَبِي عَبدِ اللهِ - يَعنِي: أَحمَدَ بنَ حَنبَلٍ - يَنزِلُ اللهُ إلَىٰ سمَاءِ الدُّنيَا، قُلتُ: نُزُولُهُ بِعِلمِهِ أو بِمَاذَا؟ فَقَالَ لِي: اسكُت عَن هَذَا، مَا لكَ وَلِهَذَا؟! أَمضِ الحَدِيثَ عَلَىٰ مَا رُوِيَ بِلَا كَيفٍ وَلَا حَدٍّ، عَلَىٰ مَا جَاءَت بِهِ الآثَارُ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ».

وَقَالَ الإمَامُ إِسحَاقُ بنُ رَاهَوَيهِ: قَالَ لِي الأَمِيرُ عَبدُ اللهِ بنُ طَاهِرٍ: يَا أَبَا يَعقُوبَ، هَذَا الحَدِيثُ الَّذِي تَروِيهِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ: «يَنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كلَّ لَيلَةٍ إلَىٰ سَمَاءِ الدنيَا». كَيفَ يَنزِلُ؟ قَالَ: قُلتُ: أَعَزَّ اللهُ الأَمِيرَ، لَا يُقَالُ لِأَمرِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَيفَ؟ إِنَّمَا يَنزِلُ بِلَا كَيفٍ.

وَمَن قَالَ يَخلُو العَرشُ عِندَ النُّزُولِ أَو لَا يَخلُو، فَقَد أَتَىٰ بِقَولٍ مُبتَدَعٍ وَرَأيٍ مُختَرَعٍ.

* وَمن صِفَاتِهِ سُبحَانَهُ الوَارِدَةِ فِي كتَابِهِ العَزِيزِ، الثَّابِتَةِ عَن رَسُولِهِ المُصطَفَىٰ الأَمِينِ: اليَدَانِ.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَقالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التَقَىٰ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ، أَنتَ أَبُونَا، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وَأَسجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، خَيَّبتَنَا، وَأَخرَجتَنَا مِن الجَنَّةِ. فَقَالَ آدَمُ: أَنتَ مُوسَىٰ، كَلَّمَكَ اللهُ تَكلِيمًا، وَخَطَّ لَكَ التَّورَاةَ بِيَدِهِ، وَاصطَفَاكَ بِرِسَالَتِهِ، فَبِكَم وَجَدتَ فِي كِتَابِ اللّهِ ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؟ قَالَ: بِأَربَعِينَ أَلفَ سَنَةٍ، قَالَ: فَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبلَ أَن يَخلُقَنِي بِأَربَعِينَ أَلفَ سَنَةٍ؟!». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»(١).

فَلَا نَقُولُ: يَدٌ كَيَدٍ، وَلَا نُكَيِّفُ، وَلَا نُشَبِّهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُ اليَدَينِ عَلَىٰ القُدرَتَينِ كَمَا يَقُولُ أَهلُ التَّعطِيلِ وَالتَّأوِيلِ، بَل نُؤمِنُ بِذَلِكَ وَنُثبِتُ لَهُ الصِّفَةَ مِن غَيرِ تَحدِيدٍ وَلَا تَشبِيهٍ.

وَلَا يَصِحُّ حَملُ اليَدَينِ عَلَىٰ القُدرَتَينِ، فَإِنَّ قُدرَةَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَاحِدَة، وَلَا عَلَىٰ النِّعمَتَينِ، فَإِنَّ نِعَمَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لَا تُحصَىٰ، كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

وَكُلُّ مَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ، وَصَحَّ عَن رَسُولِهِ بِنَقلِ العَدلِ عَنِ العَدلِ مِثل: المَحَبَّةِ، وَالمَشِيئَةِ، وَالإِرَادَةِ، وَالضَّحِكِ، وَالفَرَحِ، وَالعَجَبِ، وَالبُغضِ، وَالسَّخَطِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

وَالكُرهِ، وَالرِّضا، وَسَائِرِ مَا صَحَّ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِن نَبَتْ عَنهَا أَسمَاعُ بَعضِ الجَاهِلِينَ، وَاستَوحَشَت مِنهَا نُفُوسُ المُعَطِّلِينَ.

ومِمَّا نَطَقَ بِهَا القُرآنُ، وَصَحَّ بِهَا النَّقلُ مِن الصِّفَاتِ: النَّفسُ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِخبارًا عَن نَبِيِّهِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١]

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذكُرُنِي، فَإِن ذَكَرَنِي فِي نَفسِهِ ذَكَرتُهُ فِي نَفسِي، وَإِن ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرتُهُ فِي مَلَأٍ خَيرٍ مِنهُم، وَإِنِ اقتَرَبَ إِلَيَّ شِبرًا اقتَرَبتُ إِلَيهِ ذِرَاعًا، وَإِن اقتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقتَرَبتُ إِلَيهِ بَاعًا، وَإِن أَتَانِي يَمشِي، أَتَيتُهُ هروَلَةً»[1].

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ، فَكَتَبَهُ عَلَىٰ نَفسِهِ، فَهُوَ مَوضُوعٌ عِندَهُ عَلَىٰ العَرشِ: إِنَّ رَحمَتِي تَغلِبُ غَضَبِي»[2].

وَأَجمَعَ أَهلُ الحَقِّ وَاتَّفَقَ أَهلُ التَّوحِيدِ وَالصِّدقِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُرَىٰ فِي الآخِرَةِ، كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ، وَصَحَّ عَن رَسُولِهِ ﷺ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]

وَرَوَىٰ جَرِيرُ بنُ عَبدِ اللهِ البَجَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا لَيلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ إِلَىٰ القَمَرِ لَيلَةَ أَربَعَ عَشرَةَ فَقَالَ: «إِنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم عَزَّوَجَلَّ كمَا تَرونَ هَذَا القَمَرَ،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١).

لا تُضَامُونَ فِي رُؤيَتِهِ، فَإِنِ استَطَعتُم ألَّا تُغلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ وَقَبلَ غُرُوبِهَا فَافعَلُوا». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩](١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «سَتَرَون رَبَّكم عِيَانًا»(٢).

وَرَوَىٰ صُهَيبٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ نُودُوا: يَا أَهلَ الجَنَّةِ، إِنَّ لَكُم عِندَ اللهِ مَوعِدًا لَم تَرَوهُ، فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟ أَلَم يبيِّض وُجُوهَنَا وَيُزَحزِحنَا عَنِ النَّارِ، وَيُدخِلنَا الجَنَّةَ؟ قَالَ: فَيَكشِفُ الحِجَابَ فَيَنظُرُونَ إِلَيهِ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَعطَاهُم اللهُ شَيئًا أَحَبَّ إِلَيهِم مِن النَّظَرِ إِلَيهِ». ثُمَّ تَلَا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. رَوَاهُ مُسلِم(٣).

وَقَالَ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ ﷺ: «النَّاسُ يَنظُرُونَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِأَعيُنِهِم يَومَ القِيَامَةِ».

وَقَالَ أَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ: «مَن قَالَ: إِنَّ اللهَ لَا يُرَىٰ فِي الآخِرَةِ فَهُوَ كَافِر».

وَمِنْ مَذهَبِ أَهلِ الحَقِّ: أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَم يَزَل مُتَكَلِّمًا بِكَلَامٍ مَسمُوعٍ، مَفهُومٍ، مَكتُوبٍ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وَرَوَىٰ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ لَيسَ بَينَهُ وَبَينَهُ تَرجُمَانٌ، ثُمَّ يَنظُرُ أَيمَنَ مِنهُ فَلَا يَنظُرُ إِلَّا شَيئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنظُرُ أَشأَمَ مِنهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا شَيئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنظُرُ تِلقَاءَ وَجهِهِ فَتَستَقبِلُهُ النَّارُ، فَمَن استَطَاعَ مِنكُم أَن يَقِيَ وَجهَهُ النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمرَةٍ فَليَفعَل»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥١)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٨١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

وَرَوَىٰ جَابِرِ بنُ عَبدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عَبدُ اللّهِ بنُ عَمرِو بنِ حَرَامٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا جَابِرُ، أَلا أُخبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ لِأَبِيكَ؟». قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: «وَمَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إِلَّا مِن وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، قَالَ: يَا عَبدَ اللهِ، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعطِكَ، قَالَ: يَا رَب، تُحيِينِي فَأُقتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُم إِلَيهَا لا يُرجَعُونَ، قَالَ: فَأَبلِغ مَن وَرَائِي». فَأَنزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. رَوَاهُ ابنُ مَاجه[١].

وَالقُرآنُ كَلَامُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَوَحيُهُ، وَتَنزِيلُهُ، وَالمَسمُوعُ مِن القَارِئِ كَلَامُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِن التَّالِي.

وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

وَهُوَ مَحفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وَرَوَىٰ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «استَذكِرُوا القُرآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِن صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ مِن عُقُلِهِ»[٢].

وَهُوَ مَكتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ مَنظُورٌ بِالأَعيُنِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الطور: ١-٣].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٠)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠).

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].

وَرَوَىٰ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ أَن يُسَافَرَ بِالقُرآنِ إِلَىٰ أرضِ العَدُوِّ مَخَافَةَ أَن يَنَالَهُ العَدُوُّ»[1].

وَقَالَ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «مَا أُحِبُّ أَن يَأتِيَ يَومٌ وَلَيلَةٌ حَتَّىٰ أَنظُرَ فِي كَلَامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ». يَعني: القِرَاءَةَ فِي المُصحَفِ.

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ أبي مُلَيكَةَ: «كانَ عِكرِمَةُ بنُ أَبِي جَهلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يَأخُذُ المُصحَفَ فَيَضَعُهُ عَلَىٰ وَجهِهِ فَيَقُولُ: كِتَابُ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ وَكَلَامُ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ».

وَأجمَعَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ، وَالمُقتَدَىٰ بِهِم مِنَ الخَلَفِ عَلَىٰ أَنَّهُ غَيرُ مَخلُوقٍ، وَمَن قَالَ: مَخلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ.

قَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فِي القُرآنِ: «لَيسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ، مِنهُ بَدَأَ وَإِلَيهِ يَعُودُ».

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَعَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ: «القُرآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنهُ بَدَأَ، وَإِلَيهِ يَعُودُ».

وَرُوِيَ عَن سُفيَانَ بنِ عُيَينَةَ قَالَ: «سَمِعتُ عَمرَو بنَ دِينَارٍ يَقُولُ: أدرَكتُ مَشَايِخَنَا وَالنَّاسَ مُنذُ سَبعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: القُرآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنهُ بَدَأَ، وَإِلَيهِ يَعُودُ».

رَوَاهُ مُحَمَّدُ بنُ جَرِيرِ بنِ يَزِيدَ الفَقِيهُ وَهِبَةُ اللهِ بنُ الحَسَنِ بنِ مَنصُورٍ الحَافِظُ الطَّبَرِيَّانِ فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ» لَهُمَا.

وَقَد أدرَكَ عَمرُو بنُ دِينَارٍ أَبَا هُرَيرَةَ وَابنَ عَبَّاسٍ وَابنَ عُمَرَ.

وَاحتَجَّ أَحمَدُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ كَلَّمَ مُوسَىٰ، فَكَانَ الكَلَامُ مِن اللهِ وَالاستِمَاعُ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٠)، ومسلم (١٨٦٩).

مِن مُوسَىٰ، وَبِقَولِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣].

وَرَوَىٰ التِّرمِذِيُّ مِن رِوَايَةِ خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُم لَن تَتَقَرَّبُوا إِلَىٰ اللهِ بِأَفضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنهُ». يَعنِي: القُرآنَ[1].

وَنَعتَقِدُ أَنَّ الحُرُوفَ المَكتُوبَةَ وَالأَصوَاتَ المَسمُوعَةَ عَينُ كَلَامِ الله عَزَّوَجَلَّ، لَا حِكَايَةٌ وَلَا عِبَارَةٌ.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١-٢].

وَقَالَ: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١-٢].

وَقَالَ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١].

وَقَالَ: ﴿الٓمٓر﴾ [الرعد: ١].

وَقَالَ: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١].

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١-٢].

فَمَن لَم يَقُل: إِنَّ هَذِهِ الأَحرُفَ عَينُ كَلَامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فَقَد مَرَقَ مِن الدِّينِ، وَخَرَجَ عَن جُملَةِ المُسلِمِينَ، وَمَن أَنكَرَ أَن يَكُونَ حُروفًا فَقَد كَابَرَ العِيَانَ وَأَتَىٰ بِالبُهتَانِ.

وَرَوَىٰ التِّرمِذِيُّ مِن طَرِيقِ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَن قَرَأَ حَرفًا مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَلَهُ عَشرُ حَسَنَاتٍ». قَالَ التِّرمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ..

وَرَوَاهُ غَيرُهُ مِنَ الأَئِمَّةِ وَفِيهِ: «أَمَا إِنِّي لَا أَقُول ﴿الٓمٓ﴾ حَرف، ولكِن أَلِفٌ حَرفٌ، وَلَامٌ حَرفٌ، وَمِيمٌ حَرفٌ»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٢)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٠٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٦٩).

وَرَوَىٰ يَعلَىٰ بنُ مَملك عَن أمِّ سَلَمَةَ: «أَنَّهَا نَعَتَت قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هِيَ تَنعَتُ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرفًا حَرفًا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَأَبُو عَبدِ الرَّحمَنِ النَّسَائِيُّ وَأَبُو عِيسَىٰ التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ(١).

وَروىٰ سَهلُ بنُ سَعدِ السَّاعِدِيُّ قَالَ: بَينا نَحنُ نَقتَرِئُ إذ خَرَجَ عَلَينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «الحَمدُ لِلَّهِ، كتَابُ اللهِ وَاحِد، وَفِيكُم الأَخيَارُ، وَفِيكُم الأَحمَرُ وَالأَسوَدُ، اقرَءوا القُرآنَ قَبلَ أَن يَأتِيَ أَقوَامٌ يَقرَءُونَهُ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ كمَا يُقَامُ السَّهمُ لا يَتَجَاوَزَ تَرَاقِيَهُم يَتَعَجَّلُونَ أجرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ». رواه أَبُو بَكرِ الآجُرِّيُّ وَأَئِمَّةٌ غَيرُهُ(٢).

وَرُوِيَ عَن أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُمَا قَالَا: «إِعرَابُ القُرآنِ أَحَبُّ إِلَينَا مِن حِفظِ بَعضِ حُروفِهِ».

وَرَوَىٰ أَبُو عُبَيدٍ فِي «فَضَائِلِ القُرآنِ» بِإِسنَادِهِ قَالَ: «سُئِلَ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَنِ الجُنبِ يَقرَأُ القُرآنَ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَا حَرفًا».

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «مَن كَفَرَ بِحَرفٍ مِنهُ - يَعنِي: القُرآنَ - فَقَد كَفَرَ بِهِ أجمَعَ».

وَقَالَ أَيضًا: «مَن حَلَفَ بِسُورَةِ البَقَرَةِ فَعَلَيهِ بِكُلِّ حَرفٍ يَمِينٌ».

وَقَالَ طَلحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ: «قَرَأَ رَجُلٌ عَلَىٰ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ فتركَ وَاوًا فَقَالَ: لَقَد تَرَكتَ حَرفًا أعظَمَ مِن جَبَلِ أُحُدٍ».

وَقَالَ الحَسَنُ البَصرِيُّ فِي كَلَامٍ لَهُ: «قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إِلَّا اتِّبَاعُهُ، أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بِحِفظِ حُرُوفِهِ، وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَحَدَهُم لَيَقُولُ: قَد قَرَأتُ القُرآنَ كُلَّهُ فَمَا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٣)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف المشكاة» (١٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٨٣٦)، وقال العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود»: حسن صحيح.

أسقَطتُ مِنهُ حَرفًا، وَقَد أسقَطَهُ وَاللهِ كُلَّهُ».

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ: «مَن كفَرَ بِحَرفٍ مِن القُرآنِ فَقَد كَفَرَ بِالقُرآنِ، وَمَن قَالَ: لَا أُومنُ بِهَذِهِ اللَّامِ فَقَد كَفَرَ».

وَرَوَىٰ عَبدُ اللهِ بنُ أُنَيسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ الشَّامِ - عُرَاةً غُرلًا بُهمًا» قَالَ: قُلتُ: وَمَا بُهمًا؟ قَالَ: «لَيسَ مَعَهم شَيءٌ، فَيُنَادِيهِم بِصَوتٍ يَسمَعُهُ مَن بَعُدَ كَمَا يَسمَعُهُ مَن قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِن أَهلِ الجَنَّةِ أَن يَدخُلَ الجَنَّةَ وَأَحَدٌ مِن أَهلِ النَّارِ يَطلُبُهُ بِمَظلَمَةٍ، وَلَا يَنبَغِي لِأَحد مِن أَهلِ النَّارِ أَن يَدخُلَ النَّارَ وَأَحَدٌ مِن أَهلِ الجَنَّةِ يَطلبُهُ بِمَظلَمَةٍ حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنهُ».

قَالُوا: وَكَيفَ وَإِنَّمَا نَأتِي اللهَ عُرَاةً غُرلًا بُهمًا؟ قَالَ: «بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ». رواه أَحمَدُ، وَجَمَاعَةٌ مِن الأَئِمَّةِ(١).

وَرَوَىٰ عَبد اللهِ بنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحيِ سَمِعَ صَوتَهُ أَهلُ السَّمَاءِ كَجَرِّ السِّلسِلَةِ عَلَىٰ الصَّفوَانِ، فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا»... وَذَكَرَ الحَدِيثَ(٢).

وَقَولُ القَائِلِ: بِأَنَّ الحَرفَ وَالصَّوتَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِن مَخَارِجَ؛ بَاطِلٌ وَمُحَالٌ.

قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ [ق: ٣٠].

وَكَذَلِكَ قَالَ عز وجل إِخبَارًا عَنِ السَّمَاءِ وَالأَرضِ أَنَّهُمَا ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

فَحَصَلَ القَولُ مِن غَيرِ مَخَارِجَ وَلَا أَدَوَاتٍ.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٥)، وصححه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (٥١٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٠)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٢٩٣).

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَلَّمَهُ الذِّرَاعُ المَسمُومَةُ[١].

وَصحَّ أَنَّهُ سَلَّمَ عَلَيهِ الحَجَرُ[٢]، وَسَلَّمَت عَلَيهِ الشَّجَرَةُ[٣].

وَأجمَعَ أئِمَّةُ السَّلَفِ مِن أَهلِ الإِسلَامِ عَلَىٰ الإِيمَانِ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، حُلوِهِ وَمُرِّهِ، قَلِيلِهِ وكَثِيرِهِ، بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِه، لَا يَكُونُ شَيء إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَجرِي خَير وَشَرٌّ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، خَلَقَ مَن شَاءَ لِلسَّعَادَةِ وَاستَعمَلَهُ بِهَا فَضلًا، وَخَلَقَ مَن أَرَادَ لِلشَّقَاءِ وَاستَعمَلَهُ بِهِ عَدلًا، فَهُوَ سِرٌّ استَأثَرَ بِهِ، وَعِلمٌ حَجَبَهُ عَن خَلقِهِ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وَرَوَىٰ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدنَا حَولَهُ وَمَعَهُ مِخصَرَةٌ، فَنكَسَ وَجَعَلَ يَنكُتُ بِمِخصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا قَد كُتِبَ مَقعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقعَدُهُ مِنَ النَّارِ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا؟ فَقَالَ: «اعمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَن كَانَ مِن أَهلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَن كَانَ مِن أَهلِ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهلِ الشَّقَاءِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥١٢)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (٥٩٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٣)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (٥٩٢٢) بشواهده.

[الليل: ٥-٧][(١)] .

وَرَوَىٰ عَبدُ اللهِ بن مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصدُوق: «أَنَّ خَلقَ أَحَدِكُم يَجتَمِعُ فِي بَطنِ أُمِّهِ أَربَعِينَ يَومًا نُطفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضغَةً مِثلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبعَثُ إِلَيهِ مَلَكًا بِأَربعِ كَلِمَاتٍ: يَكتُبُ رِزقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَله، وَشَقِيٌّ أَو سَعِيد، فَوَالَّذِي لا إِلَهَ غَيرُهُ إِنَّ أَحَدَكُم لَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ لا يَكُونَ بَينَهُ وَبَينَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ النَّارِ فَيَدخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُم لَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَينَهُ وَبَينَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ الجَنَّةِ فَيَدخُلُهَا»[(٢)] .

وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ الَّذِي رَوَاهُ مُسلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»، وَأَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ، وَغَيرهمَا مِن الأَئِمَّةِ: أَنَّ جِبرِيلَ ﷺ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَن تُؤمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَالقَدرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: فَإِذَا فَعَلت ذلك فَقَد آمَنتُ؟ قَالَ: «نَعَم»[(٣)] ، وفِيهِ مِن الأَدِلَّةِ مَا لَو استَقصَينَاهُ لَأَدَّىٰ إِلَىٰ الإِملالِ.

وَأَجمَعَ القَائِلُونَ بِالأَخبَارِ، وَالمُؤمِنُونَ بِالآثَارِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُسرِيَ بِهِ إِلَىٰ فَوقِ سَبعِ سَمَوَاتٍ، ثُمَّ إِلَىٰ سِدرَةِ المُنتَهَىٰ، أُسرِيَ بِهِ لَيلًا مِنَ المَسجِدِ الحَرَامِ إِلَىٰ المَسجِدِ الأَقصَىٰ، مَسجِدِ بَيتِ المَقدِسِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ جَمِيعًا، ثُمَّ عَادَ مِن لَيلَتِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ قَبلَ الصُّبحِ، وَمَن قَالَ: إِنَّ الإِسرَاءَ فِي لَيلَةٍ وَالمِعرَاجَ فِي لَيلَةٍ - فَقَد غَلِطَ، وَمَن قَالَ: إِنَّهُ مَنَامٌ وَأَنَّهُ لَم يُسرَ بِجَسَدِهِ فَقَد كَفَرَ. قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (٨) دون قوله: «فإذا فعلت...» إلخ.

ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

وَرَوَىٰ قِصَّةَ الإِسرَاءِ عَنِ النَّبِيِّ: أَبُو ذَرٍّ، وَأَنسُ بنُ مالِكٍ، وَمَالِكُ بنُ صَعصَعَةَ، وَجَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ، وَشَدَّادُ بنُ أوسٍ، وَغَيرُهُم، كلُّهَا صِحَاحٌ مَقبُولَةٌ مَرْضِيَّةٌ عِندَ أهلِ النَّقلِ، مُخَرَّجَةٌ في الصِّحَاحِ.

وَأَنَّهُ رَأَىٰ رَبَّهُ ﷻ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣-١٤].

قَالَ الإِمَامُ أَحمَدُ فِيمَا رُوِّينَا عَنهُ: «وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ ﷻ فَإِنَّهُ مَأثُورٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، صَحِيحٌ، رواه قَتَادَةُ عَن عِكرِمَةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ».

وَرَوَاهُ الحَكَمُ بنُ أَبَانَ عَن عِكرِمَةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ عَلِيُّ بنُ زَيدٍ عَن يُوسُفَ بنِ مِهرَانَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

وَالحَدِيثُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالكَلَامُ فِيهِ بِدعَةٌ، وَلَكِن نُؤمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَا نُنَاظِرُ فِيهِ أَحَدًا.

وَرُوِيَ عَن عِكرِمَةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ اصطَفَىٰ إِبرَاهِيمَ بِالخُلَّةِ، وَاصطَفَىٰ مُوسَىٰ بِالكَلَامِ، وَاصطَفَىٰ مُحَمَّدًا ﷺ بِالرُّؤيَةِ».

وَرَوَىٰ عَطَاءٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «رَأَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ مَرَّتَينِ».

وَرُوِيَ عَن أَحمَدَ ؒ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: «بِمَ تُجِيبُ عَن قَولِ عَائِشَةَ ؓ: مَن زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَد رَأَىٰ رَبَّهُ ﷻ ...» الحَدِيثَ؟ قَالَ: بِقَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «رَأَيتُ رَبِّي ﷻ».

وَفِي حَدِيثِ شريك بنِ عَبدِ اللهِ بنِ أَبِي نَمِرٍ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ؓ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فَرَجَعتُ إِلَىٰ رَبِّي وَهُوَ فِي مَكَانِهِ». وَالحَدِيثُ بِطُولِهِ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَينِ وَالمُنكِرُ لِهَذِهِ اللَّفظَةِ رَادٌّ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ.

وَيَعتَقِدُ أَهلُ السُّنَّةِ وَيُؤمِنُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشفَعُ يَومَ القِيَامَةِ لِأَهلِ الجَمعِ كُلِّهِم شَفَاعَةً عَامَّةً، وَيَشفَعُ فِي المُذنِبِينَ مِن أُمَّتِهِ فَيُخرِجهم مِنَ النَّارِ بَعدَمَا احتَرَقُوا.

كَمَا رَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعوَةٌ يَدعُو بِهَا، فَأُرِيدُ إِن شَاءَ الله أَن أَختَبِئَ دَعوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَومَ القِيَامَةِ»(١).

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَن أَسعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَومَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «لَقَد ظَنَنتُ أَلَّا يَسأَلَنِي عَن هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنكَ لِمَا رَأَيتُ مِن حِرصِكَ عَلَىٰ الحَدِيثِ، إِنَّ أَسعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ مَن قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِن قِبَلِ نَفسِهِ». رواه البُخَارِيُّ(٢).

وَرَوَىٰ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ بِطُولِهِ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَعَبدُ اللهِ بنُ عمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَأنسُ بنُ مَالِك، وَحُذَيفَةُ بنُ اليَمَانِ، وَأَبُو مُوسَىٰ عَبدُ اللهِ بنُ قَيسٍ، وَأَبُو هُرَيرَةَ، وَغَيرُهُم.

ثُمَّ الإِيمَانُ بِأَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَوضًا تَرِدُهُ أُمَّتُهُ كَمَا صَحَّ عَنهُ.

وَأَنَّهُ كَمَا بَينَ عَدَنَ إِلَىٰ عَمَّانَ البَلقَاءِ.

وَرُوِيَ: «مِن مَكَّةَ إِلَىٰ بَيتِ المَقدِسِ». وَبِأَلفَاظٍ أُخَرَ.

«مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحلَىٰ مِنَ العَسَلِ، وَأَكوَابُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ»(٣). رواه عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ، وَعَبد اللهِ بنُ عَمرٍو، وَأُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَثَوبَانُ مَولَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأَبُو أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ، وَبُرَيدَةُ الأَسلَمِيُّ.

وَالإِيمَانُ بِعَذَابِ القَبرِ حَقٌّ وَاجِبٌ، وَفَرضٌ لَازِم. رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو أَيُّوبَ، وَزَيدُ بنُ ثَابِتٍ، وَأَنسُ بنُ مَالِكٍ، وَأَبُو هُرَيرَةَ، وَأَبُو بَكرَةَ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَعُثمَانُ بنُ أَبِي العَاصِ، وَعَبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَجَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ، وَعَائِشَةُ زَوجُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأُختُهَا أَسمَاءُ، وَغَيرُهُم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٣٠٠).

وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ بِمَسأَلَةِ مُنكَرٍ وَنكِيرٍ.

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخلُوقَتَانِ لَا تَفنَيَانِ أَبدًا، خُلِقَتَا لِلبَقَاءِ لَا لِلفَنَاءِ، وَقَد صَحَّ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ عِدَّةٌ.

وَالإِيمَان بِالمِيزَانِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وَالإِيمَان بِأَنَّ الإِيمَانَ قَول وَعَمَلٌ وَنِيَّة، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنقُصُ بِالمَعصِيَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

وَرَوَى أَبُو هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضعٌ وَسَبعُون - وَفِي رِوَايَةٍ: بِضعٌ وَسِتُّونَ - شُعبَةً، وَالحَيَاءُ شُعبَةٌ من الإِيمَانِ»(١).

وَلمُسلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ: «فَأَفضَلُهَا قَولُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»(٢).

وَالاستِثنَاءُ فِي الإِيمَانِ سُنَّةٌ مَاضِيَة، فَإِذَا سُئِلَ الرَّجُلُ: أَمُؤمِنٌ أَنتَ؟ قَالَ: إِن شَاءَ اللهُ.

رُوِيَ ذَلِكَ عَن عَبد اللهِ بنِ مَسعُودٍ، وَعَلقَمَةَ بنِ قَيسٍ، وَالأَسوَدِ بنِ يَزِيدَ، وَأَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بنِ سَلَمَةَ، وَمَسرُوقِ بنِ الأَجدَعِ، وَمَنصُورِ بن المُعتَمِرِ، وَإِبرَاهِيمَ النَّخعِيِّ، ومُغِيرَةَ بنِ مِقسَمٍ الضَّبِّيِّ، وَفُضَيلِ بنِ عِيَاضٍ وَغَيرِهِم.

وَهَذَا استِثنَاءٌ عَلَى يَقِينٍ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٣٥).

ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وَالإِيمَانُ هُوَ الإِسلَامُ وَزِيَادَةٌ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

وَرَوَىٰ عَبدُ اللهِ بنُ عُمرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بُنِيَ الإِسلَامُ عَلَىٰ خَمسٍ: شَهَادَةِ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ شَهرِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيتِ»[1].

فَهَذِهِ حَقِيقَةُ الإِسلَامِ.

وَأَمَّا الإِيمَانُ فَحَقِيقَتُهُ مَا رواه أَبُو هُرَيرَة فِيمَا قَدَّمنَاهُ.

وَرَوَىٰ سَعدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: أَعطَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَهطًا وَأَنَا جَالِسٌ، وَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنهُم رَجُلًا هُوَ أَعجَبُهُم إِلَيَّ فَقُمتُ فَقُلتُ: مَا لَكَ عَن فُلَانٍ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤمِنًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَو مُسلِمًا»، ذَكَرَ ذَلِكَ سَعد ثَلَاثًا وَأَجَابَهُ بِمِثلِ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَأُعطِي الرَّجُلَ وَغَيرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنهُ خَشيَةَ أَن يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجهِهِ»[2].

قَالَ الزُّهرِيُّ: «فنَرَىٰ أَنَّ الإِسلَامَ: الكَلِمَةُ، وَالإِيمَانَ: العَمَلُ الصَّالِحُ.

قُلنَا: فَعَلَىٰ هَذَا قَد يَخرُجُ الرَّجُلُ مِن الإِيمَانِ إِلَىٰ الإِسلَامِ، وَلَا يَخرُجُ مِن الإِسلامِ إِلَّا إِلَىٰ الكُفرِ بِاللهِ ﷻ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ لَا مَحَالَةَ، كَمَا أَخبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَحَّ عَنهُ.

وَأَن عِيسَىٰ ابنَ مَريَم عليه السلام يَنزِلُ عَلَىٰ المَنَارَةِ البَيضَاءِ شَرقِيَّ دِمَشقَ، فَيَأتِيهِ وَقَد

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠).

حَصَرَ المُسلِمُونَ عَلَىٰ عَقَبَةِ أفيق، فَيهرُبُ مِنهُ، فَيَقتُلُهُ عِندَ بَابِ لُدِّ الشَّرقِيِّ، وَلُدٌّ مِن أرضِ فِلَسطِينَ بِالقُربِ مِن الرَّملَةِ عَلَىٰ نَحوِ مِيلَينِ مِنهَا.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ مَلَكَ المَوتِ أُرسِلَ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ فَصَكَّهُ فَفَقَأَ عَينَهُ، كمَا صَحَّ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ[(١)] لَا يُنكِرُهُ إِلَّا ضَالٌّ مُبتَدِعٌ رَادٌّ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِه.

وَنُؤمنُ بِأَنَّ المَوتَ يُؤتَىٰ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ فَيُذبَحُ.

كَمَا رَوَىٰ أَبُو سعيدِ الخُدْرِيُّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤتَىٰ بِالمَوتِ كَهَيئَةِ كَبشٍ أَملَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهلَ الجَنَّةِ، فَيَشرَئِبُّونَ وَيَنظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَل تَعرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا المَوتُ، وَكُلُّهُم قَد رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهلَ النَّارِ، فَيَشرَئِبُّونَ وَيَنظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَل تَعرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَم، هَذَا المَوتُ وَكُلُّهُم قَد رَآهُ، فَيُذبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوتَ، وَيَا أَهلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوتَ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩][(٢)].

فصل

وَنَعتَقِدُ أَنَّ مُحَمَّدًا المُصطَفَىٰ خَيرُ الخَلَائِقِ، وَأَفضَلُهُم، وَأَكرَمُهُم عَلَىٰ اللهِ عز وجل وَأَعلَاهُم دَرَجَةً، وَأَقرَبُهُم إِلَىٰ اللهِ وَسِيلَةً، بَعَثَهُ اللهُ رَحمَةً لِلعَالَمِينَ، وَخَصَّهُ بِالشَّفَاعَةِ فِي الخَلقِ أجمَعِينَ.

رَوَىٰ جَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُعطِيتُ خَمسًا لم يُعطَهُنَّ أَحَدٌ مِن الأَنبِيَاءِ قَبلِي، نُصِرتُ بِالرُّعبِ مَسِيرَةَ شَهرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرضُ مَسجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أَدرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّت لِيَ الغَنَائِمُ وَلَم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبلِي، وَأُعطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبعَثُ إِلَىٰ قَومِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثتُ إِلَىٰ النَّاسِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

عَامَّةً»[١].

وَرَوَى أَبُو هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في دَعوَةٍ، فَرُفِعَ إِلَيهِ الذِّرَاعُ - وَكَانَت تُعجِبُهُ - فَنَهَشَ مِنهَا نَهشَةً ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ». وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ بِطُوله[٢].

وَرَوَى أَنَسُ بنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي يَومَ القِيَامَةِ بَابَ الجَنَّةِ، فَأَستَفتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَن أَنتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّد، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرتُ أَلَّا أَفتَحَ لِأَحَدٍ قَبلَكَ» رواه مُسلِم[٣].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَم يَومَ القِيَامَةِ وَلَا فَخرَ، وَأَوَّلُ مَن يَنشَقُّ عَنهُ القَبرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». رواه مُسلِم، وَأَبُو دَاوُدَ[٤].

وَنَعتَقِدُ أَنَّ خَيرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَفضَلَهَا بَعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَاحِبُهُ الأَخَصُّ، وَأَخُوهُ فِي الإِسلَامِ، وَرَفِيقُهُ فِي الهِجرَةِ وَالغَارِ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ وَزِيرُهُ فِي حَيَاتِهِ، وَخَلِيفَتُهُ بَعدَ وَفَاتِهِ، عَبدُ اللهِ بنُ عُثمَانَ عَتِيقُ بنُ أَبِي قُحَافَةَ.

ثُمَّ بَعدَهُ الفَارُوقُ أَبُو حَفصٍ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ وَأَظهَرَ الدِّينَ.

ثُمَّ بَعدَهُ ذُو النُّورَينِ أَبُو عَبدِ اللهِ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ الَّذِي جَمَعَ القُرآنَ وَأَظهَرَ العَدلَ وَالإِحسَانَ.

ثُمَّ ابنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَتَنُهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ - رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِم - فَهَؤُلَاءِ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالأَئِمَّةُ المَهدِيُّونَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

ثُمَّ السِّتَّةُ البَاقُونَ مِن العَشَرَةِ: طَلحَةُ بنُ عُبَيدِ اللهِ، وَالزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ، وَسَعدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بنُ زَيدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفَيلٍ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ، وَأَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ - رِضوَانُ الله عَلَيهِم -.

فَهَؤُلَاءِ العَشَرَةُ الكِرَامُ البَرَرَةُ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ، فَنَشهَدُ لَهُم بِهَا كَمَا شَهِدَ لَهُم بِهَا؛ اتِّبَاعًا لِقَولِهِ، وَامتِثَالًا لِأَمرِهِ.

وَقَد شَهِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِثَابِتِ بنِ قَيسٍ، وَعَبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ، وَلِبِلَالِ بنِ رَبَاحٍ، وَلِجَمَاعَةٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِن أَصحَابِهِ.

وَبَشَّر خَدِيجَةَ بِبَيتٍ مِن قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ.

وَأَخبَرَ أَنَّهُ رَأَىٰ الرُّمَيصَاءَ بِنتَ مِلحَانَ فِي الجَنَّةِ.

فَكُلُّ مَن شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنةِ شهِدنَا لَهُ، وَلَا نَشهَدُ لِأَحَدٍ غَيرِهِم، بَل نَرجُو لِلمُحسِنِ، وَنَخَافُ عَلَىٰ المسِيءِ، وَنَكِلُ عِلمَ الخَلقِ إِلَىٰ خَالِقِهِم.

فَالزَم - رَحِمَكَ اللهُ - مَا ذَكَرتُ لَكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ العَزِيزِ، وَكَلَامِ نَبِيِّكَ الكَرِيمِ، وَلَا تَحِدْ عَنهُ، وَلَا تَبتَغِ الهُدَىٰ فِي غَيرِهِ، وَلَا تَغتَرَّ بِزَخَارِفِ المُبطِلِينَ، وَآرَاءِ المُتَكَلِّفِينَ، فَإِنَّ الرُّشدَ وَالهُدَىٰ وَالفَوزَ وَالرِّضَا فِيمَا جَاءَ مِن عِندِ اللهِ وَرَسُولِهِ، لَا فِيمَا أَحدَثَهُ المُحدِثُونَ، وَأَتَىٰ بِهِ المُتَنَطِّعُونَ مِن آرَائِهِمُ المُضمَحِلَّةِ، وَنَتَائِجِ عُقُولِهِمُ الفَاسِدَةِ، وَارضَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، عِوَضًا مِن قَولِ كُلِّ قَائِلٍ، وَزُخرُفٍ وَبَاطِلٍ.

رَوَىٰ جَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي خُطبَتِهِ: «نَحمَدُ اللهَ تَعَالَىٰ وَنُثنِي عَلَيهِ بِمَا هُوَ أَهلُهُ». ثُمَّ يَقُولُ: «مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، إِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحسَنَ الهَديِ هَديُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ». ثُمَّ يَقُولُ: «بُعِثتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَينِ».

وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ احمَرَّت وَجنَتَاهُ، وَعَلَا صَوتُهُ، وَاشتَدَّ غَضبهُ كَأَنَّهُ مُنذِرُ جَيشٍ: «صَبَّحَكُم مَسَّاكُم»، ثُمَّ قَالَ: «مَن تَرَكَ مَالًا فَلِأَهلِهِ، وَمَن تَرَكَ دَينًا أَو ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ وَأَنَا وَلِيُّ المُؤمِنِينَ». رَوَاهُ مُسلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ، وَلَم يَذكُر مُسلِمٌ: «وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»(١).

وَرَوَىٰ زَيدُ بنُ أَرقَمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللهَ وَأَثنَىٰ عَلَيهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثلُكُم يُوشِكُ أَن يَأتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَأُجِيبَهُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَينِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الهُدَىٰ وَالنُّورُ، مَنِ استَمسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كانَ عَلَىٰ الهُدَىٰ، وَمَن تَرَكَهُ وَأَخطَأَهُ كَانَ عَلَىٰ الضَّلَالَةِ، وَأَهلُ بَيتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهلِ بَيتِي». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. رَوَاهُ مُسلِم(٢).

وَرَوَىٰ العِربَاضُ بنُ سَارِيَةَ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَت مِنهَا الأَعيُنُ، وَوَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعهَدُ إِلَينَا؟ قَالَ: «أُوصِيكُم بِتَقوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ وَإِن كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَن يَعِش مِنكُم بَعدِي فَسَيَرَىٰ اختِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ». رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ(٣).

وَرَوَاهُ ابنُ مَاجَه وَفِيهِ: «وَقَد تَرَكتُكُم عَلَىٰ البَيضَاءِ لَيلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنهَا بَعدِي إِلَّا هَالِكٌ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٩)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة (٩٣٧).

وَرَوَىٰ أَبُو الدَّردَاءِ قَالَ: خَرَجَ عَلَينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحنُ نَذكُرُ الفَقرَ وَنَتَخَوَّفُهُ فَقَالَ: «الفَقرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَّ الدُّنيَا عَلَيكُم حَتَّىٰ لا يُزِيغَ قَلبَ أَحَدِكُم إِن أَزَاغَهُ إِلَّا هِيَه، وَايمُ اللهِ قَد تَرَكتُكُم عَلَىٰ البَيضَاءِ لَيلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ». قَالَ أَبُو الدَّردَاءِ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، تَرَكنَا عَلَىٰ مِثلِ البَيضَاءِ لَيلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ. رَوَاهُ ابنُ مَاجَه[1].

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي قَد خَلَّفتُ فِيكُم مَا لَن تَضِلُّوا بَعدَهُمَا مَا أَخَذتُم بِهِمَا، أَو عَمِلتُم بِهِمَا، كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَن يَفتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوضَ». رواه أَبُو القَاسِمِ الطَّبَرِيُّ الحَافِظُ فِي «السُّنَنِ»[2].

وَقَالَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ فِي خُطبَتِهِ: «إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَستُ بِمُبتَدِعٍ».

وَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﷺ: «قَد فُرِضَت لَكُمُ الفَرَائِضُ، وَسُنَّت لَكُمُ السُّنَنُ، وَتُرِكتُم عَلَىٰ الوَاضِحَةِ إِلَّا أَن تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا».

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ ﷺ: «إِنَّا نَقتَدِي وَلَا نَبتَدِي، وَنَتَّبِعُ وَلَا نَبتَدِعُ، وَلَن نَضِلَّ مَا تَمَسَّكنَا بِالأَثَرِ».

وَرَوَىٰ الأَوزَاعِيُّ عَن الزُّهرِيِّ أَنَّهُ رَوَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لا يَزنِي الزانِي حِينَ يَزنِي وَهُوَ مُؤمِنٌ». فَسَأَلتُ الزُّهرِيَّ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: مِنَ اللهِ العِلمُ، وَعَلَىٰ الرَّسُولِ البَلَاغُ، وَعَلَينَا التَّسلِيمُ، أَمِرُّوا أَحَادِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا جَاءَت. وَفِي رِوَايَةٍ: فَإِنَّ أَصحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمَرُّوهَا.

وَقَالَ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ ﷺ: «سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَوُلَاةُ الأَمرِ بَعدَهُ سُنَنًا، الأَخذُ بِهَا تَصدِيقٌ لِكِتَابِ اللهِ، وَاستِكمَالٌ لِطَاعَتِهِ، وَقُوَّةٌ عَلَىٰ دِينِ اللهِ، لَيسَ لِأَحَدٍ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٥)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٦٨٨).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ١٧٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٣٢).

تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي رَأْيِ مَن خَالَفَهَا، فَمَنِ اقْتَدَىٰ بِمَا سَنُّوا اهتَدَىٰ، وَمَنِ استَبْصَرَ بِهَا بَصُرَ، وَمَن خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ وَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّىٰ وَأَصلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَت مَصِيرًا».

وَقَالَ الأَوزَاعِيُّ: «اصْبِرْ عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيثُ وَقَفَ القَومُ، وَقُل فِيمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُم».

وَقَالَ نُعَيمُ بنُ حَمَّادٍ: «مَن شَبَّهَ اللهَ بِخَلقِهِ فَقَد كَفَرَ، وَمَن أَنكَرَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفسَهُ فَقَد كَفَرَ، وَلَيس مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفسَهُ تَشبِيهًا».

وَقَالَ سُفيَانُ بنُ عُيَينَةَ: «كُلُّ شَيءٍ وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفسَهُ فِي القُرآنِ فَقِرَاءَتُهُ تَفسِيرُهُ، لَا كَيفَ وَلَا مِثلَ».

وَقَالَ أَبُو بَكرٍ المَرُّوذِيُّ: «سَأَلتُ أَحمَدَ بنَ حَنبَلٍ عَنِ الأَحَادِيثِ الَّتِي تَرُدُّهَا الجَهمِيَّةُ فِي الصِّفَاتِ وَالرُّؤيَةِ، وَالإِسرَاءِ، وَقِصَّةِ العَرشِ، فَصَحَّحَهُ أَبُو عَبدِ اللهِ وَقَالَ: تَلَقَّتهَا العُلَمَاءُ بِالقَبُولِ، تُمَرُّ الأَخبَارُ كَمَا جَاءَت».

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الشَّيبَانِيُّ - صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ: «اتَّفَقَ الفُقَهَاءُ كُلُّهُم مِنَ الشَّرقِ إِلَىٰ الغَربِ عَلَىٰ الإِيمَانِ بِالقُرآنِ وَالأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَت بِهَا الثِّقَاتُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صِفَةِ الرَّبِّ ﷻ، مِن غَيرِ تَفسِيرٍ وَلَا تَشبِيهٍ، فَمَن فَسَّرَ اليَومَ شَيئًا مِن ذَلِكَ فَقَد خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصحَابُهُ، فَإِنَّهُم لَم يُفَسِّرُوا، وَلَكِن أَفتَوا بِمَا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ سَكَتُوا، فَمَن قَالَ بِقَولِ جَهمٍ فَقَد فَارَقَ الجَمَاعَةَ؛ لِأَنَّهُ وَصَفَهُ بِصِفَةِ لَا شَيءَ».

وَقَالَ عَبَّادُ بنُ العَوَّامِ: «قَدِمَ عَلَينَا شَرِيكُ بنُ عَبدِ اللهِ فَقُلنَا: إِنَّ قَومًا يُنكِرُونَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ: «إِنَّ اللهَ يَنزِلُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا» وَالرُّؤيَةَ وَمَا أَشبَهَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ. فَقَالَ: إِنَّمَا جَاءَ بِهَذِهِ الأَحَادِيثِ مَن جَاءَ بِالسُّنَنِ فِي الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَإِنَّمَا عَرَفنَا اللهَ بِهَذِهِ الأَحَادِيثِ».

فَهَذِهِ جُملَةٌ مختَصَرَةٌ مِنَ القُرْآنِ، وَالسُّنَّةِ، وَآثَارِ مَنْ سَلَفَ فَالْزَمْهَا، وَمَا كَانَ مِثلَهَا مِمَّا صَحَّ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَصَالِحِ سَلَفِ الأُمَّةِ مِمَّن حَصَلَ الاتِّفَاقُ عَلَيهِ مِن خِيَارِ الأُمَّةِ، وَدعْ أَقوَالَ مَن كَانَ عِندَهُم مَحقُورًا مَهجُورًا، مُبعَدًا مَدحُورًا، وَمَذمُومًا ملُومًا، وَإِنِ اغتَرَّ كَثِيرٌ من المُتَأَخِّرِينَ بِأَقوَالِهِم وَجَنَحُوا إِلَىٰ اتِّبَاعِهِم، فَلَا تَغتَرَّ بِكَثْرَةِ أَهلِ البَاطِلِ.

فَقَد رُوِيَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَدَأَ الإِسلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ لِلغُرَبَاءِ». رواه مُسلِمٌ وَغَيرُهُ[(١)].

وَرُوِيَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً». وَفِي رِوَايَةٍ: قِيلَ: فَمَنِ النَّاجِيَةُ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي». رواه جَمَاعَةٌ مِن الأَئِمَّةِ[(٢)].

وَاعلَم - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ الإِسلَامَ وَأَهلَهُ أُتُوا مِن طوائِفَ ثَلَاثٍ:

- فَطَائِفَة رَدَّت أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ وَكَذَّبُوا رُوَاتَهَا، فَهَؤُلَاءِ أَشَدُّ ضَرَرًا عَلَىٰ الإِسلَامِ وَأَهلِهِ مِنَ الكُفَّارِ.

- وَأُخرَىٰ قَالُوا بِصِحَّتِهَا وَقَبُولِهَا، ثُمَّ تَأَوَّلُوهَا، فَهَؤُلَاءِ أَعظَمُ ضَرَرًا مِنَ الطَّائِفَةِ الأُولَىٰ.

- وَالثَّالِثَةُ: جَانَبُوا القَولَينِ الأَوَّلَينِ، وَأَخَذُوا- بِزَعمِهِم- يُنَزِّهُونَ وَهُم يُكَذِّبُونَ، فَأَدَّاهُم ذَلِكَ إِلَىٰ القَولَينِ الأَوَّلَينِ، وَكَانُوا أَعظَمَ ضَرَرًا مِنَ الطَّائِفَتَينِ الأُولَتَينِ.

فَمِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ: السُّكُوتُ عَمَّا لَم يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، أَو يَتَّفِقِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

المُسلِمُونَ عَلىٰ إطلَاقِهِ، وَتَركُ التَّعَرُّضِ لَهُ بِنَفيٍ أَو إِثبَاتٍ، فَكَمَا لَا يَثبُتُ إِلَّا بِنَصٍّ شَرعِيٍّ، كَذَلِكَ لَا يُنفَىٰ إِلَّا بِدَلِيلٍ سَمعِيٍّ.

نَسأَلُ اللهَ سُبحَانَهُ أَن يُوَفِّقَنَا لِمَا يُرضِيهِ مِن القَولِ وَالعَمَلِ وَالنِّيَّةِ، وَأَن يُحيِيَنَا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَرضَاهَا، وَيتَوَفَّانا عَلَيهَا، وَأَن يُلحِقَنَا بِنَبِيِّهِ وَخِيرَتِهِ مِن خَلقِهِ محَمَّدٍ المُصطَفَىٰ وَآلِهِ وَصَحبِهِ، وَيَجمَعَنَا مَعَهُم فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

وَكُلُّ حَدِيثٍ لَم نُضِفهُ إِلَىٰ من أَخرَجَهُ فَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيهِ أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا.

آخِرُهُ، وَالحَمدُ لله وَحدَهُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا.

* * *

١٣- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيلِ الرشاد

للإمام

أبي محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي

(٥٤١ - ٦٢٠ هـ)

١٣- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

١- الحَمدُ لله المَحمُودِ بِكُلِّ لِسَان، المَعبُودِ فِي كُلِّ زَمَان، الَّذِي لَا يَخلُو مِن عِلمِهِ مَكَان، وَلَا يَشغَلُهُ شَأنٌ عَن شَان، جَلَّ عَنِ الأَشبَاهِ وَالأَندَاد، وَتَنَزَّهَ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالأَولَاد، وَنَفَذَ حُكمُهُ فِي جَمِيعِ العِبَاد، لَا تُمَثِّلُهُ العُقُولُ بِالتَّفكِير، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ القُلُوبُ بِالتَّصوِير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

لَهُ الأَسمَاءُ الحُسنَىٰ، وَالصِّفَاتُ العُلَا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٥-٧]

أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمًا، وَقَهَرَ كُلَّ مَخلُوقٍ عِزَّةً وَحُكمًا، وَوَسِعَ كُلَّ شَيءٍ رَحمَةً وَعِلمًا: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [طه: ١١٠] مَوصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ فِي كِتَابِهِ العَظِيم، وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ الكَرِيم.

٢- وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي القُرآنِ أَو صَحَّ عَنِ المُصطَفَىٰ ﷺ مِن صِفَاتِ الرَّحمَٰنِ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهِ، وَتَلَقِّيهِ بِالتَّسلِيمِ وَالقَبُولِ، وَتَركُ التَّعَرُّضِ لَهُ بِالرَّدِّ وَالتَّأوِيلِ وَالتَّشبِيهِ وَالتَّمثِيلِ، وَمَا أُشكِلَ مِن ذَٰلِكَ وَجَبَ إِثبَاتُهُ لَفظًا وَتَركُ التَّعَرُّضِ لِمَعنَاهُ، وَنَرُدُّ عِلمَهُ إِلَىٰ قَائِلِهِ، وَنَجعَلُ عُهدَتَهُ عَلَىٰ نَاقِلِهِ، اتِّبَاعًا لِطَرِيقِ الرَّاسِخِينَ فِي العِلمِ، الَّذِينَ أَثنَىٰ الله عَلَيهِم فِي كِتَابِهِ المُبِينِ بِقَولِهِ ﷻ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧]

وَقَالَ فِي ذَمِّ مُبتَغِي التَّأوِيلِ لِمُتَشَابِهِ تنزِيلِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا

تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

فَجَعَلَ ابتِغَاءَ التَّأوِيلِ عَلَامَةً عَلَىٰ الزَّيغِ، وَقَرَنَهُ بِابتِغَاءِ الفِتنَةِ فِي الذَّمِّ، ثُمَّ حَجَبَهُم عَمَّا أَمَّلُوهُ، وَقَطَعَ أَطمَاعَهُم عَمَّا قَصَدُوهُ، بِقَولِهِ سُبحَانَهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

٣- قَالَ الإِمَامُ أَبُو عَبدِ الله أَحمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنبَلٍ ﷺ فِي قَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الله يَنزِلُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا»(١).

وَ: «إِنَّ الله يُرَىٰ فِي القِيَامَةِ»(٢). وَمَا أَشبَهَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ: «نُؤمِنُ بِهَا، وَنُصَدِّقُ بِهَا، لا كَيفَ، وَلا مَعنَىٰ، وَلا نَرُدُّ شَيئًا مِنهَا، وَنَعلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ، وَلا نَرُدُّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا نَصِفُ الله بِأَكثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ بِلا حَدٍّ وَلا غَايَةٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]».

وَنَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ لَا نَتَعَدَّىٰ ذَلِكَ، وَلَا يَبلُغُهُ وَصفُ الوَاصِفِينَ، نُؤمِنُ بِالقُرآنِ كُلِّهِ مُحكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نُزِيلُ عَنهُ صِفَةً مِن صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِعَت، وَلَا نَتَعَدَّىٰ القُرآنَ وَالحَدِيثَ، وَلَا نَعلَمُ كَيفَ كُنهُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَصدِيقِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَثبِيتِ القُرآنِ.

٤- قَالَ الإِمَامُ أَبُو عَبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ إِدرِيسَ الشَّافِعِيُّ ﷺ: «آمَنتُ بِاللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ، وَآمَنتُ بِرَسُولِ اللهِ وَبِمَا جَاءَ عَن رَسُولِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ رَسُولِ الله ﷺ».

٥- وَعَلَىٰ هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ وَأَئِمَّةُ الخَلَفِ ﷺ كُلُّهُم مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ الإِقرَارِ وَالإِمرَارِ وَالإِثبَاتِ لِمَا وَرَدَ مِنَ الصِّفَاتِ فِي كِتَابِ الله وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مِن غَيرِ تَعَرُّضٍ لِتَأوِيلِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

٦- وَقَد أُمِرنَا بِالاقتِفَاءِ لآثَارِهِم، وَالاهتِدَاءِ بِمَنَارِهِم، وَحُذِّرنَا المُحدَثَاتِ، وَأُخبِرنَا أَنَّهَا مِنَ الضَّلالاتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيكُم بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ»(١).

٧- وَقَالَ عَبدُ الله بنُ مَسعُودٍ رَحِمَهُ اللهُ: «اتَّبِعُوا وَلا تَبتَدِعُوا، فَقَد كُفِيتُم».

٨- وَقَالَ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ كَلامًا مَعنَاهُ: «قِف حَيثُ وَقَفَ القَومُ، فَإِنَّهُم عَن عِلمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَهُم عَلَىٰ كَشفِهَا كَانُوا أَقوَىٰ، وَبِالفَضلِ لَو كَانَ فِيهَا أَحرَىٰ، فَلَئِن قُلتُم: حَدَثَ بَعدَهُم! فَمَا أَحدَثَهُ إِلَّا مَن خَالَفَ هَديَهُم، وَرَغِبَ عَن سُنَّتِهِم، وَلَقَد وَصَفُوا مِنهُ مَا يَشفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنهُ بِمَا يَكفِي، فَمَا فَوقَهُم مُحَسِّرٌ، وَمَا دُونَهُم مُقَصِّرٌ، لَقَد قَصَّرَ عَنهُم قَومٌ فَجَفَوا، وَتَجَاوَزَهُم آخَرُونَ فَغَلَوا، وَإِنَّهُم فِيمَا بَينَ ذَلِكَ لَعَلَىٰ هُدًىٰ مُستَقِيمٍ».

٩- وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عَمرٍو الأَوزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «عَلَيكَ بِآثَارِ مَن سَلَفَ وَإِن رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِن زَخرَفُوهُ لَكَ بِالقَولِ».

١٠- وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الرَّحمَنِ الأَدرَمِيُّ لِرَجُلٍ تَكَلَّمَ بِبِدعَةٍ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَيهَا: «هَل عَلِمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ وَعُثمَانُ وَعَلِيٌّ، أَو لَم يَعلَمُوهَا؟

قَالَ: لَم يَعلَمُوهَا.

قَالَ: فَشَيءٌ لَم يَعلَمهُ هَؤُلَاءِ أَعلِمتَهُ أَنتَ؟!!

قَالَ الرَّجُلُ: فَإِنِّي أَقُولُ قَد عَلِمُوهَا.

قَالَ: أَفَوَسِعَهُم أَلَّا يَتَكَلَّمُوا بِهِ، وَلَا يَدعُوا النَّاسَ إِلَيهِ أَم لَم يَسَعهُم؟

قَالَ: بَلَىٰ وَسِعَهُم.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٦٥).

قَالَ: فَشَيءٌ وَسِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَخُلَفَاءَهُ لَا يَسَعُكَ أَنتَ؟!!

فَانقَطَعَ الرَّجُلُ؛ فَقَالَ الخَلِيفَةُ -وَكَانَ حَاضِرًا-: لَا وَسَّعَ الله عَلَىٰ مَن لَم يَسَعهُ مَا وَسِعَهُم».

١١- وَهَكَذَا مَن لَم يَسَعهُ مَا وَسِعَ رَسُولَ الله ﷺ وَأَصحَابَهُ وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحسَانٍ وَالأَئِمَّةَ مِن بَعدِهِم وَالرَّاسِخِينَ فِي العِلمِ مِن تِلَاوَةِ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَقِرَاءَةِ أَخبَارِهَا وَإِمرَارِهَا كَمَا جَاءَت فَلا وَسَّعَ اللهُ عَلَيهِ.

١٢- فَمِمَّا جَاءَ مِن آيَاتِ الصِّفَاتِ قَولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَقَولُهُ ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ إِخبَارًا عَن عِيسَىٰ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

وَقَولُهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ فِي الكُفَّارِ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

١٣- وَمِنَ السُّنَّةِ: قَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «يَنزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- كُلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

وَقَوْلُهُ: «يَعجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيسَت لَهُ صَبوَةٌ»(١).

وَقَولُهُ: «يَضحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَينِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، ثُمَّ يَدخُلَانِ الجَنَّةَ»(٢).

١٤- فَهذَا وَمَا أَشبَهَهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وَعُدِّلَت رُوَاتُهُ، نُؤمِنُ بِهِ، وَلَا نَرُدُّهُ، وَلَا نَجحَدُهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ، وَلَا نُشَبِّهُهُ بِصِفَاتِ المَخلُوقِينَ، وَلَا بِسِمَاتِ المُحدَثِينَ، وَنَعلَمُ أَنَّ الله ﷻ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وَكُلُّ مَا تُخُيِّلَ فِي الذِّهنِ أَو خَطَرَ بِالبَالِ، فَإِنَّ الله تَعَالَىٰ بِخِلَافِهِ.

١٥- وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦].

وَقَولُ النَّبِيِّ ﷺ «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسمُكَ»(٣).

وَقَالَ لِلجَارِيَةِ: «أَينَ اللهُ؟». قَالَت: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «اعتِقهَا فَإِنَّهَا مُؤمِنَةٌ». رَوَاهُ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ، وَمُسلِمٌ وَغَيرُهُمَا مِنَ الأَئِمَّةِ.

١٦- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحُصَينٍ: «كَم إِلَهًا تَعبُدُ؟

قَالَ: سَبعَةً: سِتَّةً فِي الأَرضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: مَن لِرَغبَتِكَ وَرَهبَتِكَ؟

قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: فَاترُكِ السِّتَّةَ، وَاعبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعوَتَينِ. فَأَسلَمَ، وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَن يَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَلهِمنِي رُشدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفسِي»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥١)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (١٦٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٢٠)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٤٢٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٠٩٨).

١٧- وَفِيمَا نُقِلَ مِن عَلَامَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصحَابِهِ فِي الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ: «أَنَّهُم يَسجُدُونَ بِالأَرضِ، وَيَزعُمُونَ أَنَّ إِلَهَهُم فِي السَّمَاءِ».

١٨- وَرَوَىٰ أَبُو دَاودَ فِي سُنَنِهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَا بَينَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ كَذَا وَكَذَا...».

وَذَكَرَ الخَبَرَ إِلَىٰ قَولِهِ: «وَفَوقَ ذَلِكَ العَرشُ، وَالله سُبحَانَهُ فَوقَ ذَلِكَ»[1].

١٩- فَهَذَا وَمَا أَشبَهَهُ مِمَّا أَجمَعَ السَّلَفُ -رَحِمَهُمُ الله- عَلَىٰ نَقلِهِ وَقَبُولِهِ، وَلَم يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّهِ، وَلَا تَأوِيلِهِ، وَلَا تَشبِيهِهِ، وَلَا تَمثِيلِهِ.

٢٠- سُئِلَ الإِمَامُ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ «فَقِيلَ: يَا أَبَا عَبدِ الله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كَيفَ استَوَىٰ؟!

فَقَالَ: الاستِوَاءُ غَيرُ مَجهُولٍ، وَالكَيفُ غَيرُ مَعقُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنهُ بِدعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّجُلِ فَأُخرِجَ».

فصل

٢١- وَمِن صِفَاتِ الله تَعَالَىٰ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ، يَسمَعُهُ مِنهُ مَن شَاءَ مِن خَلقِهِ، سَمِعَهُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنهُ مِن غَيرِ وَاسِطَةٍ، وَسَمِعَهُ جِبرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَن أَذِنَ لَهُ مِن مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ.

٢٢- وَأَنَّهُ سُبحَانَهُ يُكَلِّمُ المُؤمِنِينَ فِي الآخِرَةِ وَيُكَلِّمُونَهُ، وَيَأذَنُ لَهُم فَيَزُورُونَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٢٠)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١-١٢]

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]

وَغَيرُ جَائِزٍ أن يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيرُ اللهِ.

٢٣- وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ ﵁: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحيِ، سَمِعَ صَوتَهُ أَهلُ السَّمَاءِ». رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٢٤- وَرَوَىٰ عَبدُ الله بنُ أُنَيسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَحشُرُ الله الخَلَائِقَ يومَ القِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرلًا بُهمًا، فَيُنَادِيهِم بِصَوتٍ يَسمَعُهُ مَن بَعُدَ كَمَا يَسمَعُهُ مَن قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ». رَوَاهُ الأَئِمَّةُ، وَاستَشهَدَ بِهِ البُخَارِيُّ (١).

٢٥- وَفِي بَعضِ الآثَارِ: «أَنَّ مُوسَىٰ ﵇ لَيلَةَ رَأَىٰ النَّارَ فَهَالَتهُ فَفَزِعَ مِنهَا، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا مُوسَىٰ، فَأَجَابَ سَرِيعًا استِئنَاسًا بِالصَّوتِ، فَقَالَ: لَبَّيكَ لَبَّيكَ، أَسمَعُ صَوتَكَ وَلَا أَرَىٰ مَكَانَكَ، فَأَينَ أَنتَ؟!

فَقَالَ: أَنَا فَوقَكَ وَأَمَامَكَ وَعَن يَمِينِكَ وَعَن شِمَالِكَ.

فَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَنبَغِي إِلَّا للهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ: كَذَلِكَ أَنتَ يَا إِلَهِي، أَفَكَلَامُكَ أَسمَعُ، أَم كَلَامُ رَسُولِكَ؟ قَالَ: بَل كَلَامِي يَا مُوسَىٰ».

فصل

٢٦- وَمِن كَلَامِ اللهِ سُبحَانَهُ: القُرآنُ العَظِيمُ، وَهُوَ كِتَابُ اللهِ المُبِينُ، وَحَبلُهُ المَتِينُ، وَصِرَاطُهُ المُستَقِيمُ، وَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَىٰ قَلبِ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٥)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٦٠٨).

سَيِّدِ المُرسَلِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ غَيرُ مَخلُوقٍ، مِنهُ بَدَأَ وَإِلَيهِ يَعُودُ.

٢٧- وَهُوَ سُوَرٌ مُحكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ، مَن قَرَأَهُ فَأَعرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرفٍ عَشرُ حَسَنَاتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ، وَأَجزَاءٌ وَأَبعَاضٌ، مَتلُوٌّ بِالأَلسِنَةِ، مَحفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسمُوعٌ بِالآذَانِ، مَكتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ، فِيهِ مُحكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمرٌ وَنَهيٌ.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

٢٨- وَهَذَا هُوَ الكِتَابُ العَرَبِيُّ الَّذِي قَالَ فِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ: ٣١].

وَقَالَ بَعضُهُم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٥].

فَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦].

وَقَالَ بَعضُهُم: هُوَ شِعرٌ؛ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس: ٦٩].

فَلَمَّا نَفَى اللهُ عَنهُ أَنَّهُ شِعرٌ وَأَثبَتَهُ قُرآنًا لَم يَبقَ شُبهَةٌ لِذِي لُبٍّ فِي أَنَّ القُرآنَ هُوَ هَذَا الكِتَابُ العَرَبِيُّ الَّذِي هُوَ كَلِمَاتٌ وَحُرُوفٌ وَآيَاتٌ؛ لأَنَّ مَا لَيسَ كَذَلِكَ لَا يَقُولُ أَحَدٌ: إِنَّهُ شِعرٌ.

٢٩- وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

وَلَا يَجُوزُ أَن يَتَحَدَّاهُم بِالإِتيَانِ بِمِثلِ مَا لَا يُدرَى مَا هُوَ وَلَا يُعقَلُ.

٣٠- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾ [يونس: ١٥].

فَأَثْبَتَ أَنَّ القُرآنَ هُوَ الآيَاتُ الَّتِي تُتلَىٰ عَلَيهِم.

٣١- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]. بَعدَ أَن أَقسَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

٣١- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١].

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى: ١، ٢]. وَافتَتَحَ تِسعًا وَعِشرِينَ سُورَةً بِالحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ.

٣٣- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَن قَرَأَ القُرآنَ فَأَعرَبَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرفٍ مِنهُ عَشرُ حَسَنَاتٍ، وَمَن قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرفٍ حَسَنَةٌ». حَدِيثٌ صَحِيحٌ[(١)].

٣٤- وَقَالَ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «اقرَءُوا القُرآنَ قَبلَ أَن يَأتِيَ قَومٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهمِ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَتَعَجَّلُونَ أَجرَهُ وَلا يَتَأَجَّلُونَهُ»[(٢)].

٣٥- وَقَالَ أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما: «إِعرَابُ القُرآنِ أَحَبُّ إِلَينَا مِن حِفظِ بَعضِ حُرُوفِهِ».

---

(١) قال العلامة الألباني في الضعيفة (١٤/ ١٩٩-٢٠٠): تنبيه: أورد ابن قدامة المقدسي هذا الحديث في رسالته «لمعة الاعتقاد» (ص١٩) بلفظ: «من قرأ القرآن فأعربه، فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه، فله بكل حرف حسنة»! وقال فيه: «صحيح»! قلت: وهذا غريب جدًّا، فإنه لا أصل له بهذا اللفظ مطلقًا في شيء من طرقه التي وقفنا عليها، وقد تقدم تخريجها وبيان عللها، فكيف مع ذلك يصححه؟! فأخشى أن يكون مدسوسًا عليه.

(٢) تقدم تخريجه.

٣٦- وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَن كَفَرَ بِحَرفٍ مِنهُ فَقَد كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ».

٣٧- وَاتَّفَقَ المُسلِمُونَ عَلَىٰ عَدِّ سُوَرِ القُرآنِ وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهِ.

٣٨- وَلَا خِلَافَ بَينَ المُسلِمِينَ فِي أَنَّ مَن جَحَدَ مِنَ القُرآنِ سُورَةً، أَو آيَةً، أَو كَلِمَةً، أَو حَرفًا مُتَّفَقًا عَلَيهِ؛ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ حُرُوفٌ.

فَصلٌ

٣٩- وَالمُؤمِنُونَ يَرَونَ رَبَّهُم فِي الآخِرَةِ بِأَبصَارِهِم، وَيَزُورُونَهُ، وَيُكَلِّمُهُم وَيُكَلِّمُونَهُ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

٤٠- فَلَمَّا حَجَبَ أُولَئِكَ فِي حَالِ السُّخطِ؛ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ المُؤمِنِينَ يَرَونَهُ فِي حَالِ الرِّضَا، وَإِلَّا لَم يَكُن بَينَهُمَا فَرقٌ.

٤١- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم كَمَا تَرَونَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤيَتِهِ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

٤٢- وَهَذَا تَشبِيهٌ لِلرُّؤيَةِ بِالرُّؤيَةِ لَا لِلمَرئِيِّ بِالمَرئِيِّ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ.

فَصلٌ

٤٣- وَمِن صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ: أَنَّهُ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لَا يَكُونُ شَيءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَخرُجُ شَيءٌ عَن مَشِيئَتِهِ، وَلَيسَ فِي العَالَمِ شَيءٌ يَخرُجُ عَن تَقدِيرِهِ وَلَا يَصدُرُ إِلَّا عَن تَدبِيرِهِ.

وَلَا مَحِيدَ عَنِ القَدَرِ المَقدُورِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اللَّوحِ المَسطُورِ، أَرَادَ مَا العَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَو عَصَمَهُم لَمَا خَالَفُوهُ، وَلَو شَاءَ أَن يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لَأَطَاعُوهُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

خَلَقَ الخَلقَ وَأفعَالَهُم، وَقَدَّرَ أرزَاقَهُم وَآجَالَهُم، يَهدِي مَن يَشَاءُ بِرَحمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَن يَشَاءُ بِحِكمَتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]

٤٤- وَرَوَىٰ ابنُ عُمَرَ: أَنَّ جِبرِيلَ ﷺ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ «مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: أَن تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ. فَقَالَ جِبرِيلُ: صَدَقتَ». رَوَاهُ مُسلِمٌ [(١)].

٤٥- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «آمَنتُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلوِهِ وَمُرِّهِ» [(٢)].

٤٦- وَمِن دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي عَلَّمَهُ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ يَدعُو بِهِ فِي قُنُوتِ الوِترِ: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيتَ» [(٣)].

٤٧- وَلَا نَجعَلُ قَضَاءَ اللهِ وَقَدَرَهُ حُجَّةً لَنَا فِي تَركِ أَوَامِرِهِ وَاجتِنَابِ نَوَاهِيهِ، بَل يَجِبُ أَن نُؤمِنَ وَنَعلَمَ أَنَّ للهِ عَلَينَا الحُجَّةَ بِإنزَالِ الكُتُبِ وَبَعثِهِ الرُّسُلَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]

٤٨- وَنَعلَمُ أَنَّ اللهَ ﷻ مَا أَمَرَ وَنَهَىٰ إِلَّا المُستَطِيعَ لِلفِعلِ وَالتَّركِ، وَأَنَّهُ لَم يُجبِر

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه ابن عساكر (٢٢/ ٢٠٨).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٩٩)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٢٧٣).

أَحَدًا عَلَىٰ مَعصِيَةٍ، وَلَا اضطَرَّهُ إِلَىٰ تَركِ طَاعَةٍ.

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وَقَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ﴾ [غافر: ١٧].

٤٩- فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ للعَبدِ فِعلًا وَكَسبًا يُجزَىٰ عَلَىٰ حُسنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَىٰ سَيِّئِهِ بِالعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ.

فَصلٌ

٥٠- وَالإِيمَانُ قَولٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَركَانِ، وَعَقدٌ بِالجَنَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنقُصُ بِالعِصيَانِ.

٥١- قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

فَجَعَلَ عِبَادَةَ الله تَعَالَىٰ وَإِخلَاصَ القَلبِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ كُلَّهُ مِنَ الدِّينِ.

٥٢- وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضعٌ وَسَبعُونَ شُعبَةً، أَعلاهَا شَهَادَةُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ»[1].

٥٣- فَجَعَلَ القَولَ وَالعَمَلَ مِنَ الإِيمَانِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤].

وَقَالَ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ [الفتح: ٤].

٥٤- وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَفِي قَلبِهِ مِثقَالُ بُرَّةٍ، أَو خَردَلَةٍ، أَو ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ». فَجَعَلَهُ مُتَفَاضِلًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥).

فصلٌ

٥٥- وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَصَحَّ بِهِ النَّقلُ عَنهُ فِيمَا شَاهَدنَاهُ أَو غَابَ عَنَّا، وَنَعلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدقٌ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَا عَقَلنَاهُ وَجَهِلنَاهُ، وَلَم نَطَّلِع عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَعنَاهُ، مِثلُ: حَدِيثِ الإِسرَاءِ وَالمِعرَاجِ، وَكَانَ يَقظَةً لَا مَنَامًا، فَإِنَّ قُرَيشًا أَنكَرَتهُ وَأَكبَرَتهُ، وَلَم تُنكِرِ المَنَامَاتِ.

٥٦- وَمِن ذَلِكَ:

أَنَّ مَلَكَ المَوتِ لَمَّا جَاءَ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ لِيَقبِضَ رُوحَهُ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَينَهُ، فَرَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَرَدَّ عَلَيهِ عَينَهُ.

٥٧- وَمِن ذَلِكَ:

أَنَّ أَشرَاطَ السَّاعَةِ: مِثلُ: خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَىٰ بنِ مَريَمَ ﷺ فَيَقتُلُهُ، وَخُرُوجِ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ، وَطُلُوعِ الشَّمسِ مِن مَغرِبِهَا، وَأَشبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ بِهِ النَّقلُ.

٥٨- وَعَذَابُ القَبرِ وَنَعِيمُهُ حَقٌّ، وَقَدِ استَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنهُ، وَأَمَرَ بِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ.

٥٩- وَفِتنَةُ القَبرِ حَقٌّ، وَسُؤَالُ مُنكَرٍ وَنَكِيرٍ حَقٌّ، وَالبَعثُ بَعدَ المَوتِ حَقٌّ، وَذَلِكَ حِينَ يَنفُخُ إِسرَافِيلُ ﷺ فِي الصُّورِ: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

٦٠- وَيُحشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرلًا بُهمًا، فَيَقِفُونَ فِي مَوقِفِ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يَشفَعَ فِيهِم نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَيُحَاسِبُهُمُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَتُنصَبُ المَوَازِينُ، وَتُنشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَتَتَطَايَرُ صَحَائِفُ الأَعمَالِ إِلَىٰ الأَيمَانِ وَالشَّمَائِلِ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ٧-١٢].

٦١- وَالمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَانِ وَلِسَانٌ تُوزَنُ بِهِ الأعمَالُ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

٦٢- وَلِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَوضٌ فِي القِيَامَةِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحلَىٰ مِنَ العَسَلِ، وَأَبَارِيقُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَن شَرِبَ مِنهُ شَربَةً؛ لَم يَظمَأ بَعدَهَا أَبَدًا.

٦٣- وَالصِّرَاطُ حَقٌّ؛ يَجُوزُهُ الأَبرَارُ، وَيَزِلُّ عَنهُ الفُجَّارُ.

٦٤- وَيَشفَعُ نَبِيُّنَا ﷺ فِيمَن دَخَلَ النَّارَ مِن أُمَّتِهِ مِن أَهلِ الكَبَائِرِ، فَيَخرُجُونَ بِشَفَاعَتِهِ بَعدَمَا احتَرَقُوا وَصَارُوا فَحمًا وَحُمَمًا، فَيَدخُلُونَ الجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ.

٦٥- وَلِسَائِرِ الأَنبِيَاءِ وَالمُؤمِنِينَ وَالمَلَائِكَةِ شَفَاعَاتٌ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٦٦- وَلَا تَنفَعُ الكَافِرَ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.

٦٧- وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخلُوقَتَانِ لَا تَفنَيَانِ، فَالجَنَّةُ مَأوَىٰ أَولِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابٌ لِأَعدَائِهِ، وَأَهلُ الجَنَّةِ فِيهَا مُخَلَّدُونَ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥].

٦٨- وَيُؤتَىٰ بِالمَوتِ فِي صُورَةِ كَبشٍ أَملَحَ، فَيُذبَحُ بَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: «يَا أَهلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ وَلَا مَوتَ، وَيَا أَهلَ النَّارِ، خُلُودٌ وَلَا مَوتَ»[1].

فَصلٌ

٦٩- وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ المُرسَلِينَ، لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبدٍ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَشهَدَ بِنُبُوَّتِهِ، وَلَا يُقضَىٰ بَينَ النَّاسِ فِي القِيَامَةِ إِلَّا بِشَفَاعَتِهِ، وَلَا يَدخُلُ الجَنَّةَ أُمَّةٌ إِلَّا بَعدَ دُخُولِ أُمَّتِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

٧٠- صَاحِبُ لِوَاءِ الحَمدِ وَالمَقَامِ المَحمُودِ وَالحَوضِ المَورُودِ، وَهُوَ إِمَامُ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبُهُم وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِم، أُمَّتُهُ خَيرُ الأُمَمِ، وَأَصحَابُهُ خَيرُ أَصحَابِ الأَنبِيَاءِ ﷺ.

٧١- وَأَفضَلُ أُمَّتِهِ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الفَارُوقُ، ثُمَّ عُثمَانُ ذُو النُّورَينِ، ثُمَّ عَلِيٌّ المُرتَضَىٰ -رَضِيَ الله عَنهُم أَجمَعِينَ- لِمَا رَوَىٰ عَبدُ الله بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «كُنَّا نَقُول -وَالنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ-: أَفضَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، فَيَبلُغ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَلَا يُنكِرُهُ».

٧٢- وَصَحَّتِ الرِّوَايَةُ عَن عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «خَيرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَلَو شِئتُ سَمَّيتُ الثَّالِثَ».

٧٣- وَرَوَىٰ أَبُو الدَّردَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا طَلَعَتِ الشَّمسُ وَلَا غَرَبَت بَعدَ النَّبِيِّينَ وَالمُرسَلِينَ عَلَىٰ أَفضَلِ مِن أَبِي بَكرٍ»(١).

٧٤- وَهُوَ أَحَقُّ خَلقِ الله بِالخِلَافَةِ بَعدَ النَّبِيِّ ﷺ لِفَضلِهِ وَسَابِقَتِهِ، وَتَقدِيمِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَإِجمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَىٰ تَقدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ، وَلَم يَكُنِ الله لِيَجمَعَهُم عَلَىٰ ضَلَالَةٍ.

٧٥- ثُمَّ مِن بَعدِهِ عُمَرُ رضي الله عنه؛ لِفَضلِهِ وَعَهدِ أَبِي بَكرٍ إِلَيهِ.

٧٦- ثُمَّ عُثمَانُ رضي الله عنه؛ لِتَقدِيمِ أَهلِ الشُّورَىٰ لَهُ.

٧٧- ثُمَّ عَلِيٌّ رضي الله عنه؛ لِفَضلِهِ وَإِجمَاعِ أَهلِ عَصرِهِ عَلَيهِ.

٧٨- وَهَؤُلَاءِ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِيهِم: «عَلَيكُم بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ»(٢).

---

(١) أخرجه عبد بن حميد (١/ ٢١).

(٢) تقدم تخريجه.

٧٩- وَقَالَ ﷺ: «الخِلَافَةُ مِن بَعدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً»[1]. فَكَانَ آخِرُهَا خِلَافَةَ عَلِيٍّ رضي الله عنه.

٨٠- وَنَشهَدُ لِلعَشَرَةِ بِالجَنَّةِ، كَمَا شَهِدَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «أَبُو بَكرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيرُ فِي الجَنَّةِ، وَسَعدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»[2].

٨١- وَكُلُّ مَن شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالجَنَّةِ شَهِدنَا لَهُ بِهَا، كَقَولِهِ: «الحَسَنُ وَالحُسَينُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهلِ الجَنَّةِ»[3].

وَقَولِهِ لِثَابِتِ بنِ قَيسٍ: «إِنَّهُ مِن أَهلِ الجَنَّةِ».

٨٢- وَلَا نَجزِمُ لأَحَدٍ مِن أَهلِ القِبلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، إِلَّا مَن جَزَمَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ، لَكِنَّا نَرجُو لِلمُحسِنِ، وَنَخَافُ عَلَى المُسِيءِ.

٨٣- وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِن أَهلِ القِبلَةِ بِذَنبٍ، وَلَا نُخرِجُهُ عَنِ الإِسلَامِ بِعَمَلٍ.

٨٤- وَنَرَى الحَجَّ وَالجِهَادَ مَاضِيَينِ مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ، بَرًّا كَانَ أَو فَاجِرًا، وَصَلَاةَ الجُمُعَةِ خَلفَهُم جَائِزَةً.

٨٥- قَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِن أَصلِ الإِيمَانِ: الكَفُّ عَمَّن قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنبٍ، وَلَا نُخرِجُهُ مِنَ الإِسلَامِ بِعَمَلٍ، وَالجِهَادُ مَاضٍ مُنذُ بَعَثَنِي اللهُ عز وجل حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لا يُبطِلُهُ جَورُ جَائِرٍ، وَلَا عَدلُ عَادِلٍ، وَالإِيمَانُ بِالأَقدَارِ»[4]. رَوَاهُ أَبُو دَاودَ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٢٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٤٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٦٨)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٣٢)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٥٣٢).

٨٦- وَمِنَ السُّنَّةِ: تَوَلِّي أصحَابِ رَسُولِ الله ﷺ وَمَحَبَّتُهُم وَذِكرُ مَحَاسِنِهِم وَالتَّرَحُّمُ عَلَيهِم، وَالاستِغفَارُ لَهُم، وَالكَفُّ عَن ذِكرِ مَسَاوِئِهِم، وَمَا شَجَرَ بَينَهُم، وَاعتِقَادُ فَضلِهِم وَمَعرِفَةُ سَابِقَتِهِم، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

٨٧- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَسُبُّوا أَصحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُم لَو أَنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلا نَصِيفَهُ»(١).

٨٨- وَمِنَ السُّنَّةِ: التَّرَضِّي عَلَى أزوَاجِ رَسُولِ الله ﷺ أُمَّهَاتِ المُؤمِنِينَ المُطَهَّرَاتِ المُبَرَّآتِ مِن كُلِّ سُوءٍ، أَفضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ بِنتُ خُوَيلِدٍ، وَعَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ بِنتُ الصِّدِّيقِ الَّتِي بَرَّأَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، زَوجُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، فَمَن قَذَفَهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللهُ مِنهُ فَقَد كَفَرَ بِالله العَظِيمِ.

٨٩- وَمُعَاوِيَةُ خَالُ المُؤمِنِينَ، وَكَاتِبُ وَحيِ الله، أَحَدُ خُلَفَاءِ المُسلِمِينَ رضي الله عنهم.

٩٠- وَمِنَ السُّنَّةِ: السَّمعُ وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ المُسلِمِينَ وَأُمَرَاءِ المُؤمِنِينَ، بَرِّهِم وَفَاجِرِهِم، مَا لَم يَأمُرُوا بِمَعصِيَةِ الله، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لأَحَدٍ فِي مَعصِيَةِ الله.

٩١- وَمَن وَلِيَ الخِلَافَةَ وَاجتَمَعَ عَلَيهِ النَّاسُ وَرَضُوا بِهِ، أَو غَلَبَهُم بِسَيفِهِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً وَسُمِّيَ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ؛ وَجَبَت طَاعَتُهُ وَحَرُمَت مُخَالَفَتُهُ وَالخُرُوجُ عَلَيهِ وَشَقُّ عَصَا المُسلِمِينَ.

٩٢- وَمِنَ السُّنَّةِ: هِجرَانُ أَهلِ البِدَعِ، وَمُبَايَنَتُهُم، وَتَركُ الجِدَالِ وَالخُصُومَاتِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١).

فِي الدِّينِ، وَتَركُ النَّظَرِ فِي كُتُبِ المُبتَدِعَةِ، وَالإِصغَاءِ إِلَىٰ كَلَامِهِم، وَكُلُّ مُحدَثَةٍ فِي الدِّينِ بِدعَةٌ.

٩٣- وَكُلُّ مُتَّسِمٍ بِغَيرِ الإِسلَامِ وَالسُّنَّةِ؛ مُبتَدِعٌ: كَالرَّافِضَةِ، وَالجَهمِيَّةِ، وَالخَوَارِجِ، وَالقَدَرِيَّةِ، وَالمُرجِئَةِ، وَالمُعتَزِلَةِ، وَالكَرَّامِيَّةِ، وَالكُلَّابِيَّةِ، وَنَظَائِرِهِم، فَهَذِهِ فِرَقُ الضَّلَالِ، وَطَوَائِفُ البِدَعِ -أَعَاذَنَا اللهُ مِنهَا-.

٩٤- وَأَمَّا النِّسبَةُ إِلَىٰ إِمَامٍ فِي فُرُوعِ الدِّينِ؛ كَالطَّوَائِفِ الأَربَعِ فَلَيسَ بِمَذمُومٍ، فَإِنَّ الاختِلَافَ فِي الفُرُوعِ رَحمَةٌ، وَالمُختَلِفُونَ فِيهِ مَحمُودُونَ فِي اختِلَافِهِم، مُثَابُونَ فِي اجتِهَادِهِم، وَاختِلَافُهُم رَحمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَاتِّفَاقُهُم حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ.

٩٥- نَسأَلُ اللهَ أَن يَعصِمَنَا مِنَ البِدَعِ وَالفِتنَةِ، وَيُحيِيَنَا عَلَىٰ الإِسلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَيَجعَلَنَا مِمَّن يَتَّبِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الحَيَاةِ، وَيَحشُرَنَا فِي زُمرَتِهِ بَعدَ المَمَاتِ بِرَحمَتِهِ وَفَضلِهِ...آمِينَ.

وَهَذَا آخِرُ المُعتَقَدِ، وَالحَمدُ للهِ وَحدَهُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا.

* * *
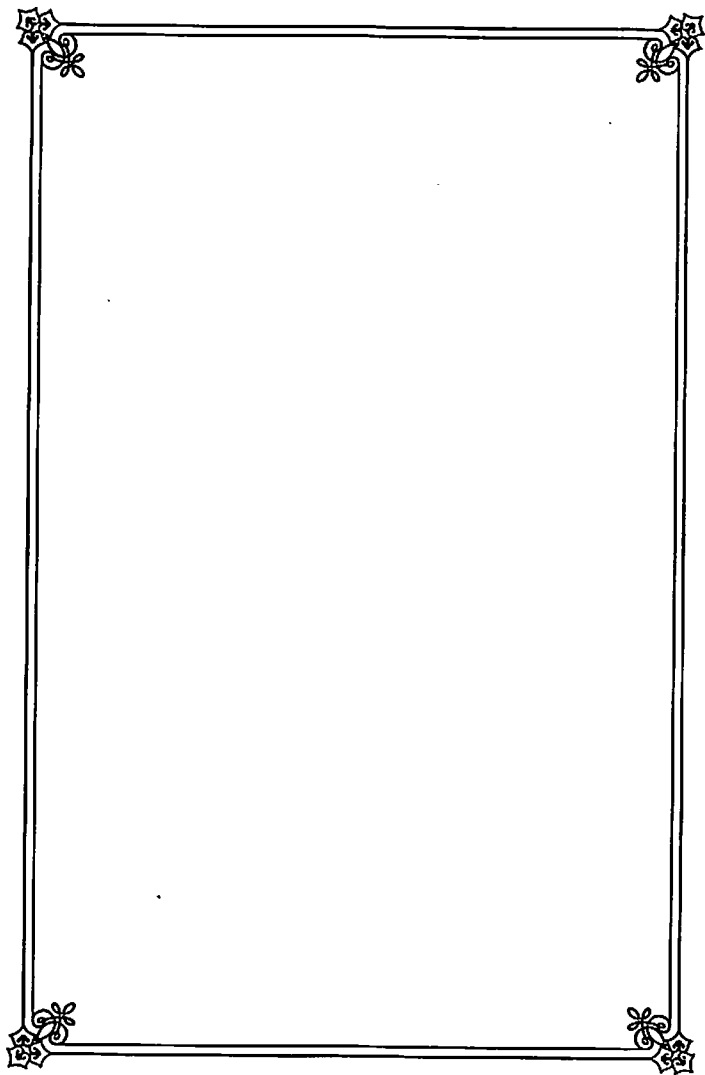
١٤- العقيدة الواسطية

١٥- المنظومة اللاَّمِيَّةُ

١٦- القَصِيدَةُ التَّائِيَّةُ فِي القَدَرِ

للإمام

أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني

(المتوفى : ٧٢٨هـ)

١٤- العقيدة الواسطية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا. وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وهو الإِيمانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ.

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الله سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]. فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ الله وآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لا سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ، ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ ﷻ. فَإِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقُون، بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ. وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]. فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ: صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ.

وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي «سُورَةِ الإِخْلاَصِ» الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ - أَيْ: لَا يُكرثه وَلَا يُثقله - وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ؛ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ(١).

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨]. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ٢]. ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣١١).

ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩] . وَقَوْلُهُ ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١] . وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢] .

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨] . وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] ، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨] . وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] . وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣] . وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١] ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥] . ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩] . ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة: ٧] ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢] . وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] . وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] . وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤] ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج: ١٤] . وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النمل: ٣٠] . ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] . ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣] . ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] . ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧] . ﴿فَٱللَّهُ

خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤].

وقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]. ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]. وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]. وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٣].

وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢]. ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٣، ١٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ

﴿٤٦﴾ [طه: ٤٦]. وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ١٤]. ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩]، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل: ٥٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]، وقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩]، ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: ٨]، وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]. ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن: ١]. ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ١، ٢]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩١، ٩٢].

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]

وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ:

* فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]

* وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]

* وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]

* وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]

* وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]

* وَقَالَ فِي سُورَةِ (الم) السَّجْدَةِ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]

* وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦، ١٧]

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]. ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]. ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦]. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]. ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]. ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: ٧٦].

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]. ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠١-١٠٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٣]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥].

وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَىٰ مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.

فَصْلٌ

ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فالسنة تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ تبارك وتعالى مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...»[2] الحَدِيثُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢١)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»[١]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»[٢]. حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا. وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ - فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ»[٣]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ»[٤]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ولَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»[٥].

وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: «رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ! أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ! كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ! اغْفِرْ لَنَا حوبَنَا وَخَطَايَانَا! أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ! أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجِعِ فَيَبْرَأَ»[٦]. حدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَقَوْلُهُ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟»[٧] حَدِيثٌ صَحِيحٌ رواه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٨١) بنحوه، وحسنه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢٨١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

(٦) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، وضعفه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٥٥٥).

(٧) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

البخاري وغيره.

وَقَوْلُهُ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»[١]. حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[٢]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلُهُ ﷺ «أَفْضَلُ الإِيمَانِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ أَيْنَمَا كُنْتَ»[٣]. حَدِيثٌ حَسَنٌ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ.

وَقَوْلُهُ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ»[٤]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ ﷺ «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ! فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى! مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ! أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا! أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ! وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ! وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ! وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ! اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ»[٥]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»[٦]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه -بمعناه- أبو داود (٤٧٢٣)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».
(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧).
(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٥٤١)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (١٠٠٢).
(٤) أخرجه البخاري (٤١٣)، ومسلم (٥٥١).
(٥) أخرجه مسلم (٢٧١٣).
(٦) أخرجه البخاري (٦٤٠٩)، ومسلم (٢٧٠٤).

وقَوْلهُ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ؛ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إِلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رِسُولُ الله ﷺ عَن رَّبِهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ الله بِهِ فِي كِتَابِه، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ.

بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ.

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ الله ﷻ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ (الْجَهْمِيَّةِ)، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ (الْمُشَبِّهَةِ).

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ الله بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ والْجَبْرِيَّةِ وَفِي بَابِ وَعِيدِ الله بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَفِي بَابِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ.

فَصْلٌ

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ الله بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَن رَّسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، مِنْ أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، عَلَىٰ عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

وَلَيْسَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾: أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ، فَإِنَّ هَذَا لا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عرشه، رَقِيبٌ عَلَىٰ خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِم إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ - مِنْ: أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا- حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، لاَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ. مِثْلِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] أَنَّ السَّمَاءَ تُقِلُّهُ أَوْ تُظِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ والإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وَهُوَ الذي ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥].

فصل

وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ:

الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَقَوْلُهُ ﷺ «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»(١).

وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛

---

(١) تقدم تخريجه.

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

فصل

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ:

الإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ الله، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ الله تَعَالَىٰ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ الله حَقِيقَةً، لا كَلامُ غَيْرِهِ.

وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ الله، أَوْ عِبَارَةٌ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ الله حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لاَ إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا. وَهُوَ كَلامُ الله: حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ، لَيْسَ كَلامُ الله الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ.

فصل

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَا مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ:

الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُم فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ، كَمَا يَشَاءُ الله.

فصل

وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ: الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الْفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ للرَّجُلِ: مَن رَّبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّك؟ فَيُثَبِّتُ الله الَّذِين آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَة، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّيَ الله، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي.

وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: آه آه(١)، لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُه، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ(٢).

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَىٰ، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَىٰ الأَجْسَادِ. وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ. فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا(٣)، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ(٤)؛ فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِها أَعْمَالُ الْعِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ: وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ؛ فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ: كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلاَئِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ: فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُمْ لاَ حَسَنَاتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَىٰ، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا.

وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ماؤه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يشرب

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٧٦).

(٢) يشير لما أخرجه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢٤، ٦٥٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٦٤).

مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا(١).

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُم مَنْ يُخْطَفُ وَيُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم.

فَمَنْ مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِم مِن بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ(٢).

وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ(٣) وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُهَا مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ(٤).

وَلَه ﷺ فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَىٰ: فَيَشفَعُ فَي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ: آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ(٥).

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَهَاتَانَ الشَّفَاعَتَانِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٦، ١٩٧).

(٤) أخرجه مسلم (٨٥٥).

(٥) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ: فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن يَخْرُجَ مِنْهَا.

وَيُخْرِجُ الله مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ(١)، وَيَبْقَىٰ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ الله لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ(٢).

وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِن أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

فَالدَّرَجَةُ الأُولَىٰ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ عَلِيمٌ بِمَا الخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ. فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ الله الْقَلَمَ، قَالَ لَهُ: «اكْتُبْ»، قَالَ: «مَا أَكْتُبُ؟»، قَالَ: «اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٣).

فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُن لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٥٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٧).

ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾ [الحج: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ [الحديد: ٢٢].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ: «اكْتُبْ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ..»[1]. وَنَحْوُ ذَلِكَ. فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ مَشِيئَةُ الله النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ الله كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ الله سُبْحَانَهُ، لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا الله خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ.

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَالله خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ.

وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَالله خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، كَمَا قَالَ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَجُوسِ هَذِهِ الأُمَّةِ»(١)، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى سلبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

فَصْلٌ

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ. وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ، بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ القِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

وَلاَ يَسْلِبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ الإِسْلاَمَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّار، كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ؛ بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَان المُطْلَقِ، كَمَا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤٢).

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١).

وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ.

فَصْلٌ

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلاَمَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، وَطَاعَةُ الرَّسُولِ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»(٢).

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ، وَيُفَضِّلُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ -: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(٣).

وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ(٤)، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعمَائَةٍ.

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٩٦).

شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ. وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنهم، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهما بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، وَرَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا، لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ ثُمَّ عَلِيٍّ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ من الأُصُولُ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ لَكِنَّ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»[١].

وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ - وَقَدِ اشْتَكَىٰ إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحِبُّوكُمْ للهِ، وَلِقَرَابَتِي»[٢].

وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٥٨)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُون بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ، خُصُوصًا خَدِيجَةَ ﷺ أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَىٰ أَمْرِه، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ.

وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ ﷺ، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ»(١).

وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَمِنْ طَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: «إِنَّ هَٰذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِم: مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُم مَعَ ذَٰلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تجوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُم مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ -إِنْ صَدَرَ- حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمُ السَّيِّئَاتُ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُمْ: «خَيْرُ الْقُرُونِ»(٢)، «وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ»(٣).

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِين هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوِ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥١، ٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣-٢٥٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ، فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَئُوا؛ لَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مغفورٌ.

ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَن نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا: أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، لاَ كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلَهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَمَا يَجْرِي عَلَىٰ أَيْدِيهِم مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ وَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ فِرَقِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَصْلٌ

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ» (١).

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيُؤْثِرُونَ كَلامَ اللهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ؛ وَلِهَذَا سُمُّوا: أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (٢٦-٣٤).

هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.

والإِجمَاعُ: هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ. وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِه الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

والإِجمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلافُ، وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ.

فَصْلٌ

ثُمَّ هُم مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ: الْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْجُمَعِ، وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ؛ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَىٰ الْجَمَاعَاتِ، وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ(١).

وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ»(٢).

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَيَدْعُونَ إِلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٣).

وَيَنْدُبُونَ إِلَىٰ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢٨٤).

وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُم: هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ الله بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ[(١)]، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»[(٢)]، وَصَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي على الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لا يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ، وَلا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[(٣)].

فَنَسْأَلُ الله أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ! وَأَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِن لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، وصححه العلامة الألباني في «الظلال» (٦٥، ٦٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

١٥- المنظومة اللاَّمِيَّةُ

١- يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي ... رُزِقَ الهُدَىٰ مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ
٢- اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِهِ ... لا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلا يَتَبَدَّلُ
٣- حُبُّ «الصَّحابَةِ» كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُرْبَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ
٤- وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ سَاطِعٌ ... لكِنَّمَا «الصِّدِّيقُ» مِنْهُمْ أَفْضَلُ
٥- وَأَقُولُ فِي القُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ ... آياتُهُ فَهْوَ الْكَرِيمُ الْمُنزَلُ
٦- وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ ... وَالْمُصْطَفَىٰ الْهَادِي وَلا أَتَأَوَّلُ
٧- وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا ... حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ
٨- وأَرُدُّ عُهْدَتَها إِلَىٰ نُقَّالِهَا ... وَأَصُونُها عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ
٩- قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ ... وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ
١٠- وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ ... وَإِلَىٰ السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ
١١- وأُقِرُّ بِالْمِيزَانِ وَالْحَوضِ الَّذِي ... أَرجُو بِأَنِّيَ مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ
١٢- وَكَذَا الصِّراطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ ... فَمُوَحِّدٌ نَاجٍ وَآخَرَ مُهْمَلُ
١٣- وَالنَّارُ يَصْلاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ ... وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَىٰ الجِنَانِ سَيَدْخُلُ
١٤- ولِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ ... عَمَلٌ يُقارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ
١٥- هَذا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ ومَالِكٍ ... وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ
١٦- فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ ... وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

* * *

١٦- القَصِيدَةُ التَّائِيَّةُ فِي القَدَرِ

قَالَ السَّائِلُ:

١- أَيَا عُلَمَاءَ الدِّينِ ذِمِّيُّ دِينِكُمْ تَحَيَّرَ دُلُّوهُ بِأَوْضَحِ حُجَّةِ

٢- إِذَا مَا قَضَىٰ رَبِّي بِكُفْرِي بِزَعْمِكُمْ وَلَمْ يَرْضَهُ مِنِّي فَمَا وَجْهُ حِيلَتِي

٣- دَعَانِي وَسَدَّ البَابَ عَنِّي فَهَلْ إِلَىٰ دُخُولِي سَبِيلٌ بَيِّنُوا لِي قَضِيَّتِي

٤- قَضَىٰ بِضَلَالِي ثُمَّ قَالَ: ارْضَ بالقضا فَمَا أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي فِيهِ شِقْوَتِي

٥- فَإِنْ كُنْتُ بِالمَقْضِيِّ - يَا قَوْمُ - راضيًا فَرَبِّيَ لا يَرْضَىٰ بِشُؤْمِ بَلِيَّتِي

٦- وَهَلْ لِي رِضًا مَا لَيْسَ يَرْضَاهُ سَيِّدِي فَقَدْ حِرْتُ دُلُّونِي عَلَىٰ كَشْفِ حَيْرَتِي

٧- إِذَا شَاءَ رَبِّي الكُفْرَ مِنِّي مَشِيئَةً فَهَلْ أَنَا عَاصٍ فِي اتِّبَاعِ الْمَشِيئَةِ

٨- وَهَلْ لِي اخْتِيَارٌ أَنْ أُخَالِفَ حُكْمَهُ فَبِاللهِ فَاشْفُوا بِالبَرَاهِينِ غُلَّتِي.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

١- سُؤَالُكَ يَا هَذَا سُؤَالُ مُعَانِدٍ مُخَاصِمِ رَبَّ العَرْشِ بَارِي الْبَرِيَّةِ

٢- فَهَذَا سُؤَالٌ خَاصَمَ الْمَلَأَ العُلَىٰ قَدِيمًا بِهِ إِبْلِيسُ أَصْلُ البَلِيَّةِ

٣- وَمَنْ يَكُ خَصْمًا لِلْمُهَيْمِنِ يَرْجِعَنْ عَلَىٰ أُمِّ رَأْسٍ هَاوِيًا فِي الْحُفَيْرَةِ

٤- وَيُدْعَىٰ خُصُومُ اللهِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ طُرًّا مَعْشَرَ القَدَرِيَّةِ

٥- سَوَاءٌ نَفَوْهُ أَوْ سَعَوْا لِيُخَاصِمُوا بِهِ اللهَ أَوْ مَارَوْا بِهِ لِلشَّرِيعَةِ

٦- وَأَصْلُ ضَلَالِ الخَلْقِ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ هُوَ الخَوْضُ فِي فِعْلِ الإِلَهِ بِعِلَّةِ

٧- فَإِنَّهُمُو لَمْ يَفْهَمُوا حِكْمَةً لَهُ فَصَارُوا عَلَىٰ نَوْعٍ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ

٨- فَإِنَّ جَمِيعَ الكَوْنِ أَوْجَبَ فِعْلَهُ مَشِيئَةُ رَبِّ الخَلْقِ بَارِي الخَلِيقَةِ

٩- وَذَاتُ إِلَهِ الخَلْقِ وَاجِبَةٌ بِمَا لَهَا مِنْ صِفَاتٍ وَاجِبَاتٍ قَدِيمَةِ

١٠- مَشِيئَتُهُ مَعْ عِلْمِهِ ثُمَّ قُدْرَةٌ ... لَوَازِمُ ذَاتِ اللهِ قَاضِي القَضِيَّةِ

١١- وَإِبْدَاعُهُ مَا شَاءَ مِنْ مُبْدَعَاتِهِ ... بِهَا حِكْمَةٌ فِيهِ وَأَنْوَاعُ رَحْمَةِ

١٢- وَلَسْنَا وَإِذَا قُلْنَا جَرَتْ بِمَشِيئَةٍ ... مِنَ المُنْكِرِي آيَاتِهِ المُسْتَقِيمَةِ

١٣- بَلِ الحَقُّ أَنَّ الحُكْمَ للهِ وَحْدَهُ ... لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ الَّذِي فِي الشَّرِيعَةِ

١٤- هُوَ المَلِكُ المَحْمُودُ فِي كُلِّ حَالَةٍ ... لَهُ المُلْكُ مِنْ غَيْرِ انْتِقَاصٍ بِشِرْكَةِ

١٥- فَمَا شَاءَ مَوْلَانَا الإِلَهُ فَإِنَّهُ ... يَكُونُ وَمَا لَا لَا يَكُونُ بِحِيلَةِ

١٦- وَقُدْرَتُهُ لَا نَقْصَ فِيهَا وَحُكْمُهُ ... يَعُمُّ فَلَا تَخْصِيصَ فِي ذِي القَضِيَّةِ

١٧- أُرِيدُ بِذَا أَنَّ الحَوَادِثَ كُلَّهَا ... بِقُدْرَتِهِ كَانَتْ وَمَحْضِ المَشِيئَةِ

١٨- ومَالِكُنَا فِي كُلِّ مَا قَدْ أَرَادَهُ ... لَهُ الحَمْدُ حَمْدًا يَعْتَلِي كُلَّ مِدْحَةِ

١٩- فَإِنَّ لَهُ فِي الخَلْقِ مِنْ نِعَمٍ سَرَتْ ... وَمِنْ حِكَمٍ فَوْقَ العُقُولِ الحَكِيمَةِ

٢٠- أُمُورًا يَحَارُ العَقْلُ فِيهَا إِذَا رَأَى ... مِنَ الحِكَمِ العُلْيَا وَكُلِّ عَجِيبَةِ

٢١- فَنُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ عَزَّ بِقُدْرَةٍ ... وَخَلْقٍ وَإِبْرَامٍ لِحُكْمِ المَشِيئَةِ

٢٢- فَنُثْبِتُ هَذَا كُلَّهُ لِإِلَهِنَا ... وَنُثْبِتُ مَا فِي ذَاكَ مِنْ كُلِّ حِكْمَةِ

٢٣- وَهَذَا مَقَامٌ طَالَمَا عَجَزَ الأُلَى ... نَفَوْهُ وَكَرُّوا رَاجِعِينَ بِحَيْرَةِ

٢٤- وَتَحْقِيقُ مَا فِيهِ بِتَبْيِينِ غَوْرِهِ ... وَتَحْرِيرُ حَقِّ الحَقِّ فِي ذِي الحَقِيقَةِ

٢٥- هُوَ المَطْلَبُ الأَقْصَى لِوُرَّادِ بَحْرِهِ ... وَذَا عَسِرٌ فِي نَظْمِ هَذِي القَصِيدَةِ

٢٦- لِحَاجَتِهِ تَبْيِينَ عِلْمٍ مُحَقَّقٍ ... لِأَوْصَافِ مَوْلَانَا الإِلَهِ الكَرِيمَةِ

٢٧- وَأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَأَحْكَامِ دِينِهِ ... وَأَفْعَالِهِ فِي كُلِّ هَذِي الخَلِيقَةِ

٢٨- وَهَذَا - بِحَمْدِ اللهِ - قَدْ بَانَ ظَاهِرًا ... وَإِلْهَامُهُ لِلْخَلْقِ أَفْضَلُ نِعْمَةِ

٢٩- وَقَدْ قِيلَ فِي هَذَا وَخُطَّ كِتَابُهُ ... بَيَانٌ شِفَاءٌ لِلنُّفُوسِ المَرِيضَةِ

٣٠- فَقَوْلُكَ: «لِمْ قَدْ شَاءَ؟» مِثْلُ سُؤَالِ مَنْ ... يَقُولُ: فَلِمْ قَدْ كَانَ فِي الأَزَلِيَّةِ

٣١- وَذَاكَ سُؤَالٌ يُبْطِلُ العَقْلُ وَجْهَهُ ... وَتَحْرِيمُهُ قَدْ جَاءَ فِي كُلِّ شِرْعَةِ

٣٢- وَفِي الكَوْنِ تَخْصِيصٌ كَثِيرٌ يَدُلُّ مَنْ ... لَهُ نَوْعُ عَقْلٍ أَنَّهُ بِإِرَادَةِ

٣٣- وَإِصْدَارُهُ عَنْ وَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ ... أَوِ القَوْلُ بِالتَّجْوِيزِ رَمْيَةُ حَيْرَةِ

٣٤- وَلا رَيْبَ فِي تَعْلِيقِ كُلِّ مُسَبَّبٍ ... بِمَا قَبْلَهُ مِنْ عِلَّةٍ مُوجِبِيَّةِ

٣٥- بَلِ الشَّأْنُ فِي الأَسْبَابِ أَسْبَابِ مَا تَرَى ... وَإِصْدَارُهَا عَنْ حُكْمِ مَحْضِ المَشِيئَةِ

٣٦- وَقَوْلُكَ: لِمْ شَاءَ الإِلَهُ هُوَ الَّذِي ... أَزَلَّ عُقُولَ الخَلْقِ فِي قَعْرِ حُفْرَةِ

٣٧- فَإِنَّ المَجُوسَ القَائِلِينَ بِخَالِقٍ ... لِنَفْعٍ وَرَبٌّ مُبْدِعٍ لِلْمَضَرَّةِ

٣٨- سُؤَالُهُمُ عَنْ عِلَّةِ السِّرِّ أَوْقَعَتْ ... أَوَائِلَهُمْ فِي شُبْهَةِ الثَّنَوِيَّةِ

٣٩- وَأَنَّ مَلاحِيدَ الفَلاسِفَةِ الأُلَى ... يَقُولُونَ بِالفِعْلِ القَدِيمِ بِعِلَّةِ

٤٠- بَغَوْا عِلَّةً فِي الكَوْنِ بَعْدَ انْعِدَامِهِ ... فَلَمْ يَجِدُوا ذَاكُمْ فَضَلُّوا بِضِلَّةِ

٤١- وَإِنَّ مَبَادِي الشَّرِّ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ... ذَوِي مِلَّةٍ مَيْمُونَةٍ نَبَوِيَّةِ

٤٢- بِخَوْضِهِمُو فِي ذَاكُمُ صَارَ شِرْكُهُمْ ... وَجَاءَ دُرُوسُ البَيِّنَاتِ بِفَتْرَةِ

٤٣- وَيَكْفِيكَ نَقْضًا أَنَّ مَا قَدْ سَأَلْتَهُ ... مِنَ العُذْرِ مَرْدُودٌ لَدَى كُلِّ فِطْرَةِ

٤٤- فَأَنْتَ تَعِيبُ الطَّاعِنِينَ جَمِيعَهُمْ ... عَلَيْكَ وَتَرْمِيهِمْ بِكُلِّ مَلَمَّةِ

٤٥- وَتَنْحِلُ مَنْ وَالاكَ صَفْوَ مَوَدَّةٍ ... وَتُبْغِضُ مَنْ نَاوَاكَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةِ

٤٦- وَحَالُهُمُ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلَةٍ ... كَحَالِكَ - يَا هَذَا - بِأَرْجَحِ حُجَّةِ

٤٧- وهَبْكَ كَفَفْتَ اللَّوْمَ عَنْ كُلِّ كَافِرٍ ... وَكُلِّ غَوِيٍّ خَارِجٍ عَنْ مَحَجَّةِ

٤٨- فَيَلْزَمُكَ الإِعْرَاضُ عَنْ كُلِّ ظَالِمٍ ... عَلَى النَّاسِ فِي نَفْسٍ وَمَالٍ وَحُرْمَةِ

٤٩- فَلا تَغْضَبَنْ يَوْمًا عَلَى سَافِكٍ دَمًا ... وَلا سَارِقٍ مَالًا لِصَاحِبِ فَاقَةِ

٥٠- وَلا شَاتِمٍ عِرْضًا مَصُونًا وَإِنْ عَلا ... وَلا نَاكِحٍ فَرْجًا عَلَى وَجْهِ غَيَّةِ

٥١- وَلا قَاطِعٍ لِلنَّاسِ نَهْجَ سَبِيلِهِمْ ... وَلا مُفْسِدٍ فِي الأَرْضِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ

٥٢- وَلا شَاهِدٍ بِالزُّورِ إِفْكًا وَفِرْيَةً ... وَلا قَاذِفٍ لِلْمُحْصَنَاتِ بِزَنْيَةِ
٥٣- وَلا مُهْلِكٍ لِلْحَرْثِ وَالنَّسْلِ عَامِدًا ... وَلا حَاكِمٍ لِلْعَالَمِينَ بِرِشْوَةِ
٥٤- وَكُفَّ لِسَانَ اللَّوْمِ عَنْ كُلِّ مُفْسِدٍ ... وَلا تَأْخُذَنْ ذَا جُرْمَةٍ بِعُقُوبَةِ
٥٥- وَسَهِّلْ سَبِيلَ الكَاذِبِينَ تَعَمُّدًا ... عَلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ جَاءٍ بِفِرْيَةِ
٥٦- وَإِنْ قَصَدُوا إِضْلالَ مَنْ يَسْتَجِيبُهُمْ ... بِرَوْمِ فَسَادِ النَّوْعِ ثُمَّ الرِّيَاسَةِ
٥٧- وَجَادِلْ عَنِ المَلْعُونِ فِرْعَونَ إِذْ طَغَىٰ ... فَأُغْرِقَ فِي الْيَمِّ انْتِقَامًا بِغَضْبَةِ
٥٨- وَكُلِّ كَفُورٍ مُشْرِكٍ بِإِلَهِهِ ... وَآخَرَ طَاغٍ كَافِرٍ بِنُبُوَّةِ
٥٩- كَعَادٍ وَنُمْرُودٍ وَقَوْمٍ لِصَالِحٍ ... وَقَوْمٍ لِنُوحٍ ثُمَّ أَصْحَابِ الأيْكَةِ
٦٠- وَخَاصِمْ لِمُوسَىٰ ثُمَّ سَائِرِ مَنْ أَتَىٰ ... مِنَ الأَنْبِيَاءِ مُحْيِيًا لِلشَّرِيعَةِ
٦١- عَلَىٰ كَوْنِهِمْ قَدْ جَاهَدُوا النَّاسَ إِذْ بَغَوْا ... وَنَالُوا مِنَ العَاصِي بَلِيغَ العُقُوبَةِ
٦٢- وَإِلَّا فَكُلُّ الخَلْقِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ ... وَلَحْظَةِ عَيْنٍ أَوْ تَحَرُّكِ شَعْرَةِ
٦٣- وَبَطْشَةِ كَفٍّ أَوْ تَخَطِّي قُدَيْمَةٍ ... وَكُلِّ حِرَاكٍ بَلْ وَكُلِّ سَكِينَةِ
٦٤- هُمُ تَحْتَ أَقْدَارِ الإِلَهِ وَحُكْمِهِ ... فَمَا أَنْتَ فِيمَا قَدْ أَتَيْتَ بِحُجَّةِ
٦٥- وَهَبْكَ رَفَعْتَ اللَّوْمَ عَنْ كُلِّ فَاعِلٍ ... فِعَالَ رَدًىٰ طَرْدًا لِهَذِي المَقِيسَةِ
٦٦- فَهَلْ يُمْكِنَنْ رَفْعُ المَلامِ جَمِيعِهِ ... عَنِ النَّاسِ طُرًّا عِنْدَ كُلِّ قَبِيحَةِ
٦٧- وَتَرْكُ عُقُوبَاتِ الَّذِينَ قَدِ اعْتَدَوْا ... وَتَرْكُ الوَرَىٰ الإِنْصَافَ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ
٦٨- فَلا تُضْمَنَنْ نَفْسٌ وَمَالٌ بِمِثْلِهِ ... وَلا يُعْقَبَنْ عَادٍ بِمِثْلِ الجَرِيمَةِ
٦٩- وَهَلْ فِي عُقُولِ النَّاسِ أَوْ فِي طِبَاعِهِمْ ... قَبُولٌ لِقَوْلِ النَّذْلِ: مَا وَجْهُ حِيلَتِي
٧٠- وَيَكْفِيكَ نَقْضًا مَا بِجِسْمِ ابْنِ آدَمٍ ... صَبِيٍّ وَمَجْنُونٍ وَكُلِّ بَهِيمَةِ
٧١- مِنَ الأَلَمِ المَقْضِيِّ مِنْ غَيْرِ حِيلَةٍ ... وَفِيمَا يَشَاءُ اللهُ أَكْمَلُ حِكْمَةِ
٧٢- إِذَا كَانَ فِي هَذَا لَهُ حِكْمَةٌ فَمَا ... يُظَنُّ بِخَلْقِ الفِعْلِ ثُمَّ العُقُوبَةِ

٧٣- فَكَيْفَ وَمِنْ هَذَا عَذَابٌ مُوَلَّدٌ عَنِ الفِعْلِ فِعْلِ العَبْدِ عِنْدَ الطَّبِيعَةِ
٧٤- كَآكِلِ سُمٍّ أَوْجَبَ المَوْتَ أَكْلُهُ وَكُلٌّ بِتَقْدِيرٍ لِرَبِّ البَرِيَّةِ
٧٥- فَكُفْرُكَ يَا هَذَا كَسُمٍّ أَكَلْتَهُ وَتَعْذِيبُ نَارٍ مِثْلُ جَرْعَةِ غُصَّةِ
٧٦- أَلَسْتَ تَرَىٰ فِي هَذِهِ الدَّارِ مَنْ جَنَىٰ يُعَاقَبُ إِمَّا بِالقَضَا أَوْ بِشِرْعَةِ
٧٧- وَلا عُذْرَ لِلْجَانِي بِتَقْدِيرِ خَالِقٍ كَذَلِكَ فِي الأُخْرَىٰ بِلا مَثْنَوِيَّةِ
٧٨- وَتَقْدِيرُ رَبِّ الخَلْقِ لِلذَّنْبِ مُوجِبٌ لِتَقْدِيرِ عُقْبَىٰ الذَّنْبِ إِلَّا بِتَوْبَةِ
٧٩- وَمَا كَانَ مِنْ جِنْسِ المَتَابِ لِرَفْعِهِ عَوَاقِبَ أَفْعَالِ العِبَادِ الخَبِيثَةِ
٨٠- كَخَيْرٍ بِهِ تُمْحَىٰ الذُّنُوبُ وَدَعْوَةٍ تُجَابُ مِنَ الجَانِي وَرُبَّ شَفَاعَةِ
٨١- وَقَوْلُ حَلِيفِ الشَّرِّ : إِنِّي مُقَدَّرٌ عَلَيَّ كَقَوْلِ الذِّئْبِ : هَذِي طَبِيعَتِي
٨٢- وَتَقْدِيرُهُ لِلْفِعْلِ يَجْلِبُ نِقْمَةً كَتَقْدِيرِهِ الأَشْيَاءَ طُرًّا بِعِلَّةِ
٨٣- فَهَلْ يَنْفَعَنْ عُذْرُ المَلُومِ بِأَنَّهُ كَذَا طَبْعُهُ أَمْ هَلْ يُقَالُ لِعَثْرَةِ
٨٤- أَمِ الذَّمُّ وَالتَّعْذِيبُ أَوْكَدُ لِلَّذِي طَبِيعَتُهُ فِعْلُ الشُّرُورِ الشَّنِيعَةِ
٨٥- فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تُجَابَ بِمَا عَسَىٰ يُنَجِّيكَ مِنْ نَارِ الإِلَهِ العَظِيمَةِ
٨٦- فَدُونَكَ رَبَّ الخَلْقِ فَاقْصِدْه ضَارِعًا مُرِيدًا لِأَنْ يَهْدِيكَ نَحْوَ الحَقِيقَةِ
٨٧- وَذَلِّلْ قِيَادَ النَّفْسِ لِلْحَقِّ وَاسْمَعَنْ وَلا تُعْرِضَنْ عَنْ فِكْرَةٍ مُسْتَقِيمَةِ
٨٨- وَمَا بَانَ مِنْ حَقٍّ فَلا تَتْرُكَنَّهُ وَلا تَعْصِ مَنْ يَدْعُو لِأَقْوَمِ شِرْعَةِ
٨٩- وَدَعْ دِينَ ذِي العَادَاتِ لا تَتْبَعَنَّهُ وَعُجْ عَنْ سَبِيلِ الأُمَّةِ الغَضَبِيَّةِ
٩٠- وَمَنْ ضَلَّ عَنْ حَقٍّ فَلا تَقْفُوَنَّهُ وَزِنْ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ بِالمَعْدِلِيَّةِ
٩١- هُنَالِكَ تَبْدُو طَالِعَاتٌ مِنَ الهُدَىٰ بِتَبْشِيرِ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالحَنَفِيَّةِ
٩٢- بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ذَاكَ إِمَامُنَا وَدِينِ رَسُولِ اللهِ خَيْرِ البَرِيَّةِ
٩٣- فَلا يَقْبَلُ الرَّحْمَنُ دِينًا سِوَىٰ الَّذِي بِهِ جَاءَتِ الرُّسْلُ الكِرَامُ السَّجِيَّةِ

٩٤- وَقَدْ جَاءَ هَذَا الحَاشِرُ الخَاتَمُ الَّذِي … حَوَىٰ كُلَّ خَيْرٍ فِي عُمُومِ الرِّسَالَةِ

٩٥- وَأَخْبَرَ عَنْ رَبِّ العِبَادِ بِأَنَّ مَنْ … غَدَا عَنْهُ فِي الأُخْرَىٰ بِأَقْبَحِ خَيْبَةِ

٩٦- فَهَذِي دِلالاتُ العِبَادِ لِحَائِرٍ … وَأَمَّا هُدَاهُ فَهْوَ فِعْلُ الرُّبُوبَةِ

٩٧- وَفَقْدُ الهُدَىٰ عِنْدَ الوَرَىٰ لا يُفِيدُ مَنْ … غَدَا عَنْهُ بَلْ يَجْرِي بِلا وَجْهِ حُجَّةِ

٩٨- وَحُجَّةُ مُحْتَجٍّ بِتَقْدِيرِ رَبِّهِ … تَزِيدُ عَذَابًا كَاحْتِجَاجِ مَرِيضَةِ

٩٩- وَأَمَّا رِضَانَا بِالقَضَاءِ فَإِنَّمَا … أُمِرْنَا بِأَنْ نَرْضَىٰ بِمِثْلِ المُصِيبَةِ

١٠٠- كَسُقْمٍ وَفَقْرٍ ثُمَّ ذُلٍّ وَغُرْبَةٍ … وَمَا كَانَ مِنْ مُؤْذٍ بِدُونِ جَرِيمَةِ

١٠١- فَأَمَّا الأَفَاعِيلُ الَّتِي كُرِهَتْ لَنَا … فَلا نَصَّ يَأْتِي فِي رِضَاهَا بِطَاعَةِ

١٠٢- وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أُولِي العِلْمِ: لا رِضَا … بِفِعْلِ المَعَاصِي وَالذُّنُوبِ الكَبِيرَةِ

١٠٣- فَإِنَّ إِلَهَ الخَلْقِ لَمْ يَرْضَهَا لَنَا … فَلا نَرْتَضِي مَسْخُوطَةً لِمَشِيئَةِ

١٠٤- وَقَالَ فَرِيقٌ: نَرْتَضِي بِقَضَائِهِ … وَلا نَرْتَضِي المَقْضِيَّ أَقْبَحَ خَصْلَةِ

١٠٥- وَقَالَ فَرِيقٌ: نَرْتَضِي بِإِضَافَةٍ … إِلَيْهِ وَمَا فِينَا فَنَلْقَىٰ بِسَخْطَةِ

١٠٦- كَمَا أَنَّهَا لِلرَّبِّ خَلْقٌ وَأَنَّهَا … لِمَخْلُوقِهِ كَسْبٌ كَفِعْلِ الغَرِيزَةِ

١٠٧- فَنَرْضَىٰ مِنَ الوَجْهِ الَّذِي هُوَ خَلْقُهُ … وَنَسْخَطُ مِنْ وَجْهِ اكْتِسَابِ الخَطِيئَةِ

١٠٨- وَمَعْصِيَةُ العَبْدِ المُكَلَّفِ تَرْكُهُ … لِمَا أَمَرَ المَوْلَىٰ وَإِنْ بِمَشِيئَةِ

١٠٩- فَإِنَّ إِلَهَ الخَلْقِ حَقٌّ مَقَالُهُ … بِأَنَّ عِبَادِي فِي جَحِيمٍ وَجَنَّةِ

١١٠- كَمَا أَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ هَكَذَا … بَلِ البُهْمُ فِي الآلامِ - أَيْضًا - وَنِعْمَةِ

١١١- وَحِكْمَتُهُ العُلْيَا اقْتَضَتْ مِنَ الـ … ـفُرُوقِ بِعِلْمٍ ثُمَّ أَيْدٍ وَرَحْمَةِ

١١٢- يَسُوقُ أُولِي التَّعْذِيبِ بِالسَّبَبِ الَّذِي … يُقَدِّرُهُ نَحْوَ العَذَابِ بِعِزَّةِ

١١٣- وَيَهْدِي أُولِي التَّنْعِيمِ نَحْوَ نَعِيمِهِمْ … بِأَعْمَالِ صِدْقٍ فِي رَجَاءٍ وَخَشْيَةِ

١١٤- وَأَمْرُ إِلَهِ الخَلْقِ بَيَّنَ مَا بِهِ … يَسُوقُ أُولِي التَّنْعِيمِ نَحْوَ السَّعَادَةِ

١١٥- فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ أَثَّرَتْ ... أَوَامِرُهُ فِيهِ بِتَيْسِيرِ صَنْعَةِ

١١٦- وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ لَمْ يُبَلْ ... بِأَمْرٍ وَلا نَهْيٍ بِتَيْسِيرِ شِقْوَةِ

١١٧- وَلا مُخْرِجٌ لِلْعَبْدِ عَمَّا بِهِ قَضَىٰ ... وَلَكِنَّهُ مُخْتَارُ حُسْنٍ وَسَوْأَةِ

١١٨- فَلَيْسَ بِمَجْبُورٍ عَدِيمِ إِرَادَةٍ ... وَلَكِنَّهُ شَاءٍ بِخَلْقِ الإِرَادَةِ

١١٩- وَمِنْ أَعْجَبِ الأَشْيَاءِ خَلْقُ مَشِيئَةٍ ... بِهَا صَارَ مُخْتَارَ الْهُدَىٰ وَالضَّلالَةِ

١٢٠- فَقَوْلُكَ : هَلْ أَخْتَارُ تَرْكًا لِحُكْمِهِ ... كَقَوْلِكَ : هَلْ أَخْتَارُ تَرْكَ الْمَشِيئَةِ

١٢١- وَأَخْتَارُ لا أَخْتَارُ فِعْلَ ضَلالَةٍ ... وَلَوْ نِلْتَ هَذَا التَّرْكَ فُزْتَ بِتَوْبَةِ

١٢٢- وَذَا مُمْكِنٌ لَكِنَّهُ مُتَوَقِّفٌ ... عَلَىٰ مَا يَشَاءُ اللهُ مِنْ ذِي الْمَشِيئَةِ

١٢٣- فَدُونَكَ فَافْهَمْ مَا بِهِ قَدْ أُجِبْتَ مِنْ ... مَعَانٍ إِذَا انْحَلَّتْ بِفَهْمِ غَرِيزَةِ

١٢٤- أَشَارَتْ إِلَىٰ أَصْلٍ يُشِيرُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ ... وَللهِ رَبِّ الخَلْقِ أَكْمَلُ مِدْحَةِ

١٢٥- وَصَلَّىٰ إِلَهُ الخَلْقِ جَلَّ جَلالُهُ ... عَلَىٰ الْمُصْطَفَىٰ الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ

* * *

١٧- العقيدة السفارينية

للإمام

محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني

(١١١٤ - ١١٨٨ هـ)

١٧- العقيدة السفارينية

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْـــدُ للهِ القَـــديمِ البـــاقِي مُـــسَبِّبِ الأَسْـــبَابِ وَالأَرْزَاقِ
حَـــيٌّ عَلِـــيمٌ قَـــادرٌ مَوجـــودُ قَامَـــت بـــه الأَشْـــيَاءُ والوُجُـــودُ
دَلَّـــت علـــىٰ وُجُـــودِهِ الْحَـــوَادِثُ ســـبحانَهُ فَهْـــوَ الْحَكـــيمُ الـــوارِثُ
ثُـــمَّ الـــصَّلاةُ والـــسَّلامُ سَـــرْمَدا عَلَـىٰ النَّبِـي الْمُـصْطَفَىٰ كنـزِ الْهُـدىٰ
وآلِـــــه وصَـــــحْبه الأَبْـــــرَارِ مَعَـــادِنِ التَّقْـــوَىٰ مـــع الأَسْـــرَارِ
وَبَعْـــدُ فـــاعْلم أنَّ كـــلَّ العِلْـــمِ كـــالْفَرْعِ للتَّوحيـــدِ فاسْـــمَعْ نَظْمِـــي
لأنَّـــه العِلْـــم الـــذي لا يَنْبَغِـــي لِعَاقِـــلٍ لِفَهْمِـــهِ لَـــم يبْتَـــغِ
فـــيعلمُ الوَاجـــبَ وَالْمُحَـــالا كَجَـــائِزٍ فِـــي حَقِّـــه تَعَـــالَىٰ
وَصَـــارَ مِـــنْ عَـــادَة أَهْـــلِ العِلْـــمِ أَن يَعْتَنُـــوا في سَـــبْرِ ذَا بِـــالنظم
لأنـــه يَـــسْهُلُ للحِفْـــظِ كمـــا يَـــرُوقُ للـــسَّمْعِ ويَـــشفي مِـــنْ ظَمَـــا
فَمِـــنْ هنـــا نظمْـــتُ لـــي عَقِيـــدَهْ أُرْجُـــوزَةً وَجِيـــزَةً مفيـــدَهْ
نَظَمْتُهَـــا فِـــي سِـــلكها مُقَدِّمَـــهْ وَسِـــتُّ أَبْـــوَاب كَـــذَاكَ خَاتِمَـــهْ
وَسَـــمْتُهَا بِالـــدُّرَّةِ الْمُـــضِيَّهْ فِـــي عَقْـــدِ أَهْـــلِ الْفِرْقَـــةِ الْمَرْضِـــيَّهْ
عَلَـــىٰ اعْتِقَـــادِ ذِي الـــسَّدَادِ الْحَنْبَلِـــي إِمَـــامِ أَهْـــلِ الْحَـــقِّ ذِي الْقَـــدْرِ الْعَلِـــي

حَبـرِ الْمَـلا فـردِ الْعُـلا الرَّبَّـانِي رَبُّ الْحِجا مَاحِي الـدُّجَىٰ الشيبانِي
فَإِنَّـهُ إِمَـامُ أَهْـلِ الأثـر فَمَـن نَحـا مَنْحَـاهُ فَهُـو الأثـرِي
سَقَىٰ ضَرِيحًا حَلَّه صوبُ الرِّضا وَالعَفـوِ وَالغفرانِ مَا نَجْمٌ أضا
وَحَلَّـهُ وَسَـائِرَ الأئمَّـه منـازل الرضـوان أعلـىٰ الجنَّـه

مقدمة

في ترجيح مذهب السلف على غيره من سائر المذاهب

اعْلَـم هُـدِيتَ أنَّـه جَـاء الْخبـرْ عَـنِ النَّبِـي الْمُقْتَفـىٰ خَيـرِ الْبَشَر
بِـأنَّ ذِي الأُمَّـةِ سَـوفَ تَفتـرِقْ بِـضعًا وَسَـبْعين اعتقـادًا وَالْمُحِـقّ
مَا كَانَ فِي نَهج النَّبِي الْمُصطفَىٰ وصـحبِهِ مِـن غَيـر زَيْـغ وَجَفَـا
وَلَـيسَ هَـذَا الـنَّصُّ جَزْمًـا يُعتبر فِـي فِرْقَـةٍ إِلَّا عَلَـىٰ أَهْـلِ الأثـرْ

قواعد أهل السنة في النصوص

فَـأَثبِتُوا النُّـصُوصَ بالتَّنزِيـهِ مِـن غَيـرِ تَعْطِيـلٍ وَلا تَـشبِيهِ
فَكُـلُّ مَـا جَـاءَ مِـن الآيَـاتِ أَو صَـحَّ فِـي الأَخْبَـارِ عَـن ثِقَـاتِ
مِـن الأحَاديـثِ نُمِـرُّهُ كَمَـا قَدْ جَاء فَاسْمَعْ مِن نظَامِي وَاعلما
وَلا نَـرُدُّ ذَاكَ بِـالْعُقُولِ لقَـولِ مُفْتَـرٍ بِـهِ جَهُـولِ
فَعِقْـدُنا الإِثبَـاتُ يَـا خَلِيلِـي مِـن غَيـر تَعْطِيـلٍ وَلا تَمثِيـلِ

حال المؤولين في الصفات

فَكُـلُّ مَـنْ أَوَّلَ فِـي الـصِّفَاتِ كَذَاتِـهِ مِـن غَيـرِ مَـا إثبَـاتِ
فَقَـد تَعَـدَّىٰ وَاسـتَطَال وَاجْتَـرَىٰ وَخَـاضَ فِـي بَحْـرِ الْهَـلاكِ وَافتَـرَىٰ
أَلَـم تَـرَ اخـتِلافَ أَصْحَابِ النظـرْ فِيـهِ وَحُـسْنَ مَـا نَحَـاهُ ذُو الأثـرْ
فَـإِنَّهم قَـد اقْتَـدَوْا بِالْمُـصطَفَىٰ وَصَـحبِه فَـاقْنَعْ بِهـذا وَكَفَـىٰ

الباب الأول:

في معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ مَعْرِفَةُ الإِلَهِ بِالتَّسْدِيدِ

بِأَنَّهُ وَاحِدٌ لا نَظِيرُ لَهُ وَلا شِبْهٌ وَلا وَزِيرُ

صِفَاتُهُ كَذَاتِهِ قَدِيمَهْ أَسْمَاؤه ثَابِتَةٌ عَظِيمَهْ

لَكِنَّهَا فِي الْحَقِّ تَوْقِيفِيَّهْ لَنَا بِذَا أَدِلَّةٌ وَفِيَّهْ

فصل: في بحث صفاته تعالى

لَهُ الْحَيَاةُ وَالكَلامُ وَالْبَصَرْ سَمْعٌ إِرَادَةٌ وَعِلْمٌ وَاقْتَدَرْ

بِقُدْرَةٍ تَعَلَّقَتْ بِمُمْكِنِ كَذَا إِرَادَةٌ فَعِي وَاسْتَبِنِ

وَالعِلْمُ وَالكَلامُ قَدْ تَعَلَّقَا بِكُلِّ شَيْءٍ يَا خَلِيلِي مطلقَا

وَسَمْعُهُ سبحَانَهُ كَالبَصَرِ بِكُلِّ مَسْمُوعٍ وَكُلِّ مُبْصَرِ

فصل: في مبحث القرآن

وَأَنَّ مَا جَاءَ مَعَ جبريلِ مِنْ مُحكَمِ الْقُرْآنِ وَالتنْزِيلِ

كَلامُهُ سبحَانَهُ قَدِيمُ أَعْيَا الوَرَى بِالنَّصِّ يَا عَلِيمُ

وَلَيسَ فِي طوقِ الوَرَى مِن أَصْلِه أَنْ يَسْتَطِيعُوا سُورَةً مِنْ مثلِه

فصل: في ذكر الصفات التي يثبتها لله تعالى أئمة السلف وعلماء الأثر دون غيرهم من علماء الخلف وأهل الكلام

وَلَيسَ رَبُّنَا بِجَوهَرٍ وَلا عَرضٍ وَلا جِسْمٍ تَعَالَى ذُو العُلا

سُبْحَانَهُ قَدِ اسْتَوَى كَمَا وَرَدْ مِن غَيرِ كَيْفٍ قَدْ تَعَالَى أَن يُحَدْ

فَلا يُحِيطُ علمُنَا بِذَاتِهِ كَذَاكَ لا يَنفَكُّ عَنْ صِفَاتِهِ

فَكُلُّ مَا قَدْ جَاء فِي الدَّلِيلِ فَثَابِتٌ مِن غَيرِ مَا تَمْثِيلِ

مِـن رَحْمَـةٍ وَنَحوِهَـا كَوَجْهِـهِ وَيَـدِهِ وَكُـلُّ مَـا مِـن نَهْجِـهِ
وَعَيْنِـهِ وَصِـفَةِ النُّـزُولِ وَخَلْقِـهِ فَاحْـذَرْ مِـن النُّـزُولِ
فَـسَائرِ الـصِّفَاتِ وَالأَفْعَـالِ قَدِيمَـةٌ للهِ ذِي الْجَـلَالِ
لَكِـن بِـلَا كَيْـفٍ وَلَا تَمْثِيـلِ رَغْمًـا لأهـلِ الزَّيْـغِ وَالتَّعْطِيـلِ
نُمِرُّهَـا كَمَـا أَتَـتْ فِـي الـذكرِ مِـن غَيـرِ تَأويـلٍ وَغَيـرِ فِكْـرِ
وَيَـستَحِيلُ الْجَهْـلُ وَالعَجْـزُ كَمَـا قَـد استَحَالَ الْمَـوتُ حَقًّا وَالعَمَىٰ
فَكُـلُّ نَقْـصٍ قَـد تَعَـالَىٰ الله عَنْـهُ فَيَـا بُـشْرَىٰ لِمَـن وَالاه

فصل: في ذكر الخلاف في صحة إيمان المقلد

وَكُـلُّ مَـا يُطْلَـبُ فِيـهِ الْجَـزْمُ فَمَنْـعُ تَقليـدٍ بِـذَاكَ حَـتمُ
لأَنَّـهُ لَا يُكتفَـىٰ بِـالظَّنِّ لِـذِي الْحِجَـا فِـي قَـولِ أَهـلِ الفَنِّ
وَقِيـلَ: يَكفـي الْجـزْمُ إجْمَاعًـا بِمَـا يُطْلَـبُ فِيـهِ عِنْـدَ بَعـض العُلَمَـا
فَالْجَـازِمُونَ مِـن عَـوَامِّ الْبَـشرِ فَمُـسْلِمُون عنـدَ أَهـلِ الأَثَـرِ

الباب الثاني: في الأفعال المخلوقة

وَسَـائِرُ الأَشْـيَاءِ غَيـرُ الـذَّاتِ وَغَيـرُ مَـا الأَسْـماء وَالـصِّفَاتِ
مَخلوقَـةٌ لِرَبِّنَـا مِـن الْعَـدَمْ وَضَـلَّ مَـن أَثْنَـىٰ عَلَيْهَـا بِالْقِـدَمْ
وَرَبُّنَـا يَخلُـق باخْتِيَـارِ مِـن غَيـرِ حَاجَـةٍ وَلَا اضْـطِرَارِ
لَكنـه لَا يَخلُـقِ الْخَلْـقَ سُـدَىٰ كَمَـا أَتَـىٰ فِـي الـنَّصِّ فَـاتْبَعِ الْهُـدَىٰ
أَفْعَالُنَـا مَخلوقَـةٌ لله لَكنهـا كَـسْبٌ لَنَـا يَـا لَاهِـي
وكُـلُّ مَـا يَفْعَلُـهُ العِبَـادُ مِـن طَاعَـةٍ أَو ضِـدَّهَا مُـرَادُ
لِرَبِّنَـا مِـن غَيـرِ مَـا اضْـطِرَارِ مِـن لَنَـا فَـافْهَمْ وَلَا تُمَـارِ
وَجَـازَ للمَـولَىٰ يُعَـذِّبُ الـوَرَىٰ مِـن غَيـرِ مَـا ذَنْـبٍ وَلَا جُـرْمٍ جَـرَىٰ

فكل ما منه تعالى يجمل ... لأنه عن فعله لا يسأل
فإن يثب فإنه من فضله ... وإن يعذب فبمحض عدله
فلم يجب عليه فعل الأصلح ... ولا الصلاح ويح من لم يفلح
فكل من شاء هداه يهتدي ... وإن يرد ضلال عبد يعتدي

فصل: في الكلام على الرزق

والرزق ما ينفع من حلال ... أو ضده فحل عن المحال
لأنه رازق كل الخلق ... وليس مخلوق بغير رزق
ومن يمت بقتله من البشر ... أو غيره فبالقضاء والقدر
ولم يفت من رزقه ولا الأجل ... شيء فدع أهل الضلال والخطل

الباب الثالث: في الأحكام والكلام على الإيمان ومتعلّقات ذلك

وواجب على العباد طرًا ... أن يعبدوه طاعة وبرًا
ويفعلوا الفعل الذي به أمر ... حتمًا ويتركوا الذي عنه زجر

فصل: في الكلام على القضاء والقدر

وكل ما قدر أو قضاه ... فواقع حتمًا كما قضاه
وليس واجبًا على العبد الرضا ... بكل مقضي ولكن بالقضا
لأنه من فعله تعالى ... وذاك من فعل الذي تقالى

فصل: في الكلام على الذنوب ومتعلقاتها

ويفسق المذنب بالكبيرة ... كذا إذا أصر بالصغيرة
لا يخرج المرء من الإيمان ... بموبقات الذنب والعصيان
وواجب عليه أن يتوبا ... من كل ما جر عليه حوبا
ويقبل المولى بمحض الفضل ... من غير عبد كافر منفصل

مَا لَمْ يَتُبْ مِن كفره بِضِدِّهِ ... فَيَرْتَجِعْ عَنْ شركه وَصَدِّهِ
وَمَن يَمتْ وَلَم يَتُبْ من الْخَطَا ... فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِذي العَطَا
فَإن يَشأ يَعْفُو وَإن شَاء انْتَقَمْ ... وَإن يَشا أعْطَىٰ وَأجْزَلَ النِّعَمْ

فصل: في ذكر من قيل بعدم قبول إسلامه من طوائف أهل العناد والزندقة والإلحاد

وَقيلَ فِي الدُّرُوزِ وَالزَّنَادِقَةْ ... وَسَائِرِ الطوائفِ المنافِقه
وَكلُّ دَاعٍ لابتداع يُقْتَلُ ... كَمَن تَكَرَّرَ نَكْثُهُ لا يُقبَلُ
لأَنَّه لَم يَبْدُ مِن إيمانِهِ ... إلَّا الذي أَذَاعَ مِن لِسانِهِ
كَمُلْحِدٍ وَسَاحِرٍ وَسَاحِرَةْ ... وَهم عَلَىٰ نياتِهم فِي الآخِرَةْ
قلتُ: وَإن دَلَّتْ دَلائلُ الْهُدَىٰ ... كَمَا جَرَىٰ لِلْعَيْلَبُونِيِّ اهتَدَىٰ
فَإنَّه أَذَاع مِن أسْرَارِهِمْ ... مَا كَانَ فِيه الْهَتْكُ عَن أَسْتَارِهِم
وَكَانَ للدين القَويمِ نَاصرًا ... فَصَارَ منا بَاطنًا وَظَاهِرًا
فَكُلُّ زِنْدِيقٍ وَكل مَارِقٍ ... وَجَاحِدٍ وَمُلْحِدٍ مُنَافِقِ
إذَا اسْتَبَانَ نُصْحُهُ للدينِ ... فَإنَّه يُقْبَلُ عَن يَقين

فصل: في الكلام على الإيمان واختلاف الناس فيه وتحقيق مذهب السلف في ذلك

إيمَانُنَا قَوْلٌ وَقَصْدٌ وَعَمَلْ ... تَزِيدُهُ التَّقوىٰ وَيَنقُصُ بالزَّلَلْ
وَنَحْن فِي إيمَانِنَا نَسْتَثْني ... مِن غير شَكٍّ فَاستَمع وَاسْتَبِنِ
نُتَابعُ الأخْيَارَ مِن أَهلَ الأثَرْ ... وَنَقْتَفِي الآثَار لا أَهْلَ الأشَرْ
وَلا تَقلْ إيمَانُنَا مَخلوقُ ... وَلا قَديمٌ هَكَذَا مطلوقُ
فَإنَّه يَشْمَلُ للصلاةِ ... وَنَحوِهَا مِن سَائر الطَّاعَاتِ

فَفِعْلُنَـا نَحـو الركـوع مُحْـدَثُ ... وَكُـل قـرآنٍ قَـديمٌ فَـابْحَثوا

وَوَكَّـلَ اللهُ مـن الكـرَام ... اثنـين حَـافِظَيْنِ للأنَـامِ

فَيَكْتُبَـانِ كـلَّ أفْعَـال الـوَرَىٰ ... كَمَـا أتَـىٰ فِـي النَّصِّ من غَير امْتِرَا

الباب الرابع: في ذكر البرزخ والقبور وأشراط الساعة والحشر والنشور

وَكُـلُّ مَـا صَـحَّ مـن الأخْبَـارِ ... أو جَـاءَ فِـي التَّنْزِيـلِ وَالآثَـارِ

مـن فتنـة البَـرْزَخِ وَالقُبُـورِ ... وَمَـا أتَـىٰ فِـي ذَا مـن الأُمُـورِ

وَأن أرْوَاحَ الـوَرَىٰ لَـمْ تُعْـدَمِ ... مَـعْ كَونِهَـا مَخْلوقَـةً فَاسْـتَفْهِمِ

فَكُـل مَـا عَـن سَـيد الخَلْـقِ وَرَدْ ... مـن أمْـرِ هَـذَا البَـاب حَـقٌّ لا يُـرَدْ

فصل: في أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ومجيئها

وَمَـا أتَـىٰ فِـي النَّصِّ مـن أشْـرَاطِ ... فَكُلُّـهُ حَـقٌّ بِـلا شَـطَاطِ

منهَـا الإمَـامُ الخَـاتَمُ الفَـصيح ... مُحمَّـدُ المَهْـدِيُّ وَالمَـسِيحُ

وَأنَّـه يَقْتُـلُ للـدَّجَّالِ ... بِبَـابِ لُـدٍّ خَـلِّ عَـن جِـدَالِ

وَأمْـرُ يَـأجُوجَ وَمَـأجُوجَ اثْبِـتِ ... وَأنَّـه حَـقٌّ كَهَـدم الكَعبَـةِ

وَأن منهـا آيَـةَ الـدُّخَانِ ... وَأنَّـه يُـذْهَبُ بِـالقُرْآنِ

طُلُـوعُ شَـمْسِ الأُفْـقِ مـن دُبُـورِ ... كَـذَاتِ أجْيَـادٍ عَلَـىٰ المَـشْهُورِ

وَآخِـرُ الآيَـات حَـشْرُ النَّـارِ ... كَمَـا أتَـىٰ فِـي مُحكـمِ الأخْبَـارِ

فَكلُّهَـا صَـحَّتْ بِهَـا الأخْبَـارُ ... وَسَـطَّرَتْ آثَارَهَـا الأخْيَـارُ

فصل: في أمر المعاد

وَاجْـزِمْ بِـأمر البَعْـث والنُّـشُورِ ... وَالحَـشْرِ جَزْمًـا بَعـد نَفْخِ الـصُّورِ

كَـذَا وقُـوفُ الخَلْـقِ للحـسَابِ ... وَالـصُّحُفُ وَالمِيـزَانُ للثَّـوَابِ

كَذا الصراطُ ثُمَّ حَوْضُ الْمُصطفىٰ … فَيَا هَنَا لِمَن بِه نَالَ الشِّفَا

عَنه يُذَادُ الْمُفْتَرِي كَمَا وَرَدْ … وَمَنْ نَحَا سُبْلَ السلامَة لَمْ يُرَدْ

فَكُنْ مُطِيعًا وَاقْفُ أَهلَ الطاعه … فِي الْحَوضِ وَالكَوْثَرِ وَالشَّفَاعَة

فإنَّهَا ثَابِتَةٌ للمصطفَىٰ … كَغيرِه من كلِّ أَرْبَابِ الوَفَا

من عَالَمٍ كالرُّسْلِ وَالأبْرَارِ … سِوَىٰ الَّتِي خُصَّتْ بِذي الأنْوَارِ

فصل: في الكلام على الجنة والنار

وَكلُّ إنسَانٍ وَكلُّ جِنَّةِ … فِي دَارِ نَارٍ أَو نَعِيمِ جَنَّةِ

هُمَا مَصِيرُ الْخَلْق من كلِّ الوَرَىٰ … فَالنَّار دَارُ مَنْ تَعَدَّىٰ وَافْتَرَىٰ

وَمَنْ عَصَىٰ بِذَنْبِه لَمْ يُخْلَدِ … وَإن دَخلَهَا يَا بَوَارَ الْمُعْتَدِي

وَجَنَّةُ النَّعيم للأَبْرَارِ … مَصُونَةٌ عَن سَائر الكُفَّارِ

وَاجْزِمْ بأن النَّارَ كَالْجَنَّةِ فِي … وجُودِهَا وَأنَّها لَمْ تُتْلَفِ

فنسألُ اللهَ النَّعيمَ وَالنَّظَرْ … لربِّنَا من غير مَا شَيْنٍ غَبَرْ

فَإنَّه يُنْظَرُ بالأبْصَارِ … كَمَا أَتَىٰ فِي النَّصِّ وَالأَخْبَارِ

لأنَّه سبحانه لَم يُحجبِ … إلا عن الكافر والْمُكَذِّبِ

الباب الخامس: في ذكر النبوة

وَمن عَظيم مِنَّةِ السَّلامِ … وَلُطْفِهِ بِسَائر الأنَامِ

أن أرْشَدَ الْخَلْقَ إلَىٰ الوصولِ … مُبَيِّنًا لِلْحَقِّ بالرسولِ

وَشَرْطُ من أُكْرِمَ بالنُّبُوَّةِ … حُرِّيَّةٌ ذُكُورَةٌ كَقُوَّةِ

وَلا تُنَالُ رُتْبَةُ النُّبُوةِ … بِالكَسب وَالتهذيب والفُتُوَّةِ

لَكنها فَضلٌ مِنَ الْمَولَىٰ الأجَلْ … لِمَن يَشَا من خَلقِه إلَىٰ الأجَلْ

وَلَمْ تَزَلْ فيما مَضَىٰ الأنْبَاءُ … مِنْ فَضْلِهِ تَأتِي لِمَنْ يَشَاءُ

حَتَّىٰ أَتَىٰ بِالْخَاتَمِ الَّذِي خَتَمْ ... بِهِ وَأَعْلَانَا عَلَىٰ كُلِّ الأُمَمْ

فصل: في بعض خصائص الرسول ﷺ

وَخَصَّهُ بِذَاكَ كَالْمَقَامِ ... وَبَعْثِهِ لِسَائِرِ الأَنَامِ

وَمُعْجِزِ القُرْآنِ كَالْمِعْرَاجِ ... حَقًّا بِلَا مَيْنٍ وَلَا اعْوِجَاجِ

فَكَمْ حَبَاهُ رَبُّهُ وَفَضَّلَهْ ... وَخَصَّهُ سُبْحَانَهُ وَخَوَّلَهْ

فصل: في معجزاته ﷺ

وَمُعْجِزَاتُ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ ... كَثِيرَةٌ تَجِلُّ عَنْ إِحْصَائِي

مِنْهَا كَلَامُ اللهِ مُعْجِزُ الوَرَىٰ ... كَذَا انْشِقَاقُ البَدْرِ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا

وَأَفْضَلُ العَالَمِ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا ... نَبِيُّنَا المَبْعُوثُ فِي أُمِّ القُرَىٰ

وَبَعْدَهُ الأَفْضَلُ أَهْلُ العَزْمِ ... فَالرُّسْلُ ثُمَّ الأَنْبِيَا بِالجَزْمِ

فصل: فيما يجب للأنبياء ﷺ وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام

وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَلِمْ ... مِنْ كُلِّ مَا نَقْصٍ وَمِنْ كُفْرٍ عُصِمْ

كَذَاكَ مِنْ إِفْكٍ وَمِنْ خِيَانَهْ ... لِوَصْفِهِمْ بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَهْ

وَجَائِزٌ فِي حَقِّ كُلِّ الرُّسْلِ ... النَّوْمُ وَالنِّكَاحُ مِثْلُ الأَكْلِ

فصل: في ذكر الصحابة رضي الله عنهم

وَلَيْسَ فِي الأُمَّةِ بِالتَّحْقِيقِ ... فِي الفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ كَالصِّدِّيقِ

وَبَعْدَهُ الفَارُوقُ مِنْ غَيْرِ افْتِرَا ... وَبَعْدَهُ عُثْمَانُ فَاتْرُكِ الْمِرَا

وَبَعْدُ فَالفَضْلُ حَقِيقًا فَاسْمَعِ ... نِظَامِي هَذَا لِلْبَطِينِ الأَنْزَعِ

مُجَنْدِلُ الأَبْطَالِ مَاضِي العَزْمِ ... مُفَرِّجُ الأَوْجَالِ وَافِي الحَزْمِ

وَافِي النَّدَىٰ مُبْدِي الهُدَىٰ مُرْدِي العِدَا ... مُجْلِي الصَّدَىٰ يَا وَيْلَ مَنْ فِيهِ اعْتَدَىٰ

فَحُبُّـــهُ كَحُــبِّهِم حَتمًـــا وَجَــبْ وَمَــنْ تَعَــدَّىٰ أو قَلَــىٰ فَقَــد كَــذبْ
وَبَعْــدُ فَالأَفْــضَلُ بَــاقِي العَــشَرَهْ فَأَهْــلُ بَــدْرٍ ثُــمَّ أهــلُ الــشَّجَرَهْ
وَقِيــلَ: أَهْــلُ أُحُــدٍ الْمُقَدَّمَــهْ وَالأول اولَــىٰ للنُّـصُوصِ الْمُحكَمَـهْ
وَعَائِــشَهْ فِــي العلــم مَــعْ خَدِيْجَــهْ فِــي الــسَّبْقِ فَــافْهم نُكْتَــةَ النَّتِيجَــهْ

فصل: في ذكر الصحابة جملة

وَلَــيس فِــي الأُمَّــةِ كالــصَّحَابَه فِــي الفَــضْلِ وَالمَعــروف وَالإِصَــابَهْ
فَــإِنَّهم قَــد شَــاهَدُوا الْمختَــارَا وَعَــــاينوا الأَسْــــرَارَ وَالأَنْــــوَارَا
وَجَاهَــدوا فِــي الله حَتَّــىٰ بَانَــا ديــنُ الْهُــدَىٰ وَقَــد سَــمَا الأديانَــا
وَقَــد أَتَــىٰ فِــي مُحْكَــمِ التَّنْزِيــلِ مــن فَــضْلِهِمْ مَــا يــشفي للغَلِيــلِ
وَفِــي الأَحَاديــثِ وَفِــي الآثَــارِ وَفِــي كَــلاَمِ القَــوْمِ وَالأَشْــعَارِ
مَــا قَــد رَبَــا مــن أن يُحِــيطَ نَظْمِــي عــن بعــضه فــاقْنَعْ وَخُــذْ مــن عِلْــمِ
وَاحذَرْ من الخَوْضِ الـذي قَـد يُزْرِي بِفَــضْلِهِم مِمَّــا جَــرَىٰ لَــو تَــدْرِي
فَإِنَّــه عَــن اجْتِهَــادٍ قَــد صَــدَرْ فاسْــلَمْ أَذَلَّ اللهُ مَــن لَهــم هَجَــرْ
وَبَعْــدَهمْ فَالتَّــابِعُونَ أَحْــرَىٰ بِالفَــضْلِ ثُــمَّ تَــابِعُوهُمْ طُــرًّا

فصل: في ذكر كرامات الأولياء

وكُــلُّ خَــارِقٍ أَتَــىٰ عَــن صَــالِحِ مــن تَــابِعٍ لِــشَرعِنَا وَنَاصِــحِ
فَإِنَّهَــا مِــن الكَرَامَــاتِ الَّتِــي بِهــا نقــول فــاقْفُ للأَدِلَّــةِ
وَمَــنْ نَفَاهَــا مِــن ذَوِي الــضَّلاَلِ فَقَــد أَتَــىٰ فِــي ذَاك بِالْمُحَــالِ
لأَنَّهَــا شَــهِيرَةٌ وَلَــم تَــزَلْ فِــي كــلِّ عَــصْرٍ يَــا شَــقَا أَهْــلِ الزَّلَــلْ

فصل: في المفاضلة بين البشر والملائكة

وَعِنــدَنَا تَفْــضِيلُ أَعيَــانِ البَــشَرْ عَلَــىٰ مَــلاكِ رَبِّنَــا كَمَــا اشْــتَهَرْ

قَالَ وَمن قَالَ سوىٰ هذا افْترىٰ ... وَقد تَعَدَّىٰ فِي الْمقال وَاجْتَرىٰ

الباب السادس: في ذكر الإمامة ومتعلقاتها

وَلا غِنىٰ لأُمَّةِ الإِسلامِ ... فِي كلِّ عَصْرٍ كَان عن إمَامِ

يَذُبُّ عَنْهَا كلَّ ذِي جُحُودِ ... وَيعْتَنِي بالغَزْوِ وَالْحُدُودِ

وَفِعْلِ معروفٍ وَتَرْكُ نُكرِ ... وَنَصْرِ مَظْلُومٍ وقمعِ كُفْرِ

واخْذ مَال الْفَيءِ والْخَرَاجِ ... وَنَحْوِهِ وَالصَّرْفِ فِي مِنْهَاجِ

وَنَصْبُهُ بالنَّصِّ وَالإِجْمَاعِ ... وَقَهْرِهِ فَحُلْ عَن الْخِدَاعِ

وشَرْطُهُ الإِسْلاَمِ والْحرِّيَّه ... عَدَالَة سَمْعٌ مع الذُّرِيَّه

وأن يكون من قُرَيْشٍ عَالِمَا ... مكلَّفًا ذَا خبْرَةٍ وحاكِمَا

وَكُنْ مُطيعًا أمْرَهُ فيمَا أمَر ... مَا لَم يَكن بِمُنْكَرٍ فَيُحْتَذَرْ

فصل: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وَاعْلَم بأن الأمْرَ وَالنَّهْيَ مَعَا ... فَرْضَا كِفَايَةٍ عَلَىٰ مَن قَد وَعَىٰ

وَإن يَكن ذَا وَاحدًا تَعَيَّنَا ... عَليه لكن شَرطُهُ أن يَأْمَنَا

فَاصبِرْ وَزِلْ باليدِ وَاللِّسَانِ ... لِمنكَرٍ وَاحذرْ من النُّقْصَانِ

ومن نَهىٰ عَمَّا لهُ قَد ارتَكَبْ ... فَقَد أتىٰ بِمَا بِهِ يُقْضَىٰ الْعَجَبْ

فَلَو بدَا بنفسه فَذَادَهَا ... عَن غَيِّهَا لَكَانَ قَد أَفَادَهَا

الخاتمة وفيها فوائد ونسأل الله حسن الخاتمة

مَدَارِكُ العلوم فِي العِيَانِ ... مَحْصُورَةٌ فِي الْحَدِّ وَالبُرْهَانِ

وَقَالَ قَومٌ عند أصْحَاب النَّظَرْ ... حِسٌّ وَإخْبَارٌ صَحيح وَالنَّظَرْ

فالْحَدُّ وَهو أصلُ كلِّ عِلْم ... وَصْفٌ مُحِيطٌ كَاشِفٌ فَافْتَهِمِ

وَشرطُهُ طَرْدٌ وَعَكْسٌ وهو إن ... أنْبَا عن الذَّوَاتِ فَالتَّامُّ اسْتَبِنْ

وَإن يكُنْ بالجنس ثُمَّ الخاصَّة فَذَاكَ رَسْمٌ فَافهم المُحَاصَّة

وكلُّ معلُومٍ بِحِسٍّ وَحِجَا فَنُكْرُهُ جَهلٌ قَبِيحٌ فِي الهِجَا

فَإن يَقمْ بنَفْسِه فَجَوْهَرُ أو لا فَذَاكَ عَرَضٌ مُفْتَقِرُ

وَالجِسْمُ مَا أَلَّفَ من جُزْأينِ فصاعدًا فاترك حديث المَيْنِ

وَمُستَحِيلُ الذَّاتِ غَير مُمْكِنِ وَضِدُّهُ مَا جَاز فَاسْمَع زُكُنِي

والضِّدُّ وَالخِلافُ وَالنَّقِيضُ وَالمِثْلُ وَالغَيْرَانِ مُسْتَفِيضُ

وكلُّ هَذَا عِلْمُهُ مُحَقَّقْ فَلم نُطِلْ فيه ولَم نُنَمِّقْ

وَالحَمد لله عَلَى التَّوْفِيقِ لِمَنْهَجِ الحَق عَلَى التَّحْقِيقِ

مُسَلِّمًا لِمُقْتَضَى الحَديثِ وَالنَّصِّ فِي القديم وَالحَدِيثِ

لا أعْتَنِي بغير قول السَّلَفِ موافقًا أئمَّتِي وَسَلَفِي

وَلَست فِي قولِي بذَا مُقَلِّدَا إلَّا النَّبِي المصطفى مُبْدِي الهُدَى

صَلَّى عليه الله مَا قَطْرٌ نَزَلْ وَمَا تَعَانَى ذِكْرُهُ من الأزَلْ

وَمَا انْجَلَى بِهَديه الديْجُورُ وَرَاقَتِ الأوقَاتُ وَالدُّهُورُ

وَآله وَصَحبه أهْلِ الوَفَا معادِنِ التَّقْوَى وَيَنْبوع الصَّفَا

وَتَابِعٍ وَتَابِعٍ للتَّابِعِ خَيْرِ الوَرَى حَقًّا بنَصِّ الشَّارِعِ

ذكر أئمة المذاهب الأربعة

ورحمةُ الله مَع الرِّضْوَانِ وَالبِرُّ وَالتَّكْرِيم والإحسانِ

تَهدَى مع التَّبْجِيلِ والإنعام مِنِّي لِمَثْوَى عِصْمَةِ الإسْلَامِ

أئمَّة الدين هُدَاةِ الأُمَّه أهْلِ التُّقَى من سَائِرِ الأئمَّه

لا سيما أحْمَدَ والنُّعْمَانِ وَمَالِكٍ مُحمَّد الصِّنْوَانِ

من لازِمٍ لِكل أرباب العَمَلْ تَقليدُ حَبْرٍ منهم فَاسْمَع تَخَلْ

وَمَــنْ نَحَــا لِــسُبْلِهِمْ مِــن الــوَرَىٰ ... مَــا دَارَت الأفــلاكُ أو نَجــمٌ سَــرَىٰ
هديَّــةٌ منــي لأربــاب الــسَّلَفْ ... مُجَانِبًا للخوضِ مـن أهْـلِ الْخَلَـفْ
خــذْهَا هُــدِيتَ واقتــفِ نظــامي ... تَفُــزْ بِمَــا أَمَّلْــتَ والــسَّلاَمِ

* * *

١٨- نونية القحطاني

للإمام

أبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي

١٨- نونية القحطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـا مُنْـزِلَ الآيَـاتِ وَالفُرْقَـانِ — بَيْنِـي وَبَيْنَـكَ حُرْمَـةُ القُـرْآنِ
اشْـرَحْ بِـهِ صَـدْرِي لِمَعْرِفَـةِ الهُـدَىٰ — وَاعْـصِمْ بِـهِ قَلْبِـي مِـنَ الشَّيْطَانِ
يَسِّرْ بِـهِ أَمْـرِي وَاقْـضِ مَـآرِبِي — وَأَجِـرْ بِـهِ جَسَدِي مِـنَ النِّيـرَانِ
وَاحْطُـطْ بِـهِ وِزْرِي وَأَخْلِـصْ نِيَّتِـي — وَاشْـدُدْ بِـهِ أَزْرِي وَأَصْلِـحْ شَـانِي
وَاكْشِفْ بِـهِ ضُـرِّي وَحَقِّـقْ تَـوْبَتِي — وَأَرْبِـحْ بِـهِ بَيْعِـي بِـلاَ خُسْـرَانِ
طَهِّـرْ بِـهِ قَلْبِـي وَصَـفِّ سَـرِيرَتِي — أَجْمِـلْ بِـهِ ذِكْـرِي وَأَعْـلِ مَكَـانِي
وَاقْطَـعْ بِـهِ طَمَعِـي وَشَـرِّفْ هِمَّتِـي — كَثِّـرْ بِـهِ وَرَعِـي وَاحْـيِ جَنَـانِي
أَسْـهِرْ بِـهِ لَيْلِـي وَأَظْـمِ جَـوَارِحِي — أَسْـبِلْ بِفَـيْضِ دُمُوعِهَـا أَجْفَـانِي
أَمْزُجْـهُ يَـا رَبِّ بِلَحْمِـي مَـعْ دَمِـي — وَاغْـسِلْ بِـهِ قَلْبِـي مِـنَ الأَضْـغَانِ
أَنْـتَ الَّـذِي صَـوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِـي — وَهَـدَيْتَنِي لِـشَرَائِعِ الإِيمَـانِ
أَنْـتَ الَّـذِي عَلَّمْتَنِـي وَرَحِمْتَنِـي — وَجَعَلْـتَ صَـدْرِي وَاعِـيَ القُـرْآنِ
أَنْـتَ الَّـذِي أَطْعَمْتَنِـي وَسَـقَيْتَنِي — مِـنْ غَيْـرِ كَـسْبِ يَـدٍ وَلاَ دُكَّـانِ
وَجَبَرْتَنِـي وَسَـتَرْتَنِي وَنَـصَرْتَنِي — وَغَمَرْتَنِـي بِالفَـضْلِ وَالإِحْـسَانِ
أَنْـتَ الَّـذِي آوَيْتَنِـي وَحَبَـوْتَنِي — وَهَـدَيْتَنِي مِـنْ حَيْـرَةِ الخِـذْلاَنِ
وَزَرَعْـتَ لِـي بَيْنَ القُلُـوبِ مَـوَدَّةً — وَالعَطْـفُ مِنْـكَ بِرَحْمَـةٍ وَحَنَـانِ
وَنَـشَرْتَ لِـي فِـي العَالَمِينَ مَحَاسِنًا — وَسَـتَرْتَ عَـنْ أَبْـصَارِهِمْ عِـصْيَانِي

وَجَعَلْتَ ذِكْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَائِعًا حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي
وَاللهِ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي لأَبَى السَّلامَ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِي
وَلأَعْرَضُوا عَنِّي وَمَلُّوا صُحْبَتِي وَلَبُؤْتُ بَعْدَ كَرَامَةٍ بِهَوَانِ
لَكِنْ سَتَرْتَ مَعَايِبِي وَمَثَالِبِي وَحَلِمْتَ عَنْ سَقْطِي وَعَن طُغْيَانِي
فَلَكَ الْمَحَامِدُ وَالْمَدَائِحُ كُلُّهَا بِخَوَاطِرِي وَجَوَارِحِي وَلِسَانِي
وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبِّ بِأَنْعُمٍ مَا لِي بِشُكْرِ أَقَلِّهِنَّ يَدَانِ
فَوَحَقِّ حِكْمَتِكَ الَّتِي آتَيْتَنِي حَتَّى شَدَدتَ بِنُورِهَا بُرْهَانِي
لَئِنِ اجْتَبَتْنِي مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةٌ حَتَّى تُقَوِّي أَيْدُهَا إِيمَانِي
لأُسَبِّحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً وَلَتَخْدُمَنَّكَ فِي الدُّجَى أَرْكَانِي
وَلأَذْكُرَنَّكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا وَلأَشْكُرَنَّكَ سَائِرَ الأَحْيَانِ
وَلأَكْتُمَنَّ عَنِ الْبَرِيَّةِ خَلَّتِي وَلأَشْكُوَنَّ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي
وَلأَقْصِدَنَّكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي مِنْ دُونِ قَصْدِ فُلانَةٍ وَفُلانِ
وَلأَحْسِمَنَّ عَنِ الأَنَامِ مَطَامِعِي بِحُسَامِ يَأْسٍ لَمْ تَشُبْهُ بَنَانِي
وَلأَجْعَلَنَّ رِضَاكَ أَكْبَرَ هِمَّتِي وَلأَضْرِبَنَّ مِنَ الْهَوَى شَيْطَانِي
وَلأَكْسُوَنَّ عُيُوبَ نَفْسِي بِالتُّقَى وَلأَقْبِضَنَّ عَنِ الْفُجُورِ عِنَانِي
وَلأَمْنَعَنَّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا وَلأَجْعَلَنَّ الزُّهْدَ مِنْ أَعْوَانِي
وَلأَتْلُوَنَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الدُّجَى وَلأَحْرِقَنَّ بِنُورِهِ شَيْطَانِي
أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوفَهُ وَوَصَفْتَهُ بِالْوَعْظِ وَالتِّبْيَانِ
وَنَظَمْتَهُ بِبَلاغَةٍ أَزَلِيَّةٍ تَكْيِيفُهَا يَخْفَى عَلَى الأَذْهَانِ
وَكَتَبْتَ فِي اللَّوْحِ الْحَفِيظِ حُرُوفَهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي أَزْمَانِ
فَاللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا حَقًّا إِذَا مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانِ

نَادَى بِصَوْتٍ حِينَ كَلَّمَ عَبْدَهُ ... مُوسَى فَأَسْمَعَهُ بِلاَ كِتْمَانِ
وَكَذَا يُنَادِي فِي الْقِيَامَةِ رَبُّنَا ... جَهْرًا فَيَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلاَنِ
أَنْ يَا عِبَادِي أَنْصِتُوا لِي وَاسْمَعُوا ... قَوْلَ الإِلَهِ الْمَالِكِ الدَّيَّانِ
هَذَا حَدِيثُ نَبِيِّنَا عَنْ رَبِّهِ ... صِدْقًا بِلاَ كَذِبٍ وَلاَ بُهْتَانِ
لَسْنَا نُشَبِّهُ صَوْتَهُ بِكَلاَمِنَا ... إِذْ لَيْسَ يُدْرَكُ وَصْفُهُ بِعِيَانِ
لاَ تَحْصُرُ الأَوْهَامُ مَبْلَغَ ذَاتِهِ ... أَبَدًا وَلاَ يَحْوِيهِ قُطْرُ مَكَانِ
وَهُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ ... مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ وَلاَ نِسْيَانِ
مَنْ ذَا يُكَيِّفُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ ... وَهُوَ الْقَدِيمُ مُكَوِّنُ الأَكْوَانِ
سُبْحَانَهُ مَلِكًا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ... وَحَوَى جَمِيعَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ
وَكَلاَمُهُ الْقُرْآنُ أَنْزَلَ آيَهُ ... وَحْيًا عَلَى الْمَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ خَيْرَ صَلاَتِهِ ... مَا لاَحَ فِي فَلَكَيْهِمَا الْقَمَرَانِ
هُوَ جَاءَ بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ الَّذِي ... لاَ تَعْتَرِيهِ نَوَائِبُ الْحَدَثَانِ
تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَحْيُهُ ... بِشَهَادَةِ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ
وَكَلاَمُ رَبِّي لاَ يَجِيءُ بِمِثْلِهِ ... أَحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلاَنِ
وَهُوَ الْمَصُونُ مِنَ الأَبَاطِلِ كُلِّهَا ... وَمِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنُّقْصَانِ
مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ يُبَارِي نَظْمَهُ ... وَيَرَاهُ مِثْلَ الشِّعْرِ وَالْهَذَيَانِ
فَلْيَأْتِ مِنْهُ بِسُورَةٍ أَوْ آيَةٍ ... فَإِذَا رَأَى النَّظْمَيْنِ يَشْتَبِهَانِ
فَلْيَنْفَرِدْ بِاسْمِ الأُلُوهِيَّةِ وَلْيَكُنْ ... رَبَّ الْبَرِيَّةِ وَلْيَقُلْ سُبْحَانِي
فَإِذَا تَنَاقَضَ نَظْمُهُ فَلْيَلْبَسَنْ ... ثَوْبَ النَّقِيصَةِ صَاغِرًا بِهَوَانِ
أَوْ فَلْيُقِرَّ بِأَنَّهُ تَنْزِيلُ مَنْ ... سَمَّاهُ فِي نَصِّ الْكِتَابِ مَثَانِي
لاَ رَيْبَ فِيهِ بِأَنَّهُ تَنْزِيلُهُ ... وَبِدَايَةُ التَّنْزِيلِ فِي رَمَضَانِ

اللهُ فَصَّلَهُ وَأَحْكَمَ آيَهُ   وَتَلاهُ تَنْزِيلاً بِلا أَلْحَانِ
هُوَ قَوْلُهُ وَكَلامُهُ وَخِطَابُهُ   بِفَصَاحَةٍ وَبَلاغَةٍ وَبَيَانِ
هُوَ حُكْمُهُ هُوَ عِلْمُهُ هُوَ نُورُهُ   وَصِرَاطُهُ الْهَادِي إِلَى الرِّضْوَانِ
جَمَعَ الْعُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا   فِيهِ يَصُولُ الْعَالِمُ الرَّبَّانِي
قَصَصٌ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ قَصَّهُ   رَبِّي فَأَحْسَنَ أَيَّمَا إِحْسَانِ
وَأَبَانَ فِيهِ حَلالَهُ وَحَرَامَهُ   وَنَهَى عَنِ الآثَامِ وَالْعِصْيَانِ
مَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ خَالِقُ قَوْلِهِ   فَقَدِ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الأَوْثَانِ
مَنْ قَالَ فِيهِ عِبَارَةٌ وَحِكَايَةٌ   فَغَدًا يُجَرَّعُ مِنْ حَمِيمٍ آنِ
مَنْ قَالَ إِنَّ حُرُوفَهُ مَخْلُوقَةٌ   فَالعَنْهُ ثُمَّ اهْجُرْهُ كُلَّ أَوَانِ
لا تَلْقَ مُبْتَدِعًا وَلا مُتَزَنْدِقًا   إِلاَّ بِعَبْسَةِ مَالِكِ الْغَضْبَانِ
وَالْوَقْفُ فِي الْقُرْآنِ خُبْثٌ بَاطِلٌ   وَخِدَاعُ كُلِّ مُذَبْذَبٍ حَيْرَانِ
قُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ إِلَهِنَا   وَاعْجَلْ وَلا تَكُ فِي الإِجَابَةِ وَانِي
أَهْلُ الشَّرِيعَةِ أَيْقَنُوا بِنُزُولِهِ   وَالْقَائِلُونَ بِخَلْقِهِ شَكْلانِ
وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ إِنَّ كِلَيْهِمَا   وَمَقَالُ جَهْمٍ عِنْدَنَا سِيَّانِ
يَا أَيُّهَا السُّنِّيُّ خُذْ بِوَصِيَّتِي   وَاخْصُصْ بِذَلِكَ جُمْلَةَ الإِخْوَانِ
وَاقْبَلْ وَصِيَّةَ مُشْفِقٍ مُتَوَدِّدٍ   وَاسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ
كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوَسِّطًا   عَدْلاً بِلا نَقْصٍ وَلا رُجْحَانِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ رَبٌّ وَاحِدٌ   مُتَنَزِّهٌ عَنْ ثَالِثٍ أَوْ ثَانِ
الأَوَّلُ الْمُبْدِي بِغَيْرِ بِدَايَةٍ   وَالآخِرُ الْمُفْنِي وَلَيْسَ بِفَانِ
وَكَلامُهُ صِفَةٌ لَهُ وَجَلالَةٌ   مِنْهُ بِلا أَمَدٍ وَلا حِدْثَانِ
رُكْنُ الدِّيَانَةِ أَنْ تُصَدِّقَ بِالْقَضَا   لا خَيْرَ فِي بَيْتٍ بِلا أَرْكَانِ

اللهُ قَدْ عَلِمَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَا ... وَهُمَا وَمَنْزِلَتَاهُمَا ضِدَّانِ

لا يَمْلِكُ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ لِنَفْسِهِ ... رُشْدًا وَلا يَقْدِرْ عَلَى خِذْلانِ

سُبْحَانَ مَنْ يُجْرِي الأُمُورَ بِحِكْمَةٍ ... فِي الْخَلْقِ بِالأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ

نَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ بِسَابِقِ عِلْمِهِ ... فِي خَلْقِهِ عَدْلاً بِلا عُدْوَانِ

وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسَطَّرٌ ... مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ وَلا نُقْصَانِ

فَاقْصِدْ هُدِيتَ وَلا تَكُنْ مُتَغَالِيًا ... إِنَّ الْقُدُورَ تَفُورُ بِالْغَلَيَانِ

دِنْ بِالشَّرِيعَةِ وَالْكِتَابِ كِلَيْهِمَا ... فَكِلاهُمَا لِلدِّينِ وَاسِطَتَانِ

وَكَذَا الشَّرِيعَةُ وَالْكِتَابُ كِلاهُمَا ... بِجَمِيعِ مَا تَأْتِيهِ مُحْتَفِظَانِ

وَلِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظَانِ لِكُلِّ مَا ... يَقَعُ الْجَزَاءُ عَلَيْهِ مَخْلُوقَانِ

أُمِرَا بِكَتْبِ كَلامِهِ وَفِعَالِهِ ... وَهُمَا لأَمْرِ اللهِ مُؤْتَمِرَانِ

وَاللهُ صِدْقٌ وَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ ... مِمَّا يُعَايِنُ شَخْصَهُ الْعَيْنَانِ

وَاللهُ أَكْبَرُ أَنْ تُحَدَّ صِفَاتُهُ ... أَوْ أَنْ يُقَاسَ بِجُمْلَةِ الأَعْيَانِ

وَحَيَاتُنَا فِي الْقَبْرِ بَعْدَ مَمَاتِنَا ... حَقًّا وَيَسْأَلُنَا بِهِ الْمَلَكَانِ

وَالْقَبْرُ صَحَّ نَعِيمُهُ وَعَذَابُهُ ... وَكِلاهُمَا لِلنَّاسِ مُدَّخَرَانِ

وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَعْدٌ صَادِقٌ ... بِإِعَادَةِ الأَرْوَاحِ فِي الأَبْدَانِ

وَصِرَاطُنَا حَقٌّ وَحَوْضُ نَبِيِّنَا ... صِدْقٌ لَهُ عَدَدَ النُّجُومِ أَوَانِي

يُسْقَى بِهَا السُّنِّيُّ أَعْذَبَ شَرْبَةٍ ... وَيُذَادُ كُلُّ مُخَالِفٍ فَتَّانِ

وَكَذَلِكَ الأَعْمَالُ يَوْمَئِذٍ تُرَى ... مَوْضُوعَةً فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ

وَالْكُتْبُ يَوْمَئِذٍ تَطَايَرُ فِي الْوَرَى ... بِشَمَائِلِ الأَيْدِي وَبِالأَيْمَانِ

وَاللهُ يَوْمَئِذٍ يَجِيءُ لِعَرْضِنَا ... مَعَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ دَانِي

وَالأَشْعَرِيُّ يَقُولُ يَأْتِي أَمْرُهُ ... وَيَعِيبُ وَصْفَ اللهِ بِالإِتْيَانِ

وَاللهُ فِـي الْقُـرْآنِ أَخْبَـرَ أَنَّـهُ ... يَـأْتِي بِغَيْـرِ تَنَقُّـلٍ وَتَـدَانِ
وَعَلَيْـهِ عَـرْضُ الْخَلْـقِ يَـوْمَ مَعَـادِهِمْ ... لِلْحُكْـمِ كَـيْ يَتَنَاصَـفَ الْخَـصْمَانِ
وَاللهُ يَوْمَئِـذٍ نَـرَاهُ كَمَـا نَـرَىٰ ... قَمَـرًا بَـدَا لِلـسِّتِّ بَعْـدَ ثَمَـانِ
يَـوْمُ الْقِيَامَـةِ لَـوْ عَلِمْـتَ بِهَوْلِـهِ ... لَفَـرَرْتَ مِـنْ أَهْـلٍ وَمِـنْ أَوْطَـانِ
يَـوْمٌ تَـشَقَّقَتِ الـسَّمَاءُ لِهَوْلِـهِ ... وَتَـشِيبُ فِيـهِ مَفَـارِقُ الْوِلْـدَانِ
يَـوْمٌ عَبُـوسٌ قَمْطَرِيـرٌ شَـرُّهُ ... فِـي الْخَلْـقِ مُنْتَـشِرٌ عَظِـيمُ الـشَّانِ
وَالْجَنَّـةُ الْعُلْيَـا وَنَـارُ جَهَـنَّمٍ ... دَارَانِ لِلْخَـصْمَيْنِ دَائِمَتَـانِ
يَـوْمٌ يَجِـيءُ الْمُتَّقُـونَ لِـرَبِّهِمْ ... وَفْـدًا عَلَـىٰ نُجُـبٍ مِـنَ الْعِقْيَـانِ
وَيَجِـيءُ فِيـهِ الْمُجْرِمُـونَ إِلَـىٰ لَظَـىٰ ... يَتَلَمَّظُـونَ تَلَمُّـظَ الْعَطْـشَانِ
وَدُخُـولُ بَعْـضِ الْمُـسْلِمِينَ جَهَنَّمَـا ... بِكَبَـائِرِ الآثَـامِ وَالطُّغْيَـانِ
وَاللهُ يَـرْحَمُهُمْ بِـصِحَّةِ عَقْـدِهِمْ ... وَيُبَـدَّلُوا مِـنْ خَـوْفِهِمْ بِأَمَـانِ
وَشَـفِيعُهُمْ عِنْـدَ الْخُـرُوجِ مُحَمَّـدٌ ... وَطُهُـورُهُمْ فِـي شَـاطِئِ الْحَيَـوَانِ
حَتَّـىٰ إِذَا طَهُـرُوا هُنَالِـكَ أُدْخِلُـوا ... جَنَّـاتِ عَـدْنٍ وَهْـيَ خَيْـرُ جِنَـانِ
فَـاللهُ يَجْمَعُنَـا وَإِيَّـاهُمْ بِهَـا ... مِـنْ غَيْـرِ تَعْـذِيبٍ وَغَيْـرِ هَـوَانِ
وَإِذَا دُعِيـتَ إِلَـىٰ أَدَاءِ فَرِيـضَةٍ ... فَانْـشَطْ وَلاَ تَـكُ فِـي الإِجَابَـةِ وَانِـي
قُـمْ بِالـصَّلاَةِ الْخَمْـسِ وَاعْـرِفْ قَدْرَهَا ... فَلَهُـنَّ عِنْـدَ اللهِ أَعْظَـمُ شَـانِ
لاَ تَمْـنَعَنَّ زَكَـاةَ مَالِـكَ ظَالِمًـا ... فَـصَلاَتُنَا وَزَكَاتُنَـا أُخْتَـانِ
وَالْـوِتْرُ بَعْـدَ الْفَـرْضِ آكَـدُ سُـنَّةٍ ... وَالْجُمْعَـةُ الزَّهْـرَاءُ وَالْعِيـدَانِ
مَـعَ كُـلِّ بَـرٍّ صَـلِّهَا أَوْ فَـاجِرٍ ... مَـا لَـمْ يَكُـنْ فِـي دِينِـهِ بِمُـشَانِ
وَصِـيَامُنَا رَمَـضَانَ فَـرْضٌ وَاجِـبٌ ... وَقِيَامُنَـا الْمَـسْنُونُ فِـي رَمَـضَانِ
صَـلَّىٰ النَّبِـيُّ بِـهِ ثَلاَثًـا رَغْبَـةً ... وَرَوَىٰ الْجَمَاعَـةُ أَنَّهَـا ثِنْتَـانِ

إِنَّ التَّرَاوِيحَ رَاحَةٌ فِي لَيْلِهِ ... وَنَشَاطُ كُلِّ عُوَيْجِزٍ كَسْلاَنِ

وَاللهِ مَا جَعَلَ التَّرَاوِيحَ مُنْكَرًا ... إِلاَّ الْمَجُوسُ وَشِيعَةُ الصُّلْبَانِ

وَالْحَجُّ مُفْتَرَضٌ عَلَيْكَ وَشَرْطُهُ ... أَمْنُ الطَّرِيقِ وَصِحَّةُ الأَبْدَانِ

كَبِّرْ هُدِيتَ عَلَى الْجَنَائِزِ أَرْبَعًا ... وَاسْأَلْ لَهَا بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

إِنَّ الصَّلاَةَ عَلَى الْجَنَائِزِ عِنْدَنَا ... فَرْضُ الْكِفَايَةِ لاَ عَلَى الأَعْيَانِ

إِنَّ الأَهِلَّةَ لِلأَنَامِ مَوَاقِتٌ ... وَبِهَا يَقُومُ حِسَابُ كُلِّ زَمَانِ

لاَ تُفْطِرَنَّ وَلاَ تَصُمْ حَتَّى يَرَى ... شَخْصَ الْهِلاَلِ مِنَ الْوَرَى إِثْنَانِ

مُتَثَبِّتَانِ عَلَى الَّذِي يَرَيَانِهِ ... حُرَّانِ فِي نَقْلَيْهِمَا ثِقَتَانِ

لاَ تَقْصِدَنَّ لِيَوْمِ شَكٍّ عَامِدًا ... فَتَصُومَهُ وَتَقُولُ مِنْ رَمَضَانِ

لاَ تَعْتَقِدْ دِينَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ ... أَهْلُ الْمُحَالِ وَحِزْبَةُ الشَّيْطَانِ

جَعَلُوا الشُّهُورَ عَلَى قِيَاسِ حِسَابِهِمْ ... وَلَرُبَّمَا كَمُلاَ لَنَا شَهْرَانِ

وَلَرُبَّمَا نَقَصَ الَّذِي هُوَ عِنْدَهُمْ ... وَافٍ وَأَوْفَى صَاحِبُ النُّقْصَانِ

إِنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى ... مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانِ

مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ ... وَرَمَوْهُمُ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ

حَبُّوا قَرَابَتَهُ وَسَبُّوا صَحْبَهُ ... جَدَلاَنِ عِنْدَ اللهِ مُنْتَقِضَانِ

فَكَأَنَّمَا آلُ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ ... رُوحٌ يَضُمُّ جَمِيعَهَا جَسَدَانِ

فِئَتَانِ عَقْدُهُمَا شَرِيعَةُ أَحْمَدٍ ... بِأَبِي وَأُمِّي ذَانِكَ الْفِئَتَانِ

فِئَتَانِ سَالِكَتَانِ فِي سُبُلِ الْهُدَى ... وَهُمَا بِدِينِ اللهِ قَائِمَتَانِ

قُلْ إِنَّ خَيْرَ الأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ ... وَأَجَلُّ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْكُثْبَانِ

وَأَجَلُّ صَحْبِ الرُّسْلِ صَحْبُ مُحَمَّدٍ ... وَكَذَاكَ أَفْضَلُ صَحْبِهِ الْعُمَرَانِ

رَجُلاَنِ قَدْ خُلِقَا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ ... بِدَمِي وَنَفْسِي ذَانِكَ الرَّجُلاَنِ

فَهُمَا اللَّذَانِ تَظَاهَرَا لِنَبِيِّنَا ... فِي نَصْرِهِ وَهُمَا لَهُ صِهْرَانِ
بِنْتَاهُمَا أَسْنَى نِسَاءِ نَبِيِّنَا ... وَهُمَا لَهُ بِالْوَحْيِ صَاحِبَتَانِ
أَبَوَاهُمَا أَسْنَى صَحَابَةِ أَحْمَدٍ ... يَا حَبَّذَا الأَبَوَانِ وَالْبِنْتَانِ
وَهُمَا وَزِيرَاهُ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا ... لِفَضَائِلِ الأَعْمَالِ مُسْتَبِقَانِ
وَهُمَا لأَحْمَدَ نَاظِرَاهُ وَسَمْعُهُ ... وَبِقُرْبِهِ فِي الْقَبْرِ مُضْطَجِعَانِ
كَانَا عَلَى الإِسْلاَمِ أَشْفَقَ أَهْلِهِ ... وَهُمَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ جَبَلاَنِ
أَصْفَاهُمَا أَقْوَاهُمَا أَخْشَاهُمَا ... أَتْقَاهُمَا فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ
أَسْنَاهُمَا أَزْكَاهُمَا أَعْلاَهُمَا ... أَوْفَاهُمَا فِي الْوَزْنِ وَالرُّجْحَانِ
صِدِّيقُ أَحْمَدَ صَاحِبُ الْغَارِ الَّذِي ... هُوَ فِي الْمَغَارَةِ وَالنَّبِيُّ اثْنَانِ
أَعْنِي أَبَا بَكْرٍ الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ ... مِنْ شَرْعِنَا فِي فَضْلِهِ رَجُلاَنِ
هُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَخَيْرُهُمْ ... وَإِمَامُهُمْ حَقًّا بِلاَ بُطْلاَنِ
وَأَبُو الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي تَنْزِيهُهَا ... قَدْ جَاءَنَا فِي النُّورِ وَالْفُرْقَانِ
أَكْرِمْ بِعَائِشَةَ الرِّضَى مِنْ حُرَّةٍ ... بِكْرٍ مُطَهَّرَةِ الإِزَارِ حَصَانِ
هِيَ زَوْجُ خَيْرِ الأَنْبِيَاءِ وَبِكْرُهُ ... وَعَرُوسُهُ مِنْ جُمْلَةِ النِّسْوَانِ
هِيَ عِرْسُهُ هِيَ أُنْسُهُ هِيَ إِلْفُهُ ... هِيَ حِبُّهُ صِدْقًا بِلاَ أَدْهَانِ
أَوَ لَيْسَ وَالِدُهَا يُصَافِي بَعْلَهَا ... وَهُمَا بِرُوحِ اللهِ مُؤْتَلِفَانِ
لَمَّا قَضَى صِدِّيقُ أَحْمَدَ نَحْبَهُ ... دَفَعَ الْخِلاَفَةَ لِلإِمَامِ الثَّانِي
أَعْنِي بِهِ الْفَارُوقَ فَرَّقَ عَنْوَةً ... بِالسَّيْفِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإِيمَانِ
هُوَ أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ بَعْدَ خَفَائِهِ ... وَمَحَا الظَّلاَمَ وَبَاحَ بِالْكِتْمَانِ
وَمَضَى وَخَلَّى الأَمْرَ شُورَى بَيْنَهُمْ ... فِي الأَمْرِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى عُثْمَانِ
مَنْ كَانَ يَسْهَرُ لَيْلَةً فِي رَكْعَةٍ ... وِتْرًا فَيُكْمِلُ خَتْمَةَ الْقُرْآنِ

وَلِيَ الْخِلاَفَةَ صِهْرُ أَحْمَدَ بَعْدَهُ ... أَعْنِي عَلِيَّ الْعَالِمَ الرَّبَّانِي
زَوْجَ الْبَتُولِ أَخَا الرَّسُولِ وَرُكْنَهُ ... لَيْثَ الْحُرُوبِ مُنَازِلَ الأَقْرَانِ
سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْخِلاَفَةَ رُتْبَةً ... وَبَنَى الإِمَامَةَ أَيَّمَا بُنْيَانِ
وَاسْتَخْلَفَ الأَصْحَابَ كَي لاَ يَدَّعِي ... مِنْ بَعْدِ أَحْمَدَ فِي النُّبُوةِ ثَانِي
أَكْرِمْ بِفَاطِمَةَ الْبَتُولِ وَبَعْلِهَا ... وَبِمَنْ هُمَا لِمُحَمَّدٍ سِبْطَانِ
غُصْنَانِ أَصْلُهُمَا بِرَوْضَةِ أَحْمَدٍ ... للهِ دَرُّ الأَصْلِ وَالْغُصْنَانِ
أَكْرِمْ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدِهِمْ ... وَسَعِيدِهم وَبِعَابِدِ الرَّحْمَنِ
وَأَبِي عُبَيْدَةَ ذِي الدِّيَانَةِ وَالتُّقَى ... وَامْدَحْ جَمَاعَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
قُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي صَحَابَةِ أَحْمَدَ ... وَامْدَحْ جَمِيعَ الآلِ وَالنِّسْوَانِ
دَعْ مَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي الْوَغَى ... بِسُيُوفِهِمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ
فَقَتِيلُهُمْ مِنْهُم وَقَاتِلُهُمْ لَهُمْ ... وَكِلاَهُمَا فِي الْحَشْرِ مَرْحُومَانِ
وَاللهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَنْزِعُ كُلَّ مَا ... تَحْوِي صُدُورُهُمُ مِنَ الأَضْغَانِ
وَالْوَيْلُ لِلرَّكْبِ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَى ... عُثْمَانَ فَاجْتَمَعُوا عَلَى الْعِصْيَانِ
وَيْلٌ لِمَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ فَإِنَّهُ ... قَدْ بَاءَ مِنْ مَوْلاَهُ بِالْخُسْرَانِ
لَسْنَا نُكَفِّرُ مُسْلِمًا بِكَبِيرَةٍ ... فَاللهُ ذُو عَفْوٍ وَذُو غُفْرَانِ
لاَ تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِخِ كُلَّ مَا ... جَمَعَ الرُّوَاةُ وَخَطَّ كُلُّ بَنَانِ
ارْوِ الْحَدِيثَ الْمُنْتَقَى عَنْ أَهْلِهِ ... سِيمَا ذَوِي الأَحْلاَمِ وَالأَسْنَانِ
كَابْنِ الْمُسَيَّبِ وَالْعَلاَءِ وَمَالِكٍ ... وَاللَّيْثِ وَالزُّهْرِيِّ أَوْ سُفْيَانِ
وَاحْفَظْ رِوَايَةَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ... فَمَكَانُهُ فِيهَا أَجَلُّ مَكَانِ
وَاحْفَظْ لأَهْلِ الْبَيْتِ وَاجِبَ حَقِّهِمْ ... وَاعْرِفْ عَلِيًّا أَيَّمَا عِرْفَانِ
لاَ تَنْتَقِصْهُ وَلاَ تَزِدْ فِي قَدْرِهِ ... فَعَلَيْهِ تَصْلَى النَّارَ طَائِفَتَانِ

إِحْـــدَاهُمَا لاَ تَرْتَـــضِيهِ خَلِيفَــــةً ... وَتَنُــصُّهُ الأُخْــرَىٰ إِلَهًـــا ثَـــانِ
وَالْعَــنْ زَنَادِقَـــةَ الْجَهَالَـــةِ إِنَّهُـــمْ ... أَعْنَـــاقُهُمْ غُلَّــتْ إِلَـــىٰ الأَذْقَـــانِ
جَحَــدُوا الـشَّرَائِعَ وَالنُّبُـوَّةَ وَاقْتَــدَوْا ... بِفَــسَادِ مِلَّـــةِ صَــاحِبِ الإِيــوَانِ
لاَ تَــرْكَنَنَّ إِلَـــىٰ الـرَّوَافِضِ إِنَّهُـــمْ ... شَــتَمُوا الـصَّحَابَةَ دُونَ مَـا بُرْهَـانِ
لُعِنُـوا كَمَـا بَغَـضُوا صَـحَابَةَ أَحْمَـدٍ ... وَوِدَادُهُــمْ فَــرْضٌ عَلَــىٰ الإِنْـسَانِ
حُــبُّ الــصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَـــةِ سُــنَّةٌ ... أَلْقَـــىٰ بِهَـــا رَبِّـــي إِذَا أَحْيَـــانِي
احْــذَرْ عِقَـــابَ اللهِ وَارْجُ ثَوَابَــــهُ ... حَتَّـــىٰ تَكُـــونَ كَمَـــنْ لَـــهُ قَلْبَـانِ
إِيمَانُنَـــا بِـــاللهِ بَـــيْنَ ثَلاَثَـــةٍ ... عَمَــلٍ وَقَـــوْلٍ وَاعْتِقَـــادِ جَنَـــانِ
وَيَزِيــدُ بِـالتَّقْوَىٰ وَيَــنْقُصُ بِـالرَّدَىٰ ... وَكِلاَهُمَـــا فِـــي الْقَلْـــبِ يَعتَلِجَـــانِ
وَإِذَا خَلَـــوْتَ بِرِيبَـــةٍ فِـــي ظُلْمَـــةٍ ... وَالـــنَّفْسُ دَاعِيَـــةٌ إِلَـــىٰ الطُّغْيَـــانِ
فَاسْــتَحِ مِــنْ نَظَــرِ الإِلَــهِ وَقُــل لَهَــا ... إِنَّ الَّـــذِي خَلَـــقَ الظَّـــلاَمَ يَرَانِـــي
كُــنْ طَالِبًـا لِلْعِلْـمِ وَاعْمَـلْ صَـالِحًا ... فَهُمَـــا إِلَـــىٰ سُــبُلِ الْهُــدَىٰ سَــبَبَانِ
لاَ تَتْبَــعْ عِلْـــمَ النُّجُــومِ فَإِنَّـــهُ ... مُتَعَلِّـــقٌ بِزَخَـــارِفِ الْكُهَّـــانِ
عِلْــمُ النُّجُــومِ وَعِلْــمُ شَــرْعِ مُحَمَّــدٍ ... فِـــي قَلْـــبِ عَبْـــدٍ لَـــيْسَ يَجْتَمِعَـــانِ
لَــوْ كَــانَ عِلْــمٌ لِلْكَوَاكِــبِ أَوْ قَــضَا ... لَــمْ يَهْــبِطِ الْمَــرِّيخُ فِــي الــسَّرَطَانِ
وَالشَّمْسُ فِي الْحملِ الْمُضِيءِ سريعة ... وَهُبُوطُهَـــا فِـــي كَوْكَـــبِ الْمِيـــزَانِ
وَالــشَّمْسُ مُحْرِقَـــةٌ لِـسِتَّةِ أَنْجُــمٍ ... لَكِنَّهَـــا وَالْبَــــدْرُ يَنْخَــــسِفَانِ
وَلَرُبَّمَـــا اسْـــوَدَّا وَغَـــابَ ضِـــيَاهُمَا ... وَهُمَـــا لِخَـــوْفِ اللهِ يَرْتَعِـــدَانِ
ارْدُدْ عَلَـــىٰ مَـــنْ يَطْمَـــئِنُّ إِلَيْهِمَـــا ... وَيَظُــــنُّ أَنَّ كِلَيْهِمَــــا رَبَّـــانِ
يَـا مَـنْ يُحِـبُّ الْمُـشْتَرِي وَعُطَـارِدًا ... وَيَظُــــنُّ أَنَّهُمَــــا لَــــهُ سَــــعْدَانِ
لـــم يهبطـــان ويعلـــوان تـــشرقًا ... وَيِـــوَهْجِ حَـــرِّ الـــشَّمْسِ يَحْتَرِقَـــانِ

أَتَخَافُ مِنْ زُحَلٍ وَتَرْجُوا الْمُشْتَرِي ... وَكِلاَهُمَا عَبْدَانِ مَمْلُوكَانِ؟
وَاللهِ لَوْ مَلَكَا حَيَاةً أَوْ فَنَا ... لَسَجَدْتُ نَحْوَهُمَا لِيَصْطَنِعَانِ
وَلِيَفْسَحَا فِي مُدَّتِي وَيُوَسِّعَا ... رِزْقِي وَبِالإِحْسَانِ يَكْتَنِفَانِي
بَلْ كُلُّ ذَلِكَ فِي يَدِ اللهِ الَّذِي ... ذَلَّتْ لِعِزَّةِ وَجْهِهِ الثَّقَلاَنِ
فَقَدِ اسْتَوَىٰ زُحَلٌ وَنَجْمُ الْمُشْتَرِي ... وَالرَّأْسُ وَالذَّنَبُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
وَالزُّهَرَةُ الْغَرَّاءُ مَعْ مِرِّيخِهَا ... وَعُطَارِدُ الْوَقَّادُ مَعْ كِيوَانِ
إِنْ قَابَلَتْ وَتَرَبَّعَتْ وَتَثَلَّثَتْ ... وَتَسَدَّسَتْ وَتَلاَحَقَتْ بِقِرَانِ
أَلَهَا دَلِيلُ سَعَادَةٍ أَوْ شَقْوَةٍ؟ ... لاَ وَالَّذِي بَرَأَ الْوَرَىٰ وَبَرَانِي
مَنْ قَالَ بِالتَّأْثِيرِ فَهْوَ مُعَطِّلٌ ... لِلشَّرْعِ مُتَّبِعٌ لِقَوْلِ ثَانِ
إِنَّ النُّجُومَ عَلَىٰ ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ ... فَاسْمَعْ مَقَالَ النَّاقِدِ الدِّهْقَانِ
بَعْضُ النُّجُومِ خُلِقْنَ زِينَةً لِلسَّمَا ... كَالدُّرِّ فَوْقَ تَرَائِبِ النِّسْوَانِ
وَكَوَاكِبٌ تَهْدِي الْمُسَافِرَ فِي السُّرَىٰ ... وَرُجُومُ كُلِّ مُثَابِرٍ شَيْطَانِ
لاَ يَعْلَمُ الإِنْسَانُ مَا يُقْضَىٰ غَدًا ... إِذْ كُلُّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ
وَاللهُ يُمْطِرُنَا الْغُيُوثَ بِفَضْلِهِ ... لاَ نَوْءَ عَوَّاءٍ وَلاَ دَبَرَانِ
مَنْ قَالَ إِنَّ الْغَيْثَ جَاءَ بِهَنْعَةٍ ... أَوْ صَرْفَةٍ أَوْ كَوْكَبِ الْمِيزَانِ
فَقَدِ افْتَرَا إِثْمًا وَبُهْتَانًا وَلَمْ ... يُنْزِلْ بِهِ الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانِ
وَكَذَا الطَّبِيعَةُ لِلشَّرِيعَةِ ضِدُّهَا ... وَلَقَلَّ مَا يَتَجَمَّعُ الضِّدَّانِ
وَإِذَا طَلَبْتَ طَبَائِعًا مُسْتَسْلِمًا ... فَاطْلُبْ شُوَاظَ النَّارِ فِي الْغُدْرَانِ
عِلْمُ الْفَلاَسِفَةِ الْغُوَاةِ طَبِيعَةٌ ... وَمَعَادُ أَرْوَاحٍ بِلاَ أَبْدَانِ
لَوْلاَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَهُمْ وَفِعَالُهَا ... لَمْ يَمْشِ فَوْقَ الأَرْضِ مِنْ حَيَوَانِ
وَالْبَحْرُ عُنْصُرُ كُلِّ مَاءٍ عِنْدَهُمْ ... وَالشَّمْسُ أَوَّلُ عُنْصُرِ النِّيرَانِ

وَالْغَيْثُ أَبْخِرَةٌ تَصَاعَدُ كُلَّمَا ... دَامَتْ بِهَطْلِ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ

وَالرَّعْدُ عِنْدَ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ ... صَوْتُ اصْطِكَاكِ السُّحبِ فِي الأَعْنَانِ

وَالْبَرْقُ عِنْدَهُم شُواظٌ خَارِجٌ ... بَيْنَ السَّحَابِ يُضِيءُ فِي الأَحْيَانِ

كَذَبَ أَرَسْطَالِيسُهُم فِي قَوْلِهِ ... هَذَا وَأَسْرَفَ أَيَّمَا هَذَيَانِ

الْغَيْثُ يُفْرَغُ فِي السَّحَابِ مِنَ السَّمَا ... وَيَكِيلُهُ مِيكَالُ بِالْمِيزَانِ

لا قَطْرَةٌ إِلاَّ وَيَنْزِلُ نَحْوَهَا ... مَلَكٌ إِلَى الآكَامِ وَالْفَيَضَانِ

وَالرَّعْدُ صَيْحَةُ مَالِكٍ وَهُوَ اسْمُهُ ... يُزْجِي السَّحَابَ كَسَائِقِ الأَظْعَانِ

وَالْبَرْقُ شَوظُ النَّارِ يَزْجرُهَا بِهِ ... زَجْرَ الْحُدَاةِ الْعِيسِ بِالْقُضْبَانِ

أَفَكَانَ يَعْلَمُ ذَا أَرسْطَالِيسُهُم ... تَدبيرَ مَا انْفَرَدَتْ بِهِ الْجِهَتَانِ

أَمْ غَابَ تَحْتَ الأَرْضِ أَمْ صَعِدَ السَّمَا ... فَرَأَى بِهَا الْمَلَكُوتَ رَأْيَ عِيَانِ

أَمْ كَانَ دَبَّرَ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا ... أَمْ كَانَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ

أَمْ سَارَ بَطْلَيْمُوس بَيْنَ نُجُومِهَا ... حَتَّى رَأَى السَّيَّارَ وَالْمُتَوَانِي

أَمْ كَانَ أَطْلَعَ شَمْسَهَا وَهِلاَلَهَا ... أَمْ هَلْ تَبَصَّرَ كَيْفَ يَعتَقِبَانِ

أَمْ كَانَ أَرْسَلَ رِيحَهَا وَسَحَابَهَا ... بِالْغَيْثِ يُهمِلُ أَيَّمَا هَمَلاَنِ

بَلْ كَانَ ذَلِكَ حِكْمَةَ اللهِ الَّذِي ... بِقَضَائِهِ مُتَصَرَّفُ الأَزْمَانِ

لا تَسْتَمِعْ قَوْلَ الضَّوارِبِ بِالْحَصَا ... وَالزَّاجِرِينَ الطَّيْرَ بِالطَّيَرَانِ

فَالفِرْقَتَانِ كَذُوبَتَانِ عَلَى الْقَضَا ... وَبِعِلْمِ غَيْبِ اللهِ جَاهِلَتَانِ

كَذَبَ الْمُهَنْدِسُ وَالْمُنَجِّمُ مِثْلُهُ ... فَهُمَا لِعِلْمِ اللهِ مُدَّعِيَانِ

الأَرْضُ عِنْدَ كِلَيْهِمَا كُرَوِيَّةٌ ... وَهُمَا بِهَذَا الْقَوْلِ مُقتَرِنَانِ

وَالأَرْضُ عِنْدَ أُولِي النُّهَى لَسَطِيحَةٌ ... بِدَلِيلِ صِدقِ وَاضِحِ الْقُرآنِ

وَاللهُ صَيَّرَهَا فِرَاشًا لِلْوَرَى ... وَبَنَى السَّمَاءَ بِأَحْسَنِ الْبُنْيَانِ

وَاللهُ أَخْبَـرَ أَنَّهَـا مَسْطُوحَةٌ ... وَأَبَانَ ذَلِكَ أَيَّمَا تِبْيَانِ

أَأَحَاطَ بِالأَرْضِ الْمُحِيطَةِ عِلْمُهُمْ ... أَمْ بِالْجِبَالِ الشُّمَّخِ الأَكْنَانِ

أَمْ يُخْبِرُونَ بِطُولِهَا وَبِعَرْضِهَا ... أَمْ هَلْ هُمَا فِي الْقَدْرِ مُسْتَوِيَانِ

أَمْ فَجَّرُوا أَنْهَارَهَا وَعُيُونَهَا ... مَاءً بِهِ يُرْوَى صَدَى الْعَطْشَانِ

أَمْ أَخْرَجُوا أَثْمَارَهَا وَنَبَاتَهَا ... وَالنَّخْلَ ذَاتَ الطَّلْعِ وَالْقِنْوَانِ

أَمْ هَلْ لَهُمْ عِلْمٌ بِعَدِّ ثِمَارِهَا ... أَمْ بِاخْتِلاَفِ الطَّعْمِ وَالأَلْوَانِ؟

اللهُ أَحْكَمَ خَلْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ ... صُنْعًا وَأَتْقَنَ أَيَّمَا إِتْقَانِ

قُلْ لِلطَّبِيبِ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ ... إِنَّ الطَّبِيعَةَ عِلْمُهَا بُرْهَانِي

أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ نُطْفَةً ... فِي الْبَطْنِ إِذْ مُشِجَتْ بِهِ الْمَاءَانِ

أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ عدت عليقة ... فِي أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ تَوَانِي

أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً ... فِي أَرْبَعِينَ وَقَدْ مَضَى الْعَدَدَانِ

أَتَرَى الطَّبِيعَةَ صَوَّرَتْكَ مُصَوَّرًا ... بِمَسَامِعٍ وَنَوَاظِرٍ وَبَنَانِ

أَتَرَى الطَّبِيعَةَ أَخْرَجَتْكَ منكَّسًا ... مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِيَ الأَرْكَانِ

أَمْ فَجَّرَتْ لَكَ بِاللِّبَانِ ثُدَيَّهَا ... فَرَضَعْتَهَا حَتَّى مَضَى الْحَوْلاَنِ

أَمْ صَيَّرَتْ فِي وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً ... فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبِطَانِ؟

يَا فَيْلَسُوفُ لَقَدْ شُغِلْتَ عَنِ الْهُدَى ... بِالْمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِي

وَشَرِيعَةُ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ شِرْعَةٍ ... دِينُ النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْعَدْنَانِ

هُوَ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَشَرْعُهُ ... وَهُوَ الْقَدِيمُ وَسَيِّدُ الأَدْيَانِ

هُوَ دِينُ آدَمَ وَالْمَلاَئِكِ قَبْلَهُ ... هُوَ دِينُ نُوحٍ صَاحِبِ الطُّوفَانِ

وَلَهُ دَعَا هُودُ النَّبِيُّ وَصَالِحٌ ... وَهُمَا لِدِينِ اللهِ مُعْتَقِدَانِ

وَبِهِ أَتَى لُوطٌ وَصَاحِبُ مَدْيَنٍ ... فَكِلاَهُمَا فِي الدِّينِ مُجْتَهِدَانِ

هُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَيْهِ مَعًا ... وَبِهِ نَجَا مِنْ نَفْحَةِ النِّيرَانِ

وَبِهِ حَمَىٰ اللهُ الذَّبِيحَ مِنَ الْبَلاَ ... لَمَّا فَدَاهُ بِأَعْظَمِ الْقُرْبَانِ

هُوَ دِينُ يَعْقُوبَ النَّبِيِّ وَيُونُسٍ ... وَكِلاَهُمَا فِي اللهِ مُبْتَلَيَانِ

هُوَ دِينُ دَاوُدَ الْخَلِيفَةِ وَابْنِهِ ... وَبِهِ أَذَلَّ لَهُ مُلُوكَ الْجَانِ

هُوَ دِينُ يَحْيَىٰ مَعْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ... نِعْمَ الصَّبِيُّ وَحَبَّذَا الشَّيْخَانِ

وَلَهُ دَعَا عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ قَوْمَهُ ... لَمْ يَدْعُهُمْ لِعِبَادَةِ الصُّلْبَانِ

وَاللهُ أَنْطَقَهُ صَبِيًّا بِالْهُدَىٰ ... فِي الْمَهْدِ ثُمَّ سَمَا عَلَىٰ الصِّبْيَانِ

وَكَمَالُ دِينِ اللهِ شَرْعُ مُحَمَّدٍ ... صَلَّىٰ عَلَيْهِ مُنَزِّلُ الْقُرْآنِ

الطَّيِّبُ الزَّاكِي الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ ... يَوْمًا عَلَىٰ زَلَلٍ لَهُ أَبَوَانِ

الطَّاهِرُ النِّسْوَانِ والوَلَدِ الَّذِي ... مِنْ ظَهْرِهِ الزَّهْرَاءُ وَالْحَسَنَانِ

وَأُولُو النُّبُوَّةِ وَالْهُدَىٰ مَا مِنْهُمُ ... أَحَدٌ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِي

بَلْ مُسْلِمُونَ وَمُؤْمِنُونَ بِرَبِّهِمْ ... حُنَفَاءُ فِي الإِسْرَارِ وَالإِعْلاَنِ

وَلِمِلَّةِ الإِسْلاَمِ خَمْسُ عَقَائِدٍ ... وَاللهُ أَنْطَقَنِي بِهَا وَهَدَانِي

لاَ تَعْصِ رَبَّكَ قَائِلاً أَوْ فَاعِلاً ... فَكِلاَهُمَا فِي الصُّحْفِ مَكْتُوبَانِ

جَمِّلْ زَمَانَكَ بِالسُّكُوتِ فَإِنَّهُ ... زَيْن الحليم وسترةَ الحيران

كُنْ حِلْسَ بَيْتِكَ إِنْ سَمِعْتَ بِفِتْنَةٍ ... وَتَوَقَّ كُلَّ مُنَافِقٍ فَتَّانِ

أَدِّ الْفَرَائِضَ لاَ تَكُنْ مُتَوَانِيًا ... فَتَكُونَ عِنْدَ اللهِ شَرَّ مُهَانِ

أَدِمِ السِّوَاكَ مَعَ الْوُضُوءِ فَإِنَّهُ ... مُرْضِي الإِلَهِ مُطَهِّرُ الأَسْنَانِ

سَمِّ الإِلَهَ لَدَىٰ الْوُضُوءِ بِنِيَّةٍ ... ثُمَّ اسْتَعِذْ مِنْ فِتْنَةِ الْوَلْهَانِ

فَأَسَاسُ أَعْمَالِ الْوَرَىٰ نِيَّاتُهُمْ ... وَعَلَىٰ الأَسَاسِ قَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ

أَسْبِغْ وُضُوءَكَ لاَ تُفَرِّقْ شَمْلَهُ ... فَالْفَوْرُ وَالإِسْبَاغُ مُفْتَرَضَانِ

فَـإِذَا انْتَـشَقْتَ فَـلاَ تُبَـالِغْ جَيِّـدًا ... لَكِنَّـــهُ شَـــمٌّ بِـــلاَ إمعـــانِ
وَعَلَيْـكَ فَرْضًـا غَـسْلَ وَجْهِـكَ كُلِّـهِ ... وَالْمَـــاءُ مُتَّبِـــعٌ بِـــهِ الْجِفْنَـــانِ
وَاغْـسِلْ يَـدَيْكَ إِلَـىٰ الْمَرَافِقِ مُـسْبِغًا ... فَكِلاَهُمَـا فِـي الْغُـسْلِ مَـدْخُولاَنِ
وَامْـسَحْ بِرَأْسِـكَ كُلِّـهِ مُـسْتَوْفِيًا ... وَالْمَـــاءُ مَمْـــسُوحٌ بِـــهِ الأُذُنَـــانِ
وَكَـذَا التَّمَـضْمُضُ فِـي وُضُـوئِكَ سُنَّةٌ ... بِالْمَـــاءِ ثُـــمَّ تَمُجُّـــهُ الـــشَّفَتَانِ
وَالْوَجْــهُ وَالْكَفَّــانِ غَــسْلُ كِلَيْهِمَــا ... فَــرْضٌ وَيَــدْخُلُ فِيهِمَــا الْعَظْمَــانِ
غَـسْلُ الْيَـدَيْنِ لَـدَىٰ الْوُضُـوءِ نَظَافَـةٌ ... أَمَــرَ النَّبِــيُّ بِهَــا عَلَــىٰ اسْتِحْــسَانِ
سِيمَا إِذَا مَـا قُمْـتَ فِـي غَـسَقِ الـدُّجَىٰ ... وَاسْــتَيْقَظَتْ مِــنْ نَوْمِــكَ الْعَيْنَــانِ
وَكَـذَلِكَ الـرِّجْلاَنِ غَـسلُهُمَا مَعًـا ... فَــرْضٌ وَيَــدْخُلُ فِيهِمَــا الْكَعْبَــانِ
لاَ تَـسْتَمِعْ قَـوْلَ الـرَّوَافِضِ إِنَّهُـمْ ... مِــنْ رَأْيِهِــمْ أَنْ تُمْـسَحَ الـرِّجْلاَنِ
يَتَـأَوَّلُونَ قِـرَاءَةً مَنْـسُوخَةً ... بِقِــرَاءَةٍ وَهُمَــا مُنَزَّلَتَــانِ
إِحْـدَاهُمَا نَزَلَـتْ لِتَنْـسَخَ أُخْتَهَـا ... لَكِــن هُمَــا فِــي الـصُّحْفِ مُثْبَتَتَــانِ
غَـسَلَ النَّبِـيُّ وَصَـحْبُهُ أَقْـدَامَهُمْ ... لَـمْ يَخْتَلِـفْ فِـي غـسلِهم رَجُـلاَنِ
وَالـسُّنَّةُ الْبَيْـضَاءُ عِنْـدَ أُولِـي النُّهَـىٰ ... فِــي الْحُكْــمِ قَاضِــيَةٌ عَلَــىٰ الْقُــرْآنِ
فَـإِذَا اسْـتَوَتْ رِجْـلاَكَ فِـي خُفَّيهِمَـا ... وَهُمَــا مِــنَ الأَحْـدَاثِ طَاهِرَتَــانِ
وَأَرَدتَ تَجْدِيــدَ الطَّهَــارَةِ مُحـدِثًا ... فَتَمَامُهَــا أَنْ يُمْــسَحَ الْخُفَّــانِ
وَإِذَا أَرَدتَ طَهَــارَةً لِجَنَابَــةٍ ... فَلْتُخْلَعَــا وَلْتُغْــسَلِ الْقَــدَمَانِ
غُـسْلُ الْجَنَابَـةِ فِـي الرِّقَـابِ أَمَانَـةٌ ... فَأَدَاؤُهَــا مِــنْ أَكْمَــلِ الإِيمَــانِ
فَــإِذَا ابْتُلِيــتَ فَبَــادِرَنَّ بِغَــسْلِهَا ... لاَ خَيْــرَ فِــي مُتَثَــبِّطٍ كَــسْلاَنِ
وَإِذَا اغْتَـسَلْتَ فَكُـن لِجِـسْمِكَ دَالِكًـا ... حَتَّــىٰ يَعُــمَّ جَمِيعَــهُ الْكَفَّــانِ
وَإِذَا عَــدِمتَ الْمَــاءَ كُــنْ مُتَيَمِّمًــا ... مِــنْ طَيــبِ تُـرْبِ الأَرْضِ وَالْجُـدْرَانِ

مُتَيَمِّمًا صَلَّيتَ أَوْ مُتَوَضِّئًا ... فَكِلاَهُمَا فِي الشَّرْعِ مُجزِيَتَانِ
وَالْغُسْلُ فَرْضٌ وَالتَّدلك سُنَّةٌ ... وَهُمَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ فَرْضَانِ
وَالْمَاءُ مَا لَمْ تَسْتَحِلِ أوصافُهُ ... بِنَجَاسَةٍ أَوْ سَائِرِ الأَدْهَانِ
فَإِذَا صَفَا فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ ... مَعْ رِيحِهِ مِنْ جُمْلَةِ الأَضْغَانِ
فَهُنَاكَ سُمِّيَ طَاهِرًا وَمُطَهِّرًا ... هَذَانِ أَبْلَغُ وَصْفِهِ هَذَانِ
فَإِذَا صَفَا فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ ... مِنْ حَمْأَةِ الآبَارِ وَالْغُدْرَانِ
جَازَ الْوُضُوءُ لَنَا بِهِ وَطُهُورُنَا ... فَاسْمَعْ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ
وَمَتَىٰ تَمُتْ فِي الْمَاءِ نَفْسٌ لَمْ يَجُزْ ... مِنْهُ الطَّهُورُ لِعِلَّةِ السَّيَلاَنِ
إلاَّ إِذَا كَانَ الْغَدِيرُ مُرَجْرِجًا ... غَدَقًا بِلاَ كَيْلٍ وَلاَ مِيزَانِ
أَوْ كَانَتِ الْمَيْتَاتُ مِمَّا لَمْ تَسِلْ ... وَالْمَا قَلِيلٌ طَابَ لِلْغُسْلاَنِ
وَالْبَحْرُ أَجْمَعُهُ طَهُورٌ مَاؤُهُ ... وَتَحِلُّ مَيْتَتُهُ مِنَ الْحِيتَانِ
إِيَّاكَ نَفْسَكَ وَالْعَدُوَّ وَكَيْدَهُ ... فَكِلاَهُمَا لاَذَاكَ مُبْتَدِيَانِ
وَاحْذَرْ وُضُوءَكَ مُفرِطًا وَمُفَرِّطًا ... فَكِلاَهُمَا فِي الْعِلْمِ مَحْذُورَانِ
فَقَلِيلُ مَائِكَ فِي وُضُوئِكَ خَدْعَةٌ ... لِتَعُودَ صِحَّتُهُ إِلَىٰ الْبُطْلاَنِ
وَتَعُودُ مَغْسُولاَتُهُ مَمْسُوحَةً ... فَاحْذَرْ غُرُورَ الْمَارِدِ الْخَوَّانِ
وَكَثِيرُ مَائِكَ فِي وُضُوئِكَ بِدْعَةٌ ... يَدْعُو إِلَىٰ الْوَسْوَاسِ وَالْهَمَلاَنِ
لاَ تُكْثِرَنَّ وَلاَ تُقَلِّلْ وَاقْتَصِدْ ... فَالْقَصْدُ وَالتَّوْفِيقُ مُصْطَحِبَانِ
وَإِذَا اسْتَطَبْتَ فَفِي الْحَدِيثِ ثَلاَثَةٌ ... لَمْ يُجْزِنَا حَجَرٌ وَلاَ حَجَرَانِ
مِنْ أَجْلِ أَنَّ لِكُلِّ مَخْرَجِ غَائِطٍ ... شَرَجًا تَضُمُّ عَلَيْهِ نَاحِيَتَانِ
وَإِذَا الأَذَىٰ قَدْ جَازَ مَوضِعَ عَادَةٍ ... لَمْ يُجْزِ إِلاَّ الْمَاءُ بِالإِمْعَانِ
نَقْضُ الْوُضُوءِ بِقُبْلَةٍ أَوْ لَمْسَةٍ ... أَوْ طُولِ نَوْمٍ أَوْ بِمَسِّ خِتَانِ

أَوْ بَولَـــةٍ أَوْ غَـــائِطٍ أَوْ نَوْمَـــةٍ ... أَوْ نَفْخَـــةٍ فِـــي السِّرِّ وَالإِعْـــلاَنِ

وَمِـــنَ الْمَـــذِيِّ أَوْ الْـــوَدِيِّ كِلاَهُمَـــا ... مِـــنْ حَيْـــثُ يَبْـــدُو الْبَـــوْلُ يَنْحَـــدِرَانِ

وَلَرُبَّمَـــا نَفَـــخَ الْخَبِيـــثُ بِمَكْـــرِهِ ... حَتَّـــىٰ يَـــضُمَّ لِنَفْخَـــةِ الْفَخْـــذَانِ

وَبَيَـــانُ ذَلِـــكَ صَـــوْتُهُ أَوْ رِيحُـــهُ ... هَاتَـــانِ بَيِّنَتَـــانِ صَـــادِقَتَانِ

وَالْغُسْلُ فَـــرْضٌ مِـــنْ ثَلاَثَـــةِ أَوْجُـــهٍ ... دَفْـــقُ الْمَنِـــيِّ وَحَيْـــضَةُ النِّسْوَانِ

إِنْزَالُـــهُ فِـــي نَوْمَـــةٍ أَوْ يَقْظَـــةٍ ... حَـــالاَنِ لِلتَّطْهِيـــرِ مُوجِبَتَـــانِ

وَتَطَهُّـــرُ الـــزَّوْجَيْنِ فَـــرْضٌ وَاجِـــبٌ ... عِنْـــدَ الْجِمَـــاعِ إِذَا الْتَقَـــىٰ الْفَرْجَـــانِ

فَكِلاَهُمَـــا إِنْ أَنْـــزَلاَ أَوْ أَكْـــسَلاَ ... فَهُمَـــا بِحُكْـــمِ الشَّـــرْعِ يَغْتَـــسِلاَنِ

وَاغْـــسِلْ إِذَا أَمْـــذَيْتَ فَرْجَـــكَ كُلَّـــهُ ... وَالأُنْثَيَـــانِ فَلَـــيْسَ يُفْتَرَضَـــانِ

وَالْحَـــيْضُ وَالنُّفَـــسَاءُ أَصْـــلٌ وَاحِـــدٌ ... عِنْـــدَ انْقِطَـــاعِ الـــدَّمِ يَغْتَـــسِلاَنِ

وَإِذَا أَعَـــادَتْ بَعْـــدَ شَـــهْرَيْنِ الـــدِّمَا ... تِلْـــكَ اسْتِحَاضَـــةُ بَعْـــدَ ذِي الـــشَّهْرَانِ

فَلْتَغْتَـــسِلْ لِـــصَلاَتِهَا وَصِـــيَامِهَا ... وَالْمُـــسْتَحَاضَةُ دَهْرُهَـــا نِـــصْفَانِ

فَالنِّـــصْفُ تَتْـــرُكُ صَـــوْمَهَا وَصَـــلاَتَهَا ... وَدَمُ الْمَحِـــيضِ وَغَيْـــرِهِ لَوْنَـــانِ

وَإِذَا صَـــفَا مِنْهَـــا وَأَشْـــرَقَ لَوْنُـــهُ ... فَـــصَلاَتُهَا وَالـــصَّوْمُ مُفْتَرَضَـــانِ

تَقْـــضِي الـــصِّيَامَ وَلاَ تُعِيـــدُ صَـــلاَتَهَا ... إِنَّ الـــصَّلاَةَ تَعُـــودُ كُـــلَّ زَمَـــانِ

فَالـــشَّرْعُ وَالْقُـــرْآنُ قَـــدْ حَكَمَـــا بِـــهِ ... بَـــيْنَ النِّـــسَاءِ فَلَـــيْسَ يُطَّرَحَـــانِ

وَمَتَـــىٰ تَـــرَىٰ النُّفَـــسَاءُ طُهْـــرًا تَغْتَـــسِلْ ... أَوْ لاَ فَغَايَـــةُ طُهْرِهَـــا شَـــهْرَانِ

مَـــسُّ النِّـــسَاءِ عَلَـــىٰ الرِّجَـــالِ مُحَـــرَّمٌ ... حَـــرَثُ الـــسِّبَاخِ خَـــسَارَةُ الْحِرَثَـــانِ

لاَ تَلْـــقَ رَبَّـــكَ سَـــارِقًا أَوْ خَائِنًـــا ... أَوْ شَـــارِبًا أَوْ ظَالِمًـــا أَوْ زَانِـــي

قُـــلْ إِنَّ رَجْـــمَ الـــزَّانِيينِ كِلَيْهِمَـــا ... فَـــرْضٌ إِذَا زَنَيَـــا عَلَـــىٰ الإِحْـــصَانِ

وَالـــرَّجْمُ فِـــي الْقُـــرْآنِ فَـــرْضٌ لاَزِمٌ ... لِلْمُحْـــصَنِينِ وَيُجْلَـــدُ الْبِكْـــرَانِ

وَالْخَمْـرُ يَحْـرُمُ بَيْعُهَـا وَشِـرَاؤُهَا ... سِـيَّانِ ذَلِـكَ عِنْـدَنَا سِـيَّانِ
فِـي الشَّرْعِ وَالْقُرْآنِ حُـرِّمَ شُـرْبُهَا ... وَكِلاَهُمَـا لاَ شَـكَّ مُتَّبَعَـانِ
أَيْقِـنْ بِأَشْـرَاطِ الْقِيَامَـةِ كُلِّهَـا ... وَاسْـمَعْ هُـدِيتَ نَـصِيحَتِي وَبَيَـانِي
كَالشَّمْسِ تَطْلُـعُ مِـنْ مَكَـانِ غُرُوبِهَـا ... وَخُـرُوجِ دَجَّـالٍ وَهَـوْلِ دُخَـانِ
وَخُـرُوجِ يَـأْجُوجٍ وَمَـأْجُوجٍ مَعًـا ... مِـنْ كُـلِّ صَـقْعٍ شَاسِـعٍ وَمَكَـانِ
وَنُـزُولِ عِيـسَىٰ قَـاتِلاً دَجَّـالَهُمْ ... يَقْـضِي بِحُكْـمِ الْعَـدْلِ وَالإِحْـسَانِ
وَاذْكُـرْ خُـرُوجَ فَـصِيلِ نَاقَـةِ صَـالِحٍ ... يَـسِمُ الْـوَرَىٰ بِـالْكُفْرِ وَالإِيمَـانِ
وَالْـوَحْيُ يُرْفَـعُ وَالـصَّلاَةُ مِـنَ الْـوَرَىٰ ... وَهُمَـا لِعِقْــدِ الـدِّينِ وَاسِـطَتَانِ
صَـلِّ الـصَّلاَةَ الْخَمْـسَ أَوَّلَ وَقْتِهَـا ... إِذْ كُـلُّ وَاحِـدَةٍ لَهَـا وَقْتَـانِ
قَـصْرُ الـصَّلاَةِ عَلَـىٰ الْمُـسَافِرِ وَاجِـبٌ ... وَأَقَـلُّ حَـدِّ الْقَـصْرِ مَرْحَلَتَـانِ
كِلْتَاهُمَـا فِـي أَصْـلِ مَـذْهَبِ مَالِـكٍ ... خَمْـسُونَ مِـيلاً نَقْـصُهَا مِـيلاَنِ
وَإِذَا الْمُـسَافِرُ غَـابَ عَـنْ أَبْيَاتِـهِ ... فَالْقَـصْرُ وَالإِفْطَـارُ مَفْعُـولاَنِ
وَصَـلاَةُ مَغْـرِبِ شَمْـسِنَا وَصَـبَاحِنَا ... فِـي الْحَـضَرِ وَالأَسْـفَارِ كَامِلَتَـانِ
وَالشَّمْسُ حِينَ تَزُولُ مِـنْ كَبِـدِ السَّمَا ... فَـالظُّهْرُ ثُـمَّ الْعَـصْرُ وَاجِبَتَـانِ
وَالظُّهْـرُ آخِـرُ وَقْتِهَـا مُتَعَلِّـقٌ ... بِالْعَـصْرِ وَالْوَقْتَـانِ مُـشْتَبِكَانِ
لاَ تَلْتَفِـتْ مَـا دُمْـتَ فِيهَـا قَائِمًـا ... وَاخْـشَعْ بِقَلْـبٍ خَـائِفٍ رَهْبَـانِ
وَكَـذَا الـصَّلاَةُ غُـرُوبَ شَـمْسِ نَهَارِنَـا ... وَعَـشَائِنَا وَقْتَـانِ مُتَّـصِلاَنِ
وَالـصُّبْحُ مُنْفَـرِدٌ بِوَقْـتٍ مُفْـرَدٍ ... لَكِـن لَهَـا وَقْتَـانِ مُفْـرَدَانِ
فَجْـرٌ وَإِسْـفَارٌ وَبَـيْنَ كِلَيْهِمَـا ... وَقْـتٌ لِكُـلِّ مُطَـوِّلٍ مُتَـوَانِ
وَارْقُـبْ طُلُـوعَ الْفَجْـرِ وَاسْـتَيْقِنْ بِـهِ ... فَـالْفَجْرُ عِنْـدَ شُـيُوخِنَا فَجْـرَانِ
فَجْـرٌ كَـذُوبٌ ثُـمَّ فَجْـرٌ صَـادِقٌ ... وَلَرُبَّمَـا فِـي الْعَـيْنِ يَـشْتَبِهَانِ

وَالظِّلُّ فِي الأَزْمَانِ مُخْتَلِفٌ كَمَا ... زَمَنُ الشِّتَا وَالصَّيْفِ مُخْتَلِفَانِ

فَاقْرَأْ إِذَا قَرَأَ الإِمَامُ مُخَافِتًا ... وَاسْكُتْ إِذَا مَا كَانَ ذَا إِعْلاَنِ

وَلِكُلِّ سَهْوٍ سَجْدَتَانِ فَصَلِّهَا ... قَبْلَ السَّلاَمِ وَبَعْدَهُ قَوْلاَنِ

سُنَنُ الصَّلاَةِ مُبَيَّنَةٌ وَفُرُوضُهَا ... فَاسْأَلْ شُيُوخَ الْفِقْهِ وَالإِحْسَانِ

فَرْضُ الصَّلاَةِ رُكُوعُهَا وَسُجُودُهَا ... مَا إِنْ تَخَالَفَ فِيهِمَا رَجُلاَنِ

تَحْرِيمُهَا تَكْبِيرُهَا وَحَلاَلُهَا ... تَسْلِيمُهَا وَكِلاَهُمَا فَرْضَانِ

وَالْحَمْدُ فَرْضٌ فِي الصَّلاَةِ قِرَاءتُهَا ... آيَاتُهَا سَبْعٌ وَهُنَّ مَثَانِي

فِي كُلِّ رَكْعَاتِ الصَّلاَةِ مُعَادَةٌ ... فِيهَا بِبَسْمَلَةٍ فَخُذْ تِبْيَانِي

وَإِذَا نَسِيتَ قِرَاءتَهَا فِي رَكْعَةٍ ... فَاسْتَوْفِ رَكْعَتَهَا بِغَيْرِ تَوَانِ

اتْبَعْ إِمَامَكَ خَافِضًا أَوْ رَافِعًا ... فَكِلاَهُمَا فِعْلاَنِ مَحْمُودَانِ

لاَ تَرْفَعَنْ قَبْلَ الإِمَامِ وَلاَ تَضَعْ ... فَكِلاَهُمَا أَمْرَانِ مَذْمُومَانِ

إِنَّ الشَّرِيعَةَ سُنَّةٌ وَفَرِيضَةٌ ... وَهُمَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ عِقْدَانِ

لَكِنْ أَذَانُ الصُّبْحِ عِنْدَ شُيُوخِنَا ... مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْفَجْرَانِ

هِيَ رُخْصَةٌ فِي الصُّبْحِ لاَ فِي غَيْرِهَا ... مِنْ أَجْلِ يَقْظَةِ غَافِلٍ وَسِنَانِ

أَحْسِنْ صَلاَتَكَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا ... بِتَطَمُّنٍ وَتَرَفُّقٍ وَتَدَانِ

لاَ تَدْخُلَنَّ إِلَى صَلاَتِكَ حَاقِنًا ... فَالاحْتِقَانُ يُخِلُّ بِالأَرْكَانِ

بَيِّتْ مِنَ اللَّيْلِ الصِّيَامَ بِنِيَّةٍ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَيَّزَ الْخَيْطَانِ

يُجْزِيكَ فِي رَمَضَانَ نِيَّةُ لَيْلَةٍ ... إِذْ لَيْسَ مُخْتَلِطًا بِعَقْدٍ ثَانِ

رَمَضَانُ شَهْرٌ كَامِلٌ فِي عقدِنَا ... مَا حَلَّهُ يَوْمٌ وَلاَ يَوْمَانِ

إِلاَّ الْمُسَافِرُ وَالْمَرِيضُ فَقَدْ أَتَى ... تَأْخِيرُ صَوْمِهِمَا لِوَقْتٍ ثَانِ

وَكَذَاكَ حَمْلٌ وَالرَّضَاعُ كِلاَهُمَا ... فِي فِطْرِهِ لِنِسَائِنَا عُذْرَانِ

عَجِّلْ بِفِطْرِكَ وَالسُّحُورُ مُؤَخَّرٌ ... فَكِلاَهُمَا أَمْرَانِ مَرْغُوبَانِ

حَصِّنْ صِيَامَكَ بِالسُّكُوتِ عَنِ الْخَنَا ... أَطْبِقْ عَلَى عَيْنَيْكَ بِالأَجْفَانِ

لاَ تَمْشِ ذَا وَجْهَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى ... شَرُّ الْبَرِيَّةِ مَنْ لَهُ وَجْهَانِ

لاَ تَحْسُدَنْ أَحَدًا عَلَى نَعْمَائِهِ ... إِنَّ الْحَسُودَ لِحُكْمِ رَبِّكَ شَانِ

لاَ تَسْعَ بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ نَمِيمَةً ... فَلأَجْلِهَا يَتَبَاغَضُ الْخِلاَّنِ

وَالْعَيْنُ حَقٌّ غَيْرُ سَابِقَةٍ لِمَا ... يُقْضَى مِنَ الأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ

وَالسِّحْرُ كُفْرٌ فِعْلُهُ لاَ عِلْمُهُ ... مِنْ هَاهُنَا يَتَفَرَّقُ الْحُكْمَانِ

وَالْقَتْلُ حَدُّ السَّاحِرِينَ إِذَا هُمُ ... عَمِلُوا بِهِ لِلْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ

وَتَحَرَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّهُ ... فَرْضٌ عَلَيْكَ وَطَاعَةُ السُّلْطَانِ

لاَ تَخْرُجَنَّ عَلَى الإِمَامِ مُحَارِبًا ... وَلَوْ انَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْحُبْشَانِ

وَمَتَى أُمِرْتَ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ ... فَاهْرَبْ بِدِينِكَ آخِرَ الْبُلْدَانِ

الدِّينُ رَأْسُ الْمَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ ... فَضَيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ

لاَ تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيبَةٍ ... لَوْ كُنْتَ فِي النُّسَّاكِ مِثْلَ بَنَانِ

إِنَّ الرِّجَالَ النَّاظِرِينَ إِلَى النِّسَا ... مِثْلُ الْكِلاَبِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ

إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللُّحُومَ أُسُودُهَا ... أُكِلَتْ بِلاَ عِوَضٍ وَلاَ أَثْمَانِ

لاَ تَقْبَلَنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَوَدَّةً ... فَقُلُوبُهُنَّ سَرِيعَةُ الْمَيَلاَنِ

لاَ تَتْرُكَنْ أَحَدًا بِأَهْلِكَ خَالِيًا ... فَعَلَى النِّسَاءِ تَقَاتَلَ الأَخَوَانِ

وَاغْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مُلاَحَظَةِ النِّسَا ... وَمَحَاسِنِ الأَحْدَاثِ وَالصِّبْيَانِ

لاَ تَجْعَلَنَّ طَلاَقَ أَهْلِكَ عُرْضَةً ... إِنَّ الطَّلاَقَ لأَخْبَثُ الأَيْمَانِ

إِنَّ الطَّلاَقَ مَعَ الْعَتَاقِ كِلاَهُمَا ... قَسَمَانِ عِنْدَ اللهِ مَمْقُوتَانِ

وَاحْفِرْ لِسِرِّكَ فِي فُؤَادِكَ مَلْحَدًا ... وَادْفِنْهُ فِي الأَحْشَاءِ أَيَّ دِفَانِ

إِنَّ الصَّدِيقَ مَعَ الْعَدُوِّ كِلاَهُمَا ... فِي السِّرِّ عِنْدَ أُولِي النُّهَى شَكْلاَنِ
لاَ يَبْدُو مِنْكَ إِلَى صَدِيقِكَ زَلَّةٌ ... وَاجْعَلْ فُؤَادَكَ أَوْثَقَ الْخِلاَّنِ
لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صِغَارَهَا ... وَالْقَطْرُ مِنْهُ تَدَفُّقُ الْخِلْجَانِ
وَإِذَا نَذَرْتَ فَكُنْ بِنَذْرِكَ مُوفِيًا ... فَالنَّذْرُ مِثْلُ الْعَهْدِ مَسْئُولاَنِ
لاَ تُشْغَلَنَّ بِعَيْبِ غَيْرِكَ غَافِلاً ... عَنْ عَيْبِ نَفْسِكَ إِنَّهُ عَيْبَانِ
لاَ تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِدَالِ مُخَاصِمًا ... إِنَّ الْجِدَالَ يُخِلُّ بِالأَدْيَانِ
وَاحْذَرْ مُجَادَلَةَ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا ... تَدْعُو إِلَى الشَّحْنَاءِ وَالشَّنْآنِ
وَإِذَا اضْطَرَرْتَ إِلَى الْجِدَالِ وَلَمْ تَجِد ... لَكَ مَهْرَبًا وَتَلاَقَتِ الصَّفَّانِ
فَاجْعَلْ كِتَابَ اللهِ دِرْعًا سَابِغًا ... وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ وَابْدُ فِي الْمَيْدَانِ
وَالسُّنَّةَ الْبَيْضَاءَ دُونَكَ جُنَّةً ... وَارْكَبْ جَوَادَ الْعَزْمِ فِي الْجَوَلاَنِ
وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى ... فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عُدَّةِ الإِنْسَانِ
وَاطْعَنْ بِرُمْحِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَانِدٍ ... للهِ دَرُّ الْفَارِسِ الطَّعَّانِ
وَاحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ ... مُتَجَرِّدٍ للهِ غَيْرِ جَبَانِ
وَاحْذَرْ بِجُهْدِكَ مَكْرَ خَصْمِكَ إِنَّهُ ... كَالثَّعْلَبِ الْبَرِّيِّ فِي الرَّوَغَانِ
أَصْلُ الْجِدَالِ مِنَ السُّؤَالِ وَفَرْعُهُ ... حُسْنُ الْجَوَابِ بِأَحْسَنِ التِّبْيَانِ
لاَ تَلْتَفِتْ عِنْدَ السُّؤَالِ وَلاَ تُعِدْ ... لَفْظَ السُّؤَالِ كِلاَهُمَا عَيْبَانِ
وَإِذَا غَلَبْتَ الْخَصْمَ لاَ تَهْزَأْ بِهِ ... فَالْعُجْبُ يُخْمِدُ جَمْرَةَ الإِحْسَانِ
فَلَرُبَّمَا انْهَزَمَ الْمُحَارِبُ عَامِدًا ... ثُمَّ انْثَنَى قَسْطًا عَلَى الْفُرْسَانِ
وَاسْكُتْ إِذَا وَقَعَ الْخُصُومُ وَقَعْقَعُوا ... فَلَرُبَّمَا أَلْقَوْكَ فِي بَحْرَانِ
وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْخُصُومُ لِدَهْشَةٍ ... فَاثْبُتْ وَلاَ تَنْكُلْ عَنِ الْبُرْهَانِ
فَإِذَا أَطَالُوا فِي الْكَلاَمِ فَقُلْ لَهُمْ ... إِنَّ الْبَلاَغَةَ لُجِمَتْ بِبَيَانِ

لا تَغْضَبَنَّ إِذَا سُئِلْتَ وَلا تَصِحْ ... فَكِلاهُمَا خُلُقَانِ مَذْمُومَانِ

وَاحْذَرْ مُنَاظَرَةً بِمَجْلِسِ خِيفَةٍ ... حَتَّى تُبَدَّلَ خِيفَةً بِأَمَانِ

نَاظِرْ أَدِيبًا مُنْصِفًا لَكَ عَاقِلاً ... وَانْصِفْهُ أَنْتَ بِحَسْبِ مَا تَرَيَانِ

وَيَكُونُ بَيْنَكُمَا حَكِيمٌ حَاكِمًا ... عَدْلاً إِذَا جِئْتَاهُ تَحْتَكِمَانِ

كُنْ طُولَ دَهْرِكَ سَاكِنًا مُتَوَاضِعًا ... فَهُمَا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ بَابَانِ

وَاخْلَعْ رِدَاءَ الْكِبْرِ عَنْكَ فَإِنَّهُ ... لا يَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ الْكَتِفَانِ

كُنْ فَاعِلاً لِلْخَيْرِ قَوَّالاً لَهُ ... فَالْقَوْلُ مِثْلُ الْفِعْلِ مُقْتَرِنَانِ

مِنْ غَوْثِ مَلْهُوفٍ وَشَبْعَةِ جَائِعٍ ... وَدِثَارِ عُرْيَانٍ وَفِدْيَةِ عَانِ

فَإِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ لا تَمْنُنْ بِهِ ... لا خَيْرَ فِي مُتَمَدِّحٍ مَنَّانِ

اشْكُرْ عَلَى النَّعْمَاءِ وَاصْبِرْ لِلْبَلاَ ... فَكِلاهُمَا خُلُقَانِ مَمْدُوحَانِ

لا تَشْكُوَنَّ بِعِلَّةٍ أَوْ قِلَّةٍ ... فَهُمَا لِعِرْضِ الْمَرْءِ فَاضِحَتَانِ

صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ بِالْقَنَاعَةِ إِنَّمَا ... صَوْنُ الْوُجُوهِ مُرُوءَةُ الْفِتْيَانِ

بِاللهِ ثِقْ وَلَهُ أَنِبْ وَبِهِ اسْتَعِنْ ... فَإِذَا فَعَلْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ مُعَانِ

وَإِذَا عَصَيْتَ فَتُبْ لِرَبِّكَ مُسْرِعًا ... حَذَرَ الْمَمَاتِ وَلا تَقُلْ لَمْ يَانِ

وَإِذَا ابْتُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا ... فَالْعُسْرُ فَرْدٌ بَعْدَهُ يُسْرَانِ

لا تَحْشُ بَطْنَكَ بِالطَّعَامِ تَسَمُّنًا ... فَجُسُومُ أَهْلِ الْعِلْمِ غَيْرُ سِمَانِ

لا تَتَّبِعْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ مُسْرِفًا ... فَاللهُ يُبْغِضُ عَابِدًا شَهْوَانِي

أَقْلِلْ طَعَامَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... نَفْعُ الْجُسُومِ وَصِحَّةُ الأَبْدَانِ

وَامْلِكْ هَوَاكَ بِضَبْطِ بَطْنِكَ إِنَّهُ ... شَرُّ الرِّجَالِ الْعَاجِزُ الْبَطْنَانِ

وَمَنِ اسْتَذَلَّ لِفَرْجِهِ وَلِبَطْنِهِ ... فَهُمَا لَهُ مَعَ ذَا الْهَوَى بَطْنَانِ

حِصْنُ التَّدَاوِي الْمَجَاعَةُ وَالظَّمَا ... وَهُمَا لِفَكِّ نُفُوسِنَا قَيْدَانِ

أَظْمِئْ نَهَارَكَ تُرْوَ فِي دَارِ الْعُلاَ ... يَوْمًا يَطُولُ تَلَهُّفُ الْعَطْشَانِ

حُسْنُ الْغِذَاءِ يَنُوبُ عَنْ شُرْبِ الدَّوَا ... سِيمَا مَعَ التَّقْلِيلِ وَالإِدْمَانِ

إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ الشَّدِيدَ عَلَى الدَّوَا ... فَلَرُبَّمَا أَفْضَى إِلَى الْخِذْلاَنِ

دَبِّرْ دَوَاءَكَ قَبْلَ شُرْبِكَ وَلْيَكُنْ ... مُتَآلِفَ الأَجْزَاءِ وَالأَوْزَانِ

وَتَدَاوَ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّى وَاحْتَجِمْ ... فَهُمَا لِدَائِكَ كُلِّهِ بُرْءَانِ

لاَ تَدْخُلِ الْحَمَّامَ شَبْعَانَ الْحَشَا ... لاَ خَيْرَ فِي الْحَمَّامِ لِلشَّبْعَانِ

وَالنَّوْمُ فَوْقَ السَّطْحِ مِنْ تَحْتِ السَّمَا ... يُفْنِي وَيُذْهِبُ نُضْرَةَ الأَبْدَانِ

لاَ تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِمَاعِ فَإِنَّهُ ... يَكْسُو الْوُجُوهَ بِحُلَّةِ الْيَرَقَانِ

احْذَرْكَ مِنْ نَفَسِ الْعَجُوزِ وَبُضْعِهَا ... فَهُمَا لِجِسْمِ ضَجِيعِهَا سُقْمَانِ

عَانِقْ مِنَ النِّسْوَانِ كُلَّ فَتِيَّةٍ ... أَنْفَاسُهَا كَرَوَائِحِ الرَّيْحَانِ

لاَ خَيْرَ فِي صُوَرِ الْمَعَازِفِ كُلِّهَا ... وَالرَّقْصِ وَالإِيقَاعِ فِي الْقُضْبَانِ

إِنَّ التَّقِيَّ لِرَبِّهِ مُتَنَزِّهٌ ... عَنْ صَوْتِ أَوْتَارٍ وَسَمْعِ أَغَانِ

وَتِلاَوَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ التُّقَى ... سِيمَا بِحُسْنِ شَجًا وَحُسْنِ بَيَانِ

أَشْهَى وَأَوْفَى لِلنُّفُوسِ حَلاَوَةً ... مِنْ صَوْتِ مِزْمَارٍ وَنَقْرِ مَثَانِ

وَحَنِينُهُ فِي اللَّيْلِ أَطْيَبُ مَسْمَعٍ ... مِنْ نَغْمَةِ النَّايَاتِ وَالْعِيدَانِ

اعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ زَاهِدًا ... فَالزُّهْدُ عِنْدَ أُولِي النُّهَى زُهْدَانِ

زُهْدٌ عَنِ الدُّنْيَا وَزُهْدٌ فِي الثَّنَا ... طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى لَهُ الزُّهْدَانِ

لاَ تَنْتَهِبْ مَالَ الْيَتَامَى ظَالِمًا ... وَدَعِ الرِّبَا فَكِلاَهُمَا فِسْقَانِ

وَاحْفَظْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَذِمَامَهُ ... وَلِكُلِّ جَارٍ مُسْلِمٍ حَقَّانِ

وَاضْحَكْ لِضَيْفِكَ حِينَ يُنْزِلُ رَحْلَهُ ... إِنَّ الْكَرِيمَ يُسَرُّ بِالضِّيفَانِ

وَاصِلْ ذَوِي الأَرْحَامِ مِنْكَ وَإِنْ جَفَوْا ... فَوِصَالُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْهِجْرَانِ

وَاصْدُقْ وَلا تَحْلِفْ بِرَبِّكَ كَاذِبًا   وَتَحَرَّ فِي كَفَّارَةِ الأَيْمَانِ

وَتَوَقَّ أَيْمَانَ الْغَمُوسِ فَإِنَّهَا   تَدَعُ الدِّيَارَ بِلاَقِعَ الْحِيطَانِ

حَدُّ النِّكَاحِ مِنَ الْحَرَائِرِ أَرْبَعٌ   فَاطْلُبْ ذَوَاتِ الدِّينِ وَالإِحْصَانِ

لاَ تَنْكِحَنَّ مُحِدَّةً فِي عِدَّةٍ   فَنِكَاحُهَا وَزِنَاؤُهَا شِبْهَانِ

عِدَدُ النِّسَاءِ لَهَا فَرَائِضُ أَرْبَعٌ   لَكِنْ يَضُمُّ جَمِيعَهَا أَصْلاَنِ

تَطْلِيقُ زَوْجٍ دَاخِلٍ أَوْ مَوْتُهُ   قَبْلَ الدُّخُولِ وَبَعْدَهُ سِيَّانِ

وَحُدُودُهُنَّ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْرُؤٍ   أَوْ أَشْهُرٍ وَكِلاَهُمَا جِسْرَانِ

وَكَذَاكَ عِدَّةُ مَنْ تُوُفِّيَ زَوْجُهَا   سَبْعُونَ يَوْمًا بَعْدَهَا شَهْرَانِ

عِدَدُ الْحَوَامِلِ مِنْ طَلاَقٍ أَوْ قَنًا   وَضْعُ الأَجِنَّةِ صَارِخًا أَوْ فَانِي

وَكَذَاكَ حُكْمُ السِّقْطِ فِي إِسْقَاطِهِ   حُكْمُ التَّمَامِ كِلاَهُمَا وَضْعَانِ

مَنْ لَمْ تَحِضْ أَوْ مَنْ تَقَلَّصَ حَيْضُهَا   قَدْ صَحَّ فِي كِلْتَيْهِمَا الْعِدَدَانِ

كِلْتَاهُمَا تَبْقَى ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ   حُكْمَاهُمَا فِي النَّصِّ مُسْتَوِيَانِ

عِدَدُ الْجِوَارِ مِنَ الطَّلاَقِ بِحَيْضَةٍ   وَمِنَ الْوَفَاةِ الْخَمْسُ وَالشَّهْرَانِ

فَبِطَلْقَتَيْنِ تَبِينُ مِن زَوْجٍ لَهَا   لاَ رَدَّ إِلاَّ بَعْدَ زَوْجٍ ثَانِي

وَكَذَا الْحَرَائِرُ فَالثَّلاَثُ تُبِينُهَا   فَيُحِلُّ تِلْكَ وَهَذِهِ زَوْجَانِ

فَلْتَنْكِحَا زَوْجَيْهِمَا عَنْ غِبْطَةٍ   وَرِضًا بِلاَ دَلْسٍ وَلاَ عِصْيَانِ

حَتَّى إِذَا امْتَزَجَ النِّكَاحُ بِدَلْسَةٍ   فَهُمَا مَعَ الزَّوْجَيْنِ زَانِيَتَانِ

إِيَّاكَ وَالتَّيْسَ الْمُحَلِّلَ إِنَّهُ   وَالْمُسْتَحِلُّ لِرَدِّهَا تَيْسَانِ

لَعَنَ النَّبِيُّ مُحَلِّلاً وَمُحَلَّلاً   فَكِلاَهُمَا فِي الشَّرْعِ مَلْعُونَانِ

لاَ تَضْرِبَنْ أَمَةً وَلاَ عَبْدًا جَنَى   فَكِلاَهُمَا بِيَدَيْكَ مَأْسُورَانِ

اعْرِضْ عَنِ النِّسْوَانِ جُهْدَكَ وَانْتَدِبْ   لِعِنَاقِ خَيْرَاتٍ هُنَاكَ حِسَانِ

فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا ... مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ

أَنْهَارُهَا تَجْرِي لَهُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ ... مَحْفُوفَةٌ بِالنَّخْلِ وَالرُّمَّانِ

غُرُفَاتُهَا مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... وَقُصُورُهَا مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ

قُصِرَتْ بِهَا لِلْمُتَّقِينَ كَوَاعِبًا ... شُبِّهْنَ بِالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ

بِيضُ الْوُجُوهِ شُعُورُهُنَّ حَوَالِكٌ ... حُمْرُ الْخُدُودِ عَوَاتِقُ الأَجْفَانِ

فُلْجُ الثُّغُورِ إِذَا ابْتَسَمْنَ ضَوَاحِكًا ... هِيفُ الْخُصُورِ نَوَاعِمُ الأَبْدَانِ

خُضْرُ الثِّيَابِ ثُدِيُّهُنَّ نَوَاهِدٌ ... صُفْرُ الْحُلِيِّ عَوَاطِرُ الأَرْدَانِ

طُوبَىٰ لِقَوْمٍ هُنَّ أَزْوَاجٌ لَهُمْ ... فِي دَارِ عَدْنٍ فِي مَحَلِّ أَمَانِ

يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذٍ شُرْبُهَا ... بِأَنَامِلِ الْخُدَّامِ وَالْوِلْدَانِ

لَوْ تَنْظُرِ الْحَوْرَاءَ عِنْدَ وَلِيِّهَا ... وَهُمَا فُوَيْقَ الْفُرْشِ مُتَّكِئَانِ

يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ فِي أَيْدِيهِمَا ... وَهُمَا بِلَذَّةِ شُرْبِهَا فَرِحَانِ

وَلَرُبَّمَا تُسْقِيهِ كَأْسًا ثَانِيًا ... وَكِلاَهُمَا بِرُضَابِهَا حُلْوَانِ

يَتَحَدَّثَانِ عَلَىٰ الأَرَائِكِ خَلْوَةً ... وَهُمَا بِثَوْبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلاَنِ

أَكْرِمْ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَأَهْلِهَا ... إِخْوَانُ صِدْقٍ أَيُّمَا إِخْوَانِ

جِيرَانُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحِزْبُهُ ... أَكْرِمْ بِهِمْ فِي صَفْوَةِ الْجِيرَانِ

هُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَهُ وَيَرَوْنَهُ ... وَالْمُقْلَتَانِ إِلَيْهِ نَاظِرَتَانِ

وَعَلَيْهِمُ فِيهَا مَلاَبِسُ سُنْدُسٍ ... وَعَلَىٰ الْمَفَارِقِ أَحْسَنُ التِّيجَانِ

تِيجَانُهُمْ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... أَوْ فِضَّةٍ مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ

وَخَوَاتِمٍ مِنْ عَسْجَدٍ وَأَسَاوِرٍ ... مِنْ فِضَّةٍ كُسِيَتْ بِهَا الزَّنْدَانِ

وَطَعَامُهُمْ مِنْ لَحْمِ طَيْرٍ نَاعِمٍ ... كَالْبُخْتِ يُطْعَمُ سَائِرَ الأَلْوَانِ

وَصِحَافُهُم ذَهَبٌ وَدُرٌّ فَائِقٌ ... سَبْعُونَ أَلْفًا فَوْقَ أَلْفِ خِوانِ

إِنْ كُنْتَ مُشْتَاقًا لَهَا كَلِفًا بِهَا ... شَوْقَ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَةِ الأَوْطَانِ

كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ فَرُبَّمَا ... تُجْزَىٰ عَنِ الإِحْسَانِ بِالإِحْسَانِ

وَاعْمَلْ لِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَطِيبِهَا ... فَنَعِيمُهَا يَبْقَىٰ وَلَيْسَ بِفَانِ

أَدِمِ الصِّيَامَ مَعَ الْقِيَامِ تَعَبُّدًا ... فَكِلاَهُمَا عَمَلاَنِ مَقْبُولاَنِ

قُمْ فِي الدُّجَىٰ وَاتْلُ الْكِتَابَ وَلاَ تَنَمْ ... إِلاَّ كَنَوْمَةِ حَائِرٍ وَلْهَانِ

فَلَرُبَّمَا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ بَغْتَةً ... فَتُسَاقُ مِنْ فُرُشٍ إِلَىٰ الأَكْفَانِ

يَا حَبَّذَا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَىٰ ... مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِيَتَانِ

لاَ تَقْذِفَنَّ الْمُحْصَنَاتِ وَلاَ تَقُلْ ... مَا لَيْسَ تَعْلَمُهُ مِنَ الْبُهْتَانِ

لاَ تَدْخُلَنَّ بُيُوتَ قَوْمٍ حُضَّرٍ ... إِلاَّ بِنَحْنَحَةٍ أَوِ اسْتِئْذَانِ

لاَ تَجْزَعَنَّ إِذَا دَهَتْكَ مُصِيبَةٌ ... إِنَّ الصَّبُورَ ثَوَابُهُ ضِعْفَانِ

فَإِذَا ابْتُلِيتَ بِنَكْبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا ... اللهُ حَسْبِي وَحْدَهُ وَكَفَانِي

وَعَلَيْكَ بِالْفِقْهِ الْمُبَيِّنِ شَرْعَنَا ... وَفَرَائِضِ الْمِيرَاثِ وَالْقُرْآنِ

عِلْمُ الْحِسَابِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ ... عِلْمَانِ مَطْلُوبَانِ مُتَّبَعَانِ

لَوْلاَ الْفَرَائِضُ ضَاعَ مِيرَاثُ الْوَرَىٰ ... وَجَرَىٰ خِصَامُ الْوُلْدِ وَالشِّيبَانِ

لَوْلاَ الْحِسَابُ وَضَرْبُهُ وَكُسُورُهُ ... لَمْ يَنْقَسِمْ سَهْمٌ وَلاَ سَهْمَانِ

لاَ تَلْتَمِسْ عِلْمَ الْكَلاَمِ فَإِنَّهُ ... يَدْعُو إِلَىٰ التَّعْطِيلِ وَالْهَيَمَانِ

لاَ يَصْحَبِ الْبِدْعِيُّ إِلاَّ مِثْلَهُ ... تَحْتَ الدُّخَانِ تَأَجُّجُ النِّيرَانِ

عِلْمُ الْكَلاَمِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ ... يَتَغَايَرَانِ وَلَيْسَ يَشْتَبِهَانِ

أَخَذُوا الْكَلاَمَ عَنِ الْفَلاَسِفَةِ الأُلَىٰ ... جَحَدُوا الشَّرَائِعَ غِرَّةً وَأَمَانِ

حَمَلُوا الأُمُورَ عَلَىٰ قِيَاسِ عُقُولِهِمْ ... فَتَبَلَّدُوا كَتَبَلُّدِ الْحَيْرَانِ

مُرْجِيُّهُمْ يُزْرِي عَلَىٰ قَدَرِيِّهِمْ ... وَالْفِرْقَتَانِ لَدَيَّ كَافِرَتَانِ

وَيَسُبُّ مُخْتَارِيُّهُمْ دَوْرِيَّهُمْ ... وَالْقَرْمَطِيُّ مُلاَعِنُ الرُّفْضَانِ

وَيَعِيبُ كَرَّامِيُّهُمْ وَهْبِيَّهُم ... وَكِلاَهُمَا يَرْوِي عَنِ ابْنِ أَبَانِ

لِحِجَاجِهِمْ شُبَهٌ تُخَالُ وَرَوْنَقٌ ... مِثْلُ السَّرَابِ يَلُوحُ لِلظَّمْآنِ

دَعْ أَشْعَرِيَّهُمُ وَمُعْتَزِلِيَّهُم ... يَتَنَاقَرُونَ تَنَاقُرَ الغِرْبَانِ

كُلٌّ يَقِيسُ بِعَقْلِهِ سُبُلَ الْهُدَىٰ ... وَيَتِيهُ تَيْهَ الْوَالِهِ الْهَيْمَانِ

فَاللهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ ... وَلَهُ الثَّنَا مِنْ قَوْلِهِمْ بَرَانِي

مَنْ قَاسَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ فِي عَقْلِهِ ... قَذَفَتْ بِهِ الأَهْوَاءُ فِي غُدْرَانِ

لاَ تَفْتَكِرْ فِي ذَاتِ رَبِّكَ وَاعْتَبِرْ ... فِيمَا بِهِ يَتَصَرَّفُ الْمَلَوَانِ

وَاللهُ رَبِّي مَا تُكَيَّفُ ذَاتُهُ ... بِخَوَاطِرِ الأَوْهَامِ وَالأَذْهَانِ

أَمْرِرْ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ كَمَا أَتَتْ ... مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلاَ هَذَيَانِ

هُوَ مَذْهَبُ الزُّهْرِي وَوَافَقَ مَالِكٌ ... وَكِلاَهُمَا فِي شَرْعِنَا عَلَمَانِ

للهِ وَجْهٌ لاَ يُحَدُّ بِصُورَةٍ ... وَلِرَبِّنَا عَيْنَانِ نَاظِرَتَانِ

وَلَهُ يَدَانِ كَمَا يَقُولُ إِلَهُنَا ... وَيَمِينُهُ جَلَّتْ عَنِ الأَيْمَانِ

كِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ وَصْفُهَا ... وَهُمَا عَلَىٰ الثَّقَلَيْنِ مُنْفِقَتَانِ

كُرْسِيُّهُ وَسِعَ السَّمَوَاتِ الْعُلاَ ... وَالأَرْضَ وَهْوَ يَعُمُّهُ الْقَدَمَانِ

وَاللهُ يَضْحَكُ لاَ كَضِحْكِ عَبِيدِهِ ... وَالْكَيْفُ مُمْتَنِعٌ عَلَىٰ الرَّحْمَنِ

وَاللهُ يَنْزِلُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... لِسَمَائِهِ الدُّنْيَا بِلاَ كِتْمَانِ

فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبَهُ ... فَأَنَا الْقَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي

حَاشَا الإِلَهَ بِأَنْ تُكَيَّفَ ذَاتُهُ ... فَالْكَيْفُ وَالتَّمْثِيلُ مُنْتَفِيَانِ

وَالأَصْلُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ... شَيْءٌ تَعَالَىٰ الرَّبُّ ذُو الإِحْسَانِ

وَحَدِيثُهُ الْقُرْآنُ وَهْوَ كَلاَمُهُ ... صَوْتٌ وَحَرْفٌ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

لَسْنَا نُشَبِّهُ رَبَّنَا بِعِبَادِهِ ... رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَشْتَبِهَانِ

فَالصَّوْتُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ تَجْسِيمَهُ ... إِذْ كَانَتِ الصِّفَتَانِ تَخْتَلِفَانِ

حَرَكَاتُ أَلْسُنِنَا وَصَوْتُ حُلُوقِنَا ... مَخْلُوقَةٌ وَجَمِيعُ ذَلِكَ فَانِي

وَكَمَا يَقُولُ اللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ ... حَيًّا وَلَيْسَ كَسَائِرِ الْحَيَوَانِ

وَحَيَاةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ صِفَةً لَهُ ... سُبْحَانَهُ مِنْ كَامِلٍ ذِي الشَّانِ

وَكَذَاكَ صَوْتُ إِلَهِنَا وَنِدَاؤُهُ ... حَقًّا أَتَىٰ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

وَحَيَاتُنَا بِحَرَارَةٍ وَبُرُودَةٍ ... وَاللهُ لا يُعْزَىٰ لَهُ هَذَانِ

وَقِوَامُهَا بِرُطُوبَةٍ وَيُبُوسَةٍ ... ضِدَّانِ أَزْوَاجٌ هُمَا ضِدَّانِ

سُبْحَانَ رَبِّي عَنْ صِفَاتِ عِبَادِهِ ... أَوْ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا جُسْدَانِي

إِنِّي أَقُولُ فَأَنْصِتُوا لِمَقَالَتِي ... يَا مَعْشَرَ الْخُلَطَاءِ وَالإِخْوَانِ

إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثْبَتٌ ... بِأَنَامِلِ الأَشْيَاخِ وَالشُّبَّانِ

هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وَحُرُوفُهُ ... وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ

مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ ضِدَّ مَقَالَتِي ... فَالْعَنْهُ كُلَّ إِقَامَةٍ وَأَذَانِ

هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ حَقِيقَةً ... أَيْقِنْ بِذَلِكَ أَيَّمَا إِيقَانِ

وَكَذَا الْحُرُوفُ الْمُسْتَقِرُّ حِسَابُهَا ... عِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَهُنَّ ثَمَانِي

هِيَ مِنْ كَلامِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ ... حَقًّا وَهُنَّ أُصُولُ كُلِّ بَيَانِ

حَاءٌ وَمِيمٌ قَوْلُ رَبِّي وَحْدَهُ ... مِنْ غَيْرِ أَنْصَارٍ وَلا أَعْوَانِ

مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ مَا قَدْ قَالَهُ ... عَبْدُ الْجَلِيلِ وَشِيعَةُ اللَّحْيَانِ

فَقَدِ افْتَرَىٰ كَذِبًا وَإِثْمًا وَاقْتَدَىٰ ... بِكِلابِ كَلْبٍ مَعَرَّةِ النُّعْمَانِ

خَالَطْتُهم حِينًا فَلَوْ عَاشَرْتُهُم ... لَضَرَبْتُهُم بِصَوَارِمِي وَلِسَانِي

تَعِسَ الْعَمِيُّ أَبُو الْعَلاءِ فَإِنَّهُ ... قَدْ كَانَ مَجْمُوعًا لَهُ الْعَمَيَانِ

وَلَقَدْ نَظَمْتُ قَصِيدَتَيْنِ بِهَجْوِهِ | أَبْيَاتُ كُلِّ قَصِيدَةٍ مِئَتَانِ
وَالآنَ أَهْجُو الأَشْعَرِيَّ وَحِزْبَهُ | وَأُذِيعُ مَا كَتَمُوا مِنَ الْبُهْتَانِ
يَا مَعْشَرَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَدَوْتُمُ | عُدْوَانَ أَهْلِ السَّبْتِ فِي الْحِيتَانِ
كَفَّرْتُمُ أَهْلَ الشَّرِيعَةِ وَالْهُدَىٰ | وَطَعَنْتُمُ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
فَلأَنْصُرَنَّ الْحَقَّ حَتَّىٰ أَنَّنِي | أَسْطُو عَلَىٰ سَادَاتِكُمْ بِطِعَانِي
اللهُ صَيَّرَنِي عَصَا مُوسَىٰ لَكُمْ | حَتَّىٰ تَلَقَّفَ إِفْكَكُمْ ثُعْبَانِي
بِأَدِلَّةِ الْقُرْآنِ أُبْطِلُ سِحْرَكُمْ | وَبِهِ أُزَلْزِلُ كُلَّ مَنْ لاَقَانِي
هُوَ مَلْجَئِي هُوَ مَدْرَئِي هُوَ مُنْجِنِي | مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ خَوَّانِ
إِنْ حَلَّ مَذْهَبُكُمْ بِأَرْضٍ أَجْدَبَتْ | أَوْ أَصْبَحَتْ قَفْرًا بِلاَ عُمْرَانِ
وَاللهُ صَيَّرَنِي عَلَيْكُم نِقْمَةً | وَلَهُتْكِ سِتْرِ جَمِيعِكُمْ أَبْقَانِي
أَنَا فِي حُلُوقِ جَمِيعِهِم عُودُ الشَّجَا | أَعْيَا أَطِبَّتَكُمْ غُمُوضُ مَكَانِي
أَنَا حَيَّةُ الْوَادِي أَنَا أَسَدُ الشَّرَىٰ | أَنَا مُرْهِفٌ مَاضِي الْغِرَارِ يَمَانِي
بَيْنَ ابْنِ حَنْبَلَ وَابْنِ إِسْمَاعِيلِكُم | سَخَطٌ يُذِيقُكُمُ الْحَمِيمَ الآنِي
دَارَيْتُم عِلْمَ الْكَلاَمِ تَشَزُّرًا | وَالْفِقْهُ لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ يَدَانِ
الْفِقْهُ مُفْتَقِرٌ لِخَمْسِ دَعَائِمٍ | لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا لَكُمْ ثِنْتَانِ
حِلْمٌ وَاتِّبَاعٌ لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ | وَتُقَىٰ وَكَفُّ أَذَىٰ وَفَهْمُ مَعَانِ
آثَرْتُمُ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَدْيَانِكُمْ | لاَ خَيْرَ فِي دُنْيَا بِلاَ أَدْيَانِ
وَفَتَحْتُمُ أَفْوَاهَكُم وَبُطُونَكُم | فَبَلَغْتُمُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تَوَانِ
كَذَّبْتُمُ أَقْوَالَكُمْ بِفِعَالِكُمْ | وَحَمَلْتُمُ الدُّنْيَا عَلَىٰ الأَدْيَانِ
قُرَّاؤُكُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فُقَهَاءَكُمْ | فِئَتَانِ لِلرَّحْمَنِ عَاصِيَتَانِ
يَتَكَالَبَانِ عَلَىٰ الْحَرَامِ وَأَهْلِهِ | فِعْلَ الْكِلاَبِ بِجِيفَةِ اللُّحْمَانِ

يَا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعرْتُم أَنَّنِي … رَمَدُ الْعُيُونِ وَحَكَّةُ الأَجْفَانِ

أَنَا فِي كُبُودِ الأَشْعَرِيَّةِ قُرْحَةٌ … أَرْبُو فَأَقْتُلُ كُلَّ مَنْ بِشنانِي

وَلَقَدْ بَرَزْتُ إِلَىٰ كِبَارِ شُيُوخِكُمْ … فَصَرَفْتُ مِنْهُم كُلَّ مَن نَاوَانِي

وَقَلَبْتُ أَرضَ حِجَاجِهِم وَنَثَرْتُهَا … فَوَجَدتُهَا قَوْلاً بِلاَ بُرْهَانِ

وَاللهُ أَيَّدَنِي وَثَبَّتَ حُجَّتِي … وَاللهُ مِن شُبُهَاتِهِمْ نَجَّانِي

وَالْحَمْدُ للهِ الْمُهَيْمِنِ دَائِمًا … حَمْدًا يُلَقِّحُ فِطنَتِي وَجَنَانِي

أَحَسِبْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي … مِمَّنْ يُقَعْقِعُ خَلْفَهُ بِشنَانِ

أَتُسْتَرُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ بِالسُّهَا … أَمْ هَلْ يُقَاسُ الْبَحْرُ بِالْخُلْجَانِ؟

عَمْرِي لَقَدْ فَتَّشْتُكُم فَوَجَدتُكُم … حُمُرًا بِلاَ عَتَنٍ وَلاَ أَرْسَانِ

أَحْضَرْتُكُم وَحَشَرْتُكُم وَقَصَدتُكُم … وَكَسَرْتُكُم كَسْرًا بِلاَ جُبْرَانِ

أَزَعَمْتُم أَنَّ الْقُرَانَ عِبَارَةٌ … فَهُمَا كَمَا تَحْكُون قُرْآنَانِ

إِيمَانُ جِبْرِيلَ وَإِيمَانُ الَّذِي … رَكِبَ الْمَعَاصِيَ عِنْدَكُم سِيَّانِ

هَذَا الْجُوَيْهِرُ وَالْعُرَيْضُ بِزَعْمِكُم … أَهُمَا لِمَعْرِفَةِ الْهُدَىٰ أَصْلاَنِ؟

مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعرِفهُمَا … وَأَقَرَّ بِالإِسْلاَمِ وَالْفُرْقَانِ

أَفَمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدكُم أم كَافِرٌ … أَمْ عَاقِلٌ أَمْ جَاهِلٌ أَمْ وَانِي

عَطَّلْتُمُ السَّبعَ السَّمَوَاتِ الْعُلاَ … وَالْعَرْشَ أَخْلَيْتُم مِنَ الرَّحْمَنِ

وزَعَمْتُمُ أَنَّ الْبَلاَغَ لأَحْمَدٍ … فِي آيَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ

هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَخَارِفُ وَالْهَوَىٰ … وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ الشَّيْطَانِي

سَمَّيْتُمُ عِلْمَ الأُصُولِ ضَلاَلَةً … كَاسْمِ النَّبِيذِ لِخَمْرَةِ الأَدْنَانِ

وَنَعَت مَحَارِمُكُم عَلىٰ أَمْثَالِكُمْ … وَاللهُ عَنْهَا صَانَنِي وَحَمَانِي

إِنِّي اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ شَرْعِ مُحَمَّدٍ … وَعَضَضْتُهُ بِنَوَاجِذِ الأَسْنَانِ

أَشْعَرْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي ... طُوفَانُ بَحْرٍ أَيَّمَا طُوفَانِ

أَنَا هَمُّكُمْ أَنَا غَمُّكُم أَنَا سُقْمُكُم ... أَنَا سُمُّكُم فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ

أَذْهَبْتُمُ نُورَ الْقُرَانِ وَحُسْنَهُ ... مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَالِهٍ لَهْفَانِ

فَوَحَقِّ جَبَّارٍ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ... مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ كَقَوْلِ الْجَانِي

وَوَحَقِّ مَنْ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالْهُدَى ... بِمُحَمَّدٍ فَزَهَا بِهِ الْحَرَمَانِ

لأُقَطِّعَنَّ بِمِعْوَلِي أَعْرَاضَكُم ... مَا دَامَ يَصْحَبُ مُهْجَتِي جُثْمَانِي

وَلأَهْجُوَنَّكُمُ وَأَثْلِبُ حِزْبَكُم ... حَتَّى تُغَيِّبَ جُثَّتِي أَكْفَانِي

وَلأَهْتِكَنَّ بِمَنْطِقِي أَسْتَارَكُمْ ... حَتَّى أُبَلِّغَ قَاصِيًا أَوْ دَانِي

وَلأَهْجُوَنَّ صَغِيرَكُم وَكَبِيرَكُمْ ... غَيْظًا لِمَنْ قَدْ سَبَّنِي وَهَجَانِي

وَلأَنْزِلَنَّ بِكُمْ أَلِيمَ صَوَاعِقِي ... وَلَتُخْرِقَنَّ كُبُودَكُم نِيرَانِي

وَلأَقْطَعَنَّ بِسَيْفِ حَقِّي زُورَكُم ... وَلَيُخْمِدَنَّ شُوَاظَكُم طُوفَانِي

وَلأَقْصِدَنَّ اللهَ فِي خِذْلاَنِكُمْ ... وَلَيَمْنَعَنَّ جَمِيعَكُم خِذْلاَنِي

وَلأَحْمِلَنَّ عَلَى عُتَاةِ طُغَاتِكُم ... حَمْلَ الأُسُودِ عَلَى قَطِيعِ الضَّانِ

وَلأَرْمِيَنَّكُمُ بِصَخْرِ مَجَانِقِي ... حَتَّى يُهَدَّ عُتُوَّكُمْ سُلْطَانِي

وَلأَكْتُبَنَّ إِلَى الْبِلاَدِ بِسَبِّكُم ... فَيَسِيرُ سَيْرَ الْبُزْلِ بِالرُّكْبَانِ

وَلأَدْحَضَنَّ بِحُجَّتِي شُبُهَاتِكُمْ ... حَتَّى يُغَطِّي جَهْلَكُم عِرْفَانِي

وَلأَغْضَبَنَّ لِقَوْلِ رَبِّي فِيكُمُ ... غَضَبَ النُّمُورِ وَجُمْلَةِ الْعُقْبَانِ

وَلأَضْرِبَنَّكُمُ بِصَارِمِ مِقْوَلِي ... ضَرْبًا يُزَعْزِعُ أَنْفُسَ الشُّجْعَانِ

وَلأَسْعَطَنَّ مِنَ الْفُضُولِ أُنُوفَكُمْ ... سَعْطًا يُعَطِّسُ مِنْهُ كُلُّ جَبَانِ

إِنِّي بِحَمْدِ اللهِ عِنْدَ قِتَالِكُم ... لَمُحْكَمٌ فِي الْحَرْبِ ثَبْتُ جَنَانِ

وَإِذَا ضَرَبْتُ فَلاَ تَخِيبُ مَضَارِبِي ... وَإِذَا طَعَنْتُ فَلاَ يَرُوغُ طِعَانِي

وَإِذَا حَمَلْتُ عَلَى الْكَتِيبَةِ مِنْكُم   مَزَّقْتُهَا بِلَوَامِعِ الْبُرْهَانِ

الشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ أَكْبَرُ عُدَّتِي   فَهُمَا لِقَطْعِ حِجَاجِكُم سَيْفَانِ

ثَقُلاَ عَلَى أَبْدَانِكُم وَرُءُوسِكُم   فَهُمَا لِكَسْرِ رُءُوسِكُم حَجَرَانِ

إِنْ أَنْتُمُ سَالَمْتُمُ سُولِمْتُمُ   وَسَلِمْتُمُ مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلاَنِ

وَلَئِنْ أَبَيْتُم وَاعْتَدَيْتُم فِي الْهَوَى   فَنِضَالُكُم فِي ذِمَّتِي وَضَمَانِي

يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا أَسَافِلَةَ الْوَرَى   يَا عُمْيُ يَا صُمٌّ بِلاَ آذَانِ

إِنِّي لأُبْغِضُكُم وَأُبْغِضُ حِزْبَكُم   بُغْضًا أَقَلُّ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي

لَوْ كُنْتُ أَعْمَى الْمُقْلَتَيْنِ لَسَرَّنِي   كَيْلاَ يَرَى إِنْسَانُكُمْ إِنْسَانِي

تَغْلِي قُلُوبُكُم عَلَيَّ بِحَرِّهَا   حَنَقًا وَغَيْظًا أَيَّمَا غَلَيَانِ

مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ وَمُوتُوا حَسْرَةً   وَأَسًى عَلَيَّ وَعَضُّوا كُلَّ بَنَانِ

قَدْ عِشْتُ مَسْرُورًا وَمُتُّ مخفَّرا   وَلَقِيتُ رَبِّي سَرَّنِي وَرَعَانِي

وَأَبَاحَنِي جَنَّاتِ عَدْنٍ آمِنًا   وَمِنَ الْجَحِيمِ بِفَضْلِهِ عَافَانِي

وَلَقِيتُ أَحْمَدَ فِي الْجِنَانِ وَصَحْبَهُ   وَالْكُلُّ عِنْدَ لِقَائِهِمْ أَدْنَانِي

لَمْ أَدَّخِرْ عَمَلاً لِرَبِّي صَالِحًا   لَكِن بِإِسْخَاطِي لَكُم أَرْضَانِي

أَنَا تَمْرَةُ الأَحْبَابِ حَنْظَلَةُ الْعِدَا   أَنَا غُصَّةٌ فِي حَلْقِ مَنْ عَادَانِي

وَأَنَا الْمُحِبُّ لأَهْلِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ   وَأَنَا الأَدِيبُ الشَّاعِرُ الْقَحْطَانِي

سَلْ عَن بَنِي قَحْطَانَ كَيْفَ فِعَالُهُم   يَوْمَ الْهِيَاجِ إِذَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ

سَلْ كَيْفَ نَثْرُهُمُ الْكَلاَمَ وَنَظْمُهُم   وَهُمَا لَهُم سَيْفَانِ مَسْلُولاَنِ

نَصَرُوا بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ سُلَّقٍ   مِثْلَ الأَسِنَّةِ شُرِّعَتْ لِطِعَانِ

سَلْ عَنْهُمُ عِنْدَ الْجِدَالِ إِذَا الْتَقَى   مِنْهُم وَمِنْ أَضْدَادِهِمْ خَصْمَانِ؟

نَحْنُ الْمُلُوكُ بَنُو الْمُلُوكِ وِرَاثَةً   أُسْدُ الْحُرُوبِ وَلاَ النِّسَا بِزَوَانِ

يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا جَمِيعُ مَنِ ادَّعَىٰ ... بِدَعًا وَأَهْوَاءً بِلاَ بُرْهَانِ
جَاءَتْكُمُ سُنِّيَّةٌ مَأْمُونَةٌ ... مِنْ شَاعِرٍ ذَرِبِ اللِّسَانِ مَعَانِ
خَرَزُ الْقَوَافِي بِالْمَدَائِحِ وَالْهِجَا ... فَكَأَنَّ جُمْلَتَهَا لَدَيَّ عَوَانِي
يَهْوِي فَصِيحُ الْقَوْلِ مِن لَهَوَاتِهِ ... كَالصَّخْرِ يَهْبِطُ مِنْ ذُرَا كَهْلاَنِ
إِنِّي قَصَدْتُ جَمِيعَكُم بِقَصِيدَةٍ ... هَتَكَتْ سُتُورَكُمُ عَلَىٰ الْبُلْدَانِ
هِيَ لِلرَّوَافِضِ دِرَّةٌ عُمَرِيَّةٌ ... تَرَكَتْ رُءُوسَهُمُ بِلاَ آذَانِ
هِيَ لِلْمُنَجِّمِ وَالطَّبِيبِ مَنِيَّةٌ ... فَكِلاَهُمَا مُلْقَانِ مُخْتَلِفَانِ
هِيَ فِي رُءُوسِ الْمَارِقِينَ شَقِيقَةٌ ... ضُرِبَتْ لِفَرْطِ صِدَاعِهَا الصُّدْغَانِ
هِيَ فِي قُلُوبِ الأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِم ... صَابٌ وَفِي الأَجْسَادِ كَالسَّعْدَانِ
لَكِن لأَهْلِ الْحَقِّ شَهْدٌ صَافِيًا ... أَوْ تَمْرُ يَثْرِبَ ذَلِكَ الصَّيْحَانِي
وَأَنَا الَّذِي حَبَّرْتُهَا وَجَعَلْتُهَا ... مَنْظُومَةً كَقَلاَئِدِ الْمَرْجَانِ
وَنَصَرْتُ أَهْلَ الْحَقِّ مَبْلَغَ طَاقَتِي ... وَصَفَعْتُ كُلَّ مُخَالِفٍ صَفْعَانِ
مَعَ أَنَّهَا جَمَعَتْ عُلُومًا جَمَّةً ... مِمَّا يَضِيقُ لِشَرْحِهَا دِيوَانِي
أَبْيَاتُهَا مِثْلُ الْحَدَائِقِ تُجْتَنَىٰ ... سَمْعًا وَلَيْسَ يَمَلُّهُنَّ الْجَانِي
وَكَأَنَّ رَسْمَ سُطُورِهَا فِي طِرْسِهَا ... وَشْيٌ تُنَمِّقُهُ أَكُفُّ غَوَانِي
وَاللهَ أَسْأَلُهُ قَبُولَ قَصِيدَتِي ... مِنِّي وَأَشْكُرُهُ لِمَا أَوْلاَنِي
صَلَّىٰ الإِلَهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... مَا نَاحَ قُمْرِيٌّ عَلَىٰ الأَغْصَانِ
وَعَلَىٰ جَمِيعِ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ ... وَعَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحْبِ وَالإِخْوَانِ
بِاللهِ قُولُوا كُلَّمَا أَنْشَدتُّمُ ... رَحِمَ الإِلَهُ صَدَاكَ يَا قَحْطَانِي

* * *

١٩- كتاب التوحيد

٢٠- مُفِيدُ الْمُسْتَفِيدِ فِي كُفْرِ تَارِكِ التَّوْحِيدِ

٢١- سِتَّةُ أُصُولٍ عَظِيمَةٍ ٢٢- الأصول الثلاثة

٢٣- القواعد الأربع ٢٤- بَابُ فَضْلِ الإسلام

٢٥- الجَامِعُ لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ

٢٦- مَسَائِلُ الجَاهِلِيَّةِ ٢٧- مَعْنَى الطَّاغُوت

٢٨- مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْمُسلِمُ عَنِ الْمُشرِكِ

٢٩- كَشفُ الشُّبُهَاتِ ٣٠- نواقض الإسلام

٣١- تَفسِيرُ كَلِمَةِ التَّوحِيدِ

٣٢- عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب

٣٣- تعليم الصبيان التوحيد

٣٤- رِسَالَةٌ فِي تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ

٣٥- وَاجِبُ الْعَبْدِ

للإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

(ت ١٢٠٦هـ)

١٩- كتاب التوحيد

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الآية [النحل: ٣٦]

وَقَوْلِهِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ الآية. [الإسراء: ٢٣]

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآية [النساء: ٣٦]

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآيات [الأنعام: ١٥١]

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ، فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ[1].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ؛ لِأَنَّ الْخُصُومَةَ فِيهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدِ اللهَ، فَفِيهِ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣].

الرَّابِعَةُ: الْحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ.

السَّابِعَةُ: الْمَسْأَلَةُ الْكَبِيرَةُ: أَنَّ عِبَادَةَ اللهِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، فَفِيهِ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ الْآيَةَ. [البقرة: ٢٥٦].

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ.

التَّاسِعَةُ: عِظَمُ شَأْنِ ثَلَاثِ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ فِي سُورَةِ «الْأَنْعَامِ» عِنْدَ السَّلَفِ، وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ، أَوَّلُهَا: النَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ.

الْعَاشِرَةُ: الْآيَاتُ الْمُحْكَمَاتُ فِي سُورَةِ «الْإِسْرَاءِ»، وَفِيهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ مَسْأَلَةً، بَدَأَهَا اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]. وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]. وَنَبَّهَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ بِقَوْلِهِ ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: آيَةُ سُورَةِ «النِّسَاءِ» الَّتِي تُسَمَّىٰ آيَةَ الْحُقُوقِ الْعَشْرَةِ، بَدَأَهَا اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآية [النساء: ٣٦].

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَىٰ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ اللهِ عَلَيْنَا.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ الْعِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ لَا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: جَوَازُ كِتْمَانِ الْعِلْمِ لِلْمَصْلَحَةِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: اسْتِحْبَابُ بِشَارَةِ الْمُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: الْخَوْفُ مِنَ الِاتِّكَالِ عَلَىٰ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُ الْمَسْئُولِ عَمَّا لَا يَعْلَمُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

الْعِشْرُونَ: جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ النَّاسِ بِالْعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ.

الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: تَوَاضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِ الْحِمَارِ مَعَ الْإِرْدَافِ عَلَيْهِ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: جَوَازُ الْإِرْدَافِ عَلَىٰ الدَّابَّةِ.

الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ.

الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ، وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الْآيَةَ [الأنعام: ٨٢].

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ». أَخْرَجَاهُ[1].

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»[2].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَىٰ عليه السلام: يَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ. قُلْ يَا مُوسَىٰ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: يا رب، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا. قَالَ: يَا مُوسَىٰ، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ[1].

وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[2].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: سَعَةُ فَضْلِ اللهِ.

الثَّانِيَةُ: كَثْرَةُ ثَوَابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ اللهِ.

الثَّالِثَةُ: تَكْفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ (٨٢) الَّتِي فِي سُورَةِ «الأَنْعَامِ».

الْخَامِسَةُ: تَأَمُّلُ الْخَمْسِ اللَّوَاتِي فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ وَمَا بَعْدَهُ تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَىٰ قَوْلِ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ الْمَغْرُورِينَ.

السَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِلشَّرْطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الأَنْبِيَاءِ يَحْتَاجُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَىٰ فَضْلِ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

التَّاسِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزَانُهُ.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٧١٠)، وضعفه العلامة الألباني في «كلمة الإخلاص» (ص٥٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٣٨).

الْعَاشِرَةُ: النَّصُّ عَلَىٰ أَنَّ الْأَرَضِينَ سَبْعٌ كَالسَّمَوَاتِ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ لَهُنَّ عُمَّارًا.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ، عَرَفْتَ أَنَّ قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ» أَنَّه تَرْكُ الشِّرْكِ؛ لَيْسَ قَوْلها بِاللِّسَانِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: تَأَمُّلُ الْجَمْعِ بَيْنَ كَوْنِ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ عَبْدَي اللهِ وَرَسُولَيْهِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَىٰ بِكَوْنِهِ كَلِمَةَ اللهِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ رُوحًا مِنْهُ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ فَضْلِ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ قَوْلِهِ: «عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ.

الْعِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الْوَجْهِ.

بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠]. وَقَالَ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَىٰ الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلكَ عَلَىٰ ذَلِكَ؟ قُلْتُ حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ، قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: «لا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ». قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ.

وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ

النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ». ثُمَّ نَهَضَ، فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَكْتَوُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ». ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1] .

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ.

الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَىٰ تَحْقِيقِهِ.

الثَّالِثَةُ: ثَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِكَوْنِهِ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

الرَّابِعَةُ: ثَنَاؤُهُ عَلَىٰ سَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ.

الْخَامِسَةُ: كَوْنُ تَرْكِ الرُّقْيَةِ وَالْكَيِّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.

السَّادِسَةُ: كَوْنُ الْجَامِعِ لِتِلْكَ الْخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلَ.

السَّابِعَةُ: عُمْقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ لِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلٍ.

الثَّامِنَةُ: حِرْصُهُمْ عَلَىٰ الْخَيْرِ.

التَّاسِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْكَمِّيَّةِ وَالْكَيْفِيَّةِ.

الْعَاشِرَةُ: فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: عَرْضُ الأُمَمِ عَلَيْهِ - عليه الصلاة والسلام.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قِلَّةُ مَنِ اسْتَجَابَ لِلأَنْبِيَاءِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: ثَمَرَةُ هَذَا الْعِلْمِ، وَهُوَ عَدَمُ الاغْتِرَارِ بِالْكَثْرَةِ، وَعَدَمِ الزُّهْدِ فِي الْقِلَّةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: عُمْقُ عِلْمِ السَّلَفِ؛ لِقَوْلِهِ: «قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ كَذَا وَكَذَا». فَعُلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ الأَوَّلَ لَا يُخَالِفُ الثَّانِي.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: بُعْدُ السَّلَفِ عَنْ مَدْحِ الإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.

الْعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ.

الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: اسْتِعْمَالُ الْمَعَارِيضِ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ.

بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

وَقَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ الْخَلِيلُ ﷺ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ». فَسُئِلَ عَنْهُ، قَالَ: «الرِّيَاءُ»[1].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو للهِ نِدًّا دَخَلَ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٥٥).

النَّارَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١).

وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» (٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: الْخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الرِّيَاءَ مِن الشِّرْكِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ أَخْوَفُ مَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى الصَّالِحِينَ.

الْخَامِسَةُ: قُرْبُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

السَّادِسَةُ: الْجَمْعُ بَيْنَ قُرْبِهِمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ مَنْ لَقِيَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ.

الثَّامِنَةُ: الْمَسْأَلَةُ الْعَظِيمَةُ: سُؤَالُ الْخَلِيلِ لَهُ وَلِبَنِيهِ وِقَايَةَ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ.

التَّاسِعَةُ: اعْتِبَارُهُ بِحَالِ الأَكْثَرِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

الْعَاشِرَةُ: فِيهِ تَفْسِيرُ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» كَمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: فَضِيلَةُ مَنْ سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ.

بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ الآية. [يوسف: ١٠٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ؛ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ». أَخْرَجَاهُ[1].

وَلَهُمَا: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ». فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا، غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللهِ، لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[2].

«يَدُوكُونَ» أَيْ: يَخُوضُونَ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ طَرِيقُ مَنِ اتَّبَعَ رسول الله ﷺ

الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الإِخْلَاصِ؛ لأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَوْ دَعَا إِلَى الْحَقِّ، فَهُوَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

يَدْعُو إِلَىٰ نَفْسِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْبَصِيرَةَ مِنَ الْفَرَائِضِ.

الرَّابِعَةُ: مِنْ دَلَائِلِ حُسْنِ التَّوْحِيدِ: كَوْنُهُ تَنْزِيهًا لِلهِ تَعَالَىٰ عَنِ الْمَسَبَّةِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ مِنْ قُبْحِ الشِّرْكِ كَوْنُهُ مَسَبَّةً لِلهِ.

السَّادِسَةُ: وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا: إِبْعَادُ الْمُسْلِمِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ لِئَلَّا يَصِيرَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ.

السَّابِعَةُ: كَوْنُ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ يَبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ الصَّلَاةِ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ مَعْنَىٰ: «أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ» مَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

الْعَاشِرَةُ: أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا، أَوْ يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَىٰ التَّعْلِيمِ بِالتَّدْرِيجِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: الْبَدَاءَةُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَصْرِفُ الزَّكَاةِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَشْفُ الْعَالِمِ الشُّبْهَةَ عَنِ الْمُتَعَلِّمِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنْ كَرَائِمِ الْأَمْوَالِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: اتِّقَاءُ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الْإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لَا تُحْجَبُ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ مَا جَرَىٰ عَلَىٰ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَسَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ...» إِلَخْ، عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.

الْعِشْرُونَ: تَفْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا أَيْضًا.

الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عَلِيٍّ ﷺ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضْلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوْكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَشُغْلُهُمْ عَنْ بِشَارَةِ الْفَتْحِ.

الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ لِحُصُولِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ لَهَا وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَىٰ.

الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْأَدَبُ فِي قَوْلِهِ: «عَلَىٰ رِسْلِكَ».

الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ قَبْلَ الْقِتَالِ.

السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهُ مَشْرُوعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا.

السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ بِالْحِكْمَةِ؛ لِقَوْلِهِ: «أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ».

الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْمَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللهِ فِي الْإِسْلَامِ.

التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَىٰ عَلَىٰ يَدَيْهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ.

الثَّلَاثُونَ: الْحَلِفُ عَلَىٰ الْفُتْيَا.

بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ... ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧].

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ... ﴾ الآية [الزُّخرُف: ٢٦، ٢٧].

وَقَوْلِهِ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ... ﴾ الآية [التوبة: ٣١].

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ... ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥].

فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ

دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ ودَمُهُ، وحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»[1].

وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرجَمَةِ، مَا بَعْدَهَا مِنَ الأبْوَابِ.

فيه مسائل:

فِيهِ أَكْبَرُ المَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا، وَهي تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ، وَتَفْسِيرُ الشَّهَادَةِ. وَبَيَّنَها بِأُمُورٍ وَاضِحَةٍ:

مِنْهَا: آيَةُ الإِسْرَاءِ: بَيَّنَ فِيهَا الرَّدَّ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ؛ فَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.

وَمِنْهَا: آيَةُ «بَرَاءَة» بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ اتَّخذوا أَحبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلهًا وَاحِدًا، مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ - طَاعَةُ العُلَمَاءِ والعُبَّادِ فِي غَيْرِ المَعْصِيَةِ؛ لا دُعَاؤُهُمْ إِيَّاهُمْ.

وَمِنْهَا: قَوْلُ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ للكُفَّارِ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦﴾[الزخرف: ٢٦]. فَاسْتَثْنَىٰ مِنَ المَعْبودِينَ رَبَّهُ، وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ البَرَاءَةَ وَهَذِهِ الْمُوَالَاةَ هِيَ تَفْسِيرُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

وَمِنْهَا: آيَةُ البَقَرَةِ فِي الكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

ذَكَرَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَحُبِّ اللهِ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللهَ حُبًّا عَظِيمًا، وَلَمْ يُدْخِلهُمْ فِي الإِسْلَامِ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ أَحَبَّ النِّدَّ أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللهِ؟! وَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يُحِبَّ إِلَّا النِّدَّ وَحْدَهُ؟ وَلَمْ يُحِبَّ اللهَ؟!

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ».

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ ما يُبَيِّنُ مَعْنَىٰ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِمًا لِلدَّمِ وَالمَالِ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا، بَلْ وَلَا الإِقْرَارَ بِذَلِكَ، بَلْ وَلَا كَوْنَه لَا يَدْعُو إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، بَلْ لَا يَحْرُمُ مَالُهُ وَدَمُهُ حَتَّىٰ يُضِيفَ إِلَىٰ ذَلِكَ الكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ. فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ؛ لَمْ يَحْرُمْ مَالُهُ وَدَمُهُ. فَيَا لَهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا وَأَجَلَّهَا! وَيَا لَهُ مِنْ بَيَانٍ مَا أَوْضَحَهُ! وَحُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمُنَازِعِ!

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ البَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ الآيَةَ [الزمر: ٣٨].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ مِنَ الْوَاهِنَةِ، فَقَالَ: «انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ[1].

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلا وَدَعَ اللهُ لَهُ»[2].

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»[3].

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ: أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمَّىٰ، فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَوْلَهُ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: التَّغْلِيظُ فِي لُبْسِ الحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِمِثْلِ ذَلِكَ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٥)، وضعفه العلامة الألباني في «الضعيفة» (١٠٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، وضعفه العلامة الألباني في «الضعيفة» (١٢٦٦).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦) وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٤٩٢).

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهُوَ عَلَيْهِ مَا أَفْلَحَ، فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ أَنَّ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَبَائِرِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُعْذَرْ بِالْجَهَالَةِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِي الْعَاجِلَةِ بَلْ تَضُرُّ؛ لِقَوْلِهِ: «لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا».

الْخَامِسَةُ: الْإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيظِ عَلَىٰ مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا؛ وُكِلَ إِلَيْهِ.

السَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الْخَيْطِ مِنَ الْحُمَّىٰ مِنْ ذَلِكَ.

التَّاسِعَةُ: تِلَاوَةُ حُذَيْفَةَ الآيَةَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّونَ بِالآيَاتِ الَّتِي فِي الشرك الأَكْبرِ عَلَىٰ الأَصْغَرِ؛ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي آيَةِ «الْبَقَرَةِ».

الْعَاشِرَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الْوَدَعِ عَنِ الْعَيْنِ مِنْ ذَلِكَ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الدُّعَاءُ عَلَىٰ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً أَنَّ اللهَ لَا يُتِمُّ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ، أَيْ: لَا تَرَكَ اللهُ لَهُ.

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ ﵁: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا: «أَلَّا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ»(١).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁؛ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٨٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا؛ وُكِلَ إِلَيْهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ[١].

«التَّمَائِمُ»: شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَىٰ الْأَوْلَادِ يَتَّقُونَ بِهِ الْعَيْنَ، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

وَ«الرُّقَىٰ»: هِيَ الَّتِي تُسَمَّىٰ الْعَزَائِمَ، وَخَصَّ مِنْهَا الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ؛ فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ.

وَ«التِّوَلَةُ»: هِيَ شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَىٰ زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَىٰ امْرَأَتِهِ.

وَرَوَىٰ أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ؛ لَعَلَّ الْحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ؛ فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ»[٢].

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؛ قَالَ: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ؛ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ». رَوَاهُ وَكِيعٌ[٣].

وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ؛ قَالَ: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ»[٤].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: تَفْسِيرُ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٧٢)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٨)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩١٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٣٤٧٣).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٣٤٦٧).

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ التِّوَلَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ كُلَّهَا مِنَ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الرُّقْيَةَ بِالْكَلَامِ الْحَقِّ مِنَ الْعَيْنِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ؛ هَلْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ أَمْ لَا؟

السَّادِسَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الْأَوْتَارِ عَلَى الدَّوَابِّ عن الْعَيْنِ مِنْ ذَلِكَ.

السَّابِعَةُ: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ عَلَّقَ وَتَرًا.

الثَّامِنَةُ: فَضْلُ ثَوَابِ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ كَلَامَ إِبْرَاهِيمَ لَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الِاخْتِلَافِ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ.

بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ الآيات [النجم: ١٩].

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ(١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «النَّجْمِ».

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ صُورَةِ الأَمْرِ الَّذِي طَلَبُوا.

الثَّالِثَةُ: كَوْنُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا.

الرَّابِعَةُ: كَوْنُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ بِذَلِكَ؛ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا؛ فَغَيْرُهُمْ أَوْلَىٰ بِالْجَهْلِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالْوَعْدِ بِالْمَغْفِرَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ.

السَّابِعَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْذِرْهُمْ، بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»؛ فَغَلَّظَ الأَمْرَ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ.

الثَّامِنَةُ: الأَمْرُ الْكَبِيرُ - وَهُوَ الْمَقْصُودُ - أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طَلِبَتَهُمْ كَطَلِبَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ هَذَا مِنْ مَعْنَىٰ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَىٰ أُولَئِكَ.

الْعَاشِرَةُ: أَنَّهُ حَلَفَ عَلَىٰ الْفُتْيَا، وَهُوَ لَا يَحْلِفُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الشِّرْكَ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدُّوا بِهَذَا.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ» فِيهِ أَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: التَّكْبِيرُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ؛ خِلَافًا لِمَنْ كَرِهَهُ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: سَدُّ الذَّرَائِعِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الْغَضَبُ عِنْدَ التَّعْلِيمِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الْقَاعِدَةُ الْكُلِّيَّةُ لِقَوْلِهِ: «إِنَّهَا السُّنَنُ».

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذَا علم مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ لِكَوْنِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ مَا ذَمَّ اللهُ بِهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ فِي الْقُرْآنِ؛ أَنَّهُ لَنَا.

الْعِشْرُونَ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْعِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَىٰ الأَمْرِ، فَصَارَ فِيهِ التَّنْبِيهُ عَلَىٰ مَسَائِلِ الْقَبْرِ أَمَّا «مَنْ رَبُّكَ؟» فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا «مَنْ نَبِيُّكَ؟»؛ فَمِنْ إِخْبَارِهِ بِأَنْبَاءِ

الْغَيْبِ، وَأَمَّا «مَا دِينُكَ» فَمِنْ قَوْلِهِمْ: «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا» إِلَىٰ آخِرِهِ.

الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَذْمُومَةٌ كَسُنَّةِ الْمُشْرِكِينَ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الْمُنْتَقِلَ مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ الْعَادَةِ؛ لِقَوْلِهِمْ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ».

بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ الآية [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ؛ لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا؛ لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ». قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ. قَالَ لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ، قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ. وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عز وجل: فَضَرَبُوا عُنُقَهُ؛ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: تَفْسِيرُ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣).

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

الثَّالِثَةُ: الْبَدَاءَةُ بِلَعْنَةِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: لَعْنُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَمِنْهُ أَنْ تَلْعَنَ وَالِدَي الرَّجُلِ فَيَلْعَنَ وَالِدَيْكَ.

الْخَامِسَةُ: لَعْنُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، وَهُوَ الرَّجُلُ يُحْدِثُ شَيْئًا يَجِبُ فِيهِ حَقٌّ للهِ؛ فَيَلْتَجِئُ إِلَىٰ مَنْ يُجِيرُهُ مِنْ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: لَعْنُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ، وَهِيَ الْمَرَاسِيمُ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ حَقِّكَ وَحَقِّ جَارِكَ مِنَ الأَرْضِ، فَتُغَيِّرُهَا بِتَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ.

السَّابِعَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ لَعْنِ الْمُعَيَّنِ وَلَعْنِ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ عَلَىٰ سَبِيلِ الْعُمُومِ.

الثَّامِنَةُ: هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ، وَهِيَ قِصَّةُ الذُّبَابِ.

التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ دَخَلَ النَّارَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الذُّبَابِ الَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ، بَلْ فَعَلَهُ تَخَلُّصًا مِنْ شَرِّهِمْ.

الْعَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشِّرْكِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ؛ كَيْفَ صَبَرَ ذَلِكَ عَلَىٰ الْقَتْلِ وَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَىٰ طَلَبِهِمْ، مَعَ كَوْنِهِمْ لَمْ يَطْلُبُوا إِلَّا الْعَمَلَ الظَّاهِرَ؟!

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الَّذِي دَخَلَ النَّارَ مُسْلِمٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَافِرًا لَمْ يَقُلْ: «دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ».

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: فِيهِ شَاهِدٌ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»(١).

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ عَمَلَ الْقَلْبِ هُوَ الْمَقْصُودُ الأَعْظَمُ، حَتَّىٰ عِنْدَ عَبَدَةِ الأصنام.

بَابٌ لَا يُذْبَحُ لِلهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآية [التوبة: ١٠٨]

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٨).

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ ﷺ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبَوَانَةَ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا: لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا(١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ قَدْ تُؤَثِّرُ فِي الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ الطَّاعَةُ.

الثَّالِثَةُ: رَدُّ الْمَسْأَلَةِ الْمُشْكِلَةِ إِلَى الْمَسْأَلَةِ الْبَيِّنَةِ؛ لِيَزُولَ الْإِشْكَالُ.

الرَّابِعَةُ: اسْتِفْصَالُ الْمُفْتِي إِذَا احْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ تَخْصِيصَ الْبُقْعَةِ بِالنَّذْرِ لَا بَأْسَ بِهِ إِذَا خَلَا مِنَ الْمَوَانِعِ.

السَّادِسَةُ: الْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ.

السَّابِعَةُ: الْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ، وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِمَا نَذَرَ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ؛ لِأَنَّهُ نَذْرُ مَعْصِيَةٍ.

التَّاسِعَةُ: الْحَذَرُ مِنْ مُشَابَهَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيَادِهِمْ، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ.

الْعَاشِرَةُ: لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: لَا نَذْرَ لِابْنِ آدَمَ فِيمَا لَا يَمْلِكُ.

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

[البقرة: ٢٧٠]

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ؛ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ، فَلَا يَعْصِهِ» (١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: وُجُوبُ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ.

الثَّانِيَةُ: إِذَا ثَبَتَ كَوْنُهُ عِبَادَةً للهِ، فَصَرْفُهُ إِلَى غَيْرِهِ شِرْكٌ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ نَذْرَ الْمَعْصِيَةِ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ.

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾

[الجن: ٦]

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْجِنِّ».

الثَّانِيَةُ: كَوْنُهُ مِنَ الشِّرْكِ.

الثَّالِثَةُ: الِاسْتِدْلَالُ عَلَى ذَلِكَ بِالْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى أَنَّ كَلِمَاتِ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛ قَالُوا: لِأَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ بِالْمَخْلُوقِ شِرْكٌ.

الرَّابِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذَا الدُّعَاءِ مَعَ اخْتِصَارِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

الْخَامِسَةُ: أَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ يَحْصُلُ بِهِ منفعة دُنْيَوِيَّةٌ، مِنْ كَفِّ شَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ؛ لا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ.

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ الآيَةَ [يونس: ١٠٦، ١٠٧]

وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ الآيَةَ [العنكبوت: ١٧]

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ... ﴾ [الأحقاف: ٥]الآية.

وَقَوْلِهِ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢]الآية.

وروَىٰ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ: أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّهُ لا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ» (١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: أَنَّ عَطْفَ الدُّعَاءِ عَلَىٰ الِاسْتِغَاثَةِ مِنْ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَىٰ الْخَاصِّ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَصْلَحَ النَّاسِ لَوْ يَفْعَلُهُ إِرْضَاءً لِغَيْرِهِ، صَارَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

الْخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا.

السَّادِسَةُ: كَوْنُ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا مَعَ كَوْنِهِ كُفْرًا.

---

(١) أخرجه -بنحوه- أحمد (٥/ ٣١٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق». ولم أقف عليه في الطبراني ولعله قد فقد ضمن ما فقد منه.

السَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ الثَّالِثَةِ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَا يَنْبَغِي إِلَّا مِنَ اللهِ، كَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنْهُ.

التَّاسِعَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ الرَّابِعَةِ.

الْعَاشِرَةُ: أَنَّهُ لَا أَضَلَّ مِمَّنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ دُعَاءِ الدَّاعِي لَا يَدْرِي عَنْهُ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ الْمَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: تَسْمِيَةُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ عِبَادَةً لِلْمَدْعُوِّ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كُفْرُ الْمَدْعُوِّ بِتِلْكَ الْعِبَادَةِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ سَبَبُ كَوْنِهِ أَضَلَّ النَّاسِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: تَفْسِيرُ الآيَةِ الْخَامِسَةِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الأَمْرُ الْعَجِيبُ، وَهُوَ إِقْرَارُ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ بِأَنَّهُ لَا يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِلَّا اللهُ، وَلِأَجْلِ هَذَا يَدْعُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: حِمَايَةُ الْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ، وَالتَّأَدُّبُ مَعَ اللهِ.

بَابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢] الآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ الآيَةَ [فاطر: ١٣].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟ فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾

[آل عمران: ١٢٨]»(١).

وَفِيهِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ - إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا». بَعْدَمَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ». فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ: يَدْعُو عَلَىٰ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]»(٣).

وَفِيهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينا رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ؛ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»(٤).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفْسِيرُ الآيَتَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: قِصَّةُ أُحُدٍ.

الثَّالِثَةُ: قُنُوتُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَلْفَهُ سَادَاتُ الأَوْلِيَاءِ يُؤَمِّنُونَ فِي الصَّلَاةِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الْمَدْعُوَّ عَلَيْهِمْ كُفَّارٌ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ فَعَلُوا أَشْيَاءَ مَا فَعَلَهَا غَالِبُ الْكُفَّارِ، مِنْهَا: شَجُّهُمْ نَبِيَّهُمْ، وَحِرْصُهُمْ عَلَىٰ قَتْلِهِ، وَمِنْهَا: التَّمْثِيلُ بِالْقَتْلَىٰ، مَعَ أَنَّهُمْ بَنُو عَمِّهِمْ.

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا (٧/ ٣٦٦/ فتح)، ووصله مسلم (١٧٩١).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٧٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

السَّادِسَةُ: أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.
السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فَتَابَ عَلَيْهِمْ فَآمَنُوا.
الثَّامِنَةُ: الْقُنُوتُ فِي النَّوَازِلِ.
التَّاسِعَةُ: تَسْمِيَةُ الْمَدْعُوِّ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ.
الْعَاشِرَةُ: لَعْنُ الْمُعَيَّنِ فِي الْقُنُوتِ.
الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: قِصَّتُهُ ﷺ لَمَّا أنزل عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.
الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: جِدُّهُ ﷺ فِي هَذَا الْأَمْرِ، بِحَيْثُ فَعَلَ مَا نُسِبَ بِسَبَبِهِ إِلَى الْجُنُونِ، وَكَذَلِكَ لَوْ يَفْعَلُهُ مُسْلِمٌ الْآنَ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ لِلْأَبْعَدِ وَالْأَقْرَبِ: «لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا» حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا» فَإِذَا صَرَّحَ - وَهُوَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ - بِأَنَّهُ لَا يُغْنِي مِنَ اللهِ شَيْئًا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَآمَنَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ النَّاسِ اليوم، تَبَيَّنَ لَهُ ترك التَّوْحِيدِ وَغُرْبَةُ الدِّينِ.

بَابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ؛ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، - وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا

أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»(١).

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تعالى أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ؛ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ - أَوْ قَالَ: رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ؛ خَوْفًا مِنَ اللهِ عز وجل فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عز وجل»(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ الآيَةِ.

الثَّانِيَةُ: مَا فِيهَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَى إِبْطَالِ الشِّرْكِ، خُصُوصًا مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الصَّالِحِينَ، وَهِيَ الآيَةُ الَّتِي قِيلَ إِنَّهَا تَقْطَعُ عُرُوقَ شَجَرَةِ الشِّرْكِ مِنَ الْقَلْبِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿قَالُوا ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

الرَّابِعَةُ: سَبَبُ سُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ جِبْرِيلَ يُجِيبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: قَالَ كَذَا وَكَذَا.

السَّادِسَةُ: ذِكْرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يَقُولُ لِأَهْلِ السَّمَوَاتِ كُلِّهِمْ لِأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ.

---

(١) أخرجه البخاري(٤٧٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٥)، وضعفه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (٥١٥).

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الْغَشْيَ يَعُمُّ أَهْلَ السَّمَوَاتِ كُلَّهُمْ.

التَّاسِعَةُ: ارْتِجَافُ السَّمَوَاتِ لِكَلَامِ اللهِ.

الْعَاشِرَةُ: أَنَّ جِبْرِيلَ هُوَ الَّذِي يَنْتَهِي بِالْوَحْيِ إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: صِفَةُ رُكُوبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: إِرْسَالُ الشُّهُبِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ تَارَةً يُدْرِكُهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَتَارَةً يُلْقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الْإِنْسِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُ الْكَاهِنِ يَصْدُقُ بَعْضَ الْأَحْيَانِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُهُ يَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ لَمْ يُصَدَّقْ كَذِبُهُ إِلَّا بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: قَبُولُ النُّفُوسِ لِلْبَاطِلِ، كَيْفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِمِائَةٍ؟!

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُهُمْ يُلْقِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ تِلْكَ الْكَلِمَةَ وَيَحْفَظُونَهَا وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا.

الْعِشْرُونَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ.

الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ تِلْكَ الرَّجْفَةَ وَالْغَشْيَ خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهُمْ يَخِرُّونَ لِلهِ سُجَّدًا.

بَابُ الشَّفَاعَةِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾[الأنعام: ٥١] .

وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٤٤] .

وَقَوْلِهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ الآيَتَيْنِ [سبأ: ٢٢، ٢٣]

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ - لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا - ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»(١).

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ له ﷺ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»(٢) فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ.

وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛ لِيُكْرِمَهُ، وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ. انْتَهَى كَلَامُهُ.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَاتِ.

الثَّانِيَةُ: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ الْمَنْفِيَّةِ.

الثَّالِثَةُ: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ الْمُثْبَتَةِ.

الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ الشَّفَاعَةِ الْكُبْرَىٰ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ.

الْخَامِسَةُ: صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ ﷺ أَنَّهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ، بَلْ يَسْجُدُ، فَإِذَا أَذِنَ اللهُ لَهُ شَفَعَ.

السَّادِسَةُ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهَا؟

السَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ.

الثَّامِنَةُ: بَيَانُ حَقِيقَتِهَا.

بَابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] الآية.

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ؛ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً، أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ». فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ». فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣].

وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦][1].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾. الْآيَةَ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الْآيَةَ.

الثَّالِثَةُ: وَهِيَ الْمَسْأَلَةُ الْكُبْرَىٰ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: «قل: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُونَ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا قَالَ لِلرَّجُلِ: «قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». فَقَبَّحَ اللهُ أَبَا جَهْلٍ، من أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ.

الْخَامِسَةُ: جِدُّهُ ﷺ وَمُبَالَغَتُهُ فِي إِسْلَامِ عَمِّهِ.

السَّادِسَةُ: الرَّدُّ عَلَىٰ مَنْ زَعَمَ إِسْلَامَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَسْلَافِهِ.

السَّابِعَةُ: كَوْنُهُ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، بَلْ نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ.

الثَّامِنَةُ: مَضَرَّةُ أَصْحَابِ السُّوءِ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ.

التَّاسِعَةُ: مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ الْأَسْلَافِ وَالْأَكَابِرِ.

الْعَاشِرَةُ: الشُّبْهَةُ لِلْمُبْطِلِينَ فِي ذَلِكَ؛ لِاسْتِدْلَالِ أَبِي جَهْلٍ بِذَلِكَ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الشَّاهِدُ لِكَوْنِ الْأَعْمَالِ بِالْخَوَاتِيمِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا لَنَفَعَتْهُ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّأَمُّلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ فِي قُلُوبِ الضَّالِّينَ؛ لِأَنَّ فِي الْقِصَّةِ أَنَّهُمْ لَمْ يُجَادِلُوهُ إِلَّا بِهَا، مَعَ مُبَالَغَتِهِ ﷺ وَتَكْرِيرِهِ؛ فَلِأَجْلِ عَظَمَتِهَا وَوُضُوحِهَا عِنْدَهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَيْهَا.

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

وَقَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾[النساء: ١٧١].

فِي الصَّحِيحِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح: ٢٣]. قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ

صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ»(١).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: «قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا، عَكَفُوا عَلَىٰ قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ».

وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ». أَخْرَجَاهُ(٢).

وقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»(٣).

وَلِمُسْلِمٍ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» - قَالَهَا ثَلَاثًا(٤).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: أَنَّ مَنْ فَهِمَ هَذَا الْبَابَ وَبَابَيْنِ بَعْدَهُ، تَبَيَّنَ لَهُ غُرْبَةُ الإِسْلَامِ، وَرَأَىٰ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَتَقْلِيبِهِ لِلْقُلُوبِ الْعَجَبَ.

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شِرْكٍ حَدَثَ فِي الأَرْضِ كان بِشُبْهَةِ الصَّالِحِينَ.

الثَّالِثَةُ: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شَيْءٍ غُيِّرَ بِهِ دِينُ الأَنْبِيَاءِ، وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ؟ مَعَ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُمْ.

الرَّابِعَةُ: قَبُولُ الْبِدَعِ مَعَ كَوْنِ الشَّرَائِعِ وَالْفِطَرِ تَرُدُّهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢١٥)، وصححه العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٢٨٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

الْخَامِسَةُ: أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهُ مَزْجُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ.

فَالأَوَّلُ مَحَبَّةُ الصَّالِحِينَ، وَالثَّانِي فِعْلُ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّيْنِ شَيْئًا أراد به خيرًا فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ غَيْرَهُ.

السَّادِسَةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ مِنْ سُورَةِ «نُوحٍ».

السَّابِعَةُ: جِبِلَّةُ الْآدَمِيِّ فِي كَوْنِ الْحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ وَالْبَاطِلُ يَزِيدُ.

الثَّامِنَةُ: فِيهِ - شَاهِدًا لِمَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ - أَنَّ الْبِدَعَ سَبَبُ الْكُفْرِ.

التَّاسِعَةُ: مَعْرِفَةُ الشَّيْطَانِ بِمَا تَئُولُ إِلَيْهِ الْبِدْعَةُ وَلَوْ حَسُنَ قَصْدُ الْفَاعِلِ.

الْعَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ الْقَاعِدَةِ الْكُلِّيَّةِ، وَهِيَ النَّهْيُ عَنِ الْغُلُوِّ وَمَعْرِفَةُ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: مَضَرَّةُ الْعُكُوفِ عَلَىٰ الْقَبْرِ لِأَجْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ النَّهْيِ عَنِ التَّمَاثِيلِ وَالْحِكْمَةُ فِي إِزَالَتِهَا.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَشِدَّةُ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا مَعَ الْغَفْلَةِ عَنْهَا.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: وَهِيَ أَعْجَبُ العجب: قِرَاءَتُهُمْ إِيَّاهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِمَعْنَىٰ الْكَلَامِ، وَكَوْنُ اللهِ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ حَتَّىٰ اعْتَقَدُوا أَنَّ فِعْلَ قَوْمِ نُوحٍ هُوَ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ مَا نَهَىٰ اللهُ ورسوله عَنْهُ فَهُوَ الْكُفْرُ الْمُبِيحُ لِلدَّمِ وَالْمَالِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: ظَنُّهُمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أَرَادُوا ذَلِكَ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الْبَيَانُ الْعَظِيمُ فِي قَوْلِهِ: «لا تُطْرُونِي كما أطرت النصارىٰ ابن مريم ...» إلخ. فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، بَلَّغَ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: نَصِيحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلَاكِ الْمُتَنَطِّعِينَ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا لَمْ تُعْبَدْ حَتَّىٰ نُسِيَ الْعِلْمُ، فَفِيهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وُجُودِهِ وَمَضَرَّةُ فَقْدِهِ.

الْعِشْرُونَ: أَنَّ سَبَبَ فَقْدِ الْعِلْمِ مَوْتُ الْعُلَمَاءِ.

بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!

فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»[1]. فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الْفِتْنَتَيْنِ؛ فِتْنَةِ الْقُبُورِ، وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. أَخْرَجَاهُ[2].

وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا؛ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[3].

فَقَدْ نَهَىٰ عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي السِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ.

وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ - وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ - وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهَا: «خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا». فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٢).

قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ، فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّىٰ فِيهِ، يُسَمَّىٰ مَسْجِدًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»(١).

وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ». وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: مَا ذَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ فِيمَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا يَعْبُدُ اللهَ فِيهِ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، وَلَوْ صَحَّتْ نِيَّةُ الْفَاعِلِ.

الثَّانِيَةُ: النَّهْيُ عَنِ التَّمَاثِيلِ وَغِلَظُ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: الْعِبْرَةُ فِي مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، كَيْفَ بَيَّنَ لَهُمْ هَذَا أَوَّلًا، ثُمَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ قَالَ مَا قَالَ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي السياق لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ.

الرَّابِعَةُ: نَهْيُهُ منْ فعله عِنْدَ قَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ الْقَبْرُ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ.

السَّادِسَةُ: لَعْنُهُ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ.

السَّابِعَةُ: أَنَّ مُرَادَهُ ﷺ تَحْذِيرُهُ إِيَّانَا عَنْ قَبْرِهِ.

الثَّامِنَةُ: الْعِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبْرَازِ قَبْرِهِ.

التَّاسِعَةُ: فِي مَعْنَىٰ اتِّخَاذِهِ مَسْجِدًا.

الْعَاشِرَةُ: أَنَّهُ قَرَنَ بَيْنَ مَنِ اتَّخَذَهَا مَسْجِدًا وَبَيْنَ مَنْ تَقُومُ عَلَيْهِ السَّاعَةُ، فَذَكَرَ الذَّرِيعَةَ إِلَىٰ الشِّرْكِ قَبْلَ وُقُوعِهِ مَعَ خَاتِمَتِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥)، وأخرج البخاري الجزء الأول معلقًا (٣٦٦٧)، وعند مسلم مرفوعًا (٢٩٤٩).

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُهُ فِي خُطْبَتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ الرَّدَّ عَلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَشَرُّ أَهْلِ الْبِدَعِ، بَلْ أَخْرَجَهُمْ بَعْضُ أهل العلم مِنَ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً، وَهُمُ الرَّافِضَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَىٰ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَا بُلِيَ بِهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ النَّزْعِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَا أُكْرِمَ بِهِ مِنَ الْخُلَّةِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا أَعْلَىٰ مِنَ الْمَحَبَّةِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الصِّدِّيقَ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الْإِشَارَةُ إِلَىٰ خِلَافَتِهِ.

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ

رَوَىٰ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» (١).

وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَىٰ قَبْرِهِ (٢).

وَكَذَا قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ» (٣).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ». رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ (٤).

---

(١) أخرجه مالك (٤١٤)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (٧٥٠).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٦٩١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ الأَوْثَانِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ الْعِبَادَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يُخَافُ وُقُوعُهُ.

الرَّابِعَةُ: قَرْنُهُ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ.

الْخَامِسَةُ: ذِكْرُ شِدَّةِ الْغَضَبِ مِنَ اللهِ.

السَّادِسَةُ: وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا: مَعْرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللَّاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الأَوْثَانِ.

السَّابِعَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ الْقَبْرِ، وَذِكْرُ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ.

التَّاسِعَةُ: لَعْنُهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ.

الْعَاشِرَةُ: لَعْنُهُ مَنْ أَسْرَجَهَا.

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآيَةَ [التوبة: ١٢٨].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ(١).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رضي الله عنه: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا، فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ، وَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٢٦).

جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ لَيَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ» رَوَاهُ فِي «الْمُخْتَارَةِ»[1].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «براءة».

الثَّانِيَةُ: إِبْعَادُهُ أُمَّتَهُ عَنْ هَذَا الْحِمَى غَايَةَ الْبُعْدِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ حِرْصِهِ عَلَيْنَا وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

الرَّابِعَةُ: نَهْيُهُ عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ، مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ.

الْخَامِسَةُ: نَهْيُهُ عَنِ الإِكْثَارِ مِنَ الزِّيَارَةِ.

السَّادِسَةُ: حَثُّهُ عَلَى النَّافِلَةِ فِي الْبَيْتِ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ لَا يُصَلَّى فِي الْمَقْبَرَةِ.

الثَّامِنَةُ: تَعْلِيلُهُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلاةَ الرَّجُلِ وَسَلامَهُ عَلَيْهِ يَبْلُغُهُ وَإِنْ بَعُدَ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ أَرَادَ الْقُرْبَ.

التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ ﷺ فِي الْبَرْزَخِ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ.

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٧)، وحسنه العلامة الألباني في «أحكام الجنائز» (ص٢١٩).

وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «فَمَنْ؟» أَخْرَجَاهُ [١].

وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ، وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَلَّا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَلَّا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا؛ حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» [٢].

وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ؛ لَمْ يُرْفَعْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ مَنْصُورَةً؛ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ» [٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩)، بنحوه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفْسِيرُ آيَةِ «النِّسَاءِ».

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْمَائِدَةِ».

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْكَهْفِ».

الرَّابِعَةُ: وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا: مَا مَعْنَىٰ الإِيمَانِ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: هَلْ هُوَ اعْتِقَادُ قَلْبٍ؟ أَوْ هُوَ مُوَافَقَةُ أَصْحَابِهَا مَعَ بُغْضِهَا وَمَعْرِفَةِ بُطْلَانِهَا؟

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُمْ إِنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كُفْرَهُمْ أَهْدَىٰ سَبِيلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

السَّادِسَةُ: وَهِيَ الْمَقْصُودَةُ بِالتَّرْجَمَةِ أَنَّ هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، كَمَا تَقَرَّرَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ.

السَّابِعَةُ: تَصْرِيحُه بِوُقُوعِهَا – أَعْنِي: عِبَادَةَ الأَوْثَانِ – فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ.

الثَّامِنَةُ: الْعَجَبُ الْعُجَابُ: خُرُوجُ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، مِثْلُ الْمُخْتَارِ مَعَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَتَصْرِيحِهِ بِأَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَأَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ.

وَفِيهِ أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَمَعَ هَذَا يُصَدَّقُ فِي هَذَا كُلِّهِ مَعَ التَّضَادِّ الْوَاضِحِ، وَقَدْ خَرَجَ الْمُخْتَارُ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَتَبِعَهُ فِئَامٌ كَثِيرَةٌ.

التَّاسِعَةُ: الْبِشَارَةُ بِأَنَّ الْحَقَّ لَا يَزُولُ بِالْكُلِّيَّةِ كَمَا زَالَ فِيمَا مَضَىٰ، بَلْ لَا تَزَالُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ.

الْعَاشِرَةُ: الآيَةُ الْعُظْمَىٰ أَنَّهُمْ – مَعَ قِلَّتِهِمْ – لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ ذَلِكَ الشَّرْطَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَا فِيهِ مِنَ الآيَاتِ الْعَظِيمَةِ، مِنْهَا: إِخْبَارُهُ بِأَنَّ اللهَ زَوَىٰ لَهُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ، وَأَخْبَرَ بِمَعْنَىٰ ذَلِكَ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ، بِخِلَافِ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ،

وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ أُعْطِيَ الْكَنْزَيْنِ، وَإِخْبَارُهُ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لِأُمَّتِهِ فِي الِاثْنَتَيْنِ، وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ مُنِعَ الثَّالِثَةَ، وَإِخْبَارُهُ بِوُقُوعِ السَّيْفِ، وَأَنَّهُ لَا يُرْفَعُ إِذَا وَقَعَ، وَإِخْبَارُهُ بِإِهْلَاكِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَسَبْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَخَوْفِهِ عَلَىٰ أُمَّتِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ وَإِخْبَارُهُ بِظُهُورِ الْمُتَنَبِّئِينَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَإِخْبَارُهُ بِبَقَاءِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ، وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ، كَمَا أَخْبَرَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَبْعَدُ مَا يَكُونُ فِي الْعُقُولِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: حَصْرُ الْخَوْفِ عَلَىٰ أُمَّتِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] وَقَوْلِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قَالَ عُمَرُ: «الْجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ»(١).

وَقَالَ جَابِرٌ: «الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»(٣).

وَعَنْ جُنْدُبٍ مَرْفُوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ»(٤). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا (٨/ ٢٥١/ فتح).

(٢) السابق.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٤) أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٦٩٩).

«الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ: «كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ». قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَةَ سَوَاحِرَ(١).

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ ﷺ: «أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا، فَقُتِلَتْ»(٢). وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدُبٍ.

قَالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْبَقَرَةِ».

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «النِّسَاءِ».

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْإِنْسِ.

الْخَامِسَةُ: مَعْرِفَةُ السَّبْعِ الْمُوبِقَاتِ الْمَخْصُوصَاتِ بِالنَّهْيِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ.

الثَّامِنَةُ: وُجُودُ هَذَا فِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَكَيْفَ بَعْدَهُ؟!

بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٤٣) بنحوه، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود»، ولم أقف عليه بهذا اللفظ في البخاري كما قال المصنف.

(٢) أخرجه مالك بلاغًا، برقم (١٥٦٢)، والشافعي في «مسنده» (١١٢٨).

الْجِبْتِ»[(١)].

قَالَ عَوْفٌ: «الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ بِالأَرْضِ، وَالْجِبْتُ: قَالَ الْحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانِ»[(٢)]. إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَلِأَبِي دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيِّ، وَابْنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»: الْمُسْنَدُ مِنْهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»[(٣)]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وإِسْنَادُه صَحِيحٌ.

وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وُكِلَ إِلَيْهِ»[(٤)].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ - الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٥)].

وَلَهُمَا: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»[(٦)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: أَنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ الْعِيَافَةِ وَالطَّرْقِ وَالطِّيَرَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ نوعٍ مِنَ السِّحْرِ.

الرَّابِعَةُ: الْعَقْدَ مَعَ النَّفْثِ مِنْ ذَلِكَ.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٧)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٩٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» من قول عوف رحمه الله.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٧٤).

(٤) أخرجه النسائي (٤٠٧٩)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٧٠٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٠٦).

(٦) أخرجه البخاري (٥٧٦٧).

الْخَامِسَةُ: أَنَّ النَّمِيمَةَ مِنْ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ من ذلك بَعْضَ الْفَصَاحَةِ.

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ - لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(٢).

وَلِلْأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِهِمَا» عن أبي هريرة: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ»(٣).

وَلِأَبِي يَعْلَىٰ - بِسَنَدٍ جَيِّدٍ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا(٤).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ» رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ(٥).

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَىٰ كاهنًا...» إِلَىٰ آخِرِهِ(٦).

قَالَ الْبَغَوِيُّ: «الْعَرَّافُ: الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٠) بنحوه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٤٢).

(٣) أخرجه الترمذي (١٣٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٣٩).

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ (٩/٢٨٠)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٤٨) موقوفًا علىٰ ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البزار (١٨٧٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٣٥).

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٤٥٣)، وقال العلامة الألباني في «الصحيحة» (٦/ ١٤٩): حسن لغيره.

الْمَسْرُوقِ، وَمَكَانِ الضَّالَّةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ».

وَقِيلَ: هُوَ الْكَاهِنُ، وَالْكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَّةَ: الْعَرَّافُ: اسْمٌ لِلْكَاهِنِ، وَالْمُنَجِّمِ، وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ «أَبَا جَادٍ»، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: «مَا أَرَىٰ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ»(١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ تَصْدِيقُ الْكَاهِنِ مَعَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ.

الثَّانِيَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ كُفْرٌ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ مَنْ تُكُهِّنَ لَهُ.

الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ مَنْ تُطُيِّرَ لَهُ.

الْخَامِسَةُ: ذِكْرُ مَنْ سُحِرَ لَهُ.

السَّادِسَةُ: ذِكْرُ مَنْ تَعَلَّمَ «أَبَا جَادٍ».

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْكَاهِنِ وَالْعَرَّافِ.

بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ؟ فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ(٢).

وَقَالَ: «سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا؟ فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ».

---

(١) أخرجه عبد الرزاق، برقم (١٩٨٠٥)، والبيهقي، برقم (٨/ ١٣٩)، وفي «الشعب» (٥١٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٦٨)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (٤٥٥٣).

وفي البخاري عَنْ قَتَادَةَ: قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ»[1]. انتهى.

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحُلُّ السِّحرَ إِلَّا سَاحِرٌ»[2].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ، بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ.

وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ، وَالتَّعَوُّذَاتِ، وَالْأَدْوِيَةِ، وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ النُّشْرَةِ.

الثَّانِيَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ وَالْمُرَخَّصِ فِيهِ مِمَّا يُزِيلُ الْإِشْكَالَ.

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩] الآية.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ». أَخْرَجَاهُ[3].

زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ»[4].

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا (١٠/ ٢٣٢/ فتح).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٢٠) بلفظ: «لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر».

وَلَهُمَا: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ»، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»[1].

وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»[2].

وعن ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا... وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»[3]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ، وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولُوا: اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ»[4].

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»[5].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: التَّنْبِيهُ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾.

الثَّانِيَةُ: نَفْيُ الْعَدْوَىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩١٩)، وضعفه العلامة الألباني في «الضعيفة» (١٦١٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٦٠).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠)، وصححه العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٠٦٥).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٢١٣)، وضعفه الأرناؤوط.

الثَّالِثَةُ: نَفْيُ الطِّيَرَةِ.

الرَّابِعَةُ: نَفْيُ الْهَامَةِ.

الْخَامِسَةُ: نَفْيُ الصَّفَرِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ الْفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ.

السَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الْفَأْلِ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الْوَاقِعَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لَا يَضُرُّ، بَلْ يُذْهِبُهُ اللهُ بِالتَّوَكُّلِ.

التَّاسِعَةُ: ذِكْرُ مَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهُ.

الْعَاشِرَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: تَفْسِيرُ الطِّيَرَةِ الْمَذْمُومَةِ.

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ؛ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ»[1]. انْتَهَىٰ.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ. ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا.

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ: أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»[2]. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي: «صَحِيحِهِ».

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا (٦/ ٢٩٦- فتح).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٩)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعف الجامع» (٢٥٩٨).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ النُّجُومِ.

الثَّانِيَةُ: الرَّدُّ عَلَىٰ مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ الخِلَافِ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ.

الرَّابِعَةُ: الوَعِيدُ فِيمَنْ صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنَ السِّحْرِ، وَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ.

بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ». وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا: عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ»[2].

وَلَهُمَا: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: «قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وكذا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَاتِ ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٢](١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْوَاقِعَةِ».

الثَّانِيَةُ: ذِكْرُ الْأَرْبَعِ الَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ الْكُفْرِ فِي بَعْضِهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الْكُفْرِ مَا لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ.

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» بِسَبَبِ نُزُولِ النِّعْمَةِ.

السَّادِسَةُ: التَّفَطُّنُ لِلْإِيمَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

السَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ لِلْكُفْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

الثَّامِنَةُ: التَّفَطُّنُ لِقَوْلِهِ: «لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا».

التَّاسِعَةُ: إِخْرَاجُ الْعَالِمِ لِلْمُتَعَلِّمِ الْمَسْأَلَةَ بِالِاسْتِفْهَامِ عَنْهَا؛ لِقَوْلِهِ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟».

الْعَاشِرَةُ: وَعِيدُ النَّائِحَةِ.

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾

[البقرة: ١٦٥]

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ الآية [التوبة: ٢٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٣).

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». أَخْرَجَاهُ(١).

وَلَهُمَا: عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَن يقذف فِي النَّارِ»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ: «لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ...» إِلَىٰ آخِرِهِ(٣).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَىٰ فِي اللهِ، وَعَادَىٰ فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلايَةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّىٰ يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَىٰ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَىٰ أَهْلِهِ شَيْئًا»(٤). رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، قَالَ: «الْمَوَدَّةُ»(٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْبَقَرَةِ».

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «بَرَاءَةٍ».

الثَّالِثَةُ: وُجُوبُ مَحَبَّتِهِ ﷺ عَلَىٰ النَّفْسِ وَالأَهْلِ وَالْمَالِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٤١).

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٩٦).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٧).

الرَّابِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ الْإِيمَانِ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ الْخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةً قَدْ يَجِدُهَا الإنسان وَقَدْ لَا يَجِدُهَا.

السَّادِسَةُ: أَعْمَالُ الْقَلْبِ الْأَرْبَعِ الَّتِي لَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللهِ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَجِدُ أحد طَعْمَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِهَا.

السَّابِعَةُ: فَهْمُ الصَّحَابِيِّ لِلْوَاقِعِ: أَنَّ عَامَّةَ الْمُؤَاخَاةِ عَلَىٰ أَمْرِ الدُّنْيَا.

الثَّامِنَةُ: تَفْسِيرُ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَنْ يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيدًا.

الْعَاشِرَةُ: الْوَعِيدُ عَلَىٰ مَنْ كَانَ الثَّمَانِيَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِهِ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ، فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ.

بَابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٧٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ الآيةَ[التوبة: ١٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ[العنكبوت: ١٠].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ اللهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢٢١)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٠٠٩).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رضي الله عنه وَأَرْضَىٰ عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: تَفْسِيرُ آيَةِ «آلِ عِمْرَانَ».

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «بَرَاءَةٍ».

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْعَنْكَبُوتِ».

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الْيَقِينَ يَضْعُفُ وَيَقْوَىٰ.

الْخَامِسَةُ: عَلَامَةُ ضَعْفِهِ وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الثَّلَاثُ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ إِخْلَاصَ الْخَوْفِ لِلهِ مِنَ الْفَرَائِضِ.

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ.

الثَّامِنَةُ: ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ.

بَابٌ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ الآية [الأنفال: ٦٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ الآية [الطلاق: ٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٣]».

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٤) بنحوه، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ (١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: أَنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ الْفَرَائِضِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ مِنْ شُرُوطِ الْإِيمَانِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الأَنْفَالِ».

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ آيَةٍ فِي آخِرِهَا.

الْخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ «الطَّلَاقِ».

السَّادِسَةُ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَنَّهَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عليه الصلاة والسلام وَمُحَمَّدٍ ﷺ فِي الشَّدَائِدِ.

بَابٌ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ» (٢).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ» (٣). رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «الأَعْرَافِ».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

(٢) أخرجه الطبراني (١٢/ ٢٥٢)، وحسنه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢٠٥١).

(٣) أخرجه الطبراني (٩/ ١٥٦)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٧٩).

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْحِجْرِ.

الثَّالِثَةُ: شِدَّةُ الْوَعِيدِ فِيمَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الْوَعِيدِ فِي الْقُنُوطِ.

بَابٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ: الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»(١).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»(٢).

وَلَهُمَا: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»(٣).

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ، عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ(٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «التَّغَابُنِ».

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (٢٨/ ١٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ.

الثَّالِثَةُ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ.

الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الْوَعِيدِ فِيمَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ.

الْخَامِسَةُ: علامةُ إِرَادَةِ اللهِ بعبدهِ الْخَيْرَ.

السَّادِسَةُ: عَلَامَةُ إِرَادَةُ اللهِ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ.

السَّابِعَةُ: عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ لِلْعَبْدِ.

الثَّامِنَةُ: تَحْرِيمُ السَّخَطِ.

التَّاسِعَةُ: ثَوَابُ الرِّضَا بِالْبَلَاءِ.

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآية [الكهف: ١١٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ»(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْكَهْفِ».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

الثَّانِيَةُ: الأَمْرُ الْعَظِيمُ فِي رَدِّ الْعَمَلِ الصَّالِحِ إِذَا دَخَلَهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ السَّبَبِ الْمُوجِبِ لِذَلِكَ، وَهُوَ كَمَالُ الْغِنَىٰ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الأَسْبَابِ أَنَّهُ تَعَالَىٰ خَيْرُ الشُّرَكَاءِ.

الْخَامِسَةُ: خَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ مِنَ الرِّيَاءِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ فَسَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَرْءَ يُصَلِّي لِلهِ؛ لكِنْ يُزَيِّنُهَا لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَيْهِ.

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: ١٥] الآيَتَيْنِ.

وفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ، طُوبَىٰ لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ - كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ - كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»(١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الآخِرَةَ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «هُودٍ».

الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ الإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ عَبْدَ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْخَمِيصَةِ.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ».

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: «وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ».

السَّابِعَةُ: الثَّنَاءُ عَلَىٰ الْمُجَاهِدِ الْمَوْصُوفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ.

بَابٌ مَنْ أَطَاعَ الْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟!».

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، يَذْهَبُونَ إِلَىٰ رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ الْفِتْنَةُ الشِّرْكُ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ».

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: «أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١] فَقُلْتُ له: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» فَقُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم»[(١)]. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: تَفْسِيرُ آيَةِ «النُّورِ».

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «بَرَاءَةٍ».

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وصححه العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٢٩٣).

الثَّالِثَةُ: التَّنبِيهُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عَدِيٌّ.

الرَّابِعَةُ: تَمْثِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَتَمْثِيلُ أَحْمَدَ بِسُفْيَانَ.

الْخَامِسَةُ: تحول الأَحْوَالِ إِلَىٰ هَذِهِ الْغَايَةِ، حَتَّىٰ صَارَ عِنْدَ الأَكْثَرِ عبادَةُ الرُّهْبَانِ هِيَ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، وَتُسَمَّىٰ الْوَلَايَةُ، وَعِبَادَةُ الأَحْبَارِ هِيَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ، ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الأَحْوَالُ إِلَىٰ أَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَعُبِدَ بِالْمَعْنَىٰ الثَّانِي مَنْ هُوَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.

بَاب قَوْلِ الله تَعَالَىٰ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ الْآيَاتِ [النساء: ٦٠].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية [المائدة: ٥٠].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمرو أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[1]. قَالَ النَّوَوِيُّ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رُوِّينَاهُ فِي كِتَابِ: «الْحُجَّةِ»، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ نَتَحَاكَمُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ - عَرَفَ أَنَّهُ لا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ - وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَىٰ الْيَهُودِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ، فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ،

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، وضعفه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٢-١٣).

فَنَزَلَتْ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾[1] الآية.

وَقِيلَ: «نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الْآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ».

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «النِّسَاءِ» وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِعَانَةِ عَلَى فَهْمِ الطَّاغُوتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْبَقَرَةِ» ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الأرض.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْأَعْرَافِ»: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

الْخَامِسَةُ: مَا قَالَهُ الشَّعْبِيُّ فِي سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ الأولى.

السَّادِسَةُ: تَفْسِيرُ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ.

السَّابِعَةُ: قِصَّةُ عُمَرَ مَعَ الْمُنَافِقِ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الْإِيمَانِ لَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ، حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

بَاب مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ الْآيَةَ [الرعد: ٣٠].

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: قَالَ عَلِيٌّ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟!»[2].

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّهُ

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري تعليقًا (١/ ٢٢٥- فتح)، عن علي رضي الله عنه موقوفًا، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٧٠١).

رَأَىٰ رَجُلًا انتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟!»(١) . انْتَهَىٰ.

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾(٢) .

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: عَدَمُ الإِيمَانِ بِجَحْدِ شَيْءٍ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الرَّعْدِ.

الثَّالِثَةُ: تَرْكُ التَّحْدِيثِ بِمَا لَا يَفْهَمُ السَّامِعُ.

الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ العِلَّةِ؛ أَنَّهُ يُفْضِي إِلَىٰ تَكْذِيبِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ لَمْ يَتَعَمَّدِ الْمُنْكِرُ.

الْخَامِسَةُ: كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِمَنِ اسْتَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ أَهْلَكَه.

بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ الآيَةَ [النحل: ٨٣]

قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي».

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «يَقُولُونَ لَوْلَا فُلَانٌ؛ لَمْ يَكُنْ كَذَا».

وَقَالَ ابْنُ قُتَيبَةَ: «يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا».

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ - بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...» الْحَدِيثَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ: «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ».

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا. وَنَحْوِ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٩٥)، وصححه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢١٣).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٨٥) من طريق ابن جريج مرسلًا.

ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ كَثِيرَةٍ».

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفْسِيرُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ وَإِنْكَارِهَا.

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ كَثِيرة.

الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ هَذَا الْكَلَامِ إِنْكَارًا لِلنِّعْمَةِ.

الرَّابِعَةُ: اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ فِي الْقَلْبِ.

بَابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْآيَةِ: «الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَىٰ صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ، وَحَيَاتِي.

وَتَقُولَ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَىٰ اللُّصُوصُ.

وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ؛ لا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ». رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ(١).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ(٢).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»(٣).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير»(٢٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٠٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٥٩٢٩)، وصححه العلامة الألباني في «الإرواء» (٢٥٦٢).

وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[١].

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ: «أَنَّهُ يُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَعُوذُ بِاللهِ وَبِكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: بِاللهِ ثُمَّ بِكَ»[٢]. قَالَ: «وَيَقُولُ لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ، وَلَا تَقُولُوا: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ»[٣].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْبَقَرَةِ» فِي الْأَنْدَادِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم يُفَسِّرُونَ الْآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ بِأَنَّهَا تَعُمُّ الْأَصْغَرَ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ صَادِقًا فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ.

الْخَامِسَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ «الْوَاوِ» و«ثُمَّ» فِي اللَّفْظِ.

بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ، فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بسند حَسَنٍ[٤].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الْحَلِفِ بِالْآبَاءِ.

الثَّانِيَةُ: الْأَمْرُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ بِاللهِ أَنْ يَرْضَى.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٠)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٩٨١١).

(٣) روي هذا مرفوعًا عن النبي ﷺ أخرجه إسحاق بن راهويه، برقم (٢٤٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢١٠١)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

الثَّالِثَةُ: وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ.

بَابُ قَوْلِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ

عَنْ قُتَيْلَةَ: أَنَّ يَهُودِيًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»، وَأَنْ يَقُولُوا: «مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ[1].

وَلَهُ أَيْضًا: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[2].

وَلِابْنِ مَاجَهْ: عَنِ الطُّفَيْلِ - أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا - قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ؛ قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ. قَالُوا: وَإنكم لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ؛ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ؛ فَقَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا؛ فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[3].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: مَعْرِفَةُ الْيَهُودِ بِالشِّرْكِ الْأَصْغَرِ.

الثَّانِيَةُ: فَهْمُ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًى.

---

(١) أخرجه النسائي (٣٧٧٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢١١٨)، وصححه العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٨).

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا؟!» فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ... سِوَاكَ...

وَالْبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ؟!

الرَّابِعَةُ: أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ؛ لِقَوْلِهِ: «يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا».

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِنْ أَقْسَامِ الْوَحْيِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الأَحْكَامِ.

بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] الآيَةَ.

وَفِي الصَّحِيحِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ؛ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ.

الثَّانِيَةُ: تَسْمِيَتُهُ أَذًى للهِ.

الثَّالِثَةُ: التَّأَمُّلُ فِي قَوْلِهِ: «فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَابًّا، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِقَلْبِهِ.

بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٦).

رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ؛ لا مَالِكَ إِلَّا اللهُ»(١).

قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ: شَاهَانْ شَاهْ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ»(٢).

قَوْلِهِ: «أَخْنَعُ» يَعْنِي: أَوْضَعَ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: النَّهْيُ عَنِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ كَمَا قَالَ سُفْيَانُ.

الثَّالِثَةُ: التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

الرَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لِإِجْلَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ، أَنَّهُ كَانَ يُكَنَّىٰ أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ». فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ؛ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟»، قُلْتُ: شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ(٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: احْتِرَامُ أسماء الله وصفاته، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

الثَّانِيَةُ: تَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: اخْتِيَارُ أَكْبَرِ الْأَبْنَاءِ لِلْكُنْيَةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، وقال الألباني في «المشكاة» (٤٧٦٦): «إسناده جيد».

بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ الْقُرْآنِ أَو الرَّسُولِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ الْآيَةَ [التوبة: ٦٥].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَقَتَادَةَ - دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ: أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ - يَعْنِي: رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ - فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥﴾ ومَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ»[1].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ - وَهِيَ الْعَظِيمَةُ -: أَنَّ مَنْ هَزَلَ بِهَذَا فَهُوَ كَافِرٌ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

الثَّالِثَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ وَبين النَّصِيحَةِ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ.

الرَّابِعَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ وَبَيْنَ الْغِلْظَةِ عَلَىٰ أَعْدَاءِ اللهِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ مِن الاعْتِذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧٢، ١٧٣).

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ الْآيَةَ [فصلت: ٥٠]

قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ: مِنْ عِنْدِي».

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨]

قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَىٰ عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ».

وَقَالَ آخَرُونَ: «عَلَىٰ عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ».

وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَىٰ شَرَفٍ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النبي ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَىٰ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ أَو الْبَقَرُ - شَكَّ إِسْحَاقُ - فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَىٰ الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ.

فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قذره، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، فقَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ أَوِ الإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ. فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ».

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قَدِ

انقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ؛ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ له: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ المَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ.

قَالَ: وأَتَىٰ الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ. قَالَ: وأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؛ وَأَعْطَاكَ المَالَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، قَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ عَلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَقَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ». أخرجاه[1].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفْسِيرُ الآيَةِ.

الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَىٰ ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾.

الثَّالِثَةُ: مَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾.

الرَّابِعَةُ: مَا فِي هَذِهِ القِصَّةِ العَجِيبَةِ مِنَ العِبَرِ العَظِيمَةِ.

بَاب قَولِ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ الآيَة [الأعراف: ١٩٠]

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَىٰ تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ؛ كَعَبْدِ عَمْرٍو، وَعَبْدِ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

الْكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ، قَالَ: «لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ؛ لَتُطِيعَانِّي أَوْ لأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ، فَيَشُقُّهُ، وَلأَفْعَلَنَّ، وَلأَفْعَلَنَّ؛ يُخَوِّفُهُمَا، سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتًا ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[1].

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنْ قَتَادَةَ؛ قَالَ: «شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ»[2].

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾؛ قَالَ: «أَشْفَقَا أَلَّا يَكُونَ إِنْسَانًا»[3] وَذُكِرَ مَعْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغَيْرِهِمَا.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَحْرِيمُ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا الشِّرْكَ فِي مُجَرَّدِ تَسْمِيَةٍ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ هِبَةَ اللهِ لِلرَّجُلِ الْبِنْتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ.

الْخَامِسَةُ: ذِكْرُ السَّلَفِ الْفَرْقَ بَيْنَ الشِّرْكِ فِي الطَّاعَةِ وَالشِّرْكِ فِي الْعِبَادَةِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ٣٠).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٤٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ٣٠٧).

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الْآيَةَ [الأعراف: ١٨٠]

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ «يُشْرِكُونَ»(١).

وَعَنْهُ: «سَمَّوا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعُزَّىٰ مِنَ الْعَزِيزِ»(٢).

وَعَنِ الْأَعْمَشِ: «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا»(٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: إِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ.

الثَّانِيَةُ: كَوْنُهَا حُسْنَىٰ.

الثَّالِثَةُ: الْأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا.

الرَّابِعَةُ: تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِنَ الْجَاهِلِينَ الْمُلْحِدِينَ.

الْخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ الْإِلْحَادِ فِيهَا.

السَّادِسَةُ: الْوَعِيدُ لِمَنْ أَلْحَدَ.

بَابٌ: لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللهِ

فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ؛ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَىٰ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَام عَلَىٰ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٩٢).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٣) بنحوه.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ السَّلَامِ.

الثانيةُ: أَنَّهُ تَحِيَّةٌ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِلَّهِ.

الرَّابِعَةُ: الْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ.

الْخَامِسَةُ: تَعْلِيمُهُمُ التَّحِيَّةَ الَّتِي تَصْلُحُ لِلَّهِ.

بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لا مُكْرِهَ لَهُ»(١).

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الاسْتِثْنَاءِ فِي الدُّعَاءِ.

الثَّانِيَةُ: بَيَانُ الْعِلَّةِ فِي ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ».

الرَّابِعَةُ: إِعْظَامُ الرَّغْبَةِ.

الْخَامِسَةُ: التَّعْلِيلُ لِهَذَا الأَمْرِ.

بَابُ لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٩).

أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»(١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ قَوْلِ: عَبْدِي وَأَمَتِي.

الثَّانِيَةُ: لَا يَقُولُ الْعَبْدُ: رَبِّي، وَلَا يُقَالُ لَهُ: أَطْعِمْ رَبَّكَ.

الثَّالِثَةُ: تَعْلِيمُ الْأَوَّلِ قَوْلَ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي.

الرَّابِعَةُ: تَعْلِيمُ الثَّانِي قَوْلَ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ.

الْخَامِسَةُ: التَّنْبِيهُ لِلْمُرَادِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ حَتَّىٰ فِي الْأَلْفَاظِ.

بَابٌ: لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ بِاللهِ؛ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ؛ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ؛ وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: إِعَاذَةُ مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ.

الثَّانِيَةُ: إِعْطَاءُ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ.

الثَّالِثَةُ: إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ.

الرَّابِعَة: الْمُكَافَأَةُ عَلَىٰ الصَّنِيعَةِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: «حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

بَابٌ: لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ

عَنْ جَابِرٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا غَايَةُ الْمَطَالِبِ.

الثَّانِيَةُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْوَجْهِ.

بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ: «لَوْ»

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ الْآيَةَ [آل عمران: ١٥٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ الْآيَةَ [آل عمران: ١٦٨].

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلا تَعْجِزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كذا لكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ فِي آلِ عِمْرَانَ.

الثَّانِيَةُ: النَّهْيُ الصَّرِيحُ عَنْ قَوْلِ: «لَوْ» إِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ.

الثَّالِثَةُ: تَعْلِيلُ الْمَسْأَلَةِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ.

الرَّابِعَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَىٰ الْكَلَامِ الْحَسَنِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧١)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

الْخَامِسَةُ: الْأَمْرُ بِالْحِرْصِ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُ مَعَ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ.

السَّادِسَةُ: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ وَهُوَ الْعَجْزُ.

بَابُ: النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَسُبُّوا الرِّيحَ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ؛ فَقُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ» صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ(١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ.

الثَّانِيَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَىٰ الْكَلَامِ النَّافِعِ إِذَا رَأَىٰ الْإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ.

الثَّالِثَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَىٰ أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا قَدْ تُؤْمَرُ بِخَيْرٍ وَقَدْ تُؤْمَرُ بِشَرٍّ.

بَاب قَولِ اللهِ تَعَالَى:

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ الْآيَةَ [آل عمران: ١٥٤]

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ الْآيَةَ [الفتح: ٦].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الْآيَةِ الْأُولَىٰ:

فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ. فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ. وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

وَالْمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ «الْفَتْحِ».

وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ؛ لِأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ، فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الْحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الْحَمْدَ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ؛ فَـ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَمُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا؛ فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ؛ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيَا

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «آلِ عِمْرَانَ».

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْفَتْحِ».

الثَّالِثَةُ: الْإِخْبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنْوَاعٌ لَا تُحْصَرُ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَعَرَفَ نَفْسَهُ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي الْقَدَرِ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ؛ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ؛ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ». ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ

وَشَرِّهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١)

وَعَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ؛ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ». يَا بُنَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا، فَلَيْسَ مِنِّي» (٢)

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٣)

وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ - أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ» (٤)

وَفِي: «الْمُسْنَدِ» و«السُّنَنِ» عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ؛ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ، لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا؛ لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

قَالَ فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «صَحِيحِهِ» (٥)

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٧)، وحسنه الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٥٠).

(٤) أخرجه عبد الله بن وهب في «القدر» (٢٦).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: بَيَانُ فَرْضِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ.

الثَّانِيَةُ: بَيَانُ كَيْفِيَّةِ الْإِيمَانِ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: إِحْبَاطُ عَمَلِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.

الرَّابِعَةُ: الْإِخْبَارُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَجِدُ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِهِ.

الْخَامِسَةُ: ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللهُ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ جَرَىٰ بِالْمَقَادِيرِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

السَّابِعَةُ: بَرَاءَتُهُ ﷺ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.

الثَّامِنَةُ: عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ الْعُلَمَاءِ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ شبهته، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الْكَلَامَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَطْ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً». أَخْرَجَاهُ(١).

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ»(٢).

وَلَهُمَا: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).

وَلَهُمَا: عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا - كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»(١).

وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ رضي الله عنه: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ فِي المُصَوِّرِينَ.

الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَىٰ العِلَّةِ، وَهُوَ تَرْكُ الأَدَبِ مَعَ اللهِ؛ لِقَوْلِهِ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي».

الثَّالِثَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ، وَعَجْزِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ: «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ شَعِيرَةً».

الرَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا.

الخَامِسَةُ: أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذَّبُ بِهَا المُصَوِّرُ فِي جَهَنَّمَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ.

السَّابِعَةُ: الأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ.

بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ» أَخْرَجَاهُ(٣).

وَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لَا يَشْتَرِي

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[١].

وَفِي: «الصَّحِيحِ» عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[٢].

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[٣].

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ[٤].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: الْوَصِيَّةُ بِحِفْظِ الأَيْمَانِ.

الثَّانِيَةُ: الإِخْبَارُ بِأَنَّ الْحَلِفَ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ.

الثَّالِثَةُ: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيمَنْ لَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ.

الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّنْبَ يَعْظُمُ مَعَ قِلَّةِ الدَّاعِي.

الْخَامِسَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ.

السَّادِسَةُ: ثَنَاؤُهُ ﷺ عَلَى الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ أَوِ الأَرْبَعَةِ، وَذِكْرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ.

السَّابِعَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ السَّلَفِ يَضْرِبُونَ الصِّغَارَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ.

---

(١) أخرجه الطبراني (٦/ ٢٤٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٤) تقدم تخريجه.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ

وَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ الْآيَةَ[النحل: ٩١].

عَنْ بُرَيْدَةَ ﵁ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَىٰ جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ بِتَقْوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا.

فَقَالَ: «اغْزُوَا بِاسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ (أَوْ خِلَالٍ)، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَىٰ دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تَعَالَىٰ، الَّذِي يَجْرِي عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: الْفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ، وَذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

الثَّانِيَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَىٰ أَقَلِّ الْأَمْرَيْنِ خَطَرًا.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ».

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ».

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «اسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ».

السَّادِسَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ الْعُلَمَاءِ.

السَّابِعَةُ: فِي كَوْنِ الصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِحُكْمٍ لَا يَدْرِي أَيُوَافِقُ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا؟

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ ﷻ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَلَّا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَىٰ: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّأَلِّي عَلَىٰ اللهِ.

الثَّانِيَةُ: كَوْنُ النَّارِ أَقْرَبَ إِلَىٰ أَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، وحسنه العلامة الألباني في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٣٥٧).

الرَّابِعَةُ: فِيهِ شَاهِدٌ لِقَوْلِهِ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ...» إلخ[١].

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الأُمُورِ إِلَيْهِ.

بَابٌ: لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ!». فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[٢].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: إِنْكَارُهُ عَلَى مَنْ قَالَ: «نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ».

الثَّانِيَةُ: تَغَيُّرُهُ تَغَيُّرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ».

الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى تَفْسِيرِ: «سُبْحَانَ اللهِ!».

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ ﷺ الاسْتِسْقَاءَ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ﷺ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف أبي داود».

وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ[1].

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا. فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ ﷻ»[2]. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الْغُلُوِّ.

الثَّانِيَةُ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ: «أَنْتَ سَيِّدُنَا».

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «لا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِلَّا الْحَقَّ.

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي».

بَابُ: مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الآيَةَ [الزمر: ٦٧].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ عَلَى إِصْبَعٍ، والأرضين على إصبع وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦)، وصححه العلامة الألباني في «مشكاة المصابيح» (٤٩٠٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤١)، وصححه العلامة الألباني في «غاية المرام» (١٢٧).

الْآيَةَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللهُ»[٢].

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ». أَخْرِجَاهُ[٣].

وَلِمُسْلِمٍ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا: «يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[٤].

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ، وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»[٥].

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أخبرنا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ»[٦].

قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٦).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٨٨).
(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٣).
(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦).
(٧) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٦)، وصححه العلامة الألباني في «شرح العقيدة الطحاوية» (٣١٢).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وسماء خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ؛ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»(١) . أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ.

وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رحمه الله تَعَالَى، قَالَ: «وَلَهُ طُرُقٌ».

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمَائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَالْعَرْشِ بَحْرٌ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَليس يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». اخرجه أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ(٢) .

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي زَمَنِهِ ﷺ وَلَمْ يُنْكِرُوهَا وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْحَبْرَ لَمَّا ذَكَرَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ صَدَّقَهُ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِتَقْرِير ذَلِكَ.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٨٥)، وصححه العلامة الألباني في «مختصر العلو» (ص٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٠٩٣).

الرَّابِعَةُ: وُقُوعُ الضَّحِكِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ لما ذَكَرَ الْحَبْرُ هَذَا الْعِلْمَ الْعَظِيمَ.

الْخَامِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ الْيَدَيْنِ، وَأَنَّ السَّمَوَاتِ فِي الْيَدِ الْيُمْنَىٰ، وَالأَرَضِينَ فِي الأُخْرَىٰ.

السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَتِهَا الشِّمَالَ.

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الْجَبَّارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ.

الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ: «كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ».

التَّاسِعَةُ: عِظَمُ الْكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ السَّمَوَاتِ.

الْعَاشِرَةُ: عِظَمُ الْعَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْكُرْسِيِّ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْعَرْشَ غَيْرُ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْبَحْرَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

٢٠- مُفِيدُ الْمُسْتَفِيدِ فِي كُفْرِ تَارِكِ التَّوْحِيدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذِهِ أَوْرَاقٌ كَتَبَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ لَمَّا ارْتَابَ بَعْضُ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِ الْعُيَيْنَةِ، لَمَّا ارْتَدَّ أَهْلُ حُرَيْمِلَاءَ، فَسُئِلَ الشَّيْخُ أَنْ يَكْتُبَ كَلَامًا يَنْفَعُهُ اللهُ بِهِ:

فَقَالَ ﷺ: رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَمْرِو بنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَعبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَىٰ رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرَآءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ.

فَتَلَطَّفْتُ حَتَّىٰ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ» فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ». فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ». قُلْتُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَىٰ هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ». وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ ﷺ. فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ. قَالَ: «إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلا تَرَىٰ حَالِي وَحَالَ النَّاسِ؟ وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَىٰ أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي».

قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَىٰ أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ.

فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ؛ أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ». قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَىٰ. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ؛ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ، حَتَّىٰ يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنْ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ، حَتَّىٰ تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّىٰ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ...»[١] وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَقَدْ نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ وَقْتَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَوَقْتَ غُرُوبِهَا، مُعَلِّلًا بِأَنَّهَا تَطْلُعُ وَتَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَقْصِدُ السُّجُودَ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ قَدْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ طُلُوعَهَا وَغُرُوبَهَا بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَلَا أَنَّ الْكُفَّارَ يَسْجُدُونَ لَهَا، ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ نَهَىٰ عَنِ الصَّلَاةِ فِي هَذَا الْوَقْتِ حَسْمًا لِمَادَّةِ الْمُشَابَهَةِ بِكُلِّ طَرِيقٍ.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّىٰ إِلَىٰ عُودٍ، أَوْ عَمُودٍ جَعَلَهُ عَلَىٰ حَاجِبِهِ الْأَيْمَنِ، أَوِ الْأَيْسَرِ، وَلَمْ يَصْمدْ لَهُ صَمْدًا[٢]، وَلِهَذَا نَهَىٰ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَىٰ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ فِي الْجُمْلَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْعَابِدُ يَقْصِدُ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا يُنْهَىٰ عَنِ السُّجُودِ لِلَّهِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّجُلِ، وَإِنْ لَمْ يَقْصِدِ السَّاجِدُ ذَلِكَ، لِمَا فِيهِ مِنْ مُشَابَهَةِ السُّجُودِ لِغَيْرِ اللهِ».

انْتَهَىٰ كَلَامُ أَبِي الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللهُ.

فَلْيَتَأَمَّلِ الْمُؤْمِنُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْعِبَرِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٦٩٣)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

يَقُصُّ عَلَيْنَا أَخْبَارَ الأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ؛ لِيَكُونَ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ عِبْرَةٌ فَيَقِيسَ حَالَهُ بِحَالِهِمْ، وَقَصَّ قَصَصَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ لِتُجْتَنَبَ وَيُجْتَنَبَ مَنْ تَلَبَّسَ بِهَا أَيْضًا.

[١] فَمِمَّا فِيهِ مِنَ الِاعْتِبَارِ: أَنَّ هَذَا الأَعْرَابِيَّ الْجَاهِلِيَّ لَمَّا ذُكِرَ لَهُ أَنَّ رَجُلًا بِمَكَّةَ يَتَكَلَّمُ فِي الدِّينِ بِمَا يُخَالِفُ النَّاسَ لَمْ يَصْبِرْ حَتَّىٰ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَقَدِمَ عَلَيْهِ، وَعَلِمَ مَا عِنْدَهُ، لِمَا فِي قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ الدِّينِ وَالْخَيْرِ، وَهَذَا فُسِّرَ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أَيْ: حِرْصًا عَلَىٰ تَعَلُّمِ الدِّينِ، ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣] أَيْ: أَفْهَمَهُمْ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ عَدَمَ الْفَهْمِ فِي أَكْثَرِ النَّاسِ الْيَوْمَ عَدْلٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لِمَا يَعْلَمُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ عَدَمِ الْحِرْصِ عَلَىٰ تَعَلُّمِ الدِّينِ.

فَتَبَيَّنَ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ الْـمُوجِبَةِ لِكَوْنِ الإِنْسَانِ مِنْ شَرِّ الدَّوَابِّ هُوَ عَدَمُ الْـحِرْصِ عَلَىٰ تَعَلُّمِ الدِّينِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الْـجَاهِلِيُّ يَطْلُبُ هَذَا الطَّلَبَ، فَمَا عُذْرُ مَنِ ادَّعَىٰ اتِّبَاعَ الأَنْبِيَاءِ، وَبَلَغَهُ عَنْهُمْ مَا بَلَغَهُ، وَعِنْدَهُ مَنْ يَعْرِضُ عَلَيْهِ التَّعْلِيمَ، وَلَا يَرْفَعُ بِذَلِكَ رَأْسًا، فَإِنْ حَضَرَ أَوِ اسْتَمَعَ، فَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٢، ٣].

[٢] وَفِيهِ مِنَ الْعِبَرِ أَيْضًا: أَنَّهُ لَـمَّا قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ». قَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: بِكَذَا وَكَذَا. فَتَبَيَّنَ أَنَّ زُبْدَةَ الرِّسَالَةِ الإِلَـهِيَّةِ، وَالدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ، هِيَ تَوْحِيدُ الله بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَكَسْرُ الأَوْثَانِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ كَسْرَهَا لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا بِشِدَّةِ الْعَدَاوَةِ وَتَجْرِيدِ السَّيْفِ، فَتَأَمَّلْ زُبْدَةَ الرِّسَالَةِ.

[٣]- وَفِيهِ أَيْضًا: أَنَّهُ فَهِمَ الْـمُرَادَ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَفَهِمَ أَنَّهُ أَمْرٌ كَبِيرٌ غَرِيبٌ، وَلِأَجْلِ هَذَا قَالَ: مَنْ مَعَكَ عَلَىٰ هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ»، فَأَجَابَهُ أَنَّ جَمِيعَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ وَالْـمُلُوكِ وَالْعَامَّةِ مُخَالِفُونَ لَهُ وَلَمْ يَتْبَعْهُ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ ذُكِرَ، فَهَذَا أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَىٰ أَنَّ الْـحَقَّ قَدْ يَكُونُ مَعَ أَقَلِّ الْقَلِيلِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ قَدْ يَمْلَأُ الأَرْضَ.

وَلله دَرُّ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ حَيْثُ يَقُولُ: «لَا تَسْتَوْحِشْ مِنَ الْـحَقِّ لِقِلَّةِ

السَّالِكِينَ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالْبَاطِلِ لِكَثْرَةِ الْـهَالِكِينَ».

وَأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ: ٢٠].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَتِسْعُمِائَةٍ، وَفِي الْـجَنَّةِ وَاحِدٌ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ، وَلَـمَّا بَكَوْا مِنْ هَذَا لَـمَّا سَمِعُوهُ قَالَ ﷺ: «فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهَا جَاهِلِيَّةٌ». قَالَ: «فَيُؤْخَذُ الْعَدَدُ مِنَ الْـجَاهِلِيَّةِ فَإِنْ تَمَّتْ، وَإِلَّا كُمِّلَتْ مِنَ الْـمُنَافِقِينَ»(١). قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[٤١]- فَإِذَا تَأَمَّلَ الْإِنْسَانُ مَا فِي هَذَا الْـحَدِيثِ مِنْ صِفَةِ بُدُوِّ الْإِسْلَامِ، وَمَنِ اتَّبَعَ الرَّسُولَ ﷺ إِذْ ذَاكَ، ثُمَّ ضَمَّ إِلَيْهِ الْـحَدِيثَ الْآخَرَ، الَّذِي فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» أَيْضًا أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا»(٢). تَبَيَّنَ لَهُ الْأَمْرُ إِنْ هَدَاهُ اللهُ، وَانْزَاحَتْ عَنْهُ الْـحُجَّةُ الْفِرْعَوْنِيَّةُ: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [طه: ٥١]، وَالْـحُجَّةُ الْقُرَشِيَّةُ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [ص: ٧].

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ «اقْتِضَاء الصِّرَاطِ الْـمُسْتَقِيم» فِي الْكَلَامِ عَلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]: «ظَاهِرُهُ: أَنَّ مَا ذُبِحَ لِغَيْرِ اللهِ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ: هَذَا ذَبِيحَةٌ لِكَذَا، وَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ الْـمَقْصُودَ فَسَوَاءٌ لَفَظَ بِهِ أَوْ لَمْ يَلْفِظْ، وَتَحْرِيمُ هَذَا أَظْهَرُ مِنْ تَحْرِيمِ مَا ذَبَحَهُ لِلَّحْمِ، وَقَالَ فِيهِ: بِاسْمِ الْـمَسِيحِ وَنَحْوَهُ، كَمَا أَنَّ مَا ذَبَحْنَاهُ مُتَقَرِّبِينَ بِهِ إِلَىٰ اللهِ كَانَ أَزْكَىٰ وَأَعْظَمَ مِمَّا ذَبَحْنَاهُ لِلَّحْمِ وَقُلْنَا عَلَيْهِ: بِاسْمِ اللهِ.

فَإِنَّ عِبَادَةَ اللهِ بِالصَّلَاةِ لَهُ وَالنُّسُكِ لَهُ أَعْظَمُ مِنَ الِاسْتِعَانَةِ بِاسْمِهِ فِي فَوَاتِحِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٦٨)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٩).

الْأُمُورِ.....، فَإِنَّ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللهِ أَعْظَمُ كُفْرًا مِنَ الِاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِ اللهِ.

وَعَلَىٰ هَذَا؛ فَلَوْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ مُتَقَرِّبًا بِهِ إِلَيْهِ لَحَرُمَ وَإِنْ قَالَ فِيهِ بِاسْمِ اللهِ، كَمَا قَدْ يَفْعَلُهُ طَائِفَةٌ مِنْ مُنَافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ قَدْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَىٰ الْكَوَاكِبِ بِالذَّبْحِ وَالْبَخُورِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُرْتَدِّينَ لَا تُبَاحُ ذَبَائِحُهُمْ بِحَالٍ، لَكِنْ يَجْتَمِعُ فِي الذَّبِيحَةِ مَانِعَانِ، وَمِنْ هَذَا مَا يَفْعَلُهُ الْجَاهِلُونَ بِمَكَّةَ - شَرَّفَهَا اللهُ - وَغَيْرِهَا مِنَ الذَّبْحِ لِلْجِنِّ». انْتَهَىٰ كَلَامُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ.

وَهُوَ الَّذِي يَنْسُبُ إِلَيْهِ بَعْضُ أَعْدَاءِ الدِّينِ أَنَّهُ لَا يُكَفِّرُ الْمُعَيَّنَ، فَانْظُرْ أَرْشَدَكَ اللهُ إِلَىٰ تَكْفِيرِهِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَتَصْرِيحِهِ أَنَّ الْمُنَافِقَ يَصِيرُ مُرْتَدًّا بِذَلِكَ، وَهَذَا فِي الْمُعَيَّنِ؛ إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ تَحْرُمَ إِلَّا ذَبِيحَةُ مُعَيَّنٍ.

وَقَالَ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ: «وَكَانَتِ الطَّوَاغِيتُ الْكِبَارُ، الَّتِي تُشَدُّ إِلَيْهَا الرِّحَالُ ثَلَاثَةً: اللَّاتَ، وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ....، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ لِمِصْرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْعَرَبِ....، فَكَانَتِ اللَّاتُ لِأَهْلِ الطَّائِفِ، ذَكَرُوا أَنَّه كَانَ فِي الْأَصْلِ رَجُلًا صَالِحًا يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحَجِيجِ، فَلَمَّا مَاتَ عَكَفُوا عَلَىٰ قَبْرِهِ مُدَّةً، وَأَمَّا الْعُزَّىٰ: فَكَانَتْ لِأَهْلِ مَكَّةَ قَرِيبًا مِنْ عَرَفَاتٍ، وَكَانَتْ هُنَاكَ شَجَرَةٌ يَذْبَحُونَ عِنْدَهَا وَيَدْعُونَ....، وَأَمَّا مَنَاةُ: فَكَانَتْ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ، يُهِلُّونَ لَهَا شِرْكًا بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَكَانَتْ حَذْوَ قُدَيْدٍ - الْجَبَلِ الَّذِي بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ مِنْ نَاحِيَةِ السَّاحِلِ.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ كَيْفَ كَانَتْ أَحْوَالُ الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ، وَيَعْرِفَ حَقِيقَةَ الشِّرْكِ الَّذِي ذَمَّهُ اللهُ وَأَنْوَاعَهُ؛ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ، وَيَعْرِفَ مَا كَرِهَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَحْوَالِ الْعَرَبِ فِي زَمَانِهِ، وَمَا ذَكَرَهُ الْأَزْرَقِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»، وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَلَمَّا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ شَجَرَةٌ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ وَيُسَمُّونَهَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ:

«اللهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، إِنَّكُمْ تَرْكَبُونَ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»[١] فَأَنْكَرَ النَّبِيُّ ﷺ مُجَرَّدَ مُشَابَهَتِهِمْ لِلْكُفَّارِ فِي اتِّخَاذِ شَجَرَةٍ يَعْكُفُونَ عَلَيْهَا، مُعَلِّقِينَ عَلَيْهَا سِلَاحَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ مُشَابَهَتِهِمْ لِلْمُشْرِكِينَ، أَوْ هُوَ الشِّرْكُ بِعَيْنِهِ».

إِلَىٰ أَنْ قَالَ: «فَمِنْ ذَلِكَ: عِدَّةُ أَمْكِنَةٍ بِدِمَشْقَ...، مَسْجِدٌ يُسَمَّىٰ مَسْجِدَ الْكَفِّ، فِيهِ تِمْثَالُ كَفٍّ، يُقَالُ: إِنَّهُ كَفُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّىٰ هَدَمَ اللهُ ذَلِكَ الْوَثَنَ، وَهَذِهِ الْأَمْكِنَةُ كَثِيرَةٌ مَوْجُودَةٌ فِي أَكْثَرِ الْبِلَادِ، وَفِي الْحِجَازِ مَوَاضِعُ».

ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا طَوِيلًا فِي نَهْيِهِ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْقُبُورِ، فَقَالَ: «الْعِلَّةُ الثَّانِيَةُ: مَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُشَابَهَةِ الْكُفَّارِ بِالصَّلَاةِ عِنْدَ الْقُبُورِ لِمَا يُفْضِي إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنَ الشِّرْكِ، وَهَذِهِ الْعِلَّةُ صَحِيحَةٌ بِاتِّفَاقِهِمْ.

وَالْمُعَلِّلُونَ بِالْأُولَىٰ كَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ، عَلَّلُوا بِهَذِهِ أَيْضًا، وَكَرِهُوا ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَكَذَلِكَ الْأَئِمَّةُ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَمَالِكٍ، كَأَبِي بَكْرٍ الْأَثْرَمِ صَاحِبِ أَحْمَدَ، وَغَيْرِهِ، وَعَلَّلُوا بِهَذِهِ الثَّانِيَةِ أَيْضًا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ كَانُوا فِي قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَىٰ قُبُورِهِمْ، وَصَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ، قَدْ ذَكَرَ هَذَا الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»[٢]، وَأَهْلُ التَّفْسِيرِ كَابْنِ جَرِيرٍ وَغَيْرِهِ، وَأَصْحَابُ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ كَوَثِيمَةَ وَغَيْرِهِ.

وَيُبَيِّنُ صِحَّةَ هَذِهِ الْعِلَّةِ: أَنَّهُ ﷺ لَعَنَ مَنْ يَتَّخِذُ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ

---

(١) أخرجه مسلم (٦٩٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٣٦).

قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ لَا تُنْبَشُ وَلَا يَكُونُ تُرَابُهَا نَجِسًا، وَقَالَ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»[(١)] وَقَالَ: «لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا»[(٢)] فَعُلِمَ أَنَّ نَهْيَهُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ جِنْسِ نَهْيِهِ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا؛ لِأَنَّ الْكُفَّارَ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ حِينَئِذٍ فَسَدَّ الذَّرِيعَةَ، وَحَسَمَ الْمَادَّةَ بِأَلَّا يُصَلِّيَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمُصَلِّي لَا يُصَلِّي إِلَّا للهِ، وَلَا يَدْعُو إِلَّا اللهَ، وَكَذَلِكَ نَهَىٰ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، وَإِنْ كَانَ الْمُصَلِّي عِنْدَهَا لَا يُصَلِّي إِلَّا للهِ، وَلَا يَدْعُو إِلَّا اللهَ؛ لِئَلَّا يُفْضِي ذَلِكَ إِلَىٰ دُعَائِهَا وَالصَّلَاةِ لَهَا، وَكِلَا الأَمْرَيْنِ قَدْ وَقَعَ، فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْجُدُ لِلشَّمْسِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ، وَيَدْعُو لَهَا بِأَنْوَاعِ الأَدْعِيَةِ...

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الشِّرْكِ الَّذِي ضَلَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، حَتَّىٰ شَاعَ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَصَنَّفَ فِيهِ بَعْضُ الْمَشْهُورِينَ كِتَابًا سَمَّاهُ: «السِّرُّ الْمَكْتُومُ فِي السِّحْرِ وَمُخَاطَبَةِ النُّجُومِ» عَلَىٰ مَذْهَبِ الْمُشْرِكِينَ...، مِثْلُ: أَبِي مَعْشَرٍ الْبَلْخِيِّ، وَثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ، وَأَمْثَالِهِمَا مِمَّنْ دَخَلَ فِي الشِّرْكِ، وَآمَنَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَىٰ أَهْلِ الْكِتَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١]. انْتَهَىٰ كَلَامُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ.

فَانْظُرْ - رَحِمَكَ اللهُ - إِلَىٰ كَلَامِ هَذَا الإِمَامِ الَّذِي نَسَبَ عَنْهُ مَنْ أَزَاغَ اللهُ قَلْبَهُ عَدَمَ تَكْفِيرِ الْمُعَيَّنِ، كَيْفَ ذَكَرَ عَنْ مِثْلِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ، وَمِثْلِ أَبِي مَعْشَرٍ وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ الْمَشْهُورِينَ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ، وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُمْ كَفَرُوا وَارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلَامِ، وَالْفَخْرُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الْمُتَكَلِّمِينَ، لَمَّا

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٥٩٣) عن عطاء مرسلًا، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (٧٥٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

ذَكَرَ تَصْنِيفَهُ الَّذِي ذُكِرَ هُنَا قَالَ: «وَهَذِهِ رِدَّةٌ عَنِ الإِسْلَامِ بِاتِّفَاقِ الْـمُسْلِمِينَ»، وَسَيَأْتِي كَلَامُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

وَتَأَمَّلْ أَيْضًا: مَا ذَكَرَهُ فِي اللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ، وَجَعْلَهُ فِعْلَ الْـمُشْرِكِينَ مَعَهَا هُوَ بِعَيْنِهِ الَّذِي يُفْعَلُ بِدِمَشْقَ وَغَيْرِهَا.

وَتَأَمَّلْ: قَوْلَهُ عَلَىٰ حَدِيثِ ذَاتِ أَنْوَاطٍ، هَذَا قَوْلُهُ فِي مُجَرَّدِ مُشَابَهَتِهِمْ فِي اتِّخَاذِ شَجَرَةٍ، فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الشِّرْكِ بِعَيْنِهِ، فَهَلْ لِلزَّائِغِ بَعْدَ هَذَا مُتَعَلَّقٌ بِشَيْءٍ مِنْ كَلَامِ هَذَا الإِمَامِ.

وَأَنَا أَذْكُرُ لَفْظَهُ الَّذِي احْتَجُّوا بِهِ عَلَىٰ زَيْغِهِمْ، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنِّي مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ نَهْيًا عَنْ أَنْ يُنْسَبَ مُعَيَّنٌ إِلَىٰ تَكْفِيرٍ، وَتَفْسِيقٍ، وَمَعْصِيَةٍ، إِلَّا إِذَا عُلِمَ أَنَّهُ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْـحُجَّةُ الرِّسَالِيَّةُ الَّتِي مَنْ خَالَفَهَا كَانَ كَافِرًا تَارَةً، وَفَاسِقًا أُخْرَىٰ، وَعَاصِيًا أُخْرَىٰ». انْتَهَىٰ كَلَامُهُ.

وَهَذَا صِفَةُ كَلَامِهِ رَحِمَهُ اللهُ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَقَفْنَا عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ، لَا يَذْكُرُ عَدَمَ تَكْفِيرِ الْمُعَيَّنِ إِلَّا أَتْبَعَهُ بِمَا يُزِيلُ الإِشْكَالَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّوَقُّفِ عَنْ تَكْفِيرِهِ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَهُ الْحُجَّةُ، وَأَمَّا إِذَا بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ، حُكِمَ عَلَيْهِ بِمَا تَقْتَضِيهِ تِلْكَ الْمَسْأَلَةُ مِنْ تَكْفِيرٍ، أَوْ تَفْسِيقٍ، أَوْ مَعْصِيَةٍ.

وَصَرَّحَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ كَلَامَهُ أَيْضًا فِي غَيْرِ الْمَسْأَلَةِ الظَّاهِرَةِ.

فَقَالَ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الْـمُتَكَلِّمِينَ لَـمَّا ذَكَرَ أَنَّ بَعْضَ أَئِمَّتِهِمْ تُوجَدُ مِنْهُمُ الرِّدَّةُ عَنِ الإِسْلَامِ كَثِيرًا، قَالَ: «وَإِذَا كَانَ فِي الْـمَقَالَاتِ الْـخَفِيَّةِ، فَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ فِيهَا مُخْطِئٌ ضَالٌّ، لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْـحُجَّةُ الَّتِي يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا، لَكِنَّ ذَلِكَ يَقَعُ فِي طَوَائِفَ مِنْهُمْ فِي الأُمُورِ الظَّاهِرَةِ، الَّتِي يَعْلَمُ الْـخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ أَنَّهَا مِنْ دِينِ الْـمُسْلِمِينَ، بَلِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ وَالْـمُشْرِكُونَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ بُعِثَ بِهَا، وَكَفَّرَ مَنْ خَالَفَهَا، مِثْلُ أَمْرِهِ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَهْيِهِ عَنْ عِبَادَةِ أَحَدٍ سِوَىٰ اللهِ مِنَ

الْـمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَغَيْرِهِمْ، فَإِنَّ هَذَا أَظْهَرُ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، وَمِثْلِ مُعَادَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالْـمُشْرِكِينَ، وَمِثْلِ تَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ وَالرِّبَا وَالْـخَمْرِ وَالْـمَيْسِرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

ثُمَّ تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ رُءُوسِهِمْ وَقَعُوا فِي هَذِهِ الْأَنْوَاعِ فَكَانُوا مُرْتَدِّينَ...، وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ صَنَّفَ فِي دِينِ الْـمُشْرِكِينَ وَالرِّدَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ كَمَا صَنَّفَ الرَّازِيُّ كِتَابَهُ فِي عِبَادَةِ الْكَوَاكِبِ، وَأَقَامَ الْأَدِلَّةَ عَلَىٰ حُسْنِ ذَلِكَ وَمَنْفَعَتِهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، وَهَذِهِ رِدَّةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ بِاتِّفَاقِ الْـمُسْلِمِينَ». انْتَهَىٰ كَلَامُهُ.

فَتَأَمَّلْ هَذَا وَتَأَمَّلْ مَا فِيهِ مِنْ تَفْصِيلِ الشُّبْهَةِ الَّتِي يَذْكُرُهَا أَعْدَاءُ اللهِ، لَكِنْ مَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا.

عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي نَعْتَقِدُ وَنَدِينُ اللهُ بِهِ، وَنَرْجُو أَنَّ اللهَ يُثَبِّتُنَا عَلَيْهِ: أَنَّهُ لَوْ يَغْلَطُ هُوَ، أَوْ أَجَلُّ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْـمَسْأَلَةِ، وَهِيَ مَسْأَلَةُ الْـمُسْلِمِ إِذَا أَشْرَكَ بِاللهِ بَعْدَ بُلُوغِ الْـحُجَّةِ، أَوِ الْـمُسْلِمِ الَّذِي يُفَضِّلُ هَذَا عَلَىٰ الْـمُوَحِّدِينَ، أَوْ يَزْعُمُ أَنَّهُ عَلَىٰ حَقٍّ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْكُفْرِ الصَّرِيحِ الظَّاهِرِ الَّذِي بَيَّنَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَبَيَّنَهُ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ، أَنَّا نُؤْمِنُ بِمَا جَاءَنَا عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ مِنْ تَكْفِيرِهِ، وَلَوْ غَلِطَ مَنْ غَلِطَ.

فَكَيْفَ وَالْحَمْدُ للهِ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ عَنْ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ خِلَافًا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَإِنَّمَا يَلْجَأُ مَنْ شَاقَّ فِيهَا إِلَىٰ حُجَّةِ فِرْعَوْنَ: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [طه: ٥١]، أَوْ حُجَّةِ قُرَيْشٍ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: ٧].

وَقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الرِّسَالَةِ السَّنِيَّةِ» لَمَّا ذَكَرَ حَدِيثَ الْخَوَارِجِ وَمُرُوقَهُمْ مِنَ الدِّينِ، وَأَمْرَهُ ﷺ بِقِتَالِهِمْ، قَالَ: «فَإِذَا كَانَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخُلَفَائِهِ قَدِ انْتَسَبَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ مَنْ مَرَقَ مِنْهُ مَعَ عِبَادَتِهِ الْعَظِيمَةِ، حَتَّىٰ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِتَالِهِمْ، فَيُعْلَمُ أَنَّ الْمُنْتَسِبَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ أَوِ السُّنَّةِ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ قَدْ يَمْرُقُ أَيْضًا مِنَ الْإِسْلَامِ

وَالسُّنَّةِ، حَتَّىٰ يَدَّعِيَ السُّنَّةَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، بَلْ قَدْ يَمْرُقُ مِنْهَا، وَذَلِكَ بِأَسْبَابٍ، مِنْهَا الْغُلُوُّ الَّذِي ذَمَّهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١].

وَالَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَمَرَ بِأَخَادِيدَ خُدَّتْ لَهُمْ عِنْدَ بَابِ كِنْدَةَ، وَقَذَفَهُمْ فِيهَا بَعْدَ أَنْ أَجَّلَهُمْ ثَلَاثًا لِيَتُوبُوا، فَلَمَّا لَمْ يَتُوبُوا أَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ، وَاتَّفَقَتِ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ، لَكِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَانَ مَذْهَبُهُ أَنْ يُقْتَلُوا بِالسَّيْفِ بِلَا تَحْرِيقٍ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ، وَقِصَّتُهُمْ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ.

وَكَذَلِكَ الْغُلُوُّ فِي بِعْضِ الْمَشَايِخِ...، بَلِ الْغُلُوُّ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَنَحْوِهِ، بَلِ الْغُلُوُّ فِي الْمَسِيحِ ﷺ وَنَحْوِهِ، فَكُلُّ مَنْ غَلَا فِي حَيٍّ، أَوْ رَجُلٍ صَالِحٍ...، وَجَعَلَ فِيهِ نَوْعًا مِنَ الْإِلَهِيَّةِ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ: ... يَا سَيِّدِي فُلَانُ، اغْفِرْ لِي، أَوِ ارْحَمْنِي، أَوِ انْصُرْنِي، أَوِ ارْزُقْنِي، أَوْ أَغِثْنِي، أَوْ أَجِرْنِي، أَوْ تَوَكَّلْتُ عَلَيْكَ، أَوْ أَنْتَ حَسْبِي، أَوْ أَنَا فِي حَسْبِكَ، وَنَحْوَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا للهِ تَعَالَىٰ، فَكُلُّ هَذِهِ شِرْكٌ وَضَلَالٌ يُسْتَتَابُ صَاحِبُهُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ.

فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا نَجْعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ.

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ مِثْلَ: الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْعُزَيْرِ، وَالْمَسِيحِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَىٰ، وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرٍ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا تَخْلُقُ الْخَلَائِقَ، أَوْ تُنْزِلُ الْمَطَرَ، أَوْ تُنْبِتُ النَّبَاتَ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكَوَاكِبَ وَالْجِنَّ وَالتَّمَاثِيلَ

الْـمُصَوَّرَةَ لِـهَؤُلَاءِ، أَوْ يَعْبُدُونَ قُبُورَهُمْ، وَيَقُولُونَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وَيَقُولُونَ: هُمْ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.

فَأَرْسَلَ اللهُ رُسُلَهُ تَنْهَىٰ أَنْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ دُونِهِ، لَا دُعَاءَ عِبَادَةٍ وَلَا دُعَاءَ اسْتِغَاثَةٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]، قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ: «كَانَ أَقْوَامٌ يَدْعُونَ الْـمَسِيحَ وَعُزَيْرًا وَالْـمَلَائِكَةَ». ثُمَّ ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْآيَاتِ.

ثُمَّ قَالَ: «وَعِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ هِيَ أَصْلُ الدِّينِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ بِهِ الْكُتُبَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥].

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَكَانَ ﷺ يُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ، وَيُعَلِّمُهُ أُمَّتَهُ حَتَّىٰ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، قَالَ: «أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»(١).

وَقَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَمُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ مَا شَاءَ مُحَمَّدٌ»(٢).

وَنَهَىٰ عَنِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، وَقَالَ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِالله أَوْ لِيَصْمُتْ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الأدب المفرد».

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٧١٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٣٣)، ومسلم (٤٣٤٦).

وَقَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»(١).

وَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ؛ فَقَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا(٢).

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ، وَلَكِنْ كَرِهَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا(٣).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي»(٤).

وَلِهَذَا اتَّفَقَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُشْرَعُ بِنَاءُ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُشْرَعُ الصَّلَاةُ عِنْدَ الْقُبُورِ...، وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ كَانَ تَعْظِيمُ الْقُبُورِ...

وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ مَنْ سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ قَبْرِهِ أَنَّهُ لَا يَتَمَسَّحُ بِحُجْرَتِهِ، وَلَا يُقَبِّلُهَا؛ لِأَنَّ التَّقْبِيلَ وَالِاسْتِلَامَ إِنَّمَا يَكُونُ لِأَرْكَانِ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، فَلَا يُشَبَّهُ بَيْتُ الْمَخْلُوقِ بِبَيْتِ الْخَالِقِ....

كُلُّ هَذَا لِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الدِّينِ وَرَأْسُهُ، الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلًا إِلَّا بِهِ، وَيَغْفِرُ لِصَاحِبِهِ وَلَا يَغْفِرُ لِمَنْ تَرَكَهُ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) أخرجه أحمد (٥٣٥٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (١٢١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤١٧٧).

(٤) أخرجه أحمد (٨٧٩٠)، وأبو داود (٢٠٤٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

وَلِهَذَا كَانَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ أَفْضَلَ الْكَلَامِ وَأَعْظَمَهُ، فَأَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١)، وَالْإِلَهُ هُوَ الَّذِي يَأْلَهُهُ الْقَلْبُ عِبَادَةً لَهُ وَاسْتِعَانَةً، وَرَجَاءً لَهُ وَخَشْيَةً، وَإِجْلَالًا وَإِكْرَامًا». انْتَهَىٰ كَلَامُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ.

فَتَأَمَّلْ أَوَّلَ الْكَلَامِ وَآخِرَهُ، وَتَأَمَّلْ كَلَامَهُ فِيمَنْ دَعَا نَبِيًّا أَوْ وَلِيًّا، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: يَا سَيِّدِي فُلَانُ أَغِثْنِي وَنَحْوَهُ، أَنَّهُ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، هَلْ يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْمُعَيَّنِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَتَأَمَّلْ كَلَامَهُ فِي اللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ، وَمَا ذَكَرَ بَعْدَهُ؛ يَتَبَيَّنْ لَكَ الْأَمْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «شَرْحِ الْمَنَازِلِ» فِي بَابِ التَّوْبَةِ: «وَأَمَّا الشِّرْكُ فَهُوَ نَوْعَانِ: أَكْبَرُ، وَأَصْغَرُ، فَالْأَكْبَرُ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ، وَهُوَ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا، يُحِبُّهُ كَمَا يُحِبُّ اللهَ...، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ - بَلْ أَكْثَرُهُمْ - يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ أَعْظَمَ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِذِكْرِهِمْ أَعْظَمَ مِنَ اسْتِبْشَارِهِمْ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ، وَيَغْضَبُونَ لِمُنْتَقِصِ مَعْبُودِيهِمْ وَآلِهَتِهِمْ مِنَ الْمَشَايِخِ أَعْظَمَ مِمَّا يَغْضَبُونَ إِذَا انْتَقَصَ أَحَدٌ رَبَّ الْعَالَمِينَ...، وَقَدْ شَاهَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا مِنْهُمْ جَهْرَةً.

وَتَرَىٰ أَحَدَهُمْ قَدِ اتَّخَذَ ذِكْرَ إِلَهِهِ وَمَعْبُودِهِ مِنْ دُونِ اللهِ عَلَىٰ لِسَانِهِ، دَيْدَنًا لَهُ إِنْ قَامَ وَإِنْ قَعَدَ، وَإِنْ عَثَرَ وَإِنْ مَرِضَ وَإِنِ اسْتَوْحَشَ، فَذِكْرُ إِلَهِهِ وَمَعْبُودِهِ مِنْ دُونِ اللهِ هُوَ الْغَالِبُ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَهُوَ لَا يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ بَابُ حَاجَتِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَشَفِيعُهُ

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠٨٧)، وأبو داود (٣١١٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

عِنْدَهُ، وَوَسِيلَتَهُ إِلَيْهِ، وَهَكَذَا كَانَ عُبَّادُ الأَصْنَامِ سَوَاءً.

وَهَذَا الْقَدْرُ هُوَ الَّذِي قَامَ بِقُلُوبِهِمْ، وَتَوَارَثَهُ الْمُشْرِكُونَ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ آلِهَتِهِمْ، فَأُولَئِكَ كَانَتْ آلِهَتُهُمْ مِنَ الْحَجَرِ، وَغَيْرُهُمُ اتَّخَذُوهَا مِنَ الْبَشَرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ حَاكِيًا عَنْ أَسْلَافِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، ثُمَّ شَهِدَ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ وَالْكَذِبِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ٣].

فَهَذِهِ حَالُ مَنِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا، يَزْعُمُ أَنَّهُ يُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ، وَمَا أَعَزَّ مَنْ يَخْلُصُ مِنْ هَذَا! بَلْ مَا أَعَزَّ مَنْ لَا يُعَادِي مَنْ أَنْكَرَهُ!

وَالَّذِي قَامَ بِقُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَسَلَفِهِمْ: أَنَّ آلِهَتَهُمْ تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، وَهَذَا عَيْنُ الشِّرْكِ، وَقَدْ أَنْكَرَ اللهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ وَأَبْطَلَهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لَهُ»، ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ فَصْلًا طَوِيلًا فِي تَقْرِيرِ هَذَا الشِّرْكِ الأَكْبَرِ.

وَلَكِنْ تَأَمَّلْ قَوْلَهُ: «وَمَا أَعَزَّ مَنْ يَخْلُصُ مِنْ هَذَا، بَلْ مَا أَعَزَّ مَنْ لَا يُعَادِي مَنْ أَنْكَرَهُ» يَتَبَيَّنْ لَكَ بُطْلَانُ الشُّبْهَةِ الَّتِي أَدْلَىٰ بِهَا الْمُلْحِدُ، وَزَعَمَ أَنَّ كَلَامَ الشَّيْخِ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي يَدُلُّ عَلَيْهَا، وَسَيَأْتِي تَقْرِيرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

وَذَكَرَ فِي آخِرِ هَذَا الْفَصْلِ - أَعْنِي الْفَصْلَ الأَوَّلَ فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ - الآيَةَ الَّتِي فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣] وَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا.

ثُمَّ قَالَ: «وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ أَمْثَالِهَا وَنَظَائِرِهَا، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْعُرُونَ بِدُخُولِ الْوَاقِعِ تَحْتَهُ، وَتَضَمُّنِهِ لَهُ، وَيَظُنُّونَهُ فِي نَوْعٍ وَفِي قَوْمٍ قَدْ خَلَوْا وَلَمْ يُعْقِبُوا وَارِثًا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ فَهْمِ الْقُرْآنِ، وَلَعَمْرُ اللهِ إِنْ كَانَ أُولَئِكَ

قَدْ خَلَوْا، فَقَدْ وَرِثَهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُمْ، أَوْ شَرٌّ مِنْهُمْ، أَوْ دُونَهُمْ، وَتَنَاوُلُ الْقُرْآنِ لَهُمْ كَتَنَاوُلِهِ لِأُولَئِكَ.

وَلَكِنَّ الأَمْرَ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً إِذَا نَشَأَ فِي الإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ».

وَهَذَا لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْجَاهِلِيَّةَ وَالشِّرْكَ، وَمَا عَابَهُ الْقُرْآنُ وَذَمَّهُ وَقَعَ فِيهِ وَأَقَرَّهُ، وَدَعَا إِلَيْهِ وَصَوَّبَهُ وَحَسَّنَهُ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ نَظِيرُهُ، أَوْ شَرٌّ مِنْهُ، أَوْ دُونَهُ، فَيَنْقُضُ بِذَلِكَ عُرَى الإِسْلَامِ عَنْ قَلْبِهِ، وَيَعُودُ الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا، وَالْبِدْعَةُ سُنَّةً، وَالسُّنَّةُ بِدْعَةً، وَيُكَفَّرُ الرَّجُلُ بِمَحْضِ الإِيمَانِ، وَتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ، وَيُبَدَّعُ بِتَجْرِيدِ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَمُفَارَقَةِ الأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، وَمَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ وَقَلْبٌ حَيٌّ يَرَى ذَلِكَ عِيَانًا، فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَصْلٌ: وَأَمَّا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ: فَكَيَسِيرِ الرِّيَاءِ، وَالتَّصَنُّعِ لِلْخَلْقِ، وَالْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ...، وَقَوْلُ: هَذَا مِنَ اللهِ وَمِنْكَ، وَأَنَا بِاللهِ وَبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا اللهُ وَأَنْتَ، وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللهِ وَعَلَيْكَ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا شِرْكًا أَكْبَرَ، بِحَسَبِ حَالِ قَائِلِهِ وَمَقْصِدِهِ».

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ بَعْدَ ذِكْرِ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ وَالأَصْغَرِ: «وَمِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ: سُجُودُ الْمُرِيدِ لِلشَّيْخِ، ....

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: التَّوْبَةُ لِلشَّيْخِ فَإِنَّهَا شِرْكٌ عَظِيمٌ....

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ، فَإِنَّهُ شِرْكٌ، ...، وَالْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى غَيْرِ اللهِ، وَالْعَمَلُ لِغَيْرِ اللهِ، وَالإِنَابَةُ وَالْخُضُوعُ، وَالذُّلُّ لِغَيْرِ اللهِ، وَابْتِغَاءُ الرِّزْقِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، ...، وَإِضَافَةُ نِعَمِهِ إِلَى غَيْرِهِ، وَاعْتِقَادُ أَنْ يَكُونَ فِي الْكَوْنِ مَا لَا يَشَاؤُهُ.

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: طَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الْمَوْتَى، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِمْ، وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِمْ، وَهَذَا أَصْلُ شِرْكِ الْعَالَمِ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ قَدِ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا

ضَرًّا، فَضْلًا لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِهِ، وَسَأَلَهُ قَضَاءَ حَاجَتِهِ، أَوْ سَأَلَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ إِلَىٰ اللهِ فِيهَا.

وَهَذَا مِنْ جَهْلِهِ بِالشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ لَهُ عِنْدَهُ، كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَاللهُ لَمْ يَجْعَلِ اسْتِغَاثَتَهُ وَسُؤَالَهُ سَبَبًا لِإِذْنِهِ، وَإِنَّمَا السَّبَبُ لِإِذْنِهِ كَمَالُ التَّوْحِيدِ، فَجَاءَ هَذَا الْمُشْرِكُ بِسَبَبٍ يَمْنَعُ الإِذْنَ، وَالْمَيِّتُ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ مَنْ يَدْعُو لَهُ وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ، كَمَا أَوْصَانَا النَّبِيُّ ﷺ إِذَا زُرْنَا قُبُورَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ نَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ، وَنَسْأَلَ اللهَ لَهُمُ الْعَافِيَةَ وَالْمَغْفِرَةَ.

فَعَكَسَ الْمُشْرِكُونَ هَذَا، وَزَارُوهُمْ زِيَارَةَ الْعِبَادَةِ، وَاسْتِقْضَاءِ الْحَوَائِجِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ، وَجَعَلُوا قُبُورَهُمْ أَوْثَانًا تُعْبَدُ، وَسَمَّوْا قَصْدَهَا حَجًّا، وَاتَّخَذُوا عِنْدَهَا الْوَقْفَةَ وَحَلْقَ الرَّأْسِ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ بِالْمَعْبُودِ الْحَقِّ، وَتَغْيِيرِ دِينِهِ، وَمُعَادَاةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَنِسْبَةِ أَهْلِهِ إِلَىٰ التَّنَقُّصِ لِلأَمْوَاتِ، وَهُمْ قَدْ تَنَقَّصُوا الْخَالِقَ بِالشِّرْكِ، وَأَوْلِيَاءَهُ الْمُوَحِّدِينَ لَهُ، الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا بِذَمِّهِمْ وَمُعَادَاتِهِمْ، وَتَنَقَّصُوا مَنْ أَشْرَكُوا بِهِ غَايَةَ التَّنَقُّصِ؛ إِذْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ رَاضُونَ مِنْهُمْ بِهَذَا، أَوْ أَنَّهُمْ أَمَرُوهُمْ بِهِ، وَأَنَّهُمْ يُوَالُونَهُمْ عَلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ وَالتَّوْحِيدِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَمَا أَكْثَرَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُمْ!

وَللهِ دَرُّ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦]، وَمَا نَجَا مِنْ شَرَكِ هَذَا الشِّرْكِ الأَكْبَرِ إِلَّا مَنْ جَرَّدَ تَوْحِيدَهُ للهِ، وَعَادَىٰ الْمُشْرِكِينَ فِي اللهِ، وَتَقَرَّبَ بِمَقْتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ».

انْتَهَىٰ كَلَامُهُ.

وَالْمُرَادُ بِهَذَا: أَنَّ بَعْضَ الْمُلْحِدِينَ نَسَبَ إِلَىٰ الشَّيْخِ أَنَّ هَذَا شِرْكٌ أَصْغَرُ، وَشُبْهَتُهُ أَنَّهُ ذَكَرَهُ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي الَّذِي ذَكَرَ فِي أَوَّلِهِ الأَصْغَرَ.

وَأَنْتَ رَحِمَكَ اللهُ تَجِدُ الْكَلَامَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ فِي الْفَصْلِ الأَوَّلِ وَالثَّانِي صَرِيحًا لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ.

مِنْهَا: أَنَّ دُعَاءَ الأَمْوَاتِ وَالنَّذْرَ لَهُمْ لِيَشْفَعُوا لَهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ، الَّذِي بَعَثَ اللهُ النَّبِيَّ ﷺ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، فَكَفَّرَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ وَقَاتَلَهُ وَعَادَاهُ، وَآخِرُ مَا صَرَّحَ بِهِ قَوْلُهُ آنِفًا: «وَمَا نَجَا مِنْ شَرَكِ هَذَا الشِّرْكِ الأَكْبَرِ...» إِلَىٰ آخِرِهِ.

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ بَيَانٌ إِلَّا الْعِنَادُ بَلِ الإِلْحَادُ، وَلَكِنْ تَأَمَّلْ قَوْلَهُ أَرْشَدَكَ اللهُ: «وَمَا نَجَا مِنْ شَرَكِ هَذَا الشِّرْكِ الأَكْبَرِ إِلَّا مَنْ عَادَىٰ الْمُشْرِكِينَ...» إِلَىٰ آخِرِهِ.

وَتَأَمَّلْ أَنَّ الإِسْلَامَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِمُعَادَاةِ أَهْلِ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، وَإِنْ لَمْ يُعَادِهِمْ فَهُوَ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ فِي «الإِقْنَاعِ» عَنِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ أَنَّ مَنْ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَأَنَّ مَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ فَهُوَ كَافِرٌ، فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالَ مَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ مَعَ عَدَاوَتِهِ لَهُ وَمَقْتِهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُسْلِمٌ وَلَمْ يُعَادِهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ أَحَبَّهُ، فَكَيْفَ بِمَنْ يُجَادِلُ عَنْهُ وَعَنْ طَرِيقَتِهِ، وَتَعَذَّرَ أَنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَىٰ التِّجَارَةِ وَطَلَبِ الرِّزْقِ إِلَّا بِذَلِكَ؟! وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ [القصص: ٥٧].

فَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ فِيمَنْ تَعَذَّرَ عَنِ التَّبَيُّنِ بِالْعَمَلِ بِالتَّوْحِيدِ وَمُعَادَاةِ الْمُشْرِكِينَ بِالْخَوْفِ عَلَىٰ أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، فَكَيْفَ بِمَنِ اعْتَذَرَ فِي ذَلِكَ بِتَحْصِيلِ التِّجَارَةِ، وَلَكِنَّ الأَمْرَ كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِذَا نَشَأَ فِي الإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ»، فَلِهَذَا لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَىٰ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ أَشَرُّ وَأَفْسَدُ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾.

وَمَعَ هَذَا فَالْكَلَامُ الَّذِي يُظْهِرُونَهُ نِفَاقًا، وَإِلَّا فَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ ضَالُّونَ مُضِلُّونَ، وَأَنَّ عَبَدَةَ الأَوْثَانِ أَهْلُ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ إِمَامُهُمْ فِي الرِّسَالَةِ الَّتِي أَتَتْكُمْ قَبْلَ هَذِهِ خَطَّهُ بِيَدِهِ، يَقُولُ: «بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَهْلُ هَذِهِ الأَقْطَارِ، وَهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَهُمْ كَذَا وَكَذَا».

فَإِذَا كَانَ يُرِيدُ التَّحَاكُمَ إِلَيْهِمْ وَيَصِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَكَيْفَ أَيْضًا يَصِفُهُمْ بِالشِّرْكِ وَمُخَالَطَتِهِمْ لِلْحَاجَةِ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَصْدَقِ الْقَائِلِينَ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات: ٧ - ٩].

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق: ٥].

فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً نَظَرَ فِي نَفْسِهِ، وَتَفَكَّرَ فِيمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِمُعَادَاةِ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ، وَتَكْفِيرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ حَتَّىٰ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ، وَعَلِمَ مَا حَكَمَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ فِيمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ مَعَ ادِّعَائِهِ لِلْإِسْلَامِ، وَمَا حَكَمَ فِي ذَٰلِكَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ كَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَغَيْرُهُ لَمَّا حَرَّقَهُمْ بِالنَّارِ مَعَ أَنَّ غَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَوْثَانِ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ لَا يُقْتَلُونَ بِالتَّحْرِيقِ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَّةَ ﷺ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الْمُتَكَلِّمِينَ لَمَّا ذَكَرَ بَعْضَ أَحْوَالِ أَئِمَّتِهِمْ، قَالَ: «كُلُّ شِرْكٍ فِي الْعَالَمِ إِنَّمَا حَدَثَ بِرَأْيِ جِنْسِهِمْ، فَهُمُ الْآمِرُونَ بِالشِّرْكِ وَالْفَاعِلُونَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالشِّرْكِ مِنْهُمْ فَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ، بَلْ يُقِرُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، وَإِنْ رَجَّحَ الْمُوَحِّدِينَ تَرْجِيحًا مَا، فَقَدْ يُرَجِّحُ غَيْرُهُ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ يُعْرِضُ عَنِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، فَتَدَبَّرْ هَذَا، فَإِنَّهُ نَافِعٌ جِدًّا.

وَلِهَذَا كَانَ رُءُوسُهُمُ الْمُتَقَدِّمُونَ وَالْمُتَأَخِّرُونَ يَأْمُرُونَ بِالشِّرْكِ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ كَانُوا فِي مِلَّةِ الْإِسْلَامِ لَا يَنْهَوْنَ عَنِ الشِّرْكِ، وَيُوجِبُونَ التَّوْحِيدَ، بَلْ يُسَوِّغُونَ الشِّرْكَ، أَوْ يَأْمُرُونَ بِهِ أَوْ لَا يُوجِبُونَ التَّوْحِيدَ، وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ مُصَنَّفَاتِهِمْ فِي عِبَادَةِ الْكَوَاكِبِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَعِبَادَةِ الْأَنْفُسِ الْمُفَارِقَةِ: أَنْفُسِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ مَا هُوَ أَصْلُ الشِّرْكِ.

وَهُمْ إِذَا ادَّعَوُا التَّوْحِيدَ، فَإِنَّمَا تَوْحِيدُهُمْ بِالْقَوْلِ لَا بِالْعِبَادَةِ وَالْعَمَلِ، وَالتَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ بِإِخْلَاصِ الدِّينِ لِلهِ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَعْرِفُونَهُ.

وَالتَّوْحِيدُ الَّذِي يَدْعُونَهُ إِنَّمَا هُوَ تَعْطِيلُ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَفِيهِ مِنَ

الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ مَا هُوَ أَعْظَمُ أَسْبَابِ الْإِشْرَاكِ، فَلَوْ كَانُوا مُوَحِّدِينَ بِالْقَوْلِ وَالْكَلَامِ، وَهُوَ: أَنْ يَصِفُوا اللهَ بِمَا وَصَفَتْهُ بِهِ رُسُلُهُ، لَكَانَ مَعَهُمُ التَّوْحِيدُ دُونَ الْعَمَلِ، وَذَلِكَ لَا يَكْفِي فِي السَّعَادَةِ وَالنَّجَاةِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ، وَيَتَّخِذُوهُ إِلَهًا دُونَ مَا سِوَاهُ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». انْتَهَى كَلَامُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ.

فَتَأَمَّلْ رَحِمَكَ اللهُ هَذَا الْكَلَامَ فَإِنَّهُ مِثْلُ مَا قَالَ الشَّيْخُ فِيهِ: نَافِعٌ جِدًّا.

وَمِنْ أَكْبَرِ مَا فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ: أَنَّهُ يُبَيِّنُ لَكَ حَالَ مَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الدِّينِ، وَشَهِدَ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَأَنَّ الشِّرْكَ هُوَ الْبَاطِلُ، وَقَالَ بِلِسَانِهِ مَا أُرِيدَ مِنْهُ، وَلَكِنْ لَا يَدِينُ بِذَلِكَ؛ إِمَّا بُغْضًا لَهُ، أَوْ عَدَمَ مَحَبَّتِهِ، كَمَا هُوَ حَالُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَإِمَّا إِيثَارًا لِلدُّنْيَا، مِثْلَ تِجَارَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، فَيَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ [المنافقون: ٣] الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦، ١٠٧] الْآيَةَ.

فَإِذَا قَالَ هَؤُلَاءِ بِأَلْسِنَتِهِمْ نَشْهَدُ أَنَّ هَذَا دِينُ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ الْمُخَالِفَ لَهُ بَاطِلٌ، وَأَنَّهُ الشِّرْكُ بِاللهِ؛ غَرَّ هَذَا الْكَلَامُ ضَعِيفَ الْبَصِيرَةِ.

وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا وَأَطَمُّ أَنَّ أَهْلَ حُرَيْمِلَاءَ وَمَنْ وَالَاهُمْ يُصَرِّحُونَ بِمَسَبَّةِ الدِّينِ، وَأَنَّ الْحَقَّ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِالْكَثْرَةِ عَلَى حُسْنِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ، وَيَفْعَلُونَ وَيَقُولُونَ مَا هُوَ مِنْ أَكْبَرِ الرِّدَّةِ وَأَفْحَشِهَا، فَإِذَا قَالُوا: التَّوْحِيدُ حَقٌّ وَالشِّرْكُ بَاطِلٌ، وَأَيْضًا لَمْ يُحْدِثُوا فِي بَلَدِهِمْ أَوْثَانًا، جَادَلَ الْمُلْحِدُ عَنْهُمْ وَقَالَ: إِنَّهُمْ يُقِرُّونَ أَنَّ هَذَا شِرْكٌ، وَأَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ الْحَقُّ، وَلَا يَضُرُّهُمْ عِنْدَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ السَّبِّ لِدِينِ اللهِ، وَبَغْيِ الْعِوَجِ لَهُ، وَمَدْحِ الشِّرْكِ وَذَبِّهِمْ دُونَهُ بِالْمَالِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ، فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا فِي الْكَلَامِ عَلَى كُفْرِ مَانِعِي الزَّكَاةِ: «وَالصَّحَابَةُ لَمْ

يَقُولُوا: هَلْ أَنْتَ مُقِرٌّ بِوُجُوبِهَا، أَوْ جَاحِدٌ لَهَا، هَذَا لَمْ يُعْهَدْ عَنِ الْخُلَفَاءِ وَالصَّحَابَةِ ﷡، بَلْ قَالَ الصِّدِّيقُ لِعُمَرَ ﷛: «وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهَا»(١). فَجَعَلَ الْمُبِيحَ لِلْقِتَالِ مُجَرَّدَ الْمَنْعِ لَا جَحْدَ الْوُجُوبِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ طَوَائِفَ مِنْهُمْ كَانُوا يُقِرُّونَ بِالْوُجُوبِ، لَكِنْ بَخِلُوا بِهَا، وَمَعَ هَذَا فَسِيرَةُ الْخُلَفَاءِ فِيهِمْ جَمِيعِهِمْ سِيرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ: قِتَالُ مُقَاتِلِهِمْ، وَسَبْيُ ذَرَارِيهِمْ، وَغَنِيمَةُ أَمْوَالِهِمْ، وَالشَّهَادَةُ عَلَىٰ قَتْلَاهُمْ بِالنَّارِ، وَسَمَّوْهُمْ جَمِيعَهُمْ أَهْلَ الرِّدَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِ الصِّدِّيقِ عِنْدَهُمْ أَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ كَمَا تَوَقَّفَ غَيْرُهُ، فَنَاظَرَهُمْ حَتَّىٰ رَجَعُوا إِلَىٰ قَوْلِهِ، وَأَمَّا قِتَالُ الْمُقِرِّينَ بِنُبُوَّةِ مُسَيْلِمَةَ، فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمْ نِزَاعٌ فِي قِتَالِهِمْ». انْتَهَىٰ كَلَامُ الشَّيْخِ ﷀ.

فَتَأَمَّلْ كَلَامَهُ ﷀ فِي تَكْفِيرِ الْمُعَيَّنِ، وَالشَّهَادَةِ عَلَيْهِ إِذَا قُتِلَ بِالنَّارِ، وَسَبْيِ حَرِيمِهِ وَأَوْلَادِهِ عِنْدَ مَنْعِ الزَّكَاةِ، فَهَذَا الَّذِي يَنْسُبُونَ عَنْهُ أَعْدَاءُ الدِّينِ عَدَمَ تَكْفِيرِ الْمُعَيَّنِ.

قَالَ ﷀ بَعْدَ ذَلِكَ: «وَكُفْرُ هَؤُلَاءِ وَإِدْخَالُهُمْ فِي أَهْلِ الرِّدَّةِ قَدْ ثَبَتَ بِاتِّفَاقِ الصَّحَابَةِ الْمُسْتَنِدِ إِلَىٰ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ». انْتَهَىٰ كَلَامُهُ.

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَحِلُّ الْإِشْكَالَ فِي مَسْأَلَةِ التَّكْفِيرِ وَالْقِتَالِ عَمَّنْ قَصْدُهُ اتِّبَاعُ الْحَقِّ: إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ ﷡ عَلَىٰ قِتَالِ مَانِعِي الزَّكَاةِ، وَإِدْخَالِهِمْ فِي أَهْلِ الرِّدَّةِ وَسَبْيِ ذَرَارِيهِمْ، وَفِعْلهمْ فِيهِمْ مَا صَحَّ عَنْهُمْ، وَهُوَ أَوَّلُ قِتَالٍ وَقَعَ فِي الْإِسْلَامِ عَلَىٰ مَنِ ادَّعَىٰ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَهَذِهِ أَوَّلُ وَاقِعَةٍ وَقَعَتْ فِي الْإِسْلَامِ عَلَىٰ هَذَا النَّوْعِ - أَعْنِي: الْمُدَّعِينَ لِلْإِسْلَامِ - وَهِيَ أَوْضَحُ الْوَاقِعَاتِ الَّتِي وَقَعَتْ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَصْرِ الصَّحَابَةِ ﷡ إِلَىٰ وَقْتِنَا هَذَا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٥).

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو الْوَفَاءِ ابْنُ عَقِيلٍ: «لَمَّا صَعُبَتِ التَّكَالِيفُ عَلَىٰ الْجُهَّالِ وَالطَّغَامِ، عَدَلُوا عَنْ أَوْضَاعِ الشَّرْعِ إِلَىٰ تَعْظِيمِ أَوْضَاعٍ وَضَعُوهَا لِأَنْفُسِهِمْ، فَسَهُلَتْ عَلَيْهِمْ إِذْ لَمْ يَدْخُلُوا بِهَا تَحْتَ أَمْرِ غَيْرِهِمْ، وَهُمْ عِنْدِي كُفَّارٌ بِهَذِهِ الأَوْضَاعِ، مِثْلُ تَعْظِيمِ الْقُبُورِ وَإِكْرَامِهَا بِمَا نَهَىٰ عَنْهُ الشَّرْعُ مِنْ إِيقَادِ النِّيرَانِ وَتَقْبِيلِهَا وَتَخْلِيقِهَا، وَخِطَابِ الْمَوْتَىٰ بِالْحَوَائِجِ، وَكَتْبِ الرِّقَاعِ فِيهَا: يَا مَوْلَايَ، افْعَلْ بِي كَذَا وَكَذَا، وَأَخْذِ تُرْبَتِهَا تَبَرُّكًا، وَإِفَاضَةِ الطِّيبِ عَلَىٰ الْقُبُورِ، وَشَدِّ الرِّحَالِ إِلَيْهَا، وَإِلْقَاءِ الْخِرَقِ عَلَىٰ الشَّجَرِ، اقْتِدَاءً بِمَنْ عَبَدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ». انْتَهَىٰ كَلَامُهُ.

وَالْمُرَادُ مِنْهُ قَوْلُهُ: «وَهُمْ عِنْدِي كُفَّارٌ بِهَذِهِ الأَوْضَاعِ».

وَقَالَ أَيْضًا فِي كِتَابِ «الْفُنُونِ»: «لَقَدْ عَظَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْحَيَوَانَ لَا سِيَّمَا ابْنَ آدَمَ، حَيْثُ أَبَاحَهُ الشِّرْكَ عِنْدَ الإِكْرَاهِ، وَخَوْفَ الضَّرَرِ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] فَمَنْ قَدَّمَ حُرْمَةَ نَفْسِكَ عَلَىٰ حُرْمَتِهِ حَتَّىٰ أَبَاحَكَ أَنْ تَتَوَقَّىٰ وَتُحَامِي عَنْ نَفْسِكَ بِذِكْرِهِ بِمَا لَا يَنْبَغِي لَهُ سُبْحَانَهُ، لَحَقِيقٌ أَنْ تُعَظِّمَ شَعَائِرَهُ، وَتُوَقِّرَ أَوَامِرَهُ وَزَوَاجِرَهُ.

وَعَصَمَ عِرْضَكَ بِإِيجَابِ الْحَدِّ بِقَذْفِكَ، وَعَصَمَ مَالَكَ بِقَطْعِ يَدِ مُسْلِمٍ فِي سَرِقَتِهِ، وَأَسْقَطَ شَطْرَ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ لِأَجْلِ مَشَقَّتِكَ، وَأَقَامَ مَسْحَ الْخُفِّ مَقَامَ غَسْلِ الرِّجْلِ إِشْفَاقًا عَلَيْكَ مِنْ مَشَقَّةِ الْخَلْعِ وَاللُّبْسِ، وَأَبَاحَكَ الْمَيْتَةَ سَدًّا لِرَمَقِكَ، وَحِفْظًا لِصِحَّتِكَ، وَزَجَرَكَ عَنْ مَضَارِّكَ بِحَدٍّ عَاجِلٍ، وَوَعِيدٍ آجِلٍ، وَخَرَقَ الْعَوَائِدَ لِأَجْلِكَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ إِلَيْكَ، أَيَحْسُنُ بِكَ - مَعَ هَذَا الإِكْرَامِ - أَنْ يَرَاكَ عَلَىٰ مَا نَهَاكَ عَنْهُ مُنْهَمِكًا، وَعَمَّا أَمَرَكَ مُتَنَكِّبًا، وَعَلَىٰ مَا زَجَرَكَ مُرْتَكِبًا، وَعَنْ دَاعِيهِ مُعْرِضًا، وَلِسُنَّتِهِ هَاجِرًا، وَلِدَاعِي عَدُوِّكَ فِيكَ مُطِيعًا، يُعَظِّمُكَ وَهُوَ هُوَ، وَتُهْمِلُ أَمْرَهُ وَأَنْتَ أَنْتَ، هُوَ حَطَّ رُتَبَ عِبَادِهِ لِأَجْلِكَ، وَأَهْبَطَ إِلَىٰ الأَرْضِ مَنِ امْتَنَعَ مِنْ سَجْدَةٍ يَسْجُدُهَا لَكَ.

هَلْ عَادَيْتَ خَادِمًا طَالَتْ خِدْمَتُهُ لَكَ لِتَرْكِ صَلَاةٍ، هَلْ نَفَيْتَهُ مِنْ دَارِكَ لِلإِخْلَالِ

بِفَرْضٍ، أَوْ لِارْتِكَابِ نَهْيٍ، فَإِنْ لَمْ تَعْتَرِفِ اعْتِرَافَ الْعَبْدِ لِلْمَوَالِي، فَلَا أَقَلَّ أَنْ تَقْتَضِي نَفْسكَ إِلَىٰ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ اقْتِضَاءَ الْمُسَاوِي الْمُكَافِي.

مَا أَفْحَشَ مَا تَلَاعَبَ الشَّيْطَانُ بِالْإِنْسَانِ بَيْنَا يَكُونُ بِحَضْرَةِ الْحَقِّ، وَمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ سُجُودٌ لَهُ، تَتَرَامَىٰ بِهِ الْأَحْوَالُ وَالْجَهَالَاتُ بِالْمَبْدَأ وَالْمَآلِ إِلَىٰ أَنْ يُوجَدَ سَاجِدًا لِصُورَةٍ فِي حَجَرٍ، أَوْ لِشَجَرَةٍ مِنَ الشَّجَرِ، أَوْ لِشَمْسٍ أَوْ لِقَمَرٍ، أَوْ لِصُورَةِ ثَوْرٍ خَارٍ، أَوْ لِطَائِرٍ صُفْرٍ.

مَا أَوْحَشَ زَوَالَ النِّعَمِ، وَتَغَيُّرَ الْأَحْوَالِ، وَالْحَوْرَ بَعْدَ الْكَوْرِ! لَا يَلِيقُ بِهَذَا الْحَيِّ الْكَرِيمِ الْفَاضِلِ عَلَىٰ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ أَنْ يُرَىٰ إِلَّا عَابِدًا لِلهِ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ، أَوْ مُجَاوِرًا لِلهِ فِي دَارِ الْجَزَاءِ وَالتَّشْرِيفِ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ فَهُوَ وَاضِعٌ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا». انْتَهَىٰ كَلَامُهُ.

وَالْمُرَادُ مِنْهُ: أَنَّهُ جَعَلَ أَقْبَحَ حَالٍ وَأَفْحَشَهَا مِنْ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ، وَمَثَّلَهُ بِأَنْوَاعٍ:

مِنْهَا: السُّجُودُ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْقَمَرِ.

وَمِنْهَا: السُّجُودُ لِلصُّورَةِ كَمَا فِي الصُّوَرِ الَّتِي فِي الْقِبَابِ عَلَىٰ الْقُبُورِ.

وَالسُّجُودُ قَدْ يَكُونُ بِالْجَبْهَةِ عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَقَدْ يَكُونُ بِالِانْحِنَاءِ مِنْ غَيْرِ وُصُولٍ إِلَىٰ الْأَرْضِ، كَمَا فُسِّرَ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [النساء: ١٥٤]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَيْ رُكَّعًا».

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ» فِي إِنْكَارِ تَعْظِيمِ الْقُبُورِ: «وَقَدْ آلَ الْأَمْرُ بِهَؤُلَاءِ الضُّلَّالِ الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ أَنْ شَرَعُوا لِلْقُبُورِ حَجًّا، وَوَضَعُوا لَهُ مَنَاسِكَ، حَتَّىٰ صَنَّفَ بَعْضُ غُلَاتِهِمْ فِي ذَلِكَ كِتَابًا وَسَمَّاهُ: «مَنَاسِك حَجِّ الْمَشَاهِدِ» مُضَاهَاةً مِنْهُ بِالْقُبُورِ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَلَا يَخْفَىٰ أَنَّ هَذَا مُفَارَقَةٌ لِدِينِ الْإِسْلَامِ، دُخُولٌ فِي دِينِ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ». انْتَهَىٰ.

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَجُلٌ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْمُفِيدِ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَا قَالَ فِيهِ بِعَيْنِهِ، فَكَيْفَ يُنْكِرُ تَكْفِيرَ الْمُعَيَّنِ، وَأَمَّا كَلَامُ سَائِرِ أَتْبَاعِ الأَئِمَّةِ فِي التَّكْفِيرِ، فَنَذْكُرُ مِنْهُ قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ.

أَمَّا كَلَامُ الْحَنَفِيَّةِ: فَكَلَامُهُمْ فِي هَذَا مِنْ أَغْلَظِ الْكَلَامِ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ الْمُعَيَّنَ إِذَا قَالَ: مُصَيْحِفٌ أَوْ مُسَيْجِدٌ، وَصَلَّىٰ صَلَاةً بِلَا وُضُوءٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَقَالَ فِي «النَّهْرِ الْفَائِقِ»: «وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْخَ قَاسِمًا، قَالَ فِي «شَرْحِ دُرَرِ الْبِحَارِ»: إِنَّ النَّذْرَ الَّذِي يَقَعُ مِنْ أَكْثَرِ الْعَوَامِّ بِأَنْ يَأْتِيَ إِلَىٰ قَبْرِ بَعْضِ الصُّلَحَاءِ قَائِلًا: يَا سَيِّدِي فُلَانُ إِنْ رُدَّ غَائِبِي أَوْ عُوفِيَ مَرِيضِي، فَلَكَ مِنَ الذَّهَبِ أَوِ الْفِضَّةِ أَوِ الطَّعَامِ؟ أَوِ الشَّمْعِ أَوِ الزَّيْتِ كَذَا بَاطِلٌ إِجْمَاعًا لِوُجُوهٍ...».

إِلَىٰ أَنْ قَالَ: «وَمِنْهَا: إِنْ ظَنَّ أَنَّ الْمَيِّتَ يَتَصَرَّفُ فِي الْأَمْرِ دُونَ اللهِ تَعَالَىٰ وَاعْتِقَادُهُ ذَلِكَ كُفْرٌ».

إِلَىٰ أَنْ قَالَ: «وَقَدِ ابْتُلِيَ النَّاسُ بِذَلِكَ، لَا سِيَّمَا فِي مَوْلِدِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ». انْتَهَىٰ كَلَامُهُ.

فَانْظُرْ إِلَىٰ تَصْرِيحِهِ أَنَّ هَذَا كُفْرٌ، مَعَ قَوْلِهِ إِنَّهُ يَقَعُ مِنْ أَكْثَرِ الْعَوَامِّ، وَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ قَدِ ابْتُلُوا بِمَا لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَىٰ إِزَالَتِهِ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا ذَكَرَ سَمَاعَ النَّفْرِ أَوْ صُورَتِهِ قَالَ: «هَذَا حَرَامٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَقَدْ رَأَيْتُ فَتْوَىٰ شَيْخِ الْإِسْلَامِ جَلَالِ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ الْكَرْمَانِيِّ أَنَّ مُسْتَحِلَّ هَذَا الرَّقْصِ كَافِرٌ، وَلَمَّا عُلِمَ أَنَّ حُرْمَتَهُ بِالْإِجْمَاعِ، لَزِمَ أَنْ يُكَفَّرَ مُسْتَحِلُّهُ».

فَقَدْ رَأَيْتَ كَلَامَ الْقُرْطُبِيِّ وَكَلَامَ الشَّيْخِ الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ فِي كُفْرِ مَنِ اسْتَحَلَّ السَّمَاعَ مَعَ كَوْنِهِ دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ بِالْإِجْمَاعِ بِكَثِيرٍ كَثِيرٍ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللهُ: «حَدَّثَنِي ابْنُ الشَّيْخِ الْحُصَيْرِيِّ عَنْ وَالِدِهِ الشَّيْخِ الْحُصَيْرِيِّ - شَيْخِ الْحَنَفِيَّةِ فِي زَمَنِهِ - قَالَ: كَانَ فُقَهَاءُ بُخَارَىٰ يَقُولُونَ فِي ابْنِ سِينَا:

كَانَ كَافِرًا ذَكِيًّا».

فَهَذَا إِمَامُ الْحَنَفِيَّةِ فِي زَمَنِهِ حَكَىٰ عَنْ فُقَهَاءِ بُخَارَىٰ جُمْلَةً كُفْرَ ابْنِ سِينَا، وَهُوَ رَجُلٌ مُعَيَّنٌ مُصَنِّفٌ، يَتَظَاهَرُ بِالإِسْلَامِ.

وَأَمَّا كَلَامُ الْمَالِكِيَّةِ فِي هَذَا فَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ، وَقَدِ اشْتُهِرَ عَنْ فُقَهَائِهِمْ سُرْعَةُ الْفَتْوَىٰ وَالْقَضَاءِ بِقَتْلِ الرَّجُلِ عِنْدَ الْكَلِمَةِ الَّتِي لَا يَفْطَنُ لَهَا أَكْثَرُ النَّاسِ، وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي آخِرِ كِتَابِ «الشِّفَاءِ» مِنْ ذَلِكَ طَرَفًا.

وَمِمَّا ذَكَرُوا: أَنَّ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّعْظِيمِ؛ كَفَرَ، وَكُلُّ هَذَا دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ بِمَا لَا نِسْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ.

وَأَمَّا كَلَامُ الشَّافِعِيَّةِ، فَقَالَ صَاحِبُ «الرَّوْضَةِ» رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا ذَبَحَ لِلنَّبِيِّ ﷺ كَفَرَ».

وَقَالَ أَيْضًا: «مَنْ شَكَّ فِي كُفْرِ طَائِفَةِ ابْنِ عَرَبِيٍّ فَهُوَ كَافِرٌ».

وَكُلُّ هَذَا دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ.

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي «شَرْحِ الأَرْبَعِينَ» فِي الْكَلَامِ عَلَىٰ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ»[1] مَا مَعْنَاهُ: «أَنَّ مَنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ فَهُوَ كَافِرٌ».

وَصَنَّفَ فِي هَذَا النَّوْعِ كِتَابًا مُسْتَقِلًّا سَمَّاهُ «الإِعْلَامِ بِقَوَاطِعِ الإِسْلَامِ»، ذَكَرَ فِيهِ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا ذَكَرَ أَنَّهُ يُخْرِجُ مِنَ الإِسْلَامِ، وَيُكَفَّرُ بِهِ الْمُعَيَّنُ، وَغَالِبُهَا لَا يُسَاوِي عُشْرَ مِعْشَارِ مَا نَحْنُ فِيهِ.

وَتَمَامُ الْكَلَامِ فِي هَذَا أَنْ يُقَالَ: الْكَلَامُ هُنَا فِي مَسْأَلَتَيْنِ:

الأُولَىٰ: أَنْ يُقَالَ: هَذَا الَّذِي يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ عِنْدَ قُبُورِ الصَّالِحِينَ، وَمَعَ كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ وَالْجِنِّ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِمْ، وَدُعَائِهِمْ لِكَشْفِ الضُّرِّ، وَالنَّذْرِ

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

لَهُمْ لِأَجْلِ ذَلِكَ، هَلْ هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ الَّذِي فَعَلَهُ قَوْمُ نُوحٍ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَىٰ أَنِ انْتَهَىٰ الأَمْرُ إِلَىٰ قَوْمِ خَاتَمِ الرُّسُلِ قُرَيْشٍ، وَغَيْرِهِمْ، فَبَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَيُكَفِّرُهُمْ، وَيَأْمُرُ بِقِتَالِهِمْ حَتَّىٰ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ، أَمْ هَذَا شِرْكٌ أَصْغَرُ وَشِرْكُ الْمُتَقَدِّمِينَ نَوْعٌ غَيْرَ هَذَا.

فَاعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ سَهْلٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، بِسَبَبِ أَنَّ عُلَمَاءَ الْمُشْرِكِينَ الْيَوْمَ يُقِرُّونَ أَنَّهُ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ وَلَا يُنْكِرُونَهُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ وَأَصْحَابِهِ كَابْنِ إِسْمَاعِيلَ وَابْنِ خَالِدٍ، مَعَ تَنَاقُضِهِمْ فِي ذَلِكَ وَاضْطِرَابِهِمْ، فَأَكْثَرُ أَحْوَالِهِمْ يُقِرُّونَ أَنَّهُ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ، وَلَكِنْ يَعْتَذِرُونَ بِأَنَّ أَهْلَهُ لَمْ تَبْلُغْهُمُ الدَّعْوَةُ.

وَتَارَةً يَقُولُونَ: لَا يُكَفَّرُ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَتَارَةً يَقُولُونَ: إِنَّهُ شِرْكٌ أَصْغَرُ، وَيَنْسُبُونَهُ لِابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمَدَارِجِ» كَمَا تَقَدَّمَ.

وَتَارَةً لَا يَذْكُرُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، بَلْ يُعَظِّمُونَ أَهْلَهُ وطَرِيقَتَهُمْ فِي الْجُمْلَةِ، وَأَنَّهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَأَنَّهُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يَجِبُ رَدُّ الأَمْرِ عِنْدَ التَّنَازُعِ إِلَيْهِمْ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأَقَاوِيلِ الْمُضْطَرِبَةِ.

وَجَوَابُ هَؤُلَاءِ كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالإِجْمَاعِ.

وَمِنْ أَصْرَحِ مَا يُجَابُونَ بِهِ: إِقْرَارُهُمْ فِي غَالِبِ الأَوْقَاتِ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ، وَأَيْضًا إِقْرَارُ غَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ الأَقْطَارِ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ قَدْ دَخَلَ فِي الشِّرْكِ، وَجَاهَدَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ، لَكِنْ لَمْ يَجِدُوا بُدًّا مِنَ الإِقْرَارِ بِهِ لِوُضُوحِهِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الإِقْرَارُ بِأَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ، وَلَكِنْ لَا يُكَفَّرُ بِهِ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَ الإِسْلَامَ جُمْلَةً، وَكَذَّبَ الرَّسُولَ وَالْقُرْآنَ، وَاتَّبَعَ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً، أَوْ غَيْرَهُمَا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُجَادِلُ بِهِ أَهْلُ الشِّرْكِ وَالْعِنَادِ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ، وَإِلَّا فَالْمَسْأَلَةُ الأُولَىٰ قَلَّ الْجِدَالُ فِيهَا - وَلِلهِ الْحَمْدُ - لِمَا وَقَعَ مِنْ إِقْرَارِ عُلَمَاءِ الشِّرْكِ بِهَا.

فَاعْلَمْ أَنَّ تَصَوُّرَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ تَصَوُّرًا حَسَنًا يَكْفِي فِي إِبْطَالِهَا مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ خَاصٍّ لِوَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ مُقْتَضَىٰ قَوْلِهِمْ: إِنَّ الشِّرْكَ بِاللهِ وَعِبَادَةَ الْأَصْنَامِ لَا تَأْثِيرَ لَهَا فِي التَّكْفِيرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنِ انْتَقَلَ عَنِ الْمِلَّةِ إِلَىٰ غَيْرِهَا، وَكَذَّبَ الرَّسُولَ وَالْقُرْآنَ فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ لَمْ يَعْبُدِ الْأَوْثَانَ كَالْيَهُودِ، فَإِذَا كَانَ مَنِ انْتَسَبَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ لَا يَكْفُرُ إِذَا أَشْرَكَ الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ؛ لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُصَلِّي وَيَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا، لَمْ يَكُنْ لِلشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ تَأْثِيرٌ، بَلْ يَكُونُ ذَلِكَ كَالسَّوَادِ فِي الْخِلْقَةِ، أَوِ الْعَمَىٰ أَوِ الْعَرَجِ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا يَدَّعِي الْإِسْلَامَ فَهُوَ مُسْلِمٌ، وَإِنِ ادَّعَىٰ مِلَّةً غَيْرَهَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَهَذِهِ فَضِيحَةٌ عَظِيمَةٌ كَافِيَةٌ فِي رَدِّ هَذَا الْقَوْلِ الْفَظِيعِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ مَعْصِيَةَ الرَّسُولِ ﷺ فِي الشِّرْكِ، وَعِبَادَةَ الْأَوْثَانِ بَعْدَ بُلُوغِ الْعِلْمِ كُفْرٌ صَرِيحٌ بِالْفِطَرِ وَالْعُقُولِ وَالْعُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ، فَلَا يُتَصَوَّرُ أَنَّكَ تَقُولُ لِرَجُلٍ وَلَوْ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ وَأَبْلَدِهِمْ، مَا تَقُولُ فِيمَنْ عَصَىٰ الرَّسُولَ ﷺ وَلَمْ يَنْقَدْ لَهُ فِي تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالشِّرْكِ، مَعَ أَنَّهُ يَدَّعِي أَنَّهُ مُسْلِمٌ مُتَّبِعٌ، إِلَّا وَيُبَادِرُ بِالْفِطْرَةِ الضَّرُورِيَّةِ إِلَىٰ الْقَوْلِ بِأَنَّ هَذَا كَافِرٌ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِي الْأَدِلَّةِ، أَوْ سُؤَالِ أَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَلَكِنْ لِغَلَبَةِ الْجَهْلِ، وَغُرْبَةِ الْعِلْمِ، وَكَثْرَةِ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنَ الْمُلْحِدِينَ، اشْتَبَهَ الْأَمْرُ فِيهَا عَلَىٰ بَعْضِ الْعَوَامِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ الْحَقَّ، فَلَا تُحَقِّرْهَا وَأَمْعِنِ النَّظَرَ فِي الْأَدِلَّةِ التَّفْصِيلِيَّةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْكَ بِالْإِيمَانِ الثَّابِتِ، وَيَجْعَلَكَ أَيْضًا مِنَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَهْدُونَ بِأَمْرِهِ.

فَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُزِيلُ الْإِشْكَالَ فِيهَا، وَيَزِيدُ الْمُؤْمِنَ يَقِينًا: مَا جَرَىٰ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالْعُلَمَاءِ بَعْدَهُمْ فِيمَنِ انْتَسَبَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ.

كَمَا ذُكِرَ أَنَّهُ ﷺ بَعَثَ الْبَرَاءَ مَعَهُ الرَّايَةُ إِلَىٰ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ لِيَقْتُلَهُ، وَيَأْخُذَ مَالَهُ.

وَمِثْلُ: هَمُّهُ بِغَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ لَمَّا قِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ.

وَمِثْلُ: قِتَالِ الصِّدِّيقِ وَأَصْحَابِهِ لِمَانِعِي الزَّكَاةِ، وَسَبْيِ ذَرَارِيهِمْ، وَغَنِيمَةِ أَمْوَالِهِمْ، وَتَسْمِيَتِهِمْ مُرْتَدِّينَ.

وَمِثْلُ: إِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ ﷺ فِي زَمَنِ عُمَرَ عَلَىٰ تَكْفِيرِ قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُونٍ وَأَصْحَابِهِ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا لِمَا فَهِمُوا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٩٣]، حِلَّ الْخَمْرِ لِبَعْضِ الْخَوَاصِّ.

وَمِثْلُ: إِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ ﷺ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ ﷺ عَلَىٰ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْمَسْجِدِ الَّذِينَ ذَكَرُوا كَلِمَةً فِي نُبُوَّةِ مُسَيْلِمَةَ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّبِعُوهُ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِمْ.

وَمِثْلُ: تَحْرِيقِ عَلِيٍّ ﷺ أَصْحَابَهُ لَمَّا غَلَوْا فِيهِ.

وَمِثْلُ: إِجْمَاعِ التَّابِعِينَ مَعَ بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ عَلَىٰ كُفْرِ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ وَمَنِ اتَّبَعَهُ، مَعَ أَنَّهُ يَدَّعِي أَنَّهُ يَطْلُبُ بِدَمِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ.

وَمِثْلُ: إِجْمَاعِ التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ عَلَىٰ قَتْلِ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، وَهُوَ مُشْتَهِرٌ بِالْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَهَلُمَّ جَرًّا مِنْ وَقَائِعَ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَىٰ.

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، أَوْ غَيْرِهِ: كَيْفَ تُقَاتِلُ بَنِي حَنِيفَةَ، وَهُمْ يَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُصَلُّونَ، وَيُزَكُّونَ.

وَكَذَلِكَ لَمْ يَسْتَشْكِلْ أَحَدٌ تَكْفِيرَ قُدَامَةَ وَأَصْحَابَهُ لَوْ لَمْ يَتُوبُوا. وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَىٰ زَمَنِ بَنِي عُبَيْدٍ الْقَدَّاحِ، الَّذِينَ مَلَكُوا الْمَغْرِبَ وَمِصْرَ وَالشَّامَ وَغَيْرَهَا، مَعَ تَظَاهُرِهِمْ بِالْإِسْلَامِ، وَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَنَصْبِ الْقُضَاةِ وَالْمُفْتِينَ، لَمَّا أَظْهَرُوا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مَا أَظْهَرُوا، لَمْ يَسْتَشْكِلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ قِتَالَهُمْ، وَلَمْ يَتَوَقَّفُوا فِيهِ، وَهُمْ فِي زَمَنِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ، وَالْمُوَفَّقِ، وَصَنَّفَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ كِتَابًا لَمَّا

أخذَتْ مِصْرُ مِنْهُمْ سَمَّاهُ: «النَّصر عَلَىٰ مِصْرَ».

وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ أَنَّ أَحَدًا أَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، أَوِ اسْتَشْكَلَهُ لِأَجْلِ ادِّعَائِهِمُ الْمِلَّةَ، أَوْ لِأَجْلِ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَوْ لِأَجْلِ إِظْهَارِ شَيْءٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، إِلَّا مَا سَمِعْنَاهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَلَاعِينَ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ مِنْ إِقْرَارِهِمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ، وَلَكِنْ مَنْ فَعَلَهُ أَوْ حَسَّنَهُ، أَوْ كَانَ مَعَ أَهْلِهِ، أَوْ ذَمَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ، أَوْ حَارَبَ أَهْلَهُ لِأَجْلِهِ، أَوْ أَبْغَضَهُمْ لِأَجْلِهِ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَوْ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةَ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّاهَا الْإِسْلَامَ، هَذَا لَمْ يُسْمَعْ قَطُّ إِلَّا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُلْحِدِينَ الْجَاهِلِينَ الظَّالِمِينَ، فَإِنْ ظَفِرُوا بِحَرْفٍ وَاحِدٍ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَوْ أَحَدٍ مِنْهُمْ؛ يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَىٰ قَوْلِهِمُ الْفَاحِشِ الْأَحْمَقِ فَلْيَذْكُرُوهُ.

وَلَكِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ الْيَمَنِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ:

أَقَاوِيلُ لا تُعْزَىٰ إِلَىٰ عَالِمٍ وَلا ... تُسَاوِي فِلْسًا إِنْ رَجَعْتَ إِلَىٰ النَّقْدِ

وَلْنَخْتِمِ الْكَلَامَ فِي هَذَا النَّوْعِ بِمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» حَيْثُ قَالَ: (بَابٌ: تَغْيِيرُ الزَّمَانِ حَتَّىٰ تُعْبَدَ الْأَوْثَانُ)، ثُمَّ ذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ قَوْلَهُ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَىٰ ذِي الْخَلَصَةِ»[1]. وَذُو الْخَلَصَةِ صَنَمٌ لِدَوْسٍ يَعْبُدُونَهُ، فَقَالَ ﷺ لِجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَلا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ» فَرَكِبَ إِلَيْهِ بِمَنْ مَعَهُ فَأَحْرَقَهُ وَهَدَمَهُ، ثُمَّ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: «فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسًا»[2]. وَعَادَةُ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْحَدِيثُ عَلَىٰ شَرْطِهِ، ذَكَرَهُ فِي التَّرْجَمَةِ، ثُمَّ أَتَىٰ بِمَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنَاهُ مِمَّا هُوَ عَلَىٰ شَرْطِهِ، وَلَفْظُ التَّرْجَمَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ: (تَغْيِيرُ الزَّمَانِ حَتَّىٰ تُعْبَدَ الْأَوْثَانُ) لَفْظُ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَاللهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٩)، ومسلم (٧٤٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٧).

ﷺ أَعْلَمُ.

وَلْنَذْكُرْ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَلَامِ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ جُمَلًا فِي جِهَادِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَمُعَادَاةِ أَعْدَاءِ اللهِ، وَمُوَالَاةِ أَوْلِيَائِهِ، وَأَنَّ الدِّينَ لَا يَصِحُّ وَلَا يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ فِيهِ إِلَّا بِذَلِكَ.

فَنَقُولُ:

بَابٌ فِي وُجُوبِ عَدَاوَةِ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُرْتَدِّينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾[النساء: ١٤٠].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[المائدة: ٥١].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة: ١-٤].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة: ٢٢] الْآيَةَ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ: «أَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ أَسَدَ بْنَ مُوسَىٰ كَتَبَ إِلَىٰ أَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ: اعْلَمْ يَا أَخِي، أَنَّمَا حَمَلَنِي عَلَىٰ الْكِتَابِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا ذَكَرَ أَهْلُ بِلَادِكَ مِنْ صَالِحِ مَا أَعْطَاكَ اللهُ مِنْ إِنْصَافِكَ لِلنَّاسِ، وَحُسْنِ حَالِكَ مِمَّا أَظْهَرْتَ مِنَ السُّنَّةِ، وَعَيْبِكَ لِأَهْلِ الْبِدْعَةِ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِكَ لَهُمْ، وَطَعْنِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَمَعَهُمُ اللهُ بِكَ، وَشَدَّ بِكَ ظَهْرَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَوَّاكَ عَلَيْهِمْ بِإِظْهَارِ عَيْبِهِمْ، وَالطَّعْنِ عَلَيْهِمْ، فَأَذَلَّهُمُ اللهُ بِكَ، وَصَارُوا بِبِدْعَتِهِمْ مُسْتَتِرِينَ، فَأَبْشِرْ يَا أَخِي بِثَوَابِ ذَلِكَ، وَاعْتَدَّ بِهِ مِنْ أَفْضَلِ حَسَنَاتِكَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ.

وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ مِنْ إِقَامَةِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِحْيَاءِ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ،

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَحْيَا شَيْئًا مِنْ سُنَّتِي، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ» وَضَمَّ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، وَقَالَ: «أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ فَاتُّبِعَ عَلَيْهِ؛ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ تَبِعَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1] فَمَنْ يُدْرِكُ أَجْرَ هَذَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ، وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ لِلهِ عِنْدَ كُلِّ بِدْعَةٍ كِيدَ بِهَا الْإِسْلَامُ وَلِيًّا لِلهِ يَذُبُّ عَنْهَا، وَيَنْطِقُ بِعَلَامَتِهَا.

فَاغْتَنِمْ يَا أَخِي هَذَا الْفَضْلَ وَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَىٰ الْيَمَنِ وَأَوْصَاهُ، وَقَالَ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ كَذَا وَكَذَا»[2]، وَأَعْظَمَ الْقَوْلَ فِيهِ.

فَاغْتَنِمْ ذَلِكَ وَادْعُ إِلَىٰ السُّنَّةِ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ لَكَ فِي ذَلِكَ أُلْفَةٌ وَجَمَاعَةٌ يَقُومُونَ مَقَامَكَ إِنْ حَدَثَ بِكَ حَدَثٌ، فَيَكُونُونَ أَئِمَّةً بَعْدَكَ، فَيَكُونُ لَكَ ثَوَابُ ذَلِكَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ، فَاعْمَلْ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ وَنِيَّةٍ وَحِسْبَةٍ، فَيَرُدَّ اللهُ بِكَ الْمُبْتَدِعَ الْمَفْتُونَ الزَّائِغَ الْحَائِرَ، فَتَكُونَ خَلَفًا مِنْ نَبِيِّكَ ﷺ فَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَىٰ اللهَ بِعَمَلٍ يُشْبِهُهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ أَخٌ، أَوْ جَلِيسٌ أَوْ صَاحِبٌ.

فَإِنَّهُ جَاءَ فِي الْأَثَرِ: مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ؛ نُزِعَتْ مِنْهُ الْعِصْمَةُ، وَوُكِلَ إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَمَنْ مَشَىٰ إِلَىٰ صَاحِبِ بِدْعَةٍ؛ مَشَىٰ فِي هَدْمِ الْإِسْلَامِ[3].

وَجَاءَ: مَا مِنْ إِلَهٍ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ أَبْغَضَ إِلَىٰ اللهِ مِنْ صَاحِبِ هَوًىٰ.

وَقَدْ وَقَعَتِ اللَّعْنَةُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَأَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، وَلَا فَرِيضَةً وَلَا تَطَوُّعًا، وَكُلَّمَا ازْدَادُوا اجْتِهَادًا وَصَوْمًا وَصَلَاةً؛ ازْدَادُوا مِنَ اللهِ بُعْدًا، فَارْفُضْ مَجَالِسَهُمْ وَأَذِلَّهُمْ وَأَبْعِدْهُمْ، كَمَا أَبْعَدَهُمُ اللهُ وَأَذَلَّهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٦٢٧)، وقال الأرنؤوط: ضعيف جدًّا، لكن صح أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «فوالله لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم». أخرجه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (٦٣٧٦).

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٥٩) عن محمد بن النضر الحارثي.

رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَئِمَّةُ الْهُدَىٰ بَعْدَهُ». انْتَهَىٰ كَلَامُ أَسَدٍ رَحِمَهُ اللهُ.

وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ كَلَامَهُ، وَمَا يَأْتِي مِنْ كَلَامِ أَمْثَالِهِ مِنَ السَّلَفِ فِي مُعَادَاةِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَةِ فِي ضَلَالَةٍ، لَا تُخْرِجُ عَنِ الْمِلَّةِ، لَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا فِي ذَلِكَ، وَحَذَّرُوا مِنْهُ لِأَمْرَيْنِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: غِلَظُ الْبِدْعَةِ فِي الدِّينِ فِي نَفْسِهَا، فَهِيَ عِنْدَهُمْ أَجَلُّ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَيُعَامِلُونَ أَهْلَهَا بِأَغْلَظَ مِمَّا يُعَامِلُونَ بِهِ أَهْلَ الْكَبَائِرِ، كَمَا تَجِدُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ الْيَوْمَ أَنَّ الرَّافِضِيَّ عِنْدَهُمْ وَلَوْ كَانَ عَالِمًا عَابِدًا أَبْغَضُ وَأَشَدُّ ذَنْبًا مِنَ السُّنِّيِّ الْمُجَاهِرِ بِالْكَبَائِرِ.

الْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الْبِدَعَ تَجُرُّ إِلَىٰ الرِّدَّةِ الصَّرِيحَةِ كَمَا وُجِدَ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، فَمِثَالُ الْبِدْعَةِ الَّتِي شَدَّدُوا فِيهَا مِثْلُ تَشْدِيدِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ مَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ خَوْفًا مِمَّا وَقَعَ مِنَ الشِّرْكِ الصَّرِيحِ الَّذِي يَصِيرُ بِهِ الْمُسْلِمُ مُرْتَدًّا، فَمَنْ فَهِمَ هَذَا؛ فَهِمَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْبِدَعِ وَبَيْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ فِي الرِّدَّةِ وَمُجَاهَدَةِ أَهْلِهَا، أَوِ النِّفَاقِ الْأَكْبَرِ وَمُجَاهَدَةِ أَهْلِهِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ الْآيَاتُ الْمُحْكَمَاتُ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الْآيَةَ. وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣، ٧٤] الْآيَةَ.

قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ فِي كِتَابِ «الْحَوَادِثِ وَالْبِدَعِ» بَعْدَ حَدِيثٍ ذَكَرَهُ أَنَّهُ سَيَقَعُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِتْنَةُ الْكُفْرِ وَفِتْنَةُ الضَّلَالَةِ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ فِتْنَةَ الْكُفْرِ هِيَ الرِّدَّةُ، يَحِلُّ فِيهَا السَّبْيُ وَالْأَمْوَالُ، وَفِتْنَةُ الضَّلَالَةِ لَا يَحِلُّ فِيهَا السَّبْيُ وَالْأَمْوَالُ، وَهَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ فِتْنَةُ ضَلَالَةٍ، لَا يَحِلُّ فِيهَا السَّبْيُ وَلَا الْأَمْوَالُ». انْتَهَىٰ كَلَامُهُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ أَيْضًا: «أَخْبَرَنَا أَسَدٌ، أَخْبَرَنَا رَجُلٌ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَيُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ قَالَا: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ لِلهِ عِنْدَ كُلِّ بِدْعَةٍ كِيدَ بِهَا الْإِسْلَامُ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ يَذُبُّ عَنْهَا، وَيَنْطِقُ بِعَلَامَتِهَا، فَاغْتَنِمُوا حُضُورَ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَىٰ اللهِ»، قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا.

ثُمَّ ذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ، قَالَ: لَأَنْ أَرُدَّ رَجُلًا عَنْ رَأْيٍ سَيِّءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اعْتِكَافِ شَهْرٍ.

أَخْبَرَنَا أَسَدٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْحَذَّاءِ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: «كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ ذِي بِدْعَةٍ صَلَاةً، وَلَا صِيَامًا، وَلَا صَدَقَةً، وَلَا جِهَادًا، وَلَا حَجًّا، وَلَا عُمْرَةً، وَلَا صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا، وَكَانَتْ أَسْلَافُكُمْ تَشْتَدُّ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ، وَتَشْمَئِزُّ مِنْهُمْ قُلُوبُهُمْ، وَيُحَذِّرُونَ النَّاسَ بِدْعَتَهُمْ.

قَالَ: وَلَوْ كَانُوا مُسْتَتِرِينَ بِبِدْعَتِهِمْ دُونَ النَّاسِ مَا كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَهْتِكَ عَنْهُمْ سِتْرًا، وَلَا يُظْهِرَ مِنْهُمْ عَوْرَةً، اللهُ أَوْلَىٰ بِالْأَخْذِ بِهِمْ وَبِالتَّوْبَةِ عَلَيْهَا، فَإِمَّا إِذَا جَهَرُوا بِهِ، وَكَثُرَتْ دَعْوَتُهُمْ وَدُعَاتُهُمْ إِلَيْهَا فَنَشْرُ الْعِلْمِ حَيَاةٌ، وَالْبَلَاغُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَحْمَةٌ يَعْتَصِمُ بِهَا عَلَىٰ مُصِرٍّ مُلْحِدٍ».

ثُمَّ رَوَىٰ بِإِسْنَادِهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، وَأَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ قَاعِدٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا ضَرَبَ بِسَيْفِهِ غَضَبًا لِلهِ حَتَّىٰ قُتِلَ، أَفِي الْجَنَّةِ أَمْ فِي النَّارِ؟ فَقَالَ أَبُو مُوسَىٰ: فِي الْجَنَّةِ، قَالَ حُذَيْفَةُ: اسْتَفْهِمِ الرَّجُلَ وَأَفْهِمْهُ مَا تَقُولُ، قَالَ أَبُو مُوسَىٰ: سُبْحَانَ اللهِ! كَيْفَ قُلْتَ. قَالَ: قُلْتُ رَجُلًا ضَرَبَ بِسَيْفِهِ غَضَبًا لِلهِ حَتَّىٰ قُتِلَ، أَفِي الْجَنَّةِ أَمْ فِي النَّارِ؟ فَقَالَ أَبُو مُوسَىٰ: فِي الْجَنَّةِ، قَالَ حُذَيْفَةُ: اسْتَفْهِمِ الرَّجُلَ وَأَفْهِمْهُ مَا تَقُولُ حَتَّىٰ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ، قَالَ: وَاللهِ لَا تَسْتَفْهِمُهُ، فَدَعَا بِهِ حُذَيْفَةُ فَقَالَ: رُوَيْدَكَ وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ صَاحِبَكَ لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ حَتَّىٰ يَنْقَطِعَ، فَأَصَابَ الْحَقَّ حَتَّىٰ يُقْتَلَ عَلَيْهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ يُصِبِ الْحَقَّ وَلَمْ

يُوَفِّقْهُ اللهُ لِلْحَقِّ فَهُوَ فِي النَّارِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ النَّارَ فِي مِثْلِ هَذَا الَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ أَكْثَرُ مِنْ كَذَا وَكَذَا».

ثُمَّ ذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَإِنَّهُ يُمْرِضُ قَلْبَكَ».

ثُمَّ ذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، قَالَ: «مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ؛ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ إِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِتْنَةً لِغَيْرِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ فَيَزِلَّ بِهِ فَيُدْخِلَهُ اللهُ النَّارَ، وَإِمَّا أَنْ يَقُولَ: وَاللهِ مَا أُبَالِي مَا تَكَلَّمُوا، وَإِنِّي وَاثِقٌ بِنَفْسِي، فَمَنْ أَمِنَ اللهَ عَلَىٰ دِينِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ سَلَبَهُ إِيَّاهُ».

ثُمَّ ذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ: «مَنْ أَتَىٰ صَاحِبَ بِدْعَةٍ لِيُوَقِّرَهُ فَقَدْ أَعَانَ عَلَىٰ هَدْمِ الْإِسْلَامِ».

أَخْبَرَنَا أَسَدٌ عَنْ كَثِيرِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: «مَنْ جَلَسَ إِلَىٰ صَاحِبِ بِدْعَةٍ نُزِعَتْ مِنْهُ الْعِصْمَةُ، وَوُكِلَ إِلَىٰ نَفْسِهِ».

أَخْبَرَنَا أَسَدٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ»، قَالَ أَيُّوبُ: وَكَانَ وَاللهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ ذَوِي الْأَلْبَابِ.

أَخْبَرَنَا أَسَدٌ قَالَ أَخْبَرَنَا زَيْدٌ عَنْ محمدِ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْبِدَعِ، وَلَا تُكَلِّمُوهُمْ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَرْتَدَّ قُلُوبُكُمْ».

أَخْبَرَنَا أَسَدٌ بِالْإِسْنَادِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(١).

أَخْبَرَنَا أَسَدٌ، أَخْبَرَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: دَخَلَ

---

(١) أخرجه أحمد (٨٣٩٨)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤٥).

عَلَىٰ محمدِ بْنِ سِيرِينَ يَوْمًا رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ لَا أَزِيدُ عَلَىٰ أَنْ أَقْرَأَهَا ثُمَّ أَخْرُجُ، فَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا لَمَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِي. قَالَ: فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي لَا أَزِيدُ عَلَىٰ أَنْ أَقْرَأَ، ثُمَّ أَخْرُجُ. قَالَ: فَقَالَ بِإِزَارِهِ يَشُدُّهُ عَلَيْهِ وَتَهَيَّأَ لِلْقِيَامِ، فَأَقْبَلْنَا عَلَىٰ الرَّجُلِ، فَقُلْنَا: قَدْ حَرَّجَ عَلَيْكَ إِلَّا خَرَجْتَ، أَفَيَحِلُّ لَكَ أَنْ تُخْرِجَ رَجُلًا مِنْ بَيْتِهِ. قَالَ: فَخَرَجَ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا عَلَيْكَ لَوْ قَرَأَ آيَةً، ثُمَّ خَرَجَ. قَالَ: إِنِّي وَاللهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ قَلْبِي يَثْبُتُ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مَا بَالَيْتُ أَنْ يَقْرَأَ، وَلَكِنِّي خِفْتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي قَلْبِي شَيْئًا أَجْهَدُ أَنْ أُخْرِجَهُ مِنْ قَلْبِي فَلَا أَسْتَطِيعُ».

أَخْبَرَنَا أَسَدٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا ضَمْرَةُ عَنِ ابْنِ شَوْذَبَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْقَاسِمِ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا كَانَ عَبْدٌ عَلَىٰ هَوًى فَتَرَكَهُ إِلَّا إِلَىٰ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ» قَالَ: فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا فَقَالَ: تَصْدِيقُهُ فِي حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لا يَرْجِعُونَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ السَّهْمُ إِلَىٰ فُوقِهِ»[١].

أَخْبَرَنَا أَسَدٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَرَىٰ رَأْيًا فَرَجَعَ عَنْهُ، فَأَتَيْتُ محمدًا فَرِحًا بِذَلِكَ أُخْبِرُهُ، فَقُلْتُ: أَشَعَرْتَ أَنَّ فُلَانًا تَرَكَ رَأْيَهُ الَّذِي كَانَ يَرَىٰ؟ فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَىٰ مَا يَتَحَوَّلُ، إِنَّ آخِرَ الْحَدِيثِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوَّلِهِ «يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ... لا يَعُودُونَ فِيهِ».

ثُمَّ رَوَىٰ بِإِسْنَادِهِ عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ أَنَّهُ أَخَذَ حَصَاةً بَيْضَاءَ، فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدِ اسْتَضَاءَ إِضَاءَةَ هَذِهِ الْحَصَاةِ»، ثُمَّ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ، فَجَعَلَ يَذُرُّهُ عَلَىٰ الْحَصَاةِ حَتَّىٰ وَارَاهَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَجِيئَنَّ أَقْوَامٌ يَدْفِنُونَ الدِّينَ، كَمَا دَفَنْتُ هَذِهِ الْحَصَاةَ».

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٢٣).

أَخْبَرَنَا محمدُ بْنُ سَعِيدٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: «لَوْ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْكُمُ الْيَوْمَ مَا عَرَفَ شَيْئًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِلَّا الصَّلَاةَ»، قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: فَكَيْفَ لَوْ كَانَ الْيَوْمَ! قَالَ عِيسَىٰ -يَعْنِي الرَّاوِيَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ-: فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ الْأَوْزَاعِيُّ هَذَا الزَّمَانَ!

أَخْبَرَنَا محمدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ تُعْرَفُوا بِهِ، وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُ سَيَأْتِي مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانٌ يُنْكِرُ الْحَقَّ فِيهِ تِسْعَةُ أَعْشَارِهِمْ».

أَخْبَرَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي سُهَيْلِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ عَلَيْهِ النَّاسَ إِلَّا النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ».

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ محمدٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَعْرِفُ مِنْكُمْ شَيْئًا كُنْتُ أَعْهَدُهُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْسَ قَوْلَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَسَدٌ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَدْرَكَ السَّلَفَ الْأَوَّلَ، ثُمَّ بُعِثَ الْيَوْمَ مَا عَرَفَ مِنَ الْإِسْلَامِ شَيْئًا»، قَالَ: وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ خَدِّهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا وَاللهِ مَا ذَلِكَ لِمَنْ عَاشَ فِي هَذِهِ النُّكْرَا، وَلَمْ يُدْرِكْ هَذَا السَّلَفَ الصَّالِحَ، فَرَأَىٰ مُبْتَدِعًا يَدْعُو إِلَىٰ بِدْعَتِهِ، وَرَأَىٰ صَاحِبَ دُنْيَا يَدْعُو إِلَىٰ دُنْيَاهُ، فَعَصَمَهُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ يَحِنُّ إِلَىٰ ذَلِكَ السَّلَفِ الصَّالِحِ يَسْأَلُ عَنْ سَبِيلِهِمْ، وَيَقْتَصُّ آثَارَهُمْ، وَيَتَّبِعُ سَبِيلَهُمْ لِيُعَوَّضَ أَجْرًا عَظِيمًا، فَكَذَلِكَ فَكُونُوا إِنْ شَاءَ اللهُ».

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ محمدٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مَيْمُونَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا أُنْشِرَ فِيكُمْ مِنَ السَّلَفِ مَا عَرَفَ فِيكُمْ غَيْرَ هَذِهِ الْقِبْلَةِ».

أَخْبَرَنَا محمدُ بْنُ قُدَامَةَ الْهَاشِمِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه وَهُوَ غَضْبَانُ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَغْضَبَكَ؟ فَقَالَ: «وَاللهِ مَا أَعْرِفُ فِيهِمْ مِنْ أَمْرِ

محمدٍ ﷺ شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ جَمِيعًا».

وَفِي لَفْظٍ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا تَعَلَّمَ الْإِسْلَامَ وَأَتَمَّهُ، ثُمَّ تَفَقَّدَهُ مَا عَرَفَ مِنْهُ شَيْئًا».

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ محمدٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَوَائِلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَلَيَا بِمُصْحَفَيْهِمَا فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ لَأَتَيَا النَّاسَ الْيَوْمَ وَلَا يَعْرِفَانِ شَيْئًا مِمَّا كَانَا عَلَيْهِ».

قَالَ مَالِكٌ: وَبَلَغَنِي أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه تَلَا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١] فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ النَّاسَ لَيَخْرُجُونَ الْيَوْمَ مِنْ دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ أَفْوَاجًا».

فِقفْ تَأَمَّلْ رَحِمَكَ اللهُ إِذَا كَانَ هَذَا فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ بِحَضْرَةِ أَوَاخِرِ الصَّحَابَةِ، فَكَيْفَ يَغْتَرُّ الْمُسْلِمُ بِالْكَثْرَةِ، أَوْ تُشْكِلُ عَلَيْهِ، أَوْ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْبَاطِلِ.

ثُمَّ رَوَى ابْنُ وَضَّاحٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ مُعَاوِيَةَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ رضي الله عنه فَقُلْتُ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ، كَيْفَ تَصْنَعُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟ قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ، قُلْتُ: قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. قَالَ: أَمَا وَاللهِ قَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ أَمْرَ الْعَوَامِّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»(١).

ثُمَّ رَوَى بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «نَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

يَبْغَضُهُمْ أَكْثَرَ مِمَّنْ يُحِبُّهُمْ»(١).

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْمَعَافِرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «طُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِكِتَابِ اللهِ حِينَ يُتْرَكُ، وَيَعْمَلُونَ بِالسُّنَّةِ حِينَ تُطْفَأُ»(٢).

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ، أَخْبَرَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَىٰ بِإِسْنَادِهِ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَكُونَ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ حِينَ يَفْسَدُ النَّاسُ، ثُمَّ طُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ حِينَ يَفْسَدُ النَّاسُ»(٣).

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ، أَخْبَرَنَا أَسَدٌ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سنة أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ» فَقِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ»(٤).

هَذَا آخِرُ مَا نَقَلْتُهُ مِنْ كِتَابِ «الْحَوَادِثِ وَالْبِدَعِ» لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ مُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ رَحِمَهُ اللهُ.

فَتَأَمَّلْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَحَادِيثَ الْغُرْبَةِ، وَبَعْضُهَا فِي الصَّحِيحِ مَعَ كَثْرَتِهَا وَشُهْرَتِهَا، وَتَأَمَّلْ إِجْمَاعَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ هَذَا قَدْ وَقَعَ مِنْ زَمَنٍ طَوِيلٍ حَتَّىٰ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «الإِسْلَامُ فِي زَمَانِنَا أَغْرَبُ مِنْهُ فِي أَوَّلِ ظُهُورِهِ».

فَتَأَمَّلْ هَذَا تَأَمُّلًا جَيِّدًا لَعَلَّكَ أَنْ تَسْلَمَ مِنْ هَذِهِ الْهُوَّةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي هَلَكَ فِيهَا أَكْثَرُ النَّاسِ، وَهِيَ الِاقْتِدَاءُ بِالْأَكْثَرِ وَالسَّوَادِ الْأَكْبَرِ، وَالنَّفْرَةُ مِنَ الْأَقَلِّ، فَمَا أَقَلَّ مَنْ

---

(١) أخرجه أحمد (٦٦٥٠)، ولكن بلفظ: ناس صالحون في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم». وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) أخرجه ابن وضاح في البدع (١٦٧).

(٣) أخرجه ابن وضاح في البدع (١٦٩).

(٤) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٧٤).

سَلِمَ مِنْهَا! مَا أَقَلَّهُ، مَا أَقَلَّهُ!

وَلْنَخْتِمْ ذَلِكَ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ - وَفِي رِوَايَةٍ: يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ، وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِهِ - ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[1].

انْتَهَى مَا نَقَلْتُهُ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقَدْ رَأَيْتُ لِلشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ رِسَالَةً كَتَبَهَا وَهُوَ فِي السِّجْنِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ لَمَّا أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يُشِيرُونَ عَلَيْهِ بِالرِّفْقِ بِخُصُومِهِ؛ لِيَتَخَلَّصَ مِنَ السِّجْنِ، أَحْبَبْتُ أَنْ أَنْقُلَ أَوَّلَهَا، لِعِظَمِ مَنْفَعَتِهِ.

قَالَ رحمه الله: «الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ وَصَلَتِ الْوَرَقَةُ الَّتِي فِيهَا رِسَالَةُ الشَّيْخَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ الْعَالِمَيْنِ النَّاسِكَيْنِ الْقُدْوَتَيْنِ - أَيَّدَهُمَا اللهُ وَسَائِرَ الْإِخْوَانِ بِرُوحٍ مِنْهُ -، وَكَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، وَأَدْخَلَهُمْ مُدْخَلَ صِدْقٍ، وَأَخْرَجَهُمْ مُخْرَجَ صِدْقٍ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ لَدُنْهُ مَا يَنْصُرُ بِهِ مِنَ السُّلْطَانِ، سُلْطَانِ الْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ بِالْبَيَانِ وَالْبُرْهَانِ، وَسُلْطَانِ الْقُدْرَةِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨).

وَالنُّصْرَةِ بِالسِّنَانِ وَالْأَعْوَانِ، وَجَعَلَهُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ، وَحِزْبِهِ الْغَالِبِينَ، لِمَنْ نَاوَأَهُمْ مِنَ الْأَقْرَانِ، وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الصَّبْرِ وَالْإِيقَانِ، وَاللهُ مُحَقِّقٌ ذَلِكَ، وَمُنْجِزٌ وَعْدَهُ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ، وَمُنْتَقِمٌ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ لِعِبَادِ الرَّحْمَنِ.

لَكِنْ بِمَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ، وَمَضَتْ بِهِ سُنَّتُهُ مِنَ الِابْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ، الَّذِي يَمِيزُ اللهُ بِهِ أَهْلَ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالْبُهْتَانِ؛ إِذْ قَدْ دَلَّ كِتَابُهُ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْفِتْنَةِ لِكُلِّ مَنِ ادَّعَى الْإِيمَانَ، وَالْعُقُوبَةِ لِذَوِي السَّيِّئَاتِ وَالطُّغْيَانِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤﴾ [العنكبوت: ١ - ٤]، فَأَنْكَرَ سُبْحَانَهُ عَلَى مَنْ يَظُنُّ أَنَّ أَهْلَ السَّيِّئَاتِ يَفُوتُونَ الطَّالِبَ الْغَالِبَ، وَأَنَّ مُدَّعِي الْإِيمَانِ يُتْرَكُونَ بِلَا فِتْنَةٍ تَمِيزُ بَيْنَ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ.

وَأَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الصِّدْقَ فِي الْإِيمَانِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [الحجرات: ١٤، ١٥].

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ بِخُسْرَانِ الْمُنْقَلِبِ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَ الْفِتْنَةِ، الَّذِي يَعْبُدُ اللهَ فِيهَا عَلَى حَرْفٍ، وَهُوَ الْجَانِبُ وَالطَّرَفُ الَّذِي لَا يَسْتَقِرُّ مَنْ هُوَ عَلَيْهِ، بَلْ لَا يَثْبُتُ عَلَى الْإِيمَانِ إِلَّا عِنْدَ وُجُودِ مَا يَهْوَاهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١﴾ [الحج: ١١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ عِنْدَ وُجُودِ الْمُرْتَدِّينَ، فَلَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ الْمُحِبِّينَ الْمَحْبُوبِينَ الْمُجَاهِدِينَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الشَّاكِرُونَ لِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ، الصَّابِرُونَ عَلَىٰ الِامْتِحَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤- ١٤٨].

فَإِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ إِنْسَانٍ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، كَانَ جَمِيعُ مَا يَقْضِي لَهُ مِنَ الْقَضَاءِ خَيْرًا لَهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَقْضِي اللهُ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ قَضَاءٍ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ»[1]، وَالصَّبَّارُ الشَّكُورُ هُوَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ.

وَمَنْ لَمْ يُنْعِمِ اللهُ عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ فَهُوَ بِشَرِّ حَالٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فِي حَقِّهِ يُفْضِي بِهِ إِلَىٰ قَبِيحِ الْمَآلِ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ مِحَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ، وَفِيهَا تَثْبِيتُ أُصُولِ الدِّينِ، وَحِفْظُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ مِنْ كَيْدِ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالْإِلْحَادِ وَالْبُهْتَانِ.

فَالْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَىٰ، وَكَمَا يَنْبَغِي

---

(١) أخرجه مسلم (٧٦٩٢).

لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ، وَاللهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُثَبِّتَكُمْ وَسَائِرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَيُتِمُّ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ، وَيَنْصُرُ دِينَهُ وَكِتَابَهُ وَرَسُولَهُ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، الَّذِي أَمَرَنَا بِجِهَادِهِمْ وَالْإِغْلَاظِ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ». انْتَهَىٰ مَا نَقَلْتُهُ مِنْ كَلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللهُ فِي الرِّسَالَةِ الْمَذْكُورَةِ وَهِيَ طَوِيلَةٌ.

وَمِنْ جَوَابِ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْحَشِيشَةِ مَا يَجِبُ عَلَىٰ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ أَكْلَهَا جَائِزٌ، فَقَالَ: «أَكْلُ هَذِهِ الْحَشِيشَةِ الصُّلْبَةِ حَرَامٌ، وَهِيَ مِنْ أَخْبَثِ الْخَبَائِثِ الْمُحَرَّمَةِ، سَوَاءٌ أَكَلَ مِنْهَا كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا، لَكِنَّ الْكَثِيرَ الْمُسْكِرَ مِنْهَا حَرَامٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنِ اسْتَحَلَّ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ كَافِرًا مُرْتَدًّا، لَا يُغَسَّلُ وَلَا يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ، وَلَا يُدْفَنُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَحُكْمُ الْمُرْتَدِّ شَرٌّ مِنْ حُكْمِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ، سَوَاءٌ اعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ يَحِلُّ لِلْعَامَّةِ، أَوْ لِلْخَاصَّةِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا لُقْمَةُ الْفِكْرِ وَالذِّكْرِ، وَأَنَّهَا تُحَرِّكُ الْعَزْمَ السَّاكِنَ إِلَىٰ أَشْرَفِ الْأَمَاكِنِ، وَأَنَّهُمْ لِذَلِكَ يَسْتَعْمِلُونَهَا وَتَنْفَعُ فِي الطَّرِيقِ.

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ ظَنَّ أَنَّ الْخَمْرَ يُبَاحُ لِلْخَاصَّةِ مُتَأَوِّلًا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [المائدة: ٩٣]، فَلَمَّا رُفِعَ أَمْرُهُمْ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَتَشَاوَرَ الصَّحَابَةُ فِيهِمْ، اتَّفَقَ عُمَرُ وَعَلِيٌّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم عَلَىٰ أَنَّهُمْ إِنْ أَقَرُّوا بِالتَّحْرِيمِ؛ جُلِدُوا، وَإِنْ أَصَرُّوا عَلَىٰ الِاسْتِحْلَالِ؛ قُتِلُوا». انْتَهَىٰ مَا نَقَلْتُهُ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ.

فَتَأَمَّلْ كَلَامَ هَذَا الَّذِي يُنْسَبُ عَنْهُ عَدَمُ تَكْفِيرِ الْمُعَيَّنِ، إِذَا جَاهَرَ بِسَبِّ دِينِ الْأَنْبِيَاءِ وَصَارَ مَعَ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ وَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَصِيرِ مَعَهُمْ، وَيُنْكِرُ عَلَىٰ مَنْ لَا يَسُبُّ التَّوْحِيدَ، وَيَدْخُلُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ لِأَجْلِ انْتِسَابِهِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ.

انْظُرْ كَيْفَ كَفَّرَ الْمُعَيَّنَ وَلَوْ كَانَ عَابِدًا بِاسْتِحْلَالِ الْحَشِيشَةِ، وَلَوْ زَعَمَ حِلَّهَا لِلْخَاصَّةِ الَّتِي تُعِينُهُمْ عَلَىٰ الْفِكْرَةِ، وَاسْتَدَلَّ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَىٰ تَكْفِيرِ قُدَامَةَ وَأَصْحَابَهُ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا، وَكَلَامُهُ فِي الْمُعَيَّنِ، وَكَلَامُ الصَّحَابَةِ فِي الْمُعَيَّنِ، فَكَيْفَ بِمَا نَحْنُ فِيهِ مِمَّا لَا يُسَاوِي اسْتِحْلَالُ الْحَشِيشَةِ جُزْءًا مِنْ أَلْفِ جُزْءٍ مِنْهُ؟

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا محمدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

* * *

٢١- سِتَّةُ أصُولٍ عَظِيمَةٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

مِن أعجَبِ العُجَابِ، وَأكبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ: سِتَّةُ أصُولٍ بَيَّنَهَا اللَّه تَعَالَىٰ بيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ فَوقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِير مِن أذكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أقَلَّ القَلِيلِ.

الأَصلُ الأَوَّلُ: إِخلَاصُ الدِّينِ للَّه تَعَالَىٰ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِاللَّه، وَكونُ أكثَرِ القُرآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأصلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفهَمُهُ أبلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أكثَرِ الأمَّةِ مَا صَارَ، أظهَرَ لَهُمُ الشَّيطَانُ الإِخلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهِم، وَأظهَرَ لَهُمُ الشِّركَ بِاللَّه فِي صورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأتبَاعِهِم.

الأَصلُ الثَّانِي: أمَرَ اللَّه بِالاجتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَىٰ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللَّه هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفهَمُهُ العَوَامُّ، وَنَهَانَا أن نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختَلَفُوا قَبلَنَا فَهَلَكُوا، وَذَكَرَ أنَّهُ أمَرَ المُسلِمِينَ بِالاجتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَاهُم عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا وَرَدَت بِهِ السُّنَّةُ مِنَ العَجَبِ العُجَابِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الأمرُ إِلَىٰ أنَّ الافتِرَاقَ فِي أصُولِ الدِّينِ وَفُروعِهِ هُوَ العِلمُ وَالفِقهُ فِي الدِّينِ، وَصَارَ الاجتِمَاعُ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِندِيق أو مَجنُون!!

الأَصلُ الثَّالِثُ: أنَّ مِن تَمَامِ الاجتِمَاعِ: السَّمعَ وَالطَّاعَةَ لِمَن تَأمَّرَ عَلَينَا وَلَو كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَبَيَّنَ اللَّه هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوجُوهٍ مِن أنوَاعِ البَيَانِ شَرعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأصلُ لَا يُعرَفُ عِندَ أكثَرِ مَن يَدَّعِي العِلمَ فَكَيفَ العَمَل بِهِ؟!

الأصلُ الرَّابعُ: بَيَانُ العِلمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقهِ وَالفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَن تَشَبَّهَ بِهِم وَلَيسَ مِنهُم، وَقَد بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الأصلَ فِي أوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَولِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠]. إلَىٰ قَولِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الآيَة [البقرة: ٤٧].

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا صَرَّحَت بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أغرَبَ الأشيَاءِ، وَصَارَ العِلمُ وَالفِقهُ هُوَ البِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ، وَخِيَارُ مَا عِندَهُم لَبسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الخَلقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إلَّا زِندِيقٌ أو مَجنُونٌ، وَصَارَ مَن أنكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحذِيرِ مِنهُ وَالنَّهيِ عَنهُ هُوَ الفَقِيهَ العَالِمَ.

الأصلُ الخَامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبحَانَهُ لأولِيَاءِ اللهِ، وَتَفرِيقُهُ بَينَهُم وَبَينَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِم مِن أعدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ، وَيَكفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ وَهِيَ قَولُهُ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآيَة [آل عمران: ٣١].

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ، وَهِيَ قَولُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآيَة [المائدة: ٥٤].

وَآيَةٌ فِي يُونُسَ، وَهِيَ قَولُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

ثُمَّ صَارَ الأمرُ عِندَ أكثَرِ مَن يَدَّعِي العِلمَ، وَأنَّهُ مِن هُدَاةِ الخَلقِ وَحُفَّاظِ الشَّرعِ إلَىٰ أنَّ الأولِيَاءَ لَابُدَّ فِيهِم مِن تَركِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَن تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنهُم.

وَلَابُدَّ مِن تَركِ الجِهَادِ، فَمَن جَاهَدَ فَلَيسَ مِنهُم، وَلَابُدَّ مِن تَركِ الإيمَانِ وَالتَّقوَىٰ، فَمَن تَعَهَّدَ بِالإيمَانِ وَالتَّقوَىٰ فَلَيسَ مِنهُم، يَا رَبَّنَا نَسألُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الأصلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيطَانُ فِي تَركِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ

وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأهوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُختَلِفَةِ، وَهِيَ: أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجتَهِدُ المُطلَقُ، وَالمُجتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكرٍ وَعمَرَ، فَإِن لَم يَكُنِ الإِنسَانُ كَذَلِكَ فَليُعرِض عَنهُمَا فَرضًا حَتمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشكَالَ فِيهِ، وَمَن طَلَبَ الهُدَىٰ مِنهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِندِيق، وَإِمَّا مَجنُون، لِأَجلِ صُعُوبَةِ فَهمِهِمَا، فَسُبحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ كَم بَيَّنَ اللهُ سُبحَانَهُ شرعًا وَقَدَرًا، خَلقًا وَأَمرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبهَةِ المَلعُونَةِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بَلَغَت إِلَىٰ حَدِّ الضرُورِيَّاتِ العَامَّةِ، وَلَكِن أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ: ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ [يس: ٧-١١].

آخِرُه وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

* * *

٢٢- الأصول الثلاثة

بسم الله الرحمن الرحيم

اعْلَمْ - رَحِمكَ الله - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَىٰ: العِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، ومَعْرِفَةُ نَبِيِّه، ومَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلاَمِ بالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيةُ: العَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الأَذَىٰ فِيهِ.

والدَّلِيلُ: قَوْلُه تَعَالَىٰ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رحمه الله تعالَىٰ-: «لو مَا أنزَلَ الله حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وقَالَ البُخَارِيُّ - رحمه الله تعالىٰ-: «باب العِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ».

والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

اعْلَمْ - رَحِمَكَ الله -: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ والعَمَلُ بِهِنَّ.

الأولَىٰ: أَنَّ الله خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَل أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا؛ فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥، ١٦].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ أحدٌ؛ لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ الله لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ الله لِطَاعَتِهِ -: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ الله مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومَعْنَىٰ يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِي.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ الله بِهِ: التَّوْحِيدُ وَهُوَ: إِفْرَادُ الله بِالعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ الشِّرْكُ. وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الإنسانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، ودِينَهُ، ونَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

الأصل الأول:
مَعرفَةُ الرَّبّ

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّىٰ جَمِيعَ العَالَمِينَ

بِنِعَمِهِ. وَهُو مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

وَكُلُّ مَا سِوَىٰ الله عَالَمٌ وَأَنَا وَاحِدٌ مِن ذَلِكَ العَالَم.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ والنَّهارُ والشَّمْسُ والقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَواتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾ [فصلت: ٣٧]، وقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ.

والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ - رحمه الله تعالَىٰ-: «الخَالِقُ لِهذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ».

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ الله بِهَا مِثْلُ: الإِسْلاَمِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحسَانِ.

وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، والرَّجَاءُ، والتَّوَكُّلُ، والرَّغْبَةُ، والرَّهْبَةُ، والخُشُوعُ، والخَشْيَةُ، والإِنَابَةُ، والاستِعَانَةُ، والاستِعَاذَةُ، والاسْتِغَاثَةُ، والذَّبْحُ، والنَّذْرُ، وَغَيرُ ذَلِكَ مِن الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ الله بِهَا، كُلُّهَا لله، والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الحَدِيثِ: «الدُّعاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»(١).

والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وَدَلِيلُ الخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

ودَلِيلُ الرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ والخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ودَلِيلُ الخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠].

ودَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥].

وَفِي الحَدِيثِ: «إِذَا استَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ»(٢).

وَدَلِيلُ الاستِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق: ١].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

وَقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الاستِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] الآية.

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١).

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧].

الأصل الثاني:
مَعرفَةُ دِين الإسْلام بالأدِلَّةِ

وَهُوَ: الاستِسْلَامُ للهِ بِالتَّوحِيدِ، والانْقِيَادُ لَهُ بالطَّاعَةِ، والبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وأَهْلِهِ.

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ:

الإِسْلامُ، والإِيمَانُ، والإِحْسَانُ، وكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

المَرْتَبَةُ الأُولَىٰ: الشَّهَادَتَانِ:

فَأَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وإِقَامُ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

ومَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا الله؛ وحده.

«لا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِن دُونِ الله.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢٤٠).

«إلَّا الله» مُثْبِتًا العِبَادَةَ لله وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أنَّهُ لَا لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ: أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَىٰ وزَجَرَ، وأَلَّا يُعْبَدَ الله إلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ، وتَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ودَلِيلُ الحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإيمَانُ، وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأعْلاَهَا: قَوْلُ: لَا إلهَ إلَّا الله، وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بالله، ومَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنُ

بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ.

والدَّلِيلُ عَلَىٰ هذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩].

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ:

رُكْنٌ وَاحِدٌ وَهُوَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]، وَقولُهُ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس: ٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

حَدِيثُ جِبْرَائِيلَ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَىٰ عَلَيْه أَثَرُ السَّفَرِ ولاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النبي ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْه وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخبِرني عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إله إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤتِيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ استَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ ويُصَدِّقُهُ. قَال: فَأَخبِرني عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليَومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: فَأَخْبِرنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا المسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرنِي عَنْ أَمَارَاتِها، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رُعاةَ الشَّاة يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ». قَالَ: فَمَضَىٰ. فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ، أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم أَمْرَ دِينِكُم»(١).

الأصل الثالث:

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُم مُحَمَّدٍ ﷺ

وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وهَاشِمٌ مِن قُرَيشٍ، وقُرَيشٌ مِنَ العَرَب، والعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْن إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاَةِ والسَّلاَم.

وَلَهُ مِن العُمْرِ: ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وثَلاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

نُبِّئَ بِـ﴿اقْرَأْ﴾. وَأُرْسِلَ بِـ: ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّة، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ. بَعَثَهُ الله بِالنِّذَارَة عنِ الشِّرْكِ، ويَدْعو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١-٧].

ومَعْنَىٰ ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ ويَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾: أي: طَهِّرْ أَعْمَالَك عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، والبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ.وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

وبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

وَالهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلامِ والهِجْرَةُ: فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلام، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

وقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ البَغَوِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ -: «سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ الله بِاسْمِ الإِيمَانِ». والدَّلِيلُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لاَ تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، ولا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[1].

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرائِعِ الإِسْلامِ، مِثْلُ: الزَّكَاةِ، والصَّوم، وَالْحَجِّ،، والأذَانِ، وَبَعْدَهَا والأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهي عَنِ المُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ وَبَعْدَهَا تُوُفِّي - صَلَوَاتُ الله وسَلامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ، لاَ خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلاَ شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ. والخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ الله ويَرْضَاهُ، والشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ الله ويَأْبَاهُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٩٩)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٦٩).

بَعَثَهُ الله إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ الله طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الجِنِّ وَالإِنْسِ، والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَأَكْمَلَ الله بِهِ الدِّينَ، والدَّلِيل: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

والنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِم، والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

ومَنْ كَذَّبَ بالبَعْثِ؛ كَفَرَ، والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

وأَرْسَلَ الله جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُـهُم نُوحٌ ﷺ.

وآخِرُهُم مُحَمَّدٌ ﷺ.

والدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَهُم نُوحٌ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ الله إِلَيْهِما رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ؛ يَأْمُرُهُم بِعِبَادَةِ الله وَحْدَهُ، ويَنْهَاهُم عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ

تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بالطَّاغُوتِ والإِيمَانَ بالله.

قَالَ ابنُ القَيِّم – رحمه الله تعالَىٰ –: «الطَّاغُوت: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِن مَعْبُودٍ أو مَتْبُوعٍ، أو مُطَاعٍ».

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرةٌ، وَرُءُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ – لَعَنَهُ الله –، ومَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وهَذَا مَعْنَىٰ لَا إلهَ إلَّا الله.

وَفِي الحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ: الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله»(١).

والله أعلم وصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٦٦).

٢٣- القواعد الأربع

بسم الله الرحمن الرحيم

أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا والْآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ».

«اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ-: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، أَنْ تَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

* فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّىٰ صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

* فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ، عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ هُوَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ، الَّذِي قَالَ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ».

القاعدة الأولى

* أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ

ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

القاعدة الثانية

* أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُم وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

* والشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

- فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤].

- وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرِمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

القاعدة الثالثة

* أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ: مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

* وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧].

* وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

* وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)﴾ [المائدة: ١١٦].

* وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

* وَدَلِيلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠)﴾ [النجم: ١٩، ٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ». الْحَدِيثُ.

القاعدة الرابعة

* أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الْأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ!! وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾ [العنكبوت: ٦٥].

تَمَّتْ وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

* * *

٢٤- بَابُ فَضْلِ الإسلام

وَقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ الآيَةُ [يونس: ١٠٤].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: ٢٨].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلُكُم وَمَثَلُ أَهلِ الكِتَابَينِ كَمَثَلِ رَجُلٍ استَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَن يَعمَلُ لِي مِن غُدوَةٍ إِلَىٰ نِصفِ النَّهَارِ عَلَىٰ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ».

ثُمَّ قَالَ: «مَن يَعمَلُ لِي مِن نِصفِ النَّهَارِ إِلَىٰ صَلاةِ العَصرِ عَلَىٰ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَىٰ».

ثُمَّ قَالَ: «مَن يَعمَلُ لِي مِن صَلاةِ العَصرِ إِلَىٰ أَن تَغِيبَ الشَّمسُ عَلَىٰ قِيرَاطَينِ؟ فَأَنتُم هُم، فَغَضِبَ اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ أَجرًا؟!».

قَالَ: «هَل نَقَصتُكُم مِن حَقِّكُم شَيئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ فَضلِي أُوتِيهِ مَن أَشَاءُ»(١).

وَفِيهِ أَيضًا عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «أَضَلَّ اللهُ عَنِ الجُمُعَةِ مَن كَانَ قَبلَنَا، فَكَانَ لليَهُودِ يَومُ السَّبتِ، وَللنَّصَارَىٰ يَومُ الأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا لِيَوم الجُمُعَةِ، وَكَذَلِكَ هُم تَبَعٌ لَنَا يَومَ القِيَامَةِ، نَحنُ الآخِرُونَ مِن أَهلِ الدُّنيَا،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٦).

وَالأَوَّلُونَ يَومَ القِيَامَةِ»(١).

وَفِيهِ تَعلِيقًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَىٰ اللَّهِ: الحَنِيفِيَّةُ السَّمحَةُ»(٢). انتَهَىٰ.

وَعَن أُبَيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه قَالَ: «عَلَيكُم بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيسَ مِن عَبدٍ عَلَىٰ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ اللهَ فَفَاضَت عَينَاهُ مِن خَشيَةِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، وَلَيسَ مِن عَبدٍ عَلَىٰ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحمَنَ فَاقشَعَرَّ جِلدُهُ مِن مَخَافَةِ اللَّهِ إِلَّا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا فَبَينَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذ أَصَابَتهَا الرِّيحُ، فَتَحَاتَّ عَنهَا وَرَقُهَا؛ إِلَّا تَحَاتَّت عَنهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتُّ عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا، وَإِنَّ اقتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيرٌ مِنَ اجتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلِ اللهِ وَسُنَّتِهِ، فَانظُرُوا أَعمَالَكُم فَإِن كَانَت اجتِهَادًا أَوِ اقتِصَادًا أَن تَكُونَ عَلَىٰ مِنهَاجِ الأَنبِيَاءِ وَسُنَّتِهِم».

وَعَن أَبِي الدَّردَاءِ رضي الله عنه قَالَ: «يَا حَبَّذَا نَومُ الأَكيَاسِ وَإِفطَارُهُم، كَيفَ يُعِيبُونَ سَهَرَ الحَمقَىٰ وَصَومَهُم، وَلَمِثقَالُ ذَرَّةٍ مِن بِرٍّ مَع تَقوَىٰ وَيَقِينٍ أَعظَمُ وَأَفضَلُ وَأَرجَحُ مِن عِبَادَةِ المُغتَرِّينَ».

بَابُ الدخُولِ فِي الإسلامِ

وَقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٦)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٠).

قَالَ مُجَاهِدٌ: «السُّبُلُ: البِدَعُ وَالشُّبهَاتُ».

وَعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَن أَحدَثَ فِي أَمرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ فَهوَ رَدٌّ». أَخرَجَاهُ[١].

وَفِي لَفظٍ: «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[٢].

وَلِلبُخَارِيِّ عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى». قِيلَ: وَمَن يَأبَى؟! قَالَ: «مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فَقَد أَبَى»[٣].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَبغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلَاثَةٌ: مُلحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبتَغٍ فِي الإِسلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبٌ دَمَ امرِئٍ بِغَيرِ حَقٍّ لِيُهرِيقَ دَمَهُ». رواه البُخَارِيُّ[٤].

قَالَ ابنُ تَيمِيَّةَ: قَولُهُ: «سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ» يَندَرِجُ فِيهَا كُلُّ جَاهِلِيَّةٍ مُطلَقَةٍ أَو مُقَيَّدَة، أَي: فِي شَخصٍ دُونَ شَخصٍ، كتَابِيَّةٍ، أَو وَثَنِيَّةٍ، أَو غَيرِهِمَا مِن كُلِّ مُخَالِفٍ لِمَا جَاءَ بِهِ المُرسَلُونَ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَن حُذَيفَةَ رضي الله عنه قَالَ: «يَا مَعشَرَ القُرَّاءِ، استَقِيمُوا، فَقَد سَبَقتُم سَبقًا بَعِيدًا، فَإِن أَخَذتُم يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَد ضَلَلتُم ضَلَالًا بَعِيدًا»[٥].

وَعَن مُحَمَّدِ بنِ وَضَّاحٍ: أَنَّهُ كَانَ يَدخُلُ المَسجِدَ فَيَقِفُ عَلَى الحِلَقِ فَيَقُولُ... فَذَكَرَهُ، وَقَالَ: أَنبَأَنَا سُفيَانُ بنُ عُيَينَةَ، عَن مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعبِيِّ، عَن مَسرُوقٍ قَالَ: قَالَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

(٤) أخرجه البخاري (٦٨٨٢).

(٥) أخرجه البخاري (٧٢٨٢).

عَبدُ اللَّه - يَعني: ابنَ مَسعُودٍ -: «لَيسَ عَامٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعدَهُ أَشَرُّ مِنهُ، لا أَقُولُ: عَامٌ أَمطَرُ مِن عَامٍ، وَلا عَامٌ أَخصَبُ مِن عَامٍ، وَلا أَمِيرٌ خَيرٌ مِن أَمِيرٍ، لَكِن ذَهَابُ عُلَمَائِكُم وَخِيَارِكُم، ثُمَّ يَحدُثُ أَقوَامٌ يَقِيسُونَ الأُمُورَ بِآرَائِهِم، فَيُهدَمُ الإِسلامُ وَيَنثَلِمُ».

بَابُ تَفسِيرِ الإِسلام

وَقَولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ [آل عمران: ٢٠] الآيَة.

وَفِي الصَّحِيحِ عَن عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «الإِسلامُ: أَنْ تَشهَدَ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصلاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إِن استَطَعتَ إِلَيهِ سَبِيلًا»[1].

وَفِيهِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ مَرفُوعًا: «المُسلِمُ مَن سَلِمَ المُسلِمُونَ مِن لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[2].

وَعَن بَهزِ بنِ حَكِيمٍ، عَن أَبِيهِ، عَن جَدِّهِ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَنِ الإِسلَامِ، فَقَالَ: «أَن يُسلِمَ قَلبُكَ للهِ، وَأَن تُوَلِّيَ وَجهَكَ إِلَىٰ اللَّهِ، وَأَن تُصَلِّيَ الصَّلاةَ المَكتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفرُوضَةَ». رواه أحمَدُ[3].

وَعَن أَبِي قِلَابَه، عَن عَمرِو بنِ عَبَسَةَ، عَن رَجُلٍ مِن أَهلِ الشَّامِ، عَن أَبِيهِ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّه ﷺ: مَا الإِسلامُ؟ قَالَ: «أَن تُسلِمَ قَلبَكَ لله عز وجل، وَيَسلَمَ المُسلِمُونَ مِن لِسَانِكَ وَيَدِكَ». قَالَ: أَيُّ الإِسلَامِ أَفضَلُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ».

قَالَ: وَمَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَن تُؤمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالبَعثِ بَعدَ المَوتِ»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣)، وحسنه الألباني في تحقيقه لكتاب «الإيمان» لابن تيمية.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٧)، وضعفه الأرناؤوط.

بَابُ قَولِ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَجِيءُ الأعمَالُ يَومَ القِيَامَةِ: فَتَجِيءُ الصَّلاةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّلاةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَىٰ خَيرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَىٰ خَيرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَىٰ خَيرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الأعمَالُ عَلَىٰ ذَلِكَ فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَىٰ خَيرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الإِسلامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنتَ السَّلامُ، وَأَنَا الإِسلامُ فَيَقُول: إِنَّكَ عَلَىٰ خَيرٍ، بِكَ اليَوم آخُذُ وَبِكَ أُعطِي. قَالَ اللّه تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥]». رواه أحمَدُ[(١)].

وَفِي الصَّحِيحِ عَن عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلِيهِ أَمرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». رواه أحمَدُ[(٢)].

بَابُ وجُوبِ الاستِغنَاءِ بِمُتَابعتِهِ ﷺ عَن كُلِّ مَا سِوَاهُ

وَقَولِ اللّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

رَوَىٰ النَّسَائِيُّ وَغَيرُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ رَأَىٰ فِي يَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وَرَقَةً مِنَ التَّورَاةِ، فَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ يَا بنَ الخَطَّابِ؟! لَقَد جِئتُكُم بِهَا بَيضَاءَ نَقِيَّةً، لَو كَانَ مُوسَىٰ حَيًّا وَاتَّبَعتُمُوهُ وَتَرَكتُمُونِي ضَلَلتُم».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَو كَانَ مُوسَىٰ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا اتِّبَاعِي».

فَقَالَ عُمَرُ: رَضِيتُ بِاللّهِ رَبًّا، وَبِالإِسلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٢)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الترغيب» (٥٢٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧)، وحسنه العلامة الألباني في «الإرواء» (١٥٨٩).

بابُ مَا جَاءَ فِي الخُرُوجِ عَن دعوَى الإسلامِ

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج: ٧٨].

عَنِ الحَارِثِ الأَشعَرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «آمرُكُم بِخمسٍ، اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالجِهَادِ، وَالهِجرَةِ، وَالجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ مَن خَالَفَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبرٍ فَقَد خَلَعَ رِبقَةَ الإِسلَامِ مِن عُنُقِهِ إِلَّا أَن يَرجِعَ، وَمَن دَعَا بِدَعوَىٰ الجَاهِلِيةِ فَإِنَّهُ مِن جُثَا جَهَنَّمَ».

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِن صَلَّىٰ وَصَامَ؟ قَالَ: «وَإِن صَلَّىٰ وَصَامَ، فَادعُوا بِدَعوَىٰ اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسلِمِينَ المُؤمِنِينَ عِبَادَ اللهِ». رَوَاهُ أحمَدُ والتِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ[1].

وَفِي الصَّحِيحِ: «مَن فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبرٍ فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»[2].

وَفِيهِ: «أَبِدَعوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَينَ أَظهُرِكُم؟!»[3].

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ: «كُلُّ مَا خَرَجَ عَن دَعوَىٰ الإِسلَامِ وَالقُرآنِ مِن نَسَبٍ أَو بَلَدٍ أَو جِنسٍ أَو مَذهَبٍ أَو طَرِيقَةٍ فَهُوَ مِن عَزَاءِ الجَاهِلِيةِ، بَل لَمَّا اختَصَمَ مُهَاجِرِيٌّ وَأَنصَارِيٌّ، فَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلمُهَاجِرِينَ! وَقَالَ الأَنصَارِيُّ: يَا لَلأَنصَارِ!

قَالَ ﷺ: «أَبِدَعوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَينَ أَظهُرِكُم؟!» وَغَضِبَ لِذَلِك غَضَبًا شَدِيدًا».

بَابُ وجُوبِ الدُّخولِ فِي الإِسلامِ كُلِّهِ وَترِكِ مَا سِوَاهُ

وَقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٤٨)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥١٨)، ومسلم (٢٥٨٤).

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: ٦٠].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]: «تَبيَضُّ وُجُوهُ أَهلِ السُّنَّةِ وَالائتِلافِ، وَتَسودُّ وُجُوهُ أَهلِ البِدَعِ وَالاختِلافِ».

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيَأتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسرَائِيلَ حَذوَ النَّعلِ بِالنَّعلِ، حَتَّىٰ إِن كَانَ مِنهُم مَن أَتَىٰ أُمَّهُ عَلانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مَن يَصنعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسرَائِيلَ تَفَرَّقَت عَلَىٰ ثِنتَينِ وَسَبعِينَ مِلَّةً» وَتَمَامُ الحَدِيثِ قَوله: «وَتَفتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُم فِي النَّارِ إِلا مِلَّةً وَاحِدَةً». قَالُوا: مَن هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي». رواه التِّرمِذِيُّ(١).

فَليَتَأَمَّلِ المُؤمِنُ الَّذِي يَرجُو لِقَاءَ اللهِ كَلامَ الصَّادِقِ المَصدُوقِ فِي هَذَا المَقَامِ، خُصُوصًا قَولَهُ: «مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي».

يَا لِهَذِهِ المَوعِظَةِ لَو وَافَقَت مِنَ القُلُوبِ حَيَاةً!

وَرَوَاه أَيضًا مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ وَصَحَّحَهُ؛ وَلَكِن لَيسَ فِيهِ ذِكرُ النَّارِ، وَهُو فِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ عِندَ أَحمَدَ وَأَبِي دَاود، وَفِيه: «إِنَّهُ سَيَخرُجُ مِن أُمَّتِي قَومٌ تَتَجَارَىٰ بِهِم تِلكَ الأَهوَاءُ كَمَا يَتَجَارَىٰ الكَلَبُ بِصَاحِبِهِ، فَلا يَبقَىٰ مِنهُ عِرقٌ وَلا مِفصَلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٤١).

وَقَد تَقَدَّمَ قَولُهُ: «وَمُبتَغٍ فِي الإسلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيةِ»(١).

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ البِدعَةَ أَشدُّ مِنَ الكَبَائِرِ

لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾ [النحل: ٢٥].

وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّه ﷺ قَالَ فِي الخَوارِجِ: «أَينَمَا لَقِيتُمُوهُم فَاقتُلُوهُم»(٢).

وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ نَهَىٰ عَن قَتلِ أُمَرَاءِ الجَورِ مَا صَلَّوا(٣).

وَعَن جَرِيرِ بنِ عَبدِ اللهِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، ثُمَّ تَابَعَ النَّاسُ، فَقَالَ ﷺ:

«مَن سَنَّ فِي الإِسلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجرُهَا وَأَجرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن بَعدِهِ مِن غَيرِ أَن يَنقُصَ مِن أُجُورِهِم شَيءٌ، وَمَن سَنَّ فِي الإِسلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً؛ كَانَ عَلَيهِ وِزرُهَا وَوِزرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن غَيرِ أَن يَنقُصَ مِن أَوزَارِهِم شَيءٌ». رواه مُسلِمٌ(٤).

وَلَهُ مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، وَلَفظُهُ: «مَن دَعَا إِلَىٰ هُدىً...». ثُم قَالَ: «مَن دَعَا إِلَىٰ ضَلالَةٍ...»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

بَابُ مَا جَاء أَنَّ اللهَ احتَجَزَ التَوبَةَ عَلَى صَاحِبِ البِدعَةِ

هَذَا مَروِيٌّ مِن حَدِيثِ أَنَسٍ وَمِن مَرَاسِيلِ الحَسَنِ(١).

وَذَكَرَ ابنُ وَضَّاحٍ عَن أَيُّوبَ قَالَ: كَانَ عِندَنَا رَجُلٌ يَرَىٰ رَأيًا فَتَرَكَهُ، فَأَتَيتُ مُحَمَّدَ بنَ سِيرِينَ، فَقُلتُ: أَشَعَرتَ أَنَّ فُلانًا تَرَكَ رَأيَهُ؟ قَالَ: انظُر إِلَىٰ مَاذَا يَتَحَوَّلُ؟ إِنَّ آخِرَ الحَدِيثِ أَشَدُّ عَلَيهِم مِن أَوَّلِهِ: «يَمرُقُونَ مِنَ الإِسلَامِ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيهِ»(٢).

وَسُئِلَ أَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ عَن مَعنَىٰ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: لا يُوَفَّقُ لِلتَّوبَةِ.

بَابٌ

قَولِ اللّهِ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[آل عمران: ٦٥-٦٧]. وَقَولِهِ: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وَفِيهِ حَدِيثُ الخَوَارِجِ، وَقَد تَقَدَّمَ.

وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلانٍ لَيسُوا لِي بِأَولِيَاءَ؛ إِنَّمَا أَولِيَائِي المُتَّقُونَ»(٣).

وَفِيهِ أَيضًا عَن أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ ذُكِرَ لَهُ أَنَّ بَعضَ الصَّحَابَةِ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَلا آكُلُ اللَّحمَ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَلا أَنَامُ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَلا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَلا أُفطِرُ.

فَقَالَ ﷺ: «لَكِنِّي أَقُومُ وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَآكُلُ اللَّحمَ؛ فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي»(٤).

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٨٠)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٦٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

فَتَأمَّل إِذَا كَانَ بَعضُ الصَّحَابَةِ لَمَّا أَرَادُوا التَّبَتُّلَ للعِبَادَةِ قِيلَ فِيه هَذَا الكَلَامُ الغَلِيظُ وَسُمِّيَ فِعلُهُ رُغُوبًا عَنِ السُّنَّةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِغَيرِ هَذَا مِنَ البِدَعِ وَمَا ظَنُّكَ بِغَيرِ الصَّحَابَةِ؟!!

بَابٌ

قَولِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٣].

وَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وِلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ وَلِيِّيَ أَبِي إِبرَاهِيمُ وَخَلِيلُ رَبِّي». ثُمَّ قَرَأَ: «﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٨]». رواه التِّرمِذِيُّ(١).

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُم وَأَموَالِكُم، وَلَكِن يَنظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُم وَأَعمَالِكُم»(٢).

وَلَهُمَا عَنِ ابنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُم عَلَىٰ الحَوضِ، وَلَيُرفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنكُم حَتَّىٰ إِذَا أَهوَيتُ لِأُنَاوِلَهُمُ اختُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَي رَبِّ، أَصحَابِي! يَقُولُ: إِنَّكَ لا تَدرِي مَا أَحدَثُوا بَعدَكَ»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧).

وَعَن أَبِي هُرَيرَة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَدِدتُ أَنَّا قَد رَأَينَا إِخوَانَنَا».
قَالُوا: أَوَلَسنَا إِخوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!
قَالَ: «أَنتُم أَصحَابِي، وَإِخوَانُنَا هُمُ الَّذِينَ لَم يَأتُوا بَعدُ».
قَالُوا: فَكَيفَ تَعرِفُ مَن لَم يَأتِ بَعدُ مِن أُمَّتِك يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَرَأَيتَ لَو أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَينَ ظَهرَي خَيلٍ دُهمٍ بُهمٍ أَلَا يَعرِفُ خَيلَهُ؟».
قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّهُم يَأتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُم عَلَىٰ الحَوضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَن حَوضِي كَمَا يُذَادُ البَعِيرُ الضَّالُّ، فَأُنَادِيهِم: أَلَا هَلُمَّ، فَيقَالُ: إِنَّهُم بَدَّلُوا بَعدَكَ، فَأَقُولُ: سُحقًا سُحقًا»[1].
وَللبُخَارِيِّ: «بَينَمَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمرةٌ، حَتَّىٰ إِذَا عَرَفتُهُم خَرَجَ رَجُلٌ من بَينِي وَبَينِهِم» فَقَالَ: «هَلُمَّ»، فَقلتُ: «أَينَ؟» قَالَ: إِلَىٰ النَّار. قُلتُ: وَمَا شَأنهم؟ قَالَ: إِنَّهُم ارتَدُّوا بَعدَكَ عَلَىٰ أَدبَارِهِمُ القَهقَرَىٰ، ثُمَّ إِذَا زُمرَةٌ...». فَذَكَرَ مِثلَهُ... قَالَ: «فَلَا أُرَاهُ يَخلُصُ مِنهم إِلَّا مِثلُ هَمَلِ النَّعَمِ»[2].
وَلَهُمَا مِن حَدِيثِ ابنِ عَبَّاس ﷺ: «فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨]»[3].
وَلَهُمَا عَنهُ مَرفُوعًا: «مَا مِن مَولُودٍ يُولَدُ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَو يُنَصِّرَانِهِ، أَو يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمعَاءَ، هَل تُحِسُّون فِيهَا مِن جَدعَاءَ حَتَّىٰ تَكُونُوا أَنتُم تَجدَعُونَهَا». ثُمَّ قَرَأَ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

عَلَيۡهَا﴾ [الروم: ٣٠]. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ [(١)].

وَعَن حُذَيفَةَ ﷺ قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يَسالُونَ رَسُولَ اللّه ﷺ عَنِ الخَيرِ، وَكُنتُ أَسالُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أن يدرِكني، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءنَا اللّهُ بِهَذَا الخَيرِ، فَهَل بَعدَ هَذَا الخَيرِ مِن شَرٍّ؟

قَالَ: «نَعَم».

فَقُلتُ: وَهَل بَعدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِن خَيرٍ؟

قَالَ: «نَعَم، وَفِيهِ دَخَنٌ».

قُلتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟

قَالَ: «قَومٌ يَستَنُّونَ بِغَيرِ سُنَّتِي وَيَهتَدُونَ بِغَيرِ هَديِي، تَعرِفُ مِنهُم وَتُنكِرُ».

قُلتُ: فَهَل بَعدَ ذَلِكَ الخَيرِ مِن شَرٍّ؟

قَالَ: «نَعَم، فِتنَةٌ عَميَاءُ، وَدُعَاةٌ عَلَىٰ أَبوَابِ جَهَنَّمَ مَن أَجَابَهُم إِلَيهَا قَذَفُوه فِيهَا».

قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفهُم لَنَا؟

فَقَالَ: «هُم مِن جِلدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلسِنَتِنَا».

قُلتُ: فَمَا تَأمُرُنِي إِن أَدرَكَنِي ذَلِكَ؟

قَالَ: «تلزَمُ جَمَاعَةَ المُسلِمِينَ وَإِمَامَهُم».

قُلتُ: فَإِن لَم يَكُن لَهُم جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟

قَالَ: «فَاعتَزِل تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَو أَن تَعَضَّ عَلَىٰ أَصلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدرِكَكَ المَوتُ وَأَنتَ عَلَىٰ ذَلِكَ». أخرَجَاهُ [(٢)].

وَزَادَ أَبُو دَاود: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «يَخرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهرٌ وَنَارٌ، فَمَن وَقَعَ فِي نَارِه؛

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

وَجَبَ أَجرُهُ وَحُطَّ عَنهُ وِزرُهُ، وَمَن وَقَعَ فِي نَهرِهِ؛ وَجَبَ وِزرُهُ وَحُطَّ أَجرُهُ.

قَالَ: قُلتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ»(١).

قَالَ أَبو العَالِيَةِ: «تَعَلَّمُوا الإِسلَامَ، فَإِذَا تَعَلَّمتُمُوهُ فَلا تَرغَبُوا عَنهُ، وَعَلَيكُم بِالصِّرَاطِ المُستَقِيمِ فَإِنَّه الإِسلَامُ، وَلا تَتَحَرَّفُوا عَنِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَلا شِمَالًا، وَعَلِيكُم بِسُنَّةِ نَبِيِّكُم وَإِيَّاكُم وَهَذِهِ الأَهوَاءَ».

تَأَمَّل كَلَامَ أَبِي العَالِيةِ هَذَا، مَا أَجَلَّهُ! وَاعرِف زَمَانَه الَّذِي يُحَذِّرُ فِيهِ مِنَ الأَهوَاءِ الَّتِي مَنِ اتَّبَعَهَا فَقَد رَغِبَ عَنِ الإِسلَامِ، وَتَفسِيرَ الإِسلَامِ بِالسُّنَّةِ، وَخَوفَه عَلَىٰ أَعلَامِ التَّابِعِينَ وَعُلَمَائِهِم مِنَ الخُرُوجِ عَنِ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ، يَتَبَيَّن لَكَ مَعنَىٰ قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٣١].

وَقَولِهِ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وَأَشبَاهُ هذه الأُصُولِ الكِبَارِ الَّتِي هِيَ أَصلُ الأُصُولِ وَالنَّاسُ عَنهَا فِي غَفلَةٍ، وَبِمَعرِفَتِهِ يَتَبَيَّنُ مَعنَىٰ الأَحَادِيثِ فِي هَذَا البَابِ وَأَمثَالِهَا، وَأَمَّا الإِنسَانُ الَّذِي يَقرَؤُهَا وَأَشبَاهَهَا وَهُوَ آمِنٌ مُطمَئِنٌّ أَنَّهَا لا تَنَالُهُ، وَيَظُنُّهَا فِي قَومٍ كَانُوا فَبَادُوا: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

وَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللّهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَن يَمِينِه وَعَن شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنهَا شَيطَانٌ يَدعُو إِلَيهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾»

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

[الأنعام: ١٥٣]. رواه أحمَدُ وَالنَّسَائِيُّ(١).

بَابُ ما جَاءَ فِي غُربَةِ الإِسلامِ وَفَضلِ الغُربَاءِ

وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ﴾ [هود: ١١٦] الآيَةُ.

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ مَرفُوعًا: «بَدَأَ الإِسلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَىٰ لِلغُرَبَاءِ». رَوَاهُ مُسلِمٌ(٢).

وَرَوَاهُ أَحمَدُ مِن حَدِيثِ ابنِ مَسعُودٍ ﵁، وَفِيهِ: قِيلَ: مَنِ الغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ»(٣).

وَفِي رِوَايَةٍ: «الَّذِينَ يَصلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»(٤).

وَرَوَاهُ أَحمَدُ مِن حَدِيثِ سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَفِيهِ: «فَطُوبَىٰ يَومَئِذٍ لِلغُرَبَاءِ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»(٥).

وَلِلتِّرمِذِيِّ مِن حَدِيثِ كَثِيرِ بنِ عَبدِ اللَّهِ، عَن أَبِيهِ، عَن جَدِّهِ: «فَطُوبَىٰ لِلغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصلِحُونَ مَا أَفسَدَ النَّاسُ مِن سُنَّتِي»(٦).

وَعَن أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: سَأَلتُ أَبَا ثَعلَبَةَ الخُشَنِيَّ ﵁: كَيفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَد سَأَلتَ عَنهَا خَبِيرًا؟ سَأَلتُ عَنهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «بَلِ

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، وحسنه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٥/ ١٢٥)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٧٣)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٢٧٣).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ١٨٤)، وصححه الأرناؤوط.

(٦) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠)، وقال العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (١٤٤١): ضعيف جدًا.

ائتمِرُوا بِالمَعرُوفِ وَتَنَاهُوا عَنِ المُنكَرِ حَتَّىٰ إِذَا رَأَيتُم شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًىٰ مُتَّبَعًا، وَدُنيَا مُؤثَرَةً، وَإِعجَابَ كُلِّ ذِي رَأيٍ بِرأيِهِ، فَعَلَيكَ بِنَفسِكَ، وَدعَ عَنكَ العَوَامَّ، فَإِنَّ مِن وَرَائِكُم أَيَّامًا الصَّبرُ فِيهِنَّ مِثلُ القَبضِ عَلَىٰ الجَمْرِ، للعَامِلِ فِيهِنَّ مِثلُ أجرِ خَمسِينَ رَجُلًا يَعمَلُونَ مِثلَ عَمَلِكُم».

قِيلَ: منَّا أَم مِنهُم؟ قَالَ: «بَل مِنكُم». رواه أَبُو دَاودَ وَالتِّرمِذِيُّ[1].

وَرَوَىٰ ابنُ وَضَّاحٍ مَعنَاهُ مِن حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما وَلَفظُهُ: «إِنَّ مِن بَعدِكُم أَيَّامًا للصَّابِرِ فِيهَا المُتَمَسِّكِ بِمِثلِ مَا أَنتُم عَلَيهِ اليَومَ لَهُ أجرُ خَمسِينَ مِنكُم».

ثُمَّ قَالَ: أَنبَأَنَا مُحَمَّدُ بنُ سَعِيدٍ، أَنبَأَنَا أَسَدٌ، قَالَ: أَنبَأَنَا سُفيَانُ بنُ عُيَينَةَ، عَن أَسلَمَ البَصرِيِّ، عَن سَعِيدِ بن أَبِي الحَسَنِ، قَالَ: قُلتُ لِسُفيَانَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمَ. قَالَ: «إِنَّكُم اليَومَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَبِّكُم، تَأمُرُون بِالمَعرُوف وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ، وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَم يَظهَرْ فِيكُم السَّكرَتَانِ: سَكرَةُ الجَهلِ، وَسَكرَةُ حُبِّ العَيشِ، وَسَتُحَوَّلُونَ عَن ذَلِكَ، فَالمُتَمَسِّكُ يَومَئِذٍ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَهُ أَجرُ خَمسِينَ».

قِيلَ: مِنهُم، قَالَ: «بَل مِنكُم»[2].

وَلَهُ بِإِسنَادٍ عَن المُعَافِرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طُوبَىٰ لِلغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِكِتَابِ اللَّه حِينَ يُترَكُ، وَيعمَلُونَ بِسُنَّتِي يَومَ تُترَكُ».

بَابُ التَّحذِيرِ مِنَ البِدَعِ

عَنِ العِربَاضِ بنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ مَوعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ وَذَرَفَت مِنهَا العُيُونُ، قُلنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعهَدُ إِلَينَا؟ قَالَ: «أُوصِيكُم بِتَقوَىٰ اللَّهِ عز وجل، وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِن تَأَمَّرَ عَلَيكُم عَبدٌ، فَإِنَّهُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٥٧)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٤٤).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «الأمثال» (٢٣٣)، وضعفه العلامة الألباني في «الضعيفة» (٨/ ٤٣١-٤٣٢).

مَن يَعِش مِنكُم فَسَيَرَىٰ اختِلافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ». قَالَ التِّرمِذِيُّ: حَدِيث حَسَن صَحِيح[(١)].

وَعَن حُذَيفَةَ ﷺ قَالَ: «كُلُّ عِبَادَةٍ لَا يَتَعَبَّدُهَا أَصحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَا تَعَبَّدُوهَا، فَإِنَّ الأَوَّلَ لَم يَدَع لِلآخِرِ مَقَالًا، فَاتَّقُوا اللّٰه يَا مَعشَرَ القُرَّاءِ، وَخُذُوا طَرِيقَ مَن كَانَ قَبلَكُم». رَوَاهُ أَبُو دَاود.

وَقَالَ الدَّارِمِيُّ: أَخبَرَنَا الحَكَمُ بنُ المُبَارَكِ، أَنبَأَنَا عَمرُو بنُ يَحيَىٰ، قَالَ: سَمِعت أَبِي يُحَدِّثُ عَن أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجلِسُ عَلَىٰ بَابِ عَبدِ اللّٰه بنِ مَسعودٍ ﷺ قَبلَ صَلَاةِ الغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ، مَشَينَا مَعَهُ إِلَىٰ المَسجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَىٰ الأَشعَرِيُّ ﷺ، فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيكُم أَبُو عَبدِ الرَّحمَنِ بَعدُ؟ قُلنَا: لَا، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّىٰ خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمنَا إِلَيهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَىٰ: يَا أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ، إِنِّي رَأَيتُ آنِفًا فِي المَسجِدِ أَمرًا أَنكَرتُهُ وَلَم أَرَ- وَالحَمدُ لِلّٰهِ- إِلَّا خَيرًا، قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِن عِشتَ فَسَتَرَاهُ... قَالَ: رَأَيتُ فِي المَسجِدِ قَومًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنتَظِرونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيدِيهِم حَصًىٰ، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُون مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً.

قَالَ: فَمَاذَا قُلتَ لَهُم؟ قَالَ: مَا قُلتُ لَهُم شَيئًا انتِظَارَ أَمرِكَ أَوِ انتِظَارَ رَأيِك. قَالَ: أَفَلَا أَمَرتَهُم أَن يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِم وَضَمِنتَ لَهُمُ أَلَّا يَضِيعَ مِن حَسَنَاتِهِم شَيءٌ؟ ثُمَّ مَضَىٰ وَمَضَينَا مَعَهُ حَتَّىٰ أَتَىٰ حَلقَةً مِن تِلكَ الحِلَقِ.

فَوَقَفَ عَلَيهِم فَقَالَ: مَا هَذَا الذِي أَرَاكُم تَصنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ حَصًىٰ نَعُدُّ بِهِ التَّكبِيرَ وَالتَّهلِيلَ وَالتَّسبِيحَ، قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُم فَأَنَا ضَامِنٌ أَلَّا يَضِيعَ

---

(١) تقدم تخريجه.

مِن حَسَنَاتِكُم شَيءٌ، وَيحَكُم يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أسرَعَ هَلَكَتَكُم، هَؤلاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُم ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَم تَبلَ، وَآنِيَتُهُ لَم تكسَر، وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ إِنَّكُم لَعَلَىٰ مِلَّةٍ هِيَ أهدَىٰ مِن مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أو مُفتَتِحو بَابَ ضَلَالَةٍ.

قَالُوا: وَاللَّه يَا أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ مَا أَرَدنَا إِلَّا الخَيرَ.

قَالَ: وَكَم مِن مُرِيدٍ لِلخَيرِ لَن يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَومًا يَقرَءونَ القُرآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، وَايمُ اللَّه مَا أدرِي لَعَلَّ أكثَرَهُم مِنكُم، ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنهم.

فَقَالَ عَمرُو بنُ سَلِمَةَ ﷺ: رَأَينَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الخَلقِ يُطَاعِنُونَنَا يَومَ النَّهرَوَانِ مَعَ الخَوَارِجِ[1].

وَاللَّه المُستَعَانُ وَعَلَيهِ التُّكلَانُ.

وَصَلَّىٰ اللَّه وَسَلَّمَ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ أجمَعِينَ.

* * *

(١) أخرجه الدارمي (٢٠٤)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢٠٠٥).

٢٥- الجَامِعُ لِعبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ

الحَمدُ للّهِ رَبِّ العالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ أجمَعِينَ:

قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ- رحمه الله تَعَالَىٰ-:

فَإِن قِيلَ: فَمَا الجَامِعُ لِعِبَادَةِ اللّه وَحدَهُ؟

قُلتُ: طَاعَتُهُ بِامتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

فَإِن قِيلَ: فَمَا أَنوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي لَا تَصلُحُ إِلَّا للّهِ تَعَالَىٰ.

قُلتُ: مِن أَنوَاعِهَا: الدُّعَاءُ.

وَالاستِعَانَةُ.

وَالاستِغَاثَةُ.

وَذَبحُ القربَانِ.

وَالنَّذرُ.

وَالخَوفُ.

وَالرجَاءُ.

وَالتَّوَكُّلُ.

وَالإِنَابةُ.

وَالمَحَبَّةُ.

وَالخَشيَةُ.

وَالرَّغبَةُ، وَالرَّهبَةُ، وَالتَّألُّهُ.

وَالرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، وَالخُشُوعُ.

وَالتَّذَلُّلُ، وَالتَّعظِيمُ الَّذِي هُوَ مِن خَصَائِصِ الإِلَهِيةِ.

وَدَلِيلُ الدُّعَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [الرعد: ١٤].

وَدَلِيلُ الاستِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

وَدَلِيلُ الاستِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩].

وَدَلِيلُ الذَّبحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وَدَلِيلُ النَّذرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧].

وَدَلِيلُ الخَوفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوكلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ المَحَبَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَدَلِيلُ الخَشيَةِ: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾[المائدة: ٤٤].

وَدَلِيل الرَّغبَة وَالرَّهبَة: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ التَّأَلُّهِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وَدَلِيلُ الرُّكُوعِ: وَالسُّجُودِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

وَدَلِيلُ الخُشُوعِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وَنحوُهَا، فَمَن صَرَفَ شَيئًا مِن هَذهِ الأنوَاعِ لِغَيرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ فَقَد أَشرَكَ بِاللَّهِ غَيرَهُ.

فَإِن قِيلَ: فَمَا أَجَلُّ أَمرٍ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ؟

قِيلَ: تَوحِيدُهُ بِالعِبَادَةِ، وَقَد تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

وَأَعظَمُ نَهيٍ نَهَىٰ اللَّه عَنهُ: الشِّركُ بِهِ، وَهُوَ: أَن يَدعُوَ مَعَ اللَّه غَيرَهُ، أَو يَقصِدَهُ بِغَيرِ ذَٰلِكَ مِن أَنوَاعِ العِبَادَةِ.

فَمَن صَرَفَ شَيئًا مِن أَنوَاعِ العِبَادَةِ لِغَيرِ اللَّه تَعَالَىٰ فَقَد اتَّخَذَهُ رَبًّا وَإِلَهًا، وَأَشرَكَ مَعَ اللَّه غَيرَهُ، أَو يَقصِدُهُ بِغَيرِ ذَٰلِكَ مِن أَنوَاعِ العِبَادَةِ، وَقَد تَقَدَّمَ مِنَ الآيَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّركُ الَّذِي نَهَىٰ اللَّه عَنهُ، وَأَنكَرَه عَلَىٰ المُشرِكينَ.

وَقَد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وَاللَّه أَعلَمُ.

وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ.

* * *

٢٦- مَسَائِلُ الجَاهِلِيَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ - رحمه الله تَعَالَىٰ -: هَذِهِ أمُور خَالَفَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا عَلَيهِ أهلُ الجَاهِلِيَّةِ الكِتَابِيِّينَ وَالأُمِّيِّينَ، مِمَّا لَا غِنَىٰ لِلمُسلِمِ عَن مَعرِفَتِهَا.

فَالضِّدُّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِّدُّ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشيَاءُ

فَأَهَمُّ مَا فِيهَا وَأَشَدُّهَا خَطَرًا عَدَمُ إِيمَانِ القَلبِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، فَإِنِ انضَافَ إِلَىٰ ذَلِكَ استِحسَانُ مَا عَلَيهِ أَهلُ الجَاهِلِيَّةِ تَمَّتِ الخَسَارَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت: ٥٢].

المَسأَلَةُ الأُولَىٰ: أَنَّهُم يَتَعَبَّدُونَ بِإِشرَاكِ الصَّالِحِينَ فِي دُعَاءِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُم عِندَ اللهِ لِظَنِّهِم أَنَّ اللهَ يُحِبُّ ذَلِكَ وَأَنَّ الصَّالِحِينَ يُحِبُّونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وَهَذِهِ أَعظَمُ مَسأَلَةٍ خَالَفَهُم فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَتَىٰ بِالإِخلَاصِ، وَأَخبَرَ أَنَّهُ دِينُ اللهِ الَّذِي أَرسَلَ بِهِ جَمِيعَ الرُّسُلِ، وَأَنَّهُ لَا يَقبَلُ مِنَ الأَعمَالِ إِلَّا الخَالِصَ، وَأَخبَرَ أَنَّ مَن فَعَلَ مَا استَحسَنُوا فَقَد حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأوَاهُ النَّارُ.

وَهَذِهِ هِيَ المَسْأَلَةُ الَّتِي تَفَرَّقَ النَّاسُ لأجلِهَا بَيْنَ مُسلِمٍ وَكَافِرٍ، وَعِندَهَا وَقَعَتِ العَدَاوَةُ؛ وَلأجلِهَا شُرِعَ الجِهَادُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

الثَّانِيَةُ: أنَّهُم مُتَفَرِّقُونَ فِي دِينِهِم، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ [الروم: ٣٢].

وَكَذَلِكَ فِي دُنيَاهُم وَيَرَونَ أنَّ ذَلِكَ هُوَ الصَّوَابُ، فَأتَى بِالاجتِمَاعِ فِي الدِّينِ بِقَوله: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وَنَهَانَا عَن مُشَابَهَتِهِم بِقَولِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وَنَهَانَا عَنِ التَّفَرُّقِ فِي الدُّنيَا بِقَولِهِ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الثَّالِثَةُ: أنَّ مُخَالَفَةَ وَلِيِّ الأمرِ وَعَدَمَ الانقِيَادِ لَهُ فَضِيلَةٌ، وَالسَّمعُ وَالطَّاعَةُ لَهُ ذُلٌّ وَمَهَانَةٌ، فَخَالَفَهم رَسُولُ اللَّه ﷺ وأمَرَ بِالصَّبرِ عَلَى جَورِ الوُلَاةِ، وَأمَرَ بِالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ لَهُم وَالنَّصِيحَةِ، وَغَلَّظَ فِي ذَلِكَ وَأبدَى فِيهِ وَأعَادَ.

وَهَذِهِ الثَّلَاثُ هِيَ الَّتِي جَمَعَ بَيْنَهَا فِيمَا صَحَّ عَنهُ فِي الصَّحِيحَين أنَّهُ قَالَ: «إنَّ اللّه يَرضَى لكم ثَلاثًا: أن تَعبُدُوهُ وَلَا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَأن تَعتَصِمُوا بِحَبلِ الله جَمِيعًا وَلا تفرَّقوا، وَأن تُنَاصِحُوا مَن وَلَّاهُ اللّه أمرَكُم»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥).

وَلَم يَقَع خَلَلٌ فِي دِينِ النَّاسِ وَدُنيَاهُم إِلَّا بِسَبَبِ الإِخلَالِ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ أَو بَعضِهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ دِينَهُم مَبنِيٌّ عَلَىٰ اصُولٍ أَعظَمُهَا التَّقلِيدُ، فَهوَ القَاعِدَةُ الكُبرَىٰ لِجَمِيعِ الكُفَّارِ أَوَّلِهِم وَآخِرِهِم، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: ٢١].

فَأَتَاهُم بِقَولِهِ: ﴿۞قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ الآيَة [سبأ: ٤٦].

وَقَولِهِ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣].

الخَامِسَةُ: أَنَّ مِن أَكبَرِ قَوَاعِدِهِم الاغتِرَارُ بِالاكثَرِ، وَيَحتَجُّونَ بِهِ عَلَىٰ صِحَّةِ الشَّيءِ، وَيَستَدِلُّونَ عَلَىٰ بُطلَانِ الشَّيءِ بِغُربَتِهِ وَقِلَّةِ أَهلِهِ، فَأَتَاهُم بِضِدِّ ذَلِكَ وَأَوضَحَهُ فِي غَيرِ مَوضِعٍ مِنَ القُرآنِ.

السَّادِسَةُ: الاحتِجَاجُ بِالمُتَقَدِّمِينَ كَقَولِهِ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [طه: ٥١].

﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون: ٢٤].

السَّابِعَةُ: الاستِدلَالُ بِقَومٍ أُعطُوا قُوىٰ فِي الأَفهَامِ وَالأَعمَالِ، وَفِي المُلكِ وَالمَالِ وَالجَاهِ، فَرَدَّ اللهُ ذَلِكَ بِقَولِهِ: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾ الآيَةَ [الأحقاف: ٢٦].

وَقَولِهِ: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ

كَفَرُوا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]

وَقَوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ الآيَةَ [البقرة: ١٤٦]

الثَّامِنَةُ: الاستِدلَالُ عَلَىٰ بُطلَانِ الشَّيءِ بِأَنَّهُ لَم يَتَّبِعهُ إِلَّا الضُّعَفَاءُ كَقَولِهِ: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء: ١١١]

وَقَولِهِ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ فَرَدَّه اللهُ بِقَولِهِ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣]

التَّاسِعَةُ: الاقتِدَاءُ بِفَسَقَةِ العُلَمَاءِ وَالعُبَّادِ فَأَتَىٰ بِقَولِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]

وبقوله: ﴿لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧]

العَاشِرَةُ: الاستِدلَالُ عَلَىٰ بُطلَانِ الدِّينِ بِقِلَّةِ أَفهَامِ أَهلِهِ وَعَدَمِ حِفظِهِم كقَولِهِم: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود: ٢٧]

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: الاستِدلَالُ بِالقِيَاسِ الفَاسِدِ كَقَولِهِم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: إِنكَارُ القِيَاسِ الصَّحِيحِ، وَالجَامِعُ لِهَذَا وَمَا قَبلَهُ عَدَمُ فَهمِ الجَامِعِ والفَارِقِ.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: الغُلُوُّ فِي العُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ كَقَولِهِ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: أَنَّ كُلَّ مَا تَقَدَّمَ مَبنِيٌّ عَلَىٰ قَاعِدَةٍ، وَهِيَ: النَّفيُ وَالإِثبَاتُ، فَيَتَّبِعُونَ الهَوَىٰ وَالظَّنَّ، وَيُعرِضُونَ عَمَّا جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ: اعتِذَارُهُم عَنِ اتِّبَاعِ مَا آتَاهُمُ اللهُ بِعَدَمِ الفَهمِ كقَولِهِم: ﴿قُلُوبُنَا

غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨].

﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١].

فَأَكذَبَهُمُ اللهُ وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ الطَّبعِ عَلَىٰ قُلُوبِهِم، وَأَنَّ الطَّبعَ بِسَبَبِ كُفرِهِم.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ: اعتِيَاضُهُم عَمَّا أَتَاهُم مِنَ اللهِ بِكُتُبِ السِّحرِ؛ كَمَا ذَكَرَ اللهُ ذَلِكَ فِي قَولِهِ: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠١، ١٠٢].

السَّابِعَةَ عَشرَةَ: نِسبَةُ بَاطِلِهِم إِلَىٰ الأَنبِيَاءِ كَقَولِهِ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾.

وَقَولِهِ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧].

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ: تَنَاقُضُهُم فِي الانتِسَابِ، يَنتَسِبُونَ إِلَىٰ إِبرَاهِيمَ مَعَ إِظهَارِهِم تَركَ اتِّبَاعِهِ.

التَّاسِعَةَ عَشرَةَ: قَدحُهُم فِي بَعضِ الصَّالِحِينَ بِفِعلِ بَعضِ المُنتَسِبِينَ إِلَيهِم كَقَدحِ اليَهُودِ فِي عِيسَىٰ، وَقَدحِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ.

العِشرُونَ: اعتِقَادُهُم فِي مَخَارِيقِ السَّحَرَةِ وَأَمثَالِهِم أَنَّهَا مِن كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ، وَنِسبَتِهِ إِلَىٰ الأَنبِيَاءِ كَمَا نَسَبُوهُ لِسُلَيمَانَ عليه السلام.

الحَادِيَةُ وَالعِشرُونَ: تَعَبُّدُهُم بِالمُكَاءِ وَالتَّصدِيَةِ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشرُونَ: أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَهوًا وَلَعِبًا.

الثَّالِثَةُ وَالعِشرُونَ: أَنَّ الحَيَاةَ الدُّنيَا غَرَّتهُم فَظَنُّوا أَنَّ عَطَاءَ اللهِ مِنهَا يَدُلُّ عَلَىٰ رِضَاهُ كَقَولِهِم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ: ٣٥].

الرَّابِعَةُ وَالعِشرُونَ: تَركُ الدُّخُولِ فِي الحَقِّ إِذَا سَبَقَهُم إِلَيهِ الضُّعَفَاء تَكَبُّرًا وَأَنَفَةً، فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢] الآيَات.

الخَامِسَةُ وَالعِشرُونَ: الاستِدلَالُ عَلَىٰ بُطلَانِهِ بِسَبقِ الضُّعَفَاءِ كَقَولِهِ: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

السَّادِسَةُ وَالعِشرُونَ: تَحرِيفُ كِتَابِ اللهِ مِن بَعدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُم يَعلَمُونَ.

السَّابِعَةُ وَالعِشرُونَ: تَصنِيفُ الكُتُبِ البَاطِلَةِ وَنِسبَتُهَا إِلَىٰ اللَّه كَقَولِهِ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩] الآيَة.

الثَّامِنَةُ وَالعِشرُون: أَنَّهُم لَا يَقبَلُونَ مِنَ الحَقِّ إِلَّا الَّذِي مَعَ طَائِفَتِهِم كَقَولِهِ: ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ الآيَةَ. [البقرة: ٩١].

التَّاسِعَةُ وَالعِشرُونَ: أَنَّهُم مَعَ ذَٰلِكَ لَا يَعلَمُونَ بِمَا تَقولُهُ طَائِفَتهُم كَمَا نَبَّهَ الله تَعَالَىٰ عَلَيهِ بِقَولِهِ: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٩١].

الثَّلَاثُونَ: وَهِيَ مِن عَجَائِبِ آيَاتِ اللَّه: أَنَّهُم لَمَّا تَرَكوا وصِيةَ اللَّه بِالاجتِمَاعِ، وَارتَكَبُوا مَا نَهَىٰ اللَّه عَنهُ مِنَ الافتِرَاقِ، صَارَ كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحِينَ.

الحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ: وَهِيَ مِن أَعجَبِ الآيَاتِ أَيضًا: مُعَادَاتُهُم الدِّينَ الَّذِي انتَسَبُوا إِلَيهِ غَايَةَ العَدَاوَةِ، وَمَحَبَّتُهُم دِينَ الكُفَّارِ الَّذِينَ عَادَوهُم وَعَادَوا نَبِيَّهُم وَفِئَتَهُم غَايَةَ المَحَبَّةِ، كَمَا فَعَلوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَا أَتَاهُم بِدِينِ مُوسَىٰ عليه السلام وَاتَّبَعُوا كتبَ السِّحرِ وَهِيَ مِن دِينِ آلِ فِرعَونَ.

الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ: كُفرُهُم بِالحَقِّ إِذَا كَانَ مَعَ مَن لَا يَهوَونَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣] الآيَة.

الثَّالِثَةُ وَالثَّلَاثُون: إِنكَارُهُم مَا أَقَرُّوا أَنَّهُ دِينُهُم كَمَا فَعَلُوا فِي حَجِّ البَيت، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّ كُلَّ فِرقَةٍ تَدَّعِي أَنَّهَا النَّاجِيَةُ، فَأَكذَبَهُمُ اللَّه بِقَولِهِ: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١].

ثُمَّ بَيَّنَ الصَّوَابَ بِقَولِهِ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الآيَةَ [البقرة: ١١٢].

الخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ: التَّعَبُّدُ بِكَشفِ العَورَاتِ كَقَولِهِ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟

وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

السَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ: التَّعَبُّدُ بِتَحرِيمِ الحَلَالِ كَمَا تَعَبَّدُوا بِالشِّركِ.

السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: التَّعَبُّدُ بِاتِّخَاذِ الأَحبَارِ وَالرُّهبَانِ أَربَابًا مِن دُونِ اللَّهِ.

الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الإِلحَادُ فِي الصِّفَاتِ، كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ٢٢].

التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الإِلحَادُ فِي الأَسمَاءِ، كَقَولِهِ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

الأَربَعُونَ: التَّعطِيلُ، كَقَولِ آلِ فِرعَونَ.

الحَادِيَةُ وَالأَربَعُونَ: نِسبَةُ النَّقَائِصِ إِلَيهِ سُبحَانَهُ؛ كَالوَلَدِ وَالحَاجَةِ وَالتَّعَبِ مَعَ تَنزِيهِ رُهبَانِهِم عَن بَعضِ ذَلِكَ.

الثَّانِيَةُ وَالأَربَعُونَ: الشِّركُ فِي المُلكِ كَقَولِ المَجُوسِ.

الثَّالِثَةُ وَالأَربَعُونَ: جُحُودُ القَدَرِ.

الرَّابِعَةُ وَالأَربَعُونَ: الاحتِجَاجُ عَلَىٰ اللَّهِ بِهِ.

الخَامِسَةُ وَالأَربَعُونَ: مُعَارَضَةُ شَرعِ اللَّهِ بِقَدَرِه.

السَّادِسَةُ وَالأَربَعُونَ: مَسَبَّةُ الدَّهرِ كَقَولِهِم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

السَّابِعَةُ وَالأَربَعُونَ: إِضَافَةُ نِعَمِ اللَّهِ إِلَىٰ غيرِهِ كَقَولِهِ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

الثَّامِنَةُ وَالأَربَعُونَ: الكُفرُ بِآيَاتِ اللَّه.

التَّاسِعَةُ وَالأَربَعُونَ: جَحدُ بَعضِهَا.

الخَمسُونَ: قَولُهُم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

الحَادِيَةُ وَالخَمسُون: قَولُهُم فِي القُرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].

الثَّانِيَةُ وَالخَمسُونَ: القَدحُ فِي حِكمَةِ اللَّه تَعَالَىٰ.

الثَّالِثَةُ وَالخَمسُونَ: إِعمَالُ الحِيَلِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ فِي دَفعِ مَا جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ، كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وَقَولِهِ: ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ ﴾ [آل عمران: ٧٢].

الرَّابِعَةُ وَالخَمسُونَ: الإِقرَار بِالحَقِّ لِيَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَىٰ دَفعِهِ كَمَا قَالَ فِي الآيَةِ.

الخَامِسَةُ وَالخَمسُونَ: التَّعَصُّبُ لِلمَذهَبِ؛ كَقَولِهِ فِيهَا: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٧٣].

السَّادِسَةُ وَالخَمسُونَ: تَسمِيَةُ اتِّبَاعِ الإِسلَامِ شِركًا كَمَا ذَكَرَهُ فِي قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٩] الآيَتَينِ.

السَّابِعَةُ وَالخَمسُونَ: تَحرِيفُ الكَلِمِ عَن مَوَاضِعِهِ.

الثَّامِنَةُ وَالخَمسُونَ: لَيُّ الأَلسِنَةِ بِالكِتَابِ.

التَّاسِعَةُ وَالخَمسُونَ: تَلقِيبُ أَهلِ الهُدَىٰ بِالصُّبَاةِ وَالحَشوِيَّةِ.

السِّتُّونَ: افتِرَاءُ الكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ.

الحَادِيَةُ وَالسِّتُّونَ: التَّكذِيبُ بِالحَقِّ.

الثَّانِيَةُ وَالسِّتُّونَ: كَونُهُم إِذَا غُلِبُوا بِالحُجَّةِ فَزِعُوا إِلَىٰ الشَّكوَىٰ لِلمُلُوكِ كَمَا قَالُوا: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

الثَّالِثَةُ وَالسِّتُّونَ: رَميُهُم إِيَّاهُم بِالفَسَادِ فِي الأَرضِ كَمَا فِي الآيَةِ.

الرَّابِعَةُ وَالسِّتُّونَ: رَميُهُم إِيَّاهُم بِانتِقَاصِ دِينِ المَلِكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ [غافر: ٢٦] الآيَةَ.

الخَامِسَةُ وَالسِّتُّونَ: رَميُهُم إِيَّاهُم بِانتِقَاصِ آلِهَةِ المَلِكِ كَمَا فِي الآيَةِ.

السَّادِسَةُ وَالسِّتُّونَ: رَميُهُم إِيَّاهُم بِتَبدِيلِ الدِّينِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

السَّابِعَةُ وَالسِّتُّونَ: رَميُهُم إِيَّاهُم بِانتِقَاصِ المَلِكِ كَقَولِهِم: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

الثَّامِنَةُ وَالسِّتُّونَ: دَعوَاهُم العَمَلَ بِمَا عِندَهُم مِنَ الحَقِّ كَقَولِهِم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١]، مَعَ تَركِهِم إِيَّاهُ.

التَّاسِعَةُ وَالسِّتُّونَ: الزِّيَادَةُ فِي العِبَادَةِ كَفِعلِهِم يَومَ عَاشُورَاءَ.

السَّبعُونَ: نَقصُهُم مِنهَا، كَتَركِهِم الوُقُوفَ بِعَرَفَاتٍ.

الحَادِيَةُ وَالسَّبعُونَ: تَركِهِم الواجِبَ وَرَعًا.

الثَّانِيَةُ وَالسَّبعُونَ: تَعَبُّدُهُم بِتَركِ الطَّيِّبَاتِ مِن الرِّزقِ.

الثَّالِثَةُ وَالسَّبعُونَ: تَعَبُّدُهُم بِتَركِ زِينَةِ اللّهِ.

الرَّابِعَةُ وَالسَّبعُونَ: دَعوَتُهُم النَّاسَ إِلَىٰ الضَّلَالِ بِغَيرِ عِلمٍ.

الخَامِسَةُ وَالسَّبعُونَ: دَعوَتُهُم إِيَّاهُم إِلَىٰ الكُفرِ مَعَ العِلمِ.

السَّادِسَة وَالسَّبعُونَ: المَكرُ الكُبَّارُ كَفِعلِ قَومِ نُوحٍ.

السَّابِعَةُ وَالسَّبعُونَ: أَنَّ أَئِمَّتَهُم إِمَّا عَالِمٌ فَاجِرٌ، وَإِمَّا عَابِدٌ جَاهِلٌ؛ كَمَا فِي قَولِهِ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٥-٧٨].

الثَّامِنَةُ وَالسَّبعُونَ: دَعوَاهُم أَنَّهُم أَولِيَاءُ اللّهِ مِن دُونِ النَّاسِ.

التَّاسِعَةُ وَالسَّبعُونَ: دَعوَاهُم مَحَبَّةَ اللّهِ مَعَ تَركِهِم شَرعَهُ؛ فَطَالَبَهُمُ اللّهُ بِقَولِهِ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ الآيَةَ [آل عمران: ٣١].

الثَّمَانُونَ: تَمَنِّيهِمُ الأَمَانِيَّ الكَاذِبَةَ كَقَولِهِم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

وَقَولِهِم: ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١].

الحَادِيَةُ وَالثَّمَانُونَ: اتِّخَاذُ قُبُورِ أَنبِيَائِهِم وَصَالِحِيهِم مَسَاجِدَ.

الثَّانِيَةُ وَالثَّمَانُونَ: اتِّخَاذُ آثَارِ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ كَمَا ذُكِرَ عَن عُمَرَ.

الثَّالِثَةُ وَالثَّمَانُونَ: اتِّخَاذُ السُّرُجِ عَلَىٰ القُبُورِ.

الرَّابِعَةُ وَالثَّمَانُونَ: اتِّخَاذُهَا أَعيَادًا.

الخَامِسَةُ وَالثَّمَانُونَ: الذَّبحُ عِندَ القُبُورِ.

السَّادِسَةُ وَالثَّمَانُونَ: التَّبَرُّكُ بِآثَارِ المُعَظَّمِينَ كَدَارِ النَّدوِر، وَافتِخَارُ مَن كَانَت تَحتَ يَدِهِ بِذَلِكَ، كَمَا قِيلَ لِحَكِيمِ بنِ حِزَامٍ: بِعتَ مَكرُمَةَ قُرَيشٍ؟! فَقَالَ: ذَهَبَتِ المَكَارِمُ إِلَّا التَّقوَىٰ.

السَّابِعَةُ وَالثَّمَانُونَ: الفَخرُ بالأَحسَابِ.

الثَّامِنَةُ وَالثمَانُونَ: الطَّعنُ فِي الأَنسَابِ.

التَّاسِعَةُ وَالثَّمَانُونَ: الاستِسقَاءُ بِالأَنوَاءِ.

التِّسعُونَ: النِّيَاحَةُ.

الحَادِيَةُ وَالتِّسعُونَ: أَنَّ أَجَلَّ فَضَائِلِهِمُ البَغيُ، فَذَكَرَ اللّٰه فِيهِ مَا ذَكَرَ.

الثَّانِيَةُ وَالتِّسعُونَ: أَنَّ أَجَلَّ فَضَائِلِهِمُ الفَخرُ وَلَو بِحَقٍّ، فَنَهَىٰ عَنهُ.

الثَّالِثَةُ وَالتِّسعُونَ: أَنَّ تَعَصُّبَ الإِنسَانِ لِطَائِفَتِهِ عَلَىٰ الحَقِّ وَالبَاطِلِ أَمرٌ لَا بُدَّ مِنهُ عِندَهُم، فَذَكَرَ اللّٰه فِيهِ مَا ذَكَرَ.

الرَّابِعَةُ وَالتِّسعُونَ: أَنَّ مِن دِينِهِم أَخذَ الرَّجُلِ بِجَرِيمَةِ غَيرِهِ، فَأَنزَلَ اللّٰه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١٥].

الخَامِسَةُ وَالتِّسعُونَ: تَعيِيرُ الرَّجُلِ بِمَا فِي غَيرِهِ، فَقَالَ: «أَعَيَّرتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امرُؤٌ فِيكَ جاهِلِيَّةٌ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

السَّادِسَةُ وَالتِّسعُونَ: الافتِخَارُ بِوِلَايةِ البَيتِ، فَذَمَّهُمُ اللهُ بِقَولِهِ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٧].

السَّابِعَةُ وَالتِّسعُونَ: الافتِخَارُ بِكَونِهِم ذُرِّيَّةَ الأَنبِيَاءِ، فَأَتَىٰ اللهُ بِقَولِهِ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ الآيَةَ [البقرة: ١٣٤].

الثَّامِنَةُ وَالتِّسعُونَ: الافتِخَارُ بِالصَّنَائِعِ كفِعلِ أهلِ الرِّحلَتَينِ عَلَىٰ أهلِ الحَرثِ.

التَّاسِعَةُ وَالتِّسعُونَ: عَظَمَةُ الدُّنيَا فِي قُلُوبِهِم؛ كَقَولِهِم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

المِائَةُ: التَّحَكُّمُ عَلَىٰ اللهِ كَمَا فِي الآيَةِ.

الحَادِيَةُ بَعدَ المِائَةِ: ازدِرَاءُ الفُقَرَاءِ، فَأَتَاهُم بِقَولِهِ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢].

الثَّانِيَةُ بَعدَ المِائَةِ: رَميُهم أَتبَاعَ الرُّسلِ بِعَدَمِ الإخلاصِ وَطَلَبِ الدُّنيَا، فَأَجَابَهُم بِقَولِهِ: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ الآيَةَ [الأنعام: ٥٢]. وَأَمثَالَهَا.

الثَّالِثَةُ بَعدَ المِائَةِ: الكُفرُ بِالمَلَائِكَةِ.

الرَّابِعَةُ بَعدَ المِائَةِ: الكُفرُ بِالرُّسلِ.

الخَامِسَةُ بَعدَ المِائَةِ: الكُفرُ بِالكُتُبِ.

السَّادِسَةُ بَعدَ المِائَةِ: الإِعرَاضُ عَمَّا جَاءَ عَنِ اللهِ.

السَّابِعَةُ بَعدَ المِائَةِ: الكُفرُ بِاليَومِ الآخِرِ.

الثَّامِنَةُ بَعدَ المِائَةِ: التَّكذِيبُ بِلِقَاءِ اللهِ.

التَّاسِعَةُ بَعدَ المِائَةِ: التَّكذِيبُ بِبَعضِ مَا أَخبَرَت بِهِ الرُّسُلُ عَنِ اليَومِ الآخِرِ كَمَا فِي قَولِهِ: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ [الكهف: ١٠٥].

وَمِنهَا: التَّكذِيبُ بِقَولِهِ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

وَقَولِهِ: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وَقَولِهِ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

العَاشِرَةُ بَعدَ المِائَةِ: قَتلُ الَّذِينَ يَأمُرُون بِالقِسطِ مِنَ النَّاسِ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: الإِيمَانُ بِالجِبتِ وَالطَّاغُوتِ.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: تَفضِيلُ دِينِ المُشرِكِينَ عَلَىٰ دِينِ المُسلِمِينَ.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ بعدَ المِائَةِ: لَبسُ الحَقِّ بالبَاطِلِ.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: كتمَانُ الحَقِّ مَعَ العِلمِ بِهِ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: قَاعِدَةُ الضَّلَالِ وَهِيَ القَولُ عَلَىٰ اللهِ بِلَا عِلمٍ.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: التَّنَاقُضُ الوَاضِحُ لَمَّا كَذَّبُوا بِالحَقِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [ق: ٥].

السَّابِعَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: الإِيمَان بِبَعضِ المُنَزَّلِ دونَ بَعضٍ.

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: التَّفرِيقُ بَينَ الرُّسُلِ.

التَّاسِعَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: مُخَاصَمَتُهُم فِيمَا لَيسَ لَهُم بِهِ عِلمٌ.

العِشرون بَعدَ المِائَةِ: دَعوَاهُمُ اتِّبَاعَ السَّلَفِ مَعَ التَّصرِيحِ بِمُخَالَفَتِهِم.

الحَادِيَةُ وَالعِشرون بَعدَ المِائَةِ: صَدُّهُم عَن سَبِيل اللهِ مَن آمنَ بِهِ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشرُون بَعدَ المِائَةِ: مَوَدَّتُهُم الكُفرَ وَالكَافِرِينَ.

الثَّالِثَةُ وَالعِشرُون بَعدَ المِائَةِ، وَالرَّابِعَةُ، وَالخَامِسَةُ، وَالسَّادِسَةُ، وَالسَّابِعَةُ، وَالثَّامِنَةُ وَالعِشرُون بَعدَ المِائَةِ: العِيَافَةُ، وَالطَّرقُ، وَالطِّيَرَة، وَالكِهَانَةُ، وَالتَّحَاكُمُ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَكَرَاهَةُ التَّزوِيجِ بَينَ العَبدَينِ، وَاللهُ أَعلَمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ.

* * *

٢٧- معنى الطَّاغُوت

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ- رحمه الله تَعَالَىٰ-: اعلَم- رَحِمَكَ اللَّه تَعَالَىٰ- أَنَّ أَوَّلَ مَا فَرَضَ اللَّه عَلَىٰ ابنِ آدَمَ: الكُفرُ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانُ بِاللَّه.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. فَأَمَّا صِفَةُ الكُفرِ بِالطَّاغُوتِ، فَهُوَ: أَن تَعتَقِدَ بُطلَانَ عِبَادَةِ غَيرِ اللَّهِ، وَتَترُكَهَا وَتُبغِضَهَا، وَتُكَفِّرَ أَهلَهَا وَتُعَادِيَهُم.

وَأَمَّا مَعنَىٰ الإِيمَانِ بِاللَّه، فَهُوَ: أَن تَعتَقِدَ أَنَّ اللَّه هُوَ الإِلَهُ المَعبُودُ وَحدَهُ دُونَ مَا سِوَاه.

وَتُخلِصَ جَمِيعَ أَنوَاعِ العِبَادَةِ كُلَّهَا للَّه، وَتَنفِيَهَا عَن كُلِّ مَعبُودٍ سِوَاهُ.

وَتُحِبَّ أَهلَ الإِخلَاصِ وَتُوَالِيَهُم، وَتُبغِضَ أَهلَ الشِّركِ وَتُعَادِيَهُم.

وَهَذِهِ مِلَّةُ إِبرَاهِيمَ الَّتِي سَفِهَ نَفسَهُ مَن رَغِبَ عَنهَا.

وَهَذِهِ هِيَ الأُسوَةُ الَّتِي أَخبَرَ اللَّه بِهَا فِي قَولِهِ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [المُمتحنة: ٤].

وَالطَّاغُوتُ عَامٌّ: فَكُلُّ مَا عُبِدَ مِن دُونِ اللَّه وَرَضِيَ بِالعِبَادَةِ مِن مَعبودٍ أَو مَتبُوعٍ أَو مُطَاعٍ فِي غَيرِ طَاعَةِ اللَّه وَرَسُولِهِ فَهُوَ طَاغُوت.

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَة، وَرُءُوسُهُم خَمسَة:

الأَوَّلُ: الشَّيطَانُ الدَّاعِي إِلَىٰ عِبَادَةِ غَيرِ اللَّه.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

الثَّانِي: الحَاكِمُ الجَائِرُ المُغَيِّرُ لأَحكَامِ اللَّه تَعَالَىٰ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ

وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ [النساء: ٦٠].

الثَّالِثُ: الَّذِي حَكَمَ بِغَيرِ مَا أَنزَلَ اللّه.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

الرَّابِعُ: الَّذِي يَدَّعِي عِلمَ الغَيبِ مِن دُونِ اللّه.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الخَامِسُ: الَّذِي يُعبَدُ مِن دُونِ اللّه وَهُوَ رَاضٍ بِالعِبَادَةِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٩].

وَاعلَم أَنَّ الإِنسَانَ لَا يَصِيرُ مُؤمِنًا بِاللّه إِلَّا بِالكُفرِ بِالطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الرّشدُ: دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَالغَيُّ: دِينُ أَبِي جَهلٍ.

وَالعُروَةُ الوُثقَىٰ: شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ؛ وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلنَّفيِ وَالإِثبَاتِ.

تَنفِي جَمِيعَ أَنوَاعِ العِبَادَةِ عَن غَيرِ اللّه تَعَالَىٰ، وَتُثبِتُ جَمِيعَ أَنوَاعِ العِبَادَةِ كُلَّهَا للّه وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

* * *

٢٨- مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْمُسلِمُ عَنِ الْمُشرِكِ

المقدِّمة

الحَمدُ للَّهِ الَّذِي يُستَدَلُّ عَلَىٰ وُجُودِهِ بِبَدَائِعِ مَا لَهُ مِنَ الأَفعَالِ، المُنَزَّهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَنِ النَّظَائِرِ وَالأَمثَالِ، أَنشَأَ المَوجُودَاتِ فَلَا يَعزُبُ عَن عِلمِهِ مِثقَالٌ.

أَحمَدُهُ سُبحَانَهُ وَأَشكُرُهُ، إِذ هَدَانَا لِدِينِ الإِسلَامِ، وَأَزَاحَ عَنا شُبَهَ الزَّيغِ وَالضَّلَالِ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةَ مُوَحِّدٍ لَهُ فِي الغُدُوِّ وَالآصَالِ، وَأَشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، نَبِيٌّ جَاءَنَا بِدِينٍ قَوِيمٍ فَارتَوِينَا مِمَّا جَاءَنَا بِهِ مِن عَذبٍ زُلَالٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ وَأَصحَابِهِ الَّذِينَ هُم خَيرُ صَحبٍ وَآلٍ، وَسَلِّم تَسلِيمًا.

أَمَّا بَعدُ:

فَقَد طَلَبَ مِنِّي بَعضُ الأَصدِقَاءِ الَّذِينَ لَا تَنبَغِي مُخَالَفَتُهُم أَن أَجمَعَ مُؤَلَّفًا يَشتَمِلُ عَلَىٰ مَسَائِلَ أَربعٍ، وَقَوَاعِدَ أَربعٍ، يَتَمَيَّزُ بِهِنَّ المُسلِمُ مِنَ المُشرِكِ.

الأُولَىٰ: أَنَّ الَّذِي خَلَقَنَا وَصَوَّرَنَا لَم يَترُكنَا هَمَلًا، بَل أَرسَلَ إِلَينَا رَسُولًا مَعَهُ كِتَابٌ مِن رَبِّنَا، فَمَن أَطَاعَ فَهُوَ فِي الجَنَّةِ، وَمَن عَصَىٰ فَهُوَ فِي النَّارِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾﴾ [المزمل: ١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ سُبحَانَهُ مَا خَلَقَ الخَلقَ إِلَّا لِيَعبُدُوهُ وَحدَهُ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذلِكَ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

وَقَالَ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥]

الثَّالِثَةُ: أنَّهُ إذَا دَخَلَ الشِّركُ فِي عِبَادَتِكَ بَطَلَت وَلَم تُقبَل، وَأنَّ كُلَّ ذَنبٍ يُرجَىٰ لَهُ العَفوُ إلَّا الشِّركَ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥]

وَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: ١١٦]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]

وَمِن نَوعِ هَذَا الشِّركِ: أن يَعتَقِدَ الإنسَانُ فِي غَيرِ اللهِ: مِن نَجمٍ، أو إنسَانٍ، أو نَبِيٍّ، أو صَالِحٍ، أو كَاهِنٍ، أو سَاحِرٍ، أو نَبَاتٍ، أو حَيَوَانٍ، أو غَيرِ ذَلِكَ؛ أنَّهُ يَقدِرُ بِذَاتِهِ عَلَىٰ جَلبِ مَنفَعَةٍ مَن دَعَاهُ أوِ استَغَاثَ بِهِ، أو دَفعِ ضُرِّهِ، فَقَد قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ ﴾ [فاطر: ٢]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ ﴾ [يونس: ١٠٧]

أنَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَجَبَ ألَّا يُستَغَاثَ إلَّا بِهِ، وَلَا يُستَعَانَ إلَّا بِهِ، وَلَا يُدعَىٰ إلَّا هُوَ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة: ٥١]

وَقَالَ تَعَالَىٰ مُوَبِّخًا لأهلِ الكِتَابِ الَّذِينَ يَستَغِيثُونَ بِعِيسَىٰ وَعُزَيرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَمَّا أنزَل

اللَّه عَلَيهِمُ القَحطَ وَالجُوعَ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وَمِن نَوعِ هَذَا الشِّركِ: التَّوَكُّلُ، وَالصَّلَاةُ، وَالنَّذرُ، وَالذَّبحُ لِغَيرِ اللَّه، قَالَ اللَّه تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ [المائدة: ٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر: ٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [لأنعام: ١٦٢].

وَمِن نَوعِ هَذَا الشِّركِ: تَحلِيلُ مَا حَرَّمَ اللَّه، وتَحرِيمُ مَا أَحَلَّ اللَّه، وَاعتِقَادُ ذَلِكَ، فَقَد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

وَقَالَ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا عَبَدُوهُم. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أَمَا

أَحَلُّوا الحَرَام فَأَطَاعُوهُم، وَحَرَّموا الحَلَالَ فَأَطَاعُوهُم؟ قَالَ: بَلَىٰ. قَالَ: فَتِلكَ عِبَادَتُهُم»[١].

وَأَحبَارُهُم وَرُهبَانُهُم: عُلَمَاؤهُم وَعُبَّادُهُم، وَذَلِكَ أَنَّهم اتَّخذوهم أربَابًا، وهم لَا يَعتَقِدُونَ رُبُوبِيَّتهُم، بَل يَقُولُونَ: رَبُّنَا وَرَبُّهُمُ اللهُ، وَلَكِنَّهُم أَطَاعُوهُم فِي تَحليلِ مَا حَرَّمَ اللهُ وتَحرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ، وَجَعَلَ اللهُ ذَلِكَ عِبَادَةً، فَمَن أَطَاعَ إِنسَانًا عَالِمًا، أو عَابِدًا، أو غَيرَهُ فِي تَحرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ، أو تَحلِيلِ مَا حَرَّمَ الله، وَاعتَقَدَ ذَلك بِقَلبِهِ فَقَدِ اتَّخَذَهُ رَبًّا كَالَّذِينَ اتَّخَذُوا أَحبَارَهُم وَرُهبَانَهُم أربَابًا مِن دُونِ اللهِ.

وَمن ذَلِكَ: أَنَّ أُنَاسًا مِنَ المُشرِكِينَ قَالوا: «يَا مُحَمَّدُ، المَيتَةُ مَن قَتَلَهَا؟ قَالَ: «اللهُ». قَالُوا: كَيفَ تَجعَلُ قَتلَكَ أَنتَ وَأَصحَابَكَ حَلَالًا وَقَتلَ اللهِ حَرَامًا؟ فَنَزَلَ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١]»[٢].

وَمن نَوعِ هَذَا الشِّركِ: الاعتِكَافُ عَلَىٰ قُبُورِ المَشهُورِينَ بِالنُّبُوَّةِ، أَوِ الصُّحبَةِ، أَوِ الوِلَايَةِ، وَشَدُّ الرِّحَالِ إِلَىٰ زِيَارَتِهَا؛ لأَنَّ النَّاس يَعرِفُونَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ وَبَرَكَتَهُ وَدُعَاءَهُ فَيَعكُفُونَ عَلَىٰ قَبرِهِ وَيَقصِدُونَ ذَلِكَ، فَتَارَةً يَسأَلُونَهُ، وَتَارَةً يَسأَلُونَ اللهَ عِندَهُ، وَتَارَةً يُصَلُّونَ وَيَدعُونَ اللهَ عِندَ قَبرِهِ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا بَدءَ الشِّركِ، سَدَّ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا البَابَ، فَفِي الصَّحِيحَينِ أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِ مَوتِهِ: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَولِيَائِهِم مَسَاجِدَ»[٣] يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، قَالَت عَائِشَةُ: «وَلَولَا ذَلِكَ لأُبرِزَ قَبرُهُ؛ وَلَكِن كَرِهَ أَن يُتَّخَذَ مَسجِدًا»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٢٠) بنحوه، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٣١).

وَقَالَ ﷺ: «لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيثُ كنتُم، فَإِنَّ صَلاتَكُم تَبلُغُنِي»(١).

وَقَالَ ﷺ: «لَعَنَ اللَّه زَائِرَات القُبُورِ وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»(٢).

وَفِي «المُوَطَّإ» عَنهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لا تجعَل قَبرِي وَثَنًا يُعبَدُ»(٣).

وَفِي صَحِيحِ مُسلِمٍ عَن عَلِيٍّ قَالَ: «بَعثَنِي رَسُولُ اللَّه أَلَّا أَدعَ قَبرًا مُشرِفًا إِلَّا سَوَّيتُهُ، وَلَا أدع تِمثَالًا إِلَّا طَمَستُهُ»(٤).

فَأَمَرَ بِمَسحِ التَّمَاثِيلِ مِنَ الصُّوَرِ المُمَثَّلَةِ عَلَىٰ صُوَرِ المَيِّتِ وَالتِّمثَالِ الشَّاخِصِ المُشرِفِ فَوقَ قَبرِهِ، فَإِنَّ الشِّركَ يَحصُلُ بِهَذَا أو بِهَذَا.

وَبَلَغَ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ قَومًا يَذهَبُونَ إِلَىٰ الشَّجَرَةِ الَّتِي بَايَعَ النَّبِيُّ ﷺ أصحَابه تَحتَها فَأَمَرَ بِقَطعِهَا.

وَأَرسَلَ إِلَيهِ أَبُو مُوسَىٰ أَنَّهُ ظَهَرَ بِتُستَرَ قَبرُ دَانيَال، وَعِندَهُ مُصحَفٌ فِيهِ أخبَارُ مَا سَيَكُونُ، وَفِيهِ أَخبَارُ المُسلِمِينَ، وَأَنَّهُم إِذَا جُدِبُوا كَشَفُوا عَنِ القَبرِ فَمُطِرُوا، فَأَرسَلَ إِلَيهِ عُمَرُ يَأمُرُهُ أَن يَحفِرَ فِي النَّهَار ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَبرًا، وَيَدفِنَهُ بِاللَّيلِ بِوَاحِدٍ مِنهَا؛ لِئَلَّا يَعرِفَهُ النَّاسُ فَيَفتَتِنُونَ بِهِ.

وَاتِّخَاذُ القُبُورِ مَسَاجِدَ مِمَّا حَرَّمَ اللَّه وَرَسُولُهُ، وَإِن لَم يُبنَ عَلَيهَا مَسجِدٌ، وَلَمَّا كَانَ اتِّخَاذُ القُبُورِ مَسَاجِدَ، وَبِنَاءُ المَسَاجِدِ عَلَيهَا مُحرَّمًا، لَم يَكُن مِن ذَلِكَ شَيءٌ عَلَىٰ عَهدِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَكَانَ الخَلِيلُ ﷺ فِي المَغَارَةِ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا، وَهِيَ مَسدُودَةٌ لا أَحَدَ يَدخُلُهَا، وَلَا شَدَّ الصَّحَابَةُ الرِّحَالَ إِلَيهِ، وَلَا إِلَىٰ غَيرِهِ مِنَ المَقَابِرِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٢٦).

(٢) أخرجه ابن حبان (٧/ ٤٥٢)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٦٩١).

(٣) أخرجه مالك (٤١٤)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (٧٥٠).

(٤) أخرجه مسلم (٩٦٩).

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ ﷺ قَالَ: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسجِدِ الحَرَامِ، وَالمَسجِدِ الأَقصَىٰ، وَمَسجِدِي هَذَا»(١).

فَكَانَ مَن يَأتِي مِنهُم إِلَىٰ المَسجِدِ الأَقصَىٰ يُصَلُّون فِيهِ، ثُمَّ يَرجِعُونَ لَا يَأتُونَ مَغَارَةَ الخَلِيلِ ﷺ وَلَا غَيرَهَا، وَكَانَت مَسدُودَةً حَتَّىٰ استَولَىٰ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ الشَّامِ فِي أَوَاخِرِ المِائَةِ الرَّابِعَةِ، وَجَعَلُوا ذَلِكَ مَكَانَ كَنِيسَةٍ.

وَلَمَّا فَتَحَ المُسلِمُونَ البِلَادَ اتَّخَذَهُ بَعضُ النَّاسِ مَسجِدًا، وَأَهلُ العِلمِ يُنكِرُونَ ذَلِكَ، وَهَذِهِ البِقَاعُ وَأَمثَالُهَا لَم يَكُن السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ يَقصِدُونَهَا، فَإِنَّهَا مَحِلُّ الشِّركِ، وَلهَذَا تُوجَدُ فِيهَا الشَّيَاطِينُ كَثِيرًا، وَقَد رَآهُم غَيرُ وَاحِدٍ عَلَىٰ صُورة الإِنسَانِ يَتلُونَ لَهُمُ الغَيبَ، فَيَظُنُّونَ أَنَّهُم رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ، غَائِبُونَ عَنِ الأَبصَارِ، وَإِنَّمَا هُم جِنٌّ، وَالجِنُّ يُسَمَّونَ رجَالًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

وَمَا حَدَثَ فِي الإِسلَامِ مِن هَذِهِ الخرَافَاتِ وَأَمثَالِهِ يُنَافِي مَا بَعَثَ الله بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ مِن كَمَالِ التَّوحِيدِ وَإِحيَاءِ الدِّينِ، وَسَدِّ أَبوَابِ الشِّركِ الَّتِي يَفتَحُهَا الشَّيطَانُ.

وَلهَذَا يُوجَدُ مَن كَانَ أَبعَدَ عَنِ التَّوحِيدِ وَالإِخلَاصِ، وَمَعرِفَةِ الإِسلَامِ أَكثَرَ تعظِيمًا لِمَوَاضِعِ الشِّركِ، فَالعَارِفُونَ لِسُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَولَىٰ بِالتَّوحِيدِ وَالإِخلَاصِ، وَأَهلُ الجَهلِ بِذَلِكَ أَقرَبُ إِلَىٰ الشِّركِ وَالبِدَعِ، وَلهَذَا يُوجَدُ فِي الرَّافِضَةِ أَكثَرَ مِمَّا يُوجَدُ فِي غَيرِهِم؛ لأَنَّهُم أَجهَلُ مِن غَيرِهِم، وَأَكثَرُ شِركًا وبِدَعًا، وَلهَذَا يُعَظِّمُونَ المَشَاهِدَ، وَيُخرِبُونَ المَسَاجِدَ، فَالمَسَاجِدُ لا يُصَلُّونَ فِيهَا جُمُعَةً وَلَا جَمَاعَةً، وَأَمَّا المَشَاهِدُ فَيُعَظِّمُونَهَا حَتَّىٰ يَرَوا زِيَارَتَهَا أَولَىٰ مِن الحَجِّ!!

وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَتبَعَ لِدِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ كانَ أَكمَلَ تَوحِيدًا لله وَإِخلَاصًا

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٧)، ومسلم (٨٢٧).

لِدِينِهِ، وَإِذَا أبعَدَ عَن مُتَابَعَتِهِ؛ نَقُصَ مِن دِينِهِ بِحَسبِ ذَلِكَ، فَإِذَا أكثَرَ بُعدَهُ عَنهُ، ظَهَرَ فِيهِ الشِّركُ وَالبِدَعُ مَا لَا يَظهَرُ فِيمَن هُوَ أَقرَبُ مِنهُ لاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ وَاللهُ إِنَّمَا أمَرَ بِالعِبَادَةِ فِي المَسَاجِدِ وَذَلِكَ عِمَارَتُهَا.

فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨]. وَلَم يَقُل: مَشَاهِدَ اللهِ، وَأمَا نَفسُ بِنَاءِ المَسَاجِدِ فَيَجُوزُ أَن يَبنِيَهُ البَرُّ وَالفَاجِرُ، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ ﷺ: «مَن بَنَىٰ مَسجِدًا؛ بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيتًا فِي الجَنَّةِ»(١).

ثُمَّ كَثِيرٌ مِنَ المَشَاهِدِ أو أكثَرَهَا كَذِبٌ، كالَّذِي بِالقَاهِرَةِ عَلَىٰ رَأسِ الحُسَينِ رضي الله عنه، فَإِنَّ الرَّأسَ لَم يُحمَل إِلَىٰ هُنَاكَ، وَكَذَلِكَ مَشهَدُ عَلِيٍّ إِنَّمَا حَدَثَ فِي دَولَةِ بَنِي بُوَيهِ.

قَالَ الحَافِظُ وَغَيرُهُ: هُوَ قَبرُ المُغِيرَةِ بنِ شُعبَةَ، وَعَلِيٌّ إِنَّمَا دُفِنَ بِقَصرِ الإِمَارَةِ بِالكُوفَةِ، وَدُفِنَ مُعَاوِيَةُ بِقَصرِ الإِمَارَةِ بِدِمَشقَ، وَدُفِنَ عَمرُو بنُ العَاصِ بِقَصرِ الإِمَارَةِ بِمِصرَ خَوفًا عَلَيهِم إِذَا دُفِنُوا فِي المَقَابِرِ أَن تَنبِشَهُمُ الخَوَارِجُ.

المَسألَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ إِذَا كَانَ عَمَلُكَ صَوَابًا وَلَم يَكُن خَالِصًا لَم يُقبَل، وَإِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَم يَكُن صَوَابًا، لَم يُقبَل، فَلَابُدَّ أَن يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا عَلَىٰ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلِذَلِكَ قَالَ سُبحَانَهُ فِي عُلَمَاءِ أَهلِ الكِتَابِ وَعُبَّادِهِم وقُرَّائِهِم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية: ٢-٤].

وَهَذِهِ الآيَاتُ لَيسَت فِي أَهلِ الكِتَابِ خَاصَّةً، بَل كُلُّ مَنِ اجتَهَدَ فِي عِلمٍ أو

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).

عَمَلٍ أو قِرَاءَةٍ وَلَيس مُوَافِقًا لِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَهُوَ مِنَ الأخسَرِينَ أعمَالًا الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي مُحكَمِ كِتَابِهِ العَزِيزِ وَإِن كَانَ لَهُ ذَكَاءٌ وَفِطنَةٌ، وَفِيهِ زُهدٌ وَأخلَاقٌ، فَهَذَا العُذرُ لَا يُوجِبُ السَّعَادَةَ وَالنَّجَاةَ مِنَ العَذَابِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنَّمَا قُوَّةُ الذَّكَاءِ بِمَنزِلَةِ قُوَّةِ البَدَنِ وَقُوَّةِ الإِرَادَةِ، فَالَّذِي يُؤتَىٰ فَضَائِلَ عِلمِيةً وَإِرَادَةً قَوِيَّةً، وَلَيسَ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ بِمَنزِلَةِ مَن يُؤتَىٰ قُوَّةً فِي جِسمِهِ وَبَدَنِهِ.

وَرُوِيَ فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخرُجُ فِيكُم قَومٌ تَحقِرُون صَلَاتَكُم مَعَ صَلَاتِهِم، وَصِيَامَكُم مَعَ صِيَامِهِم، وَعَمَلَكُم مَعَ عَمَلِهِم، يَقرَءُونَ القُرآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم، يَمرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمرُقُ السَّهَمُ مِن الرَّمِيَّةِ، يَنظُرُ فِي النَّصلِ فَلَا يَرَىٰ شَيئًا، وَيَنظُرُ فِي القِدحِ فَلَا يَرَىٰ شَيئًا، وَيَنظُرُ فِي الرِّيشِ فَلَا يَرَىٰ شَيئًا، وَيَتَمَارَىٰ فِي الفَوقِ» (١).

وَرَوَىٰ فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ حُدَثَاءُ الأسنَانِ، سُفَهَاءُ الأحلَامِ، يَقولُونَ مِن قَولِ خَيرِ البَرِيَّةِ، يَمرُقُونَ مِنَ الإسلَامِ كمَا يَمرُقُ السَّهمُ مِنَ الرَّميةِ، لا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُم حَنَاجِرَهُم، فَأَينَمَا لَقِيتُمُوهُم فَاقتُلُوهُم، فَإِنَّ فِي قَتلِهِم أَجرًا لِمَن قَتَلَهُم يَومَ القِيَامَةِ» (٢).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ كَذَّابُونَ، يَأتُونَ مِنَ الأحَادِيثِ بِمَا لَم تَسمَعُوا وَلَا آباؤكُم، فَإِيَّاكُم وَإِيَّاهُم، لا يُضِلُّونَكُم وَلَا يَفتِنُونَكُم». رواه أَبُو هُرَيرَةَ (٣).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا مِن نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِن أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصحَابٌ يَأخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقتَدُونَ بِأَمرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخلُفُ مِن بَعدِهِم خُلوف

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦).
(٣) أخرجه مسلم (٧).

يَقُولُونَ مَا لا يَفعَلُونَ، وَيَفعَلُونَ مَا لا يُؤمَرُونَ، فَمَن جَاهَدَهُم بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤمن، وَمَن جَاهَدَهُم بلسَانِهِ فَهُوَ مُؤمِن، وَمَن جَاهَدَهُم بِقَلبِهِ فَهُوَ مُؤمِن، وَلَيسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَردَلٍ». رَوَاه ابنُ مَسعُودٍ ﷺ[١].

وَقَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ لا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم وَلا مَن خَالَفَهُم حَتَّىٰ يَأتِيَ اللَّه بِأَمرِهِ وَهُم عَلَىٰ ذَلِكَ». رَوَاهُ مُعَاوِيَةُ ﷺ[٢].

قَالَ ﷺ: «كُلّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَىٰ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَن يَأبَىٰ؟ قَالَ: مَن أَطَاعَنِي؛ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فَقَد أَبَىٰ». رواه أَبُو هرَيرَةَ ﷺ[٣].

وَعَنِ ابنِ عَمرو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئتُ بِهِ»[٤].

وَقَد تَبَيَّنَ أَنَّ الوَاجِبَ: طَلَبُ عِلمِ مَا أَنزَلَ اللَّه عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكمَةِ، وَمَعرِفَةِ مَا أَرَادَ بِذَلِكَ كَمَا كَانَ عَلَيهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، وَمَن سَلَكَ سَبِيلَهُم، فَكُلُّ مَا يَحتَاجُ إِلَيهِ النَّاسُ فَقَد بَيَّنَهُ اللَّه وَرَسُولُهُ ﷺ بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا، فَكَيفَ أُصُولُ التَّوحِيدِ وَالإِيمَانِ؟!

ثُمَّ إِذَا عَرَفَ مَا بَيَّنَهُ الرَّسُولُ ﷺ نَظَرَ فِي أَقوَالِ النَّاسِ وَمَا أَرَادُوا بِهَا، فَعُرِضَت عَلَىٰ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالعَقلِ الصَّرِيحِ الَّذِي هُوَ مُوَافِقٌ لِلرَّسُولِ، فَإِنَّهُ المِيزَانُ مَعَ الكِتَابِ فَهَذَا سَبِيلُ الهُدَىٰ.

وَأَمَّا سَبِيلُ الضلَالِ وَالبِدَعِ وَالجَهلِ فَعَكسُهُ أَن تُبدِعَ بِدعَةً بِآرَاءِ رِجَالٍ وَتَأوِيلَاتِهِم، ثُمَّ تَجعَلُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ تَبَعًا لَهَا، وَتَحرِيفُ أَلفَاظِهِ وَتَأوِيلُهُ عَلَىٰ وَفقِ

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٢)، وضعفه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (١٥).

مَا أَصَّلُوهُ، وَهَؤُلَاء تَجِدُهُم فِي نَفسِ الأمرِ يَعتَمِدُونَ عَلَىٰ مَا جَاء بِهِ الرَّسُولُ، وَلَا يَتَلَقَّونَ مِنهُ الهُدَىٰ، ولكِن مَا وَافَقَهُم مِنهُ، وَجَعَلُوهُ حُجَّةً لَا عُمدَةً، وَمَا خَالَفَهُم مِنهُ تَأَوَّلُوهُ كَالَّذِين يُحرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ، أو فَوَّضُوهُ كَالَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ الكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ، وَكَثِيرٌ مِنهُم إِنَّمَا يَنظُرُ فِي تَفسِيرِ القرآنِ وَالحَدِيثِ وَفِيمَا يَقُولُهُ مُوَافَقَةً عَلَىٰ المَذهَبِ.

وَكَثِيرٌ مِنهُم لَم يَكُن عُمدتُهُم فِي نَفسِ الأَمرِ اتِّبَاعَ نَصٍّ أصلًا؛ كَالَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ مِنَ اليَهُودِ: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [آل عمران: ٧٥].

ثُمَّ جَاءَ مِن بَعدِهِم مَن ظَنَّ صِدقَ مَا افتَرَىٰ أُولَئِكَ وَهُم فِي شَكٍّ مِنهُم، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤﴾ [الشورى: ١٤].

فَفِي الصَّحِيحَينِ عَنهُ ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم حَذوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّىٰ لَو دَخَلوا جُحرَ ضَبٍّ لَدَخَلتُمُوهُ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «فَمَن؟»(١).

فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَا ذَمَّ اللهُ بِهِ أهلَ الكِتَابِ يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَن يُشبِهُهُم فِيهِ، هَذَا حَقٌّ قَد شُوهِدَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [فصلت: ٥٣].

فَمَن تَدَبَّرَ مَا أخبَرَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ رَأَىٰ أَنَّه قَد وَقَعَ مِن ذَلِكَ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ، وَمَن زَادَ فِي الدِّينِ بِشَيءٍ مَا فَعَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَلَيسَ عَلَيهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ فَكَأَنَّمَا نَقَصَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

عَن أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تُشَدِّدُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُم، فَيُشَدِّدَ اللهُ عَلَيكُم، فَإِنَّ قَومًا شَدَّدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِم، فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيهِم، فَتِلكَ بَقَايَاهُم فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]»(١).

وَعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَالُ قَومٍ يَتَنَزَّهُونَ عَن شَيءٍ أَصنَعُهُ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لأَعلَمُهُم وَأَشَدُّهُم لله خَشيَةً»(٢).

وَعَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزوَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسأَلُونَ عَن عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخبِرُوا كَأَنَّهُم تَقَالُّوهَا، قَالُوا: وَأَينَ نَحنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَد غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ أَحَدُهُم: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيلَ وَلَا أَرقُدُ. وَقَالَ أَحَدُهُم: أَنَا أَصُومُ الدَّهرَ وَلَا أُفطِرُ. وَقَالَ الآخَرُ: أَنَا أَعتَزِلُ النِّسَاءَ وَلَا أَتَزَوَّجُ. فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَنتُم الَّذِينَ قُلتُم كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخشَاكُم لله وَأَتقَاكُم لَهُ، وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي». رَوَاهُ البُخَارِيُّ(٣).

وَقَالَ ﷺ: «أَنتُم أَعلَمُ بِأَمرِ دُنيَاكُم فَخُذُوا بِهِ»(٤).

وَعَن عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧].

قَالَ ﷺ: «إِذَا رَأَيتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ وَيَترُكُونَ المُحكَمَ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٤)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٣١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٦٣).

سَمَّىٰ اللَّه أَهلَ الزَّيغِ فَاحذَرُوهُم»(١).

وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: هَاجَرتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّه ﷺ، فَسَمِعَ صَوتَ رَجُلَينِ اختَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ فِي وَجهِهِ الغَضَبُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَن كَانَ قَبلَكُم بِكَثرَةِ سُؤَالِهِم وَاختِلَافِهِم عَلَىٰ أَنبِيَائِهِم، فَإِذَا أَمَرتكُم بِشَيءٍ فَأتُوا مِنهُ مَا استَطَعتُم، وَإِذَا نَهيتُكُم عَن شَيءٍ فَاجتَنِبُوهُ»(٢).

وَقَالَ ﷺ: «مَن أَحيَا سُنَّةً مِن سُنَّتِي قَد أُمِيتَت بَعدِي؟ فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجرِ مِثلَ أُجُورِ مَن عَمِلَ بِهَا مِن غَيرِ أَن يَنقُصَ مِن أُجُورِهِم شَيئًا، وَمَنِ ابتَدَعَ بِدعَةً ضَلَالَةً لا يَرضَاهَا اللَّه وَرَسُولُهُ؛ كَانَ عَلَيهِ مِن الإِثمِ مِثلُ آثَامِ مَن عَمِلَ بِهَا، لا يَنقُصُ ذَلِكَ مِن أَوزَارِهِم شَيئًا». رَوَاهُ بِلَالُ بنُ الحَارِثِ المَازِنِيُّ رضي الله عنه(٣).

وَرُوِيَ فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ وَمُسلِمٍ عَن عَائِشَةَ قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَن أَحدَثَ فِي أَمرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٤).

وَرُوِيَ عَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ [الأنعام: ١٥٩]: أَصحَابُ البِدَعِ وَالأَهوَاءِ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ»(٥).

وَعَنِ العِربَاضِ بنِ سَارِيَةَ قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ الصُّبحَ، فَوَعَظَنَا مَوعِظَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَت مِنهَا العُيُونُ. وَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّه، كَأَنَّهَا مَوعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوصِنَا.

قَالَ: «أُوصِيكُم بِتَقوَىٰ الله، وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ لأَمِيرِكُم وَإِن كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا،

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).
(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٧٧)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٩٦٥).
(٤) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٨)، وضعفه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (٤).

فَإِنَّهُ مَن يَعِش مِنكُم فَسَيَرَىٰ اختِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ»(١).

رُوِيَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاودَ، وَالتِّرمِذِيِّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيح.

وَرُوِيَ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «تَفَرَّقَت بَنُو إِسرَائِيلَ عَلَىٰ ثِنتَينِ وَسَبعِينَ مِلَّةً، وَسَتَفتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُم فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَة».

قَالُوا: مَن هُم يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «مَن عَمِلَ بِمَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي»(٢).

قَالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «إِنَّ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحسَنَ الهَدي، هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا»(٣).

رواهُ جَابِر مَرفُوعًا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ(٤).

وَعَن أَبِي المُختَارِ الطَّائِيِّ عَن ابنِ أَخِي الحَارِثِ الأَعوَرِ قَالَ: «مَرَرتُ بِالمَسجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ، فَدَخَلتُ عَلَىٰ عَلِيٍّ رضي الله عنه، فَقُلتُ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، أَلا تَرَىٰ أَنَّ النَّاسَ قَد خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ. قَالَ: أَوَقَد فَعلُوهَا؟ قُلتُ: نعَم.

قَالَ: فَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتنَة». قُلتُ: فَمَا المَخرَجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «كِتَابُ اللهِ؛ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبلَكم، وَخَبَرُ مَا بَعدَكم، وحُكمُ مَا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩٨).

(٤) أخرجه مسلم (٨٦٧).

بَينَكُم، وَهوَ الفَصْلُ لَيسَ بِالهَزلِ، مَن تَرَكَهُ مِن جَبَّارٍ؛ قَصَمَهُ اللّه، وَمَنِ ابتَغَىٰ الهُدَىٰ مِن غَيرِهِ؛ أَضَلَّهُ اللّه، وَهُوَ حَبلُ اللّه المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُستَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لا تَزِيغُ بِهِ الأَهوَاءُ، وَلا تَلتَبِسُ بِهِ الأَلسُنُ، وَلا يَشبَعُ مِنهُ العُلَمَاءُ، وَلا يَخلَقُ عَلَىٰ كَثرَةِ الرَّدِّ، وَلا تَنقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَم تَنتَهِ الجِنُّ إِذ سَمِعَتهُ حَتَّىٰ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢].

مَن قَالَ بِهِ؛ صَدَقَ، وَمَن عَمِلَ بِهِ؛ أُجِرَ، وَمَن دَعَا إِلَيهِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ»[1].

قَولُهُ: «لا تَزِيغُ بِهِ الأَهوَاءُ». يَعني: لَا يَصِيرُ بِسَبَبِهِ مبتَدِعًا ضَالًا.

وَقَولُهُ: «لا تَلتَبِسُ بِهِ الأَلسُنُ». أي: لَا يَختَلِطُ بِهِ غَيرُهُ بِحَيثُ يُشبِهُهُ، وَيَلتَبِسُ الحَقُّ بِالبَاطِلِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ لِلغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يُصلِحُونَ مَا أَفسَدَ النَاسُ مِن بَعدِي مِن سُنَّتِي». رَوَاه طَلحَةُ عَن أَبِيهِ عَن جَدِّهِ[2].

قَالَ ﷺ: «مَن تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِندَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجرُ مِائَةِ شَهِيدٍ». رَوَاهُ أَبُو هُرَيرَةَ[3].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّكُم فِي زَمَنٍ مَن تَرَكَ مِنكُم عُشرَ مَا أَمَرَ اللّه بِهِ؛ هَلَكَ، ثُمَّ يَأتِي زَمَانٌ مَن عَمِلَ بِعُشرِ مَا أَمَرَ اللّه بِهِ؛ نَجَا». حَدِيث غَرِيب[4].

وَعَن عَبدِ اللّه بنِ مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللّه ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سَبِيلُ اللّهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَن يَمِينِهِ وَعَن شِمَالِهِ، وَقَالَ: هَذِه سُبُلٌ، عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) أخرجه الدارمي (٣٣٣١)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٠٨١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (٩٠/ ٢)، وضعفه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٧٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٢٦٧)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٠٣٨).

سَبِيلٍ مِنهَا شَيطَان يَدعُو إِلَيهِ، وَقَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣](١).

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «نَزَلَ القُرآنُ عَلَىٰ خَمسَةِ وُجُوهٍ: حَلَالٍ، وَحَرَامٍ، وَمُحكَمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمثَالٍ؛ فَأَحِلُّوا الحَلَالَ، وَحَرِّموا الحَرَام، وَاعمَلُوا بِالمُحكَمِ، وَآمِنُوا بِالمُتَشَابِهِ، وَاعتَبِرُوا بِالأَمثَالِ»(٢).

وَعَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «الأَمر ثَلَاثَةٌ: أَمرٌ بَيِّنٌ غَيُّهُ فَاجتَنِبهُ، وَأَمرٌ بَيِّنٌ رُشدُهُ فَاتَّبِعهُ، وَأَمرٌ اختُلِفَ فِيهِ، فَكِلهُ إِلَىٰ اللَّه تَعَالَىٰ»(٣).

وَفِي الصَّحِيحَينِ عَن أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ المُؤمِنِ الَّذِي يَقرَأُ القُرآنَ مَثَلُ الأُترُجَّةِ طَعمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤمِنِ الَّذِي لا يَقرَأُ القُرآنَ مَثَلُ التَّمرَةِ طَعمُهَا طَيِّبٌ وَلا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقرَأُ القرآنَ مَثَلُ الرَّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لا يَقرَأُ القُرآنَ مَثَلُ الحَنظَلَةِ طَعمُهَا مُرٌّ وَلا رِيحَ لَهَا»(٤).

فَبَيَّنَ أَنَّ فِي الَّذِينَ يَقرَءونَ القُرآنَ مُؤمِنِينَ وَمُنَافِقِينَ، وَإِذَا كَانَت سَعَادَةُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ هِيَ بِاتِّبَاعِ المُرسَلِينَ، فَمِنَ المَعلُومِ أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِذَلِكَ أَعلَمُهُم بِآثَارِ المُرسَلِينَ وَأَتبَعُهُم لِذَلِكَ، فَالعَالِمُونَ بِأَقوَالِهِم وَأَفعَالِهِم المُتَّبِعُونَ لَهَا هُم أَهلُ السَّعَادَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ النَّاجِيَةُ مِن أَهلِ كُلِّ مِلَّةٍ، وَهُم مِن أَهلِ السُّنَّةِ وَالحَدِيثِ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ، وَالرُّسُلُ عَلَيهِمُ البَلَاغُ المُبِينُ، وَقَد بَلَّغُوا البَلَاغَ

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، وحسنه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٦٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣/ ٥٤٨)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٩٣٥).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٩٧/ ٢)، وضعفه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٥٤٢٧)، ومسلم (٧٩٧).

الْمُبِينَ.

وَخَاتَمُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنزَلَ اللَّه عَلَيهِ كِتَابَهُ مُصَدِّقًا لِمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ، فَهُوَ الْمُهَيمِنُ عَلَىٰ جَمِيعِ الكُتُبِ.

وَقَد بَيَّنَ أَبيَنَ بَلَاغٍ وَأَتَمَّهُ وَأَكمَلَهُ، وَكان أَنصَحَ الخَلقِ لِعِبَادِ اللَّه، وَكَانَ بِالمُؤمِنِينَ رَءُوفًا رَحِيمًا، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّىٰ الأَمَانَةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّه حَقَّ جِهَادِهِ، وَعَبَدَ اللَّه حَتَّىٰ أَتَاهُ اليَقِينُ.

فَأَسعَدُ الخَلقِ وَأَعظَمُهُم نَعِيمًا وَأَعلَاهُم دَرَجَةً؛ أَعظَمُهُم اتِّبَاعًا لَهُ، وَمُوَافَقَةً عِلمًا وَعَمَلًا.

وَاللَّه ﷻ أَعلَمُ.

* * *

٢٩- كَشْفُ الشُّبُهَاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلَم - رَحِمَكَ الله - أنَّ التَّوحِيدَ هُوَ: إِفرَادُ اللهِ سبحَانَهُ بِالعِبَادَةِ.

وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الَّذِي أرسَلَهُمُ اللهُ بِهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ، فَأَوَّلُهُم نُوحٌ ﷺ، أرسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ قَومِهِ لَمَّا غَلَوا فِي الصَّالِحِينَ: ودًّا، وَسُوَاعًا، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسرًا.

وَآخِرُ الرُّسُلِ مُحَمَّد ﷺ، وَهُوَ الَّذِي كَسَرَ صُوَرَ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ، أرسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ أُنَاسٍ يَتَعَبَّدُونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَذكُرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَلَكِنَّهُم يَجعَلُونَ بَعضَ المَخلُوقَاتِ وَسَائِطَ بَينَهُم وَبَينَ اللهِ، يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنهُمُ التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ، وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُم عِندَهُ مِثلَ المَلَائِكَةِ، وَعِيسَىٰ وَمَريَمَ وَأُنَاسٍ غَيرِهم مِنَ الصَّالِحِينَ.

فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ يُجَدِّدُ لَهُم دِينَ أَبِيهِم إِبرَاهِيمَ ﷺ، وَيُخبِرُهُم أَنَّ هَذَا التَّقَرُّبَ وَالاعتِقَادَ مَحضُ حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ، لَا يَصلُحُ مِنهُ شَيءٌ لِغَيرِ اللهِ، لَا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا لِنَبِيٍّ مُرسَلٍ فَضلًا عَن غَيرِهِمَا.

وَإِلَّا فَهَؤُلَاءِ المُشرِكُونَ يَشهَدُون أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَرزُقُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُحيِي وَلَا يُمِيتُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَوَاتِ وَمَن فِيهِنَّ، وَالأَرَضِينَ السَّبعَ وَمَن فِيهِنَّ، كُلُّهُم عَبِيدُهُ وَتَحتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهرِهِ.

فَإِذَا أَردتَ الدَّلِيلَ عَلَىٰ أَنَّ هَؤلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشهَدُون بِهَذَا، فَاقرَأ قَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا

تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

وَقَوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]. وَغَيرَ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

فَإِذَا تَحقَّقتَ أَنَّهُم مُقِرُّونَ بِهَذَا وَلَم يُدْخِلهُم فِي التَّوحِيدِ الَّذِي دَعَاهُم إِلَيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَرَفتَ أَنَّ التَّوحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ هُوَ تَوحِيدُ العِبَادَةِ الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشرِكُونَ فِي زَمَانِنَا: «الاعتِقَاد».

كمَا كَانُوا يَدعُونَ اللَّهَ سُبحَانَهُ لَيلًا وَنَهَارًا، ثُمَّ مِنهُم مَن يَدعُو المَلَائِكَةَ لأَجلِ صَلَاحِهِم وَقُربِهِم مِنَ اللَّهِ، لِيَشفَعُوا لَهُ.

أَو يَدعُو رَجُلًا صَالِحًا مِثلَ: اللَّاتِ، أَو نَبِيًّا مِثلَ: عِيسَىٰ.

وَعَرَفتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُم عَلَىٰ هَذَا الشِّركِ وَدَعَاهُم إِلَىٰ إِخلَاصِ العِبَادَةِ للَّهِ وَحدَهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وَتَحَقَّقتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُم لِيَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ للَّهِ، وَالذَّبحُ كُلُّه للَّهِ، وَالنَّذرُ كُلُّهُ للَّهِ، وَالاستِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللَّهِ؛ وَجَمِيعُ أَنوَاعِ العِبَادَاتِ كُلُّهَا للَّهِ.

وَعَرَفتَ أَنَّ إِقرَارَهُم بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَم يُدخِلهُم فِي الإِسلَامِ، وَأَنَّ قَصدَهُمُ المَلَائِكَةَ، وَالأَنبِيَاءَ، وَالأَولِيَاءَ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُم، وَالتَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللَّهِ بِذَلِكَ هوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُم وَأَموَالَهُم، عَرَفتَ حِينَئِذٍ التَّوحِيدَ الَّذِي دَعَت إِلَيهِ الرُّسُلُ، وَأَبَىٰ عَنِ الإِقرَارِ بِهِ المُشرِكون.

وَهَذَا التَّوحِيدُ هُوَ مَعنَىٰ قَولِكَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله» فَإِنَّ الإِلَهَ عِندَهُم هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لأجل هذه الأُمُورِ، سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا، أو نَبِيًّا، أو وَلِيًّا، أو شَجَرَةً، أو قبرًا، أو جِنِّيًّا، لَم يُرِيدوا أنَّ الإلهَ هوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ؛ فَإِنَّهُم يَعلَمُونَ أنَّ ذَلِكَ للهِ وَحدهُ كَمَا قَدَّمتُ لَكَ، وَإِنَّمَا يَعنُونَ بِالإِلَه مَا يَعني المُشرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفظِ: «السَّيِّدِ»، فَأَتَاهمُ النَّبِيُّ ﷺ يَدعُوهُم إِلَىٰ كَلِمَةِ التَّوحِيدِ وَهِيَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله».

وَالمُرَادُ مِن هَذِهِ الكَلِمَةِ مَعنَاهَا لَا مُجَرَّدُ لَفظِهَا.

وَالكُفَّارُ الجُهَّالُ يَعلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ هُوَ: إِفرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّعلُّقِ بِهِ، وَالكُفرُ بِمَا يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ وَالبَرَاءَةُ مِنهُ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُم: قُولُوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله»، قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

فَإِذَا عَرَفتَ أَنَّ جُهَّالَ الكُفَّارِ يَعرِفُونَ ذَلِكَ، فَالعَجَبُ مِمَّن يَدَّعِي الإِسلَامَ وَهُوَ لَا يَعرِفُ مِن تَفسِيرِ هَذِهِ الكَلِمَةِ مَا عَرَفَهُ جُهَّالُ الكُفَّارِ، بَل يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِن غَيرِ اعتِقَادِ القَلبِ لِشَيءٍ مِنَ المَعَانِي، وَالحَاذِقُ مِنهُم يَظُنُّ أَنَّ مَعنَاهَا: «لَا يَخلُقُ وَلَا يَرزُقُ إِلَّا الله، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمرَ إِلَّا الله».

فَلَا خَيرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أَعلَمُ مِنهُ بِمَعنَىٰ: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله».

إِذَا عَرَفتَ مَا ذَكَرتُ لَكَ مَعرِفَةَ قَلبٍ، وَعَرَفتَ الشِّركَ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وَعَرَفتَ دِينَ اللهِ الَّذِي أَرسَلَ بِهِ الرُّسُلَ مِن أَوَّلِهِم إِلَىٰ آخِرِهِم الَّذِي لَا يَقبَلُ اللهُ مِن أَحَدٍ دِينًا سِوَاه، وَعَرَفتَ مَا أَصبَحَ غَالِبُ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الجَهلِ بِهَذَا.

أَفَادَكَ فَائِدَتَينِ:

الأُولَىٰ: الفَرَحُ بِفَضلِ اللهِ وَرَحمَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

وَأَفَادَكَ أَيضًا: الخَوفَ العَظِيمَ.

فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفتَ أَنَّ الإِنسَانَ يَكفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخرِجُهَا مِن لِسَانِهِ، وَقَد يَقُولُهَا وَهوَ جَاهِلٌ؛ فَلَا يُعذَرُ بِالجَهلِ.

وَقَد يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللَّه كَمَا كَانَ يَظُنُّ المُشرِكونَ، خُصُوصًا إِنْ أَلهَمَكَ اللَّهُ مَا قَصَّ عَن قَومِ مُوسَىٰ مَعَ صَلَاحِهِم وَعِلمِهِم أَنَّهُم أَتَوهُ قَائِلِينَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

فَحِينَئِذٍ يَعظُمُ خَوفُكَ وَحِرصُكَ عَلَىٰ مَا يُخَلِّصُكَ مِن هَذَا وَأَمثَالِهِ.

وَاعلَم أَنَّ اللَّهَ سُبحَانَهُ مِن حِكمَتِهِ لَم يَبعَث نَبِيًّا بِهَذَا التَّوحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعدَاءً، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَقَد يَكُونُ لأَعدَاءِ التَّوحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَكُتُبٌ وَحُجَجٌ؛ كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

إِذَا عَرَفتَ ذَلِكَ، وَعَرَفتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَىٰ اللَّهِ لَا بُدَّ لَهُ مِن أَعدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيهِ، أَهلِ فَصَاحَةٍ وَعِلمٍ وَحُجَجٍ، فَالوَاجِبُ عَلَيكَ أَن تَتَعَلَّمَ مِن دِينِ اللَّهِ مَا يَصِيرُ سِلَاحًا لَكَ تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُم وَمُقَدَّمُهُم لِرَبِّكَ عز وجل: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

وَلَكِن إِذَا أَقبَلتَ عَلَىٰ اللَّهِ وَأَصغَيتَ إِلَىٰ حُجَجِهِ وَبَيِّنَاتِهِ فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحزَنْ: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦].

وَالعامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغلِبُ أَلفًا مِن عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ المُشرِكِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣].

فَجُندُ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ بِالحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمُ الغَالِبُونَ بِالسَّيفِ وَالسِّنَانِ، وَإِنَّمَا الخَوفُ عَلَىٰ المُوَحِّدِ الَّذِي يَسلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيسَ مَعهُ سِلَاحٌ.

وَقَد مَنَّ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَينَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي القُرآنِ مَا يَنقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطلَانَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣].

قَالَ بَعضُ المُفَسِّرِينَ: هَذه الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهلُ البَاطِلِ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ.

وَأَنَا أَذكُرُ لَكَ أَشيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، جَوَابًا لِكَلَامٍ احتَجَّ بِهِ المُشرِكونَ فِي زَمَانِنَا عَلَينَا.

فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهلِ البَاطِلِ مِن طَرِيقَينِ: مُجمَلٍ، وَمُفَصَّلٍ.

أَمَّا المُجمَلُ: فَهُوَ الأَمرُ العَظِيمُ وَالفَائِدَةُ الكَبِيرَةُ لِمَن عَقَلَهَا؛ وَذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

وَقَد صَحَّ عَن رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحذَرُوهُم»[1].

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعضُ المُشرِكِينَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢].

وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، وَأَنَّ الأَنبِيَاءَ لَهُم جَاهٌ عِندَ اللهِ، أَو ذَكَرَ كَلَامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، يَستَدِلُّ بِهِ عَلَىٰ شَيءٍ مِن بَاطِلِهِ، وَأَنتَ لَا تَفهَمُ مَعنَىٰ الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ، فَجَاوِبهُ بِقَولِكَ: إِنَّ اللهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ يَترُكُونَ المُحكَمَ وَيَتَّبِعُونَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

المُتَشَابِهَ.

وَمَا ذَكَرتُهُ لَكَ مِن أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَ أَنَّ المُشرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيةِ، وَأَنَّ كُفرَهُم بِتَعَلُّقِهِم عَلَىٰ المَلَائِكَةِ وَالأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ مَعَ قَولِهِم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. هَذَا أَمرٌ مُحكَمٌ بَيِّنٌ، لَا يَقدِرُ أَحَدٌ أَن يُغَيِّرَ مَعنَاهُ.

وَمَا ذَكَرتَ لِي أَيُّهَا المُشرِكُ مِنَ القُرآنِ، أَو كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ لَا أَعرِفُ مَعنَاهُ، وَلَكِن أَقطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ.

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ؛ وَلَكِن لَا يَفهَمُهُ إِلَّا مَن وَفَّقَهُ اللَّهُ، فَلَا تَستَهِن بِهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٥].

وَأَمَّا الجَوَابُ المُفَصَّلُ: فَإِنَّ أَعدَاءَ اللَّهِ لَهُم اعتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَىٰ دِينِ الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنهُ، مِنهَا قَولُهُم: نَحنُ لَا نُشرِكُ بِاللَّهِ، بَل نَشهَدُ أَنَّهُ لَا يَخلُقُ وَلَا يَرزُقُ وَلَا يَنفَعُ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا اللَّهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَملِكُ لِنَفسِهِ نَفعًا وَلَا ضَرًّا فَضلًا عَن عَبدِ القَادِرِ أَو غَيرِهِ، وَلَكِن أَنَا مُذنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُم جَاهٌ عِندَ اللَّهِ، وَأَطلُبُ مِنَ اللَّهِ بِهِم.

فَجَاوِبهُ بِمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقِرُّون بِمَا ذَكَرتَ، وَمُقِرُّون بِأَنَّ أَوثَانَهُم لَا تُدَبِّرُ شَيئًا وَإِنَّمَا أَرَادُوا الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ.

وَاقرَأ عَلَيهِ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحهُ.

فَإِن قَالَ: هَؤلَاءِ الآيَاتُ نَزَلَت فِيمَن يَعبُدُ الأَصنَامَ، فَكَيفَ تَجعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثلَ الأَصنَامِ؟! أَم كَيفَ تَجعَلُونَ الأَنبِيَاءَ أَصنَامًا؟ فَجَاوِبهُ بِمَا تَقَدَّمَ.

فَإِنَّه إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الكُفَّار يَشهَدُونَ بِالرُّبُوبِيةِ كُلِّهَا لله، وَأَنَّهُم مَا أَرَادُوا مِمَّن قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ، وَلَكِن أَرَادَ أَن يُفَرِّقَ بَينَ فِعلِهِ وَفِعلِهِم بِمَا ذَكَرَه.

فَاذكُر لَهُ أَنَّ الكُفَّارَ مِنهُم مَن يَدعُو الصَّالِحِينَ وَالأَصنَامَ.

وَمنهُم مَن يَدعُو الأولِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللَّه فِيهِم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء: ٥٧]

وَيَدعُونَ عِيسَىٰ ابنَ مَريَمَ وَأُمَّهُ، وَقَد قَالَ اللَّه تَعَالَىٰ: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ [المائدة: ٧٥، ٧٦]

وَاذكُر لَهُ قَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١]

وَقَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة: ١١٦]

فَقُل لَهُ: عَرَفتَ أَنَّ اللَّهَ كَفَّرَ مَن قَصَدَ الأَصنَامَ، وَكَفَّرَ أَيضًا مَن قَصَدَ الصَّالِحِينَ وَقَاتَلَهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَإِن قَالَ: الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنهُم، وَأَنَا أَشهَدُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ المُدَبِّرُ، لَا أُرِيدُ إِلَّا مِنهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيسَ لَهُم مِنَ الأَمرِ شَيءٌ، وَلَكِن أَقصِدُهُم أَرجُو مِنَ اللَّهِ شَفَاعَتَهُم.

فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا قَولُ الكُفَّارِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، وَاقرَأ عَلَيهِ قَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]

وَقَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وَاعلَم: أنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلَاثَ هِيَ أكبَرُ مَا عِندَهُم، فَإِذَا عَرَفتَ أنَّ اللهَ وَضَّحَهَا لَنَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمتَهَا فَهمًا جَيِّدًا؛ فَمَا بَعدَهَا أيسَرُ مِنهَا.

فَإِن قَالَ: أنَا لَا أعبُدُ إلَّا الله، وَهَذَا الالتِجَاءُ إلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُم لَيسَ بِعِبَادَةٍ.

فَقُل لَهُ: أنتَ تُقِرُّ أنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيكَ إخلَاصَ العِبَادَةِ للهِ وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيكَ.

فَإِذَا قَالَ: نَعَم.

فَقُل لَهُ: بَيِّنْ لِي هَذَا الَّذِي فُرِضَ عَلَيكَ وَهُوَ إخلَاصُ العِبَادَةِ للهِ وَحدَهُ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيكَ.

فَإِن كان لَا يَعرِفُ العِبَادَةَ وَلَا أنوَاعَهَا، فَبَيِّنهَا لَهُ بِقَولِكَ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

فَإِذَا أعلَمتَهُ بِهَذَا، فَقُل لَهُ: هَل عَلِمتَ هَذهِ عِبَادَةً للهِ.

فَلَابُدَّ أن يَقُولَ: نَعَم. وَالدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ.

فَقُل لَهُ: إذَا أقرَرتَ أنَّهَا عِبادَةٌ لله، وَدَعَوتَ اللهَ لَيلًا وَنَهَارًا، خَوفًا وَطَمَعًا، ثمَّ دَعَوتَ فِي تِلكَ الحَاجَةِ نَبِيًّا أو غَيرَهُ، هَل أشرَكت فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيرَهُ؟

فَلَا بُدَّ أن يَقُولَ: نَعَم.

فَقُل لَهُ: فَإِذَا عَلِمتَ بِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢]. وَأطَعتَ الله وَنَحَرتَ لَهُ، هَل هَذَا عِبَادَةٌ؟

فَلَابُدَّ أن يَقُولَ: نَعَم.

فَقُل لَهُ: إذَا نَحَرتَ لِمَخلُوقٍ: نَبِيٍّ، أو جِنِّيٍّ أو غَيرِهِمَا، هَل أشرَكتَ فِي هَذِهِ العِبَادَةِ غَيرَ اللهِ؟

فَلَابُدَّ أن يُقِرَّ، وَيَقُولَ: نَعَم.

وَقُل لَهُ أَيضًا: المُشرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرآنُ، هَل كَانُوا يَعبُدُونَ المَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللَّاتَ وَغَيرَ ذَلِكَ؟

فَلَابُدَّ أَن يَقُولَ: نَعَم.

فَقُل لَهُ: وَهَل كَانَت عِبَادَتُهُم إِيَّاهُم إِلَّا فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبحِ وَالالتِجَاءِ وَنَحوِ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُم مُقِرُّون أَنَّهُم عَبِيدُهُ وَتَحتَ قَهرِهِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمرَ، وَلَكِن دَعَوهُم وَالتَجَئُوا إِلَيهِم لِلجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا.

فَإِن قَالَ: أَتُنكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبرأُ مِنهَا؟!

فَقُل: لَا أُنكِرُهَا وَلَا أَتَبَرَّأُ مِنهَا، بَل هُوَ ﷺ الشَّافِعُ وَالمُشَفَّعُ، وَأَرجُو شَفَاعَتَهُ، وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لله، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِن بَعدِ إِذنِ اللهِ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَلَا يَشفَعُ النَّبِيُّ فِي أَحَدٍ إِلَّا مِن بَعدِ أَن يَأذَنَ اللهُ فِيهِ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وَهُوَ لَا يَرضَىٰ إِلَّا التَّوحِيدَ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِن بَعدِ إِذنِهِ، وَلَا يَشفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّىٰ يَأذَنَ اللهُ فِيهِ، وَلَا يَأذَنُ إِلا لأَهلِ التَّوحِيدِ، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّها لِلهِ؛ فَاطلُبهَا مِنهُ، وَقُل: اللَّهُمَّ لَا تَحرِمنِي شَفَاعَتَهُ، اللَّهُمَّ شَفِّعهُ فِيَّ، وَأَمثَالُ هَذَا.

فَإِن قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطلُبُهُ مِمَّا أَعطَاهُ اللهُ؟

فَالجَوَابُ: أَنَّ اللهَ أَعطَاهُ الشَّفَاعَةَ وَنَهَاكَ عَن هَذَا، فَقَالَ: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨].

فَإِذَا كُنتَ تَدعُو اللَّهَ أَن يُشَفِّعَ نَبِيَّهُ فِيكَ فَأَطِعهُ فِي قَولِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

وَأَيضًا فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعطِيَهَا غَيرُ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَحَّ أَنَّ المَلَائِكَةَ يَشفَعُونَ، وَالأَولِيَاءَ يَشفَعُونَ، وَالأَفرَاط يَشفَعُونَ، أَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَعطَاهُمُ الشَّفَاعَةَ فَأَطلُبُهَا مِنهُم؟!

فَإِن قُلتَ هَذَا؛ رَجَعتَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ.

وَإِن قُلتَ: لَا؛ بَطَلَ قَولُكَ: «أَعطَاهُ اللَّهُ الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطلُبُهُ مِمَّا أَعطَاهُ اللَّه».

فَإِن قَالَ: أَنَا لَا أُشرِكُ بِاللَّهِ شَيئًا، حَاشَىٰ وَكَلَّا، وَلَكِنَّ الالتِجَاءَ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ لَيسَ بِشِركٍ.

فَقُل لَهُ: إِذَا كنتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّركَ أَعظَمَ مِن تَحرِيمِ الزِّنَا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللَّه لَا يَغفِرُهُ، فَمَا هَذَا الأَمرُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغفِرُهُ؟ فَإِنَّهُ لَا يَدرِي.

فَقُل لَهُ: كيفَ تُبَرِّئُ نَفسَكَ مِنَ الشِّركِ وَأَنتَ لَا تَعرِفُهُ؟ أَم كَيفَ يُحَرِّمُ اللَّهُ عَلَيكَ هَذَا، وَيَذكُرُ أَنَّهُ لَا يَغفِرُهُ وَلَا تَسأَلُ عَنهُ وَلَا تَعرِفُهُ؟

أَتَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُحَرِّمُهُ وَلَا يبيِّنُهُ لَنَا؟!

فَإِن قَالَ: الشِّركُ عِبَادَةُ الأَصنَامِ، وَنَحنُ لَا نَعبُدُ الأَصنَامَ.

فَقُل لَهُ: مَا مَعنَىٰ عِبَادَةِ الأَصنَامِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّهُم يَعتَقِدُونَ أَنَّ تِلكَ الأَخشَابَ وَالأَحجَارَ تَخلُقُ وَتَرزُقُ وَتُدَبِّرُ أَمرَ مَن دَعَاهَا؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ القُرآنُ.

وَإِن قَالَ: هُوَ مَن قَصَدَ خَشَبَةً، أَو حَجَرًا، أَو بِنيَةً عَلَىٰ قَبرٍ أَو غَيرِهِ، يَدعُونَ ذَلِكَ وَيَذبَحُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَىٰ اللَّهِ زُلفَىٰ، وَيَدفَعُ اللَّهُ عَنَّا بِبَرَكَتِهِ أَو يُعطِينَا بِبَرَكَتِهِ.

فَقُل: صَدَقتَ، وَهَذَا هُوَ فِعلُكُم عِندَ الأَحجَارِ وَالأَبنِيَةِ الَّتِي عَلَىٰ القُبُورِ وَغَيرِهَا.

فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعلَهُم هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصنَامِ فَهُوَ المَطلُوبُ.

وَيُقَالُ لَهُ أَيضًا: قَولُكَ: الشِّركُ عِبَادَةُ الأَصنَامِ، هَل مُرادُكَ أَنَّ الشِّركَ مَخصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الاعتِمَادَ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُم لَا يَدخُلُ فِي ذَٰلِكَ؟

فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ اللَّه فِي كِتَابِهِ مِن كفرِ مَن تَعَلَّقَ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ أَو عِيسَىٰ أَوِ الصَّالِحِينَ.

فَلَابُدَّ أَن يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَن أَشرَكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ لَهُوَ الشِّركُ المَذكُورُ فِي القُرآنِ؛ وَهَذَا هُوَ المَطلُوبُ.

وَسِرُّ المَسأَلَةِ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أُشرِكُ بِاللَّهِ.

فَقُل لَهُ: وَمَا الشِّركُ بِاللَّهِ؟ فَسِّرهُ لِي.

فَإِن قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصنَامِ.

فَقُل: وَمَا مَعنَىٰ عِبَادَةِ الأَصنَامِ؟ فَسِّرهَا لِي.

فَإِن قَالَ: أَنَا لَا أَعبُدُ إِلَّا اللَّهَ.

فَقُل: مَا مَعنَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ؟ فَسِّرهَا لِي.

فَإِن فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَهُ القُرآنُ؛ فَهُوَ المَطلُوبُ، وَإِن لَم يَعرِفهُ؛ فَكَيفَ يَدَّعِي شَيئًا وَهُوَ لَا يَعرِفُهُ؟!

وَإِن فَسَّرَ ذَلِكَ بِغَيرِ مَعنَاهُ بَيَّنتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ فِي مَعنَىٰ الشِّركِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الأَوثَانِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَفعَلُونَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَينِهِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنكِرُون عَلَينَا، وَيَصِيحُونَ كَمَا صَاحَ إِخوَانُهُم، حَيثُ قَالُوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ ﴾ [ص: ٥].

فَإِذا عَرَفتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشرِكُونَ فِي زَمَانِنَا «كَبِير الاعتِقَادِ» هُوَ الشِّركُ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ القُرآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيهِ، فَاعلَم أَنَّ شِركَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِن شِركِ أَهلِ زَمَانِنَا بِأَمرَينِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ لَا يُشْرِكُونَ وَلَا يَدْعُونَ المَلَائِكَةَ وَالأَوْلِيَاءَ وَالأَوْثَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا الشِّدَّةُ فَيُخْلِصُونَ للَّهِ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

فَمَن فَهِمَ هَذِهِ المَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَهِيَ أَنَّ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الضَّرَّاءِ وَالشِّدَّةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَنسَونَ سَادَتَهُم؛ تَبَيَّنَ لَهُ الفَرقُ بَينَ شِركِ أَهلِ زَمَانِنَا وَشِركِ الأَوَّلِينَ، وَلَكِن أَينَ مَن يَفهَمُ قَلبُهُ هَذِهِ المَسأَلَةَ فَهمًا رَاسِخًا، وَاللَّهُ المُستَعَانُ.

وَالأَمرُ الثَّانِي: أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدعُونَ مَعَ اللَّهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ عِندَ اللَّهِ: إِمَّا أَنبِيَاءَ، وَإِمَّا أَولِيَاءَ، وَإِمَّا مَلَائِكَةً، أَو يَدعُونَ أَشجَارًا، أَو أَحجَارًا مُطِيعَةً للَّهِ لَيسَت عَاصِيَةً.

وَأَهلُ زَمَانِنَا يَدعُونَ مَعَ اللَّهِ أُنَاسًا مِن أَفسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدعُونَهُم هُمُ الَّذِينَ يَحكُونَ عَنهُم الفُجُورَ مِنَ الزِّنا وَالسَّرِقَةِ وَتَركِ الصَّلَاةِ وَغَيرِ ذَلِكَ.

وَالَّذِي يَعتَقِد فِي الصَّالِحِ أَوِ الَّذِي لَا يَعصِي مِثلَ الخَشَبِ وَالحَجَرِ أَهوَنُ مِمَّن يَعتَقِدُ فِيمَن يُشَاهِدُ فِسقَهُ وَفَسَادَهُ وَيَشهَدُ بِهِ.

إِذَا تَحَقَّقتَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَحُّ عُقُولًا، وَأَخَفُّ شِركًا مِن هَؤُلَاءِ، فَاعلَم أَنَّ لِهَؤُلَاءِ شُبهَةً يُورِدُونَهَا عَلَىٰ مَا ذَكَرنَا وَهِيَ مِن أَعظَمِ شُبَهِهِم، فَأَصغِ سَمعَكَ لِجَوَابِهَا، وَهِيَ:

أَنَّهُم يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرآنُ لَا يَشهَدُونَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وَيُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ ﷺ، وَيُنكِرُونَ البَعثَ، وَيُكَذِّبُونَ القُرآنَ وَيَجعَلُونَهُ سِحرًا، وَنَحنُ نَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَنُصَدِّقُ القُرآنَ، وَنُؤمِنُ بِالبَعثِ، وَنُصَلِّي وَنَصُومُ، فَكَيفَ تَجعَلُونَنَا مِثلَ أُولَئِكَ؟!

فَالجَوَابُ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَينَ العُلَمَاءِ كُلِّهِم أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللَّه ﷺ فِي شَيءٍ وكَذَّبَهُ فِي شَيءٍ، أَنَّهُ كَافِرٌ لَم يَدخُل فِي الإِسلَامِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا آمنَ بِبَعضِ القُرآنِ وَجَحَدَ بَعضَهُ كَمَن أَقَرَّ بِالتَّوحِيدِ وَجَحَدَ وجُوبَ الصَّلَاةِ، أَو أَقَرَّ بِالتَّوحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وجُوبَ الزَّكَاةِ، أَو أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الصَّومِ، أَو أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الحَجَّ، وَلَمَّا لَم يَنقَد أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلحَجِّ أَنزَلَ اللَّهُ فِي حَقِّهِم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

وَمَن أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ البَعثَ كَفَرَ بِالإِجمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فَإِذَا كَانَ اللَّه قَد صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ مَن آمنَ بِبَعضٍ وَكَفَرَ بِبَعضٍ؛ فَهُوَ الكَافِرُ حَقًّا، زَالَت هَذِهِ الشُّبهَةُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعضُ أَهلِ الأَحسَاء فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرسَلَهُ إِلَينَا.

وَيُقَالُ أَيضًا: إِذَا كُنتَ تُقِرُّ أَنَّ مَن صَدَّقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي كُلِّ شَيءٍ، وَجَحَدَ

وجُوبَ الصَّلَاةِ؛ أَنَّهُ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ وَالمَالِ بِالإجمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيءٍ إِلَّا البَعثَ، وَكَذَلِكَ لَو جَحَدَ وجُوبَ صَومِ رَمَضَانَ، وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّه لَا تَختَلِفُ المَذَاهِبُ فِيهِ، وَقَد نَطَقَ بِهِ القرآنُ كمَا قَدَّمنَا.

فَمَعلُومٌ أَنَّ التَوحِيدَ هُوَ أعظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ أعظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّومِ، وَالحَجِّ، فَكَيفَ إِذَا جَحَدَ الإنسَانُ شَيئًا مِن هَذه الأُمُورِ كَفَرَ وَلَو عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَإِذَا جَحَدَ التَّوحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِم لَا يَكفُرُ؟!

سُبحَانَ اللَّه! مَا أعجَبَ هَذَا الجَهلَ!

وَيُقَالُ أَيضًا: هَؤلَاءِ أَصحَابُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَني حَنِيفَةَ، وَقَد أَسلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُم يَشهَدُونَ أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ وَيُؤَذِّنُونَ وَيُصَلُّونَ.

فَإِن قَالَ: إِنَّهُم يَقُولُونَ: إِنَّ مُسَيلَمَةَ نَبِيٌّ.

قُلنَا: هَذَا هُوَ المَطلُوبُ، إِذَا كَانَ مَن رَفَع رَجُلًا إِلَىٰ رُتبَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَفَرَ، وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَلَم تَنفَعهُ الشَّهَادَتَانِ وَلَا الصَّلَاةُ، فَكَيفَ بِمَن رَفَعَ شَمسَانَ أَو يُوسُفَ أَو صَحَابِيًّا أَو نَبِيًّا إِلَىٰ مَرتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ وَالأرضِ؟!

سُبحَانَ اللهِ! مَا أَعظَمَ شَأنَهُ! ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩﴾ [الروم: ٥٩].

وَيُقَالُ أَيضًا: الَّذِينَ حَرَّقَهُم عَلَيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ، كُلُّهُم يَدَّعُونَ الإِسلَامَ وَهُم مِن أَصحَابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، وَتَعَلَّمُوا العِلمَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَكِن اعتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ مِثلَ الاعتِقَادِ فِي يُوسُفَ وَشَمسَانَ وَأَمثَالِهِمَا، فَكَيفَ أَجمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ قَتلِهِم وَكُفرِهِم؟

أَتَظُنُّون أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُون المُسلِمِينَ؟

أَم تَظُنُّونَ أَنَّ الاعتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمثَالِهِ لَا يَضُرُّ، وَالاعتِقَادَ فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه يُكَفِّرُ؟!

وَيُقَالُ أَيضًا: بَنُو عُبَيدٍ القَدَّاحِ الَّذِينَ مَلَكُوا المَغرِبَ وَمصرَ فِي زَمَانِ بَنِي العَبَّاسِ، كُلُّهُم يَشهَدُونَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسلَامَ، وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ، فَلَمَّا أَظهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشيَاءَ دُونَ مَا نَحنُ فِيهِ؛ أَجمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كُفرِهِم وَقِتَالِهِم، وَأَنَّ بِلَادَهُم بِلَادُ حَربٍ، وَغَزَاهُمُ المُسلِمُونَ حَتَّىٰ استَنقَذُوا مَا بِأَيدِيهِم مِن بُلدَانِ المُسلِمِينَ.

وَيُقَالُ أَيضًا: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَم يَكفُرُوا إِلَّا لِأَنَّهُم جَمَعُوا بَينَ الشِّركِ وَتَكذِيبِ الرَّسُولِ وَالقُرآنِ، وَإِنكَارِ البَعثِ وَغَيرِ ذَلِكَ، فَمَا مَعنَىٰ البَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذهَبٍ: (بَابُ حُكمِ المُرتَدِّ)، وَهُوَ المُسلِمُ الَّذِي يَكفُرُ بَعدَ إِسلَامِهِ، ثُمَّ ذَكَرُوا أَنوَاعًا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوعٍ مِنهَا يُكَفِّرُ وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّىٰ أَنَّهُم ذَكَرُوا أَشيَاءَ يَسِيرَةً عِندَ مَن فَعَلَهَا، مِثلُ كَلِمَةٍ يَذكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلبِهِ، أَو كَلِمَةٍ يَذكُرُهَا عَلَىٰ وَجهِ المَزحِ وَاللَّعِبِ.

وَيُقَالُ أَيضًا: الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

أَمَا سَمِعتَ اللهَ كَفَّرَهُم بِكَلِمَةٍ مَعَ كَونِهِم فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ وَيُصَلُّونَ، وَيُزَكُّونَ وَيَحُجُّونَ، وَيُوَحِّدُونَ(١).

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾(٢) [التوبة: ٦٥، ٦٦].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ١٨٤-١٨٦).

(٢) قال الشيخ عبد الله البسام في تعليقه هنا ما نصه: وبهذه المناسبة يجدر بي أن أحذر بعض مغروري ناشئة المدارس من الاستهزاء بعلماء الدين وكتبه وعلومه، وألا يلتفتوا إلى ما يسمعون من بعض =

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ الله فِيهِم أَنَّهُم كفَرُوا بَعدَ إِيمَانِهِم وَهُم مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزوة تَبُوكَ، قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُم قَالُوهَا عَلَىٰ وَجهِ المَزحِ.

فَتَأَمَّل هَذِهِ الشُّبهَةَ وَهِيَ قَولُهُم: تكَفِّرُونَ مِنَ المُسلِمِينَ أُنَاسًا يَشهَدُونَ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ.

ثُمَّ تَأَمَّل جَوَابَهَا، فَإِنَّهُ مِن أَنفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَورَاقِ.

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيضًا: مَا حَكَىٰ اللَّهُ عَن بَنِي إِسرَائِيلَ مَعَ إِسلَامِهِم وَعِلمِهِم وَصَلَاحِهِم، أَنَّهُم قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وَقَولُ أُنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: «اجعَل لَنَا ذَاتَ أَنوَاطٍ...»؛ فَحَلَفَ النَّبِيُّ ﷺ، أَنَّ هَذَا نَظِيرُ قَولِ بَنِي إِسرَائِيلَ: اجعَل لَنَا إِلَهًا[1].

وَلَكِن لِلمُشرِكِينَ شُبهَةٌ يُدلُونَ بِهَا عِندَ هَذِهِ القِصَّةِ، وَهِيَ: أَنَّهم يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسرَائِيلَ لَم يَكفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قالوا لِلنَّبِيِّ ﷺ اجعَل لَنَا ذَاتَ أَنوَاطٍ. لَم يَكفرُوا.

فَالجَوَابُ أَن نَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسرَائِيلَ لَم يَفعَلُوا ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَم يَفعَلُوا ذَلِكَ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ بني إِسرَائِيلَ لَو فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا.

وَكَذَلِكَ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لَو لَم يُطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنوَاطٍ بَعدَ نَهيِهِ لَكَفَرُوا، وَهَذَا هُوَ المَطلُوبُ.

=

السفهاء، فإنه -مع الأسف- يوجد في بعض الشباب المتزندقين من يجاهر بالسخرية بشعائر الإسلام. ولاشك أن هذا أكبر من سخرية الذين كفَّرهم الله، ولم يقبل عذرهم بقوله: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ حينما قالوا كلمة بسيطة في ظاهر الأمر في بعض الصالحين علىٰ وجه المزاح، فالناصح يحاسب نفسه ويصون لسانه، والله الموفق اهـ.

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢١٨)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (٥٤٠٨).

وَلَكِن هَذِهِ القِصَّةُ تُفِيدُ: أَنَّ المُسلِمَ- بَلِ العَالِمَ- قَد يَقَعُ فِي أَنوَاعٍ مِنَ الشِّركِ لَا يَدرِي عَنهَا، فَتُفِيدُ التَّعَلُّمَ وَالتَّحَرُّزَ وَمَعرِفَةَ أَنَّ قَولَ الجَاهِلِ: «التَّوحِيدُ فَهِمنَاهُ!!» أَنَّ هَذَا مِن أَكبَرِ الجَهلِ وَمَكَايِدِ الشَّيطَانِ.

وَتُفِيدُ أَيضًا: أَنَّ المُسلِمَ المُجتَهِدَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامِ كُفرٍ، وَهُوَ لَا يَدرِي فَنُبِّهَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَتَابَ مِن سَاعَتِهِ، أَنَّهُ لَا يَكفُرُ كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسرَائِيلَ، وَالَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ.

وَتُفِيدُ أَيضًا: أَنَّهُ لَو لَم يَكفُر فَإِنَّهُ يُغلَّظُ عَلَيهِ الكَلَامُ تَغلِيظًا شَدِيدًا، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَلِلمُشرِكِينَ شُبهَةٌ أُخرَىٰ:

يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنكَرَ عَلَىٰ أُسَامَةَ قَتلَ مَن قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه» وَقَالَ لَهُ: «أَقَتَلتَهُ بَعدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ!»(١).

وَكَذَلِكَ قَولُهُ: «أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه»(٢). وَأَحَادِيثُ أُخرَىٰ فِي الكَفِّ عَمَّن قَالَهَا.

وَمُرَادُ هَؤُلَاءِ الجَهَلَةِ أَنَّ مَن قَالَهَا لَا يَكفُرُ، وَلَا يُقتَلُ وَلَو فَعَلَ مَا فَعَلَ.

فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ المُشرِكِينَ الجُهَّالِ:

مَعلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَ اليَهُودَ وَسَبَاهُم وَهُم يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه.

وَأَنَّ أَصحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَهُم يَشهَدُونَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وَيُصَلُّون وَيَدَّعُونَ الإِسلَامَ.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُم عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ بِالنَّارِ.

وَهَؤُلَاءِ الجَهَلَةُ مُقِرُّونَ أَنَّ مَن أَنكَرَ البَعثَ كَفَرَ وَقُتِلَ وَلَو قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

وَأَنَّ مَن جَحَدَ شَيئًا مِن أركانِ الإسلامِ كفَرَ وَقُتِلَ وَلَو قَالَهَا.

فَكَيفَ لَا تَنفَعُهُ إِذَا جَحَدَ فَرعًا مِنَ الفُرُوعِ، وَتَنفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوحِيدَ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ دينِ الرُّسُلِ وَرَأسُه؟!

وَلَكِنَّ أعدَاءَ اللَّهِ مَا فَهِمُوا مَعنَىٰ الأَحَادِيثِ:

فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ، فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا ادَّعَىٰ الإسلَامَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَىٰ الإسلَامَ إِلَّا خَوفًا عَلَىٰ دَمِهِ وَمَالِهِ، وَالرَّجُلُ إِذَا أَظهَرَ الإسلَامَ وَجَبَ الكَفُّ عَنهُ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ مِنهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ.

وَأَنزَلَ اللَّه تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]؛ أي: فَتَثَبَّتُوا.

فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ الكَفُّ عَنهُ وَالتَّثَبُّتُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ مِنهُ بَعدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الإسلَامَ قُتِلَ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ وَلَو كَانَ لَا يُقتَلُ إِذَا قَالَهَا لَم يَكُن لِلتَّثَبُّتِ مَعنًىٰ.

وَكَذَلِكَ الحَدِيثُ الآخَرُ وَأَمثَالُهُ مَعنَاهُ مَا ذَكَرنَاهُ: أَنَّ مَن أَظهَرَ التَّوحِيدَ وَالإسلَامَ وَجَبَ الكَفُّ عَنهُ إِلَىٰ أَن يَتَبَيَّنَ مِنهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقَتَلتَهُ بَعدَمَا قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه؟!»[1].

وَقَالَ: «أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه»[2].

هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الخَوَارِجِ: «أَينَمَا لَقِيتُمُوهُم فَاقتُلُوهُم؛ لَئِن أَدرَكتُهُم لأَقتُلَنَّهُم قَتلَ عَادٍ»[3]. مَعَ كَونِهِم مِن أَكثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهلِيلًا وَتَسبِيحًا، حَتَّىٰ أَنَّ الصَّحَابَةَ

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦).

يَحقِرُونَ صَلَاتَهُم عِندَهُم، وَهُم تَعَلَّمُوا العِلمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَم تَنفَعْهُم لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلَا كَثرَةُ العِبَادَةِ، وَلَا ادِّعَاءُ الإِسلَامِ لَمَّا ظَهَرَ مِنهُم مُخَالَفَةُ الشرِيعَةِ.

وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرنَاهُ مِن قِتَالِ اليَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ بَنِي حَنِيفَةَ.

وَكَذَلِكَ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَن يَغزُوَ بَنِي المُصطَلَقِ لَمَّا أَخبَرَهُ رَجُل أَنَّهُم مَنَعُوا الزَّكَاةَ، حَتَّىٰ أَنزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]. وَكَانَ الرَّجُل كَاذِبًا عَلَيهِم.

وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَحَادِيثِ الَّتِي احتَجُّوا بِهَا مَا ذَكَرنَاهُ.

وَلَهُم شُبهَةٌ أُخرَىٰ: وَهُو مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَن النَّاسَ يَومَ القِيَامَة يَستَغِيثُون بِآدَمَ، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَىٰ، ثُمَّ بِعِيسَىٰ، فَكُلُّهُم يَعتَذِرُونَ حَتَّىٰ يَنتَهُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالُوا: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الاستِغَاثَةَ بِغَيرِ اللَّهِ لَيسَت شِركًا.

وَالجَوَابُ: أَن نَقُولَ: سُبحَانَ مَن طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَعدَائِهِ! فَإِنَّ الاستِغَاثَةَ بِالمَخلُوقِ فِيمَا يَقدِرُ عَلَيهِ لَا نُنكِرُهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

وَكَمَا يَستَغِيثُ الإِنسَانُ بِأَصحَابِهِ فِي الحَربِ أَو غَيرِهِ فِي أَشيَاءَ يَقدِرُ عَلَيهَا المَخلُوقُ، وَنَحنُ أَنكَرنَا استِغَاثَةَ العِبَادَةِ الَّتِي يَفعَلُونَهَا عِندَ قُبُورِ الأَولِيَاءِ، أَو فِي غَيبَتِهِم فِي الأَشيَاءِ الَّتِي لَا يَقدِرُ عَلَيهَا إِلَّا اللهُ.

إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ، فَاستِغَاثَتُهُم بِالأَنبِيَاءِ يَومَ القِيَامَةِ يُرِيدُونَ مِنهُم أَن يَدعُوا اللَّهَ أَن يُحَاسِبَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَستَرِيحَ أَهلُ الجَنَّةِ مِن كَربِ المَوقِفِ.

وَهَذَا جَائِز فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَن تَأتِيَ عِندَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ يُجَالِسُكَ، وَيَسمَعُ كَلَامَكَ، فَتَقُولَ لَهُ: ادعُ اللَّهَ لِي. كَمَا كَانَ أَصحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسأَلُونَهُ

ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ.

وَأَمَّا بَعدَ مَوتِهِ فَحَاشَىٰ وَكَلَّا أَنَّهُم سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِندَ قَبرِهِ؛ بَل أَنكَرَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَلَىٰ مَن قَصَدَ دعَاءَ اللهِ عِندَ قَبرِهِ، فَكَيفَ بِدُعَائِهِ نَفسِهِ!!

وَلَهُم شُبهَةٌ أُخرَىٰ: وَهِيَ قِصَّةُ إِبرَاهِيمَ لَمَّا أُلقِيَ فِي النَّارِ اعتَرَضَ لَهُ جِبرِيلُ فِي الهَوَاءِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَال إِبرَاهِيمُ: أَمَّا إِلَيكَ فَلَا.

قَالُوا: فَلَو كانَتِ الاستِغَاثَةُ بِجِبرِيلَ شِركًا لَم يَعرِضهَا عَلَىٰ إِبرَاهِيمَ!

فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِن جِنسِ الشُّبهَةِ الأُولَىٰ؛ فَإِنَّ جِبرِيلَ عَرَضَ عَلَيهِ أَن يَنفَعَهُ بِأَمرٍ يَقدِرُ عَلَيهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥].

فَلَو أَذِنَ اللهُ لَهُ أَن يَأخُذَ نَارَ إِبرَاهِيمَ وَمَا حَولَهَا مِنَ الأَرضِ وَالجِبَالِ وَيُلقِيهَا فِي المَشرِقِ أَوِ المَغرِبِ لَفَعَلَ، وَلَو أَمَرَهُ أَن يَضَعَ إِبرَاهِيمَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنهُم لَفَعَلَ، وَلَو أَمَرَهُ أَن يَرفَعَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ لَفَعَلَ.

وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، يَرَىٰ رَجُلًا مُحتَاجًا فَيَعرِضُ عَلَيهِ أَن يُقرِضَهُ، أَو أَن يَهَبَهُ شَيئًا يَقضِي بِهِ حَاجَتَهُ، فَيَأبَىٰ ذَلِكَ الرَّجُلُ المُحتَاجُ أَن يَأخُذَ، وَيَصبِرُ إِلَىٰ أَن يَأتِيَهُ اللهُ بِرِزقٍ لَا مِنَّةَ فِيهِ لِأَحَدٍ، فَأَينَ هَذَا مِنَ استِغَاثَةِ العِبَادَةِ وَالشِّركِ لَو كَانُوا يَفقَهُونَ؟!

وَلنَختِمِ الكَلَامَ- إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ- بِمَسأَلَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ جِدًّا تُفهَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ، وَلَكِن نُفرِدُ لَهَا الكَلَامَ لِعِظَمِ شَأنِهَا، وَلِكَثرَةِ الغَلَطِ فِيهَا.

فَنَقُولُ: لَا خِلَافَ أَنَّ التَّوحِيدَ لَا بُدَّ أَن يَكُونَ بِالقَلبِ وَاللِّسَانِ وَالعَمَلِ، فَإِنِ اختَلَّ شَيءٌ مِن هَذَا لَم يَكُنِ الرَّجُلُ مُسلِمًا، فَإِن عَرَفَ التَّوحِيدَ وَلَم يَعمَل بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ كَكُفرِ فِرعَونَ وَإِبلِيسَ وَأَمثَالِهِمَا.

وَهَذَا يَغلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَقُولُونَ: هَذَا حَقٌّ، وَنَحنُ نَفهَمُ هَذَا، وَنَشهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ، وَلَكِنَّا لَا نَقدِرُ أَن نَفعَلَهُ، وَلَا يَجُوزُ عِندَ أَهلِ بَلَدِنَا إِلَّا مَن وَافَقَهُم، وَغَيرُ ذَلِكَ

مِنَ الأعذَارِ.

وَلَم يَدرِ المِسكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الكُفرِ يَعرِفُونَ الحَقَّ، وَلَم يَترُكُوهُ إِلَّا لِشَيءٍ مِنَ الأعذَارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩]. وَغَيرُ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، كَقَولِهِ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

فَإِن عَمِلَ بِالتَّوحِيدِ عَمَلًا ظَاهِرًا وَهُوَ لَا يَفهَمُهُ، أَو لَا يَعتَقِدُهُ بِقَلبِهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الكَافِرِ الخَالِصِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وَهَذِهِ المَسأَلَةُ كَبِيرَةٌ وَطَوِيلَةٌ تَتَبَيَّنُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلتَهَا فِي أَلسِنَةِ النَّاسِ تَرَىٰ مَن يَعرِفُ الحَقَّ وَيَترُكُ العَمَلَ بِهِ لِخَوفِ نَقصِ دُنيَا، أَوجَاهٍ، أَو مُدَارَاةً لأَحَدٍ.

وَتَرَىٰ مَن يَعمَلُ بِهِ ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا، فَإِذَا سَأَلتَهُ عَمَّا يَعتَقِدُهُ بِقَلبِهِ فَإِذَا هُوَ لَا يَعرِفُه، وَلَكِن عَلَيكَ بِفَهمِ آيَتَينِ مِن كِتَابِ اللهِ:

أُولاهُمَا: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فَإِذَا تَحَقَّقتَ أَنَّ بَعضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوا الرُّومَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجهِ المَزحِ وَاللَّعِبِ، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالكُفرِ، أَو يَعمَلُ بِهِ خَوفًا مِن نَقصِ مَالٍ، أَو جَاهٍ، أَو مُدَارَاةٍ لأَحَدٍ أَعظَمُ مِمَّن يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَمزَحُ بِهَا.

وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦، ١٠٧].

فَلَم يَعذُرِ اللهُ مِن هَؤلَاءِ إِلَّا مَن أُكرِهَ مَعَ كَونِ قَلبِهِ مُطمَئِنًّا بِالإِيمَانِ.

وَأَمَّا غَيرُ هَذَا فَقَد كَفَرَ بَعدَ إِيمَانِهِ سَوَاءٌ فَعَلَهُ خَوفًا، أَو مُدَارَاةً، أَو مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ

أو أهلِهِ أو عَشِيرَتِهِ أو مَالِهِ، أو فَعَلَهُ عَلَىٰ وَجهِ المَزحِ، أو لِغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَغرَاضِ إِلَّا المُكرَهَ.

فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا مِن جِهَتَينِ:

الأُولَىٰ: قَولُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ فَلَم يَستَثنِ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَّا المُكرَهَ.

وَمَعلُومٌ: أَنَّ الإِنسَانَ لَا يُكرَهُ إِلَّا عَلَىٰ الكَلَامِ أَوِ الفِعلِ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ القَلبِ فَلَا يُكرَهُ عَلَيهَا أَحَد.

وَالثَّانِيَةُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]، فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الكُفرَ وَالعَذَابَ لَم يَكُن بِسَبَبِ الاعتِقَادِ، أَوِ الجَهلِ، أَوِ البُغضِ لِلدِّينِ، أو مَحَبَةِ الكفرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظًّا مِن حُظُوظِ الدُّنيَا فَآثَرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ.

وَاللهُ ﷻ أعلَمُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ.

* * *

٣٠- نواقض الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ-:

* اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِض:

الأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ الله تعالىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَمِنْهُ: الذَّبْحُ لِغَيْرِ الله، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ.

الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ، يَدْعُوهُمْ، ويَسْأَلُهُمْ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ، كَفَرَ إِجْمَاعًا.

الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكفِّرِ المُشْرِكِينَ، أو شَك فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ؛ كَفَرَ.

الرَّابِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ، كَالَّذِي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكْمِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ.

الخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ -وَلَوْ عَمِلَ بِهِ-؛ كَفَرَ.

السَّادِسُ: مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ ثَواب الله، أَوْ عِقَابِهِ؛ كَفَرَ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

السَّابِعُ: السِّحْرُ - وَمِنْهُ: الصَّرْفُ وَالعَطْفُ -، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ، كَفَرَ،

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ المُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

التَّاسِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَما وَسِعَ الخَضِرُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَىٰ ﷺ، فَهُوَ كَافِرٌ.

العَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

* وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الهَازِلِ وَالجَادِّ وَالخَائِفِ، إِلَّا المُكْرَه.

وَكلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ ما يَكُونُ خَطَرًا، وَمِنْ أَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ.

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

* * *

٣١- تفسير كلمة التوحيد

سُئِلَ الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ- عَن مَعنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه)، فَأَجَابَ بِقَولِهِ: اعلَم- رَحِمَكَ اللَّه تَعَالَىٰ- أَنَّ هَذِهِ الكَلِمَةَ هِيَ الفَارِقَةُ بَينَ الكُفرِ وَالإِسلَامِ.

وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقوَىٰ، وَهِيَ العُروَةُ الوُثقَىٰ، وَهِيَ الَّتِي جَعَلَهَا إِبرَاهِيمُ ﷺ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ.

وَلَيسَ المُراد قَولَهَا بِاللِّسَانِ مَعَ الجَهلِ بِمَعنَاهَا.

فَإِنَّ المُنَافِقِينَ يَقُولُونَهَا وَهُم تَحتَ الكُفَّارِ ﴿فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

مَعَ كَونِهِم يُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ.

وَلَكِنَّ المُرَادَ قَولُهَا مَعَ مَعرِفَتِهَا بِالقَلبِ، وَمَحَبَّتِهَا وَمَحَبَّةِ أَهلِهَا وَبُغضِ مَن خَالَفَهَا وَمُعَادَاتِهِ.

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَن قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخلِصًا»[١]، وَفِي رِوَايَةٍ: «خَالِصًا مِن قَلبِهِ»[٢]، وَفِي رِوَايَةٍ: «صَادِقًا مِن قَلبِهِ»[٣]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «مَن قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعبَدُ مِن دُونِ اللَّهِ»[٤].

إِلَى غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ جَهَالَةِ أَكثَرِ النَّاسِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ.

فَاعلَم أَنَّ هَذِهِ الكَلِمَةَ نَفيٌ وَإِثبَاتٌ؛ نَفيُ الإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ مِنَ

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٤٨).
(٢) أخرجه البخاري (٩٩).
(٣) أخرجه البخاري (١٢٨).
(٤) أخرجه مسلم (٢٣).

المُرسَلِينَ حَتَّىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِنَ المَلَائِكَةِ حَتَّىٰ جِبرِيلَ، فَضلًا عَن غَيرِهِمَا مِنَ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِثبَاتُهَا للَّهِ ﷻ.

إِذَا فَهِمتَ ذَلِكَ فَتَأَمَّل الألوهِيَّةَ الَّتِي أَثبَتَهَا اللَّه تَعَالَىٰ لِنَفسِهِ، وَنَفَاهَا عَن مُحَمَّدٍ ﷺ وَجِبرِيلَ، وَغَيرِهِمَا أَن يَكُونَ لَهُم مِنهَا مِثقَالُ حَبَّةٍ مِن خَردَلٍ.

فَاعلَم أَنَّ هَذِهِ الأُلوهِيَّةَ هِيَ التِي تُسَمِّيهَا العَامَّةُ فِي زَمَانِنَا السِّرَّ وَالوِلَايَةَ.

وَالإِلَهُ مَعنَاهُ: الوَلِيُّ الَّذِي فِيهِ السِّرُّ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ: الفَقِيرَ وَالشَّيخَ!! وَتَسمِيَةُ العَامَّةِ: السَّيِّدَ... وَأَشبَاهَ هَذَا.

وَذَلِكَ أَنَّهُم يَظُنُّونَ أَنَّ الله جَعَلَ لِخَوَاصِّ الخَلقِ عِندَهُ مَنزِلَةً يَرضَىٰ أَن يَلتَجِئَ الإِنسَانُ إِلَيهِم، وَيَرجُوَهُم وَيَستَغِيثَ بِهِم، وَيَجعَلَهُم وَاسِطَةً بَينَهُ وَبَينَ اللَّهِ.

فَالَّذِينَ يَزعُمُ أَهلُ الشِّركِ فِي زَمَانِنَا أَنَّهُم وَسَائِطُهُم هُمُ الَّذِينَ يُسَمِّيهِمُ الأَوَّلُونَ: الآلِهَةَ، وَالوَاسِطَةُ هِيَ: الإِلَهُ.

فَقَولُ الرَّجُلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه» إِبطَالٌ لِلوَسَائِطِ.

وَإِذَا أَرَدتَ أَن تَعرِفَ هَذَا مَعرِفَةً تَامَّةً؛ فَذَلِكَ بِأَمرَينِ:

الأَوَّلُ: أَن تَعرِفَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللَّه ﷺ وَقَتَلَهُم وَأَبَاحَ أَموَالَهُم وَاستَحَلَّ نِسَاءَهُم، كَانُوا مُقِرِّينَ للَّه سُبحَانَهُ بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيةِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَخلُقُ وَلَا يَرزُقُ وَلَا يُحيِي وَلَا يُمِيتُ وَلَا يُدَبِّرُ الأُمُورَ إِلَّا اللَّه وَحدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

وَهَذِهِ مَسأَلَةٌ عَظِيمَةٌ جَلِيلَةٌ مُهِمَّةٌ، وَهِيَ أَن تَعرِفَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللَّه ﷺ شَاهِدُونَ بِهَذَا كلِّهِ، وَمُقِرُّونَ بِهِ، وَمَعَ هَذَا لَم يدخِلهُم ذَلِكَ فِي الإِسلَامِ، وَلَم يُحَرِّم دِمَاءَهُم وَلَا أَموَالَهُم، وَكَانُوا أَيضًا يَتَصَدَّقُونَ وَيَحُجُّونَ وَيَعتَمِرُونَ وَيَتَعَبَّدُونَ وَيَترُكُونَ أَشيَاءَ مِنَ المُحَرَّمَاتِ خَوفًا مِنَ اللَّهِ ﷻ.

وَلَكِنَّ الأمرَ الثَّانِي: هُوَ الَّذِي كَفَّرَهُم وَأَحَلَّ دِمَاءَهُم وَأَموَالَهُم، وَهُوَ أَنَّهُم لَم يَشهَدُوا للهِ بِتَوحِيدِ الألوهِيةِ، وَتَوحِيدِ الرُّبُوبِيةِ: وَهُوَ أَلَّا يُدعَىٰ وَلَا يُرجَىٰ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَلَا يُستَغَاثَ بِغَيرِهِ وَلَا يُذبَحَ لِغَيرِهِ، وَلَا يُنذَرَ لِغَيرِهِ، لَا لِمَلَكٍ مُقَرَّب وَلَا نَبِيٍّ مرسَلٍ.

فَمَنِ استَغَاثَ بِغَيرِهِ فَقَد كَفَرَ، وَمَن ذَبَحَ لِغَيرِهِ فَقَد كَفَرَ، وَمَن نَذَرَ لِغَيرِهِ فَقَد كَفَرَ، وأَشبَاهُ ذَلِكَ.

وَتَمَامُ هَذَا أَن تَعرِفَ أَنَّ المُشرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ كَانُوا يَدعُونَ الصَّالِحِينَ مِثلَ المَلَائِكَةِ وَعِيسَىٰ وَأُمِّهُ وَعُزَيرًا، وَغَيرَهُم مِنَ الأَولِيَاءِ، فَكَفَرُوا بِهَذَا مَعَ إِقرَارِهِم بِأَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ.

إِذَا عَرَفتَ هَذَا؛ عَرَفتَ مَعنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَعَرَفتَ أَنَّ مَن نَخَّىٰ نَبِيًّا أَو مَلَكًا أَو نَدَبَهُ أَوِ استَغَاثَ بِهِ فَقَد خَرَجَ مِنَ الإِسلَامِ، وَهَذَا هُوَ الكُفرُ الَّذِي قَاتَلَهُم عَلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَإِن قَالَ قَائِلٌ مِنَ المُشرِكِينَ: نَحنُ نَعرِفُ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، لَكِن هَؤُلَاءِ الصَّالِحُونَ مقرَّبُونَ، وَنَحنُ نَدعُوهُم وَنَنذِرُ لَهُم وَنَدخُلُ عَلَيهِم وَنَستَغِيثُ بِهِم، وَنُرِيدُ بِذَلِكَ الوَجَاهَةَ وَالشَّفَاعَةَ، وَإِلَّا فَنَحنُ نَفهَمُ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ.

فَقُل: كَلَامُكَ هَذَا مَذهَبُ أَبِي جَهلٍ وَأَمثَالِهِ.

فَإِنَّهُم يَدعُونَ عِيسَىٰ وَعُزَيرًا وَالمَلَائِكَةَ وَالأَولِيَاءَ، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[يونس: ١٨].

فَإِذَا تَأَمَّلتَ هَذَا تَأَمُّلًا جيدًا، وَعَرَفتَ أَنَّ الكُفَّارَ يَشهَدُونَ للهِ بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيةِ وَهُوَ تَفَرُّدُهُ بِالخَلقِ وَالرِّزقِ وَالتَّدبِيرِ، وَهُم يَنخُونَ عِيسَىٰ وَالمَلَائِكَةَ وَالأَولِيَاءَ يَقصِدُونَ أَنَّهُم يُقَرِّبُونَهم إِلَىٰ اللهِ زُلفَىٰ، وَيَشفَعُونَ لَهُم عِندَه، وَعَرَفتَ أَنَّ مِنَ الكُفارِ- خُصُوصًا النَّصَارَىٰ مِنهُم- مَن يَعبُدُ اللهَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ، وَيَزهَد فِي الدّنيَا، وَيتَصَدَّقُ بمَا دَخَلَ عَلَيهِ منهَا، معتَزِلًا فِي صَومَعَةٍ عَنِ النَّاسِ وَهُوَ مَعَ هَذَا كَافِر عَدُوٌّ لله، مُخَلَّد فِي النَّارِ بِسَبَبِ اعتِقَادِهِ فِي عِيسَىٰ أو غَيرِهِ مِنَ الأَولِيَاءِ، يَدعُوهُ أَو يَذبَحُ لَهُ أَو يَنذِرُ لَهُ، تَبَيَّنَ لَكَ كَيفَ صِفَةُ الإِسلَامِ الَّذِي دَعَا إِلَيهِ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنهُ بِمَعزِلٍ، وَتَبَيَّنَ لَكَ مَعنَىٰ قَولِهِ ﷺ : «بَدَأَ الإِسلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ»[1] .

فَاللَّهَ اللَّهَ يَا إِخوَانِي، تَمَسَّكُوا بِأَصلِ دِينِكُم، وَأَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَأُسِّهِ وَرَأسِهِ؛ شَهَادَةِ «أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه».

وَاعرِفوا مَعنَاهَا، وَأَحِبُّوهَا وَأَحِبُّوا أَهلَهَا، وَاجعَلُوهُم إِخوَانَكُم وَلَو كَانُوا بَعِيدِينَ.

وَاكفُرُوا بِالطَّوَاغِيتِ، وَعَادُوهُم وَابغِضُوهُم، وَأَبغِضُوا مَن أَحَبَّهُم أَو جَادَلَ عَنهُم، أَو لَم يُكَفِّرهُم.

أَو قَالَ: مَا عَلَيَّ مِنهُم، أَو قَالَ: مَا كَلَّفَنِي اللَّه بِهِم، فَقَد كَذَبَ هَذَا عَلَىٰ اللَّه وَافتَرَىٰ، فَقَد كَلَّفَهُ اللَّه تَعَالَىٰ بِهِم، وَافتَرَضَ عَلَيهِ الكُفرَ بِهِم وَالبَرَاءَةَ مِنهُم، وَلَو كَانُوا إِخوَانَهُم وَأَولَادَهُم.

فَاللَّهَ اللَّهَ يَا إِخوَانِي، تَمَسَّكُوا بِذَلِكَ لَعَلَّكُم تَلقَونَ رَبَّكم وَأَنتُم لَا تُشرِكُونَ بِهِ شَيئًا.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦).

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسلِمِينَ وَألحِقنَا بِالصَّالِحِينَ.

وَلنَختِمِ الكَلَامَ بِآيَةٍ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ تُبَيِّنُ لَكَ أَنَّ كُفرَ المُشرِكِينَ مِن أهلِ زَمَانِنَا أعظَمُ مِن كُفرِ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

فَقَد ذَكَرَ اللهُ عَنِ الكُفَّارِ أَنَّهُم إِذَا مَسَّهُمُ الضُّرُّ تَرَكُوا السَّادَةَ وَالمَشَايِخَ فَلَم يَدعُوا أَحَدًا مِنهُم، وَلَم يَستَغِيثُوا بِهِ، بَل يُخلِصُونَ للهِ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَستَغِيثُونَ بِهِ وَحدَهُ، فَإِذَا جَاءَ الرَّخَاءُ أَشرَكُوا.

وَأنتَ تَرَىٰ المُشرِكِينَ مِن أهلِ زَمَانِنَا، وَلَعَلَّ بَعضَهُم يَدَّعِي أَنَّهُ مِن أهلِ العِلمِ، وَفِيهِ زُهد وَاجتِهَادٌ وَعِبَادَةٌ، إِذَا مَسَّهُ الضرُّ قَامَ يَستَغِيثُ بِغَيرِ اللهِ؛ مِثلَ: مَعرُوفٍ أَو عَبدِ القَادِرِ الجِيلَانِيِّ، وَأَجَلُّ مِن هَؤلَاءِ، مِثلَ: زَيدِ بنِ الخَطَّابِ وَالزُّبَيرِ، وَأَجَلُّ مِن هَؤلَاءِ؟ مِثلَ: رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاللهُ المُستَعَانُ.

وَأعظَمُ مِن ذَلِكَ وَأطَمُّ أَنَّهُم يَستَغِيثُونَ بِالطَّوَاغِيتِ وَالكَفَرَةِ وَالمَرَدَةِ، مِثلَ: شَمسَانَ، وَإِدرِيسَ - وَيُقَالُ لَهُ: الأَشقَرُ -، وَيُوسُفَ وَأَمثَالِهِم.

وَاللهُ ﷻ أعلَمُ.

وَالحَمدُ للهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ... آمِينَ.

* * *

٣٢- عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب

قَالَ شَيخُ الإسلامِ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ- فِي رِسَالَتِهِ إِلَىٰ أَهلِ القَصِيمِ لَمَّا سَأَلُوهُ عَن عَقِيدَتِهِ:

بسم الله الرحمن الرحيم

أَشهِدُ اللَّهَ وَمَن حَضَرَنِي مِنَ المَلَائِكَةِ، وَأُشهِدُكُم أَنِّي أَعتَقِدُ مَا اعتَقَدَتهُ الفِرقَةُ النَّاجِيَةُ، أَهلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

مِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعثِ بَعدَ المَوتِ، وَالإِيمَانِ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ فِي كِتَابِهِ، عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ مِن غَيرِ تَحرِيفٍ، وَلَا تَعطِيلٍ.

بَل أَعتَقِدُ أَن اللَّه ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]. فَلَا أَنفِي عَنهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ، وَلَا أُحَرِّفُ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ، وَلَا أُلحِدُ فِي أَسمَائِهِ وَآيَاتِهِ.

وَلَا أُكَيِّفُ وَلَا أُمَثِّلُ صِفَاتِهِ تَعَالَىٰ بِصِفَاتِ خَلقِهِ؛ لأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلقِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبحَانَهُ أَعلَمُ بِنَفسِهِ وَبِغَيرِهِ، وَأَصدَقُ قِيلًا وَأَحسَنُ حَدِيثًا.

فَنَزَّهَ نَفسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المُخَالِفُونَ من أهلِ التَّكيِيفِ وَالتَّمثِيلِ، وَعَما نَفَاهُ عَنهُ النَّافون مِن أهلِ التَّحرِيفِ وَالتَّعطِيلِ، فَقَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠- ١٨٢].

وَالفِرقةُ النَّاجِيةُ وَسَطٌ فِي بَابِ أفعَالِهِ تَعَالَىٰ بَينَ القَدَرِيَّةِ وَالجَبرِيَّةِ.

وَهُم فِي بَاب وَعِيدِ اللهِ بَينَ المُرجِئَةِ وَالوَعِيدِيَّةِ.

وَهُم وَسَطٌ فِي بَابِ الإيمَانِ وَالدِّينِ بَينَ الحَرُورِيَّةِ وَالمُعتَزِلَةِ، وَبَينَ المُرجِئَةِ وَالجَهمِيَّةِ، وَهُم وَسَطٌ فِي بَابِ أصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَينَ الرَّوَافِضِ وَالخَوَارِجِ.

وَأعتَقِدُ أنَّ القُرآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّل غَيرُ مَخلُوقٍ.

مِنهُ بَدَأَ وَإِلَيهِ يَعُودُ، وَأنَّهُ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً.

وَأنزَلَهُ عَلَىٰ عَبدِهِ وَرَسُولِهِ وَأمِينِهِ عَلَىٰ وَحيِهِ، وَسَفِيرِهِ بَينَهُ وَبَينَ عِبَادِهِ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَأُؤمِنُ بِأنَّ اللهَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَلَا يَكُونُ شَيءٌ إِلَّا بِإرَادَتِهِ، وَلَا يَخرُجُ شَيءٌ عن مَشِيئَتِهِ، وَلَيسَ شَيءٌ فِي العَالَمِ يَخرُجُ عَن تَقدِيرِهِ، وَلَا يَصدُرُ إِلَّا عَن تَدبِيرِهِ.

وَلَا مَحِيدَ لأحَدٍ عَنِ القَدَرِ المَحدُودِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ لَهُ فِي اللَّوحِ المَسطُورِ.

وَأعتَقِدُ الإيمَانَ بِكُلِّ مَا أخبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعدَ المَوتِ.

فَأُومِنُ بِفِتنَةِ القَبرِ وَنَعِيمِهِ.

وَبِإعَادَةِ الأروَاحِ إِلَىٰ الأجسَادِ.

تَدنُو مِنهُمُ الشَّمسُ.

وَتُنصَبُ المَوَازِينُ، وَتُوزَنُ بِهَا أعمَالُ العِبَادِ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢- ١٠٣]

وَتُنشَرُ الدَّوَاوِينُ.

فَآخِذ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ.

وَأُومِنُ بِحَوضِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِعَرصَةِ القِيَامَةِ، مَاؤُهُ أشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ،

وَأَحلَىٰ مِنَ العَسَلِ آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَن شَرِبَ مِنهُ شَربَةً؛ لَم يَظمَأ بَعدَهَا أَبَدًا.

وَأومِنُ بِأَنَّ الصِّرَاطَ مَنصُوبٌ عَلَىٰ شَفِيرِ جَهَنَّمَ، يَمُرُّ بِهِ النَّاسُ عَلَىٰ قَدرِ أَعمَالِهِم.

وَأُومِنُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ.

وَلَا يُنكِرُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا أَهلُ البِدَعِ وَالضَّلَالِ، وَلَكِنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مِن بَعدِ الإِذنِ وَالرِّضَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

وَهُوَ لَا يَرضَىٰ إِلَّا التَّوحِيدَ، وَلَا يَأذَنُ إِلَّا لِأَهلِهِ، وَأَمَّا المُشرِكُونَ فَلَيسَ لَهُم مِنَ الشَّفَاعَةِ نَصِيبٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

وَأُومِنُ بِأَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخلُوقَتَانِ، وَأَنَّهُمَا اليَومَ مَوجُودَتَانِ، وَأَنَّهُمَا لَا يَفنَيَانِ.

وَأَنَّ المُؤمِنِينَ يَرَونَ رَبَّهُم بِأَبصَارِهِم يَومَ القِيَامَةِ، كَمَا يَرَونَ القَمَرَ لَيلَةَ البَدرِ لَا يُضَامُّونَ فِي رُؤيَتِهِ.

وَأُومِنُ بِأَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالمُرسَلِينَ، وَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبدٍ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِرِسَالَتِهِ وَيَشهَدَ بِنُبُوَّتِهِ.

وَإِنَّ أَفضَلَ أُمَّتِهِ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الفَارُوقُ، ثُمَّ عُثمَانُ ذُو النُّورَينِ، ثُمَّ عَلِيٌّ المُرتَضَىٰ، ثُمَّ بَقِيَّةُ العَشَرَةِ، ثُمَّ أَهلُ بَدرٍ، ثُمَّ أَهلُ الشَّجَرَةِ أَهلُ بَيعَةِ الرِّضوَانِ، ثُمَّ سَائِرُ الصَّحَابَةِ- رَضِيَ اللهُ عَنهُم وَأَرضَاهُم-.

وَأَتَوَلَّىٰ أَصحَابَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ وَرَضِيَ اللهُ عَنهُم -، وَأَذكُرُ مَحَاسِنَهُم، وَأَتَرَضَّىٰ عَنهُم، وَأَستَغفِرُ لَهُم، وَأَكُفُّ عَن مَسَاوِيهِم، وَأَسكُتُ عَمَّا شَجَرَ بَينَهُم، وَأَعتَقِدُ فَضلَهُم، عَمَلًا بِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا

ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

وَأَتَرَضَّىٰ عَن أمهاتِ المُؤمِنِينَ المُطَهَّرات مِن كُلِّ سُوءٍ.

وَأُقِرُّ بِكَرَامَاتِ الأولِيَاءِ، وَمَا لَهُم مِنَ المُكَاشَفَاتِ.

إِلَّا أَنَّهُم لَا يَستَحِقُّونَ مِن حَقِّ اللَّهِ تَعَالَىٰ شَيئًا، وَلَا يُطلَبُ مِنهُم مَا لَا يَقدِرُ عَلَيهِ إِلَّا اللهُ.

وَلَا أَشهَدُ لأَحَدٍ مِنَ المُسلِمِينَ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ إِلَّا مَن شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ لَكِنِّي أَرجُو لِلمُحسِنِ وَأَخَافُ عَلَىٰ المُسِيءِ.

وَلَا أُكَفِّرُ أَحَدًا مِنَ المُسلِمِينَ بِذَنبٍ، وَلَا أُخرِجُه مِن دَائِرَةِ الإِسلَامِ.

وَأَرَىٰ الجِهَادَ مَاضِيًا مَعَ كُلِّ إِمَامٍ بَرًّا كَانَ أَو فَاجِرًا، وَصَلَاةُ الجَمَاعَةِ خَلفَهُم جَائِزَة.

وَالجِهَادُ مَاضٍ مُنذُ بَعَثَ الله مُحَمَّدًا ﷺ إِلَىٰ أَن يُقَاتِلَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ الدَّجَّالَ، لَا يُبطِلُهُ جَورُ جَائِرٍ وَلَا عَدلُ عَادِلٍ.

وَأَرَىٰ وُجُوبَ السَّمعِ وَالطَّاعَةِ لأَئِمَّةِ المُسلِمِينَ بَرِّهِم وَفَاجِرِهِم مَا لَم يَأمُرُوا بِمَعصِيَةِ اللَّه.

وَمَن ولِيَ الخِلَافَةَ وَاجتَمَعَ عَلَيهِ النَّاسُ وَرَضُوا بِهِ وَغَلَبَهُم بِسَيفِهِ حَتَّىٰ صَارَ خَلِيفَةً؛ وَجَبَت طَاعَتُهُ، وَحَرُمَ الخُرُوج عَلَيهِ.

وَأَرَىٰ هَجرَ أَهلِ البِدَعِ وَمُبَايَنَتَهُم حَتَّىٰ يَتُوبُوا، وأَحكُمُ عَلَيهِم بِالظَّاهِرِ، وَأَكِلُ سَرَائِرَهُم إِلَىٰ اللَّهِ.

وَأَعتَقِدُ أَنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ فِي الدِّينِ بِدعَةٌ.

وَأَعتَقِدُ أَنَّ الإِيمَانَ قَولٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَركَانِ، وَاعتِقَادٌ بِالجَنَانِ، يَزِيدُ بَالطَّاعَةِ وَيَنقُصُ بِالمَعصِيَةِ، وَهُوَ بِضع وَسَبعُونَ شُعبَةً، أَعلَاهَا: شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا

اللّه، وَأَدنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ.

وَأَرَىٰ وُجُوبَ الأَمرِ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ، عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ المُحَمَّدِيَّةُ الطَّاهِرَة.

فَهَذِهِ عَقِيدَةٌ وَجِيزَةٌ حَرَّرتُهَا وَأَنَا مُشتَغِلُ البَالِ لِتَطَّلِعُوا عَلَىٰ مَا عِندِي، وَاللّهُ عَلَىٰ مَا نَقُول وَكِيلٌ.

ثُمَّ لَا يَخفَىٰ عَلَيكُم أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِسَالَةَ سُلَيمَانَ بنِ سُحَيمٍ قَد وَصَلَت إِلَيكُم، وَأَنَّهُ قَبِلَهَا وَصَدَّقَهَا بَعضُ المُنتَمِينَ لِلعِلمِ فِي جِهَتِكُم.

وَاللّه يَعلَمُ أَنَّ الرَّجلَ افتَرَىٰ عَلَيَّ أُمُورًا لَم أَقُلهَا، وَلَم يَأتِ أَكثَرُهَا عَلَىٰ بَالِي، فَمِنهَا:

قَولُهُ: أَنِّي مُبطِلٌ كُتُبَ المَذَاهِبِ الأَربَعَةِ، وَأَنِّي أَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ مِن سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ لَيسُوا عَلَىٰ شَيءٍ.

وَأَنِّي أَدَّعِي الاجتِهَادَ، وَأَنِّي خَارِجٌ عَنِ التَّقلِيدِ.

وَأَنِّي أَقُولُ: إِنَّ اختِلَافَ العُلَمَاءِ نِقمَة.

وَأَنِّي أُكَفِّرُ مَن تَوَسَّلَ بِالصَّالِحِينَ، وَأَنِّي أُكَفِّرُ البوصِيرِيَّ؛ لِقَولِهِ: يَا أَكرَمَ الخَلقِ...

وَأَنِّي أَقُولُ: لَو أَقدِرُ عَلَىٰ هَدمِ قُبَّةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ لَهَدَمتُهَا.

وَلَو أَقدِرُ عَلَىٰ الكَعبَةِ لأَخَذتُ مِيزَابَهَا وَجَعَلتُ لَهَا مِيزَابًا مِن خَشَبٍ.

وَأَنِّي أُحَرِّمُ زِيَارَةَ قَبرِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَأَنِّي أُنكِرُ زِيَارَةَ قَبرِ الوَالِدَينِ وَغَيرِهِمَا.

وَأَنِّي أُكَفِّرُ مَن حَلَفَ بِغَيرِ اللّهِ.

وَأَنِّي أُكَفِّرُ ابنَ الفَارِضِ، وَابنَ عَرَبِيٍّ، وَأَنِّي أُحَرِّقُ «دَلَائِلَ الخَيرَاتِ»، وَ«رَوضَ الرَّيَاحِينِ»، وَأُسَمِّيهِ رَوضَ الشَّيَاطِينِ.

جَوَابِي عَن هَذِهِ المَسَائِلِ: أَن أَقُولَ: سُبحَانَكَ هَذَا بُهتَانٌ عَظِيم، وَقَبلَهُ مَن بَهَتَ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ يَسُبُّ عِيسَىٰ بنَ مَريَمَ عليه السلام وَيَسُبُّ الصَّالِحِينَ، فَتَشَابَهَت قُلُوبُهُم بِافتِرَاءِ الكَذِبِ، وَقَولِ الزورِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٠٥].

بَهَتُوهُ ﷺ بِأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ المَلَائِكَةَ وَعِيسَىٰ وَعُزَيرًا فِي النَّارِ، فَأَنزَلَ اللّه فِي ذَلِكَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

وَأَمَّا المَسَائِلُ الأُخَرُ وَهِيَ:

أَنِّي أَقُولُ: لَا يَتِمُّ إِسلَامُ الإِنسَانِ حَتَّىٰ يَعرِفَ مَعنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه»، وَأَنِّي أُعَرِّفُ مَن يَأتِينِي بِمَعنَاهَا، وَأَنِّي أُكَفِّرُ النَّاذِرَ إِذَا أَرَادَ بِنَذره التَّقَرُّبَ لِغَيرِ اللّهِ، وَأَخذَ النَّذرَ لأَجلِ ذَلِكَ، وَأَنَّ الذَّبحَ لِغَيرِ اللّه كفرٌ وَالذَّبِيحَةَ حَرَامٌ.

فَهَذِهِ المَسَائِلُ حَقٌّ وَأَنَا قَائِلٌ بِهَا، وَلِي عَلَيهَا دَلَائِلُ مِن كَلَامِ اللّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمِن أَقوَالِ العُلَمَاءِ المُتَّبَعِينَ كَالأَئِمَّةِ الأَربَعَةِ، وَإِذَا سَهَّلَ اللّه تَعَالَىٰ بَسَطتُ الجَوَابَ عَلَيهَا فِي رِسَالَةٍ مُستَقِلَّةٍ إِن شَاءَ اللّهُ تَعَالَىٰ.

ثُمَّ اعلَمُوا وَتَدَبَّرُوا قَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ [الحجرات: ٦] الآيَةَ.

* * *

٣٣-تعليم الصبيان التوحيد

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ رِسَالَةٌ نَافِعَةٌ فِيمَا يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يُعَلِّمَ الصِّبْيَانَ قَبْلَ تَعْلِيمِهِمُ الْقُرْآنَ؛ حَتَّىٰ يَصِيرَ مُسْلِمًا كَامِلًا عَلَىٰ فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَمُوَحِّدًا جَيِّدًا عَلَىٰ طَرِيقَةِ الْإِيمَانِ.

وَرَتَّبْتُهُ عَلَىٰ طَرِيقَةِ سُؤَالٍ وَجَوَابٍ:

س١: إِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

جـ: فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ.

س٢: وَمَا مَعْنَىٰ «الرَّبُّ»؟

جـ: فَقُلِ: الْمَالِكُ الْمَعْبُودُ، وَمَعْنَىٰ «اللهُ»: ذُو الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ عَلَىٰ خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ.

س٣: فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ تَعْرِفُ رَبَّكَ؟

جـ: فَقُلْ: أَعْرِفُهُ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِمَا.

* وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

س٤: فَإِنْ قِيلَ: لأيِّ شَيْءٍ خَلَقَكَ؟

جـ: فَقُلْ: لِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَطَاعَتِهِ، بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَتَرْكِ مَا يَنْهَىٰ عَنْهُ.

كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وَالشِّرْكُ أَعْظَمُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللهُ بِهِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَالشِّرْكُ: أَنْ يَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا يَدْعُوهُ، أَوْ يَرْجُوهُ، أَوْ يَخَافُهُ، أَوْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، أَوْ يَرْغَبُ إِلَيْهِ مِنْ دُونِ اللهِ، وَغَيْرُ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ.

فَإِنَّ الْعِبَادَةَ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ.

وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

* وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ دَعْوَةَ غَيْرِ اللهِ كُفْرٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَذَٰلِكَ أَنَّ الدُّعَاءَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ

﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

وَفِي «السُّنَنِ»: عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»(١).

وَأَوَّلُ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ: الْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانُ بِاللهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَالطَّاغُوتُ: مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوِ الشَّيْطَانُ، وَالْكِهَانَةُ، وَمُنَجِّمٌ، وَمَنْ يَحْكُمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَكُلُّ مَتْبُوعٍ مُطَاعٍ عَلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: «الطَّاغُوتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ»(٢).

س٥: فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا دِينُكَ؟

جـ: فَقُلْ: دِينُ الْإِسْلَامِ.

وَمَعْنَىٰ الْإِسْلَامِ: الِاسْتِسْلَامُ لِلهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالِانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَمُوَالَاةُ الْمُسْلِمِينَ، وَمُعَادَاةُ الْمُشْرِكِينَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَالَ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»(٣).

وَمَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ:

أَيْ: لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي

---

(١) الترمذي (٣٣٧١)، ضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٠٠٣).

(٢) «إعلام الموقعين» (١/ ٥).

(٣) البخاري (٤٧٧٧)، مسلم (١٠٢).

بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]

*وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥]

فَبَدَأَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالتَّوْحِيدِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ.

فَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَأَكْبَرُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ الشِّرْكُ، وَأَمَرَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَهَذَا هُوَ مُعْظَمُ الدِّينِ، وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الشَّرَائِعِ تَابِعٌ لَهُ.

* وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ فَرْضِ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٥]

* وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ فَرْضِ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]

وَأُصُولُ الإِيمَانِ سِتَّةٌ:

أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

*وَدَلِيلُهُ مَا فِي «الصَّحِيحِ» مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ... الْحَدِيثُ [1].

س٦: وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ نَبِيُّكَ؟

جـ: فَقُلْ: نَبِيُّنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ. اصْطَفَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهُمْ صَفْوَةُ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَبَعَثَهُ إِلَىٰ الْأَحْمَرِ

---

(١) تقدم تخريجه.

وَالأَسْوَدِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ، وَتَرْكِ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ: الأَصْنَامِ وَالأَحْجَارِ وَالأَشْجَارِ وَالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ.

فَدَعَا النَّاسَ إِلَىٰ تَرْكِ الشِّرْكِ، وَقَاتَلَهُمْ إِلَىٰ تَرْكِهِ، وَأَنْ يُخْلِصُوا لِعِبَادَةِ اللهِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦].

وَمِنْ أُصُولِ الإِيمَانِ الْمُنَجِّي مِنَ الْكُفْرِ:

الإِيمَانُ بِالْبَعْثِ، وَالنَّشْرِ، وَالْجَزَاءِ، وَالْحِسَابِ. وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ حَقٌّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: ٥].

وَفِي الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ جَحَدَ الْبَعْثَ كَفَرَ كُفْرًا يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ.

أَعَاذَنَا اللهُ مِنَ الْكُفْرِ وَأَعْمَالِ الْكُفْرِ.

فَضَمَّتْ هَذِهِ الآيَاتُ بَيَانَ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلهِ، وَالنَّهْيِ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، وَقَصْرِ الْعِبَادَةِ عَلَىٰ اللهِ، وَهَذَا دِينُهُ الَّذِي دَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ، وَجَاهَدَهُمْ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾

[الأنفال: ٣٩]، وَالْفِتْنَةُ: الشِّرْكُ.

وَقَدْ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَدَعَا النَّاسَ إِلَىٰ الإِخْلَاصِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ مَا سِوَىٰ اللهِ نَحْوًا مِنْ عَشْرِ سِنِينَ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ أُمِرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْهِجْرَةِ، فَهَاجَرُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَأُمِرَ بِالْجِهَادِ، فَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ نَحْوًا مِنْ عَشْرِ سِنِينَ، حَتَّىٰ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَلَمَّا تَمَّتْ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَأَكْمَلَ اللهُ تَعَالَىٰ الدِّينَ، وَبَلَّغَ الْبَلَاغَ مِنْ إِخْبَارِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَبِقَبْضِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ.

وَأَوَّلُ الرُّسُلِ نُوحٌ ﷺ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وَ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وَأَفْضَلُ الرُّسُلِ: نَبِيُّنَا ﷺ، وَأَفْضَلُ الْبَشَرِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، ثُمَّ عُمَرُ رضي الله عنه، ثُمَّ عُثْمَانُ رضي الله عنه، ثُمَّ عَلِيٌّ رضي الله عنه، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَخَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ(١).

وَعِيسَىٰ ﷺ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ(٢).

وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. تَمَّتْ عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ.

* * *

---

(١) البخاري (٢٦٥٢)، مسلم (٦٦٣٥)، بلفظ: «خير الناس...».

(٢) مسلم (٧٥٦٠).

٣٤- رِسَالَةٌ فِي تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

* اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ قَبْلَ فرض الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ هُوَ تَوْحِيدُ عِبَادَتِكَ أَنْتَ، فَلَا تَدْعُ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا تَدْعُ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا غَيْرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

* وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ صِفَةُ إِشْرَاكِهِمْ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ اللهَ وَيَدْعُونَ مَعَهُ الْأَصْنَامَ وَالصَّالِحِينَ، مِثْلَ عِيسَىٰ وَأُمِّهِ وَالْمَلَائِكَةِ، يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ وَهُمْ يُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ الْمُدَبِّرُ، كَمَا ذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ﴾ [يونس: ٣١].

* فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا وَعَرَفْتَ أَنَّ دَعْوَتَهُمُ الصَّالِحِينَ وَتَعَلُّقَهُمْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا نُرِيدُ إِلَّا الشَّفَاعَةَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَاتَلَهُمْ لِيُخْلِصُوا الدَّعْوَةَ لِلهِ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ، وَعَرَفْتَ أَنَّ هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي هُوَ أَفْرَضُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَيَغْفِرُ اللهُ لِمَنْ أَتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَغْفِرُ لِمَنْ جَهِلَهُ وَلَوْ كَانَ عَابِدًا، وَعَرَفْتَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي لَا يَغْفِرُ اللهُ لِمَنْ فَعَلَهُ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ مِنَ الزِّنَا وَقَتْلِ النَّفْسِ، مَعَ أَنَّ

صَاحِبَهُ يُرِيدُ بِهِ التَّقَرُّبَ مِنَ اللهِ، ثُمَّ مَعَ هَذَا عَرَفْتَ أَمْرًا آخَرَ، وَهُوَ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ مَا عَرَفَ هَذَا، مِنْهُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يُسَمُّونَهُمُ الْعُلَمَاءُ فِي سَدِيرٍ وَالْوَشْمِ وَغَيْرِهِمْ إِذَا قَالُوا: نَحْنُ مُوَحِّدُونَ اللهَ، نَعْرِفُ مَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ الصَّالِحِينَ لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ، وَعَرَفْتَ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا التَّوْحِيدَ، تَوْحِيدَ الْكُفَّارِ، تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ عَرَفْتَ كِبَرَ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ، خُصُوصًا إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذِي يُوَاجِهُ اللهَ وَلَا يَعْرِفُ التَّوْحِيدَ، أَوْ عَرَفَهُ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ أَنَّهُ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

* * *

٣٥- وَاجِبُ الْعَبْدِ

قَالَ- رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ-:

إِذَا أَمَرَ الله العَبْدَ بِأَمْرٍ؛ وَجَبَ عَلَيْهِ فِيهِ سَبْعُ مَرَاتِبَ:

الأُولَىٰ: الْعِلْمُ بِهِ.

الثَّانِيَةُ: مَحَبَّتُهُ.

الثَّالِثَةُ: العَزْمُ عَلَىٰ الفِعْلِ.

الرَّابِعَةُ: العَمَلُ.

الخَامِسَةُ: كَوْنُهُ يَقَعُ عَلَىٰ المَشْرُوعِ خَالِصًا صَوَابًا.

السَّادِسَةُ: التَّحْذِيرُ مِن فِعْلِ مَا يُحْبِطُهُ.

السَّابِعَةُ: الثَّبَاتُ عَلَيْهِ.

إِذَا عَرَفَ الإِنْسَانُ: أَنَّ الله أَمَرَ بالتَّوْحِيدِ، وَنَهَىٰ عَنِ الشِّرْكِ، أَوْ عَرَفَ: أَنَّ الله أَحَلَّ البَيْعَ، وَحَرَّمَ الرِّبَا، أَوْ عَرَفَ: أَنَّ الله حَرَّمَ أَكْلَ مَالِ اليَتِيمِ، وَأَحَلَّ لِوَلِيِّهِ أَنْ يَأْكُلَ بِالمَعْرُوفِ إِنْ كَانَ فَقِيرًا؛ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ المَأْمُورَ بِهِ، وَيَسْأَلَ عَنْهُ إِلَىٰ أَنْ يَعْرِفَهُ، وَيَعْلَمَ المَنْهِيَّ عَنْهُ، وَيَسْأَل عَنْهُ إِلَىٰ أَنْ يَعْرِفَهُ.

وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِالمَسْأَلَةِ الأُولَىٰ، وَهِيَ: مَسْأَلَةُ التَّوْحِيدِ والشِّرْكِ.

أَكْثَرُ النَّاسِ عَلِمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ حَقٌّ، وَالشِّرْكَ بَاطِلٌ، وَلَكِنْ أَعْرَضَ عَنْهُ، وَلَمْ يَسْأَلْ، وَعَرَفَ: أَنَّ الله حَرَّمَ الرِّبَا، وَبَاعَ وَاشْتَرَىٰ وَلَم يَسْأَلْ، وَعَرَفَ: تَحْرِيمَ أَكْلِ مَالِ اليتيمِ، وَجَوَازَ الأَكْلِ بَالمَعْرُوفِ، وَيَتَوَلَّىٰ مَالَ اليَتِيمِ وَلَمْ يَسْأَلْ.

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: مَحَبَّةُ مَا أَنْزَلَ الله، وَكُفْرُ مَنْ كَرِهَهُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [محمد: ٩]

فَأَكْثَرُ النَّاسِ: لَم يُحِبَّ الرَّسُولَ، بَلْ أَبْغَضَهُ، وَأَبْغَضَ مَا جَاءَ بِهِ، وَلَو عَرَفَ أَنَّ

الله أَنْزَلَهُ.

* المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْعَزْمُ عَلَىٰ الفِعْلِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: عَرَفَ وَأَحَبَّ، وَلَكِنْ لَم يَعْزِمْ، خَوْفًا مِن تَغَيُّرِ دُنْيَاهُ.

* المَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: العَمَلُ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: إِذَا عَزَمَ أَوْ عَمِلَ، وَتَبَيَّنَ عَلَيْهِ مَن يُعَظِّمُهُ مِن شُيُوخٍ أَوْ غَيْرِهِمْ، تَرَكَ العَمَلَ.

* المَرْتَبَةُ الخَامِسَةُ: أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ عَمِلَ لَا يَقَعُ عَمَلُهُ خَالِصًا، فَإِنْ وَقَعَ خَالِصًا؛ لَم يَقَعْ صَوَابًا.

* المَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ: أَنَّ الصَّالِحِينَ يَخَافُونَ مِن حُبُوطِ الْعَمَلِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝﴾ [الحُجُرات: ٢]. وَهَذَا مِنْ أَقَلِّ الأَشْيَاءِ فِي زَمَانِنَا.

* المَرْتَبَةُ السَّابِعَةُ: الثَّبَاتُ عَلَىٰ الحَقِّ وَالخَوْفُ مِن سُوءِ الخَاتِمَةِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْكُم مَن يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»[1].

وَهَذِهِ أَيضًا: مِن أَعْظَم مَا يَخَافُ مِنْهُ الصَّالِحُونَ، وَهِيَ قَلِيلٌ فِي زَمَانِنَا، فَالتَّفَكُّرُ فِي حَالِ الَّذِي تَعْرِفُ مِنَ النَّاسِ، فِي هَذَا وَغَيْرِهِ، يَدُلُّكَ عَلَىٰ شَيْءٍ كَثِيرٍ تَجهَلُهُ، وَالله أَعْلَمُ.

* * *

(١) أخرج نحوه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

٣٦- الجوهرة الفريدة

٣٧- سلم الوصول إلى معرفة الأصول

٣٨- مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام

للشيخ
حافظ بن أحمد بن علي الحكمي
(المتوفى : ١٣٧٧هـ)

٣٦- الجوهرة الفريدة

خطبة العقيدة

الحَمْـدُ للهِ لا يُحْـصَىٰ لَـهُ عَـدَدُ ... ولا يُحِـيطُ بِـهِ الأقْـلامُ والمـدَدُ
حَمْـدًا لِرَبِّـي كَثِيـرًا دَائِمًـا أَبَـدًا ... في السِّرِّ والْجَهْـرِ في الدَّارَيْنِ مُسْتَرَدُ
مِلْءَ السَّمواتِ وَالأرَضِينَ أَجْمَعِهَا ... وَمِلْءَ مَا شَاءَ بَعْدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَىٰ خَيْرِ الأنَامِ رَسُو ... لِ اللهِ أَحْمَدَ مَعْ صَحْبٍ بِهِ سَعِدوا
وأَهْـلِ بَيْـتِ النَّبِـي وَالآلِ قاطِبَـةً ... وَالتَّابعينَ الأُلَىٰ للدِّينِ هُمْ عَضُدُ
وَالرُّسْـلِ أَجْمَعِهِـمْ وَالتَّابِعِينَ لَهُـمْ ... مِنْ دُونِ أَنْ يَعْدِلوا عَمَّا إليهِ هُدُوا
أَزْكَـىٰ صَلاةٍ مَعَ التَّسْلِيمِ دَائِمَـةً ... مَا إنْ لَهَـا أَبَـدًا حَـدٌّ وَلا أَمَـدُ
وبعدُ ذِي في أُصُولِ الدِّينِ «جَوهَرَةٌ ... فَرِيـدَةٌ» بِسَنَا التَّوحِيـدِ تَتَّقِـدُ
بِشَرْحِ كُلِّ عُـرَىٰ الإسْلامِ كَافِلَـةٌ ... وَنَقْضِ كُلِّ الذي أَعْداؤهُ عَقَدُوا
وَمَـا أُبَـرِّئُ نَفْسِـي مِـنْ لَوَازِمِهَـا ... وَأَحْمَـدُ اللهَ مِنْـهُ الْعَـوْنُ والرَّشَـدُ
وَاللهَ أَسْـأَلُ مِنْـهُ رَحْمَـةً وهُـدَىٰ ... فَضْلًا وَمَـا لِـيَ إِلَّا اللهُ مُسْتَنَدُ

مقدمة: في براءة المتبعين من جراءة المبدعين وافتراءات المبتدعين

إِنِّـي بَـرَاءٌ مِـنَ الأهْـوا وَمَـا وَلَـدَتْ ... وَوَالِدِيها الحَيَارَىٰ سَاءَ مَا وَلَدُوا
وَاللهِ لَسْتُ بِجَهْمِـيٍّ أَخَـا جَـدَلٍ ... يَقُـولُ في اللهِ قَـوْلًا غَيْـرَ مَـا يَـرِدُ
يُكَـذِّبُونَ بِأَسْـمَاءِ الإلَـهِ وَأَوْ ... صَافٍ لَهُ بَلْ لِذاتِ اللهِ قَدْ جَحَدُوا
كَلَّا وَلَسْتُ لِرَبِّـي مِـنْ مُشَبِّهَةٍ ... إِذْ مَـنْ يُشَبِّهُهُ مَعْبُـودُهُ جَسَـدُ
وَلا بِمُعْتَزِلِـيٍّ أَوْ أَخَـا جَبْـرِ ... في السَّيِّئاتِ عَلَىٰ الأقْـدَارِ يَتَّقِـدُ
كَلَّا وَلَسْتُ بِشِيعِيٍّ أَخَـا دَغَـلٍ ... في قَلْبِـهِ لِصِحَابِ الْمُصْطَفَىٰ حُقَـدُ

كَـلَّا وَلا نَاصِبِيٌّ ضِدَّ ذَلِكَ بَلْ حُبُّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الآلِ نَعْتَقِدُ
وَمَا أَرِسْطُو وَلا الطُّوسِي أئِمَّتَنَا وَلا ابنُ سَبْعِينَ ذَاكَ الْكَاذِبُ الفَنِدُ
وَلا ابنُ سِينَا وَفَارَابِيهِ قُدْوَتَنَا وَلا الَّذِي لِفُصُوصِ الشَّرِّ يَسْتَنِدُ
مُؤَسِّسُ الزَّيْغِ وَالإِلْحَادِ حَيْثُ يَرَى كُلَّ الْخَلائِقِ بِالْبَارِي قَدِ اتَّحدوا
مَعْبُودُهُ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ بَدَا الكَلْبُ وَالقِرْدُ وَالخِنْزِيرُ وَالأَسَدُ
وَلا الطَّرَائِقُ وَالأَهْوَاءُ وَالْبِدعُ الضْـ ـضُلَّالُ مِمَّنْ عَلَى الوَحْيَيْنِ يَنْتَقِدُ
وَلا نُحَكِّمُ فِي النَّصِّ الْعُقُولَ وَلا نَتَائِجَ الْمَنْطِقِ الْمَمْحُوقِ نَعْتَمِدُ
لَكِنْ لَنَا نَصُّ آيَاتِ الْكِتَابِ وَمَا عَنِ الرَّسُولِ رَوَى الأَثْبَاتُ مُعْتَمَدُ
لَنَا نُصُوصُ الصَّحِيحَيْنِ اللَّذَيْنِ لَهَا أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ قَدْ شَهِدُوا
وَالأَرْبَعُ السُّنَنُ الغُرُّ التِي اشْتَهَرَتْ كُلٌّ إِلَى الْمُصْطَفَى يَعْلُو لَهُ سَنَدُ
كَذَا الْمُوَطَّا مَعَ الْمُسْتَخْرَجَاتِ لَنَا كَذَا الْمَسَانِيدُ لِلْمُحْتَجِّ مُسْتَنَدُ
مُسْتَمْسِكِينَ بِهَا مُسْتَسْلِمِينَ لَهَا عَنْهَا نَذُبُّ الْهَوَى إِنَّا لَهَا عَضُدُ
وَلا نُصِيخُ لِعَصْرِيٍّ يَفُوهُ بِمَا يُنَاقِضُ الشَّرْعَ أَوْ إِيَّاهُ يَنْتَقِدُ
يَرَى الطَّبِيعَةَ فِي الأَشْيَا مُؤَثِّرَةً أَيْنَ الطَّبِيعَةُ يَا مَخْذُولُ إِذْ وُجِدُوا؟
وَمَا مَجَلَّاتُهُمْ وِرْدِي وَلا صَدَرِي وَمَا لِمُعْتَنِقِيهَا فِي الفَلاحِ يَدُ
إِذْ يُدْخِلُونَ بِهَا عَادَاتِهِمْ وَسَجَا يَاهُمْ وحكمَ طَوَاغِيتٍ لَهُمْ طَرَدوا
مُحَسِّنِينَ لَهَا كيما تَرُوجُ عَلَى عُمْيِ الْبَصَائِرِ مِمَّن فَاتَهُ الرَّشَدُ
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَدْ أَضْحَى زَنَادِقَةً كَثِيرُهُمْ لِسَبِيلِ الغَيِّ قَدْ قَصَدُوا
يَرَوْنَ أَنْ تَبْرُزَ الأُنْثَى بِزِينَتِهَا وَبَيْعَهَا البُضْعَ تَأْجِيلًا وَتَنْتَقِدُ
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِالإِفْرَنْجِ قَدْ شُغِفُوا بِهِمْ تَزَيَّوْا وَفِي زِيِّ التُّقَى زَهِدُوا
وَبِالْعَوَائِدِ مِنْهُمْ كُلِّهَا اتَّصَفُوا وَفِطْرَةَ اللهِ تَغْيِيرًا لَهَا اعْتَمَدُوا

عَلَىٰ صَحَائِفِهِمْ يَا صَاحِ قَدْ عَكَفُوا ... وَلَوْ تَلَوْتَ كِتَابَ اللهِ مَا سَجَدُوا

وَعَنْ تَدَبُّرِ حُكْمِ الشَّرعِ قَدْ صُرِفُوا ... وَفِي الْمَجَلَّاتِ كُلَّ الذَّوْقِ قَدْ وَجَدُوا

وَلِلشَّوَارِبِ أَعْفَوا واللِّحَىٰ نَتَفُوا ... تَشَبُّهًا وَمُجَارَاةً وَمَا اتَّأَدُوا

قالوا: رُقِيًّا فَقُلْنَا: لِلْحَضِيضِ نَعَمْ ... تُفْضُونَ مِنْهُ إِلَىٰ سِجِّينَ مُؤْتَصَدُ

ثَقَافَةٌ مِنْ سَمَاجٍ سَاءَ مَا أَلِفُوا ... حَضَارَةٌ مِنْ مُرُوجٍ هُمْ لَهَا عَمَدُوا

عَصْرِيَّةٌ عَصَرَتْ خُبْثًا فَحَاصِلُهَا ... سُمٌّ نَقِيعٌ وَيَا أَغْمَارُ فَازْدَرِدُوا

مَوْتٌ وَسَمَّوْهُ تَجْدِيدَ الْحَيَاةِ فَيَا ... لَيْتَ الدُّعَاةَ لَهَا فِي الرَّمْسِ قَدْ لُحِدُوا

دُعَاةُ سُوءٍ إِلَىٰ السَّوْأَىٰ تَشَابَهَتِ الْـ ... ـقُلُوبُ مِنْهُمْ وفي الإِضْلَالِ قَدْ جَهِدُوا

مَا بَيْنَ مُسْتَعْلِنٍ مِنْهُمْ وَمُسْتَتِرٍ ... وَمُسْتَبِدٌّ وَمَنْ بِالْغَيْرِ مُحْتَشِدُ

لَهُمْ إِلَىٰ دَرَكَاتِ الشَّرِّ أَهْوِيَةٌ ... لَكِنْ إِلَىٰ دَرَجَاتِ الخَيْرِ مَا صَعِدُوا

وَفِي الضَّلَالَاتِ والأَهْوَا لَهُمْ شُبَهٌ ... وَعَنْ سَبِيلِ الْهُدَىٰ والحَقِّ قَدْ بَلِدُوا

صُمٌّ وَلَوْ سَمِعُوا، بُكْمٌ وَلَوْ نَطَقُوا ... عُمْيٌ وَلَوْ نَظَرُوا، بُهْتٌ بِمَا شَهِدُوا

عَمُوا عَنِ الحقِّ صَمُّوا عَنْ تَدَبُّرِهِ ... عَنْ قَوْلِهِ خَرِسُوا فِي غَيِّهِم سَمَدُوا

كَأَنَّهُمْ إِذْ تَرَىٰ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ... وَتَحْسَبُ الْقَوْمَ أَيْقَاظًا وَقَدْ رَقَدُوا

بَاعُوا بِهَا الدِّينَ طَوْعًا عَنْ تَرَاضٍ وَمَا ... بَالَوا بِذَا حَيْثُ عِنْدَ اللهِ قَدْ كَسَدُوا

يَا غُرْبَةَ الدِّينِ والمُسْتَمْسِكِينَ بِهِ ... كَقَابِضِ الْجَمْرِ صَبْرًا وَهْوَ يَتَّقِدُ

الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ عِنْدَ غُرْبَتِهِ ... وَالمُصْلِحِينَ إِذا مَا غَيْرُهُمْ فَسَدُوا

إِنْ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْ تِبْيَانِهِ نَطَقُوا ... بِهِ وَإِنْ أَحْجَمُوا عَنْ نَصْرِهِ نَهَدُوا

هَذَا وَقَدْ آنَ نَظْمُ العِقْدِ مُعْتَصِمًا ... بِاللهِ حَسْبِي عَلَيْهِ جَلَّ أَعْتَمِدُ

أبواب أمور الدين

والدِّينُ قَوْلٌ بِقَلْبٍ واللِّسَانِ وأعْـ ... ـمَالٌ بِقَلْبٍ وَبِالأَرْكَانِ مُعْتَمِدُ

يَـزْدَادُ بالـذِّكْرِ وَالطَّاعَـاتِ ثُـمَّ لَـهُ ... بِالـذَّنْبِ وَالْغَفْلَـةِ النُّقْـصَانُ مُطَّـرِدُ
وَ أَهْلُـهُ فِيـهِ مَفْـضُولٌ وَفَاضِـلُهُ ... مِـنْهُمْ ظَلُـومٌ وَسَـبَّاقٌ وَمُقْتَـصِدُ
وَ هَاكَ مَا سَأَلَ الـرُّوحُ الأَمِينُ رَسُـو ... لَ اللهِ عَنْ شَرْحِهِ وَالصَّحْبُ قَدْ شَهِدُوا
فَكَـانَ ذَاكَ الْجَـوَابُ الـدِّينَ أَجْمَعَـهُ ... شَهِدُوا فَافْهَمْهُ عِقْدًا صَفَا ما شَابَهُ عُقَدُ

باب: الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته

بِـاللهِ نُـؤْمِنُ فَـرْدٌ وَاحِـدٌ أَحَـدُ ... وَلَـمْ يَلِـدْ لا وَلَـمْ يُولَـدْ هُـوَ الـصَّمَدُ
وَلا إِلَــهٌ وَلا رَبٌّ سِــوَاهُ وَلَــمْ ... يَكُـنْ لَـهُ كُفُـوًا مِـنْ خَلْقِهِ أَحَـدُ
حَـيٌّ سَـمِيعٌ بَـصِيرٌ جَـلَّ مُقْتَـدِرٌ ... عَـدْلٌ حَكِـيمٌ عَلِـيمٌ قَـاهِرٌ صَـمَدُ
هُـوَ الْعَلِـيُّ هُـوَ الأَعْلَـىٰ هُـوَ الْمُتَعَـا ... لِـي كُـلَّ مَعْنَـىٰ عُلُـوَّ اللهِ نَعْتَقِـدُ
قَهْـرًا وَقَـدْرًا وَذَاتًـا جَـلَّ خَالِقُنَـا ... مَـا حَـلَّ فِينَـا وَلا بِـالْخَلْقِ مُتَّحِـدُ
فِي سَبْعِ آيٍ مِـنَ الْقُـرآنِ صَـرَّحَ بِاسْـ ... ـتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ رَبِّي فَهْوَ مُنْفَـرِدُ
وَلَفْـظُ فَـوقِ أَتَـىٰ مَـعْ الاقْتِـرانِ بِمِـنْ ... وَدُونَهَـا لِمُرِيـدِ الحَـقِّ مُـسْتَنَدُ
وَفِي السَّماءِ اتلُهَـا فِي الْمُلْـكِ وَاضِـحَةً ... وَكَـمْ حَـدِيثًا بِهَـا يَعْلُـو بِـهِ الـسَّنَدُ
وَتَعْـرُجُ الـرُّوحُ وَالأَمْـلاكُ صَـاعِدَةً ... أَمَـا إِلَـىٰ رَبِّهِـمْ نَحْـوَ الْعُـلاَ صَـعِدُوا
وَهَكَـذَا يَـصْعَدُ المَقْبُـولُ مِـنْ عَمَـلٍ ... مِـنَ العِبَـادِ لِمَـنْ إِيَّـاهُ قَـدْ عَبَـدُوا
كَـذا عُـرُوجُ رَسُـولِ اللهِ حِـينَ سَـرَىٰ ... قُلْ لي إِلَىٰ مَنْ لَهُ قَدْ كَانَ مُصْطَعِدُ؟
وَحِـينَ خُطْبَتِـهِ فِي جَمْـعِ حَجَّتِـهِ ... أَشَـارَ رَأْسٌ لَـهُ نَحْـوَ العُـلا وَيَـدُ
أَلَيْسَ يَشْهَدُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ عَلَىٰ ... تَبْلِيغِهِ ثُمَّ أَهْلُ الجَمْعِ قَدْ شَهِدُوا؟
وَسَـنَّ رَفْـعَ المَـصَلِّي فِي تَـشَهُّدِهِ ... سَـبَّابَةً لِعُلُـوِّ اللهِ يَعْتَقِـدُ
وَكُـلُّ دَاعٍ إِلَـىٰ مَـنْ رَافِـعٌ يَـدَهُ؟ ... إِلَّا إِلَـىٰ مَـنْ يَجِـي مِـنْ عِنْدِهِ المَـدَدُ
وَكَـمْ لِهَـذَا بَرَاهِينًـا مُؤَيِّـدَةً ... وَحِـينَ يَـسْمَعُهَا الجَهْمِـيُّ يَرْتَعِـدُ

وَنَحْـنُ نُثْبِـتُ مَـا الْوَحْيَـانِ تُثْبِتُـهُ مِنْ أَنَّ ذَا الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ مُنْفَرِدُ
يَدْنُـو كَمَا شَـاءَ مِمَّنْ شَـا وَيَفْعَلُ مَـا يَشَـا وَلا كَيْـفَ فِي وَصْـفٍ لَـهُ يَـرِدُ
وَكُـلُّ أَسْـمَائِهِ الْحُسْنَىٰ نُقِـرُّ بِهَـا مِمَّـا عَلِمْنَـا وَ مِمَّـا اسْـتَأْثَرَ الأَحَـدُ
مُسْـتَيْقِنِينَ بِمَـا دَلَّـتْ عَلَيْـهِ وَمِـنْ ثَلاثَـةِ الأَوْجُـهِ اعْلَـمْ ذِكْرُهَـا يَـرِدُ
دَلَّـتْ عَلَـىٰ ذَاتِ مَوْلانَـا مُطَابَقَـةً بِـهِ تَلِيـقُ، بِهَـا الـرَّحْمنُ مُنْفَـرِدُ
كَـذَا تَـضَمَّنَتِ الْمُـشْتَقَّ مِـنْ صِـفَةٍ نَحْـوَ الْعَلِـيمِ بِعِلْـمٍ ثُـمَّ تَطَّـرِدُ
كَذَلِكَ اسْتَلْزَمَتْ بَاقِي الصِّفَاتِ كَمَا لِلْقُـدْرَةِ اسْـتَلْزَمَ الـرَّحْمنُ وَالـصَّمَدُ
وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الْوَحْيَيْنِ مِنْ صِفَةٍ للهِ نُثْبِتُهَـــا والـــنَّصَّ نَعْتَمِـــدُ
صِـــفَاتُ ذَاتٍ وَأَفْعَـــالٌ نُمِـــرُّ وَلا نَقُـولُ كَيْفَ وَلا نَنْفِي كَمَنْ جَحَدُوا
لَكِـنْ عَلَـىٰ مَـا بِمَوْلانَـا يَلِيـقُ كَمَـا أَرَادَهُ وَعَنَـــــاهُ اللهُ نَعْتَقِـــــدُ
وَفِي الـشَّهادَةِ عِلْـمُ الْقَلْـبِ مُـشْتَرَطٌ يَقِينُـــهُ انْقَـــدْ قَبُـــولٌ لَـــيْسَ يُفْتَقَـــدُ
إِخْلاصُكَ الـصِّدْقُ فِيهَا مَعْ مَحَبَّتِهَا كَـذَا الْـوَلا وَالْبَـرا فيهـا لَهَـا عُمُـدُ
فيـهِ تُـوالِي أولـي التَّقْـوَىٰ وَتنْـصُرُهُمْ وَكُـلُّ أَعْدائِـهِ إِنَّـا لَهُـمْ لَعَـدُو

فصل: [في بيان الشرك بالله سبحانه وتعالى]

والـشِّرْكُ جَعْلُـكَ نِـدًّا لِلإلـهِ وَلَـمْ يُـشارِكِ اللهَ فِي تَخْلِيقِنَـا أَحَـدُ
تَـدْعُوهُ تَرْجُـوهُ تَخْـشَاهُ وَتَقْـصِدُهُ لِـدَفْعِ شَـرٍّ وَمِنْـهُ الْخَيْـرَ تَرْتَفِـدُ
وَعِلْمُـهُ بِـكَ مَـعْ سَـمْعِ الـدُّعَاءِ وَقُـدْ رَةٍ وسُـلْطَانِ غَيْـبٍ فيـهِ تَعْتَقِـدُ
مِثْلَ الأُلَىٰ بِـدُعَا الأَمْوَاتِ قَـدْ هَتَفُـوا يَرْجُونَ نَجْدَتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا لُحِدُوا
وَكَـمْ نُـذُورًا وَقُرْبَانًـا لَهَـا صَـرَفُوا ظُلْمًا وَمِنْ أَنْفَسِ الْمَنْقُوشِ كَمْ نَقَدُوا
وَكَـمِ قِبَابًـا عَلَيْهَـا زُخْرِفَـتْ وَلَهَـا أُعْلِـي النَّـسِيجُ كِـسَاءً لَـيْسَ يُفْتَقَـدُ
فَهُـمْ يَلُـوذُونَ فِي دَفْـعِ الـشُّرُورِ بِهَـا كَمَا لَهَا فِي قَضَا الْحَاجَاتِ قَدْ قَصَدُوا

وَيَــصْرِفُونَ لَهَــا كُــلَّ الْعِبَــادَةِ دُوْ نَ اللهِ جَهْـرًا وَلِلتَّوحِيـد قَـدْ جَحَـدُوا
إِنْ لَـمْ تَكُـنْ هَـذِهِ الأَفْعَـالُ يَـا عُلَمَـا شِرْكًا فَمَا الشِّرْكُ؟ قولوا لي أَوِ ابْتَعِدُوا
إِنْ لَـمْ تَكُـنْ هَـذِهِ شِـرْكًا فَلَيْسَ عَلَىٰ وَجْـهِ الْبَـسِيطَةِ شِـرْكٌ قَـطُّ يُنْتَقَـدُ

باب: الإيمان بالملائكة

وَبِالْمَلائِكَــةِ الرُّسْــلِ الْكِـرامِ عِبَــا دِ اللهِ نُـؤْمِنُ خَـابوا مَـنْ لَهُـمْ عَبَـدُوا
مِـنْ دُونِ رَبِّـي تَعَـالَىٰ وَالتَّبَـابُ لِمَـنْ كَـانُوا لَـهُ وَلَهُـمْ والْمُرْسَـلينَ عَـدُو
بَـلْ هُـمْ عِبَـادٌ كِـرَامٌ يَعْمَلُـونَ بِأَمْــ ــرِ اللهِ لـيْسَ لَـهُ نِـدٌّ وَلا وَلَـدُ
مِــنْهُمْ أَمِــينٌ لِــوَحْيِ اللهِ يُبْلِغُــهُ لِرُسْــلِهِ وَهْــوَ جِبْرِيـلٌ بِــهِ يَفِـدُ
وَللرِّيَـاحِ وَقَطْـرٍ وَالـسَّحَابِ فَمِيــ ــكَالُ بِـذَاكَ إِلَيْـه الْكَيْـلُ وَالْعَـدَدُ
كَـذَاكَ بالـصُّورِ إِسْـرافيلُ وُكِّـلَ وَهْــ ــوَ الآنَ مُنْتَظِــرٌ أَنْ يَــأْذَنَ الـصَّمَدُ
وَحَامِلُو الْعَرْشِ مَعْ مَنْ حَوْلَهُمْ ذُكِرُوا وَزَائِـرُو بَيْتِـهِ الْمَعْمُـورِ مَـا افْتُقِـدُوا
والحَـافِظُونَ عَلَيْنَـا الكَـاتِبُونَ لِمَـا نَسْعَىٰ وفِي الْحَشْرِ إِذْ يُؤْتَىٰ بِهِمْ شَـهِدُوا
وَآخَـرُونَ بِحِفْـظِ العَبْـدِ قَـدْ وُكِلُـوا حَتَّـىٰ إِذا جَـاءهُ المَقْـدُورُ لَـمْ يَفِـدُوا
وَالْمَـوْتُ وُكِّـلَ حَقًّـا بِالْوَفَـاةِ لِـرُو حِ الْعَبْـدِ قَبْـضًا إِذَا مِنْهَـا خَـلا الجَسَدُ
وَمُنْكَــرٌ وَنَكِيــرٌ وُكِّــلاَ بِــسُؤَا لِ العَبْـدِ فِي القَبْـرِ عَمَّـا كَـانَ يَعْتَقِـدُ
كَــذَاكَ رِضْــوَانُ فِي أَعْوَانِــهِ خَزَنُــوا لِجَنَّـةِ الخُلْـدِ بُشْرَىٰ مَنْ بِهَـا وُعِـدُوا
كَــذَا زَبَانِيَــةُ النِّيــرَانِ يَقْــدُمُهُمْ فِي شَــأْنِهَا مَالِــكٌ بِــالْغَيْظِ يَتَّقِــدُ
وَآخَــرُونَ فَــسَيَّاحُونَ حَيْــثُ أَتَــوَا مَجَالِسَ الـذِّكْرِ حَفُّوا مَنْ بِهَا قَعَدُوا
وَغَيْـرُهُمْ مِـنْ جُنُـودٍ لَـيْسَ يَعْلَمُهَـا إِلَّا الْعَلِيـمُ الْخَبِيـرُ الْوَاحِـدُ الأَحَـدُ

باب: الإيمان بكتب الله المنزلة

وَكُتْبُــهُ بِالْهُــدَىٰ وَالْحَــقِّ مُنْزَلَــةٌ نُـورًا وَذِكْـرَىٰ وَبُشْرَىٰ لِلَّـذِينَ هُـدُوا

ثُمَّ القُرآن كَلامُ اللهِ لَيْسَ كَمَا ... قَالَ الَّذينَ عَلىٰ الإلْحَادِ قَدْ مَرَدُوا
جَعْدٌ وَجَهْمٌ وَبِشْرٌ ثُمَّ شِيعَتُهُمْ ... ألا فَبُعْدًا لَهُمْ بُعْدًا وَقَدْ بَعِدُوا
تَكَلَّمَ اللهُ رَبُّ العَالَمينَ بِهِ ... قَوْلًا وَ أَنْزَلَهُ وَحْيًا بِهِ الرَّشَدُ
نَتْلُوهُ نَسْمَعُهُ نَرَاهُ نَكْتُبُهُ ... خَطًّا وَنَحْفَظُهُ بِالْقَلْبِ نَعْتَقِدُ
وَكُلُّ أَفْعَالِنَا مَخْلُوقَةٌ وَكَذَا ... آلاتُنَا الرَّقُّ والأَقْلامُ وَالْمِدَدُ
وَلَيْسَ مَخْلُوقًا الْقُرآنُ حَيْثُ تُلِي ... أَوْ خُطَّ فَهْوَ كَلامُ اللهِ مُسْتَرَدُ
وَالْوَاقِفُونَ فَشَرٌّ نِحْلَةً وَكَذَا ... لَفْظِيَّةٌ سَاءَ مَا رَاحُوا وَمَا قَصَدُوا

باب: الإيمان بالرسل عليهم السلام

وَالرُّسْلُ حَقٌّ بِلا تَفْرِيقَ بَيْنَهُمُو ... وَكُلُّهُمْ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هُدُوا
وَبِالْخَوَارِقِ وَالإِعْجَازِ أَيَّدَهُمْ ... رَبِّي عَلَىٰ الْحَقِّ مَا خَانُوا وَمَا فَنَدُوا
وَفَضَّلَ اللهُ بَعْضَ الْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ ... بَعْضٍ بِمَا شَاءَ فِي الدُّنْيَا وَمَا وُعِدُوا
مِنْ ذَاكَ أَعْطَىٰ لإِبْرَاهِيمَ خِلَّتَهُ ... كَذَا لأَحْمَدَ لَمْ يَشْرُكْهُمَا أَحَدُ
وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ دُونَ وَاسِطَةٍ ... حَقًّا وَخَطَّ لَهُ التَّوْرَاةَ فاعْتَمِدُوا
وَكَانَ عِيسَىٰ بِإِذْنِ اللهِ يُبْرِئُ مِنْ ... عِلَّاتِ سُوءٍ ويُحْيِي الْمَيْتَ قَدْ فُقِدُوا
والكُلُّ في دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ مَا اخْتَلَفُوا ... أَمَّا الْفُرُوعُ فَفِيهَا النَّسْخُ قَدْ تَجِدُ
إِلَّا شَرِيعَتَنَا الْغَرَّا فَلَيْسَ لَهَا ... مِنْ نَاسِخٍ مَا رَسَا فِي أَرْضِهِ أُحُدُ
إِذْ كَانَ أَحْمَدُ خَتْمَ الْمُرْسَلِينَ فَمَنْ ... مِنْ بَعْدِهِ رَامَ وَحْيًا كَاذِبٌ فَنِدُ
وكَانَ بَعْثَتُهُ لِلْخَلْقِ قَاطِبَةً ... وَشَرْعُهُ شَامِلٌ لَمْ يَعْدُهُ أَحَدُ
وَلَمْ يَسَعْ أَحَدًا عَنْهَا الخروجُ وَلَوْ ... كَانَ النَّبِيُّونَ أَحْيَاءً لَهَا قَصَدُوا

باب: الإيمان باليوم الآخر

وَالْيَومُ الاخِرُ حَقٌّ ثُمَّ سَاعَتُهُ ... بِمُنْتَهَىٰ عِلْمِهَا الرَّحْمنُ مُنْفَرِدُ

وَالْمَوْتُ حَقٌّ وَمَنْ جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَيِّ حَتْفٍ فَبِالْمَقْدُورِ مُفْتَقَدُ
مَا إِنْ لَهُ عَنْهُ مِنْ مُسْتَأْخِرٍ أَبَدًا كَلَّا وَلا عَنْهُ مِنْ مُسْتَقْدِمٍ يَجِدُ
كُلٌّ إِلَىٰ أَجَلٍ يَجْرِي عَلَىٰ قَدَرٍ مَا لامْرِئٍ عَنْ قَضَاءِ اللهِ مُلْتَحَدُ
وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ حَقٌّ وَالْعَذَابُ بِهِ لِكَافِرٍ وَنَعِيمٌ لِلأُلَىٰ سَعِدُوا
وَلِلْقِيَامَةِ آيَاتٌ إِذَا وَجَبَتْ فَلَيْسَ مِنْ تَوْبَةٍ تُجْدِي وَتَلْتَحِدُ
مِنْ ذَاكَ أَنْ تَسْتَبِينَ الشَّمْسُ طَالِعَةً مِنْ حَيْثُ مَغْرِبُهَا والخلْقُ قَدْ شَهِدُوا
كَذَاكَ دَابَّةُ أَرْضٍ أَنْ تُكَلِّمَهُمْ جَهْرًا وَتَفْرُقَ بِالتَّمْيِيزِ مَنْ تَجِدُ
نُزُولُ عِيسَىٰ لِدَجَّالٍ فَيَقْتُلُهُ وَفَتْحُ سَدِّ عِبَادٍ مَا لَهُمْ عَدَدُ
كَذَا الدُّخَانُ وَرِيحٌ وَهْيَ مُرْسَلَةٌ لِقَبْضِ أَنْفُسِ مَنْ لِلدِّينِ يَعْتَقِدُ
وَغَيْرُهَا مِنْ أُمُورٍ فِي الْكِتَابِ جَرَتْ ذِكْرَىٰ وَصَحَّ بِهَا فِي السُّنَّةِ السَّنَدُ
وَالنَّفْخُ فِي الصُّورِ حَقٌّ أَوَّلا فَزَعٌ فَصَعْقَةٌ فَقِيَامٌ بَعْدَ مَا رَقَدُوا
وَالْوَزْنُ بِالْقِسْطِ وَالأَعْمَالُ مُحْضَرَةٌ فِي الصُّحُفِ تُنْشَرُ وَالأَشْهَادُ قَدْ شَهِدُوا
وَالْجِسْرُ مَا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْجَحِيمِ كَمَا فِي النَّصِّ إِنْ أَحَدٌ إِلَّا لَهَا يَرِدُ
يَجُوزُهُ النَّاسُ بِالأَعْمَالِ تَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ لَيْسَ الْقُوَىٰ وَالْعَدُّ وَالْعُدَدُ
كَالْبَرْقِ والطَّرْفِ أَوْ مَرِّ الرِّيَاحِ وَكَالْـ ـجِيَادِ أَوْ كَرِكَابِ النُّوقِ تَنْشَرِدُ
وَذَاكَ يَعْدُو وَذَا يَمْشِي عَلَيْهِ وَذَا زَحْفًا وَذَا كُبَّ فِي نَارٍ بِهِ تَقِدُ
وَالنَّارُ حَقٌّ وَجَنَّاتُ النَّعِيمِ وَلا نَقُولُ تَفْنَىٰ وَلا ذَا الآنَ تُفْتَقَدُ
هَذِي لأَعْدَائِهِ قَدْ أُرْصِدَتْ أَبَدًا وَذِي لأَحْبَابِهِ وَالْكُلُّ قَدْ خَلَدُوا
وَحَوْضُ أَحْمَدَ قَدْ أَعْطَاهُ خَالِقُهُ غَوْثًا لأُمَّتِهِ فِي الْحَشْرِ إِذْ تَرِدُ
وَالرُّسْلُ تَحْتَ لِوَاءِ الْحَمْدِ تُحْشَرُ إِذْ ذَاكَ اللِّوَا لِخِتَامِ الرُّسْلِ يَنْعَقِدُ
كَذَا الْمَقَامُ لَهُ الْمَحْمُودُ حَيْثُ بِهِ فِي شَأْنِهِ كُلُّ أَهْلِ الْجَمْعِ قَدْ حَمِدُوا

وَهُوَ الشَّفَاعَةُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ وفِي ... فَتْحِ الْجِنَانِ لأَهْلِيهَا إِذَا وَفَدُوا
وَفِي عُصَاةِ أُولِي التَّوْحِيدِ يُخْرِجُهُمْ ... مِنَ الْجَحِيمِ وَيُنْذِرِيهِمْ بِمَا سَجَدُوا
وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ الأَمْلاَكُ وَالشُّهَدَا ... وَالأَنْبِيَاءُ وَأَتْبَاعٌ لَهُمْ سَعِدُوا
فَيُخْرِجُونَهُمو فَحْمًا قَدِ امْتَحَشُوا ... مِنَ الْجَحِيمِ قَدِ اسودُّوا وَقَدْ خَمَدُوا
فَيُطْرَحُونَ بِنَهْرٍ يَنْبُتُونَ بِهِ ... نَبْتَ الْحُبُوبِ بِسَيْلٍ جَاءَ يَطَّرِدُ
ثُمَّ الشَّفَاعَةُ مِلْكٌ لِلإِلَهِ وَلا ... شَرِيكَ جَلَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدُ
فَلَيْسَ يَشْفَعُ إِلَّا مَنْ يَشَاءُ وَفِي ... مَنْ شَاءَ حِينَ يَشَاءُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ
وَيُخْرِجُ اللهُ أَقْوَامًا بِرَحْمَتِهِ ... بِلا شَفَاعَةَ لا يُحْصَى لَهُمْ عَدَدُ
وَلَيْسَ يَخْلُدُ فِي نَارِ الْجَحِيمِ سِوَى ... مَنْ كَانَ بِالْكُفْرِ عَنْ مَوْلاهُ يَبْتَعِدُ
يَا عُظْمَ مَا رَكِبُوا يَا سُوءَ مَا نَكَبُوا ... عَنْ رَبِّهِمْ حُجِبُوا مِنْ فَضْلِهِ بعِدُوا

باب: الإيمان بالنظر إلى الله ﷻ في الدار الآخرة

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ اللهَ خَالِقَهُمْ ... يَوْمَ اللِّقَا وَعْدُهُ الصِّدْقُ الذِي وُعِدُوا
يَرَوْنَهُ فِي مَقَامِ الْحَشْرِ حِينَ يُنَا ... دِيهِمْ لِيَتْبَعَ الأَقْوَامُ مَا عَبَدُوا
فَيَتْبَعُ الْمُجْرِمُ الأَنْدَادَ تَقْدُمُهُمْ ... إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا سَاءَ مَا وَرَدُوا
وَالْمُؤْمِنُونَ لِمَوْلاهُمْ قَدِ انْتَظَرُوا ... إِذَا تَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ سَجَدُوا
إِلَّا الْمُنَافِقُ يَبْقَى ظَهْرُهُ طَبَقًا ... إِذْ فِي الْحَيَاةِ إِذَا قِيلَ اسْجُدُوا مَرَدُوا
كَذَا الزِّيَادَةُ فِي يَوْمِ الْمَزِيدِ إِذَا ... عَلَى النَّجَائِبِ لِلرَّحْمَنِ قَدْ وَفَدُوا
فَالأَنْبِيَاءُ كَذَا الصِّدِّيقُ وَالشُّهَدَا ... عَلَى مَنَابِرِ نُورٍ فِي الْعُلا قَعَدُوا
وَغَيْرُهُمْ مِنْ أُولِي التَّقْوَى مَجَالِسُهُمْ ... كُثْبَانُ مِسْكٍ أَلَا يَا نِعْمَتِ الْمُهُدُ
مِنْ فَوْقِهِمْ أَشْرَفَ الرَّحْمَنُ جَلَّ وَنَا ... دَاهُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كُلُّهم شَهِدُوا
يَرَوْنَهُ جَهْرَةً لا يَمْتَرُونَ كَمَا ... لِلشَّمْسِ صَحْوًا يَرَى مَنْ مَا بِهِ رَمَدُ

هُنَاكَ يَذْهَلُ كُلٌّ عَنْ نَعِيمِهِمُو ... بِذَا النَّعِيمِ فَيَا نُعْمَىٰ لَهُمْ حُمِدُوا

وَذَا لَهُمْ أَبَدًا فِي كُلِّ جُمْعَتِهِمْ ... بُشْرَىٰ وَطُوبَىٰ لِمَنْ فِي وَفْدِهِمْ يَفِدُ

باب: الإيمان بالقدر خيره وشره

كَذَاكَ بِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ نُؤْمِنُ مِنْ ... خَيْرٍ وَشَرٍّ وَذَا فِي دِينِنَا عُمُدُ

وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ الْـ ... ـمَحْتُومِ لَكِنْ أُولُو الْأَهْوَاءِ قَدْ مَرَدُوا

فَإِنَّ الإِيمَانَ بِالأَقْدَارِ مُرْتَبِطٌ ... بِالشَّرْعِ ذَا دُونَ هَذَا لَيْسَ يَنْعَقِدُ

إِيَّاهُ نَعْبُدُ إِذْعَانًا لِشِرْعَتِهِ ... بِالنَّهْيِ مُنْزَجِرِينَ الأَمْرَ نَعْتَمِدُ

وَنَسْتَعِينُ عَلَىٰ كُلِّ الأُمُورِ بِهِ ... إِذْ كُلُّهَا قَدَرٌ مِنْ عِنْدِهِ تَرِدُ

أَحَاطَ عِلْمًا بِهَا رَبِّي وَقَدَّرَهَا ... دِقًّا وَجُلًّا وَمَنْ يَشْقَىٰ وَمَنْ سَعِدُوا

مِنْ قَبْلِ إِيجَادِهَا حَقًّا وَسَطَّرَهَا ... فِي اللَّوْحِ جَفَّتْ بِهَا الأَقْلَامُ وَالْمُدَدُ

كَيْفِيَّةٌ وَزَمَانٌ وَالْمَكَانُ فَلَا ... يَعْدُو امْرُؤٌ مَا قَضَاهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ

بِقَوْلِ كُنْ مَا يَشَا أَمْضَىٰ بِقُدْرَتِهِ ... بِالْخَلْقِ وَالأَمْرِ رَبُّ الْعَرْشِ مُنْفَرِدُ

وَقُدْرَةُ الْعَبْدِ حَقًّا مَعْ مَشِيئَتِهِ ... لَكِنْ لِمَا شَاءَ مِنْهُ اللهُ نَعْتَقِدُ

إِذْ كَانَ ذَاتًا وَفِعْلًا كُلُّهُ عَدَمٌ ... إِلَّا إِذَا جَاءَهُ مِنْ رَبِّهِ الْمَدَدُ

مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَهْوَ الْمُهْتَدِي وَكَذَا ... مَنْ شَاءَ إِضْلَالَهُ أَنَّىٰ لَهُ الرَّشَدُ

مجمل أركان الإسلام

هَذَا وَقَدْ بُنِيَ الإِسْلَامُ فَادْرِ عَلَىٰ ... خَمْسِ دَعَائِمَ فَاحْفَظْ إِنَّهَا الْعُمُدُ

هِيَ الشَّهَادَةُ فَاعْلَمْ وَالصَّلَاةُ مَعَ الزْ ... زَكَاةِ وَالصَّوْمِ ثُمَّ الْحَجِّ فَاعْتَمِدُوا

وَذِرْوَةُ الدِّينِ أَعْلَاهَا الْجِهَادُ حِمَىٰ ... لِحَقِّهِ وَلِأَهْلِ الْكُفْرِ مُضْطَهَدُ

جامع وصف الإحسان

هَذَا وَالإِحْسَانُ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ ... أَصْلٌ وَمَعْنَاهُ عَنْ خَيْرِ الْوَرَىٰ يَرِدُ

أَنْ تَعْبُدَ اللهَ بِاسْتِحْضَارِ رُؤْيَتِهِ ... إِيَّاكَ ثُمَّ كَمَنْ إِيَّاهُ قَدْ شَهِدُوا

باب: نواقض الإسلام أعاذنا الله منها

ولَيْسَ يَخْرجِ مِنَ الاسْلامِ دَاخِلُهُ ... إِلَّا بِإِنْكَارِ مَا فِيهِ بِهِ يَرِدُ

أَمَّا الْمَعَاصِي الَّتي مِنْ دُونِ ذَاكَ فَلا ... تَكْفِيرَ إِلَّا لِمَنْ لِلْحِلِّ يَعْتَقِدُ

وَالْكُفْرُ إِنْ كَانَ عَنْ جَهْلِ الْكَفُورِ فَتَكْـ ... ـذِيبٌ كَكُفْرِ قُرَيْشٍ حِينَمَا مَرَدُوا

أَوْ كَانَ عَنْ عِلْمِهِ فَهْوَ الْجُحُودُ كَكُفْـ ... ـفَارِ الْيهودِ الأُلَىٰ بِالْمُصْطَفَىٰ جَحَدُوا

أَوْ بِالإِبَاءِ مَعَ الإِقْرَارِ فَهْوَ عِنَا ... دٌ كَالرَّجِيمِ إِذِ الأَمْلاكُ قَدْ سَجَدُوا

أَوْ أَبْطَنَ الْكُفْرَ بِالإِسْلامِ مُسْتَتِرًا ... فَهْوَ النِّفَاقُ فَهَذي أَرْبَعٌ تَرِدُ

مُقَابِلاتٌ لِقَوْلِ الْقَلْبِ مَعْ عَمَلٍ ... مِنْهُ وَقَوْلِ لِسَانٍ مَعْهُ يَنْعَقِدُ

كَذَا لِسَائِرِ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ فَاعْـ ... ـلَمْ أَرْبَعٌ قَابَلَتْهَا فَاسْتَوَىٰ الْعَدَدُ

باب: شرك دون شرك وكفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسوق دون فسوق ونفاق دون نفاق

وَالشِّرْكُ قَدْ جَاءَ مِنْهُ أَصْغَرٌ وَهُوَ الرْ ... رِيَاءُ مِمَّنْ سِوَىٰ الرَّحْمَنِ مَا عُبِدُوا

كَمَنْ يُصَلِّي لِرَبِّي ثُمَّ زَيَّنَهَا ... لِمَا يَرَىٰ أَنْ إِلَيْهِ نَاظِرٌ أَحَدُ

كَذَلِكَ الْحَلْفُ بِالْمَخْلُوقِ مِنْ وَثَنٍ ... كَذَا الأَمَانَةُ وَالآبَاءُ وَالْوَلَدُ

وَبِالشَّهَادَةِ فَالسَّاهِي يُكَفِّرُ كَيْ ... يَقَرَّ فِي الْقَلْبِ مَعْنَاهَا وَيَرْتَصِدُ

وَنَحْوُ لَوْلا فُلانٌ كَانَ كَيْتَ وَمَا ... شَاءَ الإِلَهُ وَشِئْتَ الْكُلُّ مُنْتَقَدُ

وَهَكَذَا كُلُّ لَفْظٍ فِيهِ تَسْوِيَةٌ ... بِاللهِ جَلَّ وَلَكِنْ لَيْسَ يُعْتَقَدُ

وَلانْتِفَاءِ التَّسَاوِي جَازَ ثُمَّ مَكَا ... نَ الوَاوِ نَصًّا وَأَهْلُ الْعِلْمِ مَا انْتَقَدُوا

وَالْكُفْرُ وَالظُّلْمُ فَاعْلَمْ وَالْفُسُوقُ كَذَا النْـ ... ـنِفَاقُ كُلٌّ عَلَىٰ نَوْعَيْنِ قَدْ يَرِدُ

فَالْكُفْرُ بِاللهِ مَعْلُومٌ وَسُمِّيَ بِالْـ ... ـكُفْرِ الْقِتَالُ لِذِي الإِسْلامِ يعتَمِدُ

وَالظُّلْمُ لِلشِّرْكِ وَصْفٌ ثُمَّ أُطْلِقَ فِي ... تَظَالُمِ الْخَلْقِ مِنْهُ الْغِشُّ وَالْحَسَدُ
وَالْفِسْقُ فِي وَصْفِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ أَتَىٰ ... وَقَاذِفٍ مَا عَنِ الإِسْلَامِ يَبْتَعِدُ
كَذَا النِّفَاقُ أَتَىٰ فِي الْكُفْرِ أَقْبَحُهُ ... وَجَاءَ فِي وَصْفِ ذِي خُلْفٍ لِمَا يَعِدُ
أَوْ خَاصَمُوا فَجَرُوا أَوْ عَاهَدُوا غَدَرُوا ... وَالْخَائِنِينَ وَمَنْ إِنْ حَدَّثُوا فَنَدُوا

باب: معنى النصوص التي فيها نفي الإيمان عن مرتكب بعض المعاصي

وَحَيْثُ مَا نُفِيَ الإِيمَانُ فِي أَثَرٍ ... عَمَّنْ عَصَىٰ وَمِنَ التَّوحِيدِ قَدْ عَقَدُوا
فَالْمُسْتَحِلُّ أَوِ الْمَقْصُودُ فَارَقَهُ ... إِيمَانُهُ حَالَةَ الْعِصْيَانِ يَصْطَعِدُ
أَوِ الْمُرَادُ بِهِ نَفْيُ الْكَمَالِ وَعَنْ ... تَفْسِيرِهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ قَصَدُوا
تَكُونُ أَزْهَبَ أَمَّا أَنْ نُكَفِّرَهُ ... فَقَدْ رَدَدْنَا عَلَىٰ الْقُرْآنِ إِذْ نَجِدُ
أَنْ أَثْبَتَ اللهُ لِلْجَانِي الأُخُوَّةَ وَالْـ ... إِيمَانَ مَا قَالَ فِيهِ كَافِرٌ وَعَدُو

باب: التوبة وشروطها

وَتُقْبَلُ التَّوْبَةُ اعْلَمْ قَبْلَ حَشْرَجَةِ الصُّـ ... ـدُورِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ نَالَهُ أَحَدُ
شُرُوطُهَا يَا أَخِي الإِقْلَاعُ مَعْ نَدَمٍ ... وَلَا يَعُودُ لَهُ بَلْ عَنْهُ يَبْتَعِدُ
وَإِنْ يَكُنْ فِيهِ حَقُّ الآدَمِي فَتَحَلَّـ ... ـلْ حَيْثُ أَمْكَنَ وَلْيَعْرِضْ لَهُ الْقَوَدُ

باب: حكم السحر والكهانة والتنجيم والتطير والاستسقاء بالأنواء والعين

وَالسِّحْرُ حَقٌّ وُقُوعًا بَاطِلٌ عَمَلًا ... فَمِنْهُ حِرْزٌ وَمِنْهُ النَّفْثُ وَالْعُقَدُ
وَحُكْمُهُ الْكُفْرُ فِي نَصِّ الْكِتَابِ أَتَىٰ ... وَحَدُّ فَاعِلِهِ بِالسَّيْفِ يُحْتَصَدُ
ثُمَّ الكِهَانَةُ كُفْرٌ وَالتَّطَيُّرُ وَالتَّـ ... ـنْجِيمُ وَالنَّوْءُ مِمَّنْ فِيهِ يَعْتَقِدُ
وَالْعَيْنُ حَقٌّ وَبِالْمَقْدُورِ تُورِثُهَا ... وَلْيَغْتَسِلْ عَائِنٌ مِنْهَا لِمَنْ يَجِدُ

باب: حكم الرقى والتعاليق

ثُمَّ الرُّقَىٰ إِنْ تَكُنْ بِالْوَحْيِ دُوْنَ تَصَرْ ـرُفٍ وَلا صَرْفٍ قَلْبٍ لَيْسَ يُنْتَقَدُ
وَلِلصَّحَابَةِ خُلْفٌ فِي تَعَلُّقِ آيَـ ـاتِ الْكِتَابِ وَوِرْدٍ لِلنَّبِـي يَـرِدُ
وَالْمَنْعُ أَوْلَىٰ فَأَمَّا مَا عَدَاهُ فَلا خِلافَ فِي مَنْعِهِ إِذْ فِيهِ مُسْتَنَدُ

باب: الخلافة ومحبة الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم

ثُمَّ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ هُوَ الصِّـ ـدِّيقُ أَسْعَدُ مَنْ بِالْمُصْطَفَىٰ سَعِدُوا
وَبَعْدَهُ عُمَرُ الْفَارُوقُ ذَاكَ أَبُو حَفْصٍ لَهُ الضِّدُّ وَالأَعْوَانُ قَدْ شَهِدُوا
كَذَاكَ عُثْمَانُ ذو النُّورَيْنِ ثَالِثُهُمْ بِظُلْمِهِ بَاءَ أَهْلُ الْبَغْيِ إِذْ قَصَدُوا
كَذَا عَلِيٌّ أَبُو السِّبْطَيْنِ رَابِعُهُمْ بِالْحَقِّ مُعْتَضِدٌ لِلْكُفْرِ مُضْطَهِدُ
فَهَؤُلاءِ بِلاَ شَكٍّ خِلافَتُهُمْ بِمُقْتَضَىٰ النَّصِّ وَالإِجْمَاعُ مُنْعَقِدُ
وَأَهْلُ بَيْتِ النَّبِي وَالصَّحْبُ قَاطِبَةً عَنهُمْ نَذُبُّ وَحُبَّ الْقَوْمِ نَعْتَقِدُ
وَالْحَقُّ فِي فِتْنَةٍ بَيْنَ الصِّحَابِ جَرَتْ هُوَ السُّكُوتُ وَأَنَّ الْكُلَّ مُجْتَهِدُ
وَالنَّصْرُ أَنَّ أَبَا السِّبْطَيْنِ كَانَ هُوَ الْـ ـمُحِقُّ مَنْ رَدَّ هَذَا قَوْلُهُ فَنَدُ
تَبًّا لِرَافِضَةٍ سُحْقًا لِنَاصِبَةٍ قُبْحًا لِمَارِقَةٍ ضَلُّوا وَمَا رَشَدُوا

باب: وجوب طاعة أولي الأمر

ثُمَّ الأَئِمَّةُ فِي الْمَعْرُوفِ طَاعَتُهُمْ مَفْرُوضَةٌ وَفِ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَقَدُوا
وَلا يَجُوزُ خُرُوجٌ بِالسِّلاَحِ عَلَيْـ ـهِمْ مَا أَقَامُوا عَلَىٰ السَّمْحَاءِ وَاقْتَصَدُوا
أَمَّا إِذَا أَظْهَرُوا الْكُفْرَ الْبَوَاحَ فَقَا تِلُوا أَئِمَّةَ كُفْرٍ حَيْثُمَا وُجِدُوا

باب: وجوب النصيحة في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثُمَّ النَّصِيحَةُ قُلْ فَرْضٌ بِكُلِّ مَعَا نِيهَا هِيَ الدِّينُ فَاعْلَمْ إِذْ هِيَ الْعُمُدُ
للهِ وَالرُّسْلِ وَالْقُرْآنِ ثُمَّ وُلا ةِ الأَمْرِ ثُمَّ عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ هُدُوا

وَالأَمْرُ بِالْعُرْفِ مَعْ عِلْمٍ بِهِ وَلِعَفْـ   ـوٍ خُذْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجُهَّالِ يَتَّئِدُوا

كَذَلِكَ النَّهْيُ عَنْ نُكْرٍ وَمَوْرِدِهِ   قَوْلٌ فَسُخْطًا إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ يَدُ

باب: الشرع وأصول الفقه

وَالشَّرْعُ مَا أَذِنَ اللهُ الْعَظِيمُ بِهِ   مِنَ الْكِتَابِ وَآثَارِ النَّبِي تَرِدُ

مِمَّا رَوَىٰ الْعَدْلُ مَحْفُوظًا وَمُتَّصِلا   عَنْ مِثْلِهِ صَحَّ مَرْفوعًا بِهِ السَّنَدُ

وَالْقَوْلُ وَالْفِعْلُ وَالتَّقْرِيرُ حَيْثُ أَتَىٰ   عَنِ الرَّسُولِ فللتَّشْرِيعِ يُعْتَمَدُ

إِلَّا إِذَا جَاءَ بُرْهَانٌ يُخَصِّصُهُ   بِالْمُصْطَفَىٰ أَوْ بِشَخْصٍ فِيهِ يَنْفَرِدُ

وَالأَصْلُ فِي الأَمْرِ فَاعْلَمْ لِلْوُجُوبِ فَلا   يُصَارُ لِلنَّدْبِ إِذْ لا صَارِفٌ يَرِدُ

وَالنَّهْيُ لِلْحَظْرِ إِذْ لا نَصَّ يَصْرِفُهُ   إِلَىٰ الكَرَاهَةِ هَذا الحَقُّ يُعْتَقَدُ

وَمُسْتَوِي الطَّرَفَيْنِ ادْعُ الْمُبَاحَ فَلا   يُلامُ فِي فِعْلِهِ أَوْ تَرْكِهِ أَحَدُ

وَمَا بِهِ يَنْتَفِي حُكْمٌ فَمَانِعُهُ   وَعَكْسُهُ سَبَبٌ يَدْرِيهِ مُجْتَهِدُ

وَالشَّرْطُ مَا رَتَّبَ الإِجْزَا وَصِحَّتُهُ   عَلَيْهِ أَوْ نَفْيُ حُكْمٍ حِينَ يُفْتَقَدُ

وَنَافِذٌ وَبِهِ اعْتُدَّ الصَّحِيحُ كَمَا   نَقِيضُهُ بَاطِلٌ لَيْسَتْ لَهُ عُمُدُ

ثُمَّ الْوَسِيلَةُ تُعْطَىٰ حُكْمَ غَايَتِهَا   فَرْضًا وَنَدْبًا وَحَظْرًا عَنْهُ يُبْتَعَدُ

وَالرُّخْصَةُ الإِذْنُ فِي أَصْلٍ لِمَعْذِرَةٍ   وَضِدُّهَا عَزْمَةٌ بِالأَصْلِ تَنْعَقِدُ

وَالأَصْلُ أَنَّ نُصُوصَ الشَّرْعِ مُحْكَمَةٌ   إِلَّا إِذَا جَا بِنَقْلِ الأَصْلِ مُسْتَنَدُ

وَأَيُّ نَصٍّ أَتَىٰ مِثْلٌ يُعَارِضُهُ   وَأَمْكَنَ الْجَمْعُ فَهْوَ الْحَقُّ يُعْتَمَدُ

وَحَيْثُ لا وَدَرَيْتَ الآخِرَ اقْضِ بِهِ   نَسْخًا لِحُكْمِ الَّذِي مِنْ قَبْلِهِ يَرِدُ

أَوْ لا فَرَجِّحْ مَتَىٰ تَبْدُو قَرَائِنُ تَرْ   جِيحٍ عَلَيْهَا احْتَوَىٰ مَتْنٌ أَوِ السَّنَدُ

وَالْمُطْلَقَ احْمِلْ عَلَىٰ فَحْوَىٰ مُقَيِّدِهِ   وَخُصَّ مَا عَمَّ بِالتَّخْصِيصِ إِذْ تَجِدُ

وَالْحَظْرَ قَدِّمْ عَلَىٰ دَاعِي إِبَاحَتِهِ   كَذَا عَلَىٰ النَّفْيِ فَالإِثْبَاتُ مُعْتَضِدُ

كَذَا الصَّرِيحُ عَلَىٰ الْمَفْهُومِ فَاقْضِ بِهِ ... وَهَكَـذَا فَاعْتَبِرْ إِنْ أَنْتَ مُنْتَقِدُ

وَأَيُّ فَرْعٍ أَتَتْ فِي الأَصْلِ عِلَّتُهُ ... أَوْ كَانَ أَوْلَىٰ بِهَا فَالْحُكْمُ يَطَّرِدُ

وَلا تُقَدِّمْ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ عَلَىٰ ... نَصِّ الشَّرِيعَةِ كَالْغَالِينَ إِذْ جَحَدُوا

وَلا تُقَلِّدْ وَكُنْ فِي الْحَقِّ مُتَّبِعًا ... إِنَّ اتِّبَاعَكَ فَلْتَعْلَمْ هُوَ الرَّشَدُ

إِذِ الأَئِمَّةُ بِالتَّقْلِيدِ مَا أَذِنُوا ... لَكِنْ رِدِ الْمَوْرِدَ الْعَذْبَ الَّذِي وَرَدُوا

وَلْتَسْتَعِنْ بِفُهُومِ الْقَوْمِ إِنَّ لَهُمْ ... بَصَائِرًا كَمْ بِهَا يَنْحَلُّ مُنْعَقِدُ

وَأَعْلَمُ الأُمَّةِ الصَّحْبُ الأُلَىٰ حَضَرُوا ... مَوَاقِعَ الشَّرْعِ وَالتَّنْزِيلَ قَدْ شَهِدُوا

أَدْرَىٰ الأَنَامِ بِتَفْسِيرِ الْكِتَابِ وَأَفْـ ... ـعَالِ الرَّسُولِ وأَقْوَالٍ لَهُ تَرِدُ

إِجْمَاعُهُمْ حُجَّةٌ قَطْعًا وَخُلْفُهُمُو ... لَمْ يَعْدُهُ الْحَقُّ فَلْيَعْلَمْهُ مُجْتَهِدُ

أُرْدُدْ أَقَاوِيلَهُمْ نَحْوَ النُّصُوصِ فَمَا ... يُوَافِقُ النَّصَّ فَهْوَ الْحَقُّ مُعْتَضَدُ

مَا لَمْ تَجِدْ فِيهِ نَصًّا قَدِّمِ الْخُلَفَا ... إِذْ هُمْ بِنَصِّ رَسُولِ اللهِ قَدْ رَشَدُوا

فَالتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ فَتَابِعُهُمْ ... مِنَ الأَئِمَّةِ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ هُدُوا

كَالسَّبْعَةِ الأَنْجُمِ الزُّهْرِ الذِينَ يَرَىٰ ... إِجْمَاعَهُمْ مَالِكٌ كَالنَّصِّ يُعْتَمَدُ

وَابنِ الْمُبَارَكِ وَالْبَصْرِي هُوَ الْحَسَنُ الْـ ... ـمَرْضِيُّ حَقًّا وَحَمَّادًا هُمُو حَمَدُوا

كَذَاكَ سُفْيَانُ مَعْ سُفْيَانَ ثُمَّ فَتَىٰ الْـ ... أَوْزَاعِ فَاعْلَمْ وَمِنْ أَقْرَانِهِمْ عَدَدُ

ثُمَّ الأَئِمَّةُ نُعْمَانٌ وَمَالِكُهُمْ ... وَالشَّافعي أَحْمَدُ فِي دِينِنَا عُمُدُ

وَغَيْرُهُمْ مِنْ أُولِي التَّقْوَىٰ الذِينَ لَهُمْ ... بَصَائِرٌ بِضِيَاءِ الْوَحْيِ تَتَّقِدُ

أُولَئِكَ الْقَوْمُ يَحْيَا الْقَلْبُ إِنْ ذُكِرُوا ... وَيُذْكَرُ اللهُ إِنْ ذِكْرَاهُمُو تَرِدُ

أَئِمَّةُ النَّقْلِ وَالتَّفْسِيرِ لَيْسَ لَهُمْ ... سِوَىٰ الْكِتَابِ وَنَصِّ الْمُصْطَفَىٰ سَنَدُ

أَحْبَارُ مِلَّتِهِ أَنْصَارُ سُنَّتِهِ ... لا يَعْدِلُونَ بِهَا مَا قَالَهُ أَحَدُ

أَعْلامَهَا نَشَرُوا أَحْكَامَهَا نَصَرُوا ... أَعْدَاءَهَا كَسَرُوا ثُقَّالَهَا نَقَدُوا

هُمُو الرُّجُومُ لِسُرَّاقِ الْحَدِيثِ كَمَا ... لِكُلِّ مُسْتَرِقٍ شُهْبُ السَّما رَصَدُ

بُدُورُ تِمٍّ سِوَىٰ أَنَّ الْبُدُورَ لَهَا ... غَيْبُوبَةٌ أَبَدًا وَالنَّقْصُ مُطَّرِدُ

وَهُمْ مَدَىٰ الدَّهْرِ مَا زَالَتْ مَآثِرُهُمْ ... فِي جِدَّةٍ وَانْجِلاءٍ مُنْذُ مَا وُسِدُوا

أُولئكَ الْمَلأُ الْغُرُّ الأُلىٰ مَلَئُوا الـ ... أَقْطَارَ عِلْمًا وَغَيْرَ النَّصِّ مَا اعْتَقَدُوا

كُلٌّ لَهُ قَدَمٌ فِي الدِّينِ رَاسِخَةٌ ... وَكُلُّهُمْ فِي بَيَانِ الْحَقِّ مُجْتَهِدُ

فَإِنْ أَصَابَ لَهُ أَجْرَانِ قَدْ كَمُلا ... وَالأَجْرُ مَعْ خَطَإٍ وَالْعَفْوُ مُتَّعَدُ

وَالْحَقُّ لَيْسَ بِفَرْدٍ قَطُّ مُنْحَصِرًا ... إِلَّا الرَّسُولُ هُوَ الْمَعْصُومُ لا أَحَدُ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ فَاطِرُهُ ... مُسَلِّمًا مَا بِأَقْلامٍ جَرَىٰ المِدَدُ

وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ ... وَالْحَمْدُ للهِ لا يُحْصَىٰ لَهُ عَدَدُ

* * *

٣٧-سلم الوصول إلى معرفة الأصول

بسم الله الرحمن الرحيم

أَبْــدَأُ باسْــمِ اللهِ مُــسْتَعِينا ... رَاضٍ بِــهِ مُــدبِّرًا مُعِينَــا

والْحَمْــدُ للهِ كَمَــا هَدَانَــا ... إِلَــىٰ سَبِيــلِ الْحَــقِّ واجْتَبَانَــا

أَحْمَــدُهُ سُــبْحَانَهُ وأَشْــكُرُهْ ... ومِــن مَــسَاوِي عَمَلِــي أَسْتَغفِــرُهْ

وأَسْــتَعِينُهُ عَلَــىٰ نَيْــلِ الرِّضَــا ... وأَسْتَمِــدُّ لُطفَــهُ فِيمَــا قَــضَىٰ

وبعــدُ إِنِي بِــالْيقِينِ أَشْهَــدُ ... شَــهادَةَ الإِخــلاصِ أَلَّا يُعْبَــدُ

بِــالْحَقِّ مَــأْلُوهٌ سِــوَىٰ الــرَّحْمنِ ... مَــنْ جَــلَّ عَــن عَيْــبٍ وعَــنْ نُقْــصَانِ

وأن خيْــرَ خَلْقِــهِ محمَّــدَا ... مَــنْ جاءَنَــا بالْبَيِّنَــات والْهُــدَىٰ

رَسُــولُهُ إِلَــىٰ جَمِيــعِ الْخَلْــقِ ... بِــالنُّورِ والْهُــدَىٰ ودِيــنِ الْحَــقِّ

صَــلَّىٰ عَلَيْــهِ رَبُّنَــا وَمجَّــدَا ... والآلِ وَالــصَّحْبِ دَوَامًــا سَــرْمَدَا

وَبَعْــدُ هَــذَا الــنَّظْمُ فِي الأُصــولِ ... لِــمَنْ أَرَادَ مَنْهَــجَ الرَّسُــولِ

ســأَلَنِي إِيَّــاهُ مَــنْ لا بُــدَّ لِــي ... مِــنِ امْتِثَــالِ سُــؤْلِهِ الْمُمْتَثَــلِ

فَقُلْــتُ مَــع عَجْــزِي ومَــعْ إِشْــفَاقِي ... مُعْتَمِــدًا علــىٰ الْقَــدِيرِ الْبَاقِــي

مقدمة: تعرف العبد بما خلق له، وبأول ما فرض الله تعالى عليه وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم وبما هو صائر إليه

اعْلَــمْ بِــأَنَّ اللهَ جَــلَّ وَعَــلا ... لَــمْ يَتْــرُكِ الْخَلْــقَ سُــدَىٰ وَهَمَــلا

بَــلْ خَلَــقَ الْخَلْــقَ لِيعْبُــدُوهُ ... وَبِالإِلَهِيَّــــةِ يُفْــــرِدُوهُ

أَخْـرَجَ فِيمَا قَـدْ مَـضَىٰ مِـن ظَهْـرِ ... آدمَ ذُرِّيَّتَـــــهُ كَالـــــذَّرِّ
وأخَــذَ العَهْــدَ عَلَــيْهِمْ أَنَّـــهُ ... لا رَبَّ مَعْبُـــودٌ بحـــقٍّ غَيْـــرُهُ
وَبَعْــدَ هَــذَا رُسْــلَهُ قَــدْ أَرْسَــلا ... لَهُـــمْ وَبِـــالْحَقِّ الْكِتَـــابَ أَنْـــزَلا
لِكَــيْ بِـــذَا الْعَهْـــدِ يُذَكِّرُوهُـــمْ ... وَيُنذِرُوهُـــمْ وَيُبَـــشِّرُوهُمْ
كَـيْ لا يَكُـونَ حُجَّـةٌ لِلنَّـاسِ بَـلْ ... للهِ أَعْلَـــىٰ حُجَّـــةٍ عَـــزَّ وَجَـــلْ
فَمَـــنْ يُـــصَدِّقْهُمْ بِـــلا شِقَـــاقِ ... فَقَـــدْ وَفَـــىٰ بِـــذَلِكَ الْمِيثَـــاقِ
وَذَاكَ نَـــاجٍ مِـــن عَـــذَابِ النَّـــارِ ... وَذَلِـــكَ الْـــوَارِثُ عُقْبَـــىٰ الـــدَّارِ
وَمَـــنْ بِهِـــمْ وَبِالْكِتَـــابِ كَـــذَّبَا ... وَلازَمَ الإِعْــــرَاضَ عَنْـــهُ وَالإِبَـــا
فَــذَاكَ نَاقِــضٌ كِــلا العَهْــدَيْنِ ... مُـــسْتَوجِبٌ لِلخِـــزْيِ فِي الـــدَّارَيْنِ

فصل: في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين
وبيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة والإثبات

أَوَّلُ وَاجِـــبٍ عَلَـــىٰ الْعَبِيـــدِ ... مَعْرِفَـــةُ الـــرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيـــدِ
إِذْ هُـــوَ مِـــن كُـــلِّ الأَوَامِـــرِ أَعْظَـــمُ ... وَهْـــوَ نَوْعَـــانِ أَيَـــا مَـــن يَفْهَـــمُ
إِثْبَـــاتُ ذَاتِ الـــرَّبِّ جَـــلَّ وعَـــلا ... أَسْـــمَائِهِ الْحُـــسْنَىٰ صِـــفَاتِهِ العُـــلا
وَأَنَّـــهُ الـــرَّبُّ الْجَلِيـــلُ الأَكْبَـــرُ ... الْخَالِـــقُ الْبَـــارِئُ وَالْمُـــصَوِّرُ
بَـــارِي الْبَرَايَـــا مُنْـــشِئُ الْخَلائِـــقِ ... مُبْـــدِعُهُمْ بِـــلا مِثَـــالٍ سَابِـــقِ
الأَوَّلُ الْمُبْـــــدِي بِـــــلا ابْتِـــــدَاءِ ... والآخِـــرُ الْبَـــاقِي بِـــلا انْتِهَـــاءِ
الأَحَـــدُ الفَـــرْدُ الْقَـــدِيرُ الأَزَلِـــي ... الـــصَّمَدُ الْبَـــرُّ الْمُهَـــيْمِنُ العَلِـــي
عُلُـــوَّ قَهْـــرٍ وَعُلُـــوَّ الـــشَّانِ ... جَـــلَّ عَـــنِ الأَضْـــدَادِ وَالأَعْـــوَانِ
كَـــذَا لَـــهُ الْعُلُـــوُّ والفَوْقِيَّـــهْ ... عَلَـــىٰ عِبَـــادِهِ بِـــلا كَيْفِيَّـــهْ
وَمَـــعَ ذَا مُطَّلِـــعٌ إِلَيْهِـــمُ ... بِعِلْـــمِهِ مُهَيْـــمِنٌ عَلَيْهِـــمُ

وَذِكْــرُهُ لِلقُــرْبِ وَالْمَعِيَّــهْ ... لَــمْ يَنْــفِ لِلْعُلُــوِّ وَالْفَوْقِيَّــهْ

فَإِنَّــهُ الْعَلِــيُّ فِي دُنُــوِّهِ ... وَهْــوَ الْقَرِيــبُ جَــلَّ فِي عُلُــوِّهِ

حَــيٌّ وَقَيُّــومٌ فَــلا يَنَــامُ ... وَجَــلَّ أَنْ يُــشْبِهَهُ الأَنَــامُ

لا تَبْلُــغُ الأَوْهَــامُ كُنْــهَ ذَاتِــهِ ... وَلا يُكَيِّــفُ الْحِجَــا صِفَاتِــهِ

بَــاقٍ فَــلاَ يَفْنَــى وَلا يَبِيــدُ ... وَلا يَكُــونُ غَيْــرُ مَــا يُرِيــدُ

مُنفَــرِدٌ بِالْخَلْــقِ وَالإِرَادَهْ ... وَحَــاكِمٌ جَــلَّ بِمَــا أَرَادَهْ

فَمَــنْ يَــشَأْ وَفَّقَــهُ بِفَــضْلِهِ ... وَمَــنْ يَــشَأْ أَضَــلَّهُ بِعَدْلِــهِ

فَمِــنْهُمُ الــشَّقِيُّ والــسَّعِيدُ ... وَذَا مُقَــرَّبٌ وَذَا طَرِيــدُ

لِحِكْمَــةٍ بَالِغَــةٍ قَــضَاهَا ... يَسْتَوْجِبُ الْحَمْــدَ عَلَــى اقْتِــضَاهَا

وهْــوَ الَّــذِي يَــرَى دَبِيــبَ الــذَّرِّ ... فِي الظُّلُمَــاتِ فَــوْقَ صُــمِّ الــصَّخْرِ

وَسَــامِعٌ لِلْجَهْــرِ وَالإِخفَــاتِ ... بِــسَمْعِهِ الْوَاسِــعِ لِلأَصْــوَاتِ

وَعِلْمُــهُ بِمَــا بَــدَا وَمَــا خَفِــي ... أَحَــاطَ عِلْمًــا بِــالْجَلِيِّ وَالْخَفِــي

وَهْــوَ الْغَنِــي بِذَاتِــهِ سُبْحَانَــهُ ... جَــلَّ ثَنَــاؤُهُ تَعَــالَى شَأْنُــهُ

وكُــلُّ شَــيْءٍ رِزْقُــهُ عَلَيْــهِ ... وَكُــلُّنَا مُفْتَقِــرٌ إِلَيْــهِ

كَلَّــمَ مُوسَــى عَبْــدَهُ تَكْلِيمَــا ... وَلَــمْ يَــزَلْ بِخَلْقِــهِ عَلِيمَــا

كَلامُــهُ جَــلَّ عَــنِ الإِحْــصَاءِ ... وَالحَــصْرِ وَالنَّفَــادِ وَالْفَنَــاءِ

لَــوْ صَــارَ أَقلامًــا جَمِيــعُ الــشَّجَرِ ... وَالبَحْــرُ تُلقَــى فِيــهِ سَــبْعَةُ أَبْحُــرِ

وَالْخَلْــقُ تَكتُبُــهُ بِكُــلِّ آنِ ... فَنَــتْ وَلَــيْسَ القَــوْلُ مِنــهُ فَــانِ

وَالْقَــوْلُ فِي كِتَابِــهِ المُفَــصَّلْ ... بِأَنَّــهُ كَلامُــهُ الْمُنَــزَّلْ

عَلَى الرَّسُولِ المُصْطَفَى خَيْرِ الوَرَى ... لَــيْسَ بِمَخْلُــوقٍ ولا بِمُفْتَــرَى

يُحْفَــظُ بِالقَلْــبِ وَبِاللِّــسَانِ ... يُتْلَــى كَمَــا يُــسْمَعُ بِــالآذَانِ

كَـذَا بِالابْـصَارِ إِلَيْـهِ يُنْظَـر وَبِالأَيَـادِي خَطُّـهُ يُسَـطَّر

وَكُـلُّ ذِي مَخْلُوقَـةٌ حَقِيقَـهْ دُونَ كَـلامِ بَـارِئِ الْخَلِيقَـهْ

جَلَّـتْ صِـفَاتُ رَبِّنَـا الـرَّحْمنِ عَـنْ وَصْـفِهَا بِـالْخَلْقِ وَالْحِـدْثَانِ

فَالصَّوْتُ والأَلْحَانُ صَوتُ الْقَارِي لكنَّمَـا الْمَتلُـوُّ قَـوْلُ الْبَـارِي

مَـا قَالَـهُ لا يَقْبَـلُ التَّبْدِيـلا كَـلَّا وَلا أَصْـدَقُ مِنـهُ قِيـلا

وَقَـدْ رَوَىٰ الثِّقَـاتُ عَـن خَيْـرِ المَـلا بِأَنَّـهُ عَـزَّ وَجَـلَّ وَعَـلا

فِي ثُلُـثِ اللَّيْـلِ الأَخِيـرِ يَنْـزِلُ يَقُـولُ: هَـلْ مِـن تَائِـبٍ فَيُقْبَـلُ؟

هَـلْ مِـنْ مُـسِيءٍ طالِـبٍ لِلْمَغْفِـرَهْ يَجِـدْ كَرِيمًـا قَـابِلًا لِلْمَعْـذِرَهْ؟

يَمُـنُّ بِـالْخَيْرَاتِ وَالْفَـضَائِلْ وَيَـسْتُرُ العَيْـبَ ويُعْطِـي الـسَّائِلْ

وَأَنَّـهُ يَجِـيءُ يَـوْمَ الفَـصْلِ كَمَـا يَـشَاءُ لِلْقَـضَاءِ الْعَـدْلِ

وأَنَّـهُ يُـرَىٰ بِـلا إِنْكَـارِ فِي جَنَّـةِ الفِـرْدَوْسِ بِالأَبْـصَارِ

كُـلٌّ يَـرَاهُ رُؤْيَـةَ العِيَـانِ كَمَـا أَتَـىٰ فِي مُحْكَـمِ القُـرآنِ

وَفِي حَدِيـثِ سَـيِّدِ الأَنَـامِ مِـنْ غَيْـرِ مَـا شَـكٌّ وَلا إِبْهَـامِ

رُؤْيَـةَ حَـقٌّ لَـيْسَ يَمْتَرُونَهَـا كَالشَّمْسِ صَحْوًا لا سَحَابَ دُونَهَا

وَخُـصَّ بالرُّؤْيَـةِ أَوْلِيَـاؤُهُ فَـضِيلَةً وَحُجِبُـوا أَعْـدَاؤُهُ

وَكُـلُّ مَـا لَـهُ مِـنَ الـصِّفَاتِ أَثْبَتَهَـا فِي مُحْكَـمِ الآيَـاتِ

أَوْ صَـحَّ فِيمَـا قَالَـهُ الرَّسُـولُ فَحَقُّـهُ التَّـسْلِيمُ وَالقَبُـولُ

نمِرُّهَـا صَـرِيحَةً كَمَـا أَتَـتْ مَـعَ اعْتِقَادِنَـا لِمَـا لَـهُ اقْتَـضَتْ

مِـنْ غَيْـرِ تَحْرِيـفٍ وَلا تَعْطِيـلِ وغَيْـرِ تَكْيِيـفٍ وَلا تَمْثِيـلِ

بَـلْ قَوْلُنَـا قَـوْلُ أَئِمَّـةِ الهُـدَىٰ طُـوبَىٰ لِمَـنْ بِهَـدْيِهِمْ قَـدِ اهْتَـدَىٰ

وَسَـمِّ ذَا النَّـوْعَ مِـنَ التَّوحِيـدِ تَوْحِيـدَ إِثْبَـاتٍ بِـلا تَرْدِيـدِ

قَدْ أَفْصَحَ الوَحْيُ المُبِينُ عَنْهُ ... فَالتَمِسِ الهُدَى المُنِيرَ مِنْهُ

لا تَتَّبِعْ أَقْوَالَ كُلِّ مَارِدِ ... غَاوٍ مُضِلٍّ مَارِقٍ مُعانِدِ

فَلَيْسَ بَعْدَ رَدِّ ذَا التِّبْيَانِ ... مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ

فصل: في بيان النوع الثاني من التوحيد:

وهو توحيد الطلب والقصد وأنه هو معنى (لا إله إلا الله)

هَذا وَثَانِي نَوعَيِ التوْحِيدِ ... إِفْرادُ رَبِّ العَرْشِ عن نديدِ

أنْ تَعْبُدَ اللهَ إلَهًا وَاحِدًا ... مُعْتَرِفًا بِحَقِّهِ لا جَاحِدًا

وَهْوَ الَّذي بِهِ الإلهُ أَرْسَلا ... رُسْلَهُ يَدْعُونَ إِلَيْهِ أَوَّلا

وأَنْزَلَ الكِتَابَ والتِّبْيَانَا ... مِن أجْلِهِ وَفَرَّقَ الفُرْقَانَا

وكَلَّفَ اللهُ الرَّسُولَ المُجْتَبَى ... قِتَالَ مَنْ عَنْهُ تَوَلَّى وَأَبَى

حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ خَالِصًا لَهُ ... سِرًّا وَجَهْرًا دِقَّهُ وَجِلَّهُ

وَهَكَذَا أُمَّتُهُ قَدْ كُلِّفُوا ... بِذَا وَفِي نَصِّ الكِتَابِ وُصِفُوا

وَقَدْ حَوَتْهُ لَفْظَةُ الشَّهَادَهْ ... فَهْيَ سَبِيلُ الفَوْزِ وَالسَّعَادَهْ

مَن قَالَهَا مُعْتَقِدًا مَعْنَاهَا ... وَكَانَ عَامِلًا بِمُقْتَضَاهَا

في القَوْلِ والفِعْلِ ومَاتَ مُؤمِنَا ... يُبْعَثُ يَوْمَ الحَشرِ نَاجٍ آمِنَا

فَإِنَّ مَعْنَاهَا الَّذِي عَلَيْهِ ... دَلَّتْ يَقِينًا وَهَدَتْ إِلَيْهِ

أن لَيْسَ بِالحَقِّ إلهٌ يُعْبَدُ ... إِلَّا الإلهُ الوَاحِدُ المُنْفَرِدُ

بِالخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَبالتَّدْبِيرِ ... جَلَّ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنَّظِيرِ

وَبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ ... وَفِي نُصُوصِ الوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ

فَإِنَّـــهُ لَـــمْ يَنْتَفِـــعْ قَائِلُهَـــا بِـــالنُّطْقِ إِلَّا حَيْـــثُ يَـــسْتَكْمِلُهَا
الْعِلْـــمُ وَالْيَقِـــينُ وَالقَبُـــولُ وَالانْقِيَـــادُ فَـــادْرِ مَـــا أَقُـــولُ
وَالـــصِّدْقُ وَالإِخْـــلاصُ وَالْمَحَبَّـــهْ وَفَّقَـــكَ اللهُ لِمَـــا أَحَبَّـــهْ

فصل: في العبادة وذكر بعض أنواعها وأن من صرف منها شيئًا لغير الله فقد أشرك

ثُـــمَّ الْعِبَـــادَةُ هِـــيَ اسْـــمٌ جَامِـــعُ لِكُـــلِّ مَـــا يَرْضَـــى الإِلَـــهُ الـــسَّامِعُ
وَفِـــي الْحَـــدِيثِ مُخُّهَـــا الـــدُّعَاءُ خَـــوْفٌ تَوَكُّـــلٌ كَـــذَا الرَّجَـــاءُ
وَرَغْبَـــةٌ وَرَهْبَـــةٌ خُـــشُوعُ وَخَـــشْيَةٌ إِنَابَـــةٌ خُـــضُوعُ
وَالاسْـــــتِعَاذَةُ وَالاسْتِعَانَـــــهْ كَـــذَا اسْـــتِغَاثَةٌ بِـــهِ سُبْحَانَـــهْ
وَالـــذَّبْحُ وَالنَّـــذْرُ وَغَيْـــرُ ذَلِـــكْ فَـــافْهَمْ هُـــدِيتَ أَوْضَـــحَ الْمَـــسَالِكْ
وَصَـــرْفُ بَعْـــضِهَا لِغَيْـــرِ اللهِ شِـــرْكٌ وَذَاكَ أَقْـــبَحُ الْمَنَاهِـــي

فصل: في بيان ضد التوحيد وهو الشرك وأنه ينقسم إلى قسمين: أصغر وأكبر، وبيان كل منهما

وَالـــشِّرْكُ نَوْعَـــانِ: فَـــشِرْكٌ أَكْبَـــرُ بِـــهِ خُلُـــودُ النَّـــارِ إِذْ لَا يُغْفَـــرُ
وَهْـــوَ اتِّخَـــاذُ الْعَبْـــدِ غَيْـــرَ اللَّـــهِ نِـــدًّا بِـــهِ مُـــسَوِّيًا مُـــضَاهِي
يَقْـــصِدُهُ عِنْـــدَ نُـــزُولِ الـــضُّرِّ لِجَلْـــبِ خَيْـــرٍ أَوْ لِـــدَفْعِ الـــشَّرِّ
أَوْ عِنْـــدَ أَيِّ غَـــرَضٍ لَا يَقْـــدِرُ عَلَيْـــهِ إِلَّا الْمَالِـــكُ الْمُقْتَـــدِرُ
مَـــعْ جَعْلِـــهِ لِـــذَلِكَ الْمَدْعُـــوِّ أَوِ الْمُعَظَّـــمِ أَوِ الْمَرْجُـــوِّ
فِي الْغَيْـــبِ سُـــلْطَانًا بِـــهِ يَطَّلِـــعُ عَلَـــى ضَـــمِيرِ مَـــنْ إِلَيْـــهِ يَفْـــزَعُ

وَالثَّانِ شِرْكٌ أَصْغَرٌ وَهُوَ الرِّيَا ... فَسَّرَهُ بِهِ خِتَامُ الأَنْبِيَا

وَمِنْهُ إِقْسَامٌ بِغَيْرِ البَارِي ... كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَخْبَارِ

فصل: في بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك ومنها ما هو قريب منه وبيان حكم الرقى والتمائم

وَمَنْ يَثِقْ بِوَدْعَةٍ أَوْ نَابِ ... أَوْ حَلْقَةٍ أَوْ أَعْيُنِ الذِّئَابِ

أَوْ خَيْطٍ اوْ عُضْوٍ مِنَ النُّسُورِ ... أَوْ وَتَرٍ أَوْ تُرْبَةِ القُبُورِ

لأَيِّ أَمْرٍ كَائِنٍ تَعَلَّقَهْ ... وَكَلَهُ اللهُ إِلَى مَا عَلَّقَهْ

ثُمَّ الرُّقَى مِنْ حُمَةٍ أَوْ عَيْنِ ... فَإِنْ تَكُنْ مِنْ خَالِصِ الوَحْيَيْنِ

فَذَاكَ مِنْ هَدْيِ النَّبِي وِشِرْعَتِهْ ... وَذَاكَ لا اخْتِلافَ فِي سُنِّيَّتِهْ

أَمَّا الرُّقَى الْمَجْهُولَةُ الْمَعَانِي ... فَذَاكَ وَسْوَاسٌ مِنَ الشَّيْطَانِ

وَفِيهِ قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ أَنَّهْ ... شِرْكٌ بِلا مِرْيَةٍ فَاحْذَرَنَّهْ

إِذْ كُلُّ مَنْ يَقُولُهُ لا يَدْرِي ... لَعَلَّهُ يَكُونُ مَحْضَ الكُفْرِ

أَوْ هُوَ مِنْ سِحْرِ الْيَهُودِ مُقْتَبَسْ ... عَلَى العَوَامِ لَبَّسُوهُ فَالْتَبَسْ

فَحَذَرًا ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ ... لا تَعْرِفُ الْحَقَّ وَتَنْأَى عَنْهُ

وفِي التَّمَائِمِ الْمُعَلَّقَاتِ ... إِن تَكُ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتِ

فَالاخْتِلافُ وَاقِعٌ بَيْنَ السَّلَفْ ... فَبَعْضُهُمْ أَجَازَهَا والْبَعْضُ كَفْ

وإِنْ تَكُنْ مِمَّا سِوَى الوَحْيَيْنِ ... فَإِنَّهَا شِرْكٌ بِغَيْرِ مَيْنِ

بَلْ إِنَّهَا قَسِيمَةُ الأَزْلامِ ... فِي الْبُعْدِ عَنْ سِيمَا أُولِي الإِسْلامِ

فصل: من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها يتخذ ذلك المكان عيدًا.

وبيان أن الزيارة تنقسم إلى: (سنية وبدعية وشركية)

هَـذَا وِمِـنْ أعْمَـالِ أهْـلِ الـشِّرْكِ ... مِـنْ غَيْـرِ مَـا تَـرَدُّدٍ أوْ شَـكْ

مَـا يَقْـصِدُ الجُهَّـالُ مِـنْ تَعْظِـيمِ مَـا ... لَـمْ يَـأذَنِ اللهُ بِـأنْ يُعَظَّمَـا

كَمَـنْ يَلُـذْ بِبقعَـةٍ أوْ حَجَـرِ ... أوْ قَبْـرِ مَيْـتٍ أوْ بِـبَعْضِ الـشَّجَرِ

مُتَّخِـذًا لِـذَلِكَ المَكَـانِ ... عِيـدًا كَفِعْـلِ عَابِـدِي الأوْثَـانِ

ثُـمَّ الزِّيَـارَةُ عَلَـى أقْـسَامِ ... ثَلاثَـةٍ يَـا أُمَّـةَ الإسْـلامِ

فَـإنْ نَـوَىٰ الزَّائِـرُ فِيمَـا أضْمَرَهْ ... فِي نَفْـسِهِ تَـذْكِرَةً بالآخِـرَهْ

ثُـمَّ الـدُّعَا لَـهُ ولِلأمْـوَاتِ ... بِـالعَفْوِ والـصفْحِ عَـنِ الـزَّلاتِ

وَلَـمْ يَكُـنْ شَـدَّ الرِّحَـالِ نَحْوَهَـا ... وَلَـمْ يقُـلْ هُجْـرًا كَقَـوْلِ الـسُّفَهَا

فَتِلْـكَ سُـنَّةٌ أتَـتْ صَرِيحَـهْ ... فِي الـسُّنَنِ المُثْبَتَـةِ الـصَّحِيحَهْ

أوْ قَـصَدَ الـدُّعَاءَ وَالتَّوَسُّـلا ... بِهِـمْ إلَـى الـرَّحْمَنِ جَـلَّ وَعَـلا

فَبِدْعَـةٌ مُحْدَثَـةٌ ضَلالَـهْ ... بَعِيـدَةٌ عَـنْ هَـدْيِ ذِي الرِّسَـالَهْ

وإنْ دَعَـا المَقْبُـورَ نَفْـسَهُ فَقَـدْ ... أشْـرَكَ بِـاللهِ العَظِـيمِ وَجَحَـدْ

لَـنْ يَقْبَـلَ اللهُ تَعَـالَىٰ مِنْـهُ ... صَـرْفًا وَلا عَـدْلا فَيَعْفُـو عَنْـهُ

إذْ كُـلُّ ذَنْـبٍ مُوشَـكُ الغُفْـرَانِ ... إلّا اتِّخَـاذَ النِّـدِّ للرَّحْمَـنِ

فصل: في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلونه عند القبور وما يرتكبونه من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات

ومَـنْ عَلَـى القَبْـرِ سِـرَاجًا أوقَـدَا ... أوِ ابْتَنَـىٰ عَلَـىٰ الـضَّرِيحِ مَـسْجِدَا

فإنَّـهُ مُجَـدِّدٌ جِهَـارَا ... لِـسُنَنِ اليَهُـودِ والنَّـصَارَىٰ

كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنْ ... فَاعِلَهُ كَمَا رَوَىٰ أَهْلُ السُّنَنْ
بَلْ قَدْ نَهَىٰ عَنِ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ ... وَأَنْ يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشِّبْرِ
وَكُلُّ قَبْرٍ مُشْرِفٍ فَقَدْ أَمَرْ ... بِأَنْ يُسَوَّىٰ هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرْ
وحَذَّرَ الأُمَّةَ عَنْ إِطْرَائِهِ ... فَغَرَّهُمْ إِبْلِيسُ بِاسْتِجْرَائِهِ
فَخَالَفُوهُ جَهْرَةً وَارْتَكَبُوا ... مَا قَدْ نَهَىٰ عَنْهُ وَلَمْ يَجْتَنِبُوا
فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ قَدْ غَلَوْا وَزَادُوا ... وَرَفَعُوا بِنَاءَهَا وَشَادُوا
بِالشِّيدِ وَالآجُرِّ وَالأَحْجَارِ ... لا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الأَعْصَارِ
وَلِلْقَنَادِيلِ عَلَيْهَا أَوْقَدُوا ... وَكَمْ لِوَاءٍ فَوْقَهَا قَدْ عَقَدُوا
وَنَصَبُوا الأَعْلامَ وَالرَّايَاتِ ... وَافْتَتَنُوا بِالأَعْظُمِ الرُّفَاتِ
بَلْ نَحَرُوا فِي سُوحِهَا النَّحَائِرْ ... فِعْلَ أُولِي التَّسْيِيبِ وَالْبَحَائِرْ
وَالْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُمْ ... وَاتَّخَذُوا إِلَهَهُمْ هَوَاهُمْ
قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهْ ... بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاخِهْ
يَدْعُو إِلَىٰ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ ... بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَبِاللِّسَانِ
فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبَاحَ ذَلِكْ ... وَأَوْرَطَ الأُمَّةَ فِي الْمَهَالِكْ
فَيَا شَدِيدَ الطَّوْلِ وَالإِنْعَامِ ... إِلَيْكَ نَشْكُو مِحْنَةَ الإِسْلامِ

فصل: في بيان حقيقة السحر وحد الساحر وأن منه علم التنجيم وذكر عقوبة من صدق كاهنًا

وَالسِّحْرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرُ ... لكِنْ بِمَا قَدَّرَهُ الْقَدِيرُ
أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهْ ... فِي الْكَوْنِ لا فِي الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ
وَاحْكُمْ عَلَىٰ السَّاحِرِ بِالتَّكْفِيرِ ... وَحَدُّهُ الْقَتْلُ بِلا نَكِيرِ
كَمَا أَتَىٰ فِي السُّنَّةِ الْمُصَرَّحَهْ ... مِمَّا رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَصَحَّحَهْ

عَنْ جُنْدُبٍ وَهَكَذَا فِيهِ أَثَرْ ... أَمْرٌ بِقَتْلِهِمْ رُوِيَ عَنْ عُمَرْ

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِنْدَ مَالِكِ ... مَا فِيهِ أَقْوَىٰ مُرْشِدٍ لِلسَّالِكِ

هَذَا وَمِنْ أَنْوَاعِهِ وَشُعَبِهْ ... عِلْمُ النُّجُومِ فَادْرِ هَذَا وَانْتَبِهْ

وَحَلُّهُ بِالْوَحْيِ نَصًّا يُشْرَعُ ... أَمَّا بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَيُمْنَعُ

وَمَنْ يُصَدِّقْ كَاهِنًا فَقَدْ كَفَرْ ... بِمَا أَتَىٰ بِهِ الرَّسُولُ الْمُعْتَبَرْ

فصل: يجمع معنى حديث جبريل المشهور في تعليمنا الدين وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وبيان أركان كلٍّ منها

اعْلَمْ بِأَنَّ الدِّينَ قَوْلٌ وعَمَلْ ... فَاحْفَظْهُ وَافْهَمْ مَا عَلَيْهِ ذَا اشْتَمَلْ

كَفَاكَ مَا قَدْ قَالَهُ الرَّسُولُ ... إِذْ جَاءَهُ يَسْأَلُهُ جِبْرِيلُ

عَلَىٰ مَرَاتِبٍ ثَلاَثٍ فَصَّلَهْ ... جَاءَتْ عَلَىٰ جَمِيعِهِ مُشْتَمِلَهْ

الاسْلَامِ والإِيمَانِ والإِحْسَانِ ... والْكُلُّ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ أَرْكَانِ

فَقَدْ أَتَىٰ الإِسْلَامُ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ ... خَمْسٍ، فَحَقِّقْ وَادْرِ مَا قَدْ نُقِلَا

أَوَّلُهَا الرُّكْنُ الأَسَاسُ الأَعْظَمُ ... وَهْوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الأَقْوَمُ

رُكْنُ الشَّهَادَتَيْنِ فَاثْبُتْ وَاعْتَصِمْ ... بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ الَّتِي لا تَنْفَصِمْ

وثَانِيًا إِقَامَةُ الصَّلاَةِ ... وَثَالِثًا تَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ

وَالرَّابِعُ الصِّيَامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ ... وَالْخَامِسُ الحَجُّ عَلَىٰ مَنْ يَسْتَطِعْ

فَتِلْكَ خَمْسَةٌ، وللإيمَانِ ... سِتَّةُ أَرْكَانٍ بِلا نُكْرَانِ

إِيمَانُنَا بِاللهِ ذِي الْجَلاَلِ ... وَمَا لَهُ مِنْ صِفَةِ الْكَمَالِ

وَبِالْمَلائِكَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَهْ ... وَكُتْبِهِ الْمُنْزَلَةِ الْمُطَهَّرَهْ

ورُسْلِهِ الْهُدَاةِ لِلأَنَامِ ... مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ ولا إِيهَامِ

أَوَّلُهُمْ نُوحٌ بِلا شَكٍّ كَمَا ... أَنَّ مُحَمَّدًا لَهُمْ قَدْ خَتَمَا
وَخَمْسَةٌ مِنْهُمْ أُولُو الْعَزْمِ الأُلَىٰ ... فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ والشُّورَىٰ تَلا
وَبِالْمَعَادِ ايْقِنْ بِلا تَرَدُّدِ ... ولا ادَّعَا عِلْمٍ بِوَقْتِ الْمَوْعِدِ
لَكِنَّنَا نُؤْمِنُ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا ... بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيْرِ الْوَرَىٰ
مِنْ ذِكْرِ آيَاتٍ تَكُونُ قَبْلَهَا ... وَهْيَ عَلامَاتٌ وَأَشْرَاطٌ لَهَا
وَيَدْخُلُ الإِيمَانُ بِالْمَوْتِ وَمَا ... مِنْ بَعْدِهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ حُتِمَا
وَأَنَّ كُلًّا مُقْعَدٌ مَسْئُولُ: ... مَا الرَّبُّ؟ مَا الدِّينُ؟ وَمَا الرَّسُولُ؟
وَعِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُهَيْمِنُ ... بِثَابِتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا
وَيُوقِنُ الْمُرْتَابُ عِنْدَ ذَلِكْ ... بِأَنَّ مَا مَوْرِدُهُ الْمَهَالِكْ
وَبِاللِّقَا وَالْبَعْثِ والنُّشُورِ ... وَبِقِيَامِنَا مِنَ الْقُبُورِ
غُرْلاً حُفَاةً كَجَرَادٍ مُنْتَشِرْ ... يَقُولُ ذُو الْكُفْرَانِ: ذَا يَوْمٌ عَسِرْ
وَيُجْمَعُ الْخَلْقُ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ... جَمِيعُهُمْ عُلْوِيُّهُمْ والسُّفْلِي
فِي مَوْقِفٍ يَجِلُّ فِيهِ الْخَطْبُ ... وَيَعْظُمُ الْهَوْلُ بِهِ وَالْكَرْبُ
وَأُحْضِرُوا لِلْعَرْضِ وَالْحِسَابِ ... وَانْقَطَعَتْ عَلائِقُ الأَنْسَابِ
وَارْتَكَمَتْ سَحَائِبُ الأَهْوَالِ ... وَانْعَجَمَ الْبَلِيغُ فِي الْمَقَالِ
وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْقَيُّومِ ... وَاقْتُصَّ مِنْ ذِي الظُّلْمِ لِلْمَظْلُومِ
وَسَاوَتِ الْمُلُوكُ لِلأَجْنَادِ ... وَجِيءَ بِالْكِتَابِ وَالأَشْهَادِ
وَشَهِدَتِ الأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ ... وَبَدَتِ السَّوْءَاتُ وَالْفَضَائِحُ
وَابْتُلِيَتْ هُنَالِكَ السَّرَائِرْ ... وَانْكَشَفَ الْمَخْفِيُّ فِي الضَّمَائِرْ
وَنُشِرَتْ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ ... تُؤْخَذُ بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ
طُوبَىٰ لِمَنْ يَأْخُذُ بِالْيَمِينِ ... كِتَابَهُ بُشْرَىٰ بِحُورٍ عِينِ

وَالْوَيْلُ لِلآخِذِ بِالشِّمَالِ وَرَاءَ ظَهْرٍ لِلْجَحِيمِ صَالِي
وَالْوَزْنُ بِالقِسْطِ فَلاَ ظُلْمَ وَلاَ يُؤْخَذُ عَبْدٌ بِسِوَى مَا عَمِلاَ
فَبَيْنَ نَاجٍ رَاجِحٍ مِيزَانُهُ وَمُقْرِفٍ أَوْبَقَهُ عُدْوَانُهُ
وَيُنْصَبُ الْجِسْرُ بِلاَ امْتِرَاءِ كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَنْبَاءِ
يَجُوزُهُ النَّاسُ عَلَى أَحْوَالِ بِقَدْرِ كَسْبِهِمْ مِنَ الأَعْمَالِ
فَبَيْنَ مُجْتَازٍ إِلَى الجِنَانِ وَمُسْرِفٍ يُكَبُّ فِي النِّيرَانِ
والنَّارُ والْجَنَّةُ حَقٌّ وَهُمَا مَوْجُودَتَانِ لا فَنَاءَ لَهُمَا
وَحَوْضُ خَيْرِ الْخَلْقِ حَقٌّ وبِهِ يَشْرَبُ فِي الأُخْرَىٰ جَمِيعُ حِزْبِهِ
كَذَا لَهُ لِوَاءُ حَمْدٍ يُنْشَرُ وَتَحْتَهُ الرُّسْلُ جَمِيعًا تُحْشَرُ
كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ العُظْمَىٰ كَمَا قَدْ خَصَّهُ اللهُ بِهَا تَكَرُّمَا
مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللهِ لا كَمَا يَرَىٰ كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَى اللهِ افْتَرَىٰ
يَشْفَعُ أَوَّلا إِلَى الرَّحْمَنِ فِي فَصْلِ القَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ
مِنْ بَعْدِ أَنْ يَطْلُبَهَا النَّاسُ إِلَى كُلِّ أُولِي العَزْمِ الهُدَاةِ الفُضَلا
وثَانِيًا يَشْفَعُ فِي اسْتِفْتَاحِ دَارِ النَّعِيمِ لأُولِي الْفَلاحِ
هَذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ قَدْ خُصَّتَا بِهِ بِلا نُكْرَانِ
وثَالِثًا يَشْفَعُ فِي أَقْوَامِ مَاتُوا عَلَى دِينِ الهُدَىٰ الإِسْلامِ
وأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الآثَامِ فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الإِجْرَامِ
أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى الْجِنَانِ بِفَضْلِ رَبِّ العَرْشِ ذِي الإِحْسَانِ
وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلِ وَكُلُّ عَبْدٍ ذِي صَلاحٍ وَوَلِي
وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النِّيرَانِ جَمِيعَ مَنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ
فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُونَا فَحْمًا فَيَحْيَوْنَ وَيَنْبُتُونَا

كَأَنَّمَا يَنْبُتُ فِي هَيْئَاتِهِ حِبُّ حَمِيلِ السَّيْلِ فِي حَافَاتِهِ

والسَّادِسُ الإِيمَانُ بِالأَقْدَارِ فَأَيْقِنَنْ بِهَا ولا تُمَارِ

فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ والكُلُّ فِي أُمِّ الكِتَابِ مُسْتَطَرْ

لا نَوْءَ لا عَدْوَىٰ ولا طِيَرَ وَلا عَمَّا قَضَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ حِوَلا

لا غَوْلَ لا هَامَةَ لا ولا صَفَرْ كَمَا بِذَا أَخْبَرَ سَيِّدُ الْبَشَرْ

وثَالِثٌ مَرْتَبَةُ الإِحْسَانِ وَتِلْكَ أَعْلاهَا لَدَىٰ الرَّحْمَنِ

وَهْوَ رُسُوخُ الْقَلْبِ فِي الْعِرْفَانِ حَتَّىٰ يَكُونَ الْغَيْبُ كَالْعِيَانِ

فصل: في كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنب دون الشرك إلا إذا استحله وأنه تحت المشيئة، وأن التوبة مقبولة ما لم يغرغر

إِيمَانُنَا يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ وَنَقْصُهُ يَكُونُ بِالزَّلَّاتِ

وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَىٰ تَفَاضُلِ هَلْ أَنْتَ كَالأَمْلاكِ أَوْ كَالرُّسُلِ

وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذُو الْعِصْيَانِ لَمْ يُنْفَ عَنْهُ مُطْلَقُ الإِيمَانِ

لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ والْمَعَاصِي إِيمَانُهُ مَا زَالَ فِي انْتِقَاصِ

ولا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ مُخَلَّدٌ، بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي

تَحْتَ مَشِيئَةِ الإِلهِ النَّافِذَهْ إِنْ شَا عَفَا عَنْهُ وإِنْ شَا آخَذَهْ

بِقَدْرِ ذَنْبِهِ، وإِلَىٰ الجِنَانِ يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَىٰ الإِيمَانِ

والْعَرْضُ تَيْسِيرُ الْحِسَابِ فِي النَّبَا وَمَنْ يُنَاقَشِ الْحِسَابَ عُذِّبَا

ولا نُكَفِّرْ بِالْمَعَاصِي مُؤْمِنَا إِلا مَعَ اسْتِحْلالِهِ لِمَا جَنَىٰ

وَتُقْبَلُ التَّوْبَةُ قَبْلَ الْغَرْغَرَهْ كَمَا أَتَىٰ فِي الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

أَمَّا مَتَىٰ تُغْلَقُ عَنْ طَالِبِهَا فَبِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا

فصل: في معرفة نبينا محمد ﷺ وتبليغه الرسالة وإكمال الله لنا به الدين، وأنه خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين، وأن من ادعى النبوة بعده فهو كاذب

نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ مِنْ هَاشِمِ ... إلَى الذَّبِيحِ دُونَ شَكٍّ يَنْتَمِي
أَرْسَلَهُ اللهُ إلَيْنَا مُرْشِدَا ... وَرَحْمَةً لِلعَالَمِينَ وَهُدَى
مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ المُطَهَّرَهْ ... هِجْرَتُهُ لِطَيْبَةَ المُنَوَّرَهْ
بَعْدَ ارْبَعِينَ بَدَأَ الوَحْيُ بِهِ ... ثُمَّ دَعَا إلَى سَبِيلِ رَبِّهِ
عَشْرَ سِنِينَ أيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا ... رَبًّا تَعَالَى شَأْنُهُ وَوَحِّدُوا
وَكَانَ قَبْلَ ذَاكَ فِي غَارِ حِرَا ... يَخْلُو بِذِكْرِ رَبِّهِ عَنِ الوَرَى
وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الأَعْوَامِ ... مَضَتْ لِعُمْرِ سَيِّدِ الأَنَامِ
أَسْرَى بِهِ اللهُ إلَيْهِ فِي الظُّلَمْ ... وَفَرَضَ الخَمْسَ عَلَيْهِ وَحَتَمْ
وَبَعْدَ أَعْوَامٍ ثَلاَثَةٍ مَضَتْ ... مِنْ بَعْدِ مِعْرَاجِ النَّبِيِّ وانقَضَتْ
أُوذِنَ بِالهِجْرَةِ نَحْوَ يَثْرِبَا ... مَعْ كُلِّ مُسْلِمٍ لَهُ قَدْ صَحِبَا
وَبَعْدَهَا كُلِّفَ بِالقِتَالِ ... لِشِيعَةِ الكُفْرَانِ والضَّلاَلِ
حَتَّى أَتَوْا لِلدِّينِ مُنْقَادِينَا ... وَدَخَلُوا فِي السِّلْمِ مُذْعِنِينَا
وَبَعْدَ أَنْ قَدْ بَلَّغَ الرِّسَالَهْ ... وَاسْتَنْقَذَ الخَلْقَ مِنَ الجَهَالَهْ
وأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الإِسْلاَمَا ... وقَامَ دِينُ الحَقِّ وَاسْتَقَامَا
قَبَضَهُ اللهُ العَلِيُّ الأَعْلَى ... سُبْحَانَهُ إلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى
نَشْهَدُ بِالحَقِّ بِلا ارْتِيَابِ ... بِأَنَّهُ المُرْسَلُ بِالكِتَابِ
وأَنَّهُ بَلَّغَ مَا قَدْ أُرْسِلا ... بِهِ وَكُلَّ مَا إلَيْهِ أُنْزِلا
وكُلُّ مَنْ مِنْ بَعْدِهِ قَدِ ادَّعَى ... نُبُوَّةً فَكَاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى

فَهْـوَ خِتَـامُ الرُّسْـلِ بِاتِّفَـاقِ ... وأفْـضَلُ الْخَلْـقِ عَلَـىٰ الإطْـلاقِ

فصل: فيمن هو أفضل الأمة بعد الرسول ﷺ، وذكر الصحابة بمحاسنهم والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم

وَبَعْـدَهُ الْخَلِيفَـةُ الـشَّفِيقُ ... نِعْـمَ نَقِيـبُ الأُمَّـةِ الـصِّدِّيقُ

ذَاكَ رَفِيـقُ الْمُـصْطَفَىٰ فِي الْغَـارِ ... شَـيْخُ الْمُهَـاجِرِينَ والأنْـصَارِ

وهْـوَ الَّـذِي بِنَفْـسِهِ تَوَلَّـىٰ ... جِهَـادَ مَـنْ عَـنِ الْهُـدَىٰ تَـوَلَّىٰ

ثَانِيـهِ فِي الفَـضْلِ بِـلا ارْتِيَـابِ ... الـصَّادِعُ النَّـاطِقُ بِالـصَّوَابِ

أَعْنِـي بِـهِ الـشَّهْمَ أَبَـا حَفْـصٍ عُمَـرْ ... مَـنْ ظَـاهَرَ الـدِّينَ الْقَـوِيمَ ونَـصَرْ

الـصَّارِمُ الْمُنْكِـي عَلَـىٰ الكُفَّـارِ ... وَمُوسِـعُ الْفُتُـوحِ فِي الأمْـصَارِ

ثَـالِثُهُمْ عُثْمَـانُ ذُو النُّورَيْـنِ ... ذو الْحِلْـمِ والْحَيَـا بِغَيْـرِ مَـيْنِ

بَحْـرُ الْعُلُـومِ جَـامِعُ الْقُـرْآنِ ... مِنْـهُ اسْـتَحَتْ مَلائِـكُ الـرَّحْمَنِ

بَـايَعَ عَنْـهُ سَـيِّدُ الأكْـوَانِ ... بِكَفِّـهِ فِـي بَيْعَـةِ الرِّضْـوَانِ

والرَّابِـعُ ابْـنُ عَـمِّ خَيْـرِ الرُّسْـلِ ... أَعْنِـي الإمَـامَ الْحَـقَّ ذا الْقَـدْرِ الْعَلِـي

مُبِيـدُ كُـلِّ خَـارِجِيٍّ مَـارِقِ ... وَكُـلِّ خِـبٍّ رَافِـضِيٍّ فَاسِـقِ

مَـنْ كَـانَ لِلرَّسُـولِ فِي مَكَـانِ ... هَـارُونَ مِـنْ مُوسَـىٰ بِـلا نُكْـرَانِ

لا فِي نُبُـوَّةٍ فَقَـدْ قَـدَّمْتُ مَـا ... يَكْفِـي لِمَـنْ مِـنْ سُـوءِ ظَـنٍّ سَـلِمَا

فَالـسِّتَّةُ الْمُكَمِّلُـونَ الْعَـشَرَهْ ... وَسَـائِرُ الـصَّحْبِ الكِـرَامِ الْبَـرَرَهْ

وأهْـلُ بَيْـتِ الْمُـصْطَفَىٰ الأطْهَـارُ ... وَتَـابِعُوهُ الـسَّادَةُ الأخْيَـارُ

فَكُلُّهُـمْ فِي مُحْكَـمِ القُـرْءَانِ ... أَثْنَـىٰ عَلَـيْهِمْ خَـالِقُ الأكْـوَانِ

فِي الفَـتْحِ والْحَدِيـدِ والْقِتَـالِ ... وَغَيْرِهَـا بِأكْمَـلِ الْخِـصَالِ

كَـذَاكَ فِي التَّـوْرَاةِ والإنْجِيـلِ ... صِفَـاتُهُمْ مَعْلُومَـةُ التَّفْـصِيلِ

وذِكْــرُهُمْ فِي سُــنَّةِ الْمُخْتَــارِ ... قَـدْ سَارَ سَيْرَ الشَّمس فِي الأقْطَارِ
ثُـمَّ السُّكُوتُ واجِـبٌ عَمَّـا جَرَىٰ ... بَيْنَهُـمُ مِـنْ فِعْـلٍ مَـا قَـدْ قُـدِّرَا
فَكُلُّهُــمْ مُجْتَهِــدٌ مُثَــابُ ... وَخِطْــؤُهُمْ يَغْفِــرُهُ الوَهَّــابُ

خاتمة في وجوب التمسك بالكتاب والسنة والرجوع عند الاختلاف إليهما، فما خالفهما فهو رد

شَـرْطُ قَبُـولِ السَّعْيِ أنْ يَجْتَمِعَـا ... فِيـهِ إِصَـابَةٌ وَإِخْـلاَصٌ مَعَـا
للهِ رَبِّ العَــرْشِ لا سِــوَاهُ ... مُوَافِـقَ الشَّرْعِ الَّـذِي ارْتَـضَاهُ
وَكُــلُّ مَــا خَــالَفَ لِلْوَحْيَيْــنِ ... فَإِنَّــهُ رَدٌّ بِغَيْــرِ مَيْــنِ
وكُــلُّ مَــا فِيـهِ الخِـلافُ نُـصِبَا ... فَــرَدُّهُ إِلَيْهِمَــا قَــدْ وَجَبَــا
فَالــدِّينُ إنَّمَــا أتَــىٰ بِالنَّقْــلِ ... لَـيْسَ بِالأوْهَـامِ وَحَـدْسِ الْعَقْـلِ
ثُــمَّ إلَــىٰ هُنَــا قَــدْ انْتَهَيْــتُ ... وَتَــمَّ مَــا بِجَمْعِــهِ عَنَيْــتُ
سَــمَّيْتُهُ بِسُــلَّمِ الوُصُــولِ ... إلَــىٰ سَمَا مَبَاحِـثِ الأصُـولِ
والْحَمْــدُ للهِ عَلَــىٰ انتِهَائِــي ... كَمَــا حَمِــدْتُ اللهَ فِي ابْتِــدَائِي
أسْــأَلُهُ مَغْفِــرَةَ الــذُّنُوبِ ... جَمِيعِهَــا وَالــسَّتْرَ لِلعُيُــوبِ
ثُــمَّ الــصَّلاةُ وَالــسَّلامُ أبَــدَا ... تَغْشَىٰ الرَّسُـولَ الْمُـصْطَفَىٰ مُحَمَّـدَا
ثُــمَّ جَمِيــعَ صَحْبِــهِ والآلِ ... الــسَّادَةِ الأئِمَّــةِ الأبْــدَالِ
تَــدُومُ سَــرْمَدًا بِــلَا نَفَــادِ ... مَــا جَـرَتِ الأقْـلَامُ بِالْمِــدَادِ
ثُــمَّ الدُّعَــا وَصِــيَّةُ القُــرَّاءِ ... جَمِـيعِهِمْ مِـنْ غَيْـرِ مَـا اسْتِثْنَاءِ
أبْيَاتُهَــا (يُــسْر) بِعَــدِّ الْجُمَــلِ ... تَأْرِيخُهَـا (الْغُفْـرَانُ) فَـافْهَمْ وَادْعُ لِـي

* * *

٣٨- مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام

الحَمْدُ للهِ الَّذِي نَشَرَ عَلَىٰ مَنَابِرِ الكَائِنَاتِ أَعْلَامَ التَّوْحِيدِ، وَنَكَّسَ رَايَاتِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ، وَقَصَمَ بِشِدَّةِ بَطْشِهِ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَأَيَّدَ بِنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ مَنْ أَفْرَدَهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَسَقَىٰ قُلُوبَهُمْ بِوَابِلِ الكِتَابِ وَطَلِّ السُّنَّةِ، فَأَثْمَرَتِ المُعْتَقَدَ الخَالِصَ، وَالقَوْلَ السَّدِيدَ، يُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، وَيَصِلُ وَيَقْطَعُ، وَلَهُ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ، وَالحُجَّةُ الدَّامِغَةُ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَسْأَلُهُ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِهِ فِي يَوْمِ المَزِيدِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، المُحْصِي المُبْدِئُ المُعِيدُ، الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، تَعَالَىٰ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ، أَوْ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ، أَوْ صَاحِبَةٌ، أَوْ وَلَدٌ، أَوْ وَالِدٌ، أَوْ كُفؤٌ، أَوْ نَدِيدٌ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ الخَلْقِ، وَخَاتَمُ الرُّسُلِ، وأكْرَمُ العَبِيدِ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ جَرَّدُوا سُيُوفَ الحَقِّ لِإِزْهَاقِ كُلِّ بَاطِلٍ، وَإِرْغَامِ كُلِّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللهِ، فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، رَحِمَكُمُ اللهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا، وَلَنْ تُتْرَكُوا سُدًى، بَلْ -واللهِ- خَلَقَكُمْ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَسِيمٍ، بَيَّنَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ، الصَّادِقُ فِي قِيلِهِ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا، وَأَبْيَنُ دَلِيلًا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]، فَأَخْبَرَنَا تَعَالَىٰ أَنَّهُ مَا خَلَقَنَا إِلَّا لِعِبَادَتِهِ، وَالعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ؛ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ.

وَأَصْلُ العِبَادَةِ وَقِوَامُهَا الَّذِي لا قِوَامَ لَها بِدُونِهِ: هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ

الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتْ بِهِ الكُتُبُ، وَمِنْ أَجْلِهِ أُمِرَ بِالجِهَادِ، وَفُرِضَ عَلَىٰ كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الأَفْرَادِ، وَلِأَجْلِهِ خُلِقَتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ، وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ.

وَالجَامِعُ لَهُ كَلِمَةٌ خَفِيفَةُ اللَّفْظِ، وَاسِعَةُ المَعْنَىٰ، جَلِيلَةُ القَدْرِ، وَهِيَ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ، فَهِيَ أَصْلُ الدِّينِ وَأَسَاسُهُ، وَرَأْسُ أَمْرِهِ، وَسَاقُ شَجَرَتِهِ، وَعَمُودُ فُسْطَاطِهِ، وَبَقِيَّةُ الأَرْكَانِ وَالفَرَائِضِ مُتَفَرِّعَةٌ عَنْهَا، مُتَشَعِّبَةٌ مِنْهَا، مُكَمِّلَاتٌ لَهَا، مُقَيَّدَةٌ بِالْتِزَامِ مَعْنَاهَا، وَالعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، فَهِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَىٰ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة: ٢٥٦] الآيَةَ.

وَهِيَ العَهْدُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾[مريم: ٨٧].

وَهِيَ الحَسَنَةُ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾[النمل: ٨٩].

وَهِيَ كَلِمَةُ الحَقِّ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[الزخرف: ٨٦].

وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَىٰ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[الفتح: ٢٦].

وَهِيَ المَثَلُ الأَعْلَىٰ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[الروم: ٢٧].

وَهِيَ الحُسْنَىٰ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾[الليل: ٥-٧].

وَهِيَ القَوْلُ الثَّابِتُ الَّذِي قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[إبراهيم: ٢٧] الآيَاتِ.

وَعَنْهَا يَسْأَلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الرُّسُلَ وَأُمَمَهُمْ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]، فَيَقُولُ لِلرُّسُلِ: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩] وَيَقُولُ لِلأُمَمِ: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ [القصص: ٦٥].

وَفِي الحَدِيثِ: «لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(١).

وَلَكِنَّهَا قَدْ قُيِّدَتْ بِقُيُودٍ ثِقَالٍ، هِيَ أَثْقَلُ عَلَى مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ مِنَ الجِبَالِ، وَأَشَقُّ عَلَيْهِ حَمْلُهَا مِنَ السَّلَاسِلِ وَالأَغْلَالِ، أَمَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ وَهَدَاهُ، وَيَسَّرَ لَهُ سُبُلَ النَّجَاةِ، وَجَعَلَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ وَمُصْطَفَاهُ، فَهِيَ أَسْهَلُ عَلَيْهِ وَأَلَذُّ لَدَيْهِ مِنَ العَذْبِ الزُّلَالِ.

الأَوَّلُ: العِلْمُ بِمَعْنَاهَا الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ وَأَرْشَدَتْ إِلَيْهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ [الزخرف: ٨٦]، أَيْ: شَهِدُوا بِـ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَهُمْ يَعْلَمُونَ بِقُلُوبِهِمْ مَعْنَى مَا نَطَقُوا بِهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»(٢)، فَقَيَّدَهَا بِالعِلْمِ بِمَعْنَاهَا، وَهُوَ نَفْيُ العِبَادَةِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَإِثْبَاتُهَا للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

أَمَّا مَنْ يَهْذِي بِهَذَا هَذَيَانًا كَكَلَامِ النَّائِمِ لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهَا، فَكَيْفَ يَنْفِي مَا نَفَتْ، وَيُثْبِتُ مَا أَثْبَتَتْ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ؟! أَمْ كَيْفَ يَعْمَلُ بِمُقْتَضَى مَا لَا يَعْلَمُهُ؟

الثَّانِي: اليَقِينُ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ فِي الشَّهَادَةِ وَالغَيْبِ، المُنَافِي لِمُنَاقِضِهِ مِنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩/ ٣٠٧)، وضعفه العلامة الألباني في «كلمة الإخلاص» (ص٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦).

[الحجرات: ١٥].

فَقَصَرَ الإِيمَانَ عَلَيْهِمْ مَعَ التَّقْيِيدِ بِكَوْنِهِمْ لَمْ يَرْتَابُوا، أَيْ: لَمْ يَشُكُّوا، فَلَا إِيمَانَ لِمَنْ قَالَهَا شَاكًّا مُرْتَابًا، وَلَوْ قَالَها بِعَدَدِ الأَنْفَاسِ، وَلَوْ صَرَخَ بِهَا حَتَّىٰ يُسْمِعَ جَمِيعَ النَّاسِ.

وَفِي مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ لَا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»(١).

وَفِيهِ مِنْ حَدِيثِهِ أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَهُ بِنَعْلَيْهِ، فَقَالَ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ»(٢)، الحَدِيثَ، فَقَيَّدَ اسْتِحْقَاقَ قَائِلِهَا دُخُولَ الجَنَّةِ وَتَبْشِيرَهُ بِهَا بِكَوْنِهِ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهَا، وَبِكَوْنِهِ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، وَالمَعْنَىٰ فِي ذَلِكَ وَاحِدٌ، فَنَفْيُ الشَّكِّ يُفِيدُ ثُبُوتَ اليَقِينِ، وَثُبُوتُ اليَقِينِ يُفِيدُ نَفْيَ الشَّكِّ.

الثَّالِثُ: القَبُولُ لَهَا، المُنَافِي لِرَدِّ مَدْلُولِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [السجدة: ١٥]، وَالآيَاتُ هُنَا المُرَادُ بِهَا القُرْآنُ، وَمُعْظَمُهُ فِي حَقِّ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَذُكِّرُوا: وُعِظُوا، وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، أَيْ: عَنِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَطَاعَتِهِ، وَذَلِكَ هُوَ حَقِيقَةُ التَّأَلُّهِ المَنْفِيِّ عَنْ سِوَىٰ اللهِ بِـ«لَا إِلَهَ»، المُثْبَتُ لَهُ سُبْحَانَهُ بِـ«إِلَّا اللهُ».

وَلَا رَدَّ أَعْظَمَ مِنَ الاسْتِكْبَارِ، وَلَهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ مَنْ رَدَّهَا بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ العَذَابِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، فَلَمْ يَتْرُكُوا آلِهَتَهُمُ المَنْفِيَّةَ بِـ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣١).

«لَا إِلَهَ»، وَلَمْ يَقْبَلُوا إِثْبَاتَ: «إِلَّا اللهُ»، فَقَالَ تَعَالَىٰ تَكْذِيبًا لَهُمْ وَتَصْدِيقًا لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣٧﴾ [الصافات: ٣٧].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهِ النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[1].

فَانْظُرْ هَذَا الْحَدِيثَ، وَاعْتَبِرْ بِهِ، فَهُوَ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَبْصَارِ، فَإِنَّكَ إِذَا أَمْعَنْتَ النَّظَرَ فِيهِ، رَأَيْتَهُ يَحْتَوِي عَلَىٰ مَا لَمْ يَتَّسِعْ لَهُ الْمُجَلَّدَاتُ الْكِبَارُ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ الْمَثَلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ لِمَنْ قَبِلَ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَصْلُهُ وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ دَرَجَتَيْنِ مُتَفَاوِتَتَيْنِ، وَالْمَثَلُ الثَّالِثُ لِمَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْهُ، فَلَمْ يَنْتَفِعْ هُوَ، وَلَمْ يَنْفَعْ غَيْرَهُ، بَلْ هُوَ ضَرَرٌ مَحْضٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَعَلَىٰ غَيْرِهِ.

الرَّابِعُ: الانْقِيَادُ لِمَعْنَاهَا الْمُنَافِي لِتَرْكِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] الآيَةَ.

﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: يَنْقَادُ وَيُقْبِلُ عَلَىٰ طَاعَتِهِ. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أَيْ: مُوَحِّدٌ، فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ، أَيْ: بِـ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فَخَرَجَ بِذَلِكَ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَىٰ اللهِ، وَلَمْ يَكُ مُحْسِنًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَمْسِكْ بِهَا، وَهُوَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٣ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان: ٢٣، ٢٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

وَفِي «الأَرْبَعِينَ» أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[1]، فَجَعَلَ الشَّرْطَ فِي الإِيمَانِ كَمَالَ الانْقِيَادِ لِمَا جَاءَ بِهِ ﷺ وَنَفَاهُ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَجِئْ يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ قَبْلَ هَذِهِ الكَلِمَةِ، فَمَنْ لَمْ يَنْقَدْ لِمَدْلُولِهَا، لَمْ يَنْقَدْ لِشَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

الخَامِسُ: إِخْلاصُ الدِّينِ للهِ ﷻ المُنَافِي لِلشِّرْكِ الَّذِي لا يُقْبَلُ مَعَهُ عَمَلٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: ٢]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ [الزمر: ١٤]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى شَرْطَ كَوْنِهِمْ مَعَ المُؤْمِنِينَ أَنْ يُخْلِصُوا دِينَهُمْ لَهُ، فَمَنْ قَالَهَا ظَاهِرًا وَلَمْ يَكُ مُخْلِصًا فَلَيْسَ هُوَ مَعَ المُؤْمِنِينَ، بَلْ هُوَ مَعَ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»[2]، رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَجَابِرٍ، وَغَيْرِهِمَا.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٢)، وضعفه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢).

وَلمَّا قَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»[1]، وَهَذَا مِمَّا لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَفْصِيلٍ.

السَّادِسُ: الصِّدْقُ المُنَافِي لِلكَذِبِ، وَهُوَ أَنْ يَتَوَاطَأَ عَلَىٰ ذَلِكَ القَلْبُ وَاللِّسَانُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي كَشْفِ مَا أَضْمَرَهُ المُنَافِقُونَ وَهَتْكِ أَسْتَارِهِمْ، حَيْثُ أَظْهَرُوا الإِسْلَامَ، وَأَبْطَنُوا الكُفْرَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ٨-١٠] فَكَذَّبَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الآيَاتِ، وَذَلِكَ لمَّا اطَّلَعَ اللهُ ﷻ عَلَىٰ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ المَرَضِ، وَأَنَّهَا لَمْ تُوَاطِئْ أَلْسِنَتَهُمْ فَهُمْ شَرُّ الكُفَّارِ، وَمَأْوَاهُمُ الدَّرْكُ الأَسْفَلُ مِنَ النَّارِ.

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ كَثِيرًا مِنْ فَضَائِحِهِمْ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ وَمِنْهُم ﴾، ﴿ وَمِنْهُم ﴾، وَكَذَا فِي سُورَةِ «النِّسَاءِ»، وَ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، وَغَيْرِهَا، يَشْهَدُ سُبْحَانَهُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.

وَفِي حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ»[2]، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي حَدِيثِ الأَعْرَابِيِّ الَّذِي جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُ عَنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ الَّتِي

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

أَعْظَمُهَا هَذِهِ الكَلِمَةُ، لمَّا أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ»، قَالَ: وَاللهِ لا أَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا أَنْقُصُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»(١)، فَاشْتَرَطَ فِي فَلَاحِهِ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا، فَخَرَجَ بِذَلِكَ الكَاذِبُ المُنَافِقُ، فَإِنَّهُ لَا فَلَاحَ لَهُ أَبَدًا، بَلْ لَهُ الخَيْبَةُ وَالرَّدَى، عِيَاذًا بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ.

السَّابِعُ: المَحَبَّةُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ فِي اللهِ، وَيُبْغِضَ فِي اللهِ، وَيُوَالِيَ فِي اللهِ، وَيُعَادِيَ فِي اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] الآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فَوَصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ حُبًّا لَهُ، وَأَنَّهُمْ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، وَأَنَّهُمْ لَا يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَمِنْ هَذَا يُؤْخَذُ أَنَّهُ لَا يُوَادُّ المُحَادِّينَ إِلَّا مَنْ هُوَ مِنْهُمْ فِي الدِّينِ، بَلْ هُوَ مِنَ المُلْحِدِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة: ٥١].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(٢).

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١).

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُؤْمِنًا حَتَّىٰ يَشْهَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ الْتِزَامِهِ فِيهَا جَمِيعَ الشُّرُوطِ الَّتِي قَدَّمْنَاهَا مَعَ أَدِلَّتِهَا مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي قَرَنَتْ بَيْنَ هَاتَيْنِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَبَيْنَ شُرُوطِهَا المَذْكُورَةِ مَنْطُوقًا وَمَفْهُومًا.

وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ: تَصْدِيقُهُ فِي جَمِيعِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ ﷻ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، وَأَخْبَارِ مَا سَيَأْتِي، وَفِيمَا أَحَلَّ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَّمَ مِنْ حَرَامٍ، تَصْدِيقًا جَازِمًا بِيَقِينٍ صَادِقٍ لَا شُكُوكَ تُدَاخِلُهُ، وَلَا أَوْهَامَ، وَالامْتِثَالُ وَالانْقِيَادُ لِمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، وَالكَفُّ وَالانْتِهَاءُ عَمَّا نَهَىٰ عَنْهُ مِنَ المَحَارِمِ وَالأَسْقَامِ، وَاتِّبَاعُ شَرِيعَتِهِ، وَالْتِزَامُ سُنَّتِهِ فِي السِّرِّ وَالجَهْرِ، مَعَ الرِّضَا بِمَا قَضَاهُ، وَالاسْتِسْلَامِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّا إِذَا عَلِمْنَا وَتَيَقَّنَّا أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﷻ، عَلِمْنَا وَتَيَقَّنَّا أَنَّ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَجَمِيعَ شَرْعِهِ إِنَّمَا هُوَ تَبْلِيغٌ مِنْهُ لِمَا أَمَرَ بِهِ اللهُ، وَنَهَىٰ عَنْهُ وَشَرَعَهُ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

فَطَاعَةُ الرَّسُولِ ﷺ هِيَ طَاعَةُ اللهِ، وَمَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَةُ اللهِ، وَاتِّبَاعُهُ هُوَ اتِّبَاعُ مَحَابِّ اللهِ، وَمَرْضَاتِهِ، وَمُوجِبَاتِ مَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَتَحْكِيمُهُ هُوَ تَحْكِيمُ مَا أَنْزَلَ اللهُ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

وَكَرَاهِيَةُ حُكْمِهِ كَرَاهِيَةُ حُكْمِ اللهِ ﷻ، فَهُوَ ﷺ لَمْ يَأْمُرْ إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ، وَلَمْ يَنْهَ إِلَّا عَمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، وَلَمْ يُشَرِّعْ إِلَّا ما أَمَرَهُ اللهُ بِتَبْلِيغِهِ، وَلَمْ يَحْكُمْ إِلَّا بِمَا أَرَادَ اللهُ ﷻ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ [الشورى: ٤٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ [العنكبوت: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٢، ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

فَهُوَ ﷺ عَبْدٌ لَا يُعْبَدُ، وَرَسُولٌ لَا يُكَذَّبُ، بَلْ يُطَاعُ وَيُتَّبَعُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، شَرَّفَهُ اللهُ بِالعُبُودِيَّةِ، وَنَوَّهَ بِوَصْفِهِ بِهَا فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠].

وَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، إِلَىٰ غَيْرِ ذَٰلِكَ.

وَقَدْ شَهِدَ تَعَالَىٰ بِالرِّسَالَةِ، فَقَالَ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ ﴾ [البينة: ٢].

وَلَمْ يُنْجِ اللهُ مِنْ عَذَابِهِ وَلَمْ يَكْتُبْ رَحْمَتَهُ إِلَّا لِمَنْ تَبِعَهُ وَآمَنَ بِهِ وَعَزَّرَهُ وَنَصَرَهُ وَاتَّبَعَ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

وَنَشْهَدُ بِعُمُومِ رِسَالَتِهِ إِلَىٰ النَّاسِ جَمِيعًا؛ جِنِّهِمْ وَإِنْسِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١).

وَقَدْ أَخَذَ اللهُ ﷻ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ الإِيمَانِ بِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

وَنَشْهَدُ أَنَّ كُلَّ عَامِلٍ بَعْدَ بَعْثَتِهِ عَلَىٰ خِلَافِ مَا بُعِثَ بِهِ ﷺ لَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَلَوْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ؛ لِأَنَّهُ ﷺ بُعِثَ بِدِينِ الإِسْلَامِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٢).

وَنَشْهَدُ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَتَوَفَّاهُ اللهُ ﷻ حَتَّىٰ أَكْمَلَ لَنَا بِهِ الدِّينَ، وَبَلَّغَ جَمِيعَ مَا أُرْسِلَ بِهِ البَلَاغَ المُبِينَ، وَلَمْ يَتْرُكْ خَيْرًا إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَهُمْ مِنْهُ، وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، وَتَرَكَهُمْ عَلَىٰ المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدَهُ إِلَّا هَالِكٌ.

وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ الَّتِي هِيَ آخِرُ اجْتِمَاعِهِ بِالنَّاسِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وَفِيهَا خَطَبَ ذَلِكَ الجَمْعَ العَظِيمَ، وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ تِلْكَ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثًا يَرْفَعُ إِصْبَعَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَىٰ النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»(٣)، الحَدِيثَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَنَشْهَدُ أَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَمَنِ ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ بَعْدَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ، وَمَنْ صَدَّقَهُ فَهُوَ كَافِرٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).
(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨).

وَفِي حَدِيثِ الدَّجَّالِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَغَيْرِهِمَا قَالَ ﷺ: «إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَلا نَبِيَّ بَعْدِي»(١).

وَكَذَا فِي «السُّنَنِ» مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رضي الله عنه: «وَإِنَّهُ يَكُونُ بَعْدِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَلا نَبِيَّ بَعْدِي»(٢).

فَهُوَ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ حَتَّى الأَنْبِيَاءِ والمُرْسَلِينَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾: «هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ».

وَفِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الطَّوِيلِ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ»(٣).

وَنُؤْمِنُ بِمَا أَجْرَىٰ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنَ المُعْجِزَاتِ الخَوَارِقِ لِلعَادَةِ الَّتِي أَعْظَمُهَا القُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

وَقَالَ فِيهِ ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللهِ»(٤)، الحَدِيثَ فِي الصَّحِيحِ.

وَنُؤْمِنُ بِمَا سَيُكْرِمُهُ اللهُ بِهِ فِي الآخِرَةِ مِنَ الكَرَامَاتِ الَّتِي مِنْ أَعْظَمِهَا: المَقَامُ المَحْمُودُ الَّذِي يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، قال الله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢١٩)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي»، ولم أجده في الصحيحين.

(٢) التخريج السابق.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٨٨)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

وَقَالَ ﷺ «أَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وَأَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»(١). إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْحَصْرِ.

وَالأَدِلَّةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ مَبَاحِثِ الشَّهَادَتَيْنِ وَشُرُوطِهَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ.

وَقَدِ اقْتَصَرْنَا فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ عَلَىٰ دَلِيلٍ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لِقَصْدِ الاخْتِصَارِ، وَإِلَّا فَهُوَ بَعْضٌ مِنْ كُلٍّ، وَدِقٌّ مِنْ جِلٍّ، وَقَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ، وَفِيهِ -إِنْ شَاءَ اللهُ- كِفَايَةٌ لِمَنْ أَرَادَ اللهُ إِخْرَاجَهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ.

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) نحوه.

٣٩- الوَاجِبَاتُ الْمُتحتماتُ الْمَعرِفَةُ على كُلِّ مسلم ومَسْلِمةٍ

للشيخ

عبد الله بن إبراهيم القرعاوي

٣٩- الوَاجِبَاتُ المُتحتماتُ المَعرِفَة على كُلِّ مسلم ومسلِمةٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

الأُصُولُ الثَّلاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ تَعَلُّمُهَا:

وَهِيَ: مَعرِفَةُ العَبدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَن رَبُّكَ؟ فَقُل: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّىٰ جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعمَتِهِ، وَهُوَ مَعبُودِي لَيسَ لِي مَعبُود سِوَاه.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا دِينُكَ؟ فَقُل: دِينِي الإِسلَامُ، وَهُوَ: الاستِسلَامُ للهِ بِالتَّوحِيدِ، وَالانقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّركِ وَأَهلِه.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَن نَبِيُّكَ؟ فَقُل: مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِن قُرَيشٍ، وَقُرَيشٌ مِنَ العَرَبِ، وَالعَرَبُ مِن ذُرِّيَّةِ إِسمَاعِيلَ بنِ إِبرَاهِيمَ الخَلِيلِ - عَلَيهِمَا وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسلِيمِ -.

أَصلُ الدِّينِ وَقَاعِدَتُه أَمرَانِ:

الأَوَّلُ: الأَمرُ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالتَّحرِيضُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَالمُوَالَاةُ فِيهِ، وَتَكفِيرُ مَن تَرَكَهُ.

الثَّانِي: الإِنذَارُ عَنِ الشِّركِ فِي عِبَادَةِ اللهِ وَالتَّغلِيظ فِي ذَلِكَ، وَالمُعَادَاةُ فِيهِ وَتَكفِيرُ مَن فَعَلَهُ.

شُرُوطُ لا إِلَهَ إِلَّا الله:

الأَوَّلُ: العِلمُ بِمَعنَاهَا نَفيًا وَإِثبَاتًا.

الثَّانِي: اليَقِينُ: وَهُوَ كَمَالُ العِلمِ بِهَا المُنَافِي لِلشَّكِّ وَالرَّيبِ.

الثَّالِثُ: الإِخلَاصُ: المُنَافِي لِلشِّركِ.

الرَّابعُ: الصِّدقُ: المُنَافِي لِلكَذِبِ، المَانِعُ مِن النِّفَاقِ.

الخَامِسُ: المَحَبَّةُ لِهَذِهِ الكَلِمَةِ وَلِمَا دَلَّت عَلَيهِ، وَالسُّرُور بِذَلِكَ.

السَّادِسُ: الانقِيَادُ بِحُقُوقِهَا، وَهِيَ الأَعمَالُ الوَاجِبَةُ إِخلَاصًا للَّهِ وَطَلَبًا لِمَرضَاتِهِ.

السَّابعُ: القَبُولُ المُنَافِي لِلرَّدِّ.

أَدِلَّةُ هَذِهِ الشُّرُوط مِن كتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَمن سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

دَلِيلُ العِلمِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [مُحَمَّد: ١٩].

وَقَولُهُ: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أي بـ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه».

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بِقُلُوبِهِم مَا نَطَقُوا بِهِ بِأَلسِنَتِهِم.

وَمِنَ السُّنَّةِ: الحَدِيثُ الثَّابِتُ فِي الصَّحِيحِ عَن عُثمَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن مَات وَهُوَ يَعلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ»(١).

وَدَلِيلُ اليَقِينِ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥]. فَاشتَرَطَ فِي صِدقِ إِيمَانِهِم بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ كَونَهُم لَم يَرتَابُوا؛ أَي: لَم يَشُكُّوا، فَأَمَّا المُرتَابُ فَهُوَ مِنَ المُنَافِقِينَ.

وَمِنَ السُّنَّةِ: الحَدِيثُ الثَّابِتُ فِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشهَد أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لا يَلقَىٰ اللَّهَ بِهِمَا عَبدٌ غَيرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

وَفِي رِوَايَةٍ: «لا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبدٌ غَيرَ شَاكٍّ فِيهِمَا فَيُحجَبُ عَنِ الجَنَّةِ»(١).

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ أَيضًا مِن حَدِيثٍ طَوِيلٍ: «مَن لَقِيتَ مِن وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُستَيقِنًا بِهَا قَلبُهُ فَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ»(٢).

وَدَلِيلُ الإِخلاصِ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وَقَولُهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وَمِنَ السُّنَّةِ: الحَدِيثُ الثَّابِتُ فِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَسعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَن قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِن قَلبِهِ أَو نَفسِهِ»(٣).

وَفِي الصَّحِيحِ عَن عِتبَانَ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَن قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبتَغِي بِذَلِكَ وَجهَ اللَّهِ عز وجل»(٤).

وَلِلنَّسَائِيِّ فِي اليَومِ وَاللَّيلَةِ مِن حَدِيثِ رَجُلَينِ مِنَ الصَّحَابَةِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «مَن قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، مُخلِصًا بِهَا قَلبُهُ، يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانَهُ إِلَّا فَتَقَ اللَّهُ لَهَا السَّمَاءَ فَتقًا، حَتَّى يَنظُرَ إِلَى قَائِلِهَا مِن أَهلِ الأَرضِ، وَحُقَّ لِعَبدٍ نَظَرَ اللهُ إِلَيهِ أَن يُعطِيَهُ سُؤلَهُ»(٥).

وَدَلِيلُ الصِّدقِ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞﴾ [العنكبوت: ١-٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

(٥) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١/ ١٥٠/ ٢٨)، وقال العلامة الألباني في «ضعيف الترغيب» (٩٣٢): منكر.

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠ ﴾ [البقرة: ٨-١٠].

وَمِنَ السُّنَّةِ: مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِن أَحَدٍ يَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ صَادِقًا مِن قَلبِهِ؛ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»(١).

وَدَلِيلُ المَحَبَّةِ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَقَولُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَمِنَ السُّنَّةِ: مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَن أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ؛ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَن يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَن يُحِبَّ المَرءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَن يَكرَهَ أَن يَعُودَ فِي الكُفرِ بَعدَ إِذ أَنقَذَهُ اللَّهُ مِنهُ كَمَا يَكرَهُ أَن يُقذَفَ فِي النَّارِ»(٢).

وَدَلِيلُ الانقِيَادِ: لِمَا دَلَّ عَلَيهِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الزمر: ٥٤].

وَقَولُهُ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥].

وَقَولُهُ: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).
(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]. أي: بـ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وَمِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا يُؤمِنُ أَحَدكُم حَتَّىٰ يَكُون هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئتُ بِهِ»(١).

وَهَذَا هُوَ تَمَامُ الانقِيَادِ وَغَايَتُهُ.

وَدَلِيلُ القَبُولِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف: ٢٣-٢٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

وَمِنَ السُّنَّةِ: مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهدَىٰ وَالعِلمِ كَمَثَلِ الغَيثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرضا؛ فَكَانَ مِنهَا نَقِية قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشبَ الكَثِيرَ، وَكَانَت مِنهَا أَجَادِبُ أَمسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنهَا طَائِفَة أُخرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَان لا تُمسِكُ مَاءً وَلا تُنبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَن لَم يَرفَع بِذَلِكَ رَأسًا وَلَم يَقبَل هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرسِلتُ بِهِ»(٢).

* * *

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

١٠- عقيدة أهل السنة والجماعة

للشيخ

محمد بن صالح بن محمد العثيمين

(المتوفى ١٤٢١هـ)

٤٠- عقيدة أهل السنة والجماعة

تقديم لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحَمدُ للهِ وَحدَهُ، وَالصَلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ مَن لاَ نَبِيَّ بَعدَهُ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ.

أَمَّا بَعدُ:

فَقَدِ اطَّلَعتُ عَلَىٰ العَقِيدَةِ القَيِّمَةِ المُوجَزَةِ، الَّتِي جَمَعَهَا أَخُونَا العَلَّامَةُ فَضِيلَةُ الشَّيخ: مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ العُثَيمِينَ، وَسَمِعتُهَا كُلَّهَا، فَأَلفَيتُهَا مُشتَمِلَةً عَلَىٰ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي بَابِ: تَوحِيدِ اللهِ وَأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَفِي أَبوَابِ: الإِيمَانِ بِالمَلاَئِكَةِ وَالكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَبِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.

وَقَد أَجَادَ فِي جَمعِهَا وَأَفَادَ، وَذَكَرَ فِيهَا مَا يَحتَاجُهُ طَالِبُ العِلمِ وَكُلُّ مُسلِمٍ فِي إِيمَانِهِ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكتبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَقَد ضَمَّ إِلَىٰ ذَلِكَ فَوَائِدَ جَمَّةً تَتَعَلَّقُ بِالعَقِيدَةِ قَد لاَ تُوجَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الكُتُبِ المُؤَلَّفَةِ فِي العَقَائِدِ.

فَجَزَاه اللهُ خَيرًا، وَزَادَهُ مِنَ العِلمِ وَالهُدَىٰ، وَنَفَعَ بِكِتَابِهِ هَذَا وَبِسَائِرِ مُؤَلَّفَاتِهِ، وَجَعَلَنَا وَإِيَّاهُ وَسَائِرَ إِخوَانِنَا مِنَ الهُدَاةِ المُهتَدِينَ، الدَّاعِينَ إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، إِنَّه سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحبِهِ.

قَالَهُ مُمليه الفَقِيرُ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ

عَبدُ العَزِيز بنُ عَبدِ اللهِ بنِ بَازٍ - سَامَحَهُ الله-

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ، وَلَا عُدوَانَ إِلَّا عَلَىٰ الظَّالِمِينَ، وَأشهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ، وَأشهَد أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِمَامُ المُتَّقِينَ، صَلَّىٰ اللَّه عَلَيهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأصحَابِهِ وَمَن تَبِعَهُم بِإِحسَانٍ إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

أمَّا بَعد:

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أرسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ رَحمَةً لِلعَالَمِينَ وَقُدوَةً للعَامِلِينَ وَحُجَّةً عَلَىٰ العِبَادِ أجمَعِينَ، بَيَّنَ بِهِ وَبِمَا أنزَلَ عَلَيهِ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكمَةِ كُلَّ مَا فِيهِ صَلَاحُ العِبَادِ وَاستِقَامَةُ أحوَالِهِم فِي دِينِهِم وَدُنيَاهُم: مِنَ العَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ وَالأعمَالِ القَوِيمَةِ وَالأخلَاقِ الفَاضِلَةِ وَالآدَابِ العَالِيَةِ، فَتَرَكَ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَىٰ المَحَجَّةِ البَيضاءِ لَيلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنهَا إِلَّا هَالِكٌ.

فَسَارَ عَلَىٰ ذَلِكَ أُمَّتُهُ الَّذِينَ استَجَابُوا للَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهُم خِيرَةُ الخَلقِ: مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحسَانٍ، فَقَامُوا بِشَرِيعَتِهِ وَتَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ وَعَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ: عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَخُلُقًا وَأدَبًا، فَصَارُوا هُمُ الطَّائِفَةَ الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم أو خَالَفَهُم حَتَّىٰ يَأتِيَ أمرُ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَهُم عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَنَحنُ- وَللَّهِ الحَمدُ- عَلَىٰ آثَارِهِم سَائِرُونَ، وَبِسِيرَتِهِم المُؤَيَّدَةِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُهتَدُونَ، نَقُولُ ذَلِكَ تَحَدُّثًا بِنِعمَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، وَبَيَانًا لِمَا يَجِبُ أن يَكُونَ عَلَيهِ كُلُّ مُؤمِنٍ.

وَنَسأَلُ اللَّهَ تَعَالَىٰ أن يُثَبِّتَنَا وَإِخوَانَنَا المُسلِمِينَ بِالقَولِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا

وَفِي الآخِرَةِ، وَأن يَهَبَ لَنَا مِنهُ رَحمَةً إنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

وَلأهَمِّيَّةِ هَذَا المَوضُوعِ وَتَفَرُّقِ أهوَاءِ الخَلقِ فِيهِ، أحبَبتُ أن أكتُبَ عَلَىٰ سَبِيلِ الاختِصَارِ عَقِيدَتَنَا- عَقِيدَةَ أهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ- وَهِيَ: الإِيمَانُ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، سَائِلًا اللّهَ تَعَالَىٰ أن يَجعَلَ ذَلِكَ خَالِصًا لِوَجهِهِ، مُوَافِقًا لِمَرضَاتِهِ، نَافِعًا لِعِبَادِهِ.

عقيدتنا

عَقِيدَتُنَا: الإِيمَانُ بِاللّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.

فَنُؤمِنُ بِرُبُوبِيَّةِ اللّهِ تَعَالَىٰ؛ أي: بِأنَّهُ الرَّبُّ الخَالِقُ المَلِكُ المُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الأُمُورِ.

وَنُؤمِنُ بِأُلُوهِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ أي: بِأنَّهُ الإِلَهُ الحَقُّ وَكُلُّ مَعبُودٍ سِوَاه بَاطِلٌ.

وَنُؤمِنُ بِأسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ أي: بِأنَّهُ لَهُ الأسمَاءُ الحُسنَىٰ وَالصِّفَاتُ الكَامِلَةُ العُليَا.

وَنُؤمِنُ بِوَحدَانِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ؛ أي: بِأنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَلَا فِي أُلُوهِيَّتِهِ وَلَا فِي أسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، قَالَ اللّه تَعَالَىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥]

وَنُؤمِنُ بِأنَّهُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وَنُؤمِنُ بِأنَّهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ

ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ لَهُ مُلكَ السَّمَوَاتِ وَالأرضِ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

[الشورى: ١١، ١٢].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ: ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ مَتَى شَاءَ كَيفَ شَاءَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾

[الكهف: ١٠٩].

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان: ٢٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ كلِمَاتِهِ أَتمُّ الكَلِمَاتِ صِدقًا فِي الأَخبَارِ، وَعَدلًا فِي الأَحكَامِ، وَحُسنًا فِي الحَدِيثِ، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وَقَالَ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء: ٨٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ القُرآنَ الكَرِيمَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا، وَأَلقَاهُ إِلَىٰ جِبرِيلَ، فَنَزَلَ بِهِ جِبرِيلُ عَلَىٰ قَلبِ النَّبِي ﷺ: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢].

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله ﷻ عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلقِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَولِهِ: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٨].

ونؤمنُ بِأنهُ: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ [يونس: ٣].

وَاستِوَاؤُهُ عَلَىٰ العَرشِ: عُلُوُّهُ عَلَيهِ بِذَاتِهِ عُلُوًّا خَاصًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ لَا يَعلَمُ كيفيتهُ إِلَّا هُوَ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ مَعَ خَلقِهِ وَهُوَ عَلَىٰ عَرشِهِ، يَعلَمُ أَحوَالَهُم وَيَسمَعُ أَقوَالَهُم وَيَرَىٰ أَفعَالَهُم وَيدَبِّرُ أُمُورَهُم، يَرزُقُ الفَقِيرَ، وَيَجبُرُ الكَسِيرَ، يُؤتِي المُلكَ مَن يَشَاءُ، وَيَنزِعُ المُلكَ مِمَّن يَشَاءُ وَيُعِزُّ مَن يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَن يَشَاءُ، بِيَدِهِ الخَيرُ وَهوَ عَلَىٰ كلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

وَمَن كَانَ هَذَا شَأنُهُ كَانَ مَعَ خَلقِهِ حَقِيقَةً، وَإِن كَانَ فَوقَهُم عَلَىٰ عَرشِهِ حَقِيقَةً

﴿كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الحلُولِيَّةُ مِنَ الجَهمِيَّةِ وَغَيرِهِم: إِنَّهُ مَعَ خَلقِهِ فِي الأَرضِ، وَنَرَىٰ أَنَّ مَن قَالَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ أَو ضَالٌّ؛ لأَنَّهُ وَصَفَ اللَّهَ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ النَّقَائِصِ.

وَنُؤمِنُ بِمَا أَخبَرَ بِهِ عَنهُ رَسُولُهُ ﷺ: «أَنَّهُ يَنزِلُ كُلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَبقَىٰ ثُلُثُ اللَّيلِ الأَخِيرِ، فَيَقُولُ: مَن يَدعُونِي فَأَستَجِيبَ لَهبم مَن يَسأَلُنِي فَأُعطِيَهُ؟ مَن يَستَغفِرُنِي فَأَغفِرَ لَهُ؟»(١).

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ ﷻ يَأتِي يَومَ المَعَادِ لِلفَصلِ بَينَ العِبَادِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر: ٢١-٢٣].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ إِرَادَتَهُ اللهِ تَعَالَىٰ نَوعَانِ:

كَونِيَّةٌ: يَقَعُ بِهَا مُرادُهُ وَلَا يَلزَمُ أَن يَكُونَ مَحبُوبًا لَهُ؛ وَهِيَ الَّتِي بِمَعنَىٰ المَشِيئَةِ، كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

وَشَرعِيَّةٌ: لَا يَلزَمُ بِهَا وُقُوعُ المُرَادِ وَلَا يَكُونُ المُرَادُ فِيهَا إِلَّا مَحبُوبًا لَهُ؛ كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ مرادَهُ الكَونِيَّ وَالشَّرعِيَّ تَابِعٌ لِحِكمَتِهِ، فَكُلُّ مَا قَضَاهُ كَونًا أَو تَعَبَّدَ بِهِ خَلقَهُ شَرعًا فَإِنَّهُ لِحِكمَةٍ، وَعَلَىٰ وَفقِ الحِكمَةِ، سَوَاءٌ عَلِمنَا مِنهَا مَا نَعلَمُ، أَو تَقَاصَرَت عُقُولُنَا عَن ذَلِكَ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين: ٨].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ أَولِيَاءَهُ وَهُم يُحِبُّونَهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦]

﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩]

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥]

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَرضَىٰ مَا شَرَعَهُ مِنَ الأَعمَالِ وَالأَقوَالِ، وَيَكرَهُ مَا نَهَىٰ عَنهُ مِنهَا:

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ۝٤٦﴾ [التوبة: ٤٦].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَرضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝٨﴾ [البينة: ٨].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَغضَبُ عَلَىٰ مَن يَستَحِقُّ الغَضَبَ مِنَ الكَافِرِينَ وَغَيرِهِم:

﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦].

﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَجهًا مَوصُوفًا بِالجَلَالِ وَالإِكرَامِ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَنؤمِنُ بِأَنَّ للهِ تَعَالَىٰ يَدَينِ كَرِيمَتَينِ عَظِيمَتَينِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ

يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ لله تَعَالَىٰ عَينَينِ اثنَتَينِ حَقِيقِيَّتينِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَو كَشَفَهُ لأحرَقَت سُبُحَاتُ وَجهِهِ مَا انتَهَىٰ إِلَيهِ بَصَرُهُ مِن خَلقِهِ»(١).

وَأجمَعَ أَهلُ السُّنَّةِ عَلَىٰ أَنَّ العَينَينِ اثنَتَانِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَولُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدَّجَّالِ: «إِنَّهُ أعوَرُ؟ وَإِنَّ رَبَّكُم لَيسَ بِأعوَر»(٢).

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وَنؤمِنُ بِأَنَّ المُؤمِنِينَ يَرَون رَبَّهُم يَومَ القِيَامَةِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ لَا مِثلَ لَهُ؛ لِكَمَالِ صِفَاتِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وَنؤمنُ بِأَنَّهُ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. لِكَمَالِ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ لَا يَظلِمُ أَحَدًا لِكَمَالِ عَدلِهِ، وَبِأَنَّهُ لَيسَ بِغَافِلٍ عَن أعمَالِ عِبَادِهِ لِكَمَالِ رَقَابَتِهِ وَإِحَاطَتِهِ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ لَا يُعجِزُهُ شَيءٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرضِ لِكَمَالِ عِلمِهِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

وَقُدرَتِهِ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وَبِأَنَّهُ لَا يَلحَقُهُ تَعَبٌ وَلَا إِعيَاءٌ؛ لِكَمَال قُوَّتِهِ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ [ق: ٣٨].

أي: مِن تَعَبٍ وَلَا إِعيَاءٍ.

وَنُؤمِنُ بِثبُوتِ كُلِّ مَا أَثبَتَهُ الله لِنَفسِهِ، أَو أَثبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنَ الأَسمَاءِ وَالصِّفَاتِ، لَكِنَّنَا نَتَبَرَّأُ مِن مَحذُورَينِ عَظِيمَينِ، هُمَا:

التَّمثِيل: أَن يَقُولَ بِقَلبِهِ أَو لِسَانِهِ: صِفَات اللَّه تَعَالَىٰ كَصِفَاتِ المَخلُوقِينَ.

وَالتَّكيِيفُ: أَن يَقُولَ بِقَلبِهِ أَو لِسَانِهِ: كَيفِيَّةُ صِفَاتِ اللَّه تَعَالَىٰ كَذَا وَكَذَا.

وَنؤمِنُ بِانتِفَاءِ كُلِّ مَا نَفَاهُ اللَّه عَن نَفسِهِ أَو نَفَاهُ عَنهُ رَسُولُهُ ﷺ، وَأَنَّ ذَلِكَ النَّفيَ يَتَضَمَّنُ إِثبَاتًا لِكَمَالِ ضِدِّهِ، وَنَسكُتُ عَمَّا سَكَتَ اللَّهُ عَنهُ وَرَسُولُهُ.

وَنَرَىٰ أَنَّ السَّيرَ عَلَىٰ هَذَا الطَّرِيقِ فَرضٌ لَا بُدَّ مِنهُ، وَذَلِكَ لأَنَّ مَا أَثبَتَهُ اللَّه لِنَفسِهِ أَو نَفَاهُ عَنهَا سُبحَانَهُ فَهُوَ خَبَرٌ أَخبَرَ اللَّهُ بِهِ عَن نَفسِهِ، وَهُوَ سُبحَانَهُ أَعلَمُ بِنَفسِهِ وَأَصدَقُ قِيلًا وَأَحسَنُ حَدِيثًا، وَالعِبَادُ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلمًا.

وَمَا أَثبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ أَو نَفَاهُ عَنهُ فَهُوَ خَبَرٌ أَخبَرَ بِهِ عَنهُ، وَهُوَ أَعلَمُ النَّاسِ بِرَبِّهِ وَأَنصَحُ الخَلقِ وَأَصدَقُهُم وَأَفصَحُهُم، فَفِي كَلَامِ اللَّه تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ ﷺ كَمَالُ العِلمِ وَالصِّدقِ وَالبَيَانِ، فَلَا عُذرَ فِي رَدِّهِ، أَوِ التَّرَدُّدِ فِي قَبُولِهِ.

فَصلٌ

وَكُلُّ مَا ذَكَرنَاهُ مِن صِفَاتِ اللَّه تَعَالَىٰ تَفصِيلًا أَو إِجمَالًا، إِثبَاتًا أَو نَفيًا، فَإِنَّنَا فِي ذَلِكَ عَلَىٰ كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا مُعتَمِدُونَ، وَعَلَىٰ مَا سَارَ عَلَيهِ سَلَفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّةُ الهُدَىٰ مِن بَعدِهِم سَائِرُون.

وَنَرَىٰ وُجُوبَ إِجرَاءِ نُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا وَحَملِهَا عَلَىٰ حَقِيقَتِهَا اللَّائِقَةِ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَنَتبرأُ مِن طَرِيقِ المُحَرِّفِينَ لَهَا الَّذِينَ صَرَفُوهَا إِلَىٰ غَيرِ مَا أَرَادَ اللهُ بِهَا وَرَسُولُهُ.

وَمن طَرِيقِ المُعَطِّلِينَ لَهَا الَّذِينَ عَطَّلُوهَا مِن مَدلُولِهَا الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ.

وَمن طَرِيقِ الغَالِينَ فِيهَا الَّذِينَ حَمَلُوهَا عَلَىٰ التَّمثِيلِ أَو تَكَلَّفُوا لِمَدلُولِهَا التَّكيِيفَ.

وَنَعلَمُ عِلمَ اليَقِينِ أَنَّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ أَو سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَهُوَ حَقٌّ لَا يُنَاقِضُ بَعضُهُ بَعضًا؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وَلأَنَّ التَّنَاقُضَ فِي الأَخبَارِ يَستَلزِمُ تَكذِيبَ بَعضِهَا بَعضًا وَهَذَا مُحَالٌ فِي خَبَرِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ ﷺ.

وَمَنِ ادَّعَىٰ أَنَّ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، أَو فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَو بَينَهُمَا تَنَاقُضًا؛ فَذَلِكَ لِسُوءِ قَصدِهِ وَزَيغِ قَلبِهِ، فَليَتُب إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَليَنزِع عَن غَيِّهِ.

وَمَن تَوَهَّمَ التَّنَاقُضَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ أَو فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَو بَينَهُمَا، فَذَلِكَ إِمَّا لِقِلَّةِ عِلمِهِ، أَو قُصُورِ فَهمِهِ، أَو تَقصِيرِهِ فِي التَّدَبُّرِ، فَليَبحَث عَنِ العِلمِ وَليَجتَهِد فِي التَّدَبُّرِ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُ الحَقُّ، فَإِن لَم يَتَبَيَّن لَهُ فَليَكِلِ الأَمرَ إِلَىٰ عَالِمِهِ، وَليَكُفَّ عَن تَوَهُّمِهِ، وَليَقُل كَمَا يَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. وَليَعلَم أَنَّ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ لَا تَنَاقُضَ فِيهِمَا وَلَا بَينَهُمَا وَلَا اختِلَافَ.

فصلٌ

وَنُؤمِنُ بِمَلَائِكَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّهُم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

خَلَقَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ مِن نُورٍ، فَقَامُوا بِعِبَادَتِهِ وَانقَادُوا لِطَاعَتِهِ: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

حَجَبَهُمُ اللهُ عَنَّا فَلَا نَرَاهُم، وَرُبَّمَا كَشَفَهُم لِبَعضِ عِبَادِهِ، فَقَد رَأَىٰ النَّبِيُّ ﷺ جِبرِيلَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، لَهُ سِتُّمِائَةُ جِنَاحٍ قَد سَدَّ الأُفُقَ، وَتَمَثَّلَ جِبرِيلُ لِمَريَمَ بَشَرًا سَوِيًّا، فَخَاطَبَتهُ وَخَاطَبَهَا، وَأَتَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَعِندَهُ الصَّحَابَةُ بِصُورَةِ رَجُلٍ لَا يُعرَفُ وَلَا يُرَىٰ عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعرِ، فَجَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسنَدَ رُكبَتَيهِ إِلَىٰ رُكبَتَي النَّبِيِّ ﷺ وَوَضَعَ كَفيه عَلَىٰ فَخذَيهِ، وَخَاطَبَ النَّبِيَّ ﷺ، وَخَاطَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصحَابَهُ أَنَّهُ جِبرِيلُ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ لِلمَلَائِكَةِ أَعمَالًا كُلِّفُوا بِهَا:

* فَمِنهُم جِبرِيلُ: المُوَكَّلُ بِالوَحيِ يَنزِلُ بِهِ مِن عِندِ اللهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِن أَنبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ.
* وَمِنهُم مِيكَائِيلُ: المُوَكَّلُ بِالمَطَرِ وَالنَّبَاتِ.
* وَمِنهُم إِسرَافِيلُ: المُوَكَّلُ بِالنَّفخِ فِي الصُّورِ حِينَ الصَّعقِ وَالنُّشُورِ.
* ومِنهُم مَلَكُ المَوتِ: المُوَكَّلُ بِقَبضِ الأَروَاحِ عِندَ المَوتِ.
* وَمِنهُم مَلَكُ الجِبَالِ: المُوَكَّلُ بِهَا.
* وَمِنهُم مَالِكٌ: خَازِنُ النَّارِ.

وَمِنهُم مَلَائِكَةٌ مُوَكَّلُونَ بالأَجِنَّةِ فِي الأَرحَامِ وَآخَرُون مُوَكَّلُونَ بِحِفظِ بَنِي آدَمَ، وَآخَرُون مُوَكَّلُونَ بِكِتَابَةِ أَعمَالِهِم، لِكُلِّ شَخصٍ مَلَكَانِ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٧- ١٨]. وَآخَرُونَ مُوَكَّلُونَ بِسُؤَالِ المَيِّتِ بَعدَ الانتِهَاءِ مِن تَسلِيمِهِ إِلَىٰ مَثوَاهُ، يَأتِيهِ مَلَكَانِ يَسأَلَانِهِ عَن رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ فـ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وَمِنهُمُ المَلَائِكَةُ المُوَكَّلُونَ بِأَهلِ الجَنَّةِ: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وَقَد أخبرَ النَّبِيُّ ﷺ أنَّ البيتَ المَعمُورَ فِي السَّمَاءِ يَدخُلُهُ- وَفِي رِوَايَةٍ: يُصَلِّي فِيهِ- كُلَّ يَومٍ سَبعُونَ ألفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيهِ آخِرَ مَا عَلَيهِم[1].

فَصْلٌ

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أنزَلَ عَلَىٰ رُسُلِهِ كتبًا حُجَّةً عَلَىٰ العَالَمِينَ وَمَحَجَّةً لِلعَامِلِينَ يُعَلِّمُونَهُم بِهَا الحِكمَةَ وَيُزَكُّونَهُم.

وَنُؤمنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أنزَلَ مَعَ كُلِّ رَسُولٍ كِتَابًا؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وَنَعلَمُ مِن هَذِهِ الكُتُبِ:

أ- التَّورَاةَ: الَّتِي أنزَلَهَا اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، وَهِيَ أعظَمُ كُتُبِ بَنِي إِسرَائِيلَ: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ب- الإنجِيلَ: الَّذِي أنزَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِيسَىٰ ﷺ، وَهُوَ مُصَدِّقٌ لِلتَّورَاةِ وَمُتَمِّمٌ لَهَا: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦].

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

ج- الزَّبُورَ: الَّذِي آتاه اللهُ دَاودَ ﷺ.

د- صُحُفَ إِبرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ- عَلَيهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

هـ- القُرآنَ العَظِيمَ: الَّذِي أنزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﴿هُدًى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

لِلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فَكَانَ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

فَنَسَخَ اللهُ بِهِ جَمِيعَ الكُتُبِ السَّابِقَةِ وَتَكَفَّلَ بِحِفظِهِ عَن عَبَثِ العَابِثِينَ وَزَيغِ المُحَرِّفِينَ:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، لأنهُ سَيَبقَىٰ حُجَّةً عَلَىٰ الخَلقِ أجمَعِينَ إِلَىٰ يوم القِيَامَةِ.

أمَّا الكُتُبُ السابِقَةُ فَإنَّهَا مُؤَقَّتَةٌ بِأَمَدٍ يَنتَهِي بِنُزُولِ مَا يَنسَخُهَا وَيُبَيِّنُ مَا حَصَلَ فِيهَا مِن تَحرِيفٍ وتَغيِيرٍ، وَلِهَذَا لَم تَكُن مَعصُومَةً مِنهُ، فَقَد وَقَعَ فِيهَا التَّحرِيفُ وَالزِّيَادَةُ وَالنَّقصُ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [البقرة: ٧٩]، ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨، ٧٩]. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٥-١٧].

فصل

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَ إِلَىٰ النَّاسِ رُسُلًا: ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ

لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ أَوَّلَهُم نُوحٌ وَآخِرَهُم مُحَمَّدٌ - صَلَّىٰ اللَّه عَلَيهِم وَسَلَّم أجمَعِينَ -:

﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣]

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]

وَأَنَّ أَفضَلَهُم مُحَمَّدٌ، ثُمَّ إبرَاهِيمُ، ثمَّ مُوسَىٰ، ثُمَّ نُوحٌ وَعِيسَىٰ بنُ مَريَمَ، وَهُمُ المَخصُوصُونَ فِي قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧]

وَنَعتَقِدُ أَنَّ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَاوِيَةٌ لِفَضَائِلِ شَرَائِعِ هَؤلَاءِ الرُّسُلِ المُخصُوصِينَ بِالفَضلِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣]

وَنؤمِنُ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ بَشَرٌ مَخلُوقُونَ، لَيسَ لَهُم مِن خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ شَيءٌ، قَالَ اللَّه تَعَالَىٰ عَن نُوحٍ وَهُوَ أَوَّلُهُم: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ [هود: ٣١]

وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ مُحَمَّدًا - وَهُوَ آخِرُهُم - أَن يَقُولَ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١]

وَأَن يَقُولَ: ﴿لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]

وَأَن يَقُولَ: ﴿إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢١، ٢٢]

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُم عَبِيدٌ مِن عِبَادِ اللَّهِ أَكرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِالرِّسَالَةِ، وَوَصَفَهُم بِالعُبُودِيَّةِ فِي أَعلَىٰ مَقَامَاتِهِم وَفِي سِيَاقِ الثَّنَاءِ عَلَيهِم، فَقَالَ فِي أَوَّلِهِم نُوحٍ: ﴿ذُرِّيَّةَ

مَن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٣].

وَقَالَ فِي آخِرِهِم مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١].

وَقَالَ فِي رُسُلٍ آخرينَ: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ص: ٤٥].

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [ص: ١٧].

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ص: ٣٠].

وَقَالَ فِي عِيسَىٰ بنِ مَريَمَ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الزخرف: ٥٩].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَتَمَ الرِّسَالَاتِ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَرسَلَهُ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ شَرِيعَتَهُ ﷺ هِيَ دِينُ الإسلَامِ الَّذِي ارتَضَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِعِبَادِهِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَقبَلُ مِن أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَولِهِ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وَقَولِهِ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَنَرَىٰ أَنَّ مَن زَعَمَ اليَومَ دِينًا قَائِمًا مَقبُولًا عِندَ اللهِ سِوَىٰ دِينِ الإسلَامِ، مِن دِينِ

اليَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصرَانِيةِ أو غَيرِهِمَا، فَهُوَ كَافِرٌ، ثُمَّ إِنْ كَانَ أَصلُهُ مُسلِمًا يُستَتَابُ، فَإِن تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ مُرتَدًّا؛ لأنَّهُ مُكَذِّب لِلقُرآنِ.

وَنَرَىٰ أَنَّ مَن كَفَرَ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ جَمِيعًا فَقَد كَفَرَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ، حَتَّىٰ بِرَسُولِهِ الَّذِي يَزعُمُ أَنَّهُ مُؤمِنٌ بِهِ مُتَّبِع لَهُ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٠٥﴾ [الشعراء: ١٠٥]. فَجَعَلَهُم مُكَذِّبِينَ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ مَعَ أَنَّهُ لَم يَسبِق نُوحًا رَسُولٌ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعدَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنِ ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ بَعدَهُ أَو صَدَّقَ مَنِ ادَّعَاهَا فَهُوَ كَافِرٌ؛ لأنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجمَاعِ المُسلِمِينَ.

وَنُؤمنُ بِأَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُلَفَاءَ رَاشِدِينَ خَلَفوهُ فِي أُمَّتِهِ عِلمًا وَدَعوَةً وَوِلَايَةً، وَبِأَنَّ أَفضَلَهُم وَأَحَقَّهُم بِالخِلَافَةِ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ، ثمَّ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ -رضي الله عنهم أجمَعِينَ-.

وَهَكَذَا كَانُوا فِي الخِلَافَةِ قَدرًا كَمَا كَانُوا فِي الفَضِيلَةِ شَرعًا، وَمَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَىٰ- وَلَهُ الحِكمَةُ البَالِغَةُ- لِيُوَلِّيَ عَلَىٰ خَيرِ القُرونِ رَجُلًا وَفِيهِم مَن هُوَ خَيرٌ مِنهُ وَأَجدَرُ بِالخِلَافَةِ.

وَنُؤمنُ بِأَنَّ المَفضُولَ مِن هَؤُلَاءِ قَد يَتَمَيَّزُ بِخَصِيصَةٍ يَفُوقُ فِيهَا مَن هُوَ أَفضَلُ مِنهُ، لَكِنَّهُ لَا يَستَحِقُّ بِهَا الفَضلَ المُطلَقَ عَلَىٰ مَن فَضَلَهُ؛ لأَنَّ مُوجِبَاتِ الفَضلِ كَثِيرَةٌ ومُتَنَوِّعَةٌ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ خَيرُ الأُمَمِ وَأَكرَمُهَا عَلَىٰ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ خَيرَ هَذه الأُمَّةِ: الصَّحَابَةُ، ثُمَّ التَّابِعُونَ، ثُمَّ تَابِعُوهُم، وَبِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ من هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم، أَو خَالَفَهُم حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمرُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَنَعتَقِدُ أَنَّ مَا جَرَىٰ بَينَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الفِتَنِ، فَقَد صَدَرَ عَن تَأوِيلٍ اجتَهَدُوا فِيهِ، فَمَن كَانَ مِنهُم مُصِيبًا كانَ لَهُ أجرَانِ، وَمَن كَانَ مِنهُم مُخطِئًا فَلَهُ أَجرٌ وَاحِد، وَخَطَؤهُ مَغفُور لَهُ.

وَنَرَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ الكَفُّ عَن مَسَاوِئِهِم، فَلَا نَذكُرُهُم إِلَّا بِمَا يَستَحِقُّونَهُ مِنَ الثَّنَاءِ الجَمِيلِ، وَأَن نُطَهِّرَ قُلُوبَنَا مِنَ الغِلِّ وَالحِقدِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنهُم؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ فِيهِم: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]

وَقَولِ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِينَا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]

فَصْلٌ

وَنُؤمِنُ بِاليَومِ الآخِرِ: وَهُوَ يَومُ القِيَامَةِ الَّذِي لَا يَومَ بَعدَهُ، حِينَ يُبعَثُ النَّاسُ أَحيَاءً لِلبَقَاءِ؛ إِمَّا فِي دَارِ النَّعِيمِ، وَإِمَّا فِي دَارِ العَذَابِ الأَلِيمِ.

فَنُؤمنُ بِالبَعثِ: وَهُوَ إِحيَاءُ اللَّهِ تَعَالَىٰ المَوتَىٰ حِينَ يَنفُخُ إِسرَافِيلُ فِي الصُّورِ النَّفخَةَ الثَّانِيَةَ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨] فَيَقُومُ النَّاسُ مِن قُبُورِهِم لِرَبِّ العَالَمِينَ، حُفَاةً بِلَا نِعَالٍ، عُرَاةً بِلَا ثِيَابٍ، غُرلًا بِلَا خِتَانٍ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

وَنُؤمِنُ بِصَحَائِفِ الأعمَالِ تُعطَىٰ بِاليَمِينِ أو مِن وَرَاءِ الظُّهورِ بِالشِّمَالِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧- ١٢].

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

وَنُؤمِنُ بِالمَوَازِينِ تُوضَعُ يَومَ القِيَامَةِ فَلَا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢- ١٠٤].

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وَنُؤمِنُ بِالشَّفَاعَةِ العُظمَىٰ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً، يَشفَعُ عِندَ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِإذنِهِ لِيَقضِيَ بَينَ عِبَادِهِ، حِينَ يُصِيبُهُم مِنَ الهَمِّ وَالكَربِ مَا لَا يُطِيقُونَ، فَيَذهَبُونَ إِلَىٰ آدَمَ، ثُمَّ نُوحٍ، ثُمَّ إبرَاهِيمَ ثُمَّ مُوسَىٰ، ثُمَّ عِيسَىٰ، حَتَّىٰ تَنتَهِيَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَنُؤمِنُ بِالشَّفَاعَةِ فِيمَن دَخَلَ النَّارَ مِنَ المُؤمِنِينَ أن يَخرُجُوا مِنهَا، وَهِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَغَيرِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالمُؤمِنِينَ وَالمَلَائِكَةِ.

وَبِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يُخرِجُ مِنَ النَّارِ أقوَامًا مِنَ المُؤمِنِينَ بِغَيرِ شَفَاعَةٍ، بَل بِفَضلِهِ وَرَحمَتِهِ.

وَنُؤمِنُ بِحَوضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأحلَىٰ مِنَ العَسَلِ، وَأَطيَبُ مِن رَائِحَةِ المِسكِ، طُولُهُ شَهرٌ، وَعَرضُهُ شَهرٌ، وَآنِيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ حُسنًا

وَكَثْرَةً، يَرِدُهُ المُؤمِنُونَ مِن أُمَّتِهِ، مَن شَرِبَ مِنهُ؛ لَم يَظْمَأْ بَعدَ ذَلِكَ.

وَنُؤمِنُ بِالصِّرَاطِ المَنصُوبِ عَلَىٰ جَهَنَّمَ يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيهِ عَلَىٰ قَدرِ أعمَالِهِم، فَيَمُرُّ أَوَّلُهم كَالبَرقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيرِ وَأَشَدِّ الرِّجَالِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّرَاط يَقُول: «يَارَبِّ سَلِّم سَلِّم». حَتَّىٰ تَعجَزَ أَعمَالُ العِبَادِ، فَيَأتِي مَن يَزحَفُ.

وَفِي حَافَتَي الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأمُورَةٌ، تَأخُذُ مَن أُمِرَت بِهِ، فَمَخدُوش نَاجٍ وَمُكَردَسٌ فِي النَّارِ.

وَنُؤمِنُ بِكُلِّ مَا جَاءَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِن أَخبَارِ ذَلِكَ اليَومِ وَأَهوَالِهِ، أَعَانَنَا اللهُ عَلَيهَا.

وَنُؤمِنُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لأهلِ الجَنَّةِ أَن يَدخُلُوهَا وَهِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصةً.

وَنُؤمِنُ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالجَنَّةُ دَارُ النَّعِيمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلمُؤمِنِينَ المُتَّقِينَ، فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ مَا لَا عَينٌ رَأَت، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَت، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلبِ بَشَرٍ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

وَالنَّارُ: دَارُ العَذَابِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ، فِيهَا مِنَ العَذَابِ وَالنَّكَالِ مَا لَا يَخطُرُ عَلَىٰ البَالِ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩].

وَهُمَا مَوجُودَتَانِ الآنَ وَلَن تَفنَيَا أَبَدَ الآبِدِينَ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق: ١١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦].

* وَنَشهَدُ بِالجَنةِ لِكُلِّ مَن شَهِدَ لَهُ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ بِالعَينِ أَو بِالوَصفِ:

فَمِنَ الشَّهَادَةِ بِالعَيْنِ: الشَّهَادَةُ لأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَنَحوِهِم مِمَّن عَيَّنَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ.

* وَمنَ الشَّهَادَةِ بِالوَصفِ: الشَّهَادَةُ لِكُلِّ مُؤمِنٍ أو تَقِيٍّ.

* وَنَشهَدُ بِالنَّارِ لِكُلِّ مَن شَهِدَ لَهُ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ بِالعَينِ أو بِالوَصفِ:

* فَمِنَ الشَّهَادَةِ بِالعَينِ: الشَّهَادَةُ لأَبِي لَهَبٍ، وَعَمرِو بنِ لُحَيٍّ الخُزَاعِيِّ، وَنَحوِهِمَا.

* ومن الشَّهَادَةِ بِالوَصفِ: الشَّهَادَةُ لِكُلِّ كَافِرٍ أو مُشرِكٍ شِركًا أكبَرَ أو مُنَافِقٍ.

وَنُؤمِنُ بِفِتنَةِ القَبرِ: وَهِيَ سُؤَالُ المَيِّتِ فِي قَبرِهِ عَن رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ فـ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾

[إبراهيم: ٢٧]

فَيَقُولُ المُؤمِنُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِي الإِسلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ.

وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدرِي، سَمِعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيئًا فَقُلتُهُ.

وَنُؤمِنُ بِنَعِيمِ القَبرِ لِلمُؤمِنِينَ: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل: ٣٢]

وَنُؤمِنُ بِعَذَابِ القَبرِ لِلظَّالِمِينَ الكَافِرِينَ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٣]

وَالأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ مَعلُومَةٌ، فَعَلَى المُؤمِنِ أَن يُؤمِنَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِن هَذِهِ الأُمُورِ الغَيبِيَّةِ، وَأَلَّا يُعَارِضَهَا بِمَا يُشَاهِدُ فِي الدُّنيَا، فَإِنَّ أُمُورَ الآخِرَةِ لَا تُقَاسُ بِأُمُورِ الدُّنيَا؛ لِظُهُورِ الفَرقِ الكَبِيرِ بَينَهُمَا. وَاللَّهُ المُستَعَانُ.

فصل

وَنُؤمِنُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَهُوَ تَقدِيرُ اللَّهِ تَعَالَى لِلكَائِنَاتِ حَسبَمَا سَبَقَ بِهِ

عِلمُهُ وَاقتَضَتهُ حِكمَتُهُ.

وَللقَدَرِ أَربَعُ مَرَاتِبَ:

المَرتَبَةُ الأُولَىٰ: العِلمُ: فَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيم، عَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَكَيفَ يَكُونُ بِعِلمِهِ الأَزَلِيِّ الأَبَدِيِّ، فَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ عِلمٌ بَعدَ جَهلٍ، وَلَا يَلحَقُهُ نِسيَانٌ بَعدَ عِلمٍ.

المَرتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الكِتَابَةُ: فَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَتَبَ فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

المَرتَبَةُ الثَّالِثَةُ: المَشِيئَةُ: فَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَد شَاءَ كُلَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ، لَا يَكُونُ شَيءٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَم يَشَأ لَم يَكُن.

المَرتَبَةُ الرَّابِعَةُ: الخَلقُ: فَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ﴾ [الزمر: ٦٢، ٦٣].

وَهَذِهِ المَرَاتِبُ الأَربَعُ شَامِلَةٌ لِمَا يَكُونُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ نَفسِهِ، وَلِمَا يَكُونُ مِنَ العِبَادِ، فَكُلُّ مَا يَقُومُ بِهِ العِبَادُ مِن أَقوَالٍ أَو أَفعَالٍ أَو تُرُوكٍ فَهِيَ مَعلُومَةٌ للهِ تَعَالَىٰ مَكتُوبَةٌ عِندَهُ، وَاللهُ تَعَالَىٰ قَد شَاءَهَا وَخَلَقَهَا: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأنعام: ١٣٧].

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

وَلَكِنَّنَا مَعَ ذَلِكَ نُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ لِلعَبدِ اختِيَارًا وَقُدرَةً بِهِمَا يَكُونُ الفِعلُ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ فِعلَ العَبدِ بِاختِيَارِهِ وَقُدرَتِهِ أُمُورٌ:

الأَوَّلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وَقَولُهُ: ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ [التوبة: ٤٦].

فَأَثبَتَ لِلعَبدِ إِتيَانًا بِمَشِيئَتِهِ، وَإِعدَادًا بِإِرَادَتِهِ.

الثَّانِي: تَوجِيهُ الأَمرِ وَالنَّهيِ إِلَىٰ العَبدِ، وَلَو لَم يَكُن لَهُ اختِيَارٌ وَقُدرَةٌ؛ لَكَانَ تَوجِيهُ ذَلِكَ إِلَيهِ مِنَ التَّكلِيفِ بِمَا لَا يُطَاقُ، وَهُوَ أَمرٌ تَأبَاهُ حِكمَةُ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَرَحمَتُهُ وَخَبَرُهُ الصَّادِقُ فِي قَولِهِ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الثَّالِثُ: مَدحُ المُحسِنِ عَلَىٰ إِحسَانِهِ وَذَمُّ المُسِيءِ عَلَىٰ إِسَاءَتِهِ، وَإِثَابَةُ كُلٍّ مِنهُمَا بِمَا يَستَحِقُّ، وَلَولَا أَنَّ الفِعلَ يَقَعُ بِإِرَادَةِ العَبدِ وَاختِيَارِهِ لَكَانَ مَدحُ المُحسِنِ عَبَثًا، وَعُقُوبَةُ المُسِيءِ ظُلمًا، وَاللَّهُ تَعَالَىٰ مُنَزَّهٌ عَنِ العَبَثِ وَالظُّلمِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَرسَلَ الرُّسُلَ: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَلَولَا أَنَّ فِعلَ العَبدِ يَقَعُ بِإِرَادَتِهِ وَاختِيَارِهِ، مَا بَطَلَت حُجَّتُهُ بِإِرسَالِ الرُّسُلِ.

الخَامِسُ: أَنَّ كُلَّ فَاعِلٍ يُحِسُّ أَنَّهُ يَفعَلُ الشَّيءَ أَو يَترُكُهُ بِدُونِ أَيِّ شُعُورٍ بِإِكرَاهٍ، فَهُوَ يَقُومُ وَيَقعُدُ وَيَدخُلُ وَيَخرُجُ وَيُسَافِرُ وَيُقِيمُ بِمَحضِ إِرَادَتِهِ، وَلَا يَشعُرُ بِأَنَّ أَحَدًا يُكرِهُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، بَل يُفَرِّقُ تَفرِيقًا وَاقِعِيًّا بَينَ أَن يَفعَلَ الشَّيءَ بِاختِيَارِهِ وَبَينَ أَن يُكرِهَهُ عَلَيهِ مُكرِهٌ.

وَكَذَلِكَ فَرَّقَ الشَّرعُ بَينَهُمَا تَفرِيقًا حَكِيمًا، فَلَم يُؤَاخِذِ الفَاعِلَ بِمَا فَعَلَهُ مُكرَهًا عَلَيهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَنَرَىٰ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لِلعَاصِي عَلَىٰ مَعصِيَتِهِ بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ العَاصِيَ يُقدِمُ عَلَىٰ المَعصِيَةِ بِاختِيَارِهِ، مِن غَيرِ أَن يَعلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدَّرَهَا عَلَيهِ، إِذ لَا يَعلَمُ أَحَدٌ قَدَرَ اللَّهِ تَعَالَىٰ إِلَّا بَعدَ وُقُوعِ مَقدُورِهِ: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [لقمان: ٣٤]. فَكَيفَ يَصِحُّ الاحتِجَاجُ بِحُجَّةٍ لَا يَعلَمُهَا المُحتَجُّ بِهَا حِينَ إِقدَامِهِ عَلَىٰ مَا اعتَذَرَ بِهَا عَنهُ، وَقَد أَبطَلَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الحُجَّةَ بِقَولِهِ: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ

مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨]

وَنَقُولُ لِلعَاصِي المُحتَجِّ بِالقَدَرِ: لِمَاذَا لَم تُقدِم عَلَىٰ الطَّاعَةِ مُقَدِّرًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَد كَتَبَهَا لَكَ، فَإِنَّهُ لَا فَرقَ بَينَهَا وَبَينَ المَعصِيَةِ فِي الجَهلِ بِالمَقدُورِ قَبلَ صُدُورِ الفِعلِ مِنكَ؟

وَلِهَذَا لَمَّا أَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ بِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ قَد كُتِبَ مِقعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقعَدُهُ مِنَ النَّارِ، قَالُوا: أَفَلَا نَتَّكِلُ وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «لَا، اعمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»(١).

وَنَقُولُ لِلعَاصِي المُحتَجِّ بِالقَدَرِ: لَو كُنتَ تُرِيدُ السَّفَرَ لِمَكَّةَ وَكَانَ لَهَا طَرِيقَانِ، أَخبَرَكَ الصَّادِقُ أَنَّ أَحَدَهُمَا مَخُوفٌ صَعبٌ، وَالثَّانِي آمِنٌ سَهلٌ، فَإِنَّكَ سَتَسلُكُ الثَّانِي وَلَا يُمكِنُ أَن تَسلُكَ الأَوَّلَ؛ وَتَقُول: إِنَّهُ مُقَدَّرٌ عَلَيَّ، وَلَو فَعَلتَ؛ لَعَدَّكَ النَّاس فِي قِسمِ المَجَانِينِ.

وَنَقُولُ لَهُ أَيضًا: لَو عُرِضَ عَلَيكَ وَظِيفَتَانِ: إِحدَاهُمَا ذَاتُ مُرَتَّبٍ أَكثَر، فَإِنَّكَ سَوفَ تَعمَلُ فِيهَا دُونَ النَّاقِصَةِ، فَكَيفَ تَختَارُ لِنَفسِكَ فِي عَمَلِ الآخِرَةِ مَا هُوَ الأَدنَىٰ، ثُمَّ تَحتَجُّ بِالقَدَرِ؟

وَنَقُولُ لَهُ أَيضًا: نَرَاكَ إِذَا أُصِبتَ بِمَرَضٍ جِسمِي؛ طَرَقتَ بَابَ كُلِّ طَبِيبٍ لِعِلَاجِكَ، وَصَبَرتَ عَلَىٰ مَا يَنَالُكَ مِن أَلَمِ عَمَلِيَةِ الجِرَاحَةِ وَعَلَىٰ مَرَارَةِ الدَّوَاءِ.

فَلِمَاذَا لَا تَفعَلُ مِثلَ ذَلِكَ فِي مَرَضِ قَلبِكَ بِالمَعَاصِي؟!

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الشَّرَّ لَا يُنسَبُ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ؛ لِكَمَالِ رَحمَتِهِ وَحِكمَتِهِ، قَالَ النَّبِيُّ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيسَ إِلَيكَ» رواه مُسلِم(١).

فَنَفسُ قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَىٰ لَيسَ فِيهِ شَرٌّ أَبَدًا؛ لأَنَّهُ صَادِرٌ عَن رَحمَةٍ وَحِكمَةٍ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الشَّرُّ فِي مُقتَضَيَاتِهِ؛ لِقَولِ النَّبِيِّ ﷺ فِي دُعَاءِ القُنُوتِ الَّذِي عَلَّمَهُ الحَسَنَ: «وَقِنِي شَرَّ ما قَضَيتَ»(٢)، فَأَضَافَ الشَّرَّ إِلَىٰ مَا قَضَاهُ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الشَّرَّ فِي المُقتَضَيَاتِ لَيسَ شَرًّا خَالِصًا مَحضًا، بَل هُوَ شَرٌّ فِي مَحَلِّهِ مِن وَجهٍ، خَيرٌ مِن وَجهٍ، أَو شَرٌّ فِي مَحَلِّهِ، خَيرٌ فِي مَحَلٍّ آخَرَ.

فَالفَسَادُ فِي الأَرضِ مِنَ الجَدبِ وَالمَرَضِ وَالفَقرِ وَالخَوفِ شَرٌّ، لَكِنَّهُ خيرٌ فِي مَحَلٍّ آخَرَ، قَالَ اللَّه تَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤١﴾ [الروم: ٤١].

وَقَطعُ يَدِ السَّارِقِ، وَرَجمُ الزَّانِي شَرٌّ بِالنسبَةِ لِلسَّارِقِ وَالزَّانِي فِي قَطعِ اليَدِ وَإِزهَاقِ النَّفس، لَكِنَّهُ خَيرٌ لَهُمَا مِن وَجهٍ آخَرَ، حَيثُ يَكُونُ كفَّارَةً لَهُمَا، فلا يَجمَعُ لَهُمَا بَينَ عُقوبتي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَهُوَ أَيضًا خَيرٌ فِي مَحَلٍّ آخَرَ، حَيت إِنَّ فِيهِ حِمَايَةَ الأَموَالِ وَالأَعرَاضِ وَالأَنسَابِ.

فَصلٌ

هَذِهِ العَقِيدَةُ السَّامِيَةُ المُتَضَمِّنَةُ لِهَذِهِ الأُصُولِ العَظِيمَةِ تُثمِرُ لِمُعتَقِدِهَا ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً كَثِيرَةً:

فَالإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَىٰ وَأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ يُثمِرُ لِلعَبدِ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَتَعظِيمَهُ المُوجِبَينِ لِلقِيَامِ بِأَمرِهِ وَاجتِنَابِ نَهيِهِ، وَالقِيَامِ بِأَمرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَاجتِنَابِ نَهيِهِ يَحصُلُ بِهِمَا كَمَالُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ لِلفَردِ وَالمُجتَمَعِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢٧)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٢٧٣).

ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

* وَمن ثَمَرَاتِ الإِيمَانِ بِالمَلَائِكَةِ:

أَوَّلًا: العِلمُ بِعَظَمَةِ خَالِقِهِم- تَبَارَك وَتَعَالَىٰ- وَقُوَّتِهِ وَسُلطَانِهِ.

ثَانِيًا: شُكرُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ، حَيثُ وَكَّلَ بِهِم مِن هَؤُلَاءِ المَلَائِكَةِ مَن يَقُومُ بِحِفظِهِم وَكِتَابَةِ أعمَالِهِم وَغَيرِ ذَلِكَ مِن مَصَالِحِهِم.

ثَالِثًا: مَحَبَّةُ المَلَائِكَةِ عَلَىٰ مَا قَامُوا بِهِ مِن عِبَادَةِ اللّهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الوَجهِ الأَكمَلِ وَاستِغفَارِهِم لِلمُؤمِنِينَ.

* وَمن ثَمَرَات الإِيمَانِ بِالكُتُبِ:

أَوَّلًا: العِلمُ بِرَحمَةِ اللّهِ تَعالَىٰ وَعِنَايَتِهِ بِخَلقِهِ، حَيثُ أَنزَلَ لِكُلِّ قَومٍ كِتَابًا يَهدِيهِم بِهِ.

ثَانِيًا: ظُهُورُ حِكمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، حَيثُ شَرَعَ فِي هَذِهِ الكتُبِ لِكُلِّ أُمَّةٍ مَا يُنَاسِبُهَا، وَكانَ خَاتَمُ هَذِهِ الكُتُبِ القُرآنَ العَظِيمَ، مُنَاسِبًا لِجَمِيعِ الخَلقِ فِي كُلِّ عَصرٍ وَمَكَانٍ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ.

ثَالِثًا: شُكرُ نِعمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ.

* وَمن ثَمَرَات الإِيمَانِ بِالرُّسُلِ:

أَوَّلًا: العِلمُ بِرَحمَةِ اللّهِ تَعَالَىٰ وَعِنَايَتِهِ بِخَلقِهِ، حَيثُ أَرسَلَ إِلَيهِم أُولَئِكَ الرُّسُلَ الكِرَامَ لِلهِدَايَةِ وَالإِرشَادِ.

ثَانِيًا: شُكرُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعمَةِ الكُبرَىٰ.

ثَالِثًا: مَحَبَّةُ الرُّسُلِ وَتَوقِيرُهُم وَالثَّنَاءُ عَلَيهِم بِمَا يَلِيقُ بِهِم؛ لأَنَّهُم رُسُلُ اللّهِ تَعَالَىٰ وَخُلَاصَةُ عَبِيدِهِ، قَامُوا بِعِبَادَتِهِ وَتَبلِيغِ رِسَالَتِهِ وَالنُّصحِ لِعِبَادِهِ وَالصَّبرِ عَلَىٰ أَذَاهُم.

* وَمن ثَمَرَات الإِيمَانِ بِاليَومِ الآخِرِ:

أَوَّلًا: الحِرصُ عَلَىٰ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ رَغبَةً فِي ثَوَابِ ذَلِكَ اليَومِ، وَالبُعدُ عَن مَعصِيَتِهِ خَوفًا مِن عِقَابِ ذَلِكَ اليَومِ.

ثَانِيًا: تَسلِيَةُ المُؤمِنِ عَمَّا يَفُوتُهُ مِن نَعِيمِ الدّنيَا وَمَتَاعِهَا بِمَا يَرجُوهُ مِن نَعِيمِ الآخِرَةِ وَثَوَابِهَا.

* وَمن ثَمَرَات الإِيمَانِ بِالقَدَرِ:

أَوَّلًا: الاعتِمَادُ عَلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ عِندَ فِعلِ الأَسبَابِ؛ لأَنَّ السَّبَبَ وَالمُسَبَّبَ كِلَاهُمَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

ثَانِيًا: رَاحَةُ النَّفسِ وَطُمَأنِينَةُ القَلبِ؛ لأَنَّهُ مَتَىٰ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّ المَكرُوهَ كائِنٌ لَا مَحَالَةَ، ارتَاحَتِ النَّفسُ وَاطمَأَنَّ القَلبُ وَرَضِيَ بقَضَاءِ الرَّبِّ، فَلَا أَحَدَ أَطيَبُ عَيشًا وَأَريَحُ نَفسًا وَأَقوَىٰ طُمَأنِينَةً مِمَّن آمنَ بِالقَدَرِ.

ثَالِثًا: طَردُ الإِعجَابِ بِالنَّفسِ عِندَ حُصُولِ المُرَادِ؛ لأَنَّ حُصُولَ ذَلِكَ نِعمَةٌ مِنَ اللَّهِ بِمَا قَدَّرَهُ مِن أَسبَابِ الخَيرِ وَالنَّجَاحِ، فَيَشكُرُ اللَّهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ وَيَدَعُ الإِعجَابَ.

رَابِعًا: طَردُ القَلَقِ وَالضَّجَرِ عِندَ فَوَاتِ المُرَادِ أَو حُصُولِ المَكرُوهِ؛ لأَنَّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَىٰ الَّذِي لَهُ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، فَيَصبِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَيَحتَسِبُ الأَجرَ، وَإِلَىٰ هَذَا يُشِيرُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِقَولِهِ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فَنَسأَلُ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَن يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ هَذِهِ العَقِيدَةِ، وَأَن يُحَقِّقَ لَنَا ثَمَرَاتِهَا وَيَزِيدَنَا مِن فَضلِهِ، وَأَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعدَ إِذ هَدَانَا، وَأَن يَهَبَ لَنَا مِن رَحمَتِهِ، إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ،

وَالحَمدُ للّهِ رَبِّ العَالمِينَ.

وَصَلَّىٰ اللّهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحسَانٍ.

تَمَّت بِقَلَمِ مُؤَلِّفِهَا
مُحَمَّدٍ الصَّالِح العُثَيمِين
فِي ٣٠ شَوَّال سَنَة ١٤٠٤ هـ

* * *

٤١- تطهير الاعتقاد
من أدران الشرك والإلحاد

للإمَام

محمَّد بن إسمَاعِيل الصَّنعَانِي

(١١٨٢هـ)

٤١- تطهير الاعتقاد من أدران الشرك والإلحاد

وَهُوَ المُسْتَعَانُ

الحَمْدُ للهِ الذِي لَا يَقبلُ تَوحِيدَ رُبُوبِيَّتِهِ مِن العِبادِ حَتَّىٰ يُفْرِدُوه بِتوحِيدِ العِبَادَة كُلَّ الإفرَادِ مِن اتِّخَاذِ الأنْدَادِ، فَلَا يَتَّخِذُونَ لَه نِدًّا، وَلَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أحدًا، وَلَا يَتَّكِلونَ إلَّا علَيهِ، وَلا يَفزَعُونَ فِي كُلِّ حَالٍ إلَّا إليهِ، ولَا يَدعونَهُ بِغيرِ أسمَائِهِ الحُسنَىٰ، ولَا يَتَوَصَّلُونَ إليهِ بِالشُّفَعَاءِ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وَأشهَدُ أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لَا شَرِيكَ لَه ربًّا مَعبُودًا، وَأشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبدُهُ وَرسُولُه، الذِي أمَرَهُ أن يَقُولَ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وَكفَىٰ بِاللهِ شَهيدًا.

صلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وعَلَىٰ آلِه، التَّابعينَ لَه فِي السَّلَامَةِ مِنَ العُيوبِ، وتطهِيرِ القُلوبِ عَن اعتقَادِ كُلِّ شَيءٍ يَشوبُ.

وبَعدُ: فهَذَا: «تَطْهِيرُ الاعتِقَادِ عَن أدْرَانِ الإلحَادِ» وَجبَ علَيَّ تَأليفُه، وتَعيَّن عَلَيَّ تَرصِيفُه؛ لِمَا رَأيتُهُ وَعلِمتُهُ يَقِينًا مِن عموم اتِّخَاذِ العِبادِ الأندَادَ، فِي الأمصَارِ والقُرَىٰ وجَميعِ البِلادِ، مِن اليَمنِ، وَالشَّامِ، ونَجدٍ، وتِهامَةَ، وجَميعِ دِيارِ الإسلَامِ.

وَهُوَ الاعتِقَادُ فِي القُبُورِ وَفِي الأحْيَاءِ مِمَّن يَدَّعِي العِلمَ بِالمُغَيَّبَاتِ والمُكَاشفَاتِ، وهُوَ مِن أهْلِ الفُجورِ؛ لَا يَحْضُرُ لِلمسلِمينَ مَسْجِدًا، ولَا يُرَىٰ للَّهِ رَاكعًا ولَا سَاجِدًا، ولَا يَعْرِفُ السُّنَّةَ ولَا الكِتَابَ، ولَا يَهَابُ البَعْثَ ولَا الحِسَابَ.

فَوجبَ عَلَيَّ أنْ أُنكِرَ مَا أوجَبَ اللهُ إنكَارَهُ، ولَا أكُونَ مِنَ الذِينَ يَكتُمونَ مَا

أوجَبَ اللهُ إظهَارَهُ.

فَاعلَم أنَّ هَاهُنَا أصُولًا هِيَ قَواعدُ الدِّينِ، وَمِن أهَمِّ مَا تَجبُ مَعرِفَتُهُ عَلَىٰ المُوحِّدِينَ:

الأصــلُ الأوَّلُ

أنَّه قَد عُلِمَ مِن ضَرورَةِ الدِّينِ: أنَّ كُلَّ مَا فِي القُرآنِ فَهُوَ حَقٌّ لَا بَاطِل، وَصدقٌ لَا كَذِبٌ، وهُدًىٰ لَا ضَلَالَةٌ، وعِلمٌ لَا جَهَالَةٌ، ويَقِينٌ لَا شَكَّ فِيهِ.

فَهَذَا الأصلُ أصلٌ لَا يَتمُّ إسلَامُ أحدٍ، ولَا إيمَانُهُ إلَّا بِالإقرَارِ بِهَذَا الأصْلِ، وهَذَا أمْرٌ مُجمعٌ عَلَيهِ لَا خِلَافَ فِيهِ.

الأصـلُ الـثـانِي

أنَّ رُسُلَ اللهِ وأنبِياءَهُ -مِن أوَّلِهِم إلَىٰ آخِرِهِم- بُعِثُوا لِدُعاءِ العِبَادِ إلَىٰ تَوحِيدِ اللهِ بِتوحِيدِ العِبَادَة.

وكُلُّ رَسولٍ أوَّلُ مَا يَقرَعُ بِه أسمَاعَ قَومِه قَولُه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]. ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هُود: ٢٦]. ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ٣].

وَهَذَا الذِي تَضَمَّنَه قَولُ: «لَا إلَه إلَّا اللهُ».

فإنَّمَا دَعَت الرُّسلُ أمَمَهَا إلَىٰ قَولِ هَذِهِ الكَلمةِ، واعتِقَادِ مَعنَاهَا، لَا مُجرَّد قَولِهَا بِاللسَانِ.

وَمَعنَاهَا: هُوَ إفْرَادُ اللهِ بالإلَهيةِ وَالعِبَادَة، والنَّفيُ لِمَا يُعبَدُ مِن دُونِه والبرَاءَةُ مِنهُ.

وَهَذَا الأصْلُ لَا مِرْيَةَ فِيمَا تَضَمَّنَهُ، ولَا شَكَّ فِيهِ، وَفِي أنَّه لَا يَتمُّ إيمَانُ أحدٍ، حَتَّىٰ يَعْلَمَهُ ويُحقِّقَهُ.

الأصــلُ الـثـالـثُ

أنَّ التَّوحِيدَ قِسمَانِ:

- القِسمُ الأوَّلُ: تَوحِيدُ الرُّبوبِيةِ والخَالِقيَّةِ والرَّازِقيةِ ونَحوِها.

ومعناه: أنَّ الله وحده هُوَ الخَالِقُ لِلعَالَم، وَهُوَ الرَّبُّ لَهُم والرَّازِقُ لَهُم.

وهَذَا لَا يُنكِرُهُ المُشْرِكونَ، ولَا يَجْعَلُونَ للهِ فِيهِ شَرِيكًا، بَلْ هُم مُقِرُّونَ بِه، كَمَا سَيأتِي فِي الأصْلِ الرَّابعِ.

والقِسمُ الثَّانِي: تَوحيدُ العِبَادَة؛ ومعنَاهُ: إفرَادُ اللهِ وحْدَه بِجميعِ أنوَاعِ العِبادَاتِ الآتِي بيانُها.

فَهَذَا هُوَ الذِي جَعلُوا للهِ فِيهِ شُركَاءَ.

ولَفَظُ: «الشَّرِيكِ» يُشعِر بِالإقرَارِ بِاللهِ تَعَالَىٰ.

فَالرُّسُلُ ﷺ بُعثُوا لِتقرِيرِ الأوَّلِ، ودُعاءِ المشرِكِينَ إلَىٰ الثَّانِي، مِثْلَ قَولِهِم فِي خطَابِ المشرِكِينَ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]. ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

وَنَهْيِهِم عَنْ شِرْكِ العِبَادَةِ؛ وَلِذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. أي: قَائِلِينَ لأمَمِهِم: أنِ اعْبُدُوا الله.

فَأفَادَ بِقولِه: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾: أنَّ جَمِيعَ الأُمَمِ لَم تُرسَلْ إلَيهِم الرُّسُلُ وتُبعَثُ إلَّا لِطَلَبِ تَوحِيدِ العِبَادَة، لَا لِلتَّعرِيفِ بِأنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ لِلعَالَم، وَأنَّه رَبُّ السَّمواتِ والأرضِ، فإنَّهم مُقرُّونَ بِهَذَا.

ولِهَذَا لَم تَرِدِ الآيَاتُ فِيهِ - فِي الغَالِبِ - إلَّا بِصِيغَة استِفْهَامِ التَّقرِيرِ، نَحوَ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر: ٤٠]. اسْتِفهَامُ تَقرِيرٍ

لَهُم؛ لأنَّهُمْ بِهِ مُقِرُّونَ.

وبِهَذَا تَعْرِفُ أنَّ المُشْرِكينَ لَم يَتَّخِذُوا الأصنَامَ والأوثَانَ، ولَم يَعبدُوهَا، ولَم يَتَّخِذُوا المَسيحَ وأمَّه، ولَم يَتخِذوا المَلائِكةَ شُركاءَ للهِ تَعالَىٰ؛ لأنَّهم أشرَكُوهُم فِي خَلقِ السَّمواتِ والأرضِ، وَفِي خَلقِ أنفُسِهِمْ بَل اتَّخذُوهُم؛ لأنَّهم يُقرِّبونَهم إلَىٰ اللهِ زُلفَىٰ - كَمَا قَالُوهُ - فَهُم مُقِرُّونَ بِاللهِ تَعالَىٰ فِي نَفسِ كَلمَاتِ كُفرِهِم، وأنَّهم شُفعَاءُ عِندَ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس: ١٨].

فَجعَلَ اللهُ تَعالَىٰ اتِّخَاذَهُم لِلشُّفعَاءِ شِركًا، ونَزَّه نَفسَهُ عَنهُ؛ لأنَّه لَا يَشفَعُ عِندَهُ أحدٌ إلَّا بِإذنِه.

فَكيفَ يُثبِتُونَ شُفعَاء لَهُم لَم يَأذنِ اللهُ لَهُم فِي شَفاعَةٍ، ولَا هُم أهلٌ لَهَا، ولَا يُغنُونَ عَنهُم مِنَ اللهِ شَيئًا؟!

الأصْلُ الرَّابِعُ

أنَّ المشرِكِينَ الذِينَ بَعثَ اللهُ الرُّسلَ إليهِم مُقرُّونَ أنَّ اللهَ خَالِقُهُم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[الزخرف: ٨٧].

وأنَّه الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الزخرف: ٩].

وأنَّه الرَّزَّاقُ الذِي يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيتِ، ويُخرِجُ المَيتَ مِنَ الحَي، وأنَّه الذِي يُدَبِّرُ الأمرَ مِنَ السَّماءِ إلَىٰ الأرضِ، وأنَّه الذِي يَملِكُ السَّمْعَ والأبصَارَ والأفئِدةَ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا

تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وهَذَا فِرعَونُ مَعَ غُلُوِّهِ فِي كُفرِهِ، ودَعوَاهُ أقبحَ دَعوَىٰ، ونُطقِه بالكَلمةِ الشَّنعَاءِ، يَقولُ اللهُ فِي حَقِّهِ، حَاكيًا عَن مُوسَىٰ ﷺ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وقَالَ إبليسُ: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦]. وقَالَ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]. وقَالَ: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾ [الحجر: ٣٦].

وَكُلُّ مُشْرِكٍ مُقِرٌّ بِأَنَّ اللهَ خَالقُهُ، وخَالقُ السَّمواتِ والأرضِ وربُّهُنَّ، وَربُّ مَا فِيهِنَّ ورَازقُهُم، ولِهَذَا احتَجَّ عَليهِم الرُّسلُ بِقولِهِم: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

وبِقولِهِم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣]. والمشرِكونَ مُقرُّونَ بِذلكَ لَا يُنكِرونَه.

الأَصْلُ الخَامِسُ

أنَّ العِبَادَة أقصَىٰ بَابِ الخُضُوعِ والتَّذلل، ولَم تُستَعمَلْ إلَّا فِي الخُضُوعِ للهِ تَعَالَىٰ؛ لأنَّه مُولي أعظَمِ النِّعَمِ، فَكانَ حَقيقًا بِأقصَىٰ غَايةِ الخُضُوعِ كَمَا فِي «الكَشَّافِ».

ثُمَّ إنَّ رَأسَ العِبَادَة وأسَاسَها: التَّوحيدُ للهِ، الذِي تُفيدُه كَلمتُه الَّتِي إلَيهَا دَعَت جَميعُ الرُّسلِ، وَهُوَ قَولُ: «لَا إلَه إلَّا اللهُ».

وَالمرَادُ: اعتقَادُ معنَاهَا، والعَملُ بِمقتَضَاهَا، لَا مُجرَّدُ قَولِهَا بِاللسَانِ.

وَمَعنَاهَا: إفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَة والإلَهيَّةِ، والنَّفيُ والبرَاءَةُ مِن كُلِّ مَعبُودٍ دُونَه.

وَقَد عَلِمَ الكُفَّارُ هَذَا المَعنَىٰ؛ لأنَّهُم أهلُ اللسَانِ العَرَبِي فقَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ

إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

فصل

إِذَا عَرفتَ هَذِهِ الأصولَ فَاعلَمْ أنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ العِبَادَةَ له أنواعًا:

اعتِقَادِيَّةٌ: وَهِيَ أَسَاسُهَا، وذَلِكَ أنْ يَعتَقِدَ أنَّه الرَّبُّ الوَاحِدُ الأحَدُ الذِي بِيَدِهِ الخَلقُ والأمرُ، وبِيدِه النَّفعُ والضُّرُّ، وأنَّه الذِي لَا شَرِيكَ لَه، ولَا يَشفَعُ عِندَه أحَدٌ إلَّا بِإذنِه، وأنَّه لَا مَعبودَ بِحقٍّ غَيرُه، وَغَيرُ ذَلِكَ مِمَّا يَجبُ مِن لَوازِمِ الإلَٰهِيةِ.

ومنهَا اللفظِيَّةُ: وهِيَ النُّطقُ بِكلِمةِ التَّوحِيدِ، فَمن اعتَقَد مَا ذُكرَ، ولَم يَنطِق بِهَا؛ لَم يُحقَن دَمُه ولَا مَالُه، وَكَانَ كَإبلِيسَ، فإنَّه يَعتَقِدُ التَّوحِيدَ، بَلْ ويُقِرُّ بِه، كَمَا أسلفنَاهُ عَنهُ، إلَّا أنَّه لَم يَمتَثِلْ أمرَ اللهِ بالسُّجُودِ؛ فَكفَر.

ومَن نطَقَ بِهَا ولَم يَعتَقِد؛ حُقِنَ مَالُه ودَمُه، وحِسَابُه عَلَىٰ اللهِ، وحُكمُه حُكمُ المنَافِقينَ.

وَمِنْهَا بَدَنيةٌ: كَالقِيامِ والرُّكوعِ والسُّجودِ فِي الصَّلَاةِ.

ومِنهَا: الصَّومُ وأفعَالُ الحَجِّ والطَّوافِ.

ومَاليةٌ: كَإخرَاجِ جُزْءٍ مِنَ المَالِ امتِثالًا لِمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِه.

وأنواعُ الوَاجبَاتِ والمندُوبَاتِ فِي الأموَالِ والأبدَانِ والأفعَالِ والأقوَالِ كَثِيرةٌ، لكِنَّ هَذِهِ أُمَّهَاتُهَا.

أقول: وإذَا تَقَرَّرَت هَذِهِ الأصول فَاعْلَم: أنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعثَ الرُّسُلَ وَالأنبِيَاءَ - علَيهِم الصَّلاةُ والسَّلامُ- مِن أَوَّلِهِم إلَىٰ آخِرِهِم يَدعُونَ العِبادَ إلَىٰ إفرَادِ اللهِ تَعَالَىٰ بالعِبَادَةِ، لَا إلَىٰ إثبَاتِ أنَّه خَلقَهُم وَنحوِه؛ إذْ هُم مُقرُّونَ بِذلكَ، كَمَا قَرَّرْنَاهُ وكَرَّرْنَاهُ، ولِذَا قَالُوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

أي: لِنُفْرِدَهُ بِالعِبَادَةِ، وَيَختَصَّ بِهَا مِن دُونِ الأوثَانِ، فَلَم يُنكِروا إلَّا طَلَبَ الرُّسُلِ مِنهُم إفرَادَ العِبَادَةِ للهِ، فَلَم يُنكِروا اللهَ تَعَالَىٰ، ولَا أنَّه لَا يُعبدُ، بَلْ أقَرُّوا بِأنَّه يُعْبَدُ، وأنكَرُوا

كَونَهُ يُفْرَد بِالعِبَادَةِ، فَعبَدوا مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ غَيرَهُ، وأشرَكُوا مَعهُ سِوَاه، واتَّخذُوا له أَندَادًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. أي: وأنتُم تَعلمُونَ أنَّه لَا نِدَّ له.

وَكَانُوا يَقولُونَ فِي تَلبِيتِهِم لِلحَجِّ: «لَبيكَ لَا شَريك لَكَ، إلَّا شَريكًا هُوَ لَكَ، تَملكُه ومَا مَلكَ»، وكَانَ يَسمعُهم النَّبِيُّ ﷺ عِندَ قَولِهِم: «لا شَريكَ لكَ»، فَيَقولُ: «قَدٍ.. قَدٍ»[1]؛ أي: أفرِدُوه جَلَّ جَلَالُه لَو تَركُوا قَولَهُم: إلَّا شَريكًا هُوَ لَكَ».

فَنَفسُ شِرْكِهِم بِاللهِ تَعَالَىٰ إقرَارٌ بِه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٢]. ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ [القصص: ٦٤]. ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

فنَفسُ اتِّخَاذ الأَندَادِ إقرَارٌ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَلَم يَعبدُوا الأَصْنَامَ بِالخُضوعِ لَهُم وَالتَّقرُّبِ بِالنُّذُورِ والنَّحرِ لَهُم، إلَّا لِاعتِقَادِهِم أنَّهَا تُقَرِّبُهُم إلَىٰ اللهِ زُلفَىٰ، وتَشفَعُ لَهُم لَدَيهِ.

فَأرسَلَ اللهُ الرُّسُلَ تَأمُرُهُم بِتَرْكِ عِبَادَةِ كُلِّ مَا سِوَاه، وَتُبَيِّنُ أنَّ هَذَا الاعتِقَادَ الذِي يَعتَقدونَه فِي الأَندَادِ بَاطلٌ، وأنَّ ذَلِكَ لَا يَكونُ إلَّا للهِ وَحدَه، وهَذَا هُوَ تَوحِيدُ العِبَادَة.

وقَد كَانُوا مُقرِّينَ -كَمَا عَرفتَ فِي الأَصلِ الرَّابِعِ- بِتوحِيدِ الرُّبوبِيةِ، وهُوَ أنَّ الله هُوَ الخَالقُ وحدَهُ، والرَّازِقُ وحدَهُ، ومِن هَذَا تَعرِفُ أنَّ التَّوحِيدَ الذِي دَعَتهُم إلَيهِ الرسُلُ مِن أوَّلِهم وهُوَ نوحٌ ﷺ إلَىٰ آخِرِهِم وهُوَ مُحمَّد بن عبد الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْه وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّم هُوَ تَوحِيدُ العِبَادَة؛ وَلِذَا تَقولُ لَهُم الرُّسلُ: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢٦]. ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقَد كَانَ المُشرِكُونَ مِنهُم مَن يَعبُدُ المَلائِكةَ ويُنَادِيهِم عِندَ الشَّدائِدِ، ومِنهُم مَنْ

(١) مسلم (١١٨٥).

يَعْبُدُ أَحْجَارًا، وَيهتِفُ بِهَا، وَهِيَ فِي الأَصلِ صُوَرُ رِجَالٍ صَالِحِينَ، كَانُوا يُحِبُّونَهُم، ويَعتَقِدُونَ فِيهِم، فَلَمَّا هَلَكُوا صَوَّرُوا صُوَرَهُم تَسَلِّيًا بِهَا، فَلَمَّا طَالَ عَلَيهِم الأَمَدُ، عَبَدُوهُم، ثُمَّ زَادَ الأَمَدُ طُولًا، فَعَبَدُوا الأَحجَارَ، ومِنهُم مَن يَعبُدُ المَسِيحَ، ومِنهُم مَن يَعبُدُ الكَوَاكِبَ، ويَهتِفُ بِهَا عِندَ الشَّدائِدِ، فَبعثَ اللهُ مُحمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْه وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّم يَدعُوهُم إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وحدَه، بِأنْ يُفرِدُوهُ بِالعِبَادَة، كَمَا أَفرَدُوهُ بِالرُّبوبِيةِ، أي: برُبُوبِيةِ السَّمواتِ والأرضِ.

وَأنْ يُفرِدُوهُ بِكَلِمَةِ «لَا إِلَه إِلَّا الله» مُعتقِدِينَ لِمعنَاهَا، عَامِلِينَ بِمقتَضَاهَا، وألَّا يَدْعُوا مَعَ اللهِ أحَدًا، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. أي: مِن شَرطِ الصِّدقِ فِي الإِيمَانِ بِاللهِ ألَّا يَتوكَّلوا إِلَّا عَليهِ، وأنْ يُفردُوه بِالتَّوكُّلِ، كَمَا يَجبُ أنْ يُفردُوهُ بِالدُّعاءِ والاستِغفَارِ.

وَأمَرَ اللهُ عِبادَهُ أنْ يَقُولُوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ولَا يَصدُقُ قَائلُ هَذَا إِلَّا إِذَا أَفرَدَ العِبَادَةَ لِلهِ تعالىٰ، وإِلَّا كَانَ كَاذبًا مَنْهِيًّا عَنْ أنْ يَقُولَ هَذِهِ الكَلِمةَ؛ إِذْ مَعنَاهَا: نَخُصُّكَ بِالعِبَادَة، ونُفرِدُكَ بِهَا، وهُوَ مَعنَىٰ قَولِه: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]. ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

كَما عُرِفَ مِن عِلمِ البَيانِ: أنَّ تَقدِيمَ مَا حَقُّه التَّأخِيرُ يُفِيدُ الحَصرَ، أي: لَا تَعبدُوا إِلَّا اللهَ، ولَا تَعبدُوا غَيرَه، وَلَا تَتَّقُوا غَيرَه كَمَا فِي «الكَشَّافِ».

فَإِفرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِتوحِيدِ العِبَادَةِ لَا يَتمُّ إِلَّا بِأنْ يَكونَ الدُّعاءُ كُلُّه لَهُ، والنِّدَاءُ فِي الشَّدَائِدِ والرَّخَاءِ لَا يَكونُ إِلَّا للهِ وحدَهُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ والاستِعَانَةُ بِاللهِ وحدَهُ، واللَّجَأُ إِلَىٰ اللهِ، والنَّذرُ والنَّحرُ لَه تَعَالَىٰ، وَجَميعُ أَنواعِ العِبَادَاتِ: مِن الخُضوعِ والقِيَامِ تَذلُّلًا

للهِ تَعَالَىٰ، والرُّكوعِ والسُّجودِ والطَّوافِ وَالتَّجرُّدِ عَنِ الثِّيابِ وَالحَلقِ والتَّقصِيرِ كُله لَا يَكونُ إلَّا للهِ ﷻ.

وَمَن فَعلَ شَيئًا مِن ذَلِكَ لِمخلُوقٍ حَيٍّ أو مَيتٍ أو جَمادٍ أو غَيرِ ذَلِكَ؛ فَقَد أشرَكَ فِي العِبادَة، وصَارَ مَن تُفعلُ له هَذِهِ الأمُورُ إلَهًا لِعَابديهِ، سَوَاء كَانَ مَلكًا أو نَبيًّا، أو وَليًّا، أو شَجرًا، أو قَبرًا، أو جِنيًّا، أو حَيًّا، أو مَيتًا.

وصَارَ بِهَذِهِ العِبادَة أو بَأيِّ نَوعٍ مِنهَا عَابدًا لِذلِكَ المَخلُوقِ، وإنْ أقَرَّ بِاللهِ وعَبَدَهُ، فَإنَّ إقرارَ المُشرِكينَ بِاللهِ تَعَالَىٰ وتَقَرُّبَهُم إلَيه لَم يُخرِجْهُم عَنِ الشِّركِ، وَعَن وجُوبِ سَفْكِ دِمَائِهم، وسَبي ذَرارِيهِم، وَنَهْبِ أموَالِهِم، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: «أنَا أغنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ»(١).

لَا يَقبَلُ اللهُ عَمَلًا شُورِكَ فِيهِ غَيرُه، وَلَا يُؤمِنُ بِه مَن عَبَد مَعهُ غَيرَه.

فصل

إذَا تَقَرَّرَ عِندَكَ أنَّ المشرِكينَ لَم يَنفعْهم الإقرارُ بِاللهِ تَعَالَىٰ مَعَ إشرَاكِهِم فِي العِبَادَةِ، ولَا يُغْنِي عَنهُم مِنَ اللهِ شَيئًا، وأنَّ عِبادَتَهم هِيَ اعتقَادُهُم فِيهِم: أنَّهُم يَضُرُّونَ وَيَنْفَعُونَ، وأنَّهُم يُقرِّبونَهم إلَىٰ اللهِ زُلفَىٰ، وأنَّهُم يَشفَعُون لَهُم عِندَ اللهِ تَعَالَىٰ، فَنَحرُوا لَهم النَّحائِرَ، وطَافُوا بِهِم، ونَذرُوا النُّذورَ عَلَيهِم، وقَامُوا مُتَذَلِّلينَ مُتواضِعينَ فِي خِدمَتِهِم، وَسجَدُوا لَهُم، ومَعَ هَذَا كُلِّه، فَهُم مُقِرُّونَ للهِ بِالرُّبوبيةِ وأنَّه الخَالقُ، ولَكنَّهُم لَمَّا أشرَكُوا فِي عِبادَتِه؛ جَعلَهُم مُشرِكينَ، ولَم يَعتدَّ بِإقرارِهِم هَذَا، لأنَّه نَافَاهُ فعلُهُم، فَلَم يَنفعْهُم الإقرَارُ بِتوحِيدِ الرُّبوبيةِ.

فَمِن شَأنِ مَن أقَرَّ للهِ تَعَالَىٰ بِتوحِيدِ الرُّبوبيةِ؛ أنْ يُفْرِدَهُ بِتوحِيدِ العِبَادَةِ، فإن لَم يَفعَل ذَلكَ؛ فَالإقرَارُ الأوَّلُ بَاطلٌ.

---

(١) مسلم (٢٩٨٥).

وقَد عَرفُوا ذَلِكَ وَهُم فِي طَبقَاتِ النَّارِ، فقَالُوا: ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]. مَعَ أَنَّهُم لَم يُسَوُّوهُم بِه مِن كُلِّ وجهٍ، ولَا جَعلُوهُم خَالِقِينَ ولَا رَازِقِينَ، لَكنَّهم عَلِمُوا وهُم فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ أَنَّ خَلْطَهُم الإِقرَارَ بِذرَّةٍ مِن ذَرَّاتِ الإِشرَاكِ فِي تَوحِيدِ العِبَادَةِ صَيَّرهُم كَمَن سَوَّىٰ بَينَ الأَصنَامِ، وبَينَ رَبِّ الأَنَامِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]. أي: مَا يُقِرُّ أكثَرُهُم فِي إقرَارِهِ بِالله، وبِأنَّه خَلَقَهُ وخَلقَ السَّمواتِ والأرضَ إلَّا وهُوَ مُشرِكٌ بِعبَادَةِ الأوثَانِ.

بَلْ سَمَّىٰ اللهُ الرِّيَاءَ فِي الطَّاعَاتِ شِركًا، مَعَ أنَّ الفَاعِلَ لِلطَّاعةِ مَا قَصَدَ بِهَا إلَّا اللهَ تَعَالَىٰ، وإنَّمَا أرَادَ طَلَبَ المَنزِلَةِ بِالطَّاعَةِ فِي قُلوبِ النَّاسِ.

فَالمُرَائِي عَبَدَ اللهَ لَا غَيرَه، لَكنَّه خَلطَ عِبَادَته بِطَلَبِ المنزِلَة فِي قُلوبِ النَّاسِ، فَلَم تُقبَلْ لَه عِبادَتُهُ، وسَمَّاهَا شِركًا، كَمَا أخرَجَ مُسلِمٌ مِن حَدِيثِ أبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أنَا أغنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّركِ، مَن عَمِلَ عمَلًا أشرَكَ فِيهِ مَعِي غَيرِي، تَركتُه وشِرْكَه»[1].

بَل سَمَّىٰ اللهُ التَّسمِيةَ بِعبدِ الحَارِثِ شِركًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

فَإنَّه أخرَجَ الإمَامُ أحمَدُ بنُ حَنبَلٍ والتِّرمذيُّ مِن حَديثِ سَمُرَةَ أنَّ النَّبِي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم قَالَ: «لَمَّا حَمَلَت حَواءُ وَكَانَ لا يَعيشُ لَهَا ولَدٌ، طَافَ بِهَا إبلِيسُ، وقَالَ: لا يَعيشُ لَكِ وَلدٌ حَتَّىٰ تُسمِّيه عَبدَ الحَارِثِ. فَسمَّتهُ، فَعاشَ. وكَانَ ذَلِكَ مِن وَحيِ الشَّيطانِ وأمرِه، فأنزَلَ اللهُ الآيَاتِ، وسَمَّىٰ هَذِهِ التَّسمِيةَ شِركًا، وكَانَ إبلِيسُ

---

(١) مسلم (٢٩٨٥).

تَسمَّىٰ بالحَارِثِ».

والقِصةُ فِي «الدُّرِّ المنثُورِ» وغَيرِه.

فصـــل

وقَد عَرَفْتَ مِنْ هَذَا كُلِّه: أنَّ مَن اعتَقَدَ فِي شَجرٍ، أو حَجرٍ، أو قَبرٍ، أو مَلَكٍ، أو جِنِّيٍّ، أو حَيٍّ، أو مَيتٍ: أنَّه يَنفعُ أو يَضُرُّ، أو أنَّه يُقرِّبُ إلَىٰ اللهِ، أو يَشْفَعُ عِندَه فِي حَاجَةٍ مِن حَوائِجِ الدُّنيَا بمجرَّدِ التَّشفُّعِ بِه، والتَّوسُّلِ إلَىٰ الرَّبِّ تَعَالَىٰ -إلَّا مَا وَردَ فِي حَديثٍ فِيهِ مقَالٌ فِي حَقِّ نَبِيِّنَا مُحمَّدٍ ﷺ بِخُصُوصِهِ أو نَحوِ ذَلكَ- فإنَّه قَد أشرَكَ مَعَه غَيرُه، واعتَقَدَ مَا لَا يَحِلُّ اعتقَادُه، كمَا اعتَقَدَ المُشرِكونَ فِي الأوثَانِ، فَضلًا عمَّن يَنذِرُ بمالِه وولَدِه لِميتٍ، أو حَيٍّ، أو يَطلُبُ مِن ذَلِكَ المَيتِ مَا لَا يُطلبُ إلَّا مِن اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الحَاجَاتِ: مِن عَافِيةِ مَريضِهِ، أو قُدومِ غَائِبِهِ، أو نَيْلِه لأيِّ مَطلَبٍ مِن المطَالِبِ؛ فَإنَّ هَذَا هُوَ الشِّركُ بِعَينِه، الذِي كَانَ عَلَيهِ عُبَّادُ الأصنَامِ.

وَالنُّذورُ بِالمَالِ عَلَىٰ المَيتِ ونَحوِهِ، والنَّحرُ عَلَىٰ القَبرِ والتَّوسلُ بِهِ، وطَلَبُ الحَاجاتِ مِنهُ هُوَ بِعينِهِ الذِي كَانَت تَفعلُه الجَاهِلِيَّةُ.

وإنَّمَا يَفعلُونَه لِمَا يُسمُّونَه وثَنًا وصَنمًا، وفَعلَه القُبوريُّونَ لِمَا يُسمُّونَه ولِيًّا، وقَبرًا، ومَشهدًا.

والأسمَاءُ لَا أثَرَ لَهَا ولَا تُغيِّر المَعَانِيَ، ضَرورَةً لُغويَّةً وعَقلِيَّةً وشَرعيَّةً، فَإنَّ مَن شَربَ الخَمرَ وسَمَّاها مَاءً؛ مَا شَربَ إلَّا خَمرًا، وَعِقابُه عِقابُ شَاربِ الخَمرِ، ولعَلَّه يَزيدُ عقَابُه لِلتدليسِ والكَذبِ فِي التَّسمِيةِ.

وقَد ثَبتَ فِي الأحَادِيثِ أنَّه يَأتِي قَومٌ يَشرَبونَ الخَمرَ يُسمُّونَهَا بغَيرِ اسمِهَا(١)، وصَدقَ ﷺ فإنَّه قَد أتَىٰ طَوائفُ مِنَ الفسَقَةِ يَشربُونَ الخمرَ ويُسمونَها نَبيذًا.

---

(١) أحمد (٤/ ٢٣٧)، صححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٤٥٣).

وأوَّلُ مَن سَمَّىٰ مَا فِيهِ غَضبُ اللهِ وعصيَانُهُ بِالأسمَاءِ المَحبوبَةِ عِندَ السَّامِعِينَ: إبليسُ - لَعنهُ اللهُ - فإنَّه قَالَ لأبِي البَشرِ آدَمَ ﷺ: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]. فَسمَّىٰ الشَّجرَةَ الَّتِي نَهَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ آدَمَ عَن قُربانهَا شَجرَةَ الخُلدِ، جَذبًا لِطبعِه إليهَا، وهَزًّا لِنشَاطِه لِقُربانِهَا، وتَدلِيسًا عَلَيهِ بِالاسمِ الذِي اختَرعَه لَهَا.

كمَا يُسمِّي إخوانُه المقَلِّدونَ لَه الحشِيشَةَ: بِلقمَةِ الرَّاحَةِ، وكَمَا يُسمِّي الظَّلَمَةُ مَا يَقبِضُونَه مِن أموَالِ عِبادِ اللهِ ظُلمًا وعُدوَانًا: أَدبًا، فَيقُولونَ: أدبُ القَتلِ، أدَبُ السَّرقةِ، وأدَبُ التُّهمَةِ، بِتحريفِ اسمِ الظُّلمِ إِلَىٰ اسمِ الأدَبِ.

كَمَا يُحرِّفونَه فِي بَعضِ المقبُوضَاتِ إِلَىٰ اسمِ النَّفاعَةِ، وفِي بَعضهَا إِلَىٰ اسمِ السِّياقَةِ، وفِي بَعضهَا أدَبُ المَكايِلِ والمَوازِينِ، وكُلُّ ذَلِكَ اسمُه عِندَ اللهِ: ظُلمٌ وعُدوَان، كَمَا يَعرفُه مَن شَمَّ رَائِحةَ الكِتابِ والسُّنةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَأخوذٌ عَن إبلِيسَ، حَيثُ سَمَّىٰ الشَّجَرةَ المَنهِيَّ عَنهَا: شَجرَةَ الخُلدِ.

وكَذلِكَ تَسمِيةُ القَبرِ: مَشهدًا، ومَن يَعتقَدونَ فِيهِ وليًّا، لَا يُخرجهُ عَن اسمِ الصَّنمِ والوثَنِ؛ إِذْ هُم مُعامِلون لَهَا مُعامَلةَ المُشرِكينَ لِلأصنَامِ ويَطُوفُونَ بِهِم طَوافَ الحُجَّاجِ بِبيتِ اللهِ الحَرامِ، ويَستلمونَهُم استِلَامَهُم لأركَانِ البَيتِ، ويُخَاطِبونَ المَيتَ بِالكَلمَاتِ الكُفرِيَّة مِن قَولِهِم: عَلَىٰ اللهِ وعَليكَ، ويَهتِفونَ بِأسمَائِهم عِندَ الشَّدائِد ونَحوِهَا.

وكُلُّ قَومٍ لَهم رَجلٌ يُنَادُونَهُ.

فَأهلُ العِراقِ والهِندِ: يَدعُونَ عَبدَ القَادِرِ الجِيلِيَّ.

وأهلُ التَّهائِم: لَهُم فِي كُلِّ بَلَدٍ مَيتٍ يَهتِفونَ بِاسمِه، يَقولُونَ: يَا زَيلعِي، يَا بنَ العُجَيلِ.

وأهلُ مَكَّة، وأهلُ الطَّائِفِ: يَا بنَ العَبَّاسِ.

وأهلُ مِصرَ: يَا رِفاعِي، يَا بَدوِي.

والسَّادَةُ البَكرِيةُ، وأهلُ الجِبَالِ: يَا أبَا طَيرٍ.

وأهلُ اليَمنِ: يَا بنَ عُلوان.

وفِي كُلِّ قَريةٍ أموَاتٌ يَهتِفونَ بِهِم ويُنَادونَهُم ويَرجُونَهم؛ لِجلبِ الخَيرِ ودَفعِ الضُّرِّ، وهُوَ بِعينِه فِعلُ المُشرِكينَ فِي الأصنَامِ، كمَا قُلنَا فِي الأبيَاتِ النَّجدِيَّةِ:

أعَادُوا بِهَا مَعنَىٰ سُوَاعٍ وَمِثْلِهِ
يَغُوثَ ووَدٍّ بِئسَ ذَلِكَ مِن وُدِّ

وقَد هَتَفُوا عِندَ الشَّدَائِدِ باسمِهَا
كَمَا يَهتِفُ المُضطرُّ بالصَّمَدِ الفَرْدِ

وَكَم نَحَرُوا فِي سُوحِهَا مِن نَحِيرَةٍ
أُهلَّت لِغَيرِ اللهِ جَهلًا عَلَىٰ عَمْدِ

وَكَم طَائِفٍ حَولَ القُبُورِ مُقَبِّلًا
وَيَستَلِمُ الأركَانَ مِنهنَّ بالأَيْدِي

فَإنْ قَالَ: إنَّمَا نَحرتُ للهِ وَذكرتُ اسمَ اللهِ علَيهِ.

فَقُلْ لَهُ: إنْ كَانَ النَّحرُ للهِ فَلأيِّ شَيءٍ قَرَّبتَ مَا تَنْحَرُهُ مِن بَابِ مَشهدِ مَن تُفَضِّلُهُ وتعتقِدُ فِيهِ؟ هَل أردتَ بِذلكَ تَعظيمَه؟

إنْ قَالَ: نَعَم.

فَقُل لَه: هَذَا النَّحْرُ لِغيرِ اللهِ، بَلْ أشرَكتَ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ غَيرَه، وإنْ لَم تُرِد تَعظِيمَه، فَهلْ أرَدتَ تَوسِيخَ بَابِ المشهَدِ، وتَنجِيسَ الدَّاخلِينَ إلَيهِ؟

أنتَ تَعلَمُ يَقينًا: أنَّكَ مَا أردتَ ذَلِكَ أصلًا، ولَا أردتَ إلَّا الأولَ، ولَا خرَجتَ مِن بَيتكَ إلَّا قَصدًا لَه ثُمَّ كَذَلِكَ دُعَاؤُهُم لَه.

فهَذَا الذِي عَلَيهِ هَؤلاءِ: شِركٌ بلَا رَيبٍ.

وقَد يَعتقدُونَ فِي بَعضِ فَسَقَةِ الأحيَاءِ، ويُنَادُونَهُمْ فِي الشِّدةِ والرَّخاءِ، وهُوَ عَاكفٌ عَلَىٰ القَبائحِ والفضَائحِ، لَا يَحضُر حَيثُ أمرَ اللهُ عِبادَه المُؤمِنينَ بِالحضُورِ هُناكَ، ولَا يَحضُر جُمُعَةً ولَا جَمَاعَةً، ولَا يَعودُ مَرِيضًا ولَا يُشَيِّعُ جنَازَةً، ولَا يَكتَسِبُ حَلالًا، ويَضُمُّ إلَىٰ ذَلِكَ دَعوَىٰ التَّوكُّلِ وعِلمِ الغَيبِ.

ويَجلبُ إلَيهِ إبلِيسُ جَماعَةً قَد عشَّ فِي قُلوبِهِم، وبَاضَ فِيهَا وفَرَّخَ، يُصدِّقونَ بُهتانَهُ ويعظِّمُونَ شَأنَه، ويجعَلُونَ هَذَا نِدًّا لِربِّ العَالَمينَ ومِثلًا.

فيَا لَلعقُولِ أينَ ذَهبتَ؟! ويَا لَلشرَائعِ كَيفَ جُهِلتَ؟! ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]

فَإنْ قُلتَ: أفَيصيرُ هَؤلَاءِ الذِينَ يَعتقدونَ فِي القُبورِ والأولياءِ والفَسقَةِ والخُلعَاءِ مُشرِكينَ، كَالذِينَ يَعتقِدونَ فِي الأصنَامِ؟

قُلتُ: نَعَم، قَد حَصَل مِنهُم مَا حَصلَ مِن أولئِكَ، وَسَاوَوْهُم فِي ذَلكَ، بَلْ زَادُوا فِي الاعتِقَادِ والانقِيَادِ والاستعبَادِ، فَلَا فَرقَ بَينَهُم.

فَإنْ قُلتَ: هَؤلَاءِ القُبورِيُّونَ يَقولونَ: نَحنُ لَا نُشركُ بِاللهِ تَعَالَىٰ، ولَا نَجعلُ لَه نِدًّا، والالتِجَاءُ إلَىٰ الأولياءِ وَالاعتِقَادُ فِيهِم لَيسَ شِركًا.

قُلتُ: نَعَم ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٧] لَكِن هَذَا جَهلٌ مِنهُم بِمعنَىٰ الشِّركِ، فَإنَّ تَعظِيمَهُم الأولياءَ ونَحرَهُم النَّحَائرَ لَهُم: شِركٌ، واللهُ تَعَالَىٰ يَقولُ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر: ٢] أي: لَا لِغَيرِه، كَمَا يُفيدُهُ تَقديمُ الظَّرفِ، ويَقولُ الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ [الجن: ١٨] وقَد عَرفتَ بِمَا قَدَّمنَاهُ قَرِيبًا أنَّه سَمَّىٰ الرِّياءَ شِركًا، فَكيفَ بِمَا ذَكرنَاهُ؟!

فهَذَا الذِي يَفعلُونَه لأولِيَائِهِم هُوَ عَينُ مَا فَعلَه المُشرِكُونَ، وصَارُوا بِه مُشرِكينَ، ولَا يَنفعُهم قَولُهم: نَحنُ لَا نُشركُ بِاللهِ شَيئًا؛ لأنَّ فِعلَهم أكذَبَ قَولَهُم.

فَإِنْ قُلْتَ: هُم جَاهِلونَ أَنَّهم مُشرِكونَ بِمَا يَفعلونَهُ.

قُلتُ: قَد صَرَّحَ الفُقَهاءُ فِي كُتبِ الفِقهِ فِي بَابِ الرِّدَّةِ: أنَّ مَن تَكلَّمَ بِكلِمَةِ الكُفرِ يَكفُرُ، وإنْ لَم يَقصِد معنَاهَا، وهَذَا دَالٌّ عَلَىٰ أنَّهم لَمْ يَعرِفُوا حَقِيقةَ الإسلَامِ، ولَا مَاهِيَّةَ التَّوحِيدِ، فَصَارُوا حِينئِذٍ كُفَّارًا كُفرًا أَصْلِيًّا.

فَإِنَّ الله تَعَالَىٰ قَدْ فَرَضَ عَلَىٰ عِبادِهِ إِفرَادَهُ بِالعِبَادَةِ: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هُود: ٢٦]. وإخلَاصَهَا لَهُ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الآية [البينة: ٥].

وَمَنْ نَادَىٰ الله تَعَالَىٰ لَيلًا ونَهارًا، وسِرًّا وجِهارًا، وخَوفًا وطَمَعًا، ثُمَّ نَادَىٰ مَعهُ غَيرَهُ، فَقَد أشرَكَ فِي العِبَادَةِ؛ فَإنَّ الدُّعاءَ مِنَ العِبَادَةِ وقَد سَمَّاه اللهُ تَعَالَىٰ عِبادَةً فِي قَولِه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. بَعدَ قَولِه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا كَانُوا مُشْرِكِينَ؛ وَجَبَ جِهَادُهُم والسُّلوكُ فِيهِم مَا سَلكَ رَسولُ الله ﷺ فِي المُشرِكينَ.

قُلتُ: إِلَىٰ هَذَا ذَهبَ طَائِفةٌ مِن أَئِمَّةِ العِلمِ، فقَالُوا: يَجبُ أوَّلًا دُعاؤهُم إِلَىٰ التَّوحِيدِ، وإبَانَةُ أنَّ مَا يَعتَقِدُونَه يَنفَعُ ويَضُرُّ؛ لَا يُغنِي عَنهُم مِنَ اللهِ شَيئًا، وأنَّهُم أمثَالُهُم، وأنَّ هَذَا الاعتِقَادَ مِنهُم فِيهِم: شِركٌ، لَا يَتِمُّ الإيمَانُ بِمَا جَاءَت بِه الرُّسُلُ إلَّا بِتَركِهِ والتَّوبَةِ مِنهُ، وإفرَادِ التَّوحيدِ اعتقَادًا وعمَلًا للهِ تَعَالَىٰ وحدَهُ.

وهَذَا وَاجِبٌ عَلَىٰ العُلَمَاءِ، أي: بَيَانُ أنَّ ذَلِكَ الاعتِقَادَ الذِي تَفرَّعتْ عَنهُ النُّذورُ والنَّحائِرُ والطَّوافُ بِالقُبورِ؛ شِرْكٌ مُحَرَّمٌ، وأنَّه عَيْنُ مَا كَانَ يَفعلُهُ المُشرِكُونَ لأصنَامِهِم.

فَإِذَا أَبَانَ العُلَمَاءُ ذَلِكَ للأَئِمةِ وَالمُلُوكِ، وَجَبَ عَلَىٰ الأئِمَّةِ والمُلوكِ بَعثُ دُعاةٍ إِلَىٰ إخلَاصِ التَّوحِيدِ، فَمَن رَجعَ وأقَرَّ؛ حُقِنَ عَلَيهِ دَمُهُ ومَالُه وذَرَارِيهُ، ومَنْ أَصَرَّ؛ فَقَد أَبَاحَ اللهُ مِنهُ مَا أَبَاحَ لِرَسُولِه ﷺ مِنَ المُشرِكِينَ.

فَإِنْ قُلتَ: الاستغَاثَةُ قَد ثَبَتَتْ فِي الأحَادِيثِ، فإنَّه قَد صَحَّ أنَّ العِبادَ يَومَ القِيامَةِ يَستغِيثونَ بِآدَمَ أبِي البَشرِ، ثُمَّ بِنُوحٍ ثُمَّ بِإبراهِيمَ، ثُمَّ بِموسَىٰ، ثُمَّ بِعيسَىٰ، وَينتَهُونَ إِلَىٰ مُحمدٍ ﷺ، بَعدَ اعتذَارِ كُلِّ واحِدٍ مِنَ الأنبياءِ، فهَذَا دَليلٌ عَلَىٰ أنَّ الاستغَاثَةَ بغيرِ اللهِ لَيستْ بِمنكَرٍ.

قُلتُ: هَذَا تَلبيسٌ، فَإنَّ الاستغَاثَةَ بِالمخلُوقِينَ الأحياءِ فِيمَا يَقْدِرُونَ عَلَيهِ لَا يُنكِرُهَا أحدٌ، وقَد قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ ﷺ مَعَ الإسرَائيليِّ والقِبطيِّ: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] .

وإنَّمَا الكَلَامُ فِي استغَاثَةِ القُبورِيينَ وغيرِهِم بِأوليائِهِم، وطلَبِهِم مِنهُم أمُورًا لَا يَقْدِرُ عَلَيهَا إلَّا اللهُ تَعَالَىٰ، مِن عَافِيَةِ المَرِيضِ وغيرِهَا.

بَلْ أَعْجَبُ مِن هَذَا: أنَّ القُبورِيينَ وغيرَهُم وَمِن الأحياءِ مِن أتبَاعِ مَن يَعتقدونَ فِيهِ، قَدْ يَجعلُونَ لَهُ حِصَّةً مِن الوَلدِ إنْ عَاشَ، وَيَشتَرونَ مِنهُ الحَمْلَ فِي بَطنِ أمِّهِ لِيعيشَ، ويَأتُونَ بِمنكَرَاتٍ مَا بَلغَ إليهَا المُشرِكونَ الأولُونَ.

ولَقَد أخبَرنِي بَعضُ مَن يَتولَّىٰ قَبضَ مَا يَنذِرُ القُبورِيونَ لِبعضِ أهلِ القُبورِ، أنَّه جَاءَهُ إنسَانٌ بِدراهِمَ وحليةِ نِسائِيَّةٍ، وقَالَ: هَذِهِ لِسيِّدِه فُلانٍ - يُرِيدُ: صَاحِبَ القَبرِ - وهَذَا شَيءٌ مَا بَلغَ إلَيهِ عُبَّادُ الأصنَامِ، وهُوَ دَاخلٌ تَحتَ قَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ [النحل: ٥٦] . بِلَا شَكٍّ ولَا رَيبٍ.

نَعَم، استغَاثَةُ العِبادِ يَومَ القِيامَةِ وطَلَبُهُم مِنَ الأنبياءِ، أنْ يَدْعُوا اللهَ تَعَالَىٰ لِيفصِلَ بَينَ العِبادِ بِالحسَابِ، حَتَّىٰ يُرِيحَهُم مِن هَوْلِ المَوقِفِ، وهَذَا لَا شَكَّ فِي جَوازِهِ.

أعنِي: طَلَبَ دُعَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ مِن بَعضِ عِبادِهِ لِبعضٍ، بَلْ قَدْ قَالَ ﷺ لِعمرَ رضي الله عنه لَمَّا خَرَجَ مُعتَمِرًا: «لَا تَنسَنَا يَا أُخَيَّ مِن دُعَائِكَ»(١) .

---

(١) أبو داود (١٤٩٨)، ضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧٨).

وأمرنا سبحانه أن ندعوَ للمؤمنين، وأن نستغفرَ لهُم في قولِهِ تعالَىٰ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] .

وقد قالَتْ أُمُّ سُلَيمٍ رضي الله عنها: «يَا رسولَ اللهِ خادِمُكَ أنسٌ، ادْعُ اللهَ لَهُ»[1] .

وقد كانَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم يطلُبونَ الدُّعاءَ منهُ ﷺ وهُوَ حَيٌّ، وهَذا أمرٌ متفقٌ علَىٰ جوازِهِ.

والكَلامُ في طَلبِ القُبوريينَ مِنَ الأمواتِ، أو مِنَ الأحياءِ الذِينَ لَا يَملكُونَ لأنفُسِهم نَفعًا ولا ضَرًّا، ولا مَوتًا ولا حيَاةً، ولَا نُشورًا أنْ يَشفُوا مرضَاهُم، ويَردُّوا غَائِبهُم، ويُنفِّسوا عَن حُبلَاهُم، وأنْ يَسقُوا زَرعَهم، ويَدرُّوا ضُروعَ مَواشِيهِم، ويَحفظُوهَا مِنَ العَينِ، ونَحو ذَلِكَ مِنَ المَطَالِبِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَليهَا أَحَدٌ إلَّا اللهُ؛ هَؤلاءِ هُمُ الذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِم: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤] .

فَكيفَ يَطلبُ الإنسَانُ مِن الجَمَادِ أو مِن حَيِّ الجَمَادُ خَيرٌ مِنهُ لأنَّه لَا تَكليفَ عَليهِ.

وهَذَا يُبَيِّنُ مَا فَعلَهُ المشرِكُونَ في عِبَادَةِ الأصنَامِ، وهَذِهِ هِيَ بِعَينِهَا العِبَادَةُ.

وهَذِه النُّذُورُ بِالأموَالِ، وجَعْلُ قِسْطٍ لِلقَبْرِ، كَمَا يَجعَلُونَ شَيئًا مِن الزَّرعِ يُسَمُّونَهُ (تِلْمًا) فِي بَعضِ الجِهَاتِ اليَمَنِيَّةِ.

وكَذَلِكَ يَجعَلُونَ لَهُم نَصِيبًا مِن أَنعَامِهِم، وهُوَ بِعينِهِ الَّذِي كَانَ يَفعَلُهُ المُشرِكُونَ الَّذِينَ حَكَىٰ اللهُ ذَلِكَ عَنهُم فِي قَولِه تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾

---

(١) البخاري (٦٣٤٤)، مسلم (٢٤٨٠).

[الأنعام: ١٣٦] الآيةَ.

وقَالَ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦].

فَهؤلَاءِ القُبوريونَ والمُعتَقِدونَ فِي جُهَّالِ الأحياءِ وضُلَّالِهم سَلكُوا مَسالِكَ المُشركينَ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، فاعتَقَدوا فِيهِم مَا لَا يَجوزُ أنْ يُعتَقَدَ إلَّا فِي اللهِ، وجعَلوا لَهُم جُزءًا مِنَ المَالِ، وقَصدُوا قُبورَهُم مِن دِيارِهِم لِلزِّيارَة، وطَافُوا حَولَ قُبورِهِم، وقَامُوا خَاضِعينَ عِندَ قُبورِهِم، وهتَفُوا بِهِم عِندَ الشَّدائِدِ، ونَحَرُوا تَقرُّبًا إِلَيهِم - وهَذِهِ هِيَ أنواعُ العِبَاداتِ الَّتِي عَرَّفناكَ -.

ولَا أدرِي: هَل فِيهِم مَن يَسجُدُ لَهُم؟ لَا أستَبعِدُ أنَّ فِيهِم مَن يَفعلُ ذَلِكَ.

بَلْ أخبَرَنِي مَن أثِقُ بِه أنَّه رَأىٰ مَن يَسجُدُ عَلَىٰ عَتَبَةِ بَابِ مَشهَدِ الوَلِيِّ الذِي يَقصِدُهُ، تَعظِيمًا لَه وَعبَادَةً، ويُقسِمونَ بِأسمَائِهِم.

بَلْ إِذَا حَلَفَ مَن عَلَيهِ حَقٌّ بِاسمِ اللهِ تَعَالَىٰ لَم يَقبلُوا مِنهُ، فَإذَا حَلَفَ بِاسمِ وَلِيٍّ مِن أولِيَائِهِم قَبِلوهُ وصَدَّقُوه، وهَكَذَا كَانَ عُبَّادُ الأصنَامِ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

وفِي الحَديثِ الصَّحِيحِ: «مَن كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أو لِيَصْمُتْ»[١].

وسَمِعَ رَسولُ اللهِ ﷺ رَجلًا يَحْلِفُ بِاللَّاتِ، فَأمرَهُ أنْ يَقولَ: «لَا إِلَهَ إلَّا اللهُ»[٢]، وهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أنَّه ارتَدَّ بِالحَلفِ بِالصَّنَمِ؛ فَأمرَه أنْ يُجَدِّدَ إسلَامَهُ، فإنَّه قَد كَفَرَ بِذلكَ، كَمَا قَرَّرْنَاهُ فِي «سُبُلِ السَّلامِ شَرحِ بُلوغِ المَرَامِ»، وفِي «مِنحَةِ الغَفَّارِ».

---

(١) البخاري (٢٦٧٩)، مسلم (١٦٤٦).

(٢) البخاري (٦١٠٧)، مسلم (١٦٤٧).

فَإنْ قُلتَ: لَا سَواء؛ لأنَّ هَؤلَاءِ قَد قَالُوا: «لَا إِلَه إِلَّا الله»، وقَد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «أُمِرتُ أنْ أقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقولُوا: لا إِلَه إِلَّا اللهُ، فَإذَا قَالُوهَا عَصَموا مِنِّي دِماءَهُم وأموَالَهُم إِلَّا بِحقِّها»(١).

وقَالَ لأسَامَةَ بنِ زَيدٍ: «قَتلتَهُ بَعدمَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا الله؟!»(٢).

وهَؤلَاءِ يُصلُّونَ، ويَصومُونَ، ويُزكُّونَ، ويَحُجُّونَ، بِخلَافِ المُشرِكينَ.

قُلتُ: قَد قَالَ ﷺ «إِلَّا بِحقِّهَا»، وحقُّهَا: إفرَادُ الإِلَهيةِ والعُبودِيةِ للهِ تَعالَىٰ، وَالقُبوريونَ لَم يُفرِدُوا هَذِهِ العِبَادَةَ، فَلَم تَنفعْهُم كَلِمةُ الشَّهادَةِ، فإنَّها لا تَنفَعُ إِلَّا مَعَ التزَامِ معنَاهَا، كَمَا لَم يَنفَعِ اليهُودَ قَولُها؛ لإنكَارِهِم بَعضَ الأنبِياءِ.

وكَذلِكَ مَن جَعلَ غَيرَ مَن أرسَلهُ اللهُ نبيًّا، لَم تَنفعْهُ كَلِمةُ الشَّهادَةِ، ألَا تَرَىٰ أنَّ بَنِي حَنيفةَ كَانُوا يَشهدُونَ أنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ ويُصلُّونَ؛ ولَكنَّهم قَالُوا: إنَّ مُسيلِمَةَ نَبِيٌّ؛ فَقاتَلهُم الصَّحَابَةُ وسَبَوْهُم، فَكيفَ بِمَن يَجعلُ لِلوَلِيِّ خَاصَّةَ الإِلَهيةِ، ويُنادِيهِ لِلمُهِمَّاتِ.

وهَذَا أميرُ المُؤمِنينَ عَلِيُّ بنُ أبِي طَالبٍ ﷺ حَرَّقَ أصحَابَ عَبدِ اللهِ بنِ سبَأٍ، وكَانُوا يَقولُونَ: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، ومحمد رَسولُ اللهِ، ولَكِن غَلَوا فِي عَلِيٍّ ﷺ، واعتَقَدُوا فِيهِ مَا يَعتَقدُ القُبوريُّونَ وأشبَاهُهُم، بَلْ عَاقبهُم عُقوبَةً لَم يُعاقِب بِهَا أحَدًا مِنَ العُصَاةِ، فَإنَّه حَفَرَ لَهُم الحَفَائِرَ، وأجَّجَ لَهُم نَارًا وألقَاهُم فِيهَا، وقَالَ:

لَمَّــــا رأيــــتُ الأمــــرَ أمــــرًا مُنكَــــرَا
أجَّجْــــتُ نَــــارِي وَدَعَــــوْتُ قَنبَــــرَا

(١) البخاري (٢٥)، مسلم (٢١).

(٢) البخاري (٤٢٦٩)، مسلم (٩٦).

وقَالَ الشَّاعِرُ فِي عَصرِه:

لِتَرمِ بِي المَنِيَّةُ حيثُ شَاءَتْ ... إذَا لَم تَرْمِ بِي فِي الحُفرتَينِ

إذَا مَا أجْجُوا فِيهِنَّ نَارًا ... رَأيتُ المَوتَ نَقدًا غيرَ دَينِ

والقِصَّةُ فِي «فَتحِ البَارِي» وغَيرِه مِن كُتُبِ الحَديثِ والسِّيرِ.

وقَد وَقَعَ إجمَاعُ الأمَّةُ عَلَىٰ أنَّ مَن أنكرَ البَعثَ كَفرَ وقُتِلَ، ولَو قَالَ: لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، فَكيفَ بِمن يَجعلُ للهِ نِدًّا؟!!

فَإنْ قُلتَ: قَد أنكرَ ﷺ عَلَىٰ أسَامَةَ قَتلَه لِمَن قَالَ: «لَا إِلَهَ إلَّا اللهُ» كما هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ الحَدِيثِ وَالسِّيرَةِ.

قُلتُ: لَا شَكَّ أنَّ مَنْ قَالَ: «لَا إلَهَ إلَّا اللهُ» مِن الكُفَّارِ؛ حُقِنَ دَمُهُ ومَالُهُ، حَتَّىٰ يَتبيَّنَ مِنهُ مَا يُخالِفُ مَا قَالَه، وَلِذَا أنزَلَ اللهُ فِي قِصَّةِ مُحَلِّمِ بنِ جَثَّامَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤] الآية. فَأمرَهُم اللهُ تَعَالَىٰ بِالتَّثبتِ فِي شَأنِ مَن قَالَ كَلِمةَ التَّوحِيدِ، فَإنْ تَبَيَّنَ التِزَامُهُ لِمعنَاهَا كَانَ لَه مَا لِلمُسلِمينَ، وَعلَيهِ مَا عَلَيهِم، وَإنْ تَبيَّنَ خِلافُهُ؛ لَم يُحقَن دَمُهُ ومَالُهُ بِمجَرَّدِ التَّلفُّظِ.

وهَكَذا كُلُّ مَن أظهَرَ التَّوحِيدَ، وَجبَ الكَفُّ عَنهُ إلَىٰ أنْ يَتبيَّنَ مِنهُ مَا يُخَالِفُ ذَلكَ، فَإذَا تَبيَّنَ؛ لَم تَنفعْهُ هَذِهِ الكَلِمةُ بِمُجَرَّدِهَا، وَلِذَلِكَ لَم تَنفَعِ اليَهُودَ، ولَا نَفعَت الخَوارجَ مَعَ مَا انضَمَّ إلَيهَا مِن العِبَادَةِ الَّتِي يَحتَقِرُ الصحَابَةُ عِبَادتَهم إلَىٰ جَنبِهَا، بَلْ أمَرَ ﷺ بِقتلِهِم، وَقَالَ: «لَئِن أدركتُهُم لأقتلَنَّهُم قَتلَ عَادٍ»(١).

وذَلِكَ لَمَّا خَالفُوا بَعضَ الشَّرِيعَةِ، وكَانُوا شَرَّ القَتلَىٰ تَحتَ أدِيمِ السَّماءِ، كَمَا

---

(١) البخاري (٣٣٤٤)، مسلم (١٠٦٤).

نَبتتْ بِه الأحَادِيثُ.

فَثبتَ أنَّ مُجرَّد قَوْلِ كَلِمةِ التَّوحِيدِ غَيرُ مَانِعٍ مِن ثُبوتِ شِركِ مَن قَالَهَا لارتِكَابِه مَا يُنَافِيهَا مِن عِبَادَةِ غَيرِ اللهِ.

فَإِنْ قُلتَ: القُبوريُّونَ وَغَيرُهُم مِنَ الذِينَ يَعتقدونَ فِي فَسقَةِ النَّاسِ وجُهَّالِهِم مِن الأحيَاءِ يَقولُونَ: نَحنُ لَا نَعبُدُ هَؤلَاءِ، وَلَا نَعبُدُ إلَّا اللهَ وحدَهُ، ولَا نُصلِّي لَهُم، ولَا نَصُومُ، ولَا نَحجُّ.

قُلتُ: هَذَا جَهلٌ بِمعنَىٰ العِبَادَة، فإنَّهَا لَيسَت مُنحصِرَةً فِيمَا ذَكرتَ، بَلْ رأسُهَا وأسَاسُهَا الاعتِقَادُ، وقَد حَصَلَ فِي قُلوبِهِم ذَلِكَ، بَلْ يُسمُّونَه مُعتَقَدًا، ويَصنَعُونَ لَه مَا سَمعتَهُ مِمَّا تَفرَّعَ عَنِ الاعتِقَادِ مِن: دُعائِهِم، ونِدَائِهم، والتَّوسُّلِ بِهِم، والاستِغَاثَةِ، والاستِعَانَةِ، والحَلِفِ، والنَّذرِ، وغَيرِ ذَلِكَ.

وقَد ذَكرَ العُلمَاءُ: أنَّ مَن تَزيَّا بِزِيِّ الكُفَّارِ صَارَ كَافرًا، وَمَن تكلَّم بِكلِمَةِ الكُفرِ صَارَ كَافرًا، فَكيفَ بِمَن بَلغَ هَذِهِ الرُّتبَةَ اعتِقَادًا وقَولًا وفِعلًا؟

فَإنْ قُلتَ: هَذِهِ النُّذُورُ والنَّحائِرُ مَا حُكمُهَا؟

قُلتُ: قَد عَلِمَ كُلُّ عَاقِلٍ أنَّ الأموَالَ عَزِيزَةٌ عِندَ أهلِهَا، يَسعَونَ فِي جَمعِهَا، ولَو بِارتِكَابِ كُلِّ مَعصِيَةٍ، ويَقطعُونَ الفَيافِيَ مِن أدنَىٰ الأرضِ والأقَاصِي، فَلَا يَبذُلُ أحَدٌ مِن مَالِه شَيئًا إلَّا مُعتَقِدًا لِجَلبِ نَفعٍ أكثَرَ مِنهُ، أو دَفعِ ضَرَرٍ، فالنَّاذِرُ لِلقَبرِ مَا أخرَجَ مَالَه إلَّا لِذَلكَ، وهَذَا اعتِقَادٌ بَاطِلٌ، وَلو عَرفَ النَّاذِرُ بُطلَانَ مَا أرَادَه مَا أخرَجَ دِرهَمًا؛ فَإنَّ الأموَالَ عَزِيزةٌ عِندَ أهلِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ۝٣٦ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ﴾ [مُحمَّد: ٣٦، ٣٧].

فَالوَاجِبُ تَعرِيفُ مَن أخرَجَ النَّذر بِأنَّه إضَاعةٌ لِمَالِه، وأنَّه لَا يَنفَعُه مَا يُخرِجهُ وَلَا يَدفعُ عَنهُ ضَرَرًا، وقَد قَالَ ﷺ: «إنَّ النَّذرَ لا يَأتِي بِخيرٍ، وإنَّمَا يُستَخرَجُ بِه مِنَ

البَخِيلِ»[1]. ويَجبُ رَدُّهُ إلَيهِ.

وأمَّا القَابِضُ للنَّذرِ: فَإنَّه حَرامٌ عَلَيهِ قَبضُهُ؛ لأنَّهُ أكلٌ لِمَالِ النَّاذرِ بِالبَاطِلِ، لَا فِي مُقابلةِ شَيءٍ، وقَد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]

وَلأنَّه تَقرِيرٌ لِلنَّاذِرِ عَلَىٰ شِركِه وقُبحِ اعتِقَادِهِ، ورِضَاهُ بِذَلكَ، ولَا يَخفَىٰ حُكمُ الرَّاضِي بِالشِّركِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]الآية.

فهُوَ مِثلُ حُلْوَانِ الكَاهِنِ، ومَهرِ البَغِيِّ؛ ولأنَّه تَدلِيسٌ عَلَىٰ النَّاذِرِ، وَإيهَامٌ لَه أنَّ الوَلِيَّ يَنفَعُه ويَضرُّه.

فَأيُّ تَقرِيرٍ لِمنكَرٍ أعظَمُ مِن قَبضِ النَّذرِ عَلَىٰ المَيتِ؟! وأيُّ تَدلِيسٍ أعظَمُ وأيُّ رِضًا بِالمَعصِيةِ العُظمَىٰ أبلَغُ مِن هَذَا؟! وأيُّ تَصيِيرٍ لِمنكرٍ مَعروفًا أعجَبُ مِن هَذَا؟!

وَمَا كَانَت النُّذورُ للأصنَامِ والأوثَانِ إلَّا عَلَىٰ هَذَا الأسلُوبِ، يَعتَقِدُ النَّاذرُ جَلبَ النَّفعِ من الصَّنمِ ودَفعَ الضَّررِ، فَينذِرُ لَهُ جُزءًا مِن مَالِه، ويُقاسِمهُ فِي غَلَّاتِ أطيَانِه، ويَأتِي بِه إلَىٰ سَدَنَةِ الأصنَامِ، فَيقبِضُونَه مِنهُ، ويُوهِمونَهُ أحقِّيَّةَ عَقِيدتِه، وَكذَلكَ يَأتِي بِنَحِيرَتِهِ، فَيَنْحَرُهَا بِبَابِ بَيتِ الصَّنَمِ، وهَذِهِ الأفعَالُ هِيَ الَّتِي بَعثَ اللهُ الرُّسلَ لإزَالَتِهَا وإمْحَائِهَا وإتلَافِهَا والنَّهي عَنهَا.

فَإنْ قُلتَ: إنَّ النَّاذِرَ قَد يُدرِكُ النَّفعَ ودَفعَ الضَّررِ بِسببِ إخرَاجِهِ لِلنَّذرِ وبَذلِهِ.

قُلتُ: كَذلِكَ الأصنَامُ قَد يُدركُ مِنهَا مَا هُوَ أبلَغُ مِن هَذَا؛ وهُوَ الخِطَابُ مِن جَوفِهَا، والإخبَارُ بِبعضِ مَا يَكتمهُ الإنسَانُ، فإنْ كَانَ هَذَا دَلِيلًا عَلَىٰ حَقِّيَّةِ القُبورِ وصِحَّةِ الاعتِقَادِ فِيهَا؛ فَليكُن دَليلًا عَلَىٰ حَقِّيَّةِ الأصنَامِ!

وهَذَا هَدْمٌ للإسلَامِ، وتَشيِيدٌ لأركَانِ الأصنَامِ!

والتَّحقِيقُ: أنَّ لإبلِيسَ وجُنودِهِ مِن الجِنِّ والإنسِ أعظَمَ العِنَايَةِ فِي إضلَالِ

---

(١) البخاري (٦٦٠٨)، مسلم (١٦٣٩).

العِبَادِ، وقَد مَكَّن اللهُ إبلِيسَ مِنَ الدُّخولِ فِي الأبدَانِ والوَسوَسَةِ فِي الصُّدورِ والتِقَامِ القَلبِ بِخرطُومِه، فَكذَلكَ يَدخُلُ أجوَافَ الأصنَامِ، ويُلقِي الكَلامَ فِي أسمَاعِ الأقوَامِ.

ومِثلُه يَصنعُه فِي أهْلِ عقَائِدِ القُبورِيينَ، فَإنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَد أذِنَ لَهُ أنْ يَجلِبَ بَخيلِه وَرَجِلِهِ عَلَىٰ بَنِي آدَمَ، وأنْ يُشارِكَهُم فِي الأموَالِ والأولَادِ.

وثَبتَ فِي الأحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ: أنَّ الشَّيطَانَ يَسترِقُ السَّمعَ بِالأمرِ الذِي يُحدِثه اللهُ، فَيلقِيهِ إلَىٰ الكُهَّانِ -وهُم الذِينَ يُخبرونَ بالمُغَيَّبَاتِ- ويَزِيدُونَ فِيمَا يُلقِيهِ الشَّيطَانُ مِن عِندِ أنفُسِهم مائَةَ كَذِبةٍ[1].

ويَقصِدُ شَياطِينُ الجِنِّ شَياطِينَ الإنسِ مِن سَدنَةِ القُبورِ وغَيرِهِم، فَيقُولُونَ لِلقُبُورِيِّينَ: إنَّ الوَلِيَّ فَعَلَ وفَعَلَ، يُرغِّبُونَهم فِيهِ ويُحَذِّرُونَهُم مِنهُ، وتَرىٰ العَامَّةُ مُلوكَ الأقطَارِ وولَاةَ الأمصَارِ مُعزِّزِينَ لِذَلكَ، ويُولُّونَ العُمَّالَ لِقبضِ النُّذورِ، وقَد يَتولَّاهَا مَن يُحسِنونَ فِيهِ الظَّنَّ مِن عَالِمٍ أو قَاضٍ أو مُفْتٍ أو شَيخٍ صُوفِيٍّ، فَيتمُّ التَّدلِيسُ لإبلِيسَ، وتَقرُّ عَينُه بِهَذَا التَّلبِيسِ.

فَإنْ قُلتَ: هَذَا أمرٌ عَمَّ البِلادَ، واجتَمعتْ عَلَيهِ سُكَّانُ الأغوارِ والأنجَادِ، وطَبَّقَ الأرضَ شَرقًا وغَربًا، ويَمنًا وشَامًا وجَنوبًا وعَدَنًا، بِحيثُ لَا بَلدةَ مِن بِلَادِ الإسلَامِ إلَّا وفِيهَا قُبورٌ ومَشاهِدُ، وأحيَاءٌ يَعتقِدونَ فِيهَا ويُعظِّمونَها، ويَنذِرونَ لَهَا، ويَهتِفُونَ بِأسمَائِها، ويَحلِفونَ بِهَا، ويَطُوفُونَ بِفنَاءِ القُبورِ، وَيُسْرِجُونَها، ويُلقُونَ عَليهَا الأورَادَ والرَّيَاحينَ، ويُلبِسُونَها الثِّيابَ، ويَصنعُونَ كُلَّ أمْرٍ يَقدِرونَ عَلَيهِ مِن العِبَادَةِ لَها، ومَا فِي معنَاهَا مِنَ التَّعظِيمِ، والخُضوعِ، والخُشوعِ، والتَّذلُّلِ، والافتقَارِ إليهَا.

بَلْ هَذِهِ مَساجدُ المُسلِمينَ غَالبُهَا لَا يَخلو عَنْ قَبرٍ، أو قَرِيبٍ مِنهُ، أو مَشهدٍ يَقصِدُه المُصلُّونَ فِي أوقَاتِ الصَّلاةِ، يَصنعونَ فِيهِ مَا ذُكرَ، أو بَعضَ مَا ذُكرَ، ولَا يَسعُ

---

(١) البخاري (٣٢٧٠).

عَقلُ عَاقِلٍ أنَّ هَذَا مُنكرٌ يَبلُغُ إلَىٰ مَا ذَكرتَ مِن الشَّناعةِ، وَيسكُتُ عَلَيهِ عُلماءُ الإسلَامُ الذِينَ ثَبتَتْ لَهُم الوَطأةُ فِي جَمِيعِ جِهَاتِ الدُنيَا.

قُلتُ: إنْ أرَدتَ الإنصَافَ، وتَركتَ متَابعَةَ الأسْلَافِ، وعرَفتَ أنَّ الحَقَّ مَا قَام عَلَيهِ الدَّلِيلُ، لَا مَا اتَّفقَ عَلَيهِ العَوالِمُ جِيلًا بَعدَ جِيلٍ، وقَبيلًا بَعدَ قَبيلٍ، فَاعلَم أنَّ هَذِهِ الأمُورَ الَّتِي نُدَنْدِنُ حَولَ إنكَارِهَا، ونَسعَىٰ فِي هَدمِ مَنارِهَا، صَادرَةٌ عَن العَامَّة الذِينَ إسلَامُهم تَقلِيدُ الآبَاءِ بِلَا دَليلٍ، ومتَابَعتُهم لَهُم مِن غيرِ فَرْقٍ بَينَ دَنِيٍّ وَمَثِيلٍ.

يَنشَأُ الواحِدُ فِيهِم فَيجِدُ أهَلَ قَريتِه وأصحَابَ بلدَتِه يُلَقِّنُونَه فِي الطُّفوليَّةِ أن يَهتفَ باسمِ مَن يَعتقَدونَ فِيهِ، ويرَاهُم يَنذِرونَ عَلَيهِ ويُعظِّمونَه، ويرحَلونَ بِه إلَىٰ مَحلِّ قَبرِه، ويُلطِّخونَه بِترابِهِ، ويَجعلونَه طَائِفًا عَلَىٰ قَبرِه؛ فَينشأُ وقَد قرَّ فِي قَلبِه عظَمةُ مَا يُعظِّمونَه، وقَد صَارَ أعظَمَ الأشيَاءِ عِندَه مَنْ يعتقَدونَه، فنَشأ عَلَىٰ هَذَا الصغِيرُ، وشَاخَ عَلَيهِ الكبِيرُ، ولَا يَسمعونَ مِن أحدٍ عَليهِم من نكيرٍ.

بَل يَرَىٰ مَن يَتَّسِمُ بالعِلمِ ويَدَّعِي الفضلَ، ويَنتصِبُ لِلقضَاءِ والفُتيَا أو التَّدريسِ، أو الولَايةِ، أو المعرِفَةِ، أو الإمَارَةِ والحكُومَة، مُعظِّمًا لِمَا يعظِّمونَه، مُكرِمًا لِمَا يُكرِمُونَه، قَابضًا لِلنُّذورِ، آكِلًا مَا يُنحَرُ عَلَىٰ القُبورِ، فَيظُنُّ العَامَّةُ أنَّ هَذَا دِينُ الإسلَامِ، وأنَّه رأسُ الدِّينِ والسَّنَام.

ولَا يَخفَىٰ عَلَىٰ أحدٍ يتَأهَّلُ لِلنَّظرِ، ويَعرِفُ بَارقَةً مِن عِلمِ الكتَابِ والسُّنةِ والأثَرِ، أنَّ سُكوتَ العَالِمِ أو العَالَمِ عَلَىٰ وقوعِ مُنكَرٍ لَيسَ دَليلًا عَلَىٰ جوَازِ ذَلِكَ المنكَرِ.

ولنَضرِبْ لَكَ مَثَلًا مِن ذَلكَ، وَهيَ هَذِهِ المُكُوسُ المُسمَّاة بِالمَجَابِي، المَعلومُ مِن ضَرورَةِ الدِّينِ تَحريمُها، قَد مَلأتِ الدِّيارَ والبِقَاعَ وصَارَت أمرًا مَأنوسًا لَا يَلجُ إنكارُها إلَىٰ سمعٍ مِن الأسمَاعِ، وقَد امتَدتْ أيدِي المَكَّاسِين فِي أشرَفِ البِقَاعِ فِي مَكةَ أمِّ القُرىٰ، يَقبضُونَ مِن القَاصِدينَ لأدَاءِ فَريضَة الإسلَامِ، ويَلقونَ فِي البَلدِ

الحَرامِ كُلَّ فِعلٍ حَرامٍ، وسُكَّانُهَا مِن فُضَلَاءِ الأنَامِ، والعُلماءُ والحُكَّامُ سَاكِتونَ عَن الإنكَارِ، مُعرِضُونَ عَن الإيرَادِ والإصدَارِ، أفيكونُ السُّكوتُ مِن العُلَمَاءِ، بَلْ مِن العَالَمِ دَليلًا عَلَىٰ حِلِّ جَوَازِهَا وأخذِهَا وإحرَازِهَا؟

هَذَا لَا يَقولُه مَن لَه أدنَىٰ إدرَاكٍ.

بَل أضرِبُ لكَ مَثَلًا آخَرَ: هَذَا حَرَمُ اللهِ الذِي هُوَ أفضلُ بِقاعِ الدُّنيَا بِالاتفَاقِ وإجمَاعِ العُلماءِ، أحدَثَ فِيهِ بَعضُ مُلوكِ الشَّراكِسَةِ الجَهلَةِ الضُّلَّالِ هَذِهِ المقَامَاتِ الأربَعةَ، الَّتِي فرَّقتْ عِبادَاتِ العِبَادِ، واشتَملَت عَلَىٰ مَا لَا يُحصيهِ إلَّا الله ﷻ مِن الفَسادِ، وفَرَّقَت عِبادَاتِ المُسلِمينَ، وصَيَّرتهم كَالمِلَلِ المُختَلفةِ فِي الدِّين، بِدعةٌ قَرَّتْ بِهَا عَينُ إبلِيسَ اللَّعِينِ، وصَيَّرتِ المُسلِمينَ ضُحَكَةً لِلشَّياطِينِ، وقَد سَكتَ النَّاسُ عَليهَا، ووفَدَ عُلماءُ الآفَاقِ والأبدَالُ والأقطَابُ إليهَا، وشَاهَدهَا كُلُّ ذِي عَينينِ، وسَمِعَ بِهَا كُلُّ ذِي أُذنَينِ، أفهَذَا السُّكوتُ دَليلٌ عَلَىٰ جوازهَا؟!

هَذَا لَا يَقولُه مَن لَه إلمَامٌ بشَيءٍ مِن المعَارِفِ.

كذَلكَ سُكوتُهم عَلَىٰ هَذِهِ الأشيَاءِ الصَّادِرَة مِن القُبورِيينَ.

فَإنْ قُلتَ: يَلزمُ مِن هَذَا أنَّ الأمَّةَ قَد اجتَمعَت عَلَىٰ ضَلَالَةٍ، حَيثُ سَكتَت عَنْ إنكَارِهَا لأعظَمِ جَهالَةٍ.

قُلتُ: حَقيقَةُ الإجمَاعِ: اتفَاقُ مُجتهِدي أمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ أمرٍ بَعدَ عَصرِهِ.

وفُقهَاءُ المذَاهبِ الأربَعةِ يُحِيلُونَ الاجتهَادَ مِن بَعدِ الأئِمَّةِ الأربَعةِ، وإنْ كَانَ هَذَا قولًا باطِلًا، وكلَامًا لا يَقولُه إلَّا مَن كَانَ لِلحقَائِقِ جَاهِلًا، فَعَلَىٰ زَعمِهِم، لَا إجمَاعَ أبدًا مِن بَعدِ الأئِمةِ الأربَعةِ، فَلَا يَرِدُ السُّؤَالُ.

فإنَّ هَذَا الابتَداعَ والفِتنةَ بِالقُبورِ لَم يَكُن عَلَىٰ عَهْدِ أئِمةِ المذَاهِبِ الأربَعةِ.

وعَلَىٰ مَا نُحَقِّقُهُ: فالإجمَاعُ وقُوعُه مُحالٌ، فإنَّ الأُمَّةَ المُحمَّدِيَّةَ قَد مَلأت الآفَاقَ، وصَارَت فِي كُلِّ أرضٍ وتَحتَ كُلِّ نَجمٍ، فعُلَمَاؤُهَا المُحقِّقونَ لَا ينحَصِرونَ،

ولَا يَتِمُّ لأحدٍ مَعرِفَةُ أحوالِهِم، فَمن ادَّعَىٰ الإجمَاعَ بَعدَ انتِشارِ الدِّينِ، وكَثرَةِ عُلمَاءِ المُسلِمِينَ، فَإنَّهَا دَعوَىٰ كَاذِبةٌ، كَمَا قَالَهُ أئِمَةُ التَّحقِيقِ.

ثُمَّ لَو فُرِضَ أنَّهُم عَلِمُوا بِالمنكَرِ ومَا أنكَروهُ، بَلْ سَكتَوا عَن إنكَارِه؛ لَمَا دَلَّ سُكوتُهُم عَلَىٰ جَوَازِه.

*فإنَّه قَد عُلِمَ مِن قَواعِدِ الشَّرِيعَة أنَّ وظَائِفَ الإنكَارِ ثَلاثَةٌ:

أولُهَا: الإنكَارُ بِاليدِ، وذَلِكَ بتَغييرِ المُنكَرِ وإزَالتِهِ.

ثانِيهَا: الإنكَارُ بِاللسَانِ مَعَ عَدمِ استطَاعَةِ التَّغييرِ بالْيَدِ.

وثالثِهُا: الإنكَارُ بِالقَلْبِ عندَ عَدَمِ استِطَاعَةِ التَّغيِيرِ بِاليدِ واللسَانِ.

فَإنِ انتَفَىٰ أحدُهَا لَم يَنتفِ الآخَرُ.

ومِثَالُه: مُرورُ فَردٍ مِن أفرَادِ عُلمَاءِ الدِّينِ بِأحدِ المَكَّاسِينَ، وهُوَ يَأخذُ أموَالَ المَظلومِينَ، فهَذَا الفَردُ مِن عُلماءِ الدِّينِ لَا يَستَطِيعُ التَّغييرَ عَلَىٰ هَذَا الذِي يَأخذُ أمَوالَ المَساكِينِ بِاليدِ ولَا بِاللسَانِ؛ لأنَه إنَّمَا يَكونُ سُخرِيَةً لأهلِ العِصيانِ، فَانتَفَىٰ شَرطُ الإنكَارِ بِالوظِيفتينِ، ولَم يَبقَ إلَّا الإنكَارُ بِالقلبِ الذِي هُوَ أضعفُ الإيمَانِ.

فَيجبُ عَلَىٰ مَن رَأىٰ ذَلِكَ العَالِمَ سَاكِتًا عَن الإنكَارِ مَعَ مُشاهَدَةِ مَا يَأخذُه ذَلِكَ الجَبَّارِ، أنْ يَعْتَقِدَ أنَه تَعذَّرَ عَلَيهِ الإنكَارُ بِاليدِ واللسَانِ، وأنَّه قَد أنكَرَ بِقلبِه.

فَإنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِالمُسلِمينَ أهلِ الدِّينِ وَاجبٌ، والتَّأوِيلُ لَهُم مَا أمكَنَ ضَرْبَةُ لازِبٍ.

فالدَّاخِلونَ إلَىٰ الحَرمِ الشَّرِيفِ والمشَاهِدونَ لِتلكَ الأبنِيةِ الشَّيطَانِيةِالَّتِي فَرَّقَت شَملَ الدِّينِ، وشَتَّتْ صَلواتِ المُسلِمينَ، مَعذُورُونَ عَن الإنكَارِ، إلَّا بِالقَلْبِ، كَالمَارِّينَ عَلَىٰ المَكَّاسِينَ وعَلَىٰ القُبورِيينَ.

ومِن هُنا يُعلَم اختِلَالَ مَا استَمَرَّ عِندَ أئِمةِ الاستِدلَالِ مِن قَولِهِم فِي بَعضِ مَا يَستَدِلُّونَ عَلَيهِ بِالإجْمَاعِ: أنَه وَقَع ولَم يُنكَرْ؛ فَكانَ إجمَاعًا.

ووَجهُ اختِلَالِه: أنَّ قَولَهُم: «ولَم يُنكَر» رَجمٌ بِالغَيبِ؛ فَإِنَّه قَد يَكُونُ أنكَرَتْهُ قُلوبٌ كثِيرَةٌ تَعذَّرَ عَليهَا الإنكَارُ بِاليَدِ واللسَانِ، وأنتَ تُشاهِدُ فِي زَمَانِكَ، أنَّه كَم مِن أمرٍ يَقعُ لَا تُنكرهُ بِلسَانِكَ ولَا بِيدِكَ، وأنتَ مُنكِرٌ لَه بِقلبِكَ، ويَقولُ الجَاهِلُ إذْ رَآكَ تُشاهِدهُ: سَكتَ فُلانٌ عَن الإنكَارِ، يَقُولُهُ إمَّا لائِمًا لَهُ أو مُتَأسِّيًا بِسكُوتِه، فَالسُّكوتُ لَا يَستدِلُّ بِه عَارفٌ.

وكَذَا يُعلَم اختِلَالُ قَولِهم فِي الاستِدلَالِ: «فَعلَ فُلانٌ كَذَا، وسَكتَ البَاقُونَ فَكانَ إجمَاعًا»؛ مُختَلٌّ مِن جِهتَينِ:

الأُولَىٰ: دَعوَىٰ أنَّ سُكوتَ البَاقِينَ تَقرِيرٌ لِفعلِ فُلانٍ، لِمَا عَرفتَ مِن عدَمِ دَلَالَةِ السُّكوتِ عَلَىٰ التَّقرِيرِ.

الثَّانِية: قَولُهم: «فكَانَ إجمَاعًا»؛ فإنَّ الإجمَاعَ اتفَاقُ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ، والسَّاكِتُ لَا يُنسَبُ إلَيهِ وِفَاقٌ ولَا خِلافٌ، حَتَّىٰ يُعرِبَ عَنهُ لِسانُهُ.

قَالَ بَعضُ المُلوكِ وقَد أثنَىٰ الحَاضِرونَ عَلَىٰ شَخصٍ مِن عُمَّالِه وفِيهِم رَجلٌ سَاكتٌ: مَا لَكَ لَا تَقولُ كَمَا يَقولُون؟

فقَالَ: إنْ تكلَّمتُ خَالَفتُهم.

فمَا كُلُّ سُكوتٍ رِضًا.

فَإنَّ هَذِهِ مُنكَرَاتٌ أسَّسَهَا مَن بِيدِه السَّيفُ والسِّنَانُ، ودِماءُ العِبادِ وأموَالُهُم تَحتَ لِسانِه وقَلمِه، وأعرَاضُهُم تَحتَ قَولِه وكَلِمِهِ.

فكَيفَ يَقوَىٰ فَردٌ مِن الأفرَادِ عَلَىٰ دَفعِه عمَّا أرَادَ؟

فإنَّ هَذِهِ القِبابَ والمشَاهِدَ الَّتِي صَارَت أعظَمَ ذَرِيعَةٍ إلَىٰ الشِّركِ والإلحَادِ، وأكبرَ وسِيلَةٍ إلَىٰ هَدْمِ الإسلَامِ، وخَراب بُنيَانِه، غَالبُ -بَل كُلُّ مَن يَعمرُهَا هُمُ المُلوكُ والسَّلاطِينُ والرُّؤسَاءُ والولَاةُ، إمَّا عَلَىٰ قَرِيبٍ لَهم أو عَلَىٰ مَن يُحسِنونَ الظَّنَ فِيهِ، مِن فَاضِلٍ أو عَالِمٍ أو صُوفِيٍّ أو فَقِيرٍ أو شَيخٍ أو كَبِيرٍ، ويَزُورُه النَّاسُ الذِينَ

يَعرِفُونَه زِيارَة الأموَاتِ، مِن دُونِ تَوسُّلٍ بِه، ولَا هَتْفٍ بِاسمِه، بَلْ يَدعُونَ لَه ويَستَغفِرونَ، حَتَّىٰ يَنقرِضَ مَن يَعرفهُ أو أكثرُهُم، فَيأتِي مَن بَعْدَهُم فَيجدُ قَبرًا قَد شُيِّد عَلَيهِ البِناءُ، وَسُرِّجَتْ عَلَيهِ الشُّموعُ، وفُرِشَ بِالفِرَاشِ الفَاخِرِ، وأُرْخِيَت عَلَيهِ السُّتورُ، وأُلقِيَتْ عَلَيهِ الأورَادُ والزُّهُور، فَيعتَقِدُ أنَّ ذَلِكَ لِنفعٍ أو لِدَفعِ ضُرٍّ.

ويَأتِيهِ السَّدَنَةُ يكذِبونَ عَلَىٰ المَيتِ بِأنَّه فعَلَ وفَعلَ، وأنزَلَ بِفلَانٍ الضَّررَ، وبِفلانٍ النَّفعَ، حَتَّىٰ يَغرسُوا فِي جِبلَّتِهِ كُلَّ بَاطلٍ.

ولِهَذَا الأمرِ ثَبتَ فِي الأحادِيثِ النَّبويةِ اللَّعنُ عَلَىٰ مَن أَسْرَجَ عَلَىٰ القُبورِ، وكَتَبَ عَليهَا، وبَنَىٰ عَلَيهَا، وأحَاديثُ ذَلِكَ واسِعَةٌ معرُوفةٌ.

فَإنَّ ذَلِكَ فِي نفسِهِ منهِيٌّ عَنهُ، ثُمَّ هُوَ ذريعةٌ إِلَىٰ مفسَدَةٍ عظِيمَةٍ.

فَإنْ قُلتَ: هَذَا قَبرُ رَسولِ اللهِ ﷺ قَد عُمِّرتْ عَلَيهِ قُبَّةٌ عظِيمَةٌ، أُنفقَت فِيهَا الأموَالُ.

قُلتُ: هَذَا جَهلٌ عظِيمٌ بِحقِيقَةِ الحَالِ، فإنَّ هَذِهِ القُبَّةَ لَيسَ بِناؤُهَا مِنهُ ﷺ ولَا مِن صَحَابَتِهِ، ولَا مِن تَابِعيهِم، ولَا تَابِعِي التَّابعينَ، ولَا مِن عُلمَاءِ أمَّتِهِ وأئِمَّةِ مِلَّتِهِ.

بَلْ هَذِهِ القُبَّةُ المَعمُولَةُ عَلَىٰ قَبرِهِ ﷺ مِن أَبنِيةِ بَعضِ مُلوكِ مِصرَ المتَأخِّرينَ، وهُوَ: قَلاوونُ الصَّالحِيُّ، المَعروفُ بِالمَلكِ المنصُورِ، فِي سَنةِ ثَمَانٍ وسَبعِينَ وسِتمائَةٍ، ذكَرَهُ فِي «تَحقِيق النُّصرَةِ بِتلخِيصِ مَعالِم دَارِ الهِجرَة»، فَهَذِهِ أمُورٌ دَولِيَّةٌ لَا دَلِيلِيَّةٌ، يَتبَعُ فِيهَا الآخِرُ الأوَّلَ.

وهَذَا آخِرُ مَا أَرَدْنَاهُ مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ لَمَّا عَمَّتِ البَلوَىٰ، واتُّبِعَتِ الأهْوَاء، وأعرَضَ العُلماءُ عَنِ النَّكيرِ الذِي يَجبُ عَليهِم، ومَالُوا إِلَىٰ مَا مَالَتِ العَامَّةُ إليهِ، وصَارَ المنكَرُ مَعرُوفًا والمَعرُوفُ مُنكَرًا، ولَم نَجِدْ مِنَ الأعيَانِ نَاهيًا عَن ذَلكَ، ولَا زَاجِرًا.

فَإنْ قُلتَ: قَد يَتَّفِقُ للأحيَاءِ ولِلأموَاتِ اتصَالُ جَماعَةٍ بِهِم، يَفْعَلونَ خَوارِقَ مِن الأفعَالِ، يَتسمَّونَ بِالمَجاذيبِ، فمَا حُكمُ مَا يَأتونَ بِهِ مِن تِلكَ الأمُورِ؟ فإنَّها مِمَّا

جَلَبَت القُلوبَ إِلَىٰ الاعتِقَادِ بِها؟

قُلتُ: أمَّا المُتسَمَّونَ بِالمَجَاذيبِ الذِينَ يَلوكُونَ لَفظَ الجَلالَةِ بأفوَاهِهِم، ويَقولُونَها بِألسِنَتِهِم، ويُخرِجُونَها عَن لَفظِهَا العَرَبِيِّ، فَهُم مِن أجنَادِ إبلِيسَ اللعِينِ، ومِن أعظَمِ حُمُرِ الكَونِ الذِينَ ألبَستهُم الشَّياطِينُ حُلَلَ التَّلبيسِ والتَّزيِينِ.

فَإِنَّ إطلَاقَ الجَلَالَةِ مُنفَرِدًا عَن إخبَارٍ عَنهَا بِقولِهِم: «الله، الله» لَيسَ بِكلَامٍ ولَا تَوحِيدٍ، وإنَّما هُوَ تَلاعبٌ بِهَذَا اللفظِ الشَّرِيفِ بِإخرَاجِه عَن لَفظِه العَربِي، ثُمَّ إخلَاؤُهُ عَن معنَىٰ مِن المعَانِي.

ولَو أنَّ رَجُلًا عَظِيمًا صَالِحًا يُسمَّىٰ بِزيدٍ، وصَارَ جَماعَةٌ يَقولُونَ: زَيد، زَيد، لَعَدَّ ذَلِكَ استهزَاءً وإهَانَةً وسُخرِيةً، ولا سِيمَا إذَا زَادُوا إلَىٰ ذَلِكَ تَحريفَ اللفظِ.

ثُمَّ انظُر: هَل أتَىٰ فِي لَفظَةٍ مِن الكِتابِ والسُّنةِ ذِكْرُ الجَلَالَةِ بِانفرَادِهَا وتكرِيرِهَا؟ أو الذِي فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ هُوَ طَلَبُ الذِّكرِ والتَّوحِيدِ والتَّسبِيحِ والتَّهلِيلِ.

وهَذِهِ أذكَارُ رَسولِ اللهِ ﷺ وَأدْعِيَتُهُ وأدعِيةُ آلِهِ وأصحَابِه خَالِيةٌ عَن هَذَا الشَّهيقِ والنَّهيقِ والنَّعيقِ، الذِي اعتَادَهُ مَن هُوَ عَن اللهِ، وعَن هَدي رَسولِ اللهِ ﷺ وَسَمْتِهِ ودَلِّهِ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ.

ثُمَّ قَد يُضِيفُونَ إِلَىٰ الجَلالَةِ الشَّرِيفَةِ أسمَاءَ جَمَاعَةٍ مِن المَوتَىٰ مِثل: ابنِ عَلوان، وأحمَدَ بنِ الحُسينِ، وعَبدِ القَادِرِ، والعيدَرُوس، بَلْ قَد انتَهىٰ الحَالُ إِلَىٰ أنَّهم يَفِرُّونَ إِلَىٰ أهلِ القُبورِ مِن الظُّلمِ والجَرَاءَةِ، كعَلِي رَدمَان، وعَلي الأحمر، وأشبَاهِهِما، ولَقَد صَانَ اللهُ ﷻ رَسولَه ﷺ وأهلَ الكِساءِ وأعيَانَ الصَّحابَة عَن إدخالِهِم فِي أفوَاهِ هَؤلَاءِ الجَهَلَةِ الضُّلَّالِ، فَيجمَعونَ أنوَاعًا مِن الجَهلِ والشِّركِ والكُفرِ.

فَإِنْ قُلتَ: إنَّه قَد يَتَّفِقُ مَعَ هَؤلَاءِ الذِينَ يَلُوكُونَ الجَلالَةَ، ويُضيفُونَ إِلَيهَا عمَلَ

أهلِ الخَلَاعَةِ والبَطَالَة، خَوَارِقُ عَادَاتٍ وأُمُورٌ تُظَنُّ كرَامَاتٍ، كطَعنِ أنفسِهِم، وحملِهِم لِمثلِ الحَنشِ والحَيةِ والعقرَبِ، وأكلِهِم النَّار، ومسِّهِم إيَّاهَا بِالأيدِي، وتَقلُّبِهِم فِيهَا بِالأجسَامِ.

قُلتُ: هَذِهِ أحوَالٌ شيطَانِيةٌ، وإنَّكَ لَمَلبُوسٌ عليكَ إنْ ظَنَنتَهَا كَرَامَاتٍ لِلأموَاتِ، أو حسَناتٍ لِلأحيَاءِ، لَمَّا هَتفَ هَذَا الضَّالُّ بِأسمَائِهِم وَجعلَهُم أندَادًا وشُرَكاءَ للهِ تَعَالَىٰ فِي الخَلقِ والأمرِ.

فَهَؤلاءِ المَوتَىٰ أنتَ تَفرضُ أنَّهم أولِيَاء للهِ تَعَالَىٰ، فَهَل يَرضَىٰ وليٌّ اللهِ تَعَالَىٰ أنْ يَجعلَه المَجذُوبُ نِدًّا للهِ وشريكًا له؟

إنْ زَعمتَ ذَلِكَ فقَد جِئتَ شَيئًا إدًّا، وصَيرتَ هَؤلَاءِ الأموَاتَ مُشرِكِينَ، وأخرَجتَهم - وحَاشَاهُم ذَلكَ - عَن دَائِرَةِ الإسلَامِ والدِّين، حَيثُ جَعلتَهُم أندَادًا للهِ رَاضِينَ فَرِحِينَ، وزَعمتَ أنَّ هَذِهِ كرَاماتٌ لِهؤلاءِ المَجاذِيبِ، الضُّلَّالِ المُشرِكِينَ، التَّابِعينَ لِكلِّ بَاطلٍ، المُنغَمِسِينَ فِي بِحارِ الرَّذَائِلِ، الذِين لَا يَسجُدونَ للهِ سَجدةً، ولَا يَذكُرونَ اللهَ وحدَهُ.

فإنْ زَعمتَ هَذَا فَقَد أثبتَّ الكرَاماتِ للمُشرِكينَ الكَافِرينَ ولِلمجَانِين، وهَدَمتَ بِذلكَ ضَوابطَ الإسلَامِ، وقوَاعدَ الدِّينِ المُبينِ، والشَّرعِ المَتِينِ.

وإذَا عَرفتَ بُطلَانَ هَذينِ الأمرينِ؛ عَلمتَ أنَّ هَذِهِ أحوَالٌ وأفعَالٌ طَاغُوتِيةٌ، وأعمَالٌ إبلِيسِيةٌ، يفعَلُهَا الشَّياطِينُ لإخوَانِهم مِن هَؤلَاءِ الضَّالِّينَ، مُعاوَنَةً مِن الفَرِيقَينِ عَلَىٰ إغوَاءِ العِبَادِ.

وقَد ثَبتَ فِي الأحَادِيثِ: أنَّ الشَّياطِينَ والجَانَّ يتشَكَّلونَ بِأشكَالِ الحَيةِ والثُّعبانِ، وهَذَا أمرٌ مقطُوعٌ بِوقُوعِه، فَهُم الثَّعابينُ الَّتِي يُشاهِدهَا الإنسَانُ فِي أيدِي المَجاذِيبِ، وقَد يَكونُ ذَلِكَ مِن بَابِ السِّحرِ، وهُوَ أنواعٌ، وتَعلُّمه لَيسَ بِالعسِيرِ.

بَلْ بَابُه الأعظَمُ هُوَ الكُفرُ بِاللهِ، وإهَانةُ مَا عظَّمهُ اللهُ؛ مِن جَعْلِ مُصحفٍ فِي

كَنيفٍ ونَحوِه.

فَلَا يَغْتَرَّ مَن يُشاهِدُ مَا يَعظُمُ فِي عَينَيهِ مِن أحوَالِ المَجاذِيبِ مِن الأمُورِ الَّتِي يَراهَا عِندَهُ خَوارِقَ، فإنَّ للسِّحرِ تَأثيرًا عظِيمًا فِي الأفعَالِ.

وهَكَذا الذِينَ يَقْلِبُونَ الأعيَانَ بِالأسحَارِ وغيرِهَا.

وقَد مَلأ سَحرةُ فِرعونَ الوَادِيَ بِالثَّعابينِ والحَياتِ، حَتَّىٰ أوجسَ فِي نفسِه خِيفَةً مُوسَىٰ ﷺ، وقَد وصَفَهُ اللهُ بِأنَّه سِحرٌ عَظِيمٌ، والسِّحرُ يَفعلُ أعظَمَ مِن هَذَا.

فَإنَّه قَد ذَكرَ ابنُ بَطوطَة وغَيرُه أنَّه شَاهَد فِي بِلادِ الهِندِ قَومًا تُوقَدُ لَهُم النَّارُ العظِيمَةُ، فَيلبَسُونَ الثِّيابَ الرَّقِيقَةَ، ويخُوضُونَ فِي تِلكَ النَّار، ويخرُجُونَ وثِيابُهم كأنَّها لَم يَمسَسهَا شَيءٌ، بَلْ ذكرَ أنَّه رَأىٰ إنسَانًا عِندَ بَعضِ مُلوكِ الهِندِ أتىٰ بِولَدَينِ مَعهُ ثُمَّ قَطعَهما عُضوًا عُضوًا، ثُمَّ رَمَىٰ بِكلِّ عُضوٍ إلَىٰ جِهةٍ فِرَقًا، حَتَّىٰ لَم يَرَ أحدٌ شَيئًا مِن تِلكَ الأعضَاءِ، ثُمَّ صَاحَ وبَكَىٰ، فَلَم يَشعُرِ الحَاضِرُونَ إلَّا وَقَد نَزلَ كُلُّ عُضوٍ عَلَىٰ انفرَادِه، وانضَمَّ إلَىٰ الآخَرِ، حَتَّىٰ قَامَ كُلُّ واحَدٍ مِنهُمَا عَلَىٰ عَادَتِه حَيًّا سَوِيًّا.

ذَكرَ هَذَا فِي رِحلَتِه، وَهِيَ رِحلَة بَسيطَةٌ، وقَد اختُصِرَتْ، طَالَعتُهَا بِمكَّةَ عَامَ سِتٍّ وثَلاثِينَ ومِائَةٍ وألفٍ، وأملاهَا عَلينَا العَلَّامَةُ مُفتِي الحَنفِيةِ فِي المَدِينَة السَّيد مُحمَّد بنُ أسعد ﷺ.

وفِي «الأغانِي» لأبِي الفَرجِ الأصفَهَانِي بِسنَدِه: أنَّ سَاحِرًا كَانَ عِندَ الوَليدِ بنِ عُقبةَ، فَجعَلَ يَدخُلُ فِي جَوفِ بَقرةٍ ويَخرُجُ، فَرآهُ جُندَبٌ ﷺ، فذَهَبَ إلَىٰ بَيتِهِ فَاشتَمَل عَلَىٰ سَيفِه، فَلمَّا دَخَل السَّاحِرُ فِي البَقَرةِ قَالَ جُندَبٌ: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] ثُمَّ ضَربَ وسَطَ البَقَرةِ فقَطَعهَا وقَطَعَ السَّاحِرَ معَهَا، فانذَعَرَ النَّاسُ، فَحَبَسَهُ الوَلِيدُ وكَتَبَ بِذلكَ إلَىٰ عُثمَانَ ﷺ، وكَانَ عَلَىٰ السِّجنِ رَجلٌ نَصرَانِيٌّ، فلَمَّا رَأىٰ جُندَبًا يَقُومُ الليلَ ويُصبحُ صَائِمًا، قَالَ النَّصرَانِيُّ: واللهِ إنَّ قَومًا هَذَا شَرُّهُم لَقومُ صِدقٍ.

فوَكَّل بِالسِّجْنِ رَجُلًا ودَخَلَ الكُوفَة، فسَأَلَ عَن أفضل أهْلِهَا فقَالُوا: الأشعثُ بنُ قَيسٍ، فَاستَضَافَه فَرَأىٰ أبَا مُحمَّدٍ - يعني: الأشعثَ - يَنَامُ الليلَ، ويُصبحُ فَيدعُو بغَدَائِه، فَخرَجَ مِن عِندِه، وسَألَ أيُّ أهلِ الكُوفَةِ أفضَلُ؟ فقَالُوا: جَرِيرُ بنُ عبدِ اللهِ، فَوجَدَهُ يَنَامُ الليلَ، ثُمَّ يُصبحُ فَيدعُو بِغدَائِه، فَاستَقبَلَ القِبلَةَ فقَالَ: رَبِّي رَبُّ جُنْدُبٍ، ودِينِي دِينُ جُنْدُبٍ، وأسْلَمَ.

وأخرَجهَا البَيهقيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبرَىٰ» بِمغَايرَةٍ فِي القِصَّة.

فذَكرَ بِسنَدِه إلَىٰ أبِي الأسوَدِ: أنَّ الوَليدَ بنَ عُقبةَ كَانَ بِالعرَاقِ يَلعبُ بَينَ يَديهِ سَاحِرٌ، فكَانَ يَضرِبُ رَأسَ الرَّجلِ ثُمَّ يَصيحُ بِه، فَيقُومُ صَارِخًا، فَيردُّ إليهِ رأسَه. فقَالَ النَّاسُ: سُبحَانَ اللهِ! يُحيي المَوتَىٰ، ورَآه رجَلٌ مِن صَالِحِي المُهَاجرينَ، فَلمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ اشتَملَ عَلَىٰ سَيفِهِ، فَذَهبَ يَلْعَبُ لَعِبَهُ ذَلكَ، فاختَرطَ الرَّجُلُ سَيفَهُ فَضرَبَ عُنقَهُ. وقَالَ: إنْ كَانَ صَادِقًا فَلْيُحْيِ نَفسَهُ، فَأمرَ بِه الوَلِيدُ دِينارًا صَاحِبَ السِّجنِ فَسَجَنَهُ. انتهىٰ.

بَلْ أعْجَبُ مِن هَذَا: مَا أخرَجَه الحَافظُ أبُو بَكْرٍ البَيهقِي بِإسنَادِهِ فِي قِصةٍ طَويلَةٍ، وفِيهَا: أنَّ امرَأةً تَعلَّمتِ السِّحرَ مِن المَلَكينِ بِبابِلَ هَاروتَ ومَارُوتَ، وأنَّهَا أخذَتْ قَمْحًا فقَالَتْ لَهُ -بَعدَ أنْ ألْقتهُ فِي الأرضِ-: اطلَعْ، فطَلَعَ، فقَالَت: أحْقِلْ، فَأحْقَلَ، ثُمَّ تَركَتْهُ. ثُمَّ قَالَت: ايْبَس فَيَبِسَ، ثُمَّ قَالَت لَه: اطحَن فَأطْحَنَ، ثُمَّ قَالَت لَهُ: اختَبِزْ فاختَبَزَ، وكَانَت لَا تُرِيدُ شَيئًا إلَّا كَانَ.

والأحوَالُ الشَّيطَانِيةُ لَا تَنحصِرُ، وكَفَىٰ بِمَا يَأتِي بِه الدَّجَّالُ، والمِعيارُ اتِّبَاعُ الكِتَابِ والسُّنة ومُخالَفَتُهمَا.

انتَهَىٰ مَا أردنَاهُ ولله الحمد أولًا وآخِرًا.

وصلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيدِنَا مُحمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وصَحبِهِ وسَلَّم.

* * *

٤٢- تطهيرُ الجنانِ والأركانِ

للشيخ
أحمد بن حجر بوطامي آل ابن علي

٤٢- تطهيرُ الجنانِ والأركانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ القَائِلِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣]، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أفضَلِ دَاعٍ إِلَىٰ التَّوحِيدِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحسَانٍ إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعدُ:

فَلَا يَخفَىٰ أَنَّ عِلمَ التَّوحِيدِ هُو أَفضَلُ العُلُومِ عَلَىٰ الإِطلَاقِ؛ إِذ هُو الَّذِي مِن أَجلِهِ بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ وَأَنزَلَ الكُتُبَ، وَأَنَّهُ خُلَاصَةُ دَعوَةِ الأَنبِيَاءِ وَزُبدَةُ رِسَالَةِ المُرسَلِينَ.

هَذَا وَقَد كُنتُ كَتَبتُ- فِيمَا سَلَفَ- رِسَالَةً وَجِيزَةً وَسَمَّيتُهَا: «تَطهِيرُ الجَنَانِ عَن دَرَنِ الشِّركِ وَالكُفرَانِ»، وَهِي عَلَىٰ صِغَرِ حَجمِهَا قَد حَوَت أَنوَاعَ التَّوحِيدِ الثَّلَاثَةِ، وَبَرهَنَت بِالأَدِلَّةِ النَّقلِيةِ وَالعَقلِيَّةِ عَلَىٰ تَأيِيدِ مُحتَوَيَاتِهَا، كَمَا احتَوَت عَلَىٰ دَحضِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي يُورِدُهَا المُبتَدِعُونَ.

وَقَد طُبِعَت- وَللهِ الحَمدُ- مَرَّاتٍ عَدِيدَةً فِي قَطَر وَالكويت وَفِي مِصرَ، وَحَصَلَ عَلَيهَا - ولله الحَمدُ- إِقبَالٌ مِن القُرَّاءِ، وَلَمَّا نَفِدَتِ الطَّبَعَاتُ السَّابِقَةُ رَغِبَ فَضِيلَةُ الشَّيخ عَبْدُ اللهِ الأنصَارِيُّ فِي إِعَادَةِ طَبعِهَا، وَهُو مِن أَكبَرِ الدُّعَاةِ إِلَىٰ دِين الله وَإِرشَادِ النَّاسِ إِلَىٰ الطَّرِيقِ المُستَقِيمِ، وَقَد كَثَّفَ جُهُودَهُ- جَزَاهُ اللهُ خَيرًا عَلَىٰ نَشرِ العِلْمِ بِمُختَلَفِ طُرُقِهِ؛ مِن إِرشَادٍ وَوَعظٍ وَتَألِيفٍ وَنَشرِ الكُتُبِ العِلمِيَّةِ مِن مُختَلَفِ العُلُومِ وَتَوزِيعِهَا عَلَىٰ المُستَحِقِّينَ وَإِرسَالِهَا إِلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الأَمصَارِ لِأَهلِ العِلمِ

وَالكُلِّيَّاتِ وَالجَامِعَاتِ وَالمَدَارِسِ، فَلَهُ فِي هَذَا المَجَالِ البَاعُ الطَوِيلُ، وَيَرجِعُ الفَضلُ أَوَّلًا لله ﷻ، ثُمَّ إِلَىٰ سُمو أَمِيرِ البِلَادِ - حَفِظَهُ اللَّه -.

الشَّيخ خَلِيفَةَ بن حَمَدٍ آل ثَانِي، فَإِنَّهُ يَبذُلُ فِي هَذَا السَّبِيلِ الأموَالَ الطَّائِلَةَ.

فَوَافقتُ عَلَىٰ هَذَا المَرَام لِنَفعِ الخَاصِّ وَالعَامِّ، رَاجِيًا المَثُوبَةَ مِن رَبِّ العَالَمِينَ فِي يَومٍ لَا يَنفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَن أَتَىٰ اللَّهَ بِقَلبٍ سَلِيمٍ، وَمَا زِدتُ فِيهَا من الطَّبَعَاتِ السَّابِقَةِ إِلَّا فِي مَوضِعَينِ:

الأَوَّلُ: نَوَاقِضُ الإِسلَامِ بَعدَ أَن ذَكَرتُ شُروط لَا إِلَهَ إِلَّا الله.

الثَّانِي: تَعلِيقٌ عَلَىٰ حَيَاةِ الأَنبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ وَتَفنِيدُ شُبه المُحتَجِّينَ عَلَىٰ سَمَاعِ الأَموَاتِ وَتَصَرفَاتِهِم بَعدَ المَمَاتِ.

وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ.

١٢/ ١١/ ١٤٠٢هـ

المؤلف

أحمد بن حجر بوطامي آل ابن علي

قاضي المحكمة الشرعية الأولي بدولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

خُطبَةُ الكِتَابِ

الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنا بِالعِبَادَةِ، وَبِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَوَعَدَنَا بِالحُسنَىٰ مَعَ الزِّيَادَةِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، البَالِغِ مُنتَهَىٰ الشَّرَفِ وَالسِّيَادَةِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ الَّذِينَ مَنَحَهُمُ اللهُ العِزَّةَ وَالسَّعَادَةَ.

أَمَّا بَعدُ:

فَلَا زَالَ الإِسلَامُ مُنذُ أَن طَلَعَ فَجرُهُ مُحَارَبًا، حُورِبَ مِن قُرَيشٍ وَسَائِرِ مُشرِكِي العَرَبِ، وَمِنَ اليَهُودِ وَالفُرسِ وَالرُّومِ وَالتَّترِ وَالصَّلِيبِيِّينَ، وَكَتَبَ اللهُ النَّصرَ المُؤَزَّرَ لِلإِسلَامِ وَالمُسلِمِينَ، وَأَذَلَّ اللهُ المُشرِكِينَ وَالكَافِرِينَ، وَلَكِنَّ الأَعدَاءَ - وَإِن خَذَلَهُمُ اللهُ - مَا فَتِئُوا يَحِيكُونَ المُؤَامَرَاتِ وَالدَّسَائِسَ، وَيَبُثُّونَ دِعَايَاتِهِمُ الضَّالَّةَ ضِدَّ الإِسلَامِ وَالمُسلِمِينَ، فَتَعَدَّدَت مَقَالَاتُهُم، وَتَنَوَّعَت مَذَاهِبُهُم، وَانتَسَبَ كَثِيرٌ مِنهُم إِلَىٰ الإِسلَامِ؛ لِأَجلِ أَن تَرُوجَ عَقَائِدُهُم وَيَتِمَّ لَهُمُ القَضَاءُ عَلَىٰ الإِسلَامِ - لَا سَمَحَ اللهُ -.

وَمِن أَشَدِّهَا فَتكًا، وَأَخبَثِهَا مَكرًا، وَأَكثَرِهَا رَوَاجًا: دِعَايَةُ المُخَرِّفِينَ وَالقُبُورِيِّينَ وَالصُّوفِيَةِ المُبطِلِينَ، الَّذِينَ لَم يَدَّخِرُوا وُسعًا فِي نَشرِ البِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ بِاسمِ الدِّينِ، وَالدِّينُ مِنهَا بَرِيءٌ.

كَمَا دَعَوا إِلَىٰ عِبَادَةِ القُبُورِ وَحَسَّنُوهَا لِلجَمَاهِيرِ بِشَتَّىٰ الأَسَالِيبِ، مِن بِنَاءِ القِبَابِ وَالأَضرِحَةِ عَلَيهَا وَتَزوِيقِهَا، وَوَضعِ السُّتُورِ النَّفِيسَةِ عَلَيهَا لِجَذبِ النَّاظِرِينَ وَالزَّائِرِينَ إِلَيهَا، وأَن تَكُونَ تِلكَ القِبَابُ مَحَلَّ الدَّهشَةِ وَالإِعجَابِ، وَجَعَلُوا السَّدَنَةَ حَولَهَا لِيَطُوفُوا بِالزَّائِرِينَ حَولَ الضَّرِيحِ، وَيُعَلِّمُوهُم كيف يَدعُونَ الأَولِيَاءَ، وَيُنزِلُونَ

بِهِم حَاجَاتِهِم؟

وَمِنَ اخْتِرَاعِ حِكَايَاتٍ سَمِجَةٍ عَنِ القُبُورِ، وَكَرَامَاتٍ مُخْتَلَقَةٍ لَا تَمُتُّ إِلَىٰ الصِّحَّةِ بِنَصِيبٍ، وَمِن إِنْشَادِ قَصَائِدَ تَطفَحُ بِالاستِغَاثَاتِ وَالنِّدَاءَاتِ الَّتِي لَا تَصلُحُ إِلَّا لِخَالِقِ الأَرضِ وَالسَّمَوَاتِ.

وَمِن تَألِيفِ كتُبٍ تَدعُو إِلَىٰ عِبَادَةِ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، سُبِكَت فِي قَالَبِ حُبِّ الأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ، وَأَنَّهُم هُمُ الشُّفَعَاءُ لَنَا عِندَ اللَّهِ، وَالوَاسِطَةُ بَينَنَا وَبَينَهُ تَعَالَىٰ. وَيُعَزِّزُونَ كَلَامَهُم بِحِكَايَاتٍ عَنِ الصَّالِحِينَ لَيسَ لَهَا حَظٌّ مِنَ الصِّدقِ، وَبِأَحَادِيثَ مَوضُوعَةٍ، كَحَدِيثِ: «لَوِ اعتَقَدتُم بِحَجَرٍ لَنَفَعَكُم»[1] ، وَبِأَقيِسَةٍ فَاسِدَةٍ، وَبِمَا لَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَطَالِبِهِم مِن آيَةٍ أَو حَدِيثٍ صَحِيحٍ كَمَا سَتَرَىٰ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ.

.وَعَمَّ هَذَا الدَّاءُ الوَبِيلُ سَائِرَ الأَقطَارِ الإِسلَامِيَةِ، وَلَم يَسلَم مِنهُ إِلَّا القَلِيلُ مِن عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَالعُلَمَاءِ العَامِلِينَ الَّذِينَ عَرَفُوا التَّوحِيدَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الأَنبِيَاءُ وَالمُرسَلُونَ، وَبَعضُ الأَقطَارِ الإِسلَامِيَّةِ؛ كَالمَملَكَةِ العَرَبِيه السُّعُودِيَّةِ؛ بِفَضلِ دَعوَةِ عُلَمَائِهَا المُخلِصِينَ وَمُلُوكِهَا المُهتَدِينَ.

فَنَتَجَ مِن جَرَّاءِ تِلكَ الدِّعَايَاتِ الضَّالَّةِ المُضَلِّلَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا وَنَشِطَ لَهَا المبَشِّرُونَ بِالضَّلَالِ وَعِبَادَةِ غَيرِ ذِي الجَلَالِ أَنِ انخَدَعَ بِهَا الأَكثَرُونَ، وَانصَرَفوا عَن تَوحِيدِ الإِلَهِ العَظِيمِ خَالِقِ الأَنَامِ، وَتَحَمَّسُوا لَهَا، وَأَخَذُوا يَتَقَرَّبُونَ إِلَىٰ قُبُورِ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَتَجَاوَزَ الأَمرُ حَتَّىٰ تَقَرَّبوا إِلَىٰ الأَشجَارِ وَالغِيرَانِ المَنسُوبَةِ إِلَيهِم بِأَنوَاعِ النُّذُورِ، وَدُعَائِهِم لِكَشفِ ضُرٍّ نَزَلَ بِهِم، أَو طَلَبِ وَلَدٍ أَو رِزقٍ أَو وَظِيفَةٍ أَو مَطَرٍ، مِمَّا لَيسَ فِي قُدرَةِ أَحَدٍ إِلَّا رَبُّ العَالَمِينَ!

وَطَافُوا بِقُبُورِهِم كَمَا يُطَافُ بِالكَعبَةِ المُعَظَّمَةِ، وَشَدُّوا الرِّحَالَ إِلَيهِم مِنَ

---

(١) قال ابن القيم في «المنار المنيف» (ص ١٣٩): «هُوَ مِنْ وَضعِ المُشرِكِينَ عُبَّادِ الأَوثَانِ».

الأَمَاكِنِ الشَّاسِعَةِ بِقَصدِ الحَجِّ لِتِلكَ المَزَارَاتِ البِدعِيَّةِ، وَأَوقَفُوا الأَموَالَ الطَّائِلَةَ عَلَىٰ تِلكَ الأَضرِحَةِ المُقَدَّسَةِ عِندَهُم، حَتَّىٰ إِنَّهُ قَد تَجتَمِعُ فِي خَزَائِنِ بَعض المَقبُورِينَ أَموَالٌ تُعَدُّ بِالمَلَايِينِ.

وَرَحِمَ اللَّه شَاعِرَ النِّيلِ «حَافِظَ إِبرَاهِيم» حَيثُ قَالَ:

أَحيَاؤُنَا لَا يُرزَقُونَ بِدِرهَمٍ ... وَبِأَلفِ أَلفٍ تُرزَقُ الأَموَاتُ
مَن لِي بِحَظِّ النَّائِمِينَ بِحُفرَةٍ ... قَامَت عَلَىٰ أَعتَابِهَا الصَّلَوَاتُ
يَسعَىٰ الأَنَامُ لَهَا وَيَجرِي حَولَهَا ... بَحرُ النُّذُورِ وَتُقرَأُ الآيَاتُ
وَيُقَالُ هَذَا البَابُ بَابُ المُصطَفَىٰ ... وَوَسِيلَةٌ تُقضَىٰ بِهَا الحَاجَاتُ

وَإِنَّكَ لَتَجِدُ الزِّحَامَ حَولَ تِلكَ القُبُورِ وَاختِلَاطَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَبكاءَ الكَثِيرِينَ وَصُرَاخَهم وَعَوِيلَهُم وَدَوِيَّ أَدعِيَتِهِم.

كَمَا تَجِدُ كَثِيرًا مِن مُدَّعِي العِلمِ وَمُرَوِّجِي الضَّلَالِ يُحَسنون لَهم تِلكَ الأعمال، ويَحُضُّونَهُم عَلَىٰ تِلكَ المُنكَرَاتِ، مِن أَجلِ نَيلِ الحُطَامِ، وَيَأتِي أولَئِكَ الجُهَّال هَذِهِ الشِّركيَّاتِ وَالبِدَعَ وَالضلَالَ، بِاعتِقَادِ أَنَّهَا مِن صَمِيمِ الدِّينِ، وَأَنَّهَا تُقَرِّبُهُم إِلَىٰ رَبِّ العَالَمِينَ؛ لِكَونِهِم مَخدُوعِينَ بِدِعَايَاتِ أَدعِيَاءِ العِلمِ وَرُؤَسَاءِ الضَّلالِ، وَسَدَنَةِ الضَّرَائِحِ.

وَالوَيلُ كُلُّ الوَيلِ لِمَن أَنكَرَ عَلَيهِم وَأَفَادَهُم أَنَّ هَذِهِ الأَعمَالَ لَيسَت مِنَ الدِّينِ بِشيء؛ بَل تُنَافِيهِ، وَالدِّينُ مِنهَا بَرِيءٌ، وَأَنَّ الوَاجِبَ عَلَيكُمْ أَنِ تُفرِدُوا رَبَّكُم بِهَذِهِ العِبَادَاتِ الَّتِي تَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الأَموَاتِ، الَّذِينَ لَا يَملِكُونَ لِأَنفُسِهِم نَفعًا وَلَا ضَرًّا وَلَا حَيَاةً وَلَا مَوتًا وَلَا نُشُورًا فَضلًا عَن غَيرِهِم.

وَالعُلَمَاءُ إِزَاءَ هَذِهِ البِدَعِ وَالشِّركِيَّاتِ أَصنَافٌ ثَلَاثَةٌ:

* صِنفٌ يُؤَيِّدُ تِلكَ البِدَعَ وَالخُزَعبَلَاتِ وَيَدعُو إِلَيهَا، وَقَد يَكتُبُ وَيَنشُرُ فِي تَأيِيدِ مَذهَبِهِ، لَاسِيَّمَا إِذَا كَانَت لَهُ مَصلَحَةٌ مَادِّيَّةٌ.

*وَصِنف يَعرِفُ الحَقَّ، وَأَنَّ مَا عَلَيهِ جُمهُورُ النَّاسِ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ، لَكِنَّهُ يُسَايِرُ العَامَّةَ وَأَشبَاهَهُم، إِمَّا رَجَاءً، وَإِمَّا رَهبَةً أَو جُبنًا!

*وَصِنفٌ يُنكِرُ ذَلِكَ وَيَدعُو النَّاسَ إِلَىٰ تَركِ تِلكَ المُحدَثَاتِ، وَيُرشِدُهُم إِلَىٰ التَّوحِيدِ وَالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ، وَهَؤُلَاءِ قَلِيلُونَ بِالنِّسبَةِ لِذَينك الصِّنفَيْنِ.

وَبِالرَّغمِ مِن كَثرَةِ المُؤَلَّفَاتِ فِي هَذَا العَصرِ مِنَ المَمَالِكِ العَرَبِيَّةِ وَغَيرِهَا، وَتَنَوُّرِ أَذهَانِ الكَثِيرِينَ، لَكِنَّهُم لَم يَهتَمُّوا بِعِلمِ التَّوحِيدِ، لَاسِيَّمَا تَوحِيدُ الألوهِيَةِ، وَقَد يَذكُرُ بَعضُهُم فِي ثَنَايَا كِتَابِهِ سَطرًا أَو سُطُورًا يَستَهجِنُ هَذِهِ الأَعمَالَ وَيَقُولُ: لَيسَت مِنَ الإِسلَامِ فِي شَيءٍ، وَلَكِنَّ هَذَا غَيرُ كَافٍ.

وَلذَا رَأَيتُ أَنَّ الحَاجَةَ مَاسَّةٌ فِي وَضعِ رِسَالَةٍ فِي بَيَانِ أَقسَامِ التَّوحِيدِ، وَبَسطِ الكَلَامِ عَلَىٰ تَوحِيدِ الألوهِيَةِ مُعَزَّزًا بِالأَدِلَّةِ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ وَأَحَادِيثِ الرَّسُولِ العَظِيمِ الصَّحِيحَةِ أَوِ الحَسَنَةِ، وَدَفعِ شُبَهِ المُبتَدِعَةِ، لَعَلَّ اللَّهَ يَنفَعُ بِهَا عِبَادَهُ.

وَلَكِن لِكَثرَةِ الشَّوَاغِلِ لَم يَقوَ العَزمُ حَتَّىٰ شَرَّفَنَا الشَّيخُ عَبدُ الحَمِيدِ البَكرِيُّ السِّيلَانِيُّ، الدَّاعِيَةُ لِتَوحِيدِ اللَّهِ وَإِفرَادِهِ بِالعِبَادَةِ، وَالتَّمَسُّكِ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَالمُحَارِبُ لِلبِدَعِ وَالمُحدَثَاتِ وَالزِّيَادَةِ فِي دِينِ الإِسلَامِ.

وَقَد ذَكَرَ لَنَا الأَخُ المَذكُورُ أَنَّهُ يُلَاقِي كَثِيرًا مِنَ العَنَاءِ وَالنَّصَبِ فِي «سِيلَانَ» مِنَ الَّذِينَ يَدعُوهُم إِلَىٰ نَبذِ الخُرَافَاتِ وَالبِدَعِ، وَعِبَادَةِ غَيرِ اللَّهِ، وَطَلَبَ مِنِّي أَن أُسَجِّلَ لَهُ كَلِمَةً فِي التَّوحِيدِ، فَسَجَّلتُ لَهُ بِالمُسَجِّلِ الَّذِي مَعَهُ.

فَلَمَّا انتَهَيتُ مِنَ الإِلقَاءِ، قَالَ الشَّيخُ عَبدُ الحَمِيدِ: يَحسُنُ أَن تَكتُبَ هَذَا الَّذِي أَلقَيتَهُ، لِيَكُونَ كَرِسَالَةٍ، ثُمَّ تَطبَعَهَا وَتَنشُرَهَا، وَعَلَيَّ بِحَولِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ أَن أُترجِمَهَا إِلَىٰ اللُّغَةِ السِّيلَانِيَةِ والمَلِّيَارِيَّةِ، وَقَد تَرجَمَهَا إِلَىٰ اللُّغَةِ المَلِّيَارِيَّةِ أَخُونَا الفَاضِلُ مُحَمَّد سَلِيم مِيرَانَ المَلِّيَارِيُّ، وَطُبِعَت.

فَأَجَبتهُ إِلَىٰ ذَلِكَ؛ رَجَاءَ الثَّوَابِ مِنَ المَلِكِ العَلَّامِ، والنَّفعِ لِسَائِرِ الأَنَامِ، فَكَتَبتُ

المَوضُوعَ وَرَاجَعتُهُ وَهَذَّبتُهُ، وَزِدتُ عَلَيهِ بَعضَ الفَوَائِدِ، وَعَلَّقتُ عَلَيهِ تَعَالِيقَ مُوجَزَة، وَأَصبَحَ رِسَالَةً مُفِيدَةً، حَاوِيَةً لِأَقسَامِ التَّوحِيدِ، مُؤَيَّدَةً بِالأَدِلَّةِ مِنَ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَدَفعِ الشُّبُهَاتِ البِدعِيَّةِ، وَسَمَّيتُهَا:

«تَطهِير الجَنَانِ وَالأَركَانِ عَن درنِ الشِّركِ والكفرَانِ»

أَسأَلُ اللَّهَ العَظِيمَ أَن يَجعَلَ هَذَا العَمَلَ خَالِصًا لِوَجهِهِ الكَرِيمِ، وَمُوجِبًا لِلفَوزِ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وَالتَّابِعِينَ.

أَحمَد بن حَجَر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصحبِهِ أجمَعِينَ.

أَمَّا بَعدُ:

فَقَد قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦] .

أي: لِآمُرَهُم أن يَعبُدُونِي وَيُفرِدُونِي بِالعِبَادَةِ، وَهَذَا هُوَ التَّوحِيدُ الَّذِي جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ- عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مِن عَهدِ نُوحٍ إِلَىٰ عَهدِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ .

أَقسَامُ التَّوحِيدِ:

يَنقَسِمُ التَّوحِيدُ إِلَىٰ ثَلاثَةِ أَقسَامٍ:

تَوحِيدُ الرُّبُوبِيةِ، وَتَوحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ، وَتَوحِيدُ الأسمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

١- تَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ:

وَهُوَ اعتِقَادُ أَنَّ الله ﷻ خَالِقُ العِبَادِ وَرَازِقُهُم، مُحيِيهِم ومُمِيتُهُم.

أَو نَقُولُ: إِفرَاد اللهِ بِأفعَالِهِ، مِثلُ اعتِقَادِ أَنَّهُ خَالِقٌ وَرازِقٌ.

وَهَذَا قَد أَقَرَّ بِهِ المُشرِكونَ السَّالِفُونَ، وَجَمِيعُ أَهلِ المِلَلِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ وَالمَجُوسِ، وَلَم يُنكِر هَذَا التَّوحِيدَ إِلَّا الدَّهرِيَّةُ فِيمَا سَلَفَ، وَالشُّيُوعِيَّةُ فِي زَمَانِنَا.

الدَّلِيلُ عَلَىٰ تَوحِيدِ الرُّبُوبِيةِ:

يُقَالُ لِهَؤُلاءِ الجُهَلاءِ المُنكِرِينَ لِلرَّبِّ الكَرِيمِ: إِنَّهُ لَا يَقبَلُ ذُو عَقلٍ أن يَكُونَ أَثَرٌ بِلَا مُؤَثِّرٍ، وَفِعلٌ بِلَا فَاعِلٍ، وَخَلقٌ بِلَا خَالِقٍ، وَمِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ أَنَّكَ إِذَا رَأَيتَ إِبرَةً أَيقَنتَ أَنَّ لَهَا صَانِعًا، فَكَيفَ بِهَذَا الكَونِ العَظِيمِ الَّذِي يُبهِرُ العُقُولَ، وَيُحَيِّرُ الأَلبَابَ

قَد وُجِدَ بِلَا مُوجِد، وَنُظِّمَ بِلَا مُنَظِّمٍ؟!

وَكَأَنَّ كُلَّ مَا فِيهِ مِن نُجُومٍ وَغُيُومٍ، وَبُرُوقٍ وَرُعُودٍ، وَقِفَارٍ وَبِحَارٍ، وَلَيلٍ وَنَهَارٍ، وَظُلُمَاتٍ وَأَنوَارٍ، وَأَشجَارٍ وَأَزهَارٍ، وَجِنٍّ وَإِنسٍ، وَمَلَكٍ وَحَيَوَانٍ، إِلَىٰ أَنوَاعٍ لَا يُحصِيهَا العَدُّ، وَلَا يَأتِي عَلَيهَا الحَصرُ، قَد وُجِدَت بِلَا مُوجِدٍ يُخرِجُهَا مِنَ العَدَمِ، اللَّهُمَّ لَا يَقُولُ هَذَا مَن كَانَ عِندَهُ مُسكَةٌ مِنَ العَقلِ، أَو ذَرَّة مِن فَهمٍ.

وَبِالجُملَةِ: فَالبَرَاهِينُ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ لَا يَأتِي عَلَيهَا العَدُّ، وَصَدَقَ اللهُ إِذ قَالَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥] وَقَولُهُ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]

الدَّلِيلُ عَلَىٰ إِقرَارِ المُشرِكِينَ بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيةِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٥﴾ [لقمان: ٢٥] وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢﴾ [يونس: ٣١، ٣٢] وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩]

عَلَىٰ أَنَّ الشِّركَ مَأخُوذٌ مِنَ «الشَّرِكَةِ» يُفِيدُ إِقرَارَهُم بِالرُّبُوبِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُم يَجعَلُونَ مَعَهُ اللهِ تَعَالَىٰ شَرِيكًا فِي العِبَادَةِ، كَشَرِيكَينِ فِي شَيءٍ مَثَلًا مَعَ أَنَّهُم مَا كَانوا يُسَاوونَ آلِهَتَهُم بِاللهِ فِي كُلِّ شَيءٍ؛ بَل فِي المَحَبَّةِ وَالخُضُوعِ لَا فِي الخَلقِ وَالإِيجَادِ وَالنَّفعِ وَالضَّرِّ.

تَوحِيدُ الرُّبُوبِيةِ لَا يُدخِلُ الإِنسَانَ فِي دِينِ الإِسلَامِ:

لِتَعلَمْ أَيُّهَا القَارِئُ الكَرِيمُ: أَنَّ هَذَا التَّوحِيدَ لَا يُدخِلُ الإِنسَانَ فِي دِينِ الإِسلَامِ، وَلَا يَعصِمُ دَمَهُ وَمَالَهُ، وَلَا يُنجِيهِ فِي الآخِرَةِ مِنَ النَّارِ، إِلَّا إِذَا أَتَىٰ مَعَهُ بِتَوحِيدِ

الألوهية.

٢- تَوحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ:

وَيُقَالُ لَهُ: تَوحِيدُ العِبَادَةِ، وَهُوَ: إِفْرَاد اللَّهِ بِالعِبَادَةِ؛ لِأَنَّهُ المُستَحِقُّ لِأَن يُعبَدَ، لَا سِوَاهُ مَهمَا سَمَت دَرَجَتُهُ وَعَلَت مَنزِلَتُهُ، وَهُوَ التَّوحِيدُ الَّذِي جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ إِلَىٰ أُمَمِهِم؛ لأَنَّ الرُّسُلَ ﷺ جَاءُوا بِتَقرِيرِ تَوحِيدِ الرُّبُوبِيةِ الَّذِي كَانَت أُمَمُهُم تَعتَقِدُهُ، وَدَعَوتِهِم إِلَىٰ تَوحِيدِ الأُلُوهِيةِ، كَمَا أَخبَرَ اللَّهُ عَنهُم فِي كِتَابِهِ المَجِيدِ.

قَالَ اللَّهُ مُخبِرًا عَن نُوحٍ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: ٢٥-٢٦].

وَقَالَ عَن هُودٍ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠].

وَقَالَ عَن صَالِحٍ: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود: ٦١].

وَقَالَ اللَّه عَن شُعَيبٍ: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود: ٨٤].

وَقَالَ اللَّهُ مُخبِرًا عَن مُوسَىٰ ﷺ فِي مُحَاجَّتِهِ مَعَ فِرعَونَ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤] إِلَىٰ آخِرِ الآيَاتِ.

وَقَالَ اللَّهُ مُخبِرًا عَن مُوسَىٰ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِبَنِي إِسرَائِيلَ: ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: ١٤٠].

وَقَالَ عَن عِيسَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: ٥١].

وَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَن يَقُولَ لِأَهلِ الكِتَابِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ مُنَادِيًا جَمِيعَ البَشَرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]

وَبِالجُملَةِ: فَالرُّسُل كلُّهُم بُعِثُوا لِتَوحِيدِ الألوهِيةِ، وَدَعوَةِ القَومِ إِلَىٰ إِفرَادِ اللهِ بِالعِبَادَةِ، وَاجتِنَابِ عِبَادَةِ الطَّوَاغِيتِ وَالأصنَامِ، كمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] فَقَد سَمِعتَ دَعوَةَ كُلِّ رَسُولٍ لِقَومِهِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا يَقرَعُ أَسمَاعَ قَومِهِ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ومواضع أخرى]

تَفسِيرُ العبَادَةِ:

العِبَادَةُ فِي اللُّغَةِ مَعنَاهَا: التَّذَلُّلُ وَالخُضُوعُ، يُقَالُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ؛ أي: مُذَلَّلٌ.

وَفِي الشَّرعِ: مَعنَىٰ العِبَادَةِ - كمَا قَالَ شَيخُ الإسلامِ - هِيَ: «طَاعَةُ اللهِ، بِامتِثَالِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ عَلَىٰ أَلسِنَةِ الرُّسُلِ».

وَقَالَ أَيضًا: «العِبَادَةُ اسمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرضَاهُ مِن الأعمَالِ وَالأقوَالِ وَالأفعَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ». اهـ.

فَعَلَىٰ المُسلِمِ أَن يُفرِدَ رَبَّهُ بِجَمِيعِ أَنوَاعِ العِبَادَاتِ، مُخلِصًا لِلَّهِ فِيهَا، وَأَن يَأتِيَ بِهَا عَلَىٰ الوَجهِ الَّذِي سَنَّهُ رَسُولُ اللهِ قَولًا أو عَمَلًا.

شُمُولُ العِبَادة لِلأنوَاعِ الآتِيَةِ:

وَاعلَم أَنَّ العِبَادَةَ تَشمَلُ الصَّلَاةَ، وَالطَّوَافَ، وَالحَجَّ، وَالصَّومَ، وَالنَّذرَ، وَالاعتِكَافَ، وَالذَّبحَ، وَالسُّجودَ، وَالرُّكُوعَ، وَالخَوفَ وَالرَّهبَةَ، وَالرَّغبَةَ، وَالخَشيَةَ، وَالتَّوَكلَ، وَالاستِغَاثَةَ، وَالرَّجَاءَ.. إِلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِن أَنوَاعِ العِبَادَاتِ الَّتِي شَرَعَهَا اللهُ

فِي قرآنِهِ المَجِيدِ، أو شَرَعَهَا رَسُولُ اللهِ بِالسُّنَّةِ الصَحِيحَةِ القَولِيةِ أَوِ العَمَلِيةِ.

فَمَن صَرَفَ شَيئًا مِنهَا لِغَيرِ اللهِ يَكُونُ مُشرِكًا؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وَقَولُهُ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

فَـ: «أَحَدٌ» جَاءَت نَكِرَةً فِي سِيَاقِ النَّهيِ، تَعُمُّ كُلَّ مَخلُوقٍ، رَسُولًا كَانَ أَو مَلَكًا أَو صَالِحًا.

أَوَّلُ حُدُوثِ الشِّـركِ:

إِذَا ثَبَتَ هَذَا، فَاعلَم أَنَّ أَوَّلَ مَا حَدَثَ الشِّركُ فِي قَومِ نُوحٍ، وَلَمَّا أَرسَلَ اللهُ إِلَيهِم نُوحًا يَدعُوهُم إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ، وَتَركِ عِبَادَةِ تِلكَ الأَصنَامِ، عَانَدُوا وَأَصَرُّوا عَلَىٰ شِركِهِم، وَقَابَلُوا نُوحًا بِالكُفرِ وَالتَّكذِيبِ، وَقَالُوا- كَمَا فِي القُرآنِ الكَرِيمِ-: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣].

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي هَذِهِ الآيَةِ، قَالَ: «أَسمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِن قَومِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوحَىٰ الشَّيطَانُ إِلَىٰ قَومِهِم أَنِ انصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِم الَّتِي كَانُوا يَجلِسُونَ فِيهَا أَنصَابًا؛ أَي: صَوِّرُوهُم عَلَىٰ صُورِ أُولَئِكَ الصَّالِحِينَ، وَسَمُّوهَا بِأَسمَائِهِم؛ فَفَعَلُوا، فَلَم تُعبَد حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلمُ عُبِدَت»[1].

قَالَ الحَافِظُ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله: «قَالَ غَيرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَىٰ قُبُورِهِم، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُم، ثُمَّ طَالَ عَلَيهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُم».

سَبَبُ الشركِ: الغُلُوُّ فِي الصَّالِحين:

وَمن هُنَا نَعلَمُ أَنَّ الشِّركَ إِنَّمَا حَدَثَ فِي بَنِي آدَمَ بِسَبَبِ الغُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ.

وَمَعنَىٰ الغُلُوِّ: الإِفرَاطُ بِالتَّعظِيمِ بِالقَولِ وَالاعتِقَادِ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ﴾[النساء: ١٧١] ، أي: لَا تُفرِطُوا فِي تَعظِيمِهِ حَتَّىٰ تَرفَعُوهُ عَن مَنزِلَتِهِ الَّتِي أَنزَلَهُ اللَّهُ فِيهَا، فَتُنزِلُوهُ المَنزِلَةَ الَّتِي لَا تَنبَغِي إِلَّا لِلَّهِ.

وَلِهَذَا وَرَدَ الحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا تُطرُونِي كَمَا أَطرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ابنَ مَريَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبدٌ، فَقُولُوا: عَبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»(١) . أي: لَا تَتَجَاوَزُوا الحَدَّ فِي مَدحِي، فَتُنزِلُونِي فَوقَ مَنزِلَتِي الَّتِي أَنزَلَنِي اللَّهُ بِهَا، كَمَا غَلَتِ النَّصَارَىٰ فِي عِيسَىٰ فَادَّعَوا فِيهِ الألوهِيَةَ.

وَلَكِن أَبَىٰ الجَاهِلُونَ وَالمُحَرِّفُونَ إِلَّا مُخَالَفَةَ أَمرِ رَسُولِ اللَّهِ، وَارتِكَابَ نَهيِهِ، فَنَاقَضُوهُ أَعظَمَ مُنَاقَضَةٍ، وضَاهَئُوا النَّصَارَىٰ فِي غُلُوِّهِم وَشِركِهِم، وَبَنَوا القِبَابَ وَالمَسَاجِدَ عَلَىٰ أَضرِحَةِ الأَولِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَصَلُّوا فِيهَا- وَإِن كَانَ لِلَّهِ- لَكِن بِقَصدِ التَّعظِيمِ لِلمَقبُورِينَ، وَطَافُوا بِقُبُورِهِم، وَاستَغَاثُوا بِهِم فِي كَشفِ المُلِمَّاتِ وَقَضَاءِ الحَاجَاتِ، وَرَأَوا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي أَضرِحَةِ الأَولِيَاءِ أَفضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي المَسَاجِدِ.

وَقَد وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَن عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَت: «لِمَا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجهِهِ، فَإِذَا اغتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ - وَهُوَ كَذَلِكَ -: «لَعنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَولا ذَلِكَ أُبرِزَ قَبرُهُ، غَيرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَن يُتَّخَذَ مَسجِدًا» أَخرَجَهُ الشَّيخَانِ(٢) .

وَجَرَىٰ مِنهُمُ الغُلُوُّ فِي الشِّعرِ وَالنَّثرِ مَا يَطُولُ عَدُّهُ، حَتَّىٰ جَوَّزُوا الاستِغَاثَةَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

بِالرَّسُولِ وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ، فِي كُلِّ مَا يُسْتَغَاثُ فِيهِ بِاللَّهِ، وَنَسَبُوا إِلَيهِ عِلمَ الغَيبِ!! حَتَّىٰ قَالَ بَعضُ الغُلَاةِ: لَم يُفَارِقِ الرَّسُولُ الدُّنيَا حَتَّىٰ عَلِمَ مَا كانَ وَمَا يَكُونُ!!، وَخَالَفُوا صَرِيحَ القُرآنِ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾[الأنعام: ٥٩] . وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾[لقمان: ٣٤] . وَقَالَ تَعَالَىٰ مُخبِرًا عَن رَسُولِهِ: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾[الأعراف: ١٨٨] . وَقَولُهُ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[النمل: ٦٥] .

وَإِذ عَلِمتُم أَنَّ الشِّركَ حَدَثَ بِسَبَبِ الغُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَتِ الرُّسُلُ مِن أَوَّلِهِم إِلَىٰ آخِرِهِم يَدعُونَ العِبَادَ إِلَىٰ إِفرَادِ اللَّهِ بِالعِبَادَةِ، لَا إِلَىٰ إِثبَاتِ أَنَّهُ خَلَقَهُم وَنَحوِهِ، إِذ هُم مُقِرُّون بِذَلِكَ كَمَا قَرَّرنَاهُ وَكَرَّرنَاهُ، وَلِذَا قَالُوا: ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾[الأعراف: ٧٠] ؛ أَي: لِنُفرِدَهُ بِالعِبَادَةِ وَنَخُصَّهُ بِهَا مِن دُونِ آلِهَتِنَا.

أَنوَاعُ العِبَادَةِ وَأَدِلَّتُهَا:

اعلَمُوا أَنَّ مِن أَنوَاعِ العِبَادَةِ- كَمَا سَبَقَ-: الرُّكُوعَ، وَالسُّجُودَ، وَالطَّوَافَ، وَالنَّذرَ، وَالذَّبحَ، وَالاستِغَاثَةَ، وَالاستِعَانَةَ، وَالحَلِفَ، وَالتَّوَكُّلَ، إِلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّ.

فَدَلِيلُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ: قَولُ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ وَالذَّبحِ: قَولُهُ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣] . وَقَولُهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾[الكوثر: ٢، ٣] . وَلِلحَدِيثِ

الصَّحِيحِ: «لَعَنَ اللَّهُ مَن ذَبَحَ لِغَيرِ اللَّهِ»[(١)].

وَدَلِيلُ النَّذرِ وَالطَّوَافِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

وَدَلِيلُ الحَلِفِ: الحَدِيثُ الوَارِدُ عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَن حَلَفَ بِغَيرِ اللَّهِ؛ فَقَد أَشرَكَ»[(٢)]. وَفِي لَفظٍ: «فَقَد كَفَرَ».

وَدَلِيلُ الاستِعَانَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: ٥]. وَالحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَأَلتَ فَاسأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا استَعَنتَ فَاستَعِن بِاللَّهِ»[(٣)].

وَدَلِيلُ الخَوفِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝﴾ [المائدة: ٢٣].

وَدَلِيلُ الرَّهبَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝﴾ [النحل: ٥١].

وَدَلِيلُ الاستِغَاثَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [يونس: ١٠٦].

وَهَذَا خِطَابٌ لِلرَّسُولِ ﷺ - كَمَا تَرَىٰ -؛ أَي: لَا تَدعُ - يَا مُحَمَّدُ - مِن دُونِ مَعبُودِكَ وَخَالِقِكَ شَيئًا لَا يَنفَعُكَ فِي الدُّنيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ، وَلَا يَضُرُّكَ فِي دِينٍ وَلَا دُنيَا - يَعنِي بِذَلِكَ الآلِهَةَ وَالأَصنَامَ -؛ فَإِن فَعَلتَ: فَدَعَوتَهَا مِن دُونِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَن مِنَ الظَّالِمِينَ؛ أَي: المُشرِكِينَ بِاللَّهِ. وَالرَّسُولُ ﷺ مَعصُومٌ مِنَ الشِّركِ وَمِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَإِنَّمَا هَذَا تَعلِيمٌ لِلأُمَّةِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٥٣)، وصححه العلامة الألباني في «الإرواء» (٢٥٦١).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٣)، وصححه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (٣١٦).

وَقَولُهُ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]. وَقَولُهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

وَالمُستَغِيثُ بالرَّسُولِ إِنَّمَا يُنَادِي وَيَدعُو غَيرَ اللَّهِ، كَأَن يَستَغِيثَ قَائِلًا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنقِذنِي مِن هَذِهِ الشِّدَّةِ، أَو: يَا عَبدَ القَادِرِ، أَو: يَا دُسُوقِيُّ، أَو: يَا رِفَاعِيُّ، أَو: يَا بَدَوِيُّ... إِلَخ.

وَلَا رَيبَ أَنَّ المُستَغِيثَ بِغَيرِ اللَّهِ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الآيَةِ وَأَمثَالِهَا، وَكَيفَ يَستَغِيثُ العَاقِلُ المُؤمِنُ بِغَيرِ اللَّهِ، وَهُوَ يَقرَأُ هَذِهِ الآيَاتِ أَو يَسمَعُهَا؟! وَمنهَا قَولُهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل: ٦٢].

يُبَيِّنُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ: أَنَّ المُشرِكِينَ مِنَ العَرَبِ وَنَحوِهِم، كانُوا يَعلَمُونَ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ المُضطَرَّ وَيَكشِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ وَحدَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ مُحتَجًّا عَلَيهِم فِي اتِّخَاذِهِم الشُّفَعَاءَ مِن دُونِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ بِالاستِفهَامِ الإِنكَارِيِّ، أَي: لَيسَ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ يُجِيبُ المُضطَرَّ وَيَكشِفُ السُّوءَ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسنَادِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤذِي المُؤمِنِينَ، فَقَالَ بَعضُهُم: قُومُوا بِنَا نَستَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِن هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّهُ لا يُستَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُستَغَاثُ بِاللَّهِ»[1].

الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ وَالنَّذرُ لِغَيرِ اللهِ:

فَمَن رَكَعَ أَو سَجَدَ لِحَيٍّ أَو لِمَيِّتٍ، أَو نَذَرَ لِغَيرِ اللَّهِ، كَأَن يَنذِرَ لِقُبُورِ الأَولِيَاءِ أَوِ

---

(١) أخرجه الطبراني، كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩).

الصَّالِحِينَ، أو يَذبَحَ لَهُمْ، أو لِلأشجَارِ أو لِلعُيُونِ، أو يَطُوفَ بِقَبرِ نَبِيٍّ أو وَلِيٍّ، كَأن يَطُوفَ بِقَبرِ الرَّسُولِ ﷺ، أو بِقَبرِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، أو بِقَبرِ الحَسَنِ أوِ الحُسَينِ، أو عَلِيِّ بنِ مُوسَىٰ الرِّضَا، أو عَبدِ القَادِرِ الجِيلانِيِّ، أوِ البَدَوِيِّ، أوِ الرِّفَاعِيِّ أو غَيرِهم.

أو يَستَغِيثَ بِهِم فِي الشَّدَائِدِ، كَأن يَقُولَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنقِذنِي، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَرِّجْ عَنِّي هَذَا الكَربَ، المَدَدَ يَا عَبدَ القَادِرِ يَا جِيلانِيُّ.

أو يَطلُبَ مِن غَيرِ اللَّهِ مَا لَا يَقدِرُ عَلَيهِ إِلَّا اللَّهُ، كَأن يَطلُبَ عَافِيَةً مِن مَرَضٍ لَهُ أو لِغَيرِهِ، أو قُدُومَ غَائِبٍ، أو يَرزُقَهُ وَلَدًا، أو يَأتِيَ لَهُ بِرِزقٍ أو يُفَرِّجَ عَنهُ شِدَّةً أو كُربَةً، أو نَحوَ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي لَيسَت فِي قُدرَةِ المَخلُوقِ أن يَفعَلَهَا.

فَإِنَّهُ يَكُونُ بِكُلِّ فِعلٍ مِن هَذِهِ الأفعَالِ مُشرِكًا بِاللَّهِ العَظِيمِ شِركًا أكبَرَ، لَا يَغفِرُ اللَّهُ لَهُ إِلَّا أن يَتُوبَ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

أَمَّا مَا كَانَ فِي إِمكَانِ المَخلُوقِ الحَيِّ، فَلَا بَأسَ بِأن يَستَعِينَ بِهِ، مِثلَ: أن تَطلُبَ مِنهُ أن يُعِينَكَ فِي قَضَاءِ حَاجَةٍ، أو إِنقَاذٍ مِن غَرَقٍ أو حَرِيقٍ أو مَا سِوَىٰ ذَلِكَ.

الآيَاتُ الآمِرَةُ بِعبَادَتِهِ وَالمُبَيِّنَةُ عَجزَ المَعبُودَاتِ البَاطِلَةِ:

هَذَا وَقَد أكثَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ المَجِيدِ مِنَ الآيَاتِ الآمِرَةِ بِعِبَادَتِهِ وَالحَاثَّةِ عَلَيهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]. وَقَالَ اللَّهُ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

وَقَالَ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وَقَالَ مُبَيِّنًا عَجزَ تِلكَ الآلِهَةِ الَّتِي عَبَدَهَا المُشرِكُونَ مِن أن تَجلِبَ لَهُم نَفعًا، أو تَدفَعَ عَنهُم ضُرًّا؛ بَل وَلَا تَدفَعُ عَن نَفسِهَا فَضلًا عَن غَيرِهَا، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا

يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[الحج: ٧٣].

وَقَالَ مُبَيِّنًا أَنَّ النَّفعَ وَالضرَّ بِيَدِهِ لَا بِيَدِ غَيرِهِ بِقَولِهِ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾[يونس: ١٠٧].

وَأَخبرَ اللهُ ﷻ أَنَّهُ يبكِّتُ النَّصَارَىٰ وَيُوَبِّخُهُم عَلَىٰ عِبَادَتِهِم لِلمَسِيحِ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[المائدة: ١١٦، ١١٧]. فَانظُرُوا كَيفَ يَتبَرَّأُ المَسِيحُ مِن عُبَّادِهِ النَّصَارَىٰ وَيَقُولُ: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ ﴾؟!

وَاللهُ يَعلَمُ أَنَّ المَسِيحَ لَم يَأمُر بِعِبَادَتِهِ، وَلَا يَرضَىٰ بِذَلِكَ، وَلَكِن يُرِيدُ اللهُ مِن هَذِهِ الآيَاتِ أَنْ يُبيِّنَ لِلنَّاسِ أَنَّ عِبَادَةَ المَسِيحِ الَّذِي هُوَ مِنَ الأَنبِيَاءِ المُرسَلِينَ لَا تَجُوزُ، بَل وَيَكُونَ شِركًا، فَكَيفَ بِعِبَادَةِ غَيرِهِ مِنَ الأَولِيَاءِ، وَمِنَ الأَشجَارِ، وَمِنَ الغِيرَانِ وَالكُهُوفِ؟!

أَلَم يَسمَعْ هَؤُلَاءِ الضَّالُّونَ قَولَ اللهِ مُخَاطِبًا لِسَيِّدِ العَالَمِينَ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾[يونس: ١٠٧].

فَإِذَا كَانَ الضُّرُّ النَّازِلُ بِالرَّسُولِ لَا يَستَطِيعُ أَن يَدفَعَهُ، فَكَيفَ يَستَطِيعُ الرَّسُولُ - وَأَولَىٰ مَن هُو دُونَهُ - أَن يَدفَعَ ضُرًّا نَزَلَ بِغَيرِهِ؟!

أَلَم يَسمَع هَؤُلَاءِ قَولَ اللهِ العَظِيمِ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[آل عمران: ٨٠].

أَلَم يَنعَ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ بِاتِّخَاذِهِم أَحبَارَهُم وَرُهبَانَهُم أَربَابًا مِن دُونِ اللهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ

وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

الفَرقُ بَينَ تَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ وَجَهلُ الكَثِيرِينَ بِهِ:

فَالوَاجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ أَن يُمَيِّزَ الفَرقَ بَينَ تَوحِيدِ الرُّبُوبِيةِ وَتَوحِيدِ الألوهِيةِ؛ لِأَنَّهُ قَد أَخطَأَ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ العلَمَاءِ، فَضلًا عَنِ الجُهلَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ أُولَئِكَ المُخطِئِينَ فَسَّرُوا كَلِمَةَ (الإِلَهِ) بِالقَادِرِ عَلَىٰ الاختِرَاعِ، أَوِ الخَالِقِ، أَو المَالِكِ.

وَالحَالُ أَنَّ الأَمرَ لَيسَ كَذَلِكَ، بَلِ (الإِلَهُ) يُطلَقُ عَلَىٰ كُلِّ مَعبُودٍ بِحَقٍّ أَو بَاطِلٍ، وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِمُشرِكِي قُرَيشٍ: «قُولُوا لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفلِحُوا، وَتَملِكُوا بِهَا العَرَبَ وَتَدِينُ لَكُم بِهَا العَجَمُ»[1].

قَالُوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾ [ص: ٥ - ٧].

وَأَمَّا لَفظُ الجَلَالَةِ، فَلَا يُطلَقُ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ العَظِيمِ، فَمُشرِكُو العَرَبِ كَانُوا أَعرَفَ بِمَعنَىٰ الإِلَهِ مِن مُشرِكِي زَمَانِنَا، وَالبَلِيَّةُ كُلُّ البَلِيَّةِ، وَالجَهلُ كُلُّ الجَهلِ، أَنَّ الكَثِيرِينَ مِمَّن يَنطِقُونَ بِشَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، لَا يَعرِفُونَ مَعنَىٰ هَاتَينِ الكَلِمَتَينِ!!

مَعنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلا اللهُ):

فَلَو عَرَفُوا أَنَّ مَعنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: أَي: لَا مَعبُودَ بِحَقٍّ فِي الوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ.

فَـ«لَا إِلَهَ»: نَفيٌ لِجَمِيعِ المَعبُودَاتِ البَاطِلَةِ.

وَ«إِلَّا اللَّهُ»: إِثبَاتٌ لِلمَعبُودِ الحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٦١١، ٦١٢).

وَلو عَرَفُوا هَذَا المَعنَىٰ، وَعَرَفُوا أَنَّ مَا يَأتُونَ بِهِ لِأَولِيَائِهِم وَسادَتِهِم وَقُبُورِ صَالِحِيهم، مِنَ الذَّبحِ أَوِ النَّذرِ لَهُم، أَوِ التَّبَرُّكِ بِتُرَابِ قُبُورِهِم، أَوِ الصَّلَاةِ إِلَيهِم، أَوِ الطَّوَافِ بِأَضرِحَتِهِم، أَو طَلَبِ قَضَاءِ حَاجَةٍ مِنهُم، تَألِيهٌ لِأُولَئِكَ الصَّالِحِينَ، وَالإِلَهِيَّةُ لَا تصلُحُ إِلَّا لِلَّهِ.

لَعَلِمُوا أَنَّ هَذَا شِركٌ أَكبَرُ، وَقَد قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

وَإِذ ذَكَرتُ لِلقَارِئِ شُرُوطَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ هِيَ كَلِمَةُ التَّقوَىٰ وَمِفتَاحُ الإِسلَامِ وَمِفتَاحُ الجَنَّةِ دَارِ السَّلَامِ.

نَوَاقِضُ الإِسلَامِ:

فَمِنَ الجَدِيرِ أَن أَذكُرَ نَوَاقِضَ الإِسلَامِ، فَهَاكَ بَيَانَهَا:

الأَوَّلُ: الشِّركُ فِي عِبَادَةِ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]، وَمِنهُ الذَّبحُ لِغَيرِ اللهِ، كَمَن يَذبَحُ لِلجِنِّ أَو لِلقُبُورِ.

الثَّانِي: مَن جَعَلَ بَينَهُ وَبَينَ اللهِ وَسَائِطَ يَدعُوهُم وَيَسأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيهِم؛ فَقَد كَفَرَ إِجمَاعًا.

الثَّالِثُ: مَن لَم يُكَفِّرِ المُشرِكِينَ، أَو يَشُكُّ فِي كُفرِهم أَو مَذهَبِهِم كَفَرَ.

الرَّابِعُ: مَنِ اعتَقَدَ أَنَّ غَيرَ هَدي النَّبِيِّ ﷺ أَكمَلُ مِن هَديِهِ، أَو أَنَّ حُكمَ غَيرِهِ أَحسَنُ مِن حُكمِهِ، كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكمِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ.

الخَامِسُ: مَن أَبغَضَ شَيئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلَو عَمِلَ بِهِ فَقَد كَفَرَ.

السَّادِسُ: مَنِ استَهزَأَ بِشَيءٍ مِن دِينِ الرَّسُولِ أَو ثَوَابِهِ أَو عِقَابِهِ، وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم

بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

السَّابعُ: السِّحرُ، وَمنهُ: الصَّرفُ وَالعَطفُ، فَمَن فَعَلَهُ أو رَضِيَ بِه كفَرَ، وَالدَّليلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ المُشرِكينَ وَمُعَاوَنَتُهُم عَلَىٰ المُسلِمِينَ، وَالدَّليلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة: ٥١].

التَّاسِعُ: مَنِ اعتَقَدَ أَنَّ بَعضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُوسَىٰ عليه السلام فَهُوَ كَافِر.

العَاشِرُ: الإِعرَاضُ عَن دِينِ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعمَلُ بِهِ، وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢﴾ [السجدة: ٢٢].

وَلَا فَرقَ فِي جَمِيعِ هَذهِ النَّوَاقِضِ بَينَ الهَازِلِ وَالجَادِّ، وَالخَائِفِ إِلَّا المُكرَه، وَكُلُّهَا مِن أَعظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَأَكثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا فَيَنبَغِي لِلمُسلِمِ أَن يَحذَرَهَا وَيَخَافَ مِنهَا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِن موجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

مَعنَىٰ (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ):

وَلَو عَرَفُوا أَنَّ مَعنَىٰ «أَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصدِيقُهُ فِيمَا أَخبَرَ، وَاجتِنَابُ مَا عَنهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يَعبُدُوا اللَّهَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، لَا بِالأَهوَاءِ وَالبِدَعِ، وَتَدَبَّرُوا قَولَ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

وَقَولَهُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

وَقَولَهُ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور: ٦٣].

وَقَولَه ﷺ: «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

وَقَولَهُ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «عَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ». رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1].

بَيَانُ بَعضِ البِدَعِ:

لَو عَرَفَ النَّاسُ مَعنَىٰ الشَّهَادَتَينِ لَعَلِمُوا أَنَّ كَثِيرًا مِن صَلَوَاتِهِم وَأَدعِيَتِهِم وَأذكَارِهِم وَأَحزَابِهِم - مِمَّا ابتَدَعَهُ بَعضُ الفُقَهَاءِ الجَامِدِينَ أَو المُتَصَوِّفَةِ المُبطِلِينَ - أَنَّهَا مِنَ البِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ الَّتِي مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلطَانٍ، مِثلُ الذِّكرِ بِالاسمِ المُفرَدِ: (اللَّهُ اللَّهُ، أو: يَا هوَ يَا هُوَ)، وَمِثلُ حِلَقِ المُرِيدِينَ - اجتِمَاعُهُم فِي حَلقَاتٍ - الَّذِينَ يَزعُمُونَ أَنَّهُم يَذكُرُونَ اللَّهَ بِمِثلِ هَذهِ الأَذكَارِ المُختَرَعةِ، وَكَصَلَاةِ الرَّغَائِبِ، وَمِثلُ حِزبِ البَحرِ وَأَمثَالِهِ، وَابتِهَالَاتٍ وَصَلَوَاتٍ وَمُنَاجَاةٍ وَإِنشَادِ قَصَائِدَ فِي مَدحِ النَّبِيِّ ﷺ فوقَ المَنَائِرِ قَبلَ الفَجرِ، وَفِي لَيلَةِ الجُمُعَةِ وَيَومهَا، وَبَعضِ صِيَغِ صَلَوَاتٍ عَلَىٰ الرَّسُولِ لَم تَرِدِ السنَّةُ بِهَا.

مِثلَ قَولِهِم: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَدَدَ مَا فِي عِلمِ اللهِ صَلاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ مُلكِ اللهِ».

وكَقَولِهِم: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ كلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَن ذِكرِكَ الغَافِلُونَ»! لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَىٰ الرَّسُولِ مِن أَجَلِّ القربَاتِ، كيفَ لَا وَقَد أَمَرَنَا بِهَا فِي كتَابِهِ المَجِيد، بِقَولِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وَالصِّيَغُ الوَارِدَةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ الرَّسُولِ مُدَوَّنَةٌ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ، لَا حَاجَةَ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٩)، وصححه العلامة الألباني في «ظلال الجنة» (٣٢).

الِاخْتِرَاعِ وَالِابْتِدَاعِ فِي صِيَغِهَا؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيهِ ﷺ عِبَادَةٌ، وَالعِبَادَةُ مَبنِيَّةٌ علَىٰ التَّوقِيفِ.

مِنْ صِيَغِ الصَّلاةِ عَلَىٰ الرَّسُولِ:

وَمِنَ الصِّيَغِ الوَارِدَةِ لِلصَّلَاةِ عَلَيهِ ﷺ مَا رَوَاهُ مُسلِمٌ عَنِ ابنِ نُمَيرٍ، عَن رَوحِ بنِ عُبَادَةَ، وَعَبدِ اللَّهِ بنِ نَافِعِ الصَّائِغِ، أَنَّهُم قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيفَ نُصَلِّي عَلَيكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كمَا صَلَّيتَ عَلَىٰ آلِ إِبرَاهِيمَ، وَبَارِك عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزوَاجِهِ وَذرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكتَ عَلَىٰ آلِ إِبرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيد مَجِيد»[1].

وَكَمَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ، قَالَ: قُلنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا السَّلامُ عَليكَ عَرَفنَاهُ، فَكَيفَ الصَّلَاةُ عَلَيكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبدِكَ وَرَسُولِكَ، كمَا صَلَّيتَ عَلَىٰ إِبرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكتَ عَلَىٰ آلِ إِبرَاهِيمَ»[2].

شُبهَةٌ لِلقُبُورِيِّينَ وَرَدُّهَا:

وَإِنَّمَا قُلنَا: يَجِبُ عَلَىٰ المُسلِمِ أن يُمَيِّزَ الفَرقَ بَينَ تَوحِيدِ الأُلُوهِيَةِ وَتَوحِيدِ الرُّبُوبِيةِ؛ لِأَنَّ المُوَحِّدَ إِذَا أَنكَرَ عَلَيهِم مَا يَأتُونَ من أَفَانِينِ العِبَادَاتِ، وَأَنوَاعِ التَّضَرُّعَاتِ لِتِلكَ القُبُورِ، وَقَالَ لَهُم: إِنَّ عَمَلَكُم هَذَا شِركٌ، غَضِبُوا وَقَالُوا: كَيفَ تَصِفُنَا بِالشِّركِ وَنَحنُ نَشهَد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِق المُحيِي المُمِيتُ، وَبِيَدِهِ النَّفعُ وَالضُّرُّ، وَإِلَيهِ المَرجِعُ وَالمَصِيرُ؟! وَغَايَةُ الأمرِ: أَنَّنَا نَجعَلُ هَؤُلَاءِ الأَنبِيَاءَ أَوِ الصُّلَحَاءَ شُفَعَاءَ يَشفَعُونَ لَنَا عِندَ اللَّهِ؛ لأَنَّنَا

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٩٨).

مُلَطَّخُونَ بِأَنجَاسِ الذُّنُوبِ، لَيسَ لَنَا قَدرٌ حَتَّىٰ نَطلُبَ مِنَ اللَّهِ أَن يَغفِرَ ذُنُوبَنَا، أَو يَقضِيَ حَاجَتَنَا، أَو يَدفَعَ ضُرَّنَا، فَنَستَشفِعَ بِهَؤُلَاءِ وَنَجعَلَهُم وُسَطَاءَ بَينَنَا وَبَينَ اللَّهِ، لِمَا نَعلَمُ مَا لَهُم مِنَ الجَاهِ وَالمَنزِلَةِ بِمَثَابَةِ الوَزِيرِ عِندَ المَلِكِ، حَيثُ إِنَّ أَفرَادَ الرَّعِيَّةِ لَا يَستَطِيعُونَ أَن يَصِلُوا إِلَىٰ المَلِكِ إِذَا حَلَّ بِهِم ظُلمٌ أَو كَارِثَةٌ، فَيَتَوَسَّلُونَ بِالوَزِيرِ أَوِ المُقَرَّبِ؛ لِيَشفَعَ لَهُم عِندَ المَلِكِ أَوِ السُّلطَانِ أَوِ الوَزِيرِ لِيَقضِيَ المَلِكُ حَوَائِجَهُم، أَو يَدفَعَ عَنهُمُ الظُّلمَ.

فَنَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الجُهَلَاءِ فِي الجَوَابِ:

أَوَّلًا: إِنَّ عَقِيدَتَكُم هِيَ عَقِيدَةُ المُشرِكِينَ بِذَاتِهَا، قَالَ اللَّهُ إِخبَارًا عَنِ المُشرِكِينَ السَّالِفِينَ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس: ١٨].

وَقَالَ اللَّهُ فِي آيَةٍ أُخرَىٰ إِخبَارًا عَنهُم: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

فَاعتِقَادُ أُولَئِكَ المُشرِكِينَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُم وَرَازِقُهُم... إِلَخ لَم يَنفَعهُم، وَلَم يَحقِن دِمَاءَهُم؛ لِأَنَّهُم عَبَدُوا الأَصنَامَ لِيُقَرِّبُوهُم إِلَىٰ اللَّهِ، وَلِيَشفَعُوا لَهُم، لَم يَعبُدُوهَا؛ لِأَنَّهَا خَالِقَةٌ وَرَازِقَةٌ وَمُدَبِّرَةٌ لِلأُمُورِ، وَلَا يَخفَىٰ هَذَا عَلَىٰ أَحَدٍ قَرَأَ القُرآنَ وَتَدَبَّرَهُ.

تَشبِيهُ الخَالِقِ بِالمَخلُوقِ:

وَثَانِيًا: إِنَّ هَؤُلَاءِ الجُهَلَاءِ قَد شَبَّهُوا الرَّبَّ العَظِيمَ بِالمَلِكِ البَشَرِيِّ.

قَد شَبَّهُوا رَبَّ العَالَمِينَ بِالسُّلطَانِ المَخلُوقِ مِن مَاءٍ مَهِينٍ.

قَد شَبَّهُوا أَعدَلَ العَادِلِينَ وَأَرحَمَ الرَّاحِمِينَ بِالمَلِكِ المَخلُوقِ الَّذِي قَد يَكُونُ مِن أَظلَمِ الظَّالِمِينَ.

قَد شَبَّهُوا اللهَ بِالمَخلُوقِ وَتَوَسَّلُوا إِلَيهِ بِالشُّفَعَاءِ وَالأَندَادِ، فَجَمَعُوا بَينَ الشِّركِ

وَالتَّشبِيهِ، وَلَم يَعلَمُوا أَنَّهُ لَا يُقَاسُ الإِلَهُ بِالمَخلُوقِ، وَلَا الرَّبُّ المَالِكُ بِالمَملُوكِ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجهِ الاختِصَارِ: أَنَّ المَلِكَ البَشَرِيَّ قَد لَا يَعلَمُ بِالظُّلمِ الوَاقِعِ عَلَىٰ ذَلِكَ المُتَوَسِّلِ بِالوَزِيرِ، أَو يَعلَمُ أَنَّ الظُّلمَ الوَاقِعَ مِن أَحَدِ أَبنَائِهِ أَو عَشِيرَتِهِ مِمَّن يُجَامِلُهُم وَلَا يُرِيدُ أَن يَجرَحَ عَوَاطِفَهُم! أَو أَن الظُّلمَ صَدَرَ مِنهُ عَلَىٰ ذَلِكَ.

فَأَنَّىٰ يُقَاسُ الخَالِقُ بِالمَخلُوقِ؟!

فَهَلِ اللهُ لَا يَعلَمُ بِالظُّلمِ الوَاقِعِ عَلَىٰ هَذَا العَبدِ؟! أَو لَا يَعلَمُ بِحَاجَتِهِ، أَو بِالضُّرِّ الَّذِي مَسَّهُ؟! وَهُوَ القَائِلُ: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

وَهَلِ اللهُ يَصدُرُ مِنهُ الظُّلمُ لِأَحَدٍ؟!

أَو لَهُ أَقرِبَاءُ يُنزِلُونَ ظُلمَهُم بِأَحَدٍ مِنَ العِبَادِ؟!

وَهَل لِلَّهِ وَزِيرٌ أَو مُعِينٌ أَو ظَهِيرٌ حَتَّىٰ يَتَوَسَّلَ إِلَيهِ العِبَادُ؛ لِيَشفَعَ لَهُم عِندَ اللهِ ذَلكَ الوَزِيرُ أَو المُعِينُ أَوِ الظَّهِيرُ؟!

فَمَا أَفسَدَ هَذَا القِيَاسَ وَأَخبَثَهُ! وَمَا أَجهَلَ هَؤلَاءِ وَأَكفَرَهم بِاللهِ.

لا وَاسِطَةَ بَينَ الخَالِقِ وَالمَخلُوقِ إِلَّا فِي تَبلِيغِ الشَّرَائِعِ:

وَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَىٰ وَاسِطَةٍ؟! وَاللهُ يَقُولُ: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

وَيَقُولُ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَالوَاسِطَةُ لِلتَّبلِيغِ هُمُ الرُّسُلُ - عَلَيهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ -، أَمَّا الوَاسِطَةُ فِي رَفعِ ضُرٍّ أَو جَلبِ نَفعٍ، فَتِلكَ عَقِيدَةُ المُشرِكِينَ!

كَيفَ تَكُونُ وَاسِطَةٌ بَينَ العَبدِ وَرَبِّهِ، وَقَد قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡعُونِىٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِى سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]. لَم يَقُلِ اللهُ: ادعُوا أَولِيَائِي، أَوِ ادعُوا أَنبِيَائِي، أَوِ استَغِيثُوا بِأَحِبَّائِي وَالصَّالِحِينَ مِن

عِبَادِي، بَل قَالَ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

وَقَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَفِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «مَن لَم يَسأَلِ اللَّهَ، يَغضب عَلَيهِ»[١]، كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ: «ادعُوا اللّه وَأَنتُم مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ»[٢]، وَلَم يَقُلِ الرَّسُولُ ﷺ: ادعُوا الأَنبِيَاءَ حَتَّىٰ يَطلُبُوا مِنَ اللَّهِ لَكُم، أَو تَوَسَّلُوا بِالأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ!

عَدمُ ثُبُوتِ التَّوَسُّلِ عَنِ النَّبِيِّ وَأَصحَابِهِ:

وَلِذَا لَم يَثبُتِ التَّوَسُّلُ عَنِ الأَنبِيَاءِ بَعضِهِم بِبَعضٍ، كَمَا لَم يَثبُت التَّوَسُّلُ عَنِ الصَّحَابَةِ بِالرَّسُولِ ﷺ، وَلَم يَثبُت عَنِ التَّابِعِينَ، وَلَا عَنِ الأَئِمَّةِ المُعتَبَرِينَ.

التَّوَسُّلُ قِسمَانِ: مَشرُوعٌ وَمَمنُوعٌ.

أَمَّا المَشرُوعِ، فَهُوَ قِسمَانِ أَيضًا:

القِسمُ الأَوَّلُ: هُوَ التَّوَسُّلِ بالإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُوله وَبِالأَعمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَم يَقَع فِي هَذَا خِلَافٌ بَينَ العُلَمَاءِ، سَوَاءَ كَانَ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ أَو بَعدَ مَوتِهِ.

القِسمُ الثَّانِي مِنَ المَشرُوعِ: التَّوَسُّلِ بِدُعَائِهِ ﷺ يَومَ كَانَ حَيًّا، بِأَن يَأتِي السَّائِلُ فَيَسأَلَ الرَّسُولَ ﷺ أَن يَطلُبَ لَهُ مِنَ اللَّهِ العَافِيَةَ، كَمَا طَلَبَ الأَعرَابِيُّ مِنَ الرَّسُولِ أَن يَستَسقِيَ لَهُم[٣]، وَكَمَا طَلَبَ الأَعمَىٰ مِنَ الرَّسُولِ أَن يَدعُوَ لَهُ بِرَدِّ بَصرِهِ- إِن صَحَّ حَدِيثُ الأَعمَىٰ، وَكَمَا طَلَبَتِ الجَارِيَةُ السَّودَاءُ- الَّتِي كَانَت تُصرَعُ- أَن يُعَافِيَهَا اللَّه، فَخَيَّرَهَا الرَّسُولُ بَينَ الصَّبرِ وَبَينَ أَن يَدعُوَ لَهَا، فَاختَارَتِ الصَّبرَ، وَسَأَلَتهُ أَن يَدعُوَ اللَّهَ أَلَّا تَتَكَشَّفَ عِندَمَا يَأتِيهَا الصَّرَعُ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٣)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٣) أخرجه البخاري (١٠١٣)، ومسلم (٨٩٧).

وَهَذَا التَّوَسُّلُ الَّذِي هُوَ بِدُعَائِهِ قَدِ انقَطَعَ بِمَوتِهِ ﷺ، فَلَا يَجُوزُ لِمُسلِمٍ أن يَأتِيَ قَبرَ رَسُولِ اللَّهِ، فَيَسأَلَهُ حَاجَةً، أو غُفرَانَ ذَنبٍ، أو كشفَ ضُرٍّ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ انقَطعَ المَطَرُ وَأَرَادَ عُمَرُ أن يَستَسقِيَ، وَطَلَبَ مِنَ العَبَّاسِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ أن يَدعُوَ لَهُم بِالاستِسقَاءِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أجدَبنَا نَتَوَسَّلُ إِلَيكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا»، ثُمَّ قَالَ: «قُم يَا عَبَّاسُ، فَادعُ اللَّهَ لَنَا»(١).

فَلَو كَانَ التَّوَسُّلُ بِالرَّسُولِ بَعدَ مَوتِهِ جَائِزًا، لَمَا عَدَلَتِ الصَّحَابَةُ عَنِ الرَّسُولِ إِلَىٰ العباسِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ، وَهَذَا مِنَ الوُضُوحِ بِمَكَانٍ لَا يَخفَىٰ إِلَّا عَلَىٰ مَن أعمَاهُ التَّعَصُّبُ وَالعِنَادُ، وَسَلَكَ سَبِيلَ أهلِ الضَّلَالِ وَالفَسَادِ.

وَلِزِيَادَةِ الإِيضَاحِ وَالبَيَانِ نُورِدُ لَكُم بَعضَ أدعِيَةِ الأَنبِيَاءِ- عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

أَدعِيَةُ الرُّسُلِ:

فَهَذَا أَبُونَا آدَمُ، لَمَّا اقتَرَفَ الخَطِيئَةَ، قَالَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

فَلَم يَتَوَسَّل أَبُونَا آدَمُ بِمُحَمَّدٍ كمَا زَعَمَ الزَّاعِمُونَ، وَأَورَدُوهُ حَدِيثًا عَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه!! قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا اقتَرَفَ آدَمُ الخَطِيئَةَ، قَالَ: يَا رَبِّ، أَسأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيفَ عَرَفتَ مُحَمَّدًا وَلَم أَخلُقه؟ قَالَ: يَا رَبِّ؛ لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَختَ فِيَّ مِن رُوحِكَ رَفَعتُ رَأسِي، فَرَأَيتُ عَلَىٰ قَوَائِمِ العَرشِ مَكتُوبًا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فَعَلِمتُ أَنَّكَ لَم تُضِف إِلَىٰ اسمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الخَلقِ إِلَيكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لَأَحَبُّ الخَلقِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠).

إِلَيَّ، ادعُنِي بِحَقِّهِ فَقَد غَفَرتُ لَكَ، وَلَولا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقتُكَ». رواه الحَاكِمُ فِي مُستَدرَكِهِ[(١)].

وَقَد أَجَابَ أَهلُ العِلمِ: أَنَّ الحَاكِمَ مُتَسَاهِلٌ فِي تَصحِيحِ الأَحَادِيثِ، حَتَّىٰ اتَّهَمَهُ بَعضُهُم بِسُوءِ العَقِيدَةِ، فَقَد قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي تَعلِيقِهِ عَلَىٰ «المُستَدرَكِ» فِي خُصُوصِ هَذَا الحَدِيثِ: إِنَّهُ حَدِيثٌ مَوضُوعٌ، فَلَا حُجَّةَ فِي مَوضُوعٍ؛ بَل وَلَا فِي ضَعِيفٍ.

وَإِذ سَمِعتُم دُعَاءَ آدَمَ ﷺ فَاسمَعُوا دُعَاءَ نُوحٍ، كَمَا أَخبَرَ اللَّهُ عَنهُ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

وَقَالَ اللهُ عَن إِبرَاهِيمَ ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١].

وَقَالَ اللَّهُ مُخبِرًا عَن أَيُّوبَ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وَعَن يُونُسَ لَمَّا التَقَمَهُ الحُوتُ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]

وَعَن زَكَرِيَّا: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

وَعَن يُوسُفَ ﷺ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٦١٥)، وقال العلامة الألباني في «الضعيفة» (٢٥): موضوع.

فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

وَأدعِيَةُ الرَّسُولِ ﷺ كثِيرةٌ مَبْثُوثَةٌ فِي كتبِ السُّنَّةِ، وَفِي كُتُبِ الأذكَارِ:

وَمنهَا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أسأَلُكَ العَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنيَايَ وَأَهلِي وَمَالِي وَبَدَنِي...»[١]. إِلَىٰ آخِرِ الدّعَاءِ.

وَمنهَا: دُعَاءُ سَيِّدِ الاستِغفَارِ المَشهُورِ[٢].

وَمنهَا: دُعَاءُ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَدعُوكَ كمَا أَمَرتَنَا، فَاستَجِب لَنَا كمَا وَعَدتَنَا، اللَّهُم اقسِم لَنَا مِن خَشيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَينَنَا وبَينَ مَعَاصِيكَ، وَمن طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَينَا مَصَائِبَ الدُّنيَا، اللَّهُم مَتِّعنَا بِأَسمَاعِنَا وَأَبصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحيَيتَنَا، وَاجعَلهُ الوارِثَ مِنَّا...»[٣] إلخ.

فَهَل يَستَطِيعُ أَحَدٌ مِن هَؤُلَاءِ أَن يَأتِيَ بِحَرفٍ مِنَ القُرآنِ، أَو مِنَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ عَلَىٰ مَشرُوعِيَّةِ التَّوَسُّلِ بِالصَّالِحِينَ أَو الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ، فَضلًا عَن الاستِغَاثَةِ بِالرَّسُولِ أَو بِغَيرِهِ؟ فَإِنَّ الاستِغَاثَةَ بغَيرِ اللهِ شِركٌ لَا رَيبَ فِيهَا، وَأَمَّا التَّوَسُّلُ فَهُو بِدعَةٌ، لَا كفرٌ.

وَمنَ الأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّ التَّوَسُّلَ يَكُونُ بِالأعمَالِ الصَّالِحَةِ، مَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ[٤]، عَنِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ انطَبَقَت عَلَيهِمُ الصَّخرَةُ، فَتَوَسَّلَ أَحَدُهُم بِبِرِّ وَالِدَيهِ، وَالثَّانِي تَوَسَّلَ بتَعَفُّفِهِ عَنِ الزِّنَا بَعدَ أَن جَلَسَ مِنَ المَرأَةِ مَجلِسَ الرِّجَالِ مِن النِّسَاءِ، وَالثَّالِثُ تَوَسَّلَ بِتَنمِيَةِ أَجرِ الأَجِيرِ بَعدَ أَن ذَهَبَ وَتَرَكَ أُجرَتَهُ، ثُم رَجَعَ بَعدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٧١) بنحوه، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

وَطَلَبَ أجرَتَهُ فَرَدَّهَا عَلَيهِ فَإِذَا هِيَ مَالٌ كَثِيرٌ.

وَأمَّا احتِجَاجُهُم بِآيَةِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

فَالجَوَابُ عَنهَا: أنَّ الوَسِيلَةَ هُنَا مَعنَاهَا: التَّقَرُّبُ إِلَىٰ اللّهِ بِالأعمَالِ الصَّالِحَةِ، أو بِأسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَمَّا بَيَّنَّا فِي التَّوَسُّلِ المَشرُوعِ، لَا كَمَا يَقولُ المُبتَدِعُونَ: أن نَجعَلَ الأنبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ شُفَعَاءَ وَوُسَطَاءَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا مِنَ الوَسَائِلِ المَأمُورِ بِهَا، وَيُفَسِّرُونَ الآيَةَ بِهَا، أو يَزعُمُونَ أنَّ الشَّفَاعَةَ ثَابِتَةٌ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَنَحنُ نَسألُهُ؛ لِأنَّ اللّهَ قَد مَنَحَهُ إِيَّاهَا.

إِثبَاتُ الشَّفَاعَةِ لِلرَّسُولِ:

وَأمَّا احتِجَاجُهُم بِثُبُوتِ الشَّفَاعَةِ لِنَبِيِّنَا ﷺ، فَالجَوَابُ:

لا رَيبَ أنَّ لِلرَّسُولِ ﷺ شَفَاعَاتٍ مُتَعَدِّدَةً:

أعظَمُهَا: الشَّفَاعَةُ العُظمَىٰ يَومَ القِيَامَةِ لِإِرَاحَةِ النَّاسِ مَن عَنَاءِ المَوقِفِ العَظِيمِ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ مَخصُوصَةٌ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَلَهُ شَفَاعَةٌ أُخرَىٰ فِي إِخرَاجِ بَعضِ مَن دَخَلَ النَّارَ مِنَ المُوَحِّدِينَ، وَأُخرَىٰ فِي رَفعِ دَرَجَاتِ المُؤمِنِينَ فِي الجَنَّةِ، وَلَكِنَّ اعتِقَادَنَا بِثُبُوتِ الشَّفَاعَةِ لَهُ، لَا يُسَوِّغُ لِلمُسلِمِ اتِّكَالًا عَلَىٰ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ أن يَسأَلَ رَسُولَ اللّهِ فِي الدُّنيَا شَفَاعَتَهُ، أو غُفرَانَ ذُنُوبِهِ؛ كَأن يَقُولَ: يَا مُحَمَّدُ، اشفَع لِي، يَا مُحَمَّدُ، اغفِر لِي ذَنبِي، أدرِكنِي، أستَجِيرُ بكَ مِمَّن ظَلَمَنِي، أو أسألُكَ يَا مُحَمَّدُ الشَّفَاعَةَ.. فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لا يَجُوزُ.

بَل يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارزُقنِي شَفَاعَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ شَفِّع فِيَّ مُحَمَّدًا. أو يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحرِمنِي مِنَ شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ، فَإِذَا لَم يَجُز لِلإِنسَانِ أن يَقُولَ مُخَاطِبًا الرَّسُولَ ﷺ: اشفَع لِي، أو أغِثنِي، أو أستَجِيرُ بِكَ؛ فَأولَىٰ ألَّا يَجُوزَ بِغَيرِهِ مِنَ الأولِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَلَا يُغتَرَّ بِقَولِ بَعضِ الشُّعَرَاءِ:

يَا أَكْرَمَ الخَلقِ مَا لِي مَن أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ عِندَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ

فَإِنَّ هَذَا الكَلَامَ شِرْكٌ وَضلَالٌ، وَلَكِنَّ اللهَ أَعلَمُ بِقَائِلِهِ، هَل مَاتَ عَلَىٰ هَذَا أَو تَابَ؟

يَقُولُ: مَا لِي مَن أَلُوذُ بِهِ، وَنَقُولُ لَهُ:

لُذْ بِالإِلَهِ وَلا تَلُذْ بِسِوَاهُ مَن لاذَ بِالمَلِكِ الجَلِيلِ كَفَاهُ

حُجَجُ المُبتَدِعَةِ فِي جوَازِ التَّوَسُّلِ وَالاستِغَاثَةِ:

وَقَد كَثُرَ فِي كَلَامِ بَعضِ الشُّعَرَاءِ مِنَ الِاستِغَاثَاتِ وَالنِّدَاءَاتِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلغَيرِهِ، كَمَا كَثُرَ فِي كَلَامِ المُتَأَخِّرِينَ مِنَ التَّوَسُّلَاتِ وَالاستِغَاثَاتِ، وَتَجوِيزِهِم لَهُمَا بِشُبَهٍ وَاهِيَةٍ، لَيسَ عَلَيهَا شُبهَةُ الصَّوَابِ، فَضلًا عَنِ الحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ.

١- مِثلُ احتِجَاجِهِم عَلَىٰ التَّوَسُّلِ بِحَدِيثِ آدَمَ السَّابِقِ ذِكرُهُ.

٢- وَبِحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيكَ، وَبِحَقِّ مَمشَايَ إِلَيكَ».

٣- وَبِحَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنتِ أَسَدٍ الَّذِي رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، قَالَ: «لَمَّا مَاتَت فَاطِمَةُ بِنتُ أَسَدِ بنِ هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ - وَكَانَت قَد رَبَّتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَلَس عَندَ رَاسِهَا، وَقَالَ: «رَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّي بَعدَ أُمِّي» - إِلَىٰ أَن قَالَ لَمَّا أَدخَلَهَا اللَّحدَ: «اللَّهُمَّ اغفِر لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنتِ أَسَدٍ وَوَسِّع لَهَا مُدخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالأَنبِيَاءِ الَّذِينَ مِن قَبلِي، فَإِنَّكَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ».

٤- وَمِثلُ احتِجَاجِهِم عَلَىٰ جَوَازِ الاستِغَاثَةِ بِقَولِهِ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ: ﴿فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

٥- وَبِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤].

٦- وَبِمِثلِ قَولِهِم: «لَا فَرقَ بَينَ الأَحيَاءِ وَالأَموَاتِ، فَإِذَا جَازَ التَّوَسُّل بِالنَّبِيِّ حَيًّا جَازَ بِهِ مَيِّتًا، لِأَنَّهُ حَيٌّ فِي قَبرِهِ، وَهَكَذَا سَائِرُ الأَنبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الأَنبِيَاءَ أَعلَىٰ مَقَامًا مِنَ

الشُّهَدَاءِ، وَالشُّهَدَاءُ قَد قَالَ اللَّهُ فِيهِم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[آل عمران: ١٦٩].

٧- بِمَا يَرْوُونَهُ مِن حَدِيثِ: «إِذَا أَعيَتكُمُ الأُمُورُ فَعَلَيكُم بِأَهلِ القُبُورِ».

٨- وَحَدِيثِ: «تَوَسَّلُوا بِجَاهِي، فَإِنَّ جَاهِي عِندَ اللَّهِ عَظِيم!».

إِلَىٰ غَيرِ ذَٰلِكَ مِنَ الِاحتِجَاجَاتِ الوَاهِيَةِ السَّمِجَةِ البَارِدَةِ، الَّتِي تَستَوجِب الضَّحِكَ عَلَيهِم وَالرِّثَاءَ لِحَالِهِم.

الرَّدُّ عَلَىٰ حُجَجِ الْمُبتَدِعِينَ وَتفنيدُهَا:

وَإِلَىٰ القَارِئِ الجَوَابُ عَن تِلكَ الشُّبَهِ، فَنَقُولُ:

أَوَّلًا: لِيَعلَمِ القَارِئُ أَنَّ التَّوَسُّلَ بِدعَةٌ لَيسَ بِكُفرٍ، وَإِنَّمَا الكُفرُ هوَ الاستِغَاثَةُ بِرَسُولِ اللَّهِ أَوْ بِغَيرِهِ، كَمَا مَرَّ غَيرَ مَرَّةٍ.

وَثَانِيًا: لَيسَ فِي التَّوَسُّلِ بِالأَموَاتِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَو حَسَنٌ، وَكُلُّ مَا وَرَدَ إِمَّا ضَعِيفٌ وَإِمَّا مَوضُوعٌ.

١- فَأَمَّا حَدِيثُ الاحتِجَاجِ بِتَوَسُّلِ آدَمَ؛ فَقَد سَبَقَ الجَوَابُ عَنه.

٢- وَأَمَّا حَدِيثُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِحَقِّ السَّائلينَ»[1]؛ فَإِنَّهُ ضَعِيف.

قَالَ الحَافِظُ الهَيثَمِيُّ فِي «مَجمَعِ الزَّوَائِدِ»: هَذَا إِسنَادٌ مُسَلسَلٌ بِالضُّعَفَاءِ: عَطِيَّةُ وَهُوَ العَوفِيُّ، وَالفُضَيلُ بنُ مَرزُوقٍ، وَالفَضلُ بنُ المُوَفَّقِ، كُلُّهُم ضُعَفَاءُ، وَعَلَىٰ تَسلِيمِ أَنَّهُمُ اختَلَفُوا فِي الفُضَيلِ بنِ مَرزُوقٍ: فَضَعَّفَهُ ابنُ حِبَّانَ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبُو حَاتِمٍ، وَوَثَّقَهُ ابنُ مَعِينٍ، وَقَالَ ابنُ حِبَّانَ فِيهِ: يَروِي عَن عَطِيَّةَ العَوفِيِّ المَوضُوعَاتِ، وَهُوَ فِي هَذَا الحَدِيثِ عَن عَطِيَّةَ العَوفِيِّ؛ فَإِنَّ الجَرحَ مُقَدَّم عَلَىٰ التَّعدِيل.

عَلَىٰ أَنَّنَا لَو سَلَّمنَا بِصِحَّةِ الحَدِيثِ؛ فَإِنَّا لَا نُسَلِّمُ أَنَّ حَقَّ السَّائِلِينَ مَخلُوقٌ؛ إِذ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٧٨)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٥٧١).

حَقُّهُم هُوَ إِجَابَةُ اللَّهِ وَإِعطَاؤُهُم سُؤَالَهُم، وَهُمَا صِفَتَانِ لَهُ تَعَالَىٰ، فَحَقُّ الخَلقِ قَد يَكُونُ صِفَةً مِن صِفَاتِ اللهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

٣-وَالجَوَابُ عَن حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنتِ أَسَدٍ: أَنَّهُ ضَعِيفٌ أَيضًا، فَإِنَّ فِيهِ رَوحَ بنَ صَالِحٍ المِصرِيَّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَعَلَىٰ فَرضِ تَسلِيمِ صَحَّتِهِ، فَحَقُّ الأَنبِيَاءِ غَيرُ مَخلُوقٍ كَمَا قَدَّمنَا فِي حَدِيثِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ»؛ بَل إِنَّهُ صَفَةٌ مِن صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، وَهوَ نُصرَتُه لِلأَنبِيَاءِ، وَإِرضَاؤُهُم وَإِعلاؤُهُم عَلَىٰ أَعدَائِهِم.

٤- وَأَمَّا احتِجَاجُهُم عَلَىٰ الاستِغَاثَةِ بِقَولِهِ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص: ١٥] فَمَا أَسمَجَهُ مِنَ استِدلَالٍ وَمَا أَبرَدَهُ!! لِأَنَّهَا استِغَاثَةُ حَيٍّ بِحَيٍّ فِيمَا يَقدِرُ عَلَيهِ، وَلَيسَ فِي هَذَا خِلَافٌ، عَلَىٰ أَن فِعلَ الرَّجُلِ الإِسرَائِيلِيِّ لَيسَ بِحُجَّةٍ، وَإِجَابَةُ مُوسَىٰ لَهُ وَتَقرِيرُهُ عَلَيهِ لَيسَ بِحُجَّةٍ؛ لِأَن ذَلِكَ قَبلَ أَن يُوحَىٰ إِلَيهِ، وَسُكُوتُ الأَنبِيَاءِ قَبلَ بَعثَتِهِم لَا يَدُلُّ عَلَىٰ جَوَازِ المَسكُوتِ عَنهُ. وَبَعدَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَيسَ هُوَ فِي شَرِيعَتِنَا.

٥-وَأَمَّا احتِجَاجُهُم بِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ [النساء: ٦٤]

فَالجَوَابُ: أَنَّ غَايَتَهَا تَعلِيقُ غُفرَانِ ذُنُوبِهِم عَلَىٰ مَجِيئِهِم إِلَيهِ ﷺ وَاستِغفَارِهِمُ اللَّهَ، وَاستِغفَارِ الرَّسُولِ لَهُم، وَأَنَّهُم لِيمُوا عَلَىٰ تَركِ ذَلِكَ، وَلَيسَ فِيهَا أَنَّهُم طَلَبُوهُ وَلَا أُمِرُوا أَن يَطلُبُوه.

وَثَانِيًا: أَنَّ الآيَةَ مُعَلِّقَةٌ ذَلِكَ عَلَىٰ إِتيَانِهِ ﷺ وَإِتيَانُهُ غَيرُ مُتَأَتٍّ بَعدَ مَوتِهِ؛ إِذ لَا يُمكِنُ إِلَّا إِتيَانُ قَبرِهِ، وَمَن أَتَىٰ القَبرَ لَا يُقَالُ أَنَّهُ أَتَىٰ صَاحِبَ القَبرِ إِلَّا عَلَىٰ سَبِيلِ التَّسَامُحِ وَالتَّجَوُّزِ.

ثَالِثًا: هِيَ وَاقِعَةٌ مُعَيَّنَةٌ لَا تُفِيدُ العُمُومَ بِمَعنَاهَا وَلَا لَفظِهَا، وَقَعَت فِي حَيَاتِهِ ﷺ فَمَن أَينَ أَخَذُوا التَّعمِيمَ فِي الحَيَاةِ وَالمَمَاتِ؟

وَلَو دَلَّت عَلَىٰ العُمُومِ فِي الحَيَاةِ وَالمَمَاتِ لَكَانَت مُخَصَّصَةً وَمَقصُورَةً عَلَىٰ الحَيَاةِ، وَدَلِيلُ التَّخصِيصِ: الأَخبَارُ الشَّرعِيَّةُ الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الأَموَاتَ لَا يَسمَعُونَ وَلَا يُجِيبُونَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢]. وَفِي الحَدِيثِ الَّذِي رواه مُسلِمٌ: «إِذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدعُو لَهُ، أَو عِلمٍ يُنتَفَعُ بِهِ»[١].

وَلِأَنَّ الصَّحَابَةَ وَمَن بَعدَهُم مَا فَهِمُوا شُمُولَهَا لِلمَوتِ، وَلِذَا لَم يَدعُوهُ ﷺ بَعدَ المَوتِ، وَلَم يَأتِ إِلَينَا أَنَّهُم دَعَوهُ بَعدَ المَوتِ، كَمَا قَد أَتَىٰ إِلَينَا أَنَّهُم سَأَلُوهُ الدُّعَاءَ فِي حَيَاتِهِ ﷺ.

حَدِيث القَلِيبِ:

تَعَلَّقَ القُبُورِيونَ المُبتَدِعُونَ بِحَدِيثِ القَلِيبِ: أَنَّ المَوتَىٰ يَسمَعونَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَجَابَ عُمَرَ: «مَا أَنتُم بِأَسمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنهُم»[٢]، وَبِحَدِيثِ: «وَإِنَّهُ لَيَسمَعُ الآنَ قَرعَ نِعَالِهِم إِذ أَتَاهُ المَلَكَانِ»[٣].

فَاحتَجُّوا عَلَىٰ سَمَاعِ الأَموَاتِ بِهَذَينِ الحَدِيثَينِ، وَإِذَا كَانُوا يَسمَعونَ: فَيُجِيبون الدَّاعِينَ لَهُم! وَالمُستَغِيثِينَ بِهِم، فَيَقضُونَ حَوَائِجَهُم، وَيَنَالُ المُستَغِيثُ بُغيَتَهُ وَالطَّالِبُ مِنهُم ضَالَّتَهُ وَقَصدَهُ، كَمَا استَدلُّوا بِذَينِك الحَدِيثَينِ عَلَىٰ نَدبِ قِرَاءَةِ الأَحيَاءِ عَلَىٰ قُبُورِ المَوتَىٰ.

وَالجَوَابُ: أَنَّ حَدِيثَ القَلِيبِ وَقَعَ مُعجِزَةً لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَخَوَارِقُ العَادَاتِ لَا يقاسُ عَلَيهَا، فَكَيفَ وَاللّهُ يَقُولُ: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٠)، ومسلم (٢٨٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

وَأَمَّا الحَدِيثُ الثَّانِي؛ فَالجَوَابُ: أَنَّهُ مُقَيَّد بِتِلكَ السَّاعَةِ الَّتِي سَيَأتِيهِ المَلَكَانِ، وَلَيسَ سَمَاعُهُ فِي كُلِّ وَقتٍ، وَإِذَا أَرَدتَ هَذَا البَحثَ مَبسُوطًا لِتَروِيَ غَلِيلَكَ وَتَشفِيَ عَلِيلَكَ فَارجِع إِلَىٰ رِسَالَةِ: «الآيَاتِ البَيِّنَاتِ فِي عَدَمِ سَمَاعِ الأَموَاتِ» لِلعَلَّامَةِ الأَلُوسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦- وَأَمَّا قَولُهُم: لَا فَرقَ بَينَ الأَحيَاءِ وَالأَموَاتِ فِي جَوَازِ التَّوَسُّلِ وَالاستِغَاثَةِ، وَمَا ثَبَتَ لِأَحَدِ المِثلَينِ ثَبَتَ لِلآخَرِ، وَقَد ثَبَتَت حَيَاةُ الأَنبِيَاءِ فِي قُبُورِهِم؛ لِأَنَّهُم أَعلَىٰ مَقَامًا مِنَ الشُّهَدَاءِ؛ فَجَازَتِ الاستِغَاثَةُ وَالتَّوَسُّلُ بِهِم وَبِالشُّهَدَاءِ وَالأَولِيَاءِ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذِهِ المَقَالَةَ مُصَادِمَةٌ لِلقُرآنِ صَرِيحًا؛ لِأَنَّ القُرآنَ يَقُولُ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

وَيَقُولُ: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الروم: ٥٢].

فَسُبحَانَ اللَّهِ الَّذِي أَعمَىٰ بَصَائِرَ هَؤُلَاءِ القُبُورِيِّينَ الدَّجَاجِلَةِ المُضِلِّينَ حَتَّىٰ سَوَّوا بَينَ الأَحيَاءِ وَالمَيِّتِينَ!

بَل قَالُوا: إِنَّ الأَروَاحَ بَعدَ مُفَارَقَةِ الأَجسَامِ بَاقِيَةٌ وَتَتَصَرَّفُ التَّصَرُّفَ التَّامَّ!

فَعَلَىٰ عُقُولِهِم العَفَاءُ وَالدَّمَارُ، فَمَا أَجهَلَ هَؤُلَاءِ وَمَا أَكفَرَهُم! فَلَو كَانُوا أَحيَاءً - كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ - لَمَا جَازَ دَفنُهُم وَتَقسِيمُ أَموَالِهِم وَتَزَوُّجُ نِسَائِهِم - بِالنِّسبَةِ لِغَيرِ الرَّسُولِ ﷺ.

وَإِنَّا نَرَىٰ المَيِّتَ يُهَانُ وَيُوطَأُ، وَهُوَ لَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يَدفَعُ عَن نَفسِهِ، أَتَرَاهُ رَضِيَ لَهَا الهَوَانَ؟! وَلَا أَظُنُّ أَنْ سَمِعَ النَّاسُ أَبطَلَ مِن هَذَا الكَلَامِ، وَأَفسَدَ مِن هَذَا القِيَاسِ.

٧- وَقَولُهُم: إِنَّ الأَروَاحَ تَتَصَرَّفُ بَعدَ مُفَارَقَةِ الأَجسَامِ؛ لِأَنَّهَا حَيَّةٌ؛ فَكَلَامٌ بَاطِلٌ.

وَأَيُّ تَصَرُّفٍ لَهَا؟ وَهَل يَلزَمُ مِن حَيَاتِهَا أَن تَكُونَ قَادِرَةً مُجِيبَةً لِلمُستَغِيثِينَ

وَالسَّائِلِينَ؟

وَلَو جَازَ لَنَا أَن نَستَغِيثَ بِهَؤُلَاءِ؛ لِأَنَّهُم أحيَاءٌ، جَازَ لَنَا أَن نَستَغِيثَ بِالمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَا خِلَافَ فِي حَيَاتِهِم، وَبِالحُورِ وَالوِلدَانِ، وَبِأَروَاحِ الكُفَّارِ، وَبِالجَانِّ؛ لِأَنَّهُم أَحيَاءٌ، سُبحَانَكَ هَذَا بُهتَانٌ عَظِيمٌ! لَا يَقُولُ هَذَا إِلَّا مَن سَفِهَ نَفسَهُ، وَتَجَرَّدَ مِن عَقلِهِ، اللَّهُمَّ اهدِنَا إِلَىٰ صرَاطِ الحَقِّ وَالطَّرِيقِ المستَقِيمِ.

٨- وَأَمَّا حَدِيثُ: «إِذَا أَعيَتكُمُ الأُمُورُ..» فَإِنَّهُ مَكذُوبٌ، وَمن وَضعِ الزَّنَادِقَةِ الَّذِينَ قَصَدُوا إِفسَادَ الدِّينِ.

٩- وَحَدِيثُ: «تَوَسَّلُوا بِجَاهِي» مَوضُوع، لَم يَختَلِف فِي وَضعِهِ اثنَانِ.

وَلَا رَيبَ عِندَ المُسلِمِينَ جَمِيعِهِم، أَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَاهًا عَظِيمًا وَمَقَامًا مَحمُودًا، وَأَنَّهُ أَفضَلُ الوَرَىٰ وَخَاتَمُ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ.

وَلَكِنَّ هَذَا لَا يُسَوِّغُ لَنَا التَّوَسُّلَ وَالاستِغَاثَةَ بِهِ؛ وَإِن كَانَ الأَنبِيَاءُ أَحيَاءً فِي قُبُورِهِم حَيَاةً بَرزَخِيَّةً لَا يَعلَمُهَا إِلَّا اللهُ؛ لِأَنَّ الحَيَاةَ البَرزَخِيَّةَ لَا تُقَاسُ بِالحَيَاةِ الدُّنيَا، وَلَا تُعطَىٰ أَحكَامَهَا، فَإِذَا جَازَ أَن نَسأَلَهُ ﷺ فِي حَيَاتِهِ الدُّعَاءَ، بِأَن يَطلُبَ لَنَا مِنَ اللَّهِ قَضَاءَ حَاجَةٍ أَو غُفرَانَ ذَنبٍ، فَلَا يَجُوزُ بَعدَ مَمَاتِهِ أَن نَسأَلَهُ قِيَاسًا عَلَىٰ حَيَاتِهِ الدُّنيَوِيَّةِ.

وَأَينَ هَؤُلَاءِ مِنَ الآيَاتِ القُرآنِيَّةِ الَّتِي تُنَادِي بِأَن لَيسَ لِغَيرِ اللَّهِ أَمرٌ أَو تَصَرُّفٌ، أَو قُدرَةٌ فِي دَفعِ ضُرٍّ، أَو جَلبِ نَفعٍ، سَوَاءٌ أَكَانَ نَبِيًّا أَم غَيرَهُ، كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

وَقَولِهِ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢١، ٢٢].

وَقَولِهِ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ

لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

إِلَىٰ غَيرِ ذَٰلِكَ مِنَ الآيَاتِ الَّتِي فِيهَا الخِطَابُ لِلرَّسُولِ ﷺ مُبَيِّنًا أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ النَّفعُ وَالضُّرُّ هُوَ اللَّهُ وَحدَهُ لَا غَيرُ، وَأَنَّ المَعبُودَاتِ مِن دُونِ اللَّهِ لَا تُغنِي شَيئًا، وَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَعَ أَنَّهُ سَيِّدُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَإِمَامُ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ لَا يَملِكُ لِنَفسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفعًا، فَضلًا عَن غَيرِهِ.

وَقَد ثَبَتَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَت آيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]: «يَا بَنِي كَعبِ بنِ لُؤَيٍّ، أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبدِ شَمسٍ، أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبدِ مَنَافٍ، أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبدِ المُطَّلِبِ، أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ بِنتَ مُحَمَّدٍ، أَنقِذِي نَفسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لا أَملِكُ لَكُم مِنَ اللهِ شيئًا»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ، اشتَرُوا أَنفُسَكُم مِنَ اللَّهِ، فَإِنِّي لا أُغنِي عَنكُم مِنَ اللَّهِ شَيئًا، يَا بَنِي عَبدِ المُطَّلِبِ، لا أُغنِي عَنكُم مِنَ اللَّهِ شَيئًا، يَا عَبَّاسُ بنَ عَبدِ المُطَّلِبِ لا أُغنِي عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لا أُغنِي عَنكِ مِنَ اللَّهِ شَيئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنتَ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِينِي مِن مَالِي مَا شِئتِ، لا أُغنِي عَنكِ مِنَ اللَّهِ شَيئًا».

وَقَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: نَخُصُّكَ بِالعِبَادَةِ وَلَا نَعبُدُ سِوَاكَ، وَنَستَعِينُ بِكَ فِي أُمُورِ الدُّنيَا وَالدِّينِ، وَلَا نَستَعِينُ بِأَحَدٍ غَيرِكَ.

وَحَدِيثُ: «إِذَا سَأَلتَ فَاسأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا استَعَنتَ فَاستَعِن بِاللَّهِ»(٢).

لَو تَدَبَّرَ هَؤُلَاءِ المُبتَدِعُونَ تِلكَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثَ، وَرَاجَعُوا تَفَاسِيرَ الأَئِمَّةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦).

(٢) تقدم تخريجه.

المُحَقِّقِينَ لِتِلكَ الآيَاتِ، وَشُرُوحَ تِلكَ الأَحَادِيثِ شُرُوحَ الأَجِلَّاءِ المُعتَبَرِينَ؛ لَعَلِمُوا أَنَّ تَوَسُّلَاتِهِم بِالرَّسُولِ، أو بِالأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ لَيسَ لَهَا أَصلٌ فِي الدِّينِ، وَأَنَّ الاستِغَاثَةَ وَالاستِعَانَةَ بِهِم مِن الشِّركِ وَالكُفرِ المُبِينِ.

٣- تَوحِيدُ الأَسمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

وَهُوَ أَنْ يَعتَقِدَ العَبدُ اعتِقَادًا جَازِمًا أَنَّ مَا أَخبَرَ بِهِ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، مِن أَوصَافِهِ العُليَا وَأَسمَائِهِ الحُسنَى، وَكَذَا مَا جَاءَت بِهِ الأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ مِن أَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، هِيَ كَمَا تَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبرِيَائِهِ. فَمِن تِلكَ الصِّفَاتِ:

صِفَةُ الحَيَاةِ لَهُ جل جلاله، كَمَا قَالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، وآل عمران: ٢].

وَصِفَةُ العِلمِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤].

وَصِفَةُ الإِرَادَةِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢].

وَالقُدرَةِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢١﴾ [الفتح: ٢١]

وَالسَّمعِ وَالبَصَرِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ١٣٤﴾ [النساء: ١٣٤]

وَالكَلَامِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]

وَقَولِهِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وَالرَّحمَةِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾.

وَصِفَةِ الحُبِّ؛ لِقَولِهِ: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَاليَدَينِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص ٧٥].

وَالوَجهِ؛ لِقَولِهِ: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَالاستِوَاءِ عَلَىٰ العَرشِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فِي سَبعِ آيَاتٍ مِنَ القُرآنِ.

وَالنُّزُولِ، لِلحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «يَنزِلُ رَبُّنَا كلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا، فَيُنَادِي: هَل مِن مُستَغفِرٍ فَأَغفِرَ لَهُ؟ هَل مِن سَائِلٍ فَأُعطِيَهُ؟ هَل مِن تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيهِ؟»(١).

إِلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا نَستَطِيعُ حَصرَهَا فِي عِشرِينَ صِفَةً، وَحَصرُهَا فِي عِشرِينَ مِن مُبتَدَعَاتِ الخَلَفِ، بَل وَلَا حَصرُهَا فِي أَكثَرَ مِن عِشرِينَ؛ إِنَّمَا الوَاجِبُ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا وَرَدَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ مِن صِفَاتِ اللَّه وَأَسمَائِهِ، إِثبَاتًا بِلا تَمثِيلٍ، وَتَنزِيهًا بِلَا تَعطِيلٍ.

وَالقَولُ الشَّامِلُ فِي هَذَا البَابِ: أَن يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ، أَو وَصَفَهُ بِهِ رَسولُهُ ﷺ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ، لَا يُتَجَاوَزُ القُرآنُ وَالحَدِيثُ، فَمَذهَبُ السَّلَفِ حَقٌّ بَينَ بَاطِلَينِ، بَينَ بَاطِلِ التَّمثِيلِ وَبَاطِلِ التَّعطِيلِ، فَالمُشَبِّهُ يَعبُدُ صَنَمًا، وَالمُعَطِّلُ يَعبُد عَدَمًا، وَالمُوَحِّدُ يَعبُدُ إِلَهَ الأَرضِ وَالسَّمَاءِ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١]، فَصدرُ الآيَةِ تَنزِيهٌ لِلَّهِ عن مُمَاثَلَةِ المَخلُوقَاتِ، وَرَدٌّ عَلَىٰ المُشَبِّهَةِ، وَآخِرُ الآيَةِ إِثبَاتُ صِفَتَيِ السَّمعِ وَالبَصَرِ فِي قَولِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ وَرَدٌّ عَلَىٰ المُعَطِّلَةِ، فَالسَّلَفُ الصَّالِح لَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اللَّهِ بِصِفَاتِ خَلقِهِ، كَمَا لَا يُمَثِّلُونَ ذَاتَهُ بِذَاتِ خَلقِهِ.

فَالكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ فَرعٌ عَنِ الكَلَامِ فِي الذَّاتِ، فَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ المُقَدَّسَةَ لَا تُشبِهُ ذَوَاتَ المَخلُوقِينَ، فَصِفَاتُهُ لَا تُشبِهُ صِفَاتِ المَخلُوقِينَ.

فَإِذَا قُلنَا: لِلَّهِ عِلمٌ وَلِلمَخلُوقِ عِلمٌ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ المَجِيدِ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩، والأنعام: ١٠١، والحديد: ٣]، وَقَالَ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

وَقَالَ فِي حَقِّ المَخلُوقِ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: ٢٨].

وَقَالَ عَن نَبِيِّهِ يُوسُفَ: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: ٥٥].

فَلَا شَكَّ أَنَّ لَيسَ عِلم اللهِ كَعِلمِ يوسفَ أو إِسحاقَ عليهما السلام.

وَوَصف نَفسَهُ بِالرَّأفَةِ وَالرَّحمَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧]، وَقَالَ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وَقَالَ فِي حَقِّ الرَّسُولِ ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، فَلَيسَت رَحمَةُ الله كرَحمَةِ المَخلُوقِ، وَلَا رَأفَتُهُ كَرَأفَةِ المَخلوقِ.

وَوَصَفَ نَفسَهُ بالسَّمعِ وَالبَصَرِ فِي غَيرِ مَا آيَةٍ مِن كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾، وَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وَقَالَ فِي حَقِّ المَخلُوقِ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢].

وَنَحنُ لَا نَشُكُّ أَنَّ مَا فِي القُرآنِ حَقٌ، فَلِلَّهِ سَمعٌ وَبَصَرٌ حَقِيقِيَّانِ لائِقَانِ لِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، كَمَا أَنَّ لِلمَخلُوقِ سَمعًا وَبَصَرًا حَقِيقِيَّيْنِ مُنَاسِبَيْنِ لِحَالِهِ مِن فَقرِهِ وَفَنَائِهِ.

وَبَينَ سَمعِ وَبَصَرِ الخَالِقِ، وَسَمعِ وَبَصَرِ المَخلُوقِ، كَمَثَلِ مَا بَينَ ذَاتِ الخَالِقِ وَالمَخلُوقِ.

وَوَصَفَ نَفسَهُ بِالحَيَاةِ، فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، وآل

عمران: ٢]، وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥].

وَوَصَفَ بَعضَ المَخلُوقِينَ بِالحَيَاةِ، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: ١٥].

فَلَيسَت حَيَاةُ الخَالِقِ كَحَيَاةِ المَخلُوقِ.

وَقَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وَقَالَ فِي حَقِّ المَخلُوقِ: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ فَلَيسَ استِوَاؤُهُ كَاستِوَاءِ السَّفِينَةِ عَلَىٰ الجودِيِّ.

وَالحَاصِلُ: أَنَّا لَا نَتَعَدَّىٰ القُرآنَ وَالحَدِيثَ، وَلَا نُؤَوِّلُ صِفَاتِ اللهِ الوَارِدَةَ فِي الوَحيَينِ بِتَأوِيلاتِ الجَهمِيَّةِ وَالمُعتَزِلَةِ القَائِلِينَ: إِنَّ اليَدَ بِمَعنَىٰ: النعمَةِ، وَالاستِوَاءَ بِمَعنَىٰ: الاستِيلَاءِ، وَالوَجهَ بِمَعنَىٰ: الذَّاتِ، وَالرَّحمَةَ بِمَعنَىٰ: التَّفَضُّلِ، وَنُزُولَهُ بِمَعنَىٰ: نُزُولِ أَمرِهِ أَو رَحمَتِهِ، أَو مَلَائِكَتِهِ، وَمَا أَشبَهَ ذَٰلِكَ مِنَ التَّأوِيلَاتِ الفَاسِدَةِ، التَّابِعَةِ مِن مَنَابِعِ الفَلسَفَةِ وَالهَوَىٰ.

تِلكَ التَّأوِيلَاتُ الَّتِي تَئُولُ بِالإِنسَانِ إِلَىٰ الكُفرِ، وَتَجعَلُ الشَّرِيعَةَ أُلعُوبَةً بِأَيدِي المُبطِلِينَ وَالهَدَّامِينَ، بِحَيثُ إِنَّهُ لَا يُرِيدُ مُبطِلٌ أَن يَهدِمَ عَقِيدَةً أَو حُكمًا شَرعِيًّا، إِلَّا وَقَد أَتَىٰ مِن بَابِ التَّأوِيلِ، وَكَفَىٰ بِهَذَا قُبحًا وَضَلَالًا.

وَعَلَىٰ اعتِقَادِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفسَهُ، أَو وَصَفَهُ رَسُولُهُ، بِمَا أَتَىٰ فِي القُرآنِ وَالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مِن غَيرِ تَمثِيلٍ وَلَا تَكيِيفٍ وَلَا تَعطِيلٍ، مَضَىٰ عَصرُ الرَّسُولِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِم مِنَ الأَئِمَّةِ المُعتَبَرِينَ، كَالإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَالإِمَامِ مَالِكٍ، وَالإِمَامِ أَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ، وَالبُخَارِيِّ، وَمُسلِمٍ، وَالتِّرمِذِيِّ، وَالنَّسَائِيِّ، وَأَبِي داودَ، وَالثَّورِيِّ، وَابنِ عُيَينَةَ، وَغَيرِهِم مِنَ المُحَدِّثِينَ وَالفُقَهَاءِ المُعتَبَرِينَ، وَالصُّوفِيَةِ المُحِقِّينَ؛ كَالجُنَيدِ وَالجِيلَانِيِّ وَأَبِي نُعَيمٍ، وَاللُّغَوِيِّينَ

الْمُحَقِّقِينَ، كَالخَلِيلِ بنِ أَحمَدَ، وَثَعلَبِ، وَغَيرِهِمَا.

وَآخِرُ دَعوَانَا أَنِ الحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

نَسأَلُ اللَّهَ أَن يَنفَعَنَا وَيَنفَعَ إِخوَانَنَا المُسلِمِينَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ.

* * *

٤٣- الأرجوزة الميئية

في ذكر حال أشرف البرية

للعلامة

ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ

(٧٣١ – ٧٩٢)

٤٣- الأرجوزة الميئية

١- الْحَمْدُ للهِ الْقَدِيمِ الْبَارِي ... ثُمَّ صَلاتُهُ عَلَى الْمُخْتَارِ
٢- وَبَعْدُ هَاكَ سِيرَةَ الرَّسُولِ ... مَنْظُومَةً مُوجَزَةَ الْفُصُولِ
٣- مَوْلِدُهُ فِي عَاشِرِ الْفَضِيلِ ... رَبِيعِ الأَوَّلِ عَامَ الْفِيلِ
٤- لَكِنَّمَا الْمَشْهُورُ ثَانِي عَشْرِهِ ... فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ طُلُوعَ فَجْرِهِ
٥- وَوَافَقَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا ... وَقَبْلَهُ حِينَ أَبِيهِ حَانَا
٦- وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَدَا فَطِيمَا ... جَاءَتْ بِهِ مُرْضِعُهُ سَلِيمَا
٧- حَلِيمَةٌ لِأُمِّهِ وَعَادَتْ ... بِهِ لِأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ
٨- فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ انْشِقَاقُ بَطْنِهِ ... وَقِيلَ بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهِ
٩- وَبَعْدَ سِتٍّ مَعَ شَهْرٍ جَائِي ... وَفَاةُ أُمِّهِ عَلَى الأَبْوَاءِ
١٠- وَجَدُّهُ لِلأَبِ عَبْدُ الْمُطَّلِبْ ... بَعْدَ ثَمَانٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ كَذِبْ
١١- ثُمَّ أَبُو طَالِبٍ الْعَمُّ كَفَلْ ... خِدْمَتَهُ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ رَحَلْ
١٢- وَذَاكَ بَعْدَ عَامِ اثْنَيْ عَشَرْ ... وَكَانَ مِنْ أَمْرِ بَحِيرَا مَا اشْتَهَرْ
١٣- وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ أَشْرَفُ الْوَرَى ... فِي عَامِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا
١٤- لِأُمِّنَا خَدِيجَةٍ مُتَّجِرَا ... وَعَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرَا
١٥- فَكَانَ فِيهِ عَقْدُهُ عَلَيْهَا ... وَبَعْدَهُ إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا
١٦- وَوُلْدُهُ مِنْهَا خَلا ابْرَاهِيمْ ... فَالأَوَّلُ الْقَاسِمُ حَازَ التَّكْرِيمْ
١٧- وَزَيْنَبٌ رُقَيَّةٌ وَفَاطِمَةْ ... وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهُنَّ خَاتِمَةْ
١٨- وَالطَّاهِرُ الطَّيِّبُ عَبْدُ اللهِ ... وَقِيلَ كُلُّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي

١٩- وَالْكُلُّ فِي حَيَاتِهِ ذَاقُوا الْحِمَامْ وَبَعْدَهُ فَاطِمَةٌ بِنِصْفِ عَامْ
٢٠- وَبَعْدَ خَمْسٍ وَثَلاثِينَ حَضَرْ بُنْيَانَ بَيْتِ اللهِ لَمَّا أَنْ دَثَرْ
٢١- وَحَكَّمُوهُ وَرَضُوا بِمَا حَكَمْ فِي وَضْعِ ذَاكَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ ثَمّ
٢٢- وَبَعْدَ عَامِ أَرْبَعِينَ أُرْسِلاَ فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ يَقِينًا فَانْقُلا
٢٣- فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الأَوَّلِ وَسُورَةُ اقْرَأْ أَوَّلُ الْمُنَزَّلِ
٢٤- ثُمَّ الْوُضُوءَ وَالصَّلاَةَ عَلَّمَهْ جِبْرِيلُ وَهْيَ رَكْعَتَانِ مُحْكَمَهْ
٢٥- ثُمَّ مَضَتْ عِشْرُونَ يَوْمًا كَامِلَهْ فَرُمِيَتِ الْجِنَّ نُجُومٌ هَائِلَهْ
٢٦- ثُمَّ دَعَا فِي أَرْبَعِ الأَعْوَامِ بِالأَمْرِ جَهْرَةً إِلَى الإِسْلاَمِ
٢٧- وَرَابِعٌ مِنَ النِّسَا وَاثْنَا عَشَرْ مِنَ الرِّجَالِ الصَّحْبِ كُلٌّ قَدْ هَجَرْ
٢٨- إِلَى بِلادِ الْحُبْشِ فِي خَامِسِ عَامْ وَفِيهِ عَادُوا ثُمَّ عَادُوا لا مَلاَمْ
٢٩- ثَلاثَةٌ هُمْ وَثَمَانُونَ رَجُلْ وَمَعْهُمُ جَمَاعَةٌ حَتَّى كَمُلْ
٣٠- وَهُنَّ عَشْرٌ وَثَمَانٍ ثُمَّ قَدْ أَسْلَمَ فِي السَّادِسِ حَمْزَةُ الأَسَدْ
٣١- وَبَعْدَ تِسْعٍ مِنْ سِنِي رِسَالَتِهْ مَاتَ أَبُو طَالِبِ ذُو كَفَالَتِهْ
٣٢- وَبَعْدَه خَدِيجَةٌ تُوُفِّيَتْ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ ثَلاثَةٍ مَضَتْ
٣٣- وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَرُبْعٍ أَسْلَمَا جِنُّ نَصِيبِينَ وعَادُوا فَاعْلَمَا
٣٤- ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهْ فِي رَمَضَانَ ثُمَّ كَانَ بَعْدَهْ
٣٥- عَقْدُ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ فِي شَوَّالِ وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالِ
٣٦- أُسْرِي بِهِ وَالصَّلَوَاتُ فُرِضَتْ خَمْسًا بِخَمْسِينَ كَمَا قَدْ حُفِظَتْ
٣٧- وَالْبَيْعَةُ الأُولَى مَعَ اثْنَيْ عَشَرَا مِنْ أَهْلِ طَيْبَةٍ كَمَا قَدْ ذُكِرَا
٣٨- وَبَعْدَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَتَى سَبْعُونَ فِي الْمَوْسِمِ هَذَا ثَبَتَا
٣٩- مِنْ طَيْبَةٍ فَبَايَعُوا ثُمَّ هَجَرْ مَكَّةَ يَوْمَ اثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ صَفَرْ

٤٠- فَجَاءَ طَيْبَةَ الرِّضَا يَقِينَا ... إِذْ كَمَّلَ الثَّلَاثَ وَالْخَمْسِينَا
٤١- فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ وَدَامَ فِيهَا ... عَشْرَ سِنِينَ كُمَّلًا نَحْكِيهَا
٤٢- أَكْمَلَ فِي الْأُولَى صَلَاةَ الْحَضَرِ ... مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ فَاسْمَعْ خَبَرِي
٤٣- ثُمَّ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءِ ... وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ الْغَرَّاءِ
٤٤- ثُمَّ بَنَى مِنْ حَوْلِهِ مَسَاكِنَهْ ... ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّنَهْ
٤٥- أَقَلُّ مِنْ نِصْفِ الَّذِينَ سَافَرُوا ... إِلَى بِلَادِ الْحُبْشِ حِينَ هَاجَرُوا
٤٦- وَفِيهِ آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ ... بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
٤٧- ثُمَّ بَنَى بِابْنَةِ خَيْرِ صَحْبِهِ ... وَشَرَعَ الْأَذَانَ فَاقْتَدِ بِهِ
٤٨- وَغَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ بَعْدُ فِي صَفَرْ ... هَذَا وَفِي الثَّانِيَةِ الْغَزْوُ اشْتَهَرْ
٤٩- إِلَى بُوَاطٍ ثُمَّ بَدْرٍ وَوَجَبْ ... تَحَوُّلُ الْقِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبْ
٥٠- مِنْ بَعْدِ ذِي الْعُشَيْرِ يَا إِخْوَانِي ... وَفَرْضُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانِ
٥١- وَالْغَزْوَةُ الْكُبْرَى الَّتِي بِبَدْرِ ... فِي الصَّوْمِ فِي سَابِعِ عَشْرِ الشَّهْرِ
٥٢- وَوَجَبَتْ فِيهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ ... مِنْ بَعْدِ بَدْرٍ بِلَيَالٍ عَشْرِ
٥٣- وَفِي زَكَاةِ الْمَالِ خُلْفٌ فَادْرِ ... وَمَاتَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ
٥٤- رُقَيَّةٌ قَبْلَ رُجُوعِ السَّفْرِ ... زَوْجَةُ عُثْمَانَ وَعُرْسُ الطُّهْرِ
٥٥- فَاطِمَةٍ عَلَى عَلِيٍّ الْقَدْرِ ... وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الْأَسْرِ
٥٦- وَقَيْنُقَاعُ غَزْوُهُمْ فِي الْإِثْرِ ... وَبَعْدُ ضَحَّى يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ
٥٧- وَغَزْوَةُ السَّوِيقِ ثُمَّ قَرْقَرَهْ ... وَالْغَزْوُ فِي الثَّالِثَةِ الْمُشْتَهِرَهْ
٥٨- فِي غَطَفَانَ وَبَنِي سُلَيْمِ ... وَأُمُّ كُلْثُومَ ابْنَةُ الْكَرِيمِ
٥٩- زَوَّجَ عُثْمَانَ بِهَا وَحَفْصَهْ ... ثُمَّ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ حَفْصَهْ
٦٠- وَزَيْنَبًا ثُمَّ غَزَا إِلَى أُحُدْ ... فِي شَهْرِ شَوَّالٍ وَحَمْرَاءِ الْأَسَدْ

٦١- وَالْخَمْرُ حُرِّمَتْ يَقِينًا فَاسْمَعَنْ ... هَذَا وَفِيهَا وُلِدَ السِّبْطُ الْحَسَنْ
٦٢- وَكَانَ فِي الرَّابِعَةِ الْغَزْوُ إِلَى ... بَنِي النَّضِيرِ فِي رَبِيعٍ أَوَّلَا
٦٣- وَبَعْدُ مَوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَهْ ... وَبَعْدَهُ نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَهْ
٦٤- وَبِنْتِ جَحْشٍ ثُمَّ بَدْرِ الْمَوْعِدِ ... وَبَعْدَهَا الأَحْزَابُ فَاسْمَعْ وَاعْدُدِ
٦٥- ثُمَّ بَنِي قُرَيْظَةٍ وَفِيهِمَا ... خُلْفٌ وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ عُلِّمَا
٦٦- كَيْفَ صَلاةُ الْخَوْفِ وَالْقَصْرُ نُمِي ... وَآيَةُ الْحِجَابِ وَالتَّيَمُّمِ
٦٧- قِيلَ وَرَجْمُهُ الْيَهُودِيَّيْنِ ... وَمَوْلِدُ السِّبْطِ الرِّضَا الْحُسَيْنِ
٦٨- وَكَانَ فِي الْخَامِسَةِ اسْمَعْ وَثِقِ ... الإِفْكُ فِي غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ
٦٩- وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ قَبْلُ وَحَصَلْ ... عَقْدُ ابْنَةِ الْحَارِثِ بَعْدُ وَاتَّصَلْ
٧٠- وَعَقْدُ رَيْحَانَةَ فِي ذِي الْخَامِسَهْ ... ثُمَّ بَنُو لِحْيَانَ بَدْءَ السَّادِسَهْ
٧١- وَبَعْدَهُ اسْتِسْقَاؤُهُ وَذُو قَرَدْ ... وَصُدَّ عَنْ عُمْرَتِهِ لَمَّا قَصَدْ
٧٢- وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ أَوَّلٌ وَبَنَى ... فِيهَا بِرَيْحَانَةَ هَذَا بُيِّنَا
٧٣- وَفُرِضَ الْحَجُّ بِخُلْفٍ فَاسْمَعَهْ ... وَكَانَ فَتْحُ خَيْبَرٍ فِي السَّابِعَهْ
٧٤- وَحَظْرُ لَحْمِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّهْ ... فِيهَا وَمُتْعَةِ النِّسَا الرَّدِيَّهْ
٧٥- ثُمَّ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةٍ عَقَدْ ... وَمَهْرَهَا عَنْهُ النَّجَاشِيُّ نَقَدْ
٧٦- وَسُمَّ فِي شَاةٍ بِهَا هَدِيَّهْ ... ثُمَّ اصْطَفَى صَفِيَّةً صَفِيَّهْ
٧٧- ثُمَّ أَتَتْ وَمَنْ بَقِي مُهَاجِرَا ... وَعَقْدُ مَيْمُونَةَ كَانَ الآخِرَا
٧٨- وَقَبْلُ إِسْلامُ أَبِي هُرَيْرَهْ ... وَبَعْدُ عُمْرَةُ الْقَضَا الشَّهِيرَهْ
٧٩- وَالرُّسْلَ فِي الْمُحَرَّمِ الْمُحَرَّمِ ... أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ فَاعْلَمِ
٨٠- وَأُهْدِيَتْ مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّهْ ... فِيهِ وَفِي الثَّامِنَةِ السَّرِيَّهْ
٨١- لِمُؤْتَةٍ سَارَتْ وَفِي الصِّيَامِ ... قَدْ كَانَ فَتْحُ الْبَلَدِ الْحَرَامِ

٨٢- وَبَعْدَهُ قَدْ أَوْرَدُوا مَا كَانَ فِي ... يَوْمِ حُنَيْنٍ ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ
٨٣- وَبَعْدُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ اعْتِمَارُهْ ... مِنَ الْجِعِرَّانَةِ وَاسْتِقْرَارُهْ
٨٤- وَبِنْتُهُ زَيْنَبُ مَاتَتْ ثُمَّا ... مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا حَتْمَا
٨٥- وَوَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَهْ ... سَوْدَةُ مَا دَامَتْ زَمَانًا عَائِشَهْ
٨٦- وَعُمِلَ الْمِنْبَرُ غَيْرَ مُخْتَفِي ... وَحَجَّ عَتَّابٌ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ
٨٧- ثُمَّ تَبُوكَ قَدْ غَزَا فِي التَّاسِعَهْ ... وَهَدَّ مَسْجِدَ الضِّرَارِ رَافِعَهْ
٨٨- وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ وَثَمّ ... تَلَا بَرَاءَةً عَلِيٌّ وَحَتَمْ
٨٩- أَلَّا يَحُجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ وَلَا ... يَطُوفَ عَارٍ ذَا بِأَمْرٍ فَعَلَا
٩٠- وَجَاءَتِ الْوُفُودُ فِيهَا تَتْرَى ... هَذَا وَمِنْ نِسَاهُ آلَى شَهْرَا
٩١- ثُمَّ النَّجَاشِيَّ نَعَى وَصَلَّى ... عَلَيْهِ مِنْ طَيْبَةَ نَالَ الْفَضْلَا
٩٢- وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَامِ الأَخِيرْ ... وَالْبَجَلِي أَسْلَمَ وَاسْمُهُ جَرِيرْ
٩٣- وَحَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ قَارِنَا ... وَوَقَفَ الْجُمْعَةَ فِيهَا آمِنَا
٩٤- وَأُنْزِلَتْ فِي الْيَوْمِ بُشْرَى لَكُمُ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمُ
٩٥- وَمَوْتُ رَيْحَانَةَ بَعْدَ عَوْدِهِ ... وَالتِّسْعُ عِشْنَ مُدَّةً مِنْ بَعْدِهِ
٩٦- وَيَوْمَ الاِثْنَيْنِ قَضَى يَقِينَا ... إِذْ أَكْمَلَ الثَّلَاثَ وَالسِّتِّينَا
٩٧- وَالدَّفْنُ فِي بَيْتِ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ ... فِي مَوْضِعِ الْوَفَاةِ عَنْ تَحْقِيقِ
٩٨- وَمُدَّةُ التَّمْرِيضِ خَمْسَا شَهْرِ ... وَقِيلَ بَلْ ثُلْثٌ وَخُمْسٌ فَادْرِي
٩٩- وَتَمَّتِ الأُرْجُوزَةُ الْمِيئِيَّهْ ... فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّهْ
١٠٠- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ رَبِّي وَعَلَى ... أَصْحَابِهِ وَآلِهِ وَمَنْ تَلَا

* * *

٤٤- المنظومة الرائية في السنة

للإمام

أَبِي القَاسِمِ سَعد بن عَلَىّ بنِ مُحَمَّدِ الزَّنْجَانِيّ

٤٤- المنظومة الرائية في السنة

أَخبرَنَا الشَّيخُ الإمَامُ أَبُو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللّه الهَرَوِيُّ، قَالَ: قَرَأتُ عَلَىٰ الشَّيخِ الإمَامِ الحَافِظِ أَبِي مُحَمَّدٍ المُبَارَكِ بنِ عَلِيٍّ بن الحُسَينِ بنِ الطَّبَّاخِ فِي حَرَمِ الله تَعَالَىٰ فِي شُهُورِ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتينَ وَخمسمِائَةٍ، قُلتُ لَهُ: أَخبرَكُم الشَّيخُ الإمَامُ أَبُو القَاسِمِ إِسمَاعِيلُ بنُ أَحمَدَ بنِ عُمَرَ السَّمَرْقَندِيُّ، قَالَ: أَخبرَنَا الشَّيخُ الإمَامُ أَبُو القَاسِمِ سَعدُ بنُ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ الزَّنْجَانِيُّ، قَالَ:

١- تَدَبَّرْ كَلامَ اللهِ وَاعتَمِدِ الخَبَرْ ... وَدع عَنكَ رَأيًا لا يُلائِمُهُ أثَرْ

٢- وَنَهجَ الهُدَىٰ فَالزَمْهُ وَاقتَدِ بِالأُلَىٰ ... هُمُ شَهِدُوا التَّنزِيلَ عَلَّكَ تَنْجَبِرْ

٣- وَكُنْ مُوقِنًا أنَّا وَكلَّ مُكَلَّفٍ ... أُمِرنَا بِقَفْوِ الحَقِّ وَالأَخذِ بِالحَذَرْ

٤- وَحُكِّمَ فِيمَا بَيْنَنَا قَولُ مَالِكٍ ... قَدِيمٍ حَلِيمٍ عَالِمِ الغَيبِ مُقْتَدِرْ

٥- سَمِيعٍ بَصِيرٍ وَاحِدٍ مُتَكَلِّمٍ ... مُرِيدٍ لِمَا يَجْرِي عَلَىٰ الخَلْقِ مِنْ قَدَرْ

٦- وَقَولُ رَسُولٍ قَدْ تَحَقَّقَ صِدْقُهُ ... بِمَا جَاءَهُ مِنْ مُعْجِزٍ قَاهِرٍ ظَهَرْ

٧- فَقِيلَ لَنَا رُدُّوا إِلَىٰ اللهِ أَمرَكُم ... إِذَا مَا تَنَازَعْتُمْ لِتَنْجُوا مِنَ الغَرَرْ

٨- أَوِ اتَّبِعُوا مَا سَنَّ فِيهِ مُحَمَّدٌ ... فَطَاعَتُهُ تُرضِي الَّذِي أنْزَلَ الزُّبُرْ

٩- فَمَنْ خَالَفَ الوَحْيَ المُبِينَ بِعَقْلِهِ ... فَذَاكَ امْرُؤٌ قَدْ خَابَ حَقًّا وَقَد خَسِرْ

١٠- وَفِي تَرْكِ أَمْرِ المُصْطَفَىٰ فِتْنَةٌ فَذَرْ ... خِلافَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ وَاتْلُ وَاعْتَبِرْ

١١- وَمَا اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصَّحَابَةُ حُجَّةٌ ... وَتِلْكَ سَبِيلُ المُؤْمِنِينَ لِمَنْ سَبَرْ

١٢- وَمَا لَمْ يَكُنْ فِي عَصرِهِمْ مُتَعَارَفًا ... وَجَاءَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُم رُدَّ بَلْ زُجِرْ

١٣- فَفِي الأَخذِ بِالإجْمَاعِ فَاعْلَمْ سَعَادَةٌ ... كَمَا فِي شُذُوذِ القَولِ نَوعٌ مِنَ الخَطَرْ

١٤- وَمُعْتَرِضٌ اتْرُكِ اعْتِمَادَ مَقَالِهِ ... يُفَارِقُ قَولَ التَّابِعِينَ وَمَنْ غَبَرْ

١٥- وَأَمْثَلُ أَهْلِ العِلْمِ فِينَا طَرِيقَةً ... وَأَغْزَرُهُمْ عِلْمًا مُقِيمٌ عَلَى الأَثَرْ

١٦- وَأَجْهَلُ مَنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ مُعْجَبٌ ... بِخَاطِرِهِ يُصْغِي إِلَى كُلِّ مَنْ هَذَرْ

١٧- فَدَعْ عَنْكَ قَوْلَ النَّاسِ فِيمَا كُفِيتَهُ ... فَمَا فِي اسْتِمَاعِ الزَّيْغِ شَيْءٌ سِوَى الضَّرَرْ

١٨- لَقَدْ أَوْضَحَ اللهُ الكَرِيمُ بِلُطْفِهِ ... لَنَا الأَمْرَ فِي القُرآنِ فَانْهَضْ بِمَا أَمَرْ

١٩- وَخَلَّفَ فِينَا سُنَّةً نَقْتَدِي بِهَا ... مُحَمَّدٌ المَبْعُوثُ عَوْنًا إِلَى البَشَرْ

٢٠- وَمَنَّ عَلَى المَأْمُورِ بِالعَقْلِ آلَةً ... بِهَا يَعْرِفُ المُتْلَى مِنَ القَوْلِ وَالعِبَرْ

٢١- فَلا تَكُ بِدْعِيًّا تَزُوغُ عَنِ الهُدَى ... وَتُحْدِثُ فَالإِحْدَاثُ يُدْنِي إِلَى سَقَرْ

٢٢- وَلا تَجْلِسَنْ عِنْدَ المُجَادِلِ سَاعَةً ... فَعَنْهُ رَسُولُ اللهِ مِنْ قَبْلُ قَدْ زَجَرْ

٢٣- وَمَنْ ردَّ أَخْبَارَ النَّبِيِّ مُقَدِّمًا ... لِخَاطِرِهِ ذَاكَ امْرُؤٌ مَا لَهُ بَصَرْ

٢٤- وَلا تَسْمَعَنْ دَاعِي الكَلامِ فَإِنَّهُ ... عَدُوٌّ لِهَذَا الدِّينِ عَنْ حَمْلِهِ حَسَرْ

٢٥- وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَبْدَعُوا وَتَنَطَّعُوا ... وَجَازُوا حُدُودَ الحَقِّ بِالإِفْكِ وَالأَشَرْ

٢٦- وَخُذْ وَصْفَهُم عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ إِنَّهُ ... شَدِيدٌ عَلَيهِم لِلَّذِي مِنْهُمُ خَبَرْ

٢٧- وَقَدْ عَدَّهُم سَبْعِينَ صِنْفًا نَبِيُّنَا ... وَصِنْفَيْنِ كُلٌّ مُحْدِثٌ زَائِغٌ ذَعِرْ

٢٨- فَذُو الرَّفْضِ مَنْسُوبٌ إِلَى الشِّرْكِ عَادِلٌ ... عَنِ الحَقِّ ذُو بَهْتٍ عَلَى اللهِ وَالنُّذُرْ

٢٩- وَعَقْدِي صَحِيحٌ فِي الخَوَارِجِ أَنَّهُمْ ... كِلابٌ تَعَاوَى فِي ضَلالٍ وَفِي سُعُرْ

٣٠- وَيُورِدُهُم مَا أَحْدَثُوا مِنْ مَقَالِهِم ... لَظَى ذَاتَ لَهْبٍ لا تُبْقِي وَلا تَذَرْ

٣١- وَأَبْرَأُ مِنْ صِنْفَيْنِ قَدْ لُعِنَا مَعًا ... فَذَا أَظْهَرَ الإِرْجَا وَذَا أَنْكَرَ القَدَرْ

٣٢- وَمَا قَالَهُ جَهْمٌ فَحَقًّا ضَلالَةٌ ... وَبِشْرٌ فَمَا أَبْدَاهُ جَهْلًا قَدِ انْتَشَرْ

٣٣- وَجَعْدٌ فَقَدْ أَرْدَاهُ خُبْثُ مَقَالِهِ ... وَأَمَّا ابْنُ كُلَّابٍ فَأَقْبِحْ بِمَا ذَكَرْ

٣٤- وَجَاءَ ابْنُ كَرَّامٍ بِهُجْرٍ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ قَدَمٌ فِي العِلْمِ لَكِنَّهُ جَسَرْ

٣٥- وَسَقَّفَ هَذَا الأَشْعَرِيُّ كَلامَهُ ... وَأَرْبَى عَلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنْ ذَوِي الدَّبَرْ

٣٦- فَمَا قَالَهُ قَدْ بَانَ لِلحَقِّ ظَاهِرًا ... وَمَا فِي الهُدَىٰ عَمْدًا لِمَنْ مَازَ وَادَّكَرْ

٣٧- يُكَفِّرُ هَـذَا ذَاكَ فِيمَا يَقُولُهُ ... وَيَذْكُرُ ذَا عَنْهُ الَّذِي عِنْدَهُ ذُكِرْ

٣٨- وَبِالعَقْلِ فِيمَا يَزْعُمُونَ تَبَايَنُوا ... وَكُلُّهُمُ قَدْ فَارَقَ العَقْلَ لَوْ شَعَرْ

٣٩- فَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَبدَعُوا وَتَنَطَّعُوا ... وَلازِمْ طَرِيقَ الحَقِّ وَالنَّصَّ وَاصْطَبِرْ

٤٠- وَخُذْ مُقْتَضَىٰ الآثَارِ وَالوَحْيَ فِي الَّذِي ... تَنَازَعَ فِيهِ النَّاسُ مِنْ هَذِهِ الفِقَرْ

٤١- فَمَا لِذَوِي التَّحْصِيلِ عُذْرٌ بِتَرْكِ مَا ... أَتَاهُ بِهِ جِبْرِيلُ فِي مُنْزَلِ السُّوَرْ

٤٢- وَبَيَّنَ فَحْوَاهُ النَّبِيُّ بِشَرْحِهِ ... وَأَدَّىٰ إِلَىٰ الأَصْحَابِ مَا عَنْهُ قَدْ سُطِرْ

٤٣- فَبِاللهِ تَوْفِيقِي وَآمُلُ عَفْوَهُ ... وَأَسْأَلُهُ حِفْظًا يَقِينِي مِنَ الغِيَرْ

٤٤- لِأَسْعَدَ بِالفَوزِ المُبِينِ مُسَابِقًا ... إِلَىٰ جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ فِي صَالِحِ الزُّمَرْ

* * *

للعلامة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ)

٤٥- السير إلى الله والدار الآخرة

١- سَعِدَ الَّذِين تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَىٰ ... وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ

٢- فَهُمُ الَّذِينَ قَدَ اخْلَصُوا فِي مَشْيِهِم ... مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الإِيْمَانِ

٣- وَهُمُ الَّذِينَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَيْرِهِم ... بَيْنَ الرَّجَا والْخوف للديَّان

٤- وَهُمُ الَّذِينَ مَلا الإِلهُ قلوبَهُم ... بوداده ومَحَبَّة الرَّحْمَنِ

٥- وَهُمُ الَّذِينَ قَدَ اكْثَرُوا مِنْ ذكرهِ ... فِي السِّرِّ والإِعْلانِ وَالأَحْيَانِ

٦- يتقرَّبُونَ إِلَىٰ الْمَلِيك بفعلِهم ... طاعاتِهِ والترك للعصيان

٧- فِعْلُ الفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ دَأْبُهُم ... مَع رُؤيَةِ التَّقْصِيرِ وَالنُّقْصَانِ

٨- صَبَرُوا النفوس عَلَىٰ المَكَارِهِ كُلِّهَا ... شَوْقًا إِلَىٰ مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ

٩- نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَا فَهُمُ بِهَا ... قَدْ أَصْبَحُوا فِي جَنَّةٍ وَأَمَانِ

١٠- شَكَرُوا الَّذِي أَوْلَىٰ الخَلائقَ فَضْلَهُ ... بالقَلْبِ وَالأَقْوَالِ وَالأَرْكَانِ

١١- صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جميعِ أُمُورِهِمْ ... مَع بَذْلِ جَهْدٍ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

١٢- عَبَدُوا الإِلَهَ عَلَىٰ اعْتِقَادِ حُضُورِهِ ... فَتَبَوَّءُوا فِي مَنْزِلِ الإِحْسَانِ

١٣- نَصَحُوا الخَلِيقَةَ فِي رِضَا مَحْبُوبِهِم ... بِالعِلْمِ وَالإِرْشَادِ وَالإِحْسَانِ

١٤- صَحِبُوا الْخَلائِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا ... أَرْوَاحُهُم فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي

١٥- بِاللهِ دَعْوَاتُ الْخَلائِقِ كُلِّهَا ... خَوْفًا عَلَىٰ الإِيْمَانِ مِنْ نُقْصَانِ

١٦- عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا ... قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَىٰ الرَّحْمَنِ

١٧- حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُمْ وَعُزُومُهُمْ ... للهِ لا لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ

١٨- نِعْمَ الرفيقُ لِطَالِبِ السُّبْلِ التي ... تُفْضِي إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ وَالإِحْسَانِ

* * *

٤٦- مختصر في أُصُولُ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ

(مُخْتَصَرُ ابْنِ سَعْدِيٍّ فِي أُصُولِ الْعَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ المُؤَلِّفِ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا مُخْتَصَرٌ جِدًّا فِي أُصُولِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ وَالأُصُولِ الْكَبِيرَةِ الْمُهِمَّةِ، اقْتَصَرْنَا فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ الإِشَارَةِ وَالتَّنْبِيهِ مِنْ غَيْرِ بَسْطٍ لِلْكَلَامِ، وَلَا ذِكْرِ أَدِلَّتِهَا - أَقْرَبُ مَا يَكُونُ لَهَا أَنَّهَا مِنْ نَوْعِ الْفِهْرِسْتِ لِلْمَسَائِلِ؛ لِتَعْرِفَ أُصُولَهَا وَمَقَامَهَا وَمَحَلَّهَا مِنَ الدِّينِ.

ثُمَّ مَنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الْعِلْمِ يَطْلُبُ بَسْطَهَا وَبَرَاهِينَهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَإِنْ يَسَّرَ اللهُ وَفَسَحَ فِي الأَجَلِ بَسَطْتُ هَذِهِ الْمَطَالِبَ وَوَضَّحْتُهَا بِأَدِلَّتِهَا.

الأَصْلُ الأَوَّلُ: التَّوْحِيدُ

حَدُّ التَّوْحِيدِ الْجَامِعِ لِأَنْوَاعِهِ:

هُوَ اعْتِقَادُ الْعَبْدِ وَإِيمَانُهُ بِتَفَرُّدِ اللهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَإِفْرَادُهُ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَدَخَلَ فِي هَذَا:

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي هُوَ اعْتِقَادُ انْفِرَادِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَأَنْوَاعِ

التَّدْبِيرِ.

وَتَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ مِنَ الأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ الْعُلْيَا، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

وَتَوْحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ إِفْرَادُهُ وَحْدَهُ بِأَجْنَاسِ الْعِبَادَةِ وَأَنْوَاعِهَا وَإِفْرَادُهَا مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكٍ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، مَعَ اعْتِقَادِ كَمَالِ أُلُوهِيَّتِهِ.

فَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ إِثْبَاتُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَمَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

وَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِثْبَاتُ جَمِيعِ مَعَانِي الأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ للهِ تَعَالَىٰ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَالإِيمَانُ بِهَا ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:

١ إِيمَانٌ بِالأَسْمَاءِ.

٢ وَإِيمَانٌ بِالصِّفَاتِ.

٣ وَإِيمَانٌ بِأَحْكَامِ صِفَاتِهِ.

كَالْعِلْمِ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ ذُو عِلْمٍ، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ذُو قُدْرَةٍ، وَيَقْدِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ إِلَىٰ آخِرِ مَا لَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ الْمُقَدَّسَةِ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ إِثْبَاتُ عُلُوِّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَاسْتِوَائِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَنُزُولِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي لَا يَنْفَكُّ عَنْهَا: كَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْعِلْمِ، وَالْعُلُوِّ وَنَحْوِهَا.

وَالصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ، وَهِيَ الصِّفَاتُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِمَشِيئَتِهِ، وَقُدْرَتِهِ، كَالْكَلَامِ،

وَالْخَلْقِ، وَالرِّزْقِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالِاسْتِوَاءِ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَالنُّزُولِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَمَا يَشَاءُ.

وَأَنَّ جَمِيعَهَا تَثْبُتُ لِلهِ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ، وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِهَا، وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ يَقُولُ وَيَفْعَلُ، وَأَنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ، لَمْ يَزَلْ بِالْكَلَامِ مَوْصُوفًا، وَبِالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ مَعْرُوفًا.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّهُ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ حَقًّا، وَأَنَّ كَلَامَهُ لَا يَنْفَدُ وَلَا يَبِيدُ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ عَلِيٌّ أَعْلَىٰ، وَأَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ كَمَالِ عُلُوِّهِ وَكَمَالِ قُرْبِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَأَحْكَامِهَا عَلَىٰ وَجْهٍ يَلِيقُ بِعَظَمَةِ الْبَارِي، وَيَعْلَمَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّهُ لَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ فَلَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ فِي صِفَاتِهِ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ فِي بَعْضِ الْعَقْلِيَّاتِ مَا يُوجِبُ تَأْوِيلَ بَعْضِ الصِّفَاتِ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْنَاهَا الْمَعْرُوفِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا.

وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ حَتَّىٰ يَعْتَقِدَ الْعَبْدُ أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ لِلهِ، وَأَنَّ مَشِيئَتَهُمْ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللهِ، وَأَنَّ لَهُمْ أَفْعَالًا وَإِرَادَةً تَقَعُ بِهَا أَفْعَالُهُمْ، وَهِيَ مُتَعَلَّقُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

وَأَنَّهُ لَا يَتَنَافَىٰ الْأَمْرَانِ؛ إِثْبَاتُ مَشِيئَةِ اللهِ الْعَامَّةِ الشَّامِلَةِ لِلذَّوَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ، وَإِثْبَاتُ قُدْرَةِ الْعَبْدِ عَلَىٰ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ.

وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ الْعَبْدِ حَتَّىٰ يُخْلِصَ الْعَبْدُ لِلهِ تَعَالَىٰ فِي إِرَادَتِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَحَتَّىٰ يَدَعَ الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ، الْمُنَافِي لِلتَّوْحِيدِ كُلَّ الْمُنَافَاةِ، وَهُوَ أَنْ يَصْرِفَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَكَمَالُ ذَلِكَ أَنْ يَدَعَ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ، وَهُوَ كُلُّ وَسِيلَةٍ قَرِيبَةٍ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَىٰ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ كَالْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، وَيَسِيرِ الرِّيَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالنَّاسُ فِي التَّوْحِيدِ عَلَىٰ دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ بِحَسَبِ مَا قَامُوا بِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ وَالْقِيَامِ بِعُبُودِيَّتِهِ، فَأَكْمَلُهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ مَنْ عَرَفَ مِنْ تَفَاصِيلِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَآلَائِهِ وَمَعَانِيهَا الثَّابِتَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَهِمِهَا فَهْمًا صَحِيحًا، فَامْتَلأَ قَلْبُهُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَتَعْظِيمِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابِ جَمِيعِ دَوَاعِي قَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَوَقَعَتْ جَمِيعُ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ فِي كَمَالِ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ التَّامِّ الَّذِي لَا يَشُوبُهُ شَيْءٌ مِنَ الأَغْرَاضِ الْفَاسِدَةِ فَاطْمَأَنَّ إِلَىٰ اللهِ مَعْرِفَةً وَإِنَابَةً، وَفِعْلًا وَتَرْكًا، وَتَكْمِيلًا لِنَفْسِهِ، وَتَكْمِيلًا لِغَيْرِهِ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ هَذَا الأَصْلِ الْعَظِيمِ، فَنَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ.

الأَصْلُ الثَّانِي: الإِيمَانُ بِنُبُوَّةِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ عُمُومًا وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ خُصُوصًا

وَهَذَا الأَصْلُ مَبْنَاهُ عَلَىٰ أَنْ يَعْتَقِدَ وَيُؤْمِنَ بِأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ قَدِ اخْتَصَّهُمُ اللهُ بِوَحْيِهِ وَإِرْسَالِهِ وَجَعَلَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي تَبْلِيغِ شَرْعِهِ وَدِينِهِ.

وَأَنَّ اللهَ أَيَّدَهُمْ بِالْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ وَصِحَّةِ مَا جَاءُوا بِهِ.

وَأَنَّهُمْ أَكْمَلُ الْخَلْقِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَأَصْدَقُهُمْ وَأَبَرُّهُمْ، وَأَكْمَلُهُمْ أَخْلَاقًا وَأَعْمَالًا، وَأَنَّ اللهَ خَصَّهُمْ بِخَصَائِصَ وَفَضَائِلَ لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ وَأَنَّ اللهَ بَرَّأَهُمْ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ.

وَأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ فِيمَا يُبَلِّغُونَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ فِي خَبَرِهِمْ وَتَبْلِيغِهِمْ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّوَابُ. وَأَنَّه يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِمْ، وَبِكُلِّ مَا أُوتُوهُ مِنَ اللهِ، وَمَحَبَّتُهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ. وَأَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ ثَابِتَةٌ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ أَكْمَلِ الْوُجُوهِ.

وَأَنَّهُ يَجِبُ مَعْرِفَةُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَالْإِيمَانُ بِذَلِكَ، وَالْتِزَامُ طَاعَتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِتَصْدِيقِ خَبَرِهِ، وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ قَدْ نَسَخَتْ شَرِيعَتُهُ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ، وَأَنَّ نُبُوَّتَهُ وَشَرِيعَتَهُ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَلَا شَرِيعَةَ غَيْرُ شَرِيعَتِهِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ.

وَيَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ، فَالْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ يَقْتَضِي الْإِيمَانَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، فَلَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِهِ إِلَّا بِذَلِكَ.

وَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ عِلْمًا بِذَلِكَ، وَتَصْدِيقًا وَاعْتِرَافًا وَعَمَلًا كَانَ أَكْمَلَ إِيمَانًا.

وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْقَدَرِ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ، وَمِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ أَوْ حِسِّيٌّ عَلَىٰ خِلَافِهِ.

كَمَا لَا يَقُومُ دَلِيلٌ نَقْلِيٌّ عَلَىٰ خِلَافِهِ، فَالْأُمُورُ الْعَقْلِيَّةُ أَوِ الْحِسِّيَّةُ النَّافِعَةُ تَجِدُ دِلَالَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُثْبِتَةً لَهَا حَاثَّةً عَلَىٰ تَعَلُّمِهَا وَعَمَلِهَا.

وَغَيْرُ النَّافِعِ مِنَ الْمَذْكُورَاتِ لَيْسَ فِيهَا مَا يَنْفِي وُجُودَهَا، وَإِنْ كَانَ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ يَنْهَىٰ وَيَذُمُّ الْأُمُورَ الضَّارَّةَ مِنْهَا، وَيَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ بَلْ وَسَائِرُ الرُّسُلِ.

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

فَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ كَأَحْوَالِ الْبَرْزَخِ، وَأَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالشَّفَاعَةِ، وَالْمِيزَانِ، وَالصُّحُفِ الْمَأْخُوذَةِ بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ، وَالصِّرَاطِ، وَأَحْوَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَحْوَالِ أَهْلِهَا وَأَنْوَاعِ مَا أَعَدَّ اللهُ فِيهَا لِأَهْلِهَا إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، فَكُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

الأَصْلُ الرَّابِعُ: مَسْأَلَةُ الإِيمَانِ

فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَعْتَقِدُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ أَنَّ الإِيمَانَ هُوَ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ الْمُتَضَمِّنُ لِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ.

فَيَقُولُونَ: الإِيمَانُ اعْتِقَادَاتُ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالُهَا، وَأَعْمَالُ الْجَوَارِحِ، وَأَقْوَالُ اللِّسَانِ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا مِنَ الإِيمَانِ.

وَأَنَّ مَنْ أَكْمَلَهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَقَدْ أَكْمَلَ الإِيمَانَ وَمَنِ انْتَقَصَ شَيْئًا مِنْهَا فَقَدِ انْتَقَصَ مِنْ إِيمَانِهِ، وَهَذِهِ الأُمُورُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وَيُرَتِّبُونَ عَلَىٰ هَذَا الأَصْلِ أَنَّ النَّاسَ فِي الإِيمَانِ دَرَجَاتٌ: مُقَرَّبُونَ، وَأَصْحَابُ يَمِينٍ، وَظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِحَسَبِ مَقَامَاتِهِمْ مِنَ الدِّينِ وَالإِيمَانِ، وَأَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَمَنْ فَعَلَ مُحَرَّمًا أَوْ تَرَكَ وَاجِبًا نَقَصَ إِيمَانُهُ الْوَاجِبُ مَا لَمْ يَتُبْ إِلَىٰ اللهِ.

وَيُرَتِّبُونَ عَلَىٰ هَذَا الأَصْلِ أَنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

مِنْهُمْ: مَنْ قَامَ بِحُقُوقِ الإِيمَانِ كُلِّهَا فَهُوَ الْمُؤْمِنُ حَقًّا.

وَمِنْهُمْ: مَنْ تَرَكَهَا كُلَّهَا فَهَذَا كَافِرٌ بِاللهِ تَعَالَىٰ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ فِيهِ إِيمَانٌ وَكُفْرٌ، أَوْ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، أَوْ خَيْرٌ وَشَرٌّ، فَفِيهِ مِنْ وِلَايَةِ اللهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ لِكَرَامَتِهِ بِحَسَبِ مَا مَعَهُ مِنَ الإِيمَانِ، وَفِيهِ مِنْ عَدَاوَةِ اللهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ لِعُقُوبَةِ اللهِ بِحَسَبِ مَا ضَيَّعَهُ مِنَ الإِيمَانِ.

وَيُرَتِّبُونَ عَلَىٰ هَذَا الأَصْلِ الْعَظِيمِ أَنَّ كَبَائِرَ الذُّنُوبِ وَصَغَائِرَهَا الَّتِي لَا تَصِلُ بِصَاحِبِهَا إِلَىٰ الْكُفْرِ تُنْقِصُ إِيمَانَ الْعَبْدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ دَائِرَةِ الإِسْلَامِ، وَلَا يُخَلَّدُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وَلَا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ الْكُفْرَ كَمَا تَقُولُ الْخَوَارِجُ أَوْ يَنْفُونَ عَنْهُ الإِيمَانَ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ، بَلْ يَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَمَعَهُ مُطْلَقُ الإِيمَانِ، وَأَمَّا

الْإِيمَانُ الْمُطْلَقُ فَيُنْفَىٰ عَنْهُ.

وَبِهَذِهِ الْأُصُولِ يَحْصُلُ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ.

وَأَنَّ التَّوْبَةَ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا.

وَأَنَّ مَنِ ارْتَدَّ وَمَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ.

وَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ.

وَيُرَتِّبُونَ أَيْضًا عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ صِحَّةَ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ، فَيَصِحُّ أَنْ يَقُولَ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ؛ لِأَنَّه يَرْجُو مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ تَكْمِيلَ إِيمَانِهِ فَيَسْتَثْنِي لِذَلِكَ، وَيَرْجُو الثَّبَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ الْمَمَاتِ فَيَسْتَثْنِي مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ بِحُصُولِ أَصْلِ الْإِيمَانِ.

وَيُرَتِّبُونَ أَيْضًا عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ أَنَّ الْحُبَّ وَالْبُغْض أَصْلُهُ وَمِقْدَارُهُ تَابِعٌ لِلْإِيمَانِ وُجُودًا وَعَدَمًا، وَتَكْمِيلًا وَنَقْصًا.

ثُمَّ يَتْبَعُ ذَلِكَ الْوِلَايَةُ وَالْعَدَاوَةُ، وَلِهَذَا مِنَ الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ لِلهِ، وَالْوِلَايَةُ لِلهِ وَالْعَدَاوَةُ لِلهِ.

وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، ولا يتم الإيمان إلا به، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا مَحَبَّةُ اجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَثُّ عَلَىٰ التَّآلُفِ وَالتَّحَابُبِ وَعَدَمِ التَّقَاطُعِ.

وَيَبْرَأُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ التَّعَصُّبَاتِ وَالتَّفَرُّقِ وَالتَّبَاغُضِ وَيَرَوْنَ أَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ مِنْ أَهَمِّ قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَرَوْنَ الِاخْتِلَافَ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي لَا تَصِلُ إِلَىٰ كُفْرٍ أَوْ بِدْعَةٍ مُوجِبَةٍ لِلتَّفَرُّقِ.

وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ مَحَبَّةُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ وَعَمَلِهِمْ وَأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ وَالسَّوَابِقِ وَالْمَنَاقِبِ مَا فُضِّلُوا به عن سَائِرِ الْأُمَّةِ.

وَيَدِينُونَ بِمَحَبَّتِهِمْ، وَنَشْرِ فَضَائِلِهِمْ، وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَوْلَىٰ

الأُمَّةِ بِكُلِّ خَصْلَةٍ حَمِيدَةٍ وَأَسْبَقُهُمْ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ، وَأَبْعَدُهُمْ عن كُلِّ شَرٍّ.

وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الأُمَّةَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْ إِمَامٍ يُقِيمُ لَهَا دِينَهَا وَدُنْيَاهَا، وَيَدْفَعُ عَنْهَا عَادِيَةَ الْمُعْتَدِينَ، وَلَا تَتِمُّ إِمَامَتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَيَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ الإِيمَانُ إِلَّا بِالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ، وَإِلَّا بِاللِّسَانِ، وَإِلَّا فَبِالْقَلْبِ، عَلَىٰ حَسَبِ مَرَاتِبِهِ الشَّرْعِيَّةِ وَطُرُقِهِ الْمَرْعِيَّةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَيَرَوْنَ الْقِيَامَ بِكُلِّ الأُصُولِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ مِنْ تَمَامِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ، وَمِنْ تَمَامِ هَذَا الأَصْلِ.

الأَصْلُ الخَامِسُ: طَرِيقُهُمْ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ

وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَعْتَقِدُونَ وَيَلْتَزِمُونَ أَنْ لَا طَرِيقَ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ كَرَامَتِهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ فَالْعِلْمُ النَّافِعُ هُوَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ فَيَجْتَهِدُونَ فِي مَعْرِفَةِ مَعَانِيهَا، وَالتَّفَقُّهِ فِيهَا أُصُولًا وَفُرُوعًا.

وَيَسْلُكُونَ جَمِيعَ طُرُقِ الدَّلَالَاتِ فِيهَا: دِلَالَةَ الْمُطَابَقَةِ، وَدِلَالَةَ التَّضَمُّنِ، وَدِلَالَةَ الِالْتِزَامِ. وَيَبْذُلُونَ قُوَاهُمْ فِي إِدْرَاكِ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ.

وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْعُلُومُ النَّافِعَةُ، وكذلك مَا تَفَرَّعَ عنها مِنْ أَقْيِسَةٍ صَحِيحَةٍ وَمُنَاسَبَاتٍ حَكِيمَةٍ.

وَكُلُّ عِلْمٍ أَعَانَ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَوْ آزَرَهُ أَوْ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ عِلْمٌ شَرْعِيٌّ كَمَا أَنَّ مَا ضَادَّهُ وَنَاقَضَهُ فَهُوَ عِلْمٌ بَاطِلٌ، فَهَذَا طَرِيقُهُمْ فِي الْعِلْمِ.

وَأَمَّا طَرِيقُهُمْ فِي الْعَمَلِ فَإِنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّصْدِيقِ وَالِاعْتِرَافِ التَّامِّ بِعَقَائِدِ الإِيمَانِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْعِبَادَاتِ وَأَسَاسُهَا، ثُمَّ يَتَقَرَّبُونَ لَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِحَقِّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، مَعَ الإِكْثَارِ مِنَ النَّوَافِلِ، وَبِتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ تَعَبُّدًا لِلهِ تَعَالَىٰ.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَقْبَلُ إِلَّا كُلَّ عَمَلٍ خَالِصٍ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، مَسْلُوكًا فِيهِ طَرِيقُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَيَسْتَعِينُونَ بِاللهِ تَعَالَىٰ فِي سُلُوكِ هَذِهِ الطُّرُقِ النَّافِعَةِ الَّتِي هِيَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ الْمُوَصِّلُ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ وَفَلَاحٍ وَسَعَادَةٍ عَاجِلَةٍ وَآجِلَةٍ.

وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

٥ رَمَضَان ١٣٥٧هـ.

* * *

٤٧- منهج الحق

منظومة في العقيدة والأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

١- فَيَا سَائِلًا عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ يَبْتَغِي ... سُلُوكَ طَرِيقِ الْقَوْمِ حَقًّا وَيَسْعَدُ
٢- تَأَمَّلْ هَدَاكَ اللهُ مَا قَدْ نَظَمْتُهُ ... تَأَمُّلَ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْحَقِّ يَقْصِدُ
٣- نُقِرُّ بِأَنَّ اللهَ لا رَبَّ غَيْرُهُ ... إِلَهٌ عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ مُمَجَّدُ
٤- وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مَعْبُودُنَا الَّذِي ... نُخَصِّصُهُ بِالْحُبِّ ذُلًّا وَنُفْرِدُ
٥- فَلِلَّهِ كُلُّ الْحَمْدِ وَالْمَجْدِ وَالثَّنَا ... فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلٌّ إِلَى اللهِ يَقْصِدُ
٦- تُسَبِّحُهُ الأَمْلاكُ وَالأَرْضُ وَالسَّمَا ... وَكُلُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ حَقًّا وَتَحْمَدُ
٧- تَنَزَّهَ عَنْ نِدٍّ وَكُفْءٍ مُمَاثِلٍ ... وَعَنْ وَصْفِ ذِي النُّقْصَانِ جَلَّ الْمُوَحَّدُ
٨- وَنُثْبِتُ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا ... وَنَبْرَأُ مِنْ تَأْوِيلِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ
٩- فَلَيْسَ يُطِيقُ الْعَقْلُ كُنْهَ صِفَاتِهِ ... فَسَلِّمْ لِمَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدُ
١٠- هُوَ الصَّمَدُ الْعَالِي لِعِظَمِ صِفَاتِهِ ... وَكُلُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ للهِ يَصْمُدُ
١١- عَلِيٌّ عَلا ذَاتًا وَقَدْرًا وَقَهْرُهُ ... قَرِيبٌ مُجِيبٌ بِالْوَرَى مُتَوَدِّدُ
١٢- هُوَ الْحَيُّ وَالْقَيُّومُ ذُو الْجُودِ وَالْغِنَى ... وَكُلُّ صِفَاتِ الْحَمْدِ للهِ تُسْنَدُ
١٣- أَحَاطَ بِكُلِّ الْخَلْقِ عِلْمًا وَقُدْرَةً ... وَبِرًّا وَإِحْسَانًا فَإِيَّاهُ نَعْبُدُ
١٤- وَيُبْصِرُ ذَرَّاتِ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا ... وَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَيَشْهَدُ
١٥- لَهُ الْمُلْكُ وَالْحَمْدُ الْمُحِيطُ بِمُلْكِهِ ... وَحِكْمَتُهُ الْعُظْمَى بِهَا الْخَلْقُ تَشْهَدُ

١٦- وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ فِي الدُّجَىٰ ... كَمَا قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالحَقِّ أَحْمَدُ

١٧- وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ رُسْلَهُ ... بِآيَاتِهِ لِلْخَلْقِ تَهْدِي وَتُرْشِدُ

١٨- وَفَاضَلَ بَيْنَ الرُّسْلِ وَالْخَلْقِ كُلِّهِمْ ... بِحِكْمَتِهِ جَلَّ العَظِيمُ الْمُوَحَّدُ

١٩- فَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَا ... نَبِيُّ الهُدَىٰ وَالعَالَمِينَ مُحَمَّدُ

٢٠- وَخَصَّ لَهُ الرَّحمٰنُ أَصْحَابَهُ الأُلَىٰ ... أَقَامُوا الْهُدَىٰ وَالدِّينَ حَقًّا وَمَهَّدُوا

٢١- فَحُبُّ جَمِيعِ الآلِ وَالصَّحْبِ عِنْدَنَا ... مَعَاشِرَ أَهْلِ الْحَقِّ فَرْضٌ مُؤَكَّدُ

٢٢- وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ كَلَامَهُ ... هُوَ اللَّفْظُ وَالمَعْنَىٰ جَمِيعًا مُجَوَّدُ

٢٣- وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَأَنَّىٰ لِخَلْقِهِ ... بِقَوْلٍ كَقَوْلِ اللهِ إِذْ هُوَ أَمْجَدُ

٢٤- وَنَشْهَدُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ ... بِتَقْدِيرِهِ وَالْعَبْدُ يَسْعَىٰ وَيَجْهَدُ

٢٥- وَإِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَنِيَّةٌ ... مِنَ الْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ فِيهَا نُقَيِّدُ

٢٦- وَيَزْدَادُ بِالطَّاعَاتِ مَعْ تَرْكِ مَا نَهَىٰ ... وَيَنْقُصُ بِالعِصْيَانِ جَزْمًا وَيَفْسدُ

٢٧- نُقِرُّ بِأَحْوَالِ القِيَامَةِ كُلِّهَا ... وَمَا اشْتَمَلَتْهُ الدَّارُ حَقًّا وَنَشْهَدُ

٢٨- تَفَكَّرْ بِآثَارِ العَظِيمِ وَمَا حَوَتْ ... مَمَالِكُهُ العُظْمَىٰ لَعَلَّكَ تَرْشُدُ

٢٩- أَلَمْ تَرَ هٰذَا اللَّيْلَ إِذْ جَاءَ مُظْلِمًا ... فَأَعْقَبَهُ جَيْشٌ مِنَ الصُّبْحِ يَطْرُدُ

٣٠- تَأَمَّلْ بِأَرْجَاءِ السَّمَاءِ جَمِيعِهَا ... كَوَاكِبُهَا وَقَّادَةٌ تَتَرَدَّدُ

٣١- أَلَيْسَ لِهَذَا مُحدِثٌ مُتَصَرِّفٌ ... حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَاحِدٌ مُتَفَرِّدُ

٣٢- بَلَىٰ وَالَّذِي بِالحقِّ أَتْقَنَ صُنْعَهَا ... وَأَوْدَعَهَا الأَسْرَارَ لِلهِ تَشْهَدُ

٣٣- وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ مُوقِنًا ... وَمَا تَنْفَعُ الآيَاتُ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ

٣٤- وَفِي النَّفْسِ آيَاتٌ وَفِيهَا عَجَائِبٌ ... بِهَا يُعْرَفُ اللهُ العَظِيمُ وَيُعْبَدُ

٣٥- لَقَدْ قَامَتِ الآيَاتُ تَشْهَدُ أَنَّهُ ... إِلٰهٌ عَظِيمٌ فَضْلُهُ لَيْسَ يَنْفَدُ

٣٦- فَمَنْ كَانَ مِنْ غَرْسِ الإِلٰهِ أَجَابَهُ ... وَلَيْسَ لِمَنْ وَلَّىٰ وَأَدْبَرَ مُسْعِدُ

٣٧- عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ فِي فِعْلِ أَمْرِهِ	وَتَجْتَنِبُ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ وَتَبْعُدُ
٣٨- وَكُنْ مُخْلِصًا للهِ وَاحْذَرْ مِنَ الرِّيَا	وَتَابِعْ رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتَ تَعْبُدُ
٣٩- تَوَكَّلْ عَلَىٰ الرَّحمٰنِ حَقًّا وَثِقْ بِهِ	لِيَكْفِيكَ مَا يُغْنِيكَ حَقًّا وَتَرْشُدُ
٤٠- تَصَبَّرْ عَنِ العِصْيَانِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِهِ	وَصَابِرْ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ عَلَّكَ تَسْعَدُ
٤١- وَكُنْ سَائِرًا بَيْنَ الْمَخَافَةِ وَالرَّجَا	هُمَا كَجَنَاحَيْ طَائِرٍ حِينَ تَقْصِدُ
٤٢- وَقَلْبَكَ طَهِّرْهُ وَمِنْ كُلِّ آفَةٍ	وَكُنْ أَبَدًا عَنْ عَيْبِهِ تَتَفَقَّدُ
٤٣- وَجَمِّلْ بِنُصْحِ الْخَلْقِ قَلْبَكَ إِنَّهُ	لأَعْلَىٰ جَمَالٍ لِلْقُلُوبِ وَأَجْوَدُ
٤٤- وَصَاحِبْ إِذَا صَاحَبْتَ كُلَّ مُوَفَّقٍ	يَقُودُكَ لِلْخَيْرَاتِ نُصْحًا وَيُرْشِدُ
٤٥- وَإِيَّاكَ وَالْمَرْءَ الَّذِي إِنْ صَحِبْتَهُ	خَسِرْتَ خَسَارًا لَيْسَ فِيهِ تَرَدُّدُ
٤٦- خُذِ العَفْوَ مِنَ أَخْلاقِ مَنْ قَدْ صَحِبْتَهُ	كَمَا يَأْمُرُ الرَّحْمَنُ فِيهِ وَيُرْشِدُ
٤٧- تَرَحَّلْ عَنِ الدُّنْيَا فَلَيْسَتْ إِقَامَةً	وَلَكِنَّهَا زَادٌ لِمَنْ يَتَزَوَّدُ
٤٨- وَكُنْ سَالِكًا طُرُقَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا	إِلَىٰ المَنْزِلِ البَاقِي الَّذِي لَيْسَ يَنْفَدُ
٤٩- وَكُنْ ذَاكِرًا للهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ	فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللهِ وَقْتٌ مُقَيَّدُ
٥٠- فَذِكْرُ إِلَٰهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعْلَنًا	يُزِيلُ الشَّقَا وَالهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ
٥١- وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيَا وَآجِلًا	وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشَرَّدُ
٥٢- فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لِصَحْبِهِ	بِأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرِدُ
٥٣- وَوَصَّىٰ مُعَاذًا يَسْتَعِينُ إِلَٰهَهُ	عَلَىٰ ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالْحُسْنِ يَعْبُدُ
٥٤- وَأَوْصَىٰ لِشَخْصٍ قَدْ أَتَىٰ لِنَصِيحَةٍ	وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ
٥٥- بِأَنْ لا يَزَلْ (١) رَطْبًا لِسَانُكَ هٰذِهِ	تُعِينُ عَلَىٰ كُلِّ الأُمُورِ وَتُسْعِدُ

---

(١) جزم الناظم كلمة «يَزَلْ» لضرورة الوزن والصواب أن المضارع بعد «أنْ» يكون منصوبًا، فيكون

٥٦- وَأَخْبَـرَ أَنَّ الـذِّكْرَ غَـرْسٌ لِأَهْلِـهِ ... بِجَنَّـاتِ عَـدْنٍ وَالمَسَاكِنُ تُمْهَـدُ

٥٧- وَأَخْبَـرَ أَنَّ اللهَ يَـذْكُرُ عَبْـدَهُ ... وَمَعْـهُ عَلَـىٰ كُـلِّ الأُمُـورِ يُسَدِّدُ

٥٨- وَأَخْبَـرَ أَنَّ الـذِّكْرَ يَبْقَـىٰ بِجَنَّـةٍ ... وَيَنْقَطِـعُ التَّكْلِيـفُ حِـينَ يُخَلَّـدُوا

٥٩- وَلَـوْ لَـمْ يَكُـنْ فِـي ذِكْـرِهِ غَيْـرَ أَنَّـهُ ... طَرِيـقٌ إِلَـىٰ حُـبِّ الإِلَـهِ وَمُرْشِـدُ

٦٠- وَيَنْهَـىٰ الفَتَـىٰ عَـنْ غِيبَـةٍ وَنَمِيمَـةٍ ... وَعَـنْ كُـلِّ قَـوْلٍ لِلدِّيَانَـةِ مُفْسِـدُ

٦١- لَكَـانَ لَنَـا حَـظٌّ عَظِـيمٌ وَرَغْبَـةٌ ... بِكَثْـرَةِ ذِكْـرِ اللهِ نِعْـمَ المُوَحِّـدُ

٦٢- وَلَكِنَّنَـا مِـنْ جَهْلِنَـا قَـلَّ ذِكْرُنَـا ... كَمَـا قَـلَّ مِنَّـا لِلإِلَـهِ التَّعَبُّـدُ

٦٣- وَسَلْ رَبَّكَ التَّوْفِيقَ وَالفَوْزَ دَائِمًا ... فَمَـا خَـابَ عَبْـدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَقْصِدُ

٦٤- وَصَـلِّ إِلَهِـي مَـعْ سَـلَامٍ وَرَحْمَـةٍ ... عَلَىٰ خَيْرِ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْخَلْقِ يُرْشِدُ

٦٥- وَآلٍ وَأَصْـحَابٍ وَمَـنْ كَـانَ تَابِعًـا ... صَـلَاةً وَتَسْلِيمًا يَـدُومُ وَيَخْلُـدُ

تمت

غفر الله لكاتبها وناظمها وقارئها ومن قال: آمين، وجميع المسلمين. وصلَّىٰ اللهُ علىٰ محمد ١٣٤٥هـ.

* * *

=

الصواب: «بِألا يَزَالُ».

٤٨- نصيحتي لأهل السنة

٤٩- هذه دعوتنا وعقيدتنا

للشيخ

مقبل بن هادي الوادعي

٤٨- نصيحتي لأهل السنة

قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (ج١٣) (ص١٩٣): حَدَّثَنَا يَعقُوبُ بنُ إبرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا هُشَيمٌ: أخبَرَنَا سَيَّارٌ عَنِ الشَّعبِيِّ، عَن جَرِيرِ بنِ عَبدِ اللَّهِ قَالَ: «بَايَعتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى السَّمعِ وَالطَّاعَةِ فَلَقَّنَني: فِيمَا استَطَعتَ، وَالنُّصحُ لِكُلِّ مُسلِمٍ»[1].

قَالَ الإمَامُ مُسلِم رَحِمَهُ اللهُ (ج١) (ص٧٤): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَبَّادٍ المَكِّيُّ، حَدَّثَنَا سُفيَانُ قَالَ: قُلتُ لِسُهَيلٍ: إنَّ عَمرًا حَدَّثَنَا عَنِ القَعقَاعِ، عَن أبِيكَ قَالَ: وَرَجَوتُ أن يَسقُطَ عَنِّي رَجُلًا قَالَ: فَقَالَ: سَمِعتُ مِنَ الَّذِي سَمِعَهُ مِنهُ أبِي كَانَ صَدِيقًا لَهُ بِالشَّامِ.

ثُمَّ حَدَّثَنَا سُفيَانُ عَن سُهَيلٍ، عَن عَطَاءَ بنِ يَزِيدَ، عَن تَمِيمِ الدَّارِيِّ: أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قُلنَا: لِمَن؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، ولأئِمَّةِ المُسلِمِينَ وَعَامَّتِهِم»[2].

نَصِيحَتِي لأهل السُّنَّةِ

أن يَتَبَاعَدُوا عَن أسبَابِ الفُرقَةِ وَالاختِلَافِ، فَعَقِيدَةُ أهلِ السُّنَّةِ وَاحِدَةٌ، وَاتِّجَاهُهُم وَاحِد، لَيسَ هُنَاكَ مُسَوِّغ لِلفُرقَةِ وَالاختِلَافِ إلَّا الجَهلُ وَالبَغيُ وَالشَّيطَانُ، وَفِي «صَحِيحِ مُسلِمٍ»: «إنَّ الشَّيطَانَ قَد أيِسَ أن يَعبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِن فِي التَّحرِيشِ بَينَهُم»[3].

وَالخِلَافُ شَرٌّ، كَمَا قَالَ عَبدُ اللَّهِ بنُ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عِندَمَا صَلَّى عُثمَان رَضِيَ اللهُ عَنهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨١٢).

بِمِنًىٰ بِالنَّاس أربَعًا، فَاستَرجَعَ عَبدُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «صَلَّيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم رَكعَتَينِ، وَمَعَ أَبِي بَكرٍ رَكعَتَينِ، وَمَعَ عُمَرَ رَكعَتَينِ، فَيَا لَيتَ لِي رَكعَتَينِ مَقبُولَتَينِ. فَقِيلَ لَهُ: أَلَا صَلَّيتَ رَكعَتَينِ؟ قَالَ: الخِلَافُ شَرٌّ». رواه البُخَارِيُّ بِهَذَا المَعنَىٰ [(١)].

وَرَوَىٰ مُسلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»: عَنِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم يَمسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: لَا تَختَلِفُوا فَتَختَلِفَ قُلُوبُكُم، لِيَلِنِي مِنكُم أُولُو الأَحلَامِ وَالنُّهَىٰ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم» [(٢)].

وَرَوَىٰ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: عَنِ النُّعمَانِ بنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُم، أو لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَينَ وُجُوهِكُم» [(٣)].

وَعَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِن نَاحِيَةٍ إِلَىٰ نَاحِيَةٍ، يَمسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ: لَا تَختَلِفُوا فَتَختَلِفَ قُلُوبكُم. وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الصُّفُوفِ الأُوَلِ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ إِلَّا عَبدُ الرَّحمَنِ بنِ عَوسَجَةَ، وَقَد وَثَّقَهُ النَّسَائِيُّ [(٤)].

وَفِي «الصَّحِيحَينِ»: عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم قَالَ: وَفِي البَيتِ رِجَالٌ فِيهِم عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، قَالَ: هَلُمَّ أَكتُبْ لَكُم كِتَابًا لَن تَضِلُّوا بَعدَهُ. قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم غَلَبَهُ الوَجَعُ، وَعِندَكم القُرآنُ، وَحَسبُنَا كِتَابُ اللَّهِ. وَاختَلَفَ أَهلُ البَيتِ وَاختَصَمُوا، فَمِنهُم مَن يَقُولُ: قَرِّبُوا

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٦٦٤)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٠٢).

يَكتُبْ لَكُم رَسُولُ اللّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم كِتَابًا لَن تَضِلُّوا بَعدَهُ. وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ: مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أكثَرُوا اللَّغَطَ وَالاختِلَافَ عِندَ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم قَالَ: «قُومُوا عَنِّي». قَالَ عُبَيدُ اللّهِ: فَكَانَ ابنُ عَبَّاسٍ يَقولُ: إنَّ الرَّزِيَّةَ كلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَينَ رَسُولِ اللّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم وَبَينَ أن يَكتُبَ لَهُم ذَلِكَ الكِتَابَ مِنَ اختِلَافِهِم ولَغَطِهِم(١).

وَرَوَىٰ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: عَن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم لِيُخبِرَنَا بِلَيلَةِ القَدرِ، فَتَلَاحَىٰ رَجُلَانِ مِنَ المُسلِمِينَ، فَقَالَ: «خَرَجتُ لأخبِرَكم بِلَيلةِ القدرِ، فَتَلَاحَىٰ فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَت، وَعَسَىٰ أن يَكُونَ خَيرًا لَكُم، فَالتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالخَامِسَةِ»(٢).

وَرَوَىٰ مُسلِم فِي «صَحِيحِهِ»: عَن أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: «اعتَكَفَ رَسُولُ اللّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم العَشرَ الأوسَطَ مِن رَمَضَانَ، يَلتَمِسُ لَيلَةَ القَدرِ قَبلَ أن تُبَانَ لَهُ، فَلَمَّا انقَضَينَ؛ أمَرَ بِالبِنَاءِ فَقُوِّضَ، ثُمَّ أُبِينَتْ لَهُ أنَّهَا فِي العَشرِ الأوَاخِرِ، فَأمَرَ بِالبِنَاءِ فَأُعِيدَ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَقَالَ: «يَا أيُّهَا النَّاسُ، إنَّهَا كَانَت أُبِينَت لِي لَيلَةُ القَدرِ، وَإنِّي خَرَجتُ لأُخبِرَكُم بِهَا، فَجَاءَ رَجُلَانِ يَحتَقَّانِ مَعَهُمَا الشَّيطَانُ، فَنُسِّيتُهَا، فَالتَمِسُوهَا فِي العَشرِ الأوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ». إلَىٰ أن قَالَ مُسلِمٌ رحمه الله: وَقَالَ ابنُ خَلَّادٍ: مَكَانَ «يَحتَقَّانِ»: يَختَصِمَانِ(٣).

وَرَوَىٰ أبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَن أبِي ثَعلَبَةَ الخُشَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّاسُ إذَا نَزَلُوا مَنزِلًا قَالَ عُمَرُ: وَكَانَ النَّاسُ إذَا نَزَلَ رَسُولُ اللّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم مَنزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَاب وَالأودِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «إنَّ تَفَرُّقَكُم

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٩)، ومسلم (١٦٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٣).

(٣) أخرجه مسلم (١١٦٧).

فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَودِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُم مِنَ الشَّيطَانِ». فَلَم يَنزِل بَعدَ ذَلِكَ مَنزِلًا إِلَّا انضَمَّ بَعضُهُم إِلَىٰ بَعضٍ، حَتَّىٰ يُقَالُ: لَو بُسِطَ عَلَيهِم ثَوبٌ لَعَمَّهُم(١).

وَرَوَىٰ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَن عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: «اقضُوا كَمَا كنتُم تَقضُونَ، فَإِنِّي أَكرَهُ الاختِلَافَ، حَتَّىٰ يَكُونَ النَّاسُ جَمَاعَةً، أو أَمُوتُ كَمَا مَاتَ أصحَابِي».

فَأَنتُم - بِحَمدِ اللهِ - يَا أَهلَ السُّنَّةِ لَستُم كَالرَّوَافِضِ يُكَفِّرُ بَعضُهُم بَعضًا، وَهَكَذَا رُءوسُ الاعتِزَالِ يُكَفِّر بَعضُهُم بَعضًا كمَا فِي كُتُبِ المِلَلِ وَالنِّحَلِ، أَمَّا أَهلُ السُّنَّةِ - فَالحَمدُ لِلَّهِ - غَالِبُ اختِلَافِهِم فِي مَفهُومِ حَدِيثٍ فِي عِبَادَاتٍ وَرَدَت عَنِ الشَّارِعِ مُتَنَوِّعَةً، أو فِي حَدِيثٍ اختَلَفَت أَنظَارُهُم فِي تَصحِيحِهِ وَتَضعِيفِهِ إِلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِن أَسبَابِ الاختِلَافِ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيةَ ﷺ.

أنتُم تَعلَمُونَ يَا أَهلَ السُّنَّةِ أنَّ أعدَاءَكُم يَشمَتُونَ بِكُم، وَأَنَّ أَعدَاءَ الإِسلَامَ مَا يَهَابُونَ إِلَّا إِيَّاكُم؛ فَهُم يَحرِصُونَ عَلَىٰ تَشتِيتِ شَملِكم بِأيِ وَسِيلَةٍ.

إِنَّ الوَاجِبَ عَلَىٰ أهلِ السُّنَّةِ أن يَكُونُوا مُهَيَّئِينَ لِحَلِّ مَشَاكِلِ العَالَمِ كلِّهِ، فَهُم أهلٌ لِذَلِكَ، وَأَحَقُّ بِهِ، فَهُمُ الَّذِينَ أعطَاهُمُ اللهُ فَهمَ كتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم عَلَىٰ الوَجهِ الصَّحِيحِ.

إِنَّ أهلَ السُّنَّةِ يُعتَبَرُون أَكثَرَ العَالَمِ الإسلَامِيِّ، وَلَكِنَّ تَفَرُّقَهُم وَاختِلَافَهُم وَجَهلَ أهلِ كُلِّ شَعبٍ بِأحوَالِ الآخَرِينَ جَعَلَهُم يَذُوبُونَ فِي المُجتَمَعَاتِ، وَإِنَّا لَنَرجُو أن يُوَفِّقَ اللهُ القَائِمِينَ بِالدَّعوَةِ لِلسُّنَّةِ لِتَفَقُّدِ أحوَالِ أهلِ السُّنَّةِ، وَالنَّشرِ عَنهُم وَعَن أحوَالِهِم، وَعَسَىٰ اللهُ أن يَجمَعَ شَملَهُم.

أَوَلَستُم أَحَقَّ النَّاسِ يَا أَهلَ السُّنَّةِ بِجَمعِ الشَّملِ وَوَحدَةِ الكَلِمَةِ، وَرَبُّ العِزَّةِ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٢٨)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٢٧).

وَالنَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم يَقُولُ - كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِن حَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ ﷺ -: «المُؤمِنُ لِلمُؤمِنِ كالبُنيَانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا»(١) .

وَيَقُولُ- كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِن حَدِيثِ النُّعمَانِ بنِ بَشِيرٍ-: «مَثَلُ المُؤمِنِينَ فِي تَوَادِّهِم وَتَرَاحُمِهِم كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشتَكَىٰ مِنهُ عُضو تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ»(٢) .

فَالرَّافِضَةُ شَغَلَتِ العَالَمَ بِإِعلَامِهَا، وَأَضَلَّت كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، بَل شَغَلَتهُم عَن أَدَاءِ مَنَاسِكِ الحَجِّ، فَالنَّاسُ يَأتُونَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيُؤَدُّوا مَنَاسِكَهُم؛ وَلِيَذكُرُوا اللَّهَ فِي تِلكَ الشَّعَائِرِ المُبَارَكَةِ، فَمَا يَشعُرُونَ إِلَّا بِخُرُوجِ الرَّافِضَةِ بِالمُظَاهَرَاتِ الجَاهِلِيَّه يَهتِفُونَ: «خُمَينِي خُمَينِي». فَمَنِ الَّذِي يَستَطِيعُ أَن يُفَرِّقَ هَذِهِ الجُمُوعَ الَّتِي عَتَت عَن أَمرِ رَبِّهَا، وَجَعَلَتِ الحَجَّ شِعَارًا لِلفَوضَىٰ وَالصَّخَبِ وَالدَّعَوَاتِ الجَاهِلِيَّه، لَا يَستَطِيعُ - بِإِذنِ اللَّهِ - إِلَّا أَهلُ السُّنَّةِ إِنِ اجتَمَعَت كَلِمَتُهُم، وَكَانُوا أَهلَ سُنَّةٍ حَقًّا.

إِنَّ هَذِهِ اليَقَظَةَ الإِسلَامِيَّةَ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ تَحتَاجُ إِلىٰ رِعَايَةٍ، وَمَن يَقُومُ بِرِعَايَتِهَا إِلَّا أَهلُ السُّنَّةِ؟!

عِلاجُ الاختِلَافِ النَّاشِئ بَينَ أهلِ السُّنَّةِ المُعَاصِرِينَ

إِنَّ الاختِلَافَ النَّاشِئَ بَينَ أَهلِ السُّنَّةِ يَزُولُ بِإِذنِ اللَّهِ بِأُمُورٍ:

مِنهَا: تَحكِيمُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٩] .

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] .

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: ٨٣] .

وَمنهَا: سُؤَالُ أهلِ العِلمِ مِن أهلِ السُّنَّةِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل: ٤٣] .

وَلَكِنَّ بَعضَ طَلَبَةِ العِلمِ رَضِيَ بِمَا عِندَهُ مِنَ العِلمِ، وَأصبَحَ يُجَادِلُ بِهِ كُلَّ مَن يُخَالِفُهُ، وَهَذَا سَبَبٌ مِن أسبَابِ الفُرقَةِ وَالاختِلَافِ، رَوَىٰ الإمَامُ التِّرمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»: عَن أبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «مَا ضَلَّ قَوم بَعدَ هُدًىٰ كَانُوا عَلَيهِ إلَّا أُوتُوا الجَدَلَ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾[الزخرف: ٥٨][1] .

وَمنهَا: الإقبَالُ عَلَىٰ طَلَبِ العِلمِ، فَإذَا نَظَرتَ إلَىٰ قُصُورِكَ، بَل إلَىٰ أنَّكَ لَستَ بِشَيءٍ إلَىٰ جَانِبِ العُلَمَاءِ المُتَقَدِّمِينَ كَالحَافِظِ ابنِ كَثِيرٍ وَمَن تَقَدَّمَهُ مِنَ الحُفَّاظِ المُبَرِّزِينَ فِي فُنُونٍ شَتَّىٰ، إذَا نَظَرتَ إلَىٰ هَؤلَاءِ الحُفَّاظِ شُغِلتَ بِنَفسِكَ عَن الانتِقَادِ عَلَىٰ الآخَرِينَ.

وَمنهَا: النَّظَرُ فِي اختِلَافِ الصَّحَابَةِ ﷺ فَمَن بَعدَهُم مِنَ العُلَمَاءِ المُبَرِّزِينَ، إذَا نَظَرتَ إلَىٰ اختِلَافِهِم حَمَلتَ مُخَالِفَكَ عَلَىٰ السَّلَامَةِ، وَلَم تُطَالِبهُ بِالخُضُوعِ لِرَأيِكَ، وَعَلِمتَ أنَّكَ بِمُطَالَبَتِهِ لِلخُضُوعِ لِرَأيِكَ تَدعُوهُ إلَىٰ تَعطِيلِ فَهمِهِ وَعَقلِهِ، وَتَدعُوهُ إلَىٰ تَقلِيدِكَ، وَالتَّقلِيدُ فِي الدِّينِ حَرَام، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] إلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأدِلَّةِ المَبسُوطَةِ فِي كِتَابِ الشَّوكَانِيِّ: «القَولُ المُفِيد فِي أدِلَةِ الاجتِهَادِ وَالتَّقلِيدِ».

وَمنهَا: النَّظَرُ إلَىٰ أحوَالِ المُجتَمَعِ الإسلَامِيِّ، وَمَا تُحِيطُ بِهِ مِنَ الأخطَارِ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٥٣)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤١).

وَجهلِ كَثيرٍ مِن أهلِهِ بِهِ، فَإنَّكَ إذَا نَظرتَ إلَىٰ المُجتَمَعِ الإسلَامِيِّ، شُغِلتَ عَن أخِيكَ الَّذِي يُخَالِفُكَ فِي فَهمِكَ، وَقَدَّمتَ الأَهَمَّ فَالأهَمَّ؛ فَإنَّ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم عِندَمَا أرسَلَ مُعَاذًا إلَىٰ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «أوَّلُ مَا تَدعُوهُم إلَىٰ شَهَادَةِ أن لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ مِن حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ[1].

وَبَعدُ: فَإنَّا قَد نَظَرنَا فِي المَسَائِلِ الَّتِي يَختَلِفُ فِيهَا أهلُ السُّنَّةِ المُعَاصِرُونَ الَّذِينَ لَا يَختَلِفُونَ عَن هَوًىٰ، فَوَجَدنَاهَا تُقَارِبُ ثَلَاثِينَ مَسألَةً، وَوَزَّعنَاهَا عَلَىٰ إخوَانِنَا أهلِ السُّنَّةِ يَذكُرونَ- إن شَاءَ اللهُ- الأحَادِيثَ بِأسَانِيدِهَا، وَيَنظُرونَ فِي أقوَالِ الشُّرَّاحِ فِي فَهمِ هَذِهِ الأحَادِيثِ، وَإنِ احتِيجَ إلَىٰ نَظَرٍ فِي كُتُبِ الفُقَهَاءِ- رَحِمَهُمُ اللهُ- نُظِرَ فِيهَا، وَبَعدَ الانتِهَاءِ - إن شَاءَ اللهُ - سَيُنشَرُ فِي رِسَالَةٍ صغِيرَةٍ.

وَقَد بَلَغَنِي أنَّ أهلَ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُهِمُّهُم أمرُ المُسلِمِينَ فِي غَايَةٍ مِنَ الشَّوقِ إلَىٰ هَذَا، وَفِي هَذَا - إن شَاءَ اللهُ - قَطعُ ألسِنَةِ الحَاقِدِينَ عَلَىٰ أهلِ السُّنَّةِ الَّذِينَ يَسخَرُونَ مِنهُم، وَيَقُولُونَ: إنَّهُم يَختَلِفُونَ فِي الشَّيءِ التَّافِهِ، وَيُنَفِّرُونَ عَنهُم، وَيَلمِزُونَهُم بِمَا لَيسَ فِيهِم، شَأنُ المُبتَدِعَةِ وَذَوِي الأهوَاءِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، أنَّهُم يُنَفِّرونَ عَن أهلِ السُّنَّةِ، وَقَد سَاقَ عَنهُمُ ابنُ قُتَيبَةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «تَأوِيل مُختَلَفِ الحَدِيثِ» الشَّيءَ الكَثِيرَ مِنَ السُّخرِيَةِ بِأهلِ السُّنَّةِ.

وَقَد مَاتَ النَّظَّامُ وَأبُو الهُذَيلِ وَغَيرُهُمَا مِن أعدَاءِ السُّنَّةِ، وَبَقِيَت سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم بَيضَاءَ صَافِيَةً لَم يَضُرَّهَا سُخرِيَتُهُم، وَسَيَمُوتُ أعدَاءُ السُّنَّةِ المُعَاصِرُونَ، وَتَبقَىٰ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم؛ لأنَّ اللهَ تَضَمَّنَ بِحِفظِهَا، فَقَالَ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩].

وَالذِّكرُ يَشمَلُ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ؛ إذ كِلَاهُمَا وَحيٌ مِن عِندِ اللهِ قَالَ ﷺ: ﴿ وَمَا

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]

وَقَالَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «أَلا إِنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ وَمِثلَهُ مَعَهُ» (١).

هَذَا وَلَسنَا نُطَالِبُ أهلَ السُّنَّةِ المُعَاصِرِينَ ألَّا يَختَلِفُوا فِي صِحَّةِ الحَدِيثِ وَتَضعِيفِهِ، وَألَّا يَختَلِفُوا فِي فَهمِ الأدِلَّةِ، فَإنَّ هَذَا أمرٌ قَدِ اختَلَفَ فِيهِ سَلَفُهُم- رَحِمَهُمُ اللهُ- كَمَا هُوَ مَعرُوفٌ مِن سِيرَتِهِم، بَلِ اختَلَفَ المَلَائِكَةُ الكِرَامُ ﷺ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩﴾ [ص: ٦٧-٦٩]

وَخَالَفَ سُلَيمَانُ أبَاهُ دَاودَ ﷺ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩]

وَفِي «الصَّحِيحَينِ»: عَن أبِي هُرَيرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم قَالَ: «كَانَت امرَأتَانِ مَعهُمَا ابنَاهمَا، جَاءَ الذِّئبُ فَذَهَبَ بِابنِ إحدَاهمَا، فَقَالَت صَاحِبَتُهَا: إنَّمَا ذَهَبَ بِابنِكِ.

وَقَالَتِ الأُخرَىٰ: إنَّمَا ذَهَبَ بِابنِكِ. فَتَحَاكَمَا إلَىٰ دَاودَ، فَقَضَىٰ بِهِ لِلكُبرَىٰ، فَخَرَجَتَا عَلَىٰ سُلَيمَانَ بنِ دَاودَ فَأخبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائتُونِي بِالسِّكِّين أشُقُّ بَينَهُمَا. فَقَالَتِ الصُّغرَىٰ: لا تَفعَل- يَرحَمُكَ اللهُ- هُوَ ابنُهَا، فَقَضَىٰ بِهِ لِلصُّغرَىٰ».

قَالَ أبُو هُرَيرَةَ: إن سَمِعتُ بِالسِّكِّينِ إلَّا يَومَئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إلَّا: المُديَةَ (٢).

فَهَذِهِ نَصِيحَتِي لإخوَانِي فِي اللهِ أهلِ السُّنَّةِ، وَأسألُ اللهَ لَهُمُ النَّصرَ وَالتَّوفِيقَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٠).

٤٩- هذه دعوتنا وعقيدتنا

إنَّ الحَمدَ للهِ نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أنفُسِنَا وَمن سَيِّئَاتِ أعمَالِنَا، مَن يَهدِ اللهُ فَهُوَ المُهتَدِي، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأشهَدُ أن لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أمَّا بَعدُ:

فَإنَّهَا لَمَّا كَثُرَتِ العَقَائِدُ المُختَلِفَةُ، وَانتَشَرَت دَعَوَاتٌ شَتَّى، وَصَارَ حَالُ أصحَابِهَا كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٣] وَحَالُ أصحَابِهَا كَمَا قِيلَ:

وكُــلٌّ يَــدَّعِي وَصــلًا لِلَيلَــى ... ولَيلَــى لا تُقِــرُّ لَهُــم بِــذَاكَا

وَلَا تَجِدُ أصحَابَ دَعوَةٍ إلَّا وَهُم يَدَّعُونَ أنَّهم عَلَى الصِّرَاطِ المُستَقِيمِ، فَذَلِكُم فِرعَونُ الَّذِي يَقُولُ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] يَقُولُ لِقَومِهِ: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر: ٢٩]

وَيَقُولُ فِي شَأنِ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى ﵇: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦]

وَيَقُولُ هُوَ وَقَومُهُ فِي شَأنِ مُوسَى وَهَارُون ﵉: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ

أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ [طه: ٦٣].

وَيَقُولُ ﷻ عَن دَعوَى المُنَافِقِينَ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١].

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٢، ١٣].

وَإِلَيكَ مِثَالًا: هَذِهِ الطَّائِفَةُ الضَّالَّةُ المَارِقَةُ الإِسمَاعِيلِيَّةُ بِنَجرَانَ وَالفَرعِ وَالعَطفَينِ وَالأَحسَاءِ وَالقَطِيفِ وَالبَحرَينِ وَالمَدِينَةِ، وَهُمُ المُسَمَّونَ بِالنَّخَاوِلَةِ، وَبِجِرَاز وَعِرَاس وَيِنقم بِصَنعَاءَ وَبِالهِندِ، وَمَشَايِخُهُم يُسَمَّونَ بِالمَكَارِمَةِ، وَلَيسُوا بِمَكَارِمَةٍ.

وَالمَكَارِمَةُ يَنتَسِبُونَ إِلَىٰ المَذهَبِ البَاطِنِيِّ المُلحِدِ المُحَادِّ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلإِسلَامِ، فَقَد قَتَلَ أَسلَافُهُمُ الحَجِيجَ بِبَيتِ اللهِ الحَرَامِ وَاقتَلَعُوا الحَجَرَ الأَسوَدَ وَبَقِيَ عِندَهُم فَترَةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ رَدُّوا كسرًا مِنه.

فَالمَكَارِمَةُ لَيسُوا بِمُسلِمِينَ، بَل هُم أَضَرُّ عَلَىٰ الإِسلَامِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُم يَنشُرونَ دَعوَتَهُم بِالكُتُبِ وَبِغَيرِهَا مِنَ الإِغرَاءَاتِ المَالِية، حَتَّىٰ إِنَّهُم أَصبَحُوا فِي نَجرَانَ يُعطُونَ بَعضَ ضِعَافِ النُّفُوسِ مِنَ اليَمَنِيِّينَ تَابِعيَّة، يَزعُمُونَ أَنَّهُم يَدعُونَهُ إِلَىٰ الالتِحَاقِ بِالسُّعُودِيةِ، وَفِي الوَاقِعِ لَا يَدعونَهُ إِلَىٰ الالتِحَاقِ بِالسُّعُودِيةِ، وَلَكِن يَدعُونَهُ لِلالتِحَاقِ بِالمَذهَبِ الإِسمَاعِيلِيِّ القُرمُطِيِّ البَاطِنِيِّ، فَهُم لَا يُحِبُّونَ السُّعُودِيةَ، وَلَا يُحِبُّونَ أَحَدًا لَيسَ عَلَىٰ مَذهَبِهِم البَاطِلِ.

أَقُولُ هَذَا عَن خِبرَةٍ وَمَعرِفَةٍ بِهِم؛ لأَنِّي مَكَثتُ بِنَجرَانَ قَدرَ سَنَتَينِ.

ذَهَبتُ ذَاتَ لَيلَةٍ إِلَىٰ بَعضِ أَهلِ نَجرَانَ، فَوَجَدتُ كِتَابًا مِن كُتُبِهِم، وَقَرَأتُ فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ الضَّلَال المُبِينُ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]. قَالُوا: عَائِشَةُ! وَكُلُّ مُسلِمٍ يَقرَأ القرآنَ يَعلَمُ أَنَّهَا فِي مُوسَىٰ وَقَومِهِ.

وَالجِبتُ وَالطَّاغُوتُ: أبو بكر وَعُمَرُ، وَمَوَاقِفُهُمَا المُبَارَكة فِي الإسلَامِ فِي عَصرِ النبُوَّةِ وَبَعدَهُ مَعرُوفَةٌ لَدَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ، وَأَنَّهُمَا مِن أهْلِ الجَنَّةِ كَمَا جَاءَت بِذَٰلِكَ الأحَادِيثُ المُتَكَاثِرَة.

وَهُم يَزعُمُونَ لأتبَاعِهِم أَنَّهُم يُحِبُّونَ أهلَ البَيتِ، وَمَا أكثَرَ البَلَاءِ الَّذِي دَخَلَ عَلَىٰ الإسلَامِ بِسَبَبِ دَعوَىٰ مَحَبَّةِ أهلِ بَيتِ النُّبوَّةِ- رَحِمَهُمُ اللهُ-!

مِن أجلِ هَٰذِهِ التُّرَّهَاتِ وَالأبَاطِيلِ وَالدِّعَايَاتِ الكَاذِبَةِ، وَمن أجلِ جَهلِ كثِيرٍ مِنَ المُسلِمِينَ بِدِينِهِم حَتَّىٰ لَقَد أصبَحَ كَثِيرٌ مِنهُم مُتَحَيِّرًا، كَمَا أخبَرُونَا بِذَٰلِكَ.

وَمن أجلِ الدِّعَايَاتِ المَلعُونَةِ مِنَ الشُّيوعِيةِ وَالبَعثِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ وَالصُّوفِيَّةِ الَّتِي تُنَفِّرُ المُسلِمِينَ عَنِ الدُّعَاةِ إِلَىٰ اللَّهِ، رَأيتُ أن أجمَعَ نَبذَةً عَن دَعوَةِ أهلِ السُّنَّةِ بِاليَمنِ، فَأقُولُ- وَبِاللَّهِ التَّوفِيقِ-:

هَٰذِهِ دَعوَتُنَا وَعَقِيدَتُنَا

١- نُؤمِنُ بِاللَّهِ، وَبِأسمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ كَمَا وَرَدَت فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم مِن غَيرِ تَحرِيفٍ، وَلَا تَأوِيلٍ، وَلَا تَمثِيلٍ، وَلَا تَشبِيهٍ، وَلَا تَعطِيلٍ.

٢- نَعتَقِدُ أنَّ نِدَاءَ الأموَاتِ وَالاستِغَاثَةَ بِهِم وَكَذَا الأحيَاءُ فِيمَا لَا يَقدِرُ عَلَيهِ إلَّا اللهُ شِركٌ بِاللَّهِ.

وَهَكَذَا العَقِيدَةُ فِي الحرُوزِ وَالعَزَائِمِ أَنَّهَا تَنفَع مَعَ اللَّهِ، أو مِن دُونِ اللَّهِ شِركٌ، وحَملهَا مَعَ غَيرِ عَقِيدَةٍ خُرَافَةٌ.

٣- نَأخُذُ بِظَاهِرِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا نُؤَوِّلُ إلَّا بِدَلِيلٍ يَقتَضِي التَّاوِيلَ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

٤- نُؤمنُ بِأنَّ المُؤمنِينَ سَيَرون رَبَّهُم فِي الآخِرَةِ بِلَا كَيف، وَنُؤمِنُ بِالشَّفَاعَةِ وَبِخُرُوجِ المُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ.

٥- نُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وَنُبغِضُ مَن تَكَلَّمَ فِيهِم، وَنَعتَقِدُ أنَّ الطَّعنَ فِيهِم طَعنٌ فِي الدِّينِ؛ لأنَّهُم حَمَلَتُهُ إلَينَا، وَنُحِبُّ أهلَ بَيتِ النُّبُوَّةِ حُبًّا شَرعِيًّا.

٦- نُحِبُّ أهلَ الحَدِيثِ وَسَائِرَ سَلَفِ الأُمَّةِ مِن أهلِ السُّنَّةِ.

٧- نَكرَهُ عِلمَ الكَلَامِ، وَنَرَىٰ أنَّهُ مِن أعظَمِ الأسبَابِ لِتَفرِقَةِ الأُمَّةِ.

٨- لَا نَقبَلُ مِن كُتُبِ الفِقهِ وَمن كتُبِ التَّفسِيرِ وَمنَ القَصَصِ القَدِيمَةِ وَمنَ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ إلَّا مَا ثَبَتَ عَنِ اللَّهِ او عَن رَسولِ اللَّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وَلَيسَ مَعنَاهُ أنَّنَا نَنبُذُهَا، او نَزعُم أنَّنَا نَستَغنِي عَنهَا، بَل نَستَفِيدُ مِنَ استِنبَاطَاتِ عُلَمَائِنَا الفُقَهَاءِ وَغَيرِهِم، وَلَكِن لَا نَقبَلُ الحُكمَ إلَّا بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ.

٩- لَا نَكتُبُ فِي كِتَابَاتِنَا وَلَا نُلقِي فِي دُرُوسِنَا، وَلَا نَخطُبُ إلَّا بِقُرآنٍ، او حَدِيثٍ صَالِحٍ لِلحُجِّيَّةِ، وَنَكرَهُ مَا يَصدُرُ مِن كَثِيرٍ مِنَ الكُتَّابِ وَالوَاعِظِينَ مِنَ الأقَاصِيصِ البَاطِلَةِ، وَمِنَ الأحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالمَوضُوعَةِ.

١٠- لَا نُكَفِّرُ مُسلِمًا بِذَنبٍ إلَّا الشِّركَ بِاللَّهِ، او تَركَ الصَّلَاةِ او الرِّدَّةَ - أعَاذَنَا اللَّهُ وَإيَّاكُم مِن ذَلِكَ -.

١١- نُؤمنُ بِأنَّ القُرآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيرُ مَخلُوقٍ.

١٢- نَرَىٰ وُجُوبَ التَّعَاوُنِ مَعَ أيِّ مُسلِمٍ فِي الحَقِّ، وَنَبرأُ إلَىٰ اللَّهِ مِنَ الدَّعَوَاتِ الجَاهِلِيَّةِ.

١٣- لَا نَرَىٰ الخُرُوجَ عَلَىٰ الحُكَّامِ المُسلِمِينَ مَهمَا كانوا مُسلِمِينَ، وَلَا نَرَىٰ الانقِلَابَاتِ سَبَبًا لِلإصلَاحِ، بَل لإفسَادِ المُجتَمَعِ، أمَّا حُكَّامُ عَدَن فَنَرَىٰ قِتَالَهُم وَاجِبًا حَتَّىٰ يَتُوبُوا مِنَ الإلحَادِ، وَمِنَ الاشتِرَاكِيَّةِ، وَمن دَعوَةِ النَّاسِ إلَىٰ عِبَادَةِ «لِينِين

وَمَارِكس٩. وَغَيرِهِمَا مِن زُعَمَاءِ الكُفرِ.

١٤- نَرَىٰ هَذِهِ الجَمَاعَاتِ المُعَاصِرَةَ المُتَكَاثِرَةَ سَبَبًا لِفُرقَةِ المُسلِمِينَ وَإِضعَافِهِم.

١٥-نَرَىٰ دَعوَةَ الإِخوَانِ المُسلِمِينَ غَيرَ قَادِرَةٍ وَغَيرَ صَالِحَةٍ لإِصلَاحِ المُجتَمَعِ؛ إذ قَد أصبَحَت دَعوَةً سِيَاسِيَّةً لَا رُوحِيَّةً، وَأيضًا دَعوَةً مُبتَدَعَةً؛ لأنَّهَا دَعوَةٌ إِلَىٰ مُبَايَعَةِ مَجهُولٍ، وَدَعوَةُ فِتنَةٍ؛ لأنَّهَا قَائِمَة علَىٰ جَهلٍ، وَسَائِرَةٌ عَلَىٰ جَهلٍ، وَنَنصَحُ بَعضَ الإخوَةِ العَامِلِينَ فِيهَا مِنَ الأفَاضِلِ بِالتَّخَلِّي عَنهَا حَتَّىٰ لَا يَضِيعُ وَقتُهُم فِيمَا لَا يَنفَعُ الإِسلَامِ وَالمُسلِمِينَ، وَعَلَىٰ المُسلِمِ أن يَكُونَ هَمُّهُ أنَّ اللهَ يَنصُرُ الإِسلَامَ وَالمُسلِمِينَ.

١٦-وَأمَّا جَمَاعَةُ التَّبلِيغِ فَإلَيكَ مَا كَتَبَهُ الأخ الفَاضِلُ مُحَمَّد بنُ عَبدِ الوَهَّابِ الوِصابِيُّ. فَقَالَ- حَفِظَهُ اللهُ-:

١-يَعمَلُونَ بِالأحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ، بَل وَالمَوضُوعَةِ وَمَا لَا أصلَ لَهَا.

٢-تُوجَدُ فِيهِم بِدعٌ كَثِيرَةٌ، بَل إنَّ دَعوَتَهُم مَبنِيَّةٌ علَىٰ البِدعِ إذ عَمُودُ دَعوَتِهِم الفَقرِي هُوَ الخُرُوج بِهَذا التَّحدِيدِ: مِن كُلِّ شَهرٍ ٣ أيَّامٍ، وَفِي السَّنَةِ أربَعُونَ يَومًا، وَفِي العُمُرِ أربَعَةُ أشهُرٍ، وَفِي كُلِّ أسبُوعٍ جَولَتَانِ: جَولَةٌ فِي المَسجِدِ الَّذِي تُصَلِّي فِيهِ، وَالثَّانِيَةُ مُتَنَقِّلَةٌ!

وَفِي كُلِّ يَومٍ حَلقَتَانِ: حَلقَةٌ فِي المَسجِدِ الَّذِي تُصَلِّي فِيهِ، وَالثَّانِيَةُ فِي البَيتِ، وَلَن يَرضَوا عَنِ الشَّخصِ إلَّا إذَا التَزَمَهُ، وَلَا شَكَّ أنَّهُ بِدعَةٌ فِي الدِّينِ مَا أنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلطَانٍ.

٣-يَرَونَ أنَّ الدَّعوَةَ إِلَىٰ التَّوحِيدِ تَنفِيرٌ لِلأُمَّةِ.

٤-يَرَونَ أنَّ الدَّعوَةَ إِلَىٰ السُّنَّةِ تَنفِيرٌ لِلأُمَّةِ.

٥-يَقُولُ أمِيرُهُم بِالحُدَيدَةِ: بِدعَةٌ تَجمَعُ النَّاسَ خيرٌ مِن سُنَّةٍ تُفَرِّقُ بَينَهُم.

٦-يُكِنُّونَ العَدَاوَةَ لأهلِ السُّنَّةِ.

٧-يُزَهِّدُونَ النَّاسَ عَنِ العِلمِ النَّافِعِ تَلمِيحًا وَتَصرِيحًا.

٨-يَرَونَ أَنَّهُ لَا نَجَاةَ لِلنَّاسِ إِلَّا عَن طَرِيقِهِم، وَيَضرِبُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ مَثَلًا بِسَفِينَةِ نُوحٍ، مَن رَكِبَ فِيهَا؛ نَجَا، وَمَن لَم يَركَب؛ هَلَكَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ دَعوَتَنَا كَسَفِينَةِ نُوحٍ، وَقَد سَمِعتُ هَذَا المَثَلَ مِنهُم فِي الأُردُنِّ وَاليَمَنِ.

٩-لَا يَهتَمُّونَ بِتَوحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ، وَتَوحِيدِ الأَسمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

١٠-إِنَّهُم غَيرُ مُستَعِدِّينَ لِطَلَبِ العِلمِ، وَيَرَونَ الوَقتَ الَّذِي يُصرَفُ فِي طَلَبِ العِلمِ ضَائِعًا.

وَفِيهِم غَيرُ مَا ذُكِرَ.

١١-تَتَقَيَّدُ فِي فَهمِنَا لِكِتَابِ اللّٰهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللّٰهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم بِفَهمِ سَلَفِ الأُمَّةِ مِنَ المُحَدِّثِينَ، غَير مُقَلِّدِينَ لأَفرَادِهِم، بَل نَأخُذُ الحَقَّ مِمَّن جَاءَ بِهِ، وَنَحنُ نَعلَمُ أَنَّ هُنَاكَ مَن يَدَّعِي السَّلَفِيَّةَ، وَالسَّلَفِيَّةُ بَرِيئَةٌ مِنهُ؛ إِذ قَد أَصبَحَ يُجَارِي المُجتَمَعَ فِي تَحلِيلِ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ «كَأَصحَابِ عَبدِ الرَّحمَنِ عَبد الخَالِق وَمُحَمَّد سُرور».

١٨- نَعتَقِدُ أَنَّ السِّيَاسَةَ جُزءٌ مِنَ الدِّينِ، وَالَّذِينَ يُحَاوِلُونَ فَصلَ الدِّينِ عَنِ السِّيَاسَةِ إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ هَدمَ الدِّينِ، وَانتِشَارَ الفَوضَىٰ وَكَذَا مَا شَاعَ فِي بَعضِ البِلَادِ الإِسلَامِيَّةِ: «الدِّينُ للّٰهِ وَالوَطَنُ لِلجَمِيعِ». دَعوَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، بَل الكُلُّ للّٰهِ.

١٩- نَعتَقِدُ أَنْ لَا عِزَّ وَلَا نَصرَ لِلمُسلِمِينَ حَتَّىٰ يَرجِعُوا إِلَىٰ كِتَاب اللّٰهِ وسُنَّةِ رَسُولِ اللّٰهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

٢٠- نُبغِضُ الأحزَاب المُعَاصِرَةَ: الحِزبَ الشُّيُوعِي المُلحِد، وَالحِزبَ البَعثِيَّ المُلحِد، وَالحِزبَ النَّاصِرِيَّ المُلحِد، وَالحِزبَ الاشتِرَاكِيَّ المُلحِد، وَالحِزبَ الرَّافِضِيَّ المَارِق.

وَنَرَىٰ أَنَّ النَّاسَ يَنقَسِمُونَ إِلَىٰ حِزبَينِ: حِزبِ الرَّحمَنِ: وَهُمُ الَّذِينَ تَنطَبِقُ

عَلَيهِم أركانُ الإسلَامِ وَأركَانُ الإيمَانِ غَيرَ رَادِّينَ شَيئًا مِن شَرعِ اللَّهِ.

وَحِزبِ الشَيطَانِ: وَهُمُ المُحَارِبُونَ لِشَرعِ اللَّهِ.

٢١- نُنكِرُ عَلَىٰ الَّذِينَ يُقَسِّمُونَ الدِّينَ إِلَىٰ قُشُورٍ وَلُبَابٍ، وَنَعلَمُ أنَّ هَذِهِ دَعوَةٌ هدَّامةٌ.

٢٢- نُنكِرُ عَلَىٰ مَن يُزَهِّدُ فِي عِلمِ السُّنَّةِ، وَيَقُولُ: لَيسَ هَذَا وَقتَهُ، وَهَكَذَا مَن يُزَهِّدُ فِي العَمَلِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

٢٣- نَرَىٰ تَقدِيمَ الأَهَمِّ فالأَهَمِّ، فَالوَاجِبُ عَلَىٰ المَسلِمِينَ أن يَهتَمُّوا بِإِصلاحِ العَقِيدَةِ، ثُمَّ بِالقَضَاءِ عَلَىٰ الشُّيُوعِيةِ وَحِزبِ البَعثِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالاتِّحَادِ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

٢٤- نَرَىٰ أنَّ الجَمَاعَةَ الَّتِي تَضُمُّ الرَّافِضِيَّ وَالشِّيعِيَّ وَالصُّوفِيَّ وَالسُّنِّيَّ غيرُ قَادِرَةٍ عَلَىٰ مُوَاجَهَةِ الأعدَاءِ؛ لأنَّ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِأُخُوَّةٍ صَادِقَةٍ وَاتِّحَادٍ فِي العَقِيدَةِ.

٢٥- نُنكِرُ عَلَىٰ مَن كابَرَ وَزَعَمَ أنَّ الدُّعَاةَ إِلَىٰ اللهِ وَهَّابِيَّةٌ عُمَلَاءُ، وَنَعلَمُ قَصدَهُمُ الخَبِيثُ أنَّهُم يُرِيدُونَ أن يَجعَلُوا بَينَ العَامَّةِ وَبَينَ أهلِ العِلمِ حَاجِزًا.

٢٦- دَعوَتُنَا وَعَقِيدَتُنَا أحَبُّ إِلَينَا مِن أنفُسِنَا وَأموَالِنَا وَأبنَائِنَا، فَلَسنَا مُستَعِدِّينَ أن نَبِيعَهَا بِالذَّهَبِ وَالوَرِقِ، نَقُولُ هَذَا حَتَّىٰ لَا يَطمَعَ فِي الدَّعوَةِ طَامِعٌ، وَيَظُنُّ أنَّهُ يَستَطِيعُ أن يَستَمِيلَنَا بِالدِّرهَمِ وَالدِّينَارِ، عَلَىٰ أنَّ ذَوِي السِّيَاسَةِ يَعلَمُونَ عَنَّا هَذَا، مِن أجلِ هَذَا فَهُم آيِسُونَ مِن أن يُطَمِّعُونَا بِمَنَاصِبَ أو بِمَالٍ.

٢٧- الحُكُومَاتُ نُحِبُّهَا بِقَدرِ مَا فِيهَا مِنَ الخَيرِ، وَنُبغِضُهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ، وَلَا نُجِيزُ الخُرُوجَ عَلَيهَا إِلَّا أن نَرَىٰ كُفرًا بَوَاحًا عِندَنَا فِيهِ مِنَ اللَّهِ برهَانٌ، بِشَرطِ أن نَكُونَ قَادِرِينَ، وَأَلَّا تَكُونَ المَعرَكَةُ بَينَ المُسلِمِينَ مِنَ الجَانِبَينِ، فَإِنَّ الحُكَّامَ يُصَوِّرُونَ الخَارِجِينَ عَلَيهِم بِصُورَةِ المُخَرِّبِينَ المُفسِدِينَ، وَثَمَّةَ شُرُوط تُرَاجعُ من كُتُبِنَا الأخرَىٰ.

٢٨- نَقبَلُ التَّوجِيهَ وَالنُّصحَ مِمَّن وَجَّهَنَا، وَنَعلَمُ أَنَّنَا طَلَبَةُ عِلمٍ، نُصِيبُ وَنُخطِئُ، وَنَجهَلُ وَنَعلَمُ.

٢٩- نُحِبُّ عُلَمَاءَ السُّنَّةِ المُعَاصِرِينَ، وَنَرغَبُ فِي الاستِفَادَةِ مِنهُم، وَنَأسَفُ لِجُمُودِ كَثِيرٍ مِنهُم.

٣٠- لَا نَقبَلُ الفَتوَىٰ إِلَّا بِدَلِيلٍ مِن كِتَابِ اللهِ، أو سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وآله وسلم الثَّابِتَةِ.

٣١- نُنكِرُ عَلَىٰ المَسئُولِينَ وَغَيرِهِم زِيَارَةَ قَبرِ «لِينِينَ» وغَيرِهِ مِن زُعَمَاءِ الإِلحَادِ لِلتَّعظِيمِ.

٣٢- نُنكِرُ عَلَىٰ حُكَّامِ المُسلِمِينَ الاتِّحَادَ مَعَ أعدَاءِ الإِسلَامِ، سَوَاء كَانُوا أمرِيكِيِّينَ أو شُيوعِيِّينَ.

٣٣- الدَّعَوَاتُ الجَاهِلِيَّةُ كَالقَومِيَّةِ وَالعُرُوبَةِ نُنكِرُهَا، وَنعتَبِرُهَا دَعَوَاتٍ جَاهِلِيَّةً، وَمِنَ الأَسبَابِ الَّتِي أَخَّرَتِ المُسلِمِينَ.

٣٤- نَنتَظِرُ مُجَدِّدًا يُجَدِّدُ اللهُ بِهِ هَذَا الدِّينَ؛ لِمَا رَوَاهُ أبو دَاود فِي «سُنَنِهِ»: عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللهَ يَبعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَىٰ رَأسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَن يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[1] . وَنَرجو أن تكونَ اليَقَظَةُ الإِسلَامِيةُ مُمَهِّدَةً لَهُ.

٣٥- نَعتَقِدُ ضَلَالَ مَن يُنكِرُ أحَادِيثَ المَهدِيِّ وَالدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَىٰ بنِ مريَمَ ﷺ، وَلَسنَا نَعنِي مَهدِيَّ الرَّافِضَةِ، بَل إِمَامٌ مِن أهلِ بَيتِ النُّبُوَّةِ، وَمن أهلِ السُّنَّةِ يَملأُ الأرضَ عَدلًا وَقِسطًا، كَمَا مُلِئَت ظُلمًا وَجَورًا، وَقُلنَا: إِنَّهُ مِن أهلِ السُّنَّةِ؛ لأَنَّ سَبَّ أفَاضِلِ الصَّحَابَةِ لَيسَ من العَدلِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٧٤).

٣٦- هَذِهِ نَفَثَاتٌ عَن عَقِيدَتِنَا وَدَعوَتِنَا، وَذِكْرُهَا بِأَدِلَّتِهَا يُطَوِّلُ الكِتَابَ، وَقَد ذَكَرتُ جُلَّ أَدِلَّتِهَا فِي «المَخرَجِ مِنَ الفِتنَةِ»، وَمَن لَدَيهِ أَيُّ اعتِرَاضٍ عَلَىٰ هَذَا فَنحنُ مستَعِدُّونَ لِقَبُولِ النصحِ إن كَانَ محِقًّا، وَلِمُنَاظَرَتِهِ إن كَانَ مُخطِئًا، وَللإعرَاضِ عَنهُ إن كَانَ مُعَانِدًا.

وَاللهُ أعلَمُ.

هَذَا وَممَّا يَنبَغِي أن يُعلَمَ أنَّ هَذَا لَيسَ شَامِلًا لِدَعوَتنَا وَلعَقِيدَتِنَا، فَإنَّ دَعوَتَنَا مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إلَىٰ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهَكَذَا العَقِيدَةُ، وَحَسبُنَا اللهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ.

مَن يُنفِقُ عَلَى هَذِهِ الدعوة المُبَارَكَةِ الَّتِي قَد ملأتِ الآفَاقَ

مَا أشبَهَ اللَّيلَةَ بِالبَارِحَةِ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾[المنافقون: ٧، ٨] .

بَدَأَتِ الدَّعوَةُ فَأَرَادَ أعدَاءُ السُّنَّةِ أن يَقضُوا عَلَيهَا فِي عُقرِ دَارِهَا، وَدَافَعَ اللهُ عَنهَا وَالحَمدُ للهِ، ثُمَّ عَطَفَ اللهُ قلُوبَ قَبِيلَتِي وَدَاعَةَ - جَزَاهُمُ اللهُ خَيرًا - فَدَافَعُوا عَنِ الدَّعوَةِ، ثُمَّ وَفَّقَ اللهُ بَعضَ أهلِ الخَيرِ وَسَاعَدُوا الدَّعوَةَ بِشَيءٍ مِنَ المَالِ.

فَلَمَّا رَأَىٰ أعدَاءُ السُّنَّةِ أنَّ الدَّعوَةَ انتَشَرَت؛ جُنَّ جُنُونُهُم، فَتَارَةً يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ عُمَلَاءُ لِلوَهَّابِيَةِ! مِن أينَ لَهُمُ المَالُ؟ يَستَغرِبُونَ هَذَا؛ لأنَّهُم لَا يُؤمِنُونَ بِقَولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾[العنكبوت: ٦٠] .

وَقَولِهِ ﷻ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود: ٦] .

لَا يَدرُونَ أنَّ طَلَبَةَ العِلمِ قَد وَطَّنُوا أنفُسَهُم عَلَىٰ الصَّبرِ عَلَىٰ الجُوعِ وَالشَّعثِ وَالعُرْيِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمن أجلِ إعلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالجُوعُ وَغَيرُهُ مِنَ المَتَاعِبِ

سَيَزولُ عِندَمَا يَلقَىٰ طَالِبُ العِلمِ مَا أعَدَّهُ اللَّهُ لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَقَد صَبَرَ سَلَفُنَا- رِضوَانُ اللَّهِ عَلَيهِم- عَلَىٰ مَا هُوَ أشَدُّ مِن هَذَا، كَمَا هُوَ مَعلُومٌ مِن سِيرَتِهِم- رَحِمَهُمُ اللَّهُ-.

إنَّ مَا أعطَىٰ اللهُ طَلَبَةَ العِلمِ مِنَ الاستِفَادَةِ فِي الزَّمَنِ القَصِيرِ فَرُبَّ أخٍ يَبقَىٰ مَعَنَا نَحوَ سَنَةٍ وَنِصف أو سَنَتَينِ فَتُصبِحُ مَعلُومَاتُهُ تُعَادِلُ مَعلُومَاتِ أصحَابِ الكُلِّيَّاتِ، إنَّهَا البَرَكَةُ الإلَهِيَّةُ لَمَّا خَلُصَت نِيَّةُ الطَّالِبِ وَالمُدَرِّسِ، وَتَعلَّمَ الطَّالِبُ للَّهِ، وَعَلَّمَ المُعَلِّمُ للَّهِ، بَارَكَ اللَّهُ فِي الفَهمِ وَالحِفظِ وَالزمَنِ، وَهَذَا بِخِلَافِ أصحَابِ الدُّنيا، المُعَلِّمُ مِن أجلِ الرَّاتِبِ، وَالطَّالِبُ مِن أجلِ الشَّهَادَةِ، وَلَقَد أحسَنَ مَن قَالَ:

يَا خيرةَ الأقوَالِ ... وَضَعُوكَ فِي الأغلَالِ
لَيسَ المُدَرِّس مُخلِصًا ... والطِّفلُ غَيرُ مُبَالِي
هَذَا لِنَيلِ شَهَادَة ... وَذَا لِنَيلِ المَالِ

بَل أقبَحُ مِن هَذَا أنَّ الدَّعوَةَ قَد أصبَحَت مَصدَرَ رِزقٍ عِندَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَرُبَّ شَخصٍ يَتَظَاهَرُ بِالدَّعوَةِ إلَىٰ اللَّهِ، وَيَجمَعُ الأموَالَ مِن عِندِ النَّاسِ، ثُمَّ يَشتَرِي بِهَا أرَاضِيَ وَسَيَّارَاتٍ لِمَصلَحَتِهِ الخَاصَّةِ، وَهَذِهِ إسَاءَةٌ إلَىٰ الدِّينِ وَالدَّعوَةِ إلَىٰ اللَّهِ.

وَلَسنَا نَقُولُ: إنَّ الدُّعَاةَ إلَىٰ اللَّه كلَّهُم كَذَلِكَ، فَفِيهِم مَن بِهِ غَيرَة عَلَىٰ الإسلَامِ، وَيَصبِرُ عَلَىٰ الفَقرِ وَالأذَىٰ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُم مَن خَالَفَهُم، وَلَا مَن خَذَلَهُم حَتَّىٰ يَأتِيَهُم أمرُ اللَّهِ وَهُم عَلَىٰ ذَلِكَ، كَمَا أخبَرَ بِذَلِكَ الصَّادِقُ المَصدُوق.

أعداءُ الدَّعوَةِ

إنَّ دَعوَةً مَلَأتِ الآفَاقَ فِي مُدَّةِ سِتِّ سِنِينَ وَصَلَ خَبَرُهَا إلَىٰ أقصَىٰ الدُّنيَا، وَأصبَحَتِ الفَتَاوَىٰ تَرِدُ إلَىٰ القَائِمِينَ عَلَيهَا مِن جَمِيعِ البِلَادِ الإسلَامِيَّةِ، وَأصبَحَ طَلَبَةُ العِلمِ بَينَ وَافِدٍ إلَيهَا وَبَينَ مُتَمَنٍّ أن يَتَيَسَّرَ لَهُ ذَلِكَ.

دَعوَةٌ بَلَغَت فَوقَ الوَصفِ الَّذِي وَصَفتُ لَكَ، وَأصبَحَ المُسلِمُونَ يَتَتَبَّعُونَ أخبَارَهَا، وَيَنتَظِرون الخَيرَ العَمِيمِ مِنهَا، وَالخَيرُ وَالبَركَةُ مِنَ اللّهِ.

دَعوَةٌ لَيسَ لِلقَائِمِينَ عَلَيهَا مَطمَعٌ فِي كَرَاسٍ وَلَا مُلكٍ وَلَا رِيَاسَةٍ، وَيَرونَ العِلمَ أرفَعَ مِن ذَلِكَ، كَمَا يَقولُ اللهُ ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وَيَرونَ الدَّعوَةَ إلىٰ اللّهِ أرفَعَ مِنَ السُّلطَةِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

إنَّهُ لَا يُستَغرَبُ مِن دَعوَةٍ بَلَغَت هَذَا المَبلَغَ أن يَكُونَ أعدَاؤُهَا أكثَر مِنَ الحَصَىٰ، وَأنَا أُلخِّصُهُم لَكَ لِتَزدَادَ ثِقَةً أنَّ الدَّعوَةَ عَلَىٰ حَقٍّ، فَإنَّ أعدَاءَ الإسلَامِ لَا يَتَنكَّرُونَ إلَّا لِلحَقِّ وَلَا يَخَافُونَ إلَّا مِنهُ.

وَاقرَأ تَنكُّرَ أعدَاءِ الرُّسُلِ لِرُسُلِ اللّهِ، قَالَ اللّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٨].

وَقَالَ ﷻ فِي شَأنِ نَبِيِّ اللّهِ لُوطٍ ﷺ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأعراف: ٨٠- ٨٢].

وَفِي «الصَّحِيحِ»: «أنَّ وَرَقَةَ بنَ نَوفَلٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم: يَا لَيتَنِي مَعَكَ إذ يُخرِجُكَ قَومكَ! قَالَ: «أوَ مُخرِجِيَّ هُم؟» قَالَ: مَا أتَىٰ أحَدٌ بِمِثلِ مَا

أتيت به إلَّا عُودِيَ- أو بهذا المَعنَىٰ-» (١)

فَأعداءُ الدَّعوَةِ بالأمسِ هُمُ الشُّيُوعِيُّونَ وَالبَعثِيُّونَ وَالنَّاصِرِيُّونَ.

وَزِيَادَة اليَوم: مُسلِمُونَ يُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، وَلَكِنَّهُم جَاهِلُونَ، فَهُم يُعَادُونَ مَا يَرونَهُ يُخَالِفُ عَادَاتِهِمُ القَدِيمَةَ، وَيَستَثِيرهُم أعدَاءُ الإسلَامِ مِن شُيوعِيينَ وَبَعثِيينَ وَنَاصِرِيينَ، وَمن أُولَئِكَ المُصَلِّينَ: الرَّافِضَةُ- وَأمرُهُم مَعرُوف مِن قَدِيمِ الزَّمَانِ-، وَمنهُمُ الصُّوفِيَّةُ، ومنهُمُ الإخوَانُ المُسلِمُونَ، وَمنهُمُ المُتَعَصِّبُونَ لِلمَذَاهِبِ المُقَلِّدُونَ تَقلِيدًا أعمَىٰ الَّذِي يَصدُقُ عَلَىٰ كثِيرٍ مِنهُم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣]

هَؤُلَاءِ الرَّافِضَةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إنَّ الوَهَّابِيَّةَ - وَيَعنُونَ: الدُّعَاةَ إلَىٰ اللَّهِ - أضَرُّ عَلَىٰ الإسلَامِ مِنَ الشُّيوعِيَّةِ! انعَكَسَ الأمرُ عَلَيهِم، وَأصبَحَ الرَّافِضَةُ فِي نَظَرِ المُجتَمَعِ مبغُوضِينَ لمَا يَرونَهُ مِنهُم مِن بُغضِ الحَقِّ، وَالوقُوفِ فِي وَجهِ السُّنَّةِ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠).

٥٠- العقيدة الإسلامية

للشيخ
محمد بن جميل زينو

٥٠- العقيدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمدَ للّهِ، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللّهِ مِن شُرورِ أنفُسِنَا، وَمن سَيّئَاتِ أعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأشهَدُ أن لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحدهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

أمّا بَعدُ:

فَهَذِهِ أسئِلَةٌ هَامَّةٌ فِي العَقِيدَةِ أُجِيبُ عَلَيهَا، مَعَ ذِكرِ الدَّلِيلِ مِنَ القُرآنِ وَالحَدِيثِ الصَّحِيحِ، لِيَطمَئِنَّ القَارِئُ إلَىٰ صِحَّةِ الجَوَابِ؛ لأنَّ عَقِيدَةَ التَّوحِيدِ هِيَ أسَاسُ سَعَادَةِ الإنسَانِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ.

وَاللّهَ أسألُ أن يَنفَعَ بِهَا المُسلِمِينَ، وَيَجعَلَهَا خَالِصَةً لِوَجهِهِ الكَرِيمِ.

مُحَمَّدُ بنُ جَمِيل زِينُو

أركَانُ الإسلام

س ١: جِبرِيلُ يَسألُ: يَا مُحَمَّدُ، أخبِرنِي عَنِ الإسلَامِ؟

ج ١: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: الإسلَامُ:

١- أن تَشهَدَ أن لا إلَهَ إلّا اللّهُ: «لَا مَعبُودَ بِحَقٍّ إلّا اللّهُ»، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ، وَأنَّ مُحَمَّدًا أرسَلَهُ اللّهُ لِتَبلِيغِ دِينِهِ.

٢- وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ: تَؤَدِّيهَا بِأركَانِهَا بِاطمِئنَانٍ وَخُشُوعٍ.

٣- وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ: إذَا مَلَكَ المُسلِمُ ٨٥ جِرَامًا ذَهَبًا أو مَا يُعَادِلُهَا مِنَ النُّقُودِ يَدفَعُ مِنهَا ٢.٥ فِي المِائَةِ بَعدَ سَنَةٍ، وَغَيرِ النُّقُودِ لَهَا مِقدَار مُعَيَّنٌ.

٤- وَتَصُومَ رَمَضَانَ: تَمتَنِعُ عَنِ الطَّعَامِ، وَالشَّرَاب، وَالجِمَاعِ، وَالمُحَرَّمَاتِ مِنَ الفَجرِ حَتَّىٰ الغروبِ.

٥- «وَتَحُجَّ البَيتَ إنِ استَطَعتَ إلَيهِ سَبِيلًا». رَوَاهُ مُسلِم.

أركَانُ الإيمَانِ

س ١: قَالَ جِبرِيلُ: فَأَخبِرنِي عَنِ الإيمَانِ؟

ج ١: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الإيمَانُ:

١- أن تُؤمِنَ بِاللهِ: الاعتِقَادُ بِأنَّ اللهَ خَالِقٌ وَمَعبُود بِحَقٍّ، لَهُ أسمَاءٌ وَصِفَاتٌ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

٢- وَمَلَائِكَتِهِ: مَخلُوقَات مِنَ النُّورِ لِتَنفِيذِ أوَامِرِ اللهِ، لَا نَرَاهم.

٣- وَكتبِهِ: التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ وَالزَّبُورُ، وَالقُرآنُ نَاسِخُهَا.

٤- وَرُسُلِهِ: أوَّلُهُم نوح، وَآخِرهُم مُحَمَّدٌ ﷺ.

٥- وَاليَومِ الآخِرِ: يَومُ القِيَامَةِ لِمُحَاسَبَةِ النَّاسِ.

٦- وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ. رَواه مسلم.

الرِّضَا بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ مَعَ الأخذِ بِالأسبَابِ.

حَقُّ اللهِ عَلَى العبَادِ

س ١: لِمَاذَا خَلَقَنَا اللهُ؟

ج ١: خَلَقَنَا اللهُ لِنَعبُدَهُ وَلَا نُشرِكَ بِهِ شَيئًا.

وَالدَّلِيلُ: قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَقَولُهُ ﷺ: «حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ أن يَعبُدُوهُ وَلا يُشرِكُوا بِهِ شَيئًا». متفق عليه.

س ٢: مَا هِيَ العِبَادَةُ؟

ج ٢: العِبَادَةُ: اسمٌ جَامِعٌ لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ مِنَ الأقوَالِ وَالأفعَالِ، كَالدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ

وَالخُشُوعِ وَغَيرِهَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

نُسُكِي: ذَبحِي للحَيَوَانَاتِ.

وَقَالَ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افتَرَضتُهُ عَلَيهِ». حديث قدسي رواه البخاري.

س ٣: كَيفَ نَعبُدُ الله؟

ج ٣: كمَا أمَرَنَا الله وَرَسُولُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[محمد: ٣٣].

وَقَالَ ﷺ: «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أمرُنا فَهُوَ رَدٌّ». رواه مسلم. أي: غَيرُ مَقبُولٍ.

س ٤: هل نَعبُدُ الله خَوفًا وَطَمَعًا؟

ج ٤: نَعَم نَعبُدُهُ كذلك، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ آمِرًا عِبَادَهُ: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وَقَالَ ﷺ: «أسأل اللَّهَ الجَنَّةَ، وَأعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ». رواه أبو داود بسند صحيح.

س ٥: مَا هُوَ الإحسَانُ فِي العِبَادَةِ؟

ج ٥: الإحسَانُ هُوَ مُرَاقَبَةُ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي العِبَادَةِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

وَقَالَ ﷺ: «الإحسَانُ أن تَعبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاه؛ فَإن لَم تَكُن تَرَاه فَإنَّهُ يَرَاكَ». رواه مسلم.

أنواعُ التَّوحِيد وَفَوَائِدُهُ

س١: لِمَاذَا أرسَلَ اللهُ الرُّسُل؟

ج١: أرسَلَهُم لِلدَّعوَةِ إلىٰ عِبَادَتِهِ وَنَفي الشِّركِ بِاللّهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

الطَّاغُوتُ: الَّذِي يَعبُدُهُ النَّاسُ وَيَدعُونَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَهُوَ رَاضٍ بِذَلِكَ.

وَقَالَ ﷺ: «وَالأَنبِيَاءُ إخوَةٌ... وَدِينُهُم وَاحِدٌ». الحديث متفق عليه.

س٢: مَا هُوَ تَوحِيدُ الرَّبِّ؟

ج٢: هُوَ إفرادُهُ بِأفعَالِهِ كالخَلقِ وَالتَّدبِيرِ، وَغَيرِهِمَا.

قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

وَقَالَ ﷺ: «أنتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأرضِ...». متفق عليه.

س٣: مَا هُوَ تَوحِيدُ الإلَهِ؟

ج٣: هُوَ إفرادُهُ بِالعِبَادَةِ، كـ: الدُّعَاءِ، وَالذَّبحِ، وَالنَّذرِ، وَالصَّلَاةِ، وَالرَّجَاءِ، وَالخَوفِ، وَالاستِعَانَةِ، وَالتَّوَكُّلِ وَغَيرِهَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

وَقَالَ ﷺ: «فَليَكُن أوَّلَ مَا تَدعُوهُم إلَيهِ شَهَادَةُ أن لا إلَهَ إلَّا اللّهُ». متفق عليه.

وَفِي رِوَايَةِ البُخَارِيِّ: «إلَىٰ أن يُوَحِّدُوا اللّهَ».

س٤: مَا هُوَ تَوحِيدُ صِفَاتِ اللّهِ وَأسمَائِهِ؟

ج٤: هُوَ إثبَاتُ مَا وَصَفَ اللّهُ بِهِ نَفسَهُ فِي كِتَابِهِ أو وَصَفَهُ رَسولُهُ فِي أحَادِيثِهِ الصَّحِيحَةِ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ، بِلَا تَأوِيلٍ وَلَا تَجسِيمٍ وَلَا تَمثِيلٍ وَلَا تَعطِيلٍ وَلَا تَكيِيفٍ، كَالاستِوَاءِ، وَالنُّزُولِ وَاليَدِ، وَغَيرِهَا مِمَّا يَلِيقُ بِكَمَالِ اللّهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾

[الشورى: ١١]

وَقَالَ ﷺ «يَنزِلُ اللَّهُ فِي كُلِّ لَيلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا». صحيح، رواه أحمد.

يَنزِلُ نُزولًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَلَا يُشبِهُ أحَدًا مِن مَخلُوقَاتِهِ.

س٥: أينَ اللَّهُ؟

ج٥: اللَّهُ فَوقَ العَرشِ عَلَىٰ السَّمَاءِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

أي: عَلَا وَارتَفَعَ، كَمَا جَاءَ فِي البُخَارِيِّ عَنِ التَّابِعِينَ.

وَقَالَ ﷺ «إنَّ اللَّهَ كَتَبَ كتَابًا قَبلَ أن يَخلُقَ الخَلقَ... فَهُوَ مَكتُوب عِندَهُ فَوقَ العَرشِ». رواه البخاري.

س ٦: هَلِ اللَّهُ مَعَنَا؟

ج ٦: اللَّهُ مَعَنَا بِعِلمِهِ، يَسمَعُنَا وَيَرَانَا؛ لِقَولِ اللَّه تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وَقَالَ ﷺ «إنَّكُم تَدعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُم». رواه مسلم.

أي: بِعِلمِهِ.

س ٧: مَا هِيَ فَائِدَةُ التَّوحِيدِ؟

ج ٧: فَائِدَةُ التَّوحِيدِ هِيَ الأمنُ فِي الآخِرَةِ مِنَ العَذَابِ المُؤَبَّدِ، وَالهِدَايَةِ فِي الدُّنيَا، وَتَكفِيرِ الذُّنُوبِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

بِظُلمٍ: أي بِشِركٍ.

وَقَالَ ﷺ «حَقُّ العباد عَلَىٰ اللهِ ألَّا يُعَذِّبَ مَن لا يُشرِكُ بِهِ شَيئًا». متفق عليه.

شُروطُ قَبُولِ العَمَل

س١:مَا هِيَ شُروطُ قَبُولِ العَمَلِ؟

ج١:شُرُوطُ قَبُولِ العَمَلِ عِندَ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ:

١ـالإيمَانُ بِاللَّهِ وَتَوحِيدُهُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧]

وَقَالَ ﷺ «قُل آمنتُ بِاللهِ، ثُمَّ استَقِم». رواه مُسلِم.

٢ـالإخلَاصُ، وَهُوَ العَمَلُ للَّهِ مِن غَيرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمعَةٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]

وَقَالَ ﷺ «مَن قَالَ: لا إلَه إلَّا اللَّه مُخلِصًا؛ دَخَلَ الجَنَّةَ». صحيح، رَوَاهُ البَزَّارُ وَغَيرهُ.

٣ـالمُوَافَقَةُ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]

وَقَالَ ﷺ «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أمرُنا فَهُوَ رَدٌّ». رواه مسلم.

أي: غَيرُ مَقبُولٍ.

الشِّركُ الأكبَرُ وَأنوَاعُهُ

س١:مَا هُوَ الشِّركُ الأكبَرُ؟

ج١:الشِّركُ الأكبَرُ هُوَ صَرفُ نَوعٍ مِن أنوَاعِ العِبَادَةِ لِغَيرِ اللَّهِ؛ كَالدُّعَاءِ وَالذَّبحِ وَغَيرِ ذَلِكَ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]

أي: المُشرِكينَ.

وَقَولُهُ ﷺ : «أكبَرُ الكَبَائِرِ: الإشرَاكُ بِاللّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَينِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ». رواه مسلم.

س ٢: مَا هُوَ أعظَمُ الذُّنُوبِ عِندَ اللّهِ؟

ج ٢: أعظَمُ الذُّنُوبِ عِندَ اللّهِ الشِّركُ الأكبَرُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُ اللّهِ تَعَالَىٰ عَن لُقمَانَ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾[لقمان: ١٣] .

وَلَمَّا سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : أيُّ الذَّنبِ أعظَمُ؟ قَالَ: «أن تَجعَلَ لِلّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». مِتَّفَقٌ عَلَيهِ.

النِّدُّ: المَثِيلُ وَالشَّرِيكُ.

س ٣: هَلِ الشِّركُ مَوجُودٌ فِي هَذهِ الأُمَّةِ؟

ج ٣: نَعَم مَوجُودٌ، وَالدَّلِيلُ: قَولُ اللّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[يوسف: ١٠٦] .

وَقَالَ ﷺ : «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلحَق قَبَائِلُ مِن أُمَّتِي بِالمُشرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تُعبَدَ الأوثَانُ». صحيح، رواه الترمذي.

س ٤: مَا حُكمُ دُعَاءِ الأموَاتِ أو الغَائِبِينَ؟

ج ٤: دُعَاؤُهُم مِنَ الشِّركِ الاكبَرِ.

قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

وَقَالَ ﷺ : «مَن مَاتَ وَهُوَ يَدعُو مِن دُونِ اللّهِ نِدًّا؛ دَخَلَ النَّارَ». رواه البخاري.

النِّدُّ: الشَّرِيكُ.

س ٥: هَلِ الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ؟

ج ٥: نَعَم الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ.

قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

عِبَادتي: دُعَائِي.

وَقَالَ ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ». رواه الترمذي، وَقَالَ: حَسَن صَحِيحٌ.

س٦: هَل يَسمَعُ الأموَاتُ الدُّعَاءَ؟

ج٦: لَا يَسمَعُونَ.

قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[فاطر: ٢٢].

وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ قَلِيبِ بَدرٍ، فَقَالَ: «هَل وَجَدتُم مَا وَعَدَ رَبكم حَقًّا؟». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُم الآنَ يَسمَعُونَ مَا أَقُولُ؟». فَذُكِرَ لِعَائِشَةَ، فَقَالَت: إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُم الآنَ لَيَعلَمُونَ أَنَّ مَا كنتُ أَقُولُ لَهُم هُوَ الحَقُّ». ثُمَّ قَرَأَت: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[النمل: ٨٠].

وَقَالَ قَتَادَةُ رَاوِي الحَدِيثِ: «أَحيَاهُمُ اللّهُ حَتَّىٰ أسمَعَهُم قَولَهُ تَوبِيخًا وَتَصغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسرَةً وَنَدَامَةً». رواه البخاري في كتاب المغازي، باب (٨).

يُستَفَادُ مِنَ الحَدِيثِ:

١- أَنَّ سَمَاعَ قَتلَىٰ المُشرِكِينَ مُؤَقَّت، بِدَلِيلِ قَولِهِ ﷺ: «إِنَّهُم الآنَ يَسمَعُونَ».

وَمَفهُومُهُ: بَعدَ الآنَ لَا يَسمَعُونَ؛ لأَنَّهُ كَمَا قَالَ قَتَادَةُ رَاوِي الحَدِيثِ: أَحيَاهُمُ اللّهُ حَتَّىٰ أسمَعَهُم قَولَهُ تَوبِيخًا وَتَصغِيرًا و...

٢- إِنكَارُ عَائِشَةَ لِرِوَايَةِ ابنِ عُمَرَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَم يَقل: «يَسمَعُونَ». بَل قَالَ: «إِنَّهُمُ الآنَ يَعلَمُونَ». مُستَدِلَّة بالآيَة: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[النمل: ٨٠].

٣- وَيُمكِنُ التَّوفِيقُ بَينَ رِوَايَةِ ابنِ عُمَر وَعَائِشَةَ بِمَا يَلِي: أَنَّ الأَصلَ هُوَ عَدَمُ سَمَاعِ المَوتَىٰ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ القُرآنُ، وَلَكِنَّ اللّهَ أَحيَا قَتلَىٰ المُشرِكِينَ مُعجِزَةً لِلرَّسُولِ ﷺ حَتَّىٰ سَمِعُوا، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ قَتَادَةُ رَاوِي الحَدِيثِ، وَاللّهُ أَعلَمُ.

أنواع الشِّركِ الأكبرِ

س ١: هَل نَستَغِيثُ بِالأموَاتِ أو الغَائِبِينَ؟

ج ١: لَا نَستَغِيثُ بِهِم بَل نَستَغِيثُ بِاللَّهِ.

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠، ٢١]. ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٩].

وَقَالَ ﷺ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحمَتِكَ أستَغِيثُ». حسن، رواه الترمذي.

س ٢: هَل تَجُوزُ الاستِعَانَةُ بِغَيرِ اللَّهِ؟

ج ٢: لَا تَجُوزُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥].

وَقَولُهُ ﷺ: «إذَا سَألتَ فَاسألِ اللَّه، وَإذَا استَعَنتَ فَاستَعِن بِاللَّهِ». رواه الترمذي، وَقَالَ: حسن صحيح.

س ٣: هَل نَستَعِينُ بِالأحيَاءِ؟

ج ٣: نَعَم، فِيمَا يَقدِرُونَ عَلَيهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وَقَالَ ﷺ: «وَاللَّهُ فِي عَونِ العَبدِ مَا كَانَ العَبدُ فِي عَونِ أخِيهِ». رواه مسلم.

س ٤: هَل يَجُوزُ النَّذرُ لِغَيرِ اللَّهِ؟

ج ٤: لَا يَجُوزُ النَّذرُ إلَّا للَّهِ؛ لِقَولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾ [آل عمران: ٣٥].

وَقَولِهِ ﷺ: «مَن نَذَرَ أن يُطِيعَ اللَّهَ فَليُطِعهُ، وَمَن نَذَرَ أن يَعصِيَهُ فَلَا يَعصِهِ». رواه البخاري.

س ٥: هَل يَجُوزُ الذَّبحُ لِغَيرِ اللَّهِ؟

ج ٥: لَا يَجُوزُ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر: ٢]

انحَر: اذبَح للَّهِ.

وَقَالَ ﷺ «لَعَنَ اللَّهُ مَن ذَبَحَ لِغَيرِ اللَّهِ». رواه مسلم.

س ٦: هَل يَجُوزُ الطَّوَافُ حَولَ غَيرِ الكَعبَةِ؟

ج ٦: لَا يَجُوزُ الطَّوَافُ إِلَّا بِالكَعبَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝٢٩﴾ [الحج: ٢٩]

وَقَالَ ﷺ «مَن طَافَ بِالبَيتِ سَبعًا وَصلَّى رَكعَتَينِ؛ كَانَ كَعِتقِ رَقَبَةٍ». صحيح رواه ابن ماجه.

س ٧: مَا حُكمُ السِّحرِ؟

ج ٧: السِّحرُ مِنَ الكُفرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]

وَقَالَ ﷺ «اجتَنِبُوا السَّبعَ المُوبِقَاتِ: الشِّركُ بِاللَّهِ، وَالسِّحرُ...». الحديث رواه مسلم.

المُوبِقَاتُ: المُهلِكَاتُ.

س ٨: هَل نُصَدِّقُ العَرَّافَ وَالكَاهِنَ فِي عِلمِ الغَيبِ؟

ج ٨: لَا نُصَدِّقُهُمَا؛ لِقَولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]

وَقَالَ ﷺ «مَن أَتَى عَرَّافًا أو كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُول فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ». صحيح، رواه أحمد.

س ٩: هَل يَعلَمُ الغَيبَ أحَدٌ؟

ج ٩: لَا يَعلَمُ الغَيبَ أحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا

يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]

وَقَالَ ﷺ «لا يَعلَمُ الغَيبَ إلّا اللّهُ». حسن، رواه الطبراني.

س ١٠: مَا حُكمُ العَمَلِ بِالقَوَانِينِ المُخَالِفَةِ لِلإسلَام؟

ج ١٠: العَمَلُ بِالقَوَانِينِ المُخَالِفَةِ لِلإسلَام كُفرٌ إذَا أجَازَهَا أو اعتَقَدَ صَلَاحِيَتَهَا.
قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾
[المائدة: ٤٤]

وَقَالَ ﷺ «وَمَا لَم تَحكُم ائمَتُهُم بِكِتَابِ اللّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَا أنزَلَ اللّهُ، إلّا جَعَلَ اللّهُ بَأسَهُم بَينَهُم». حسن، رواه ابن ماجه وغيره.

س ١١: إذَا وَسوَسَ الشَّيطَانُ فَقَالَ: مَن خَلَقَ اللّهَ؟

ج ١١: إذَا وَسوَسَ الشَّيطَانُ لأحَدِكُم بِهَذَا السُّؤَالِ فَليَستَعِذ بِاللّهِ، قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾
[فصلت: ٣٦]

وَعَلَّمَنَا الرَّسُولُ ﷺ أن نَرُدَّ كَيدَ الشَّيطَانِ وَنَقُولَ: «آمنتُ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ، اللّهُ أحَدٌ، اللّهُ الصَّمَدُ، لَم يَلِد، وَلَم يُولَد، وَلَم يَكُن لَهُ كُفُوًا أحَد، ثُمَّ ليَتفُل عَن يَسَاره ثَلاثًا، وَليَستَعِذ مِنَ الشَّيطَانِ وَليَنتَهِ؛ فَإنَّ ذَلِكَ يَذهَبُ عَنهُ». هَذِهِ خُلاصَةُ الأحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الوَارِدَةِ فِي البُخَارِيِّ، ومُسلِمٍ، وَأحمَدَ، وَأبِي داود.

يَجِبُ القَولُ: بِأنَّ اللّهَ خَالِقٌ وَلَيسَ بِمَخلُوقٍ، وَلتَقرِيبِ ذَلِكَ مِنَ الأذهَانِ نَقُولُ مَثَلًا: إنَّ العَدَدَ اثنَانِ قَبلَهُ وَاحِدٌ، وَالوَاحِدُ لَا شَيءَ قَبلَهُ، فَاللّهُ وَاحِدٌ لا شَيءَ قَبلَهُ، قَالَ ﷺ «اللّهُمَّ أنتَ الأوَّلُ فَلَا شَيءَ قَبلَكَ». رواه مسلم.

س ١٢: مَا هِيَ عَقِيدَةُ المُشرِكِينَ قَبلَ الإسلَامِ؟

ج ١٢: كَانُوا يَدعُونَ الأولِيَاءَ لِلتَّقرُّبِ وَطَلَبِ الشَّفَاعَةِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]

وَبَعضُ المُسلِمِينَ يَفعَلُونَ ذَلِكَ مُتَشَبِّهِينَ بِالمُشرِكِينَ.

س ١٣: كيفَ نَنفِي الشِّركَ بِاللَّهِ؟

ج ١٣: لَا يَتِمُّ الشِّركُ بِاللَّهِ إِلَّا بِنَفيِ مَا يَلِي:

١- الشِّركُ فِي أفعَالِ الرَّبِّ: كَالاعتِقَادِ بِأَنَّ هُنَاكَ أقطَابًا يُدَبِّرُونَ الكَونَ مَعَ أَنَّ اللَّهَ يَسأَلُ المُشرِكِينَ: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]

٢- الشِّركُ فِي العِبَادَةِ: كَدُعَاءِ الأنبِيَاءِ، وَالأولِيَاءِ؛ لِقَولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠].

وَقَولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ». رواه الترمذي، وَقَالَ: حسن صحيح.

٣- الشِّركُ فِي صِفَاتِ اللهِ: كَالاعتِقَادِ بِأَنَّ الرُّسُلَ وَالأولِيَاءَ يَعلَمُونَ الغَيبَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

٤- الشِّركُ فِي التَّشبِيهِ: كَأَن يَقُولَ: لَا بُدَّ لِي مِن وَاسِطَةٍ بَشَرٍ حِينَ أدعُو اللَّهَ، كَالأمِيرِ الَّذِي لَا أستَطِيعُ الدُّخُولَ عَلَيهِ إِلَّا بِوَاسِطَةٍ، فَهَذَا شَبَّهَ الخَالِقَ بِالمَخلُوقِ، وَهُوَ مِنَ الشِّركِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وَيَنطَبِقُ عَلَيهِ قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

وَإِذَا تَابَ وَنَفَى هَذِهِ الأنوَاعَ مِنَ الشِّركِ فَيَكُونُ مُوَحِّدًا، اللَّهُمَّ اجعَلنَا مِنَ

المُوَحِّدِينَ وَلَا تَجعَلنَا مِنَ المُشرِكِينَ.

س ١٤: مَا هُوَ ضَرَرُ الشِّركِ الأكبَرِ؟

ج ١٤: الشِّركُ الأكبَرُ يُسَبِّبُ الخُلُودَ فِي النَّارِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة: ٧٢].

وَقَالَ ﷺ: «وَمَن لَقِيَ اللهَ يُشرِكُ بِهِ شَيئًا؛ دَخَلَ النَّارَ». رواه مسلم.

س ١٥: هَل يَنفَعُ العَمَلُ مَعَ الشِّركِ؟

ج ١٥: لَا يَنفَعُ العَمَلُ مَعَ الشِّركِ؛ لِقَولِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الأنبِيَاءِ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[الأنعام: ٨٨].

وَقَالَ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أنَا أغنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّركِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيرِي؛ تَرَكتُهُ وَشِركَهُ». حديث قدسي، رواه مسلم.

الشِّركُ الأصغَرِ وَأنوَاعُهُ:

س ١: مَا هُوَ الشِّركُ الأصغَرُ؟

ج ١: الشِّركُ الأصغَرُ هُوَ الرِّيَاءُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠].

وَقَالَ ﷺ: «إنَّ أخوَفَ مَا أخَافُ عَلَيكُم الشِّركُ الأصغَرُ: الرِّيَاءُ». صحيح، رواه أحمد.

وَمِنَ الشِّركِ الأصغَرِ: قَولُ الرَّجُلِ: «لَولَا اللَّهُ وَفُلَانٌ، مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئتَ».

قَالَ ﷺ: «لا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِن قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». صحيح، رواه أحمد.

س ٢: هَل يَجُوزُ الحَلِفُ بِغَيرِ اللَّهِ؟

ج ٢: لَا يَجُوزُ الحَلِفُ بِغَيرِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾[التغابن: ٧].

وَقَالَ ﷺ : «مَن حَلَفَ بِغَيرِ اللّهِ فَقَد أشرَكَ». صحيح، رواه أحمد.

وَقَالَ ﷺ : «مَن كَانَ حَالِفًا فَليَحلِف بِاللّهِ أو لِيَصمُت». متفق عليه.

وَقَد يَكُونُ الحَلِفُ بِالأنبِيَاءِ أو الأولِيَاءِ مِنَ الشِّركِ الأكبَرِ، وَذَلِكَ إذَا اعتَقَدَ الحَالِفُ أنَّ لِلوَلِيّ تَصَرُّفًا يَضُرُّهُ، وَلِذَلِكَ يَخَافُ مِنَ الحَلِفِ بِهِ كَاذِبًا، عِلمًا بِأنَّ الشِّركَ الأصغَرَ مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ وَلَا يُخلَّدُ صَاحِبَهُ فِي النَّارِ.

س ٣: هَل نَلبس الخَيطَ وَالحَلقَةَ لِلشِّفَاءِ؟

ج ٣: لَا نَلبسُهُمَا؛ لِقَولِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام: ١٧] .

عَن حُذَيفَةَ أنَّهُ رَأى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيطٌ مِنَ الحُمَّى فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَولَ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[يوسف: ١٠٦] . صحيح، رواه ابن أبي حاتم.

س ٤: هَل نُعَلِّقُ الخَرَزَةَ وَالوَدعَةَ وَنَحوَهُمَا مِنَ العَينِ؟

ج ٤: لَا نُعَلِّقُهُمَا مِنَ العَينِ؛ لِقَولِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام: ١٧] .

وَقَولِهِ ﷺ : «مَن عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَد أشرَكَ». صحيح، رواه أحمد.

التَّمِيمَةُ: الخَرَزَةُ أو الوَدعَةُ تُعَلَّقُ مِنَ العَينِ.

التَّوَسُّلُ وَطَلَبُ الشَّفَاعَةِ

س ١: بِمَاذَا نَتَوَسَّلُ إلَى اللّهِ؟

ج ١: التَّوَسُّلُ مِنهُ جَائِزٌ وَمَمنُوعٌ.

١- التَّوَسُّلُ الجَائِزُ وَالمَطلُوبُ: هُوَ التَّوَسُّلُ بِأسمَاءِ اللّهِ وَصِفَاتِهِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَطَلَبِ الدُّعَاءِ مِنَ الأحيَاءِ الصَّالِحِينَ.

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠] .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

أي: تَقَرَّبُوا إِلَيهِ بِطَاعَتِهِ وَالعَمَلِ بِمَا يُرضيهِ. ذَكَرَهُ ابنُ كَثِيرٍ نَقلًا عَن قَتَادَةَ.

وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيتَ بِهِ نَفسَكَ». صحيح، رواه أحمد.

وَقَولُهُ ﷺ لِلصَّحَابِي الَّذِي سَأَلَهُ مُرَافَقَتَهُ فِي الجَنَّةِ: «أَعِنِّي عَلَىٰ نَفسِكَ بِكَثرَةِ السُّجُودِ». رواه مسلم.

أي: الصَّلَاةُ، وَهِيَ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ.

وَكَقِصَّةِ أصحَابِ الغَارِ الَّذِينَ تَوَسَّلُوا بِأعمَالِهِم الصَّالِحَةِ فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنهُم.

وَيَجُوزُ التَّوَسُّلُ بِحُبِّ اللَّهِ وَحُبِّنَا لِلرَّسُولِ ﷺ وَالأولِيَاءِ؛ لأنَّ حُبَّنَا لَهُم مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ.

٢- التَّوَسُّلُ المَمنُوعُ: وَهُوَ دُعَاءُ الأموَاتِ، وَطَلَبُ الحَاجَاتِ مِنهُم، كَمَا هُوَ وَاقِعُ اليَومَ، وَهُوَ شِركٌ أكبَرُ؛ لِقَولِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس: ١٠٦].

أي: المُشرِكِينَ.

٣- أمَّا التَّوَسُّلُ بِجَاهِ الرَّسُولِ ﷺ كَقَولِكَ: يَا رَبِّ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ اشفِنِي، فَهَذَا بِدعَةٌ؛ لأنَّ الصَّحَابَةَ لَم يَفعَلُوهُ، وَلأنَّ عُمَرَ تَوَسَّلَ بِالعَبَّاسِ حَيًّا بِدُعَائِهِ وَلَم يَتَوَسَّل بِالرَّسُولِ بَعدَ مَوتِهِ، وَهَذَا التَّوَسُّلُ قَد يُؤَدِّي لِلشِّركِ، وَذَلِكَ إذَا اعتَقَدَ أنَّ اللَّهَ مُحتَاجٌ لِوَاسِطَةٍ بَشَرٍ كَالأمِيرِ وَالحَاكِمِ، وَلأنَّهُ شَبَّهَ الخَالِقَ بِالمَخلُوقِ.

وَقَالَ أبُو حَنِيفَةَ: أكرهُ أن أسألَ اللَّهَ بِغَيرِ اللَّهِ. ذَكَرَهُ صَاحِبُ «الدُّرِّ المُختَارِ».

س ٢: هَل يَحتَاجُ الدُّعَاءُ لِوَاسِطَةِ مَخلُوقٍ؟

ج ٢: لَا يَحتَاجُ الدُّعَاءُ لِوَاسِطَةِ مَخلُوقٍ؛ لِقَولِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[البقرة: ١٨٦] .

وَقَولِهِ ﷺ : «إِنَّكُم تَدعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُم». رواه مسلم.

أي: بِعِلمِهِ.

س ٣: هَل يَجُوزُ طَلَبُ الدُّعَاءِ مِنَ الأحيَاءِ؟

ج ٣: نَعَم، يَجُوزُ طَلَبُ الدُّعَاءِ مِنَ الأحيَاءِ لَا الأموَاتِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ يُخَاطِبُ الرَّسُولَ حَيًّا: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾[محمد: ١٩] .

وفي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رواه التِّرمِذِيُّ: أنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ البَصَرِ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ادعُ اللَّهَ أن يُعَافِيَنِي.

س ٤: مَا هِيَ وَاسِطَةُ الرَّسُولِ ﷺ ؟

ج ٤: وَاسِطَةُ الرَّسُولِ ﷺ هِيَ التَّبلِيغُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[المائدة: ٦٧] .

وَقَالَ ﷺ : «اللَّهُمَّ اشهَدْ». جَوَابًا لِقَولِ الصَّحَابَةِ: نَشهَدُ أَنَّكَ قَد بَلَّغتَ. رواه مسلم.

س ٥: مِمَّن نَطلُبُ شَفَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ ؟

ج ٥: نَطلُبُ شَفَاعَةَ الرَّسُولِ مِنَ اللهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا ﴾ [الزمر: ٤٤] .

وَعَلَّمَ ﷺ الصَّحَابِيَّ أن يَقُولَ: «اللَّهُمَّ شَفِّعهُ فِيَّ». رواه التِرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

أي: شَفِّع الرَّسُولَ فِيَّ.

وَقَالَ ﷺ : «إِنِّي خَبَّأْتُ دَعوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَومَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِن شَاءَ اللهُ مَن مَاتَ مِن أُمَّتِي لا يُشرِكُ بِاللهِ شَيئًا». رَوَاهُ مُسلِم.

س ٦: هَل نَطلُبُ الشَّفَاعَةَ مِنَ الأحيَاءِ؟

ج ٦: نَطلُبُ الشَّفَاعَةَ مِنَ الأحيَاءِ فِي أُمُورِ الدُّنيَا، قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥].

أي: نُصِيبٌ مِن وِزرِهَا.

وَقَالَ ﷺ : «اشفَعُوا تُؤجَرُوا». صحيح، رواه أبوداود.

س ٧: هَل نُبَالِغُ وَنَزِيدُ فِي مَدحِ الرَّسُولِ ﷺ ؟

ج ٧: لَا نُبَالِغُ وَلَا نزيدُ في مَدحِهِ، قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ﴾ [الكهف: ١١٠].

وَقَالَ ﷺ : «لا تَطروني كمَا أطرَتَ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ بنَ مَريَم، فَإنَّمَا أنَا عَبدٌ، فَقُولُوا: عَبدُ اللهِ وَرَسُولِهِ». رواه البخاري.

الإطرَاء: هُوَ المُبَالَغَةُ وَالزِّيَادَةُ فِي المَدحِ.

س ٨: مَن هُوَ أوَّلُ المَخلُوقَاتِ؟

ج ٨: أوَّلُ المَخلُوقَاتِ مِنَ البَشَرِ آدَمُ، وَمنَ الأشيَاءِ القَلَمُ، قَالَ اللّه تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾ [ص: ٧١].

وَقَالَ ﷺ : «كلُّكُم بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِن تُرَابٍ». رواه البزار، وصححه الألباني.

وَقَولُه ﷺ : «إنَّ أوَّلَ مَا خَلَقَ اللّهُ القَلَمَ». رواه أبو داود، والترمذي، وَقَالَ: حسن صحيح.

أي: بَعدَ المَاءِ وَالعَرشِ.

وَأمَّا حَدِيثُ: «أوَّلُ مَا خَلَقَ اللّهُ: نُورَ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ». فَهُوَ مَوضُوع وَمَكذُوب يُخَالِفُ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ، وَالعَقلَ وَالنَّقلَ.

قَالَ السُّيُوطِيُّ: لَا سَنَدَ لَهُ.

وَقَالَ الغُمَارِيُّ: مَوضُوعٌ.

وَقَالَ الألبَانِيُّ: بَاطِلٌ.

الجِهَادُ وَالوَلاءُ وَالبَرَاءُ

س ١: مَا حُكمُ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟

ج ١: الجِهَادُ وَاجِبٌ بِالمَالِ وَالنَّفسِ وَاللِّسَانِ حَسَبِ الاستِطَاعَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١].

وَقَالَ ﷺ: «جَاهِدُوا المُشرِكِينَ بِأموَالِكُم وَأنفُسِكُم وَألسِنَتِكُم». صحيح، رواه أبو داود.

بِقَدرِ الاستطَاعَةِ.

س٢: مَا هُوَ الوَلَاءُ؟

ج٢: الوَلَاءُ هُوَ الحُبُّ وَالنُّصرَةُ لِلمُؤمِنِينَ المُوَحِّدِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وَقَالَ ﷺ: «المُؤمِنُ للمُؤمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا». رواه مُسلِمٌ.

س٣: هَل تَجُوزُ مُوَالَاةُ الكُفَّارِ وَنُصرَتُهُم؟

ج٣: لَا تَجُوزُ مُوَالَاةُ الكُفَّارِ وَنُصرَتُهُمْ، قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وَقَالَ ﷺ: «إنَّ آلَ بَنِي فُلَانٍ لَيسُوا لِي بِأَولِيَاءَ». متفق عليه.

س٤: مَن هُوَ الوَلِيُّ؟

ج٤: الوَلِيُّ هُوَ المُؤمِنُ التَّقِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّمَا وَلِيي اللهُ وَصَالِحُ المُؤمِنِينَ». متفق عليه.

س٥: بِمَاذَا يَحكُمُ المُسلِمُونَ؟

ج٥: يَحْكُمُ المُسْلِمُونَ بِالقُرآنِ وَالحَدِيثِ الصَّحِيحِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أمَّا بَعدُ، ألا أيُّهَا النَّاسُ، فَإنَّمَا أنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أن يَأتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأنَا تَارِكٌ فِيكُم ثَقَلَينِ: أوَّلُهُمَا كتَابُ اللهِ، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا كِتَابَ اللهِ وَاستَمسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأهلُ بَيتِي». رواه مسلم.

وَقَولُهُ ﷺ: «تَرَكتُ فِيكُم أمرَينِ لَن تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكتُم بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ». رواه مالك، وصححه الألباني، ومحقق «جامع الأصول» لشواهده.

العمَلُ بِالقُرآنِ وَالحديثِ

س١: لِمَاذَا أَنزَلَ اللهُ القُرآنَ؟

ج١: أَنزَلَ اللهُ القُرآنَ لِلعَمَلِ بِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣].

وَقَالَ ﷺ: «اقرَءُوا القرآنَ وَاعمَلُوا بِهِ وَلا تَأكُلُوا بِهِ...». صحيح، رواه أحمد.

س٢: مَا حُكمُ العَمَلِ بِالحَدِيثِ الصَّحِيحِ؟

ج٢: العَمَلُ بالحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَاجِبٌ؛ لِقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ، تَمَسَّكوا بِهَا». صحيح، رواه أحمد.

س ٣: هَل نَستَغني بِالقُرآنِ عَنِ الحَدِيثِ؟

ج ٣: لَا نَستَغني بِالقُرآنِ عَنِ الحَدِيثِ، قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]

وَقَالَ ﷺ «ألا وَإِنّي أُوتيتُ القُرآنَ وَمِثلَهُ مَعَهُ». صحيح رواه أبو داود وغيره.

س ٤: هَل نُقَدِّمُ قَولًا عَلَىٰ قَولِ اللّهِ وَرَسُولِهِ؟

ج ٤: لَا نُقَدِّمُ قَولًا عَلَىٰ قَولِ اللّهِ وَرَسُولِهِ؛ لِقَولِ اللّهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]

وَقَولِهِ ﷺ «لا طَاعَةَ لِمَخلُوقٍ فِي مَعصِيَةِ الخَالِقِ». صحيح، رواه أحمد.

وَقَولِ ابنِ عَبَّاسٍ: أرَاهُم سَيَهلكُونَ، أقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَيَقُولُونَ: قَالَ أبُو بكر وَعُمَرُ. رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر.

س ٥: مَاذَا نَفعَلُ إذَا اختَلَفنَا فِي أمُورِ دِينِنَا؟

ج ٥: نَعُودُ إلَىٰ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

[النساء: ٥٩]

وَقَالَ ﷺ «تَرَكتُ فِيكُم أمرَينِ لَن تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكتُم بِهِمَا: كِتَابَ اللّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ». رواه مالك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

س ٦: كيفَ نُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ؟

ج ٦: نُحِبُّهُمَا بِطَاعَتِهِمَا وَاتِّبَاعِ أوَامِرِهِمَا، قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]

وَقَالَ ﷺ «لا يُؤمِنُ أحَدُكُم حَتَّىٰ أكُونَ أحَبَّ إلَيهِ مِن وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أجمَعِينَ». متفق عليه.

س ٧: هَل نَترُكُ العَمَلَ وَنَتَّكِلُ عَلَىٰ القَدَرِ؟

ج ٧: لَا نَترُكُ العَمَلَ؛ لِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝﴾ [الليل: ٥-٦]

وَقَولِهِ ﷺ «اعمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ». رواه البخاري ومسلم.

وَقَولِهِ ﷺ «المُؤمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأحَبُّ إلَىٰ اللهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيرٌ، احرِص عَلَىٰ مَا يَنفَعُكَ وَاستَعِن بِاللهِ وَلا تَعجَز، فَإن أصَابَكَ شَيءٌ فَلا تَقُل: لَو أنِّي فَعَلتُ كَانَ كَذَا كَذَا، وَلَكِن قُل: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإنَّ لَو تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ». رواه البخاري ومسلم.

يُستَفَادُ مِنَ الحَدِيثِ:

أنَّ المُؤمِنَ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ هُوَ المُؤمِنُ القَوِيُّ الَّذِي يَعمَلُ وَيَحرِصُ عَلَىٰ نَفعِهِ، وَيَستَعِينُ بِاللهِ وَحدِهِ وَيَأخُذُ بِالأسبَابِ، فَإن أصَابَهُ بَعدَ ذَلِكَ أمرٌ يَكرَهُهُ فَلَا يَندَم، بَل يرضَىٰ بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢١٦]

السُّنَّةُ وَالبِدعَةُ

س ١: هَل فِي الدِّينِ بِدعَةٌ حَسَنَةٌ؟

ج ١: لَيسَ فِي الدِّينِ بِدعَةٌ حَسَنَةٌ، وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

وَقَالَ ﷺ «إيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأمورِ، فَإن كلَّ محدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَة، وكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ». صحيح، رواه النسائي وغيره.

س ٢: مَا هِيَ البِدعَةُ فِي الدِّينِ؟

ج ٢: البِدعَةُ فِي الدِّينِ كُلُّ مَا لَم يَقُم عَلَيهِ دَلِيلٌ شَرعِيٌّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ مُنكِرًا

عَلَىٰ المُشْرِكِينَ بِدَعِهِم: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وَقَالَ ﷺ: «مَن أحدَثَ فِي أَمرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ فَهُوَ رَدٌّ». متفق عليه.

رَدٌّ: غَيرُ مَقبولٍ.

أَنوَاعُ البِدَعِ كَثِيرَةٌ مِنهَا:

١- البِدعَةُ المُكَفِّرَةُ: كدُعَاءِ الأَموَاتِ أو الغَائِبِينَ وَالاستِعَانَةِ بِهِم، كَقَولِهِم: المَدَدَ يَا سَيِّدِي فُلَان.

٢- البِدعَةُ المُحَرَّمَةِ: كَالتَّوسُّلِ إِلَىٰ الله بِالأَموَاتِ، وَالصَّلَاةِ إِلَىٰ القُبُورِ، وَالنَّذرِ لَهَا، وَالبِنَاءِ عَلَيهَا.

٣- البِدعَةُ المَكرُوهَةُ: كصَلَاةِ الظُّهرِ بَعدَ الجُمُعَةِ، وَرَفعِ الصَّوتِ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسلِيمِ بَعدَ الأَذَانِ.

س ٣: هَل فِي الإِسلَامِ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ؟

ج ٣: نَعَم فِي الإِسلَامِ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ (لَهَا أصلٌ كالصَّدَقَةِ)، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن سَنَّ فِي الإِسلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أجرُهَا وَأجرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن بَعدِهِ، مِن غَيرِ أن يَنقُصَ مِن أُجُورِهِم شَيءٌ». رواه مسلم.

س ٤: مَتَىٰ يَنتَصِرُ المُسلِمُونَ؟

ج ٤: يَنتَصِرُ المُسلِمُونَ إذَا رَجَعُوا إِلَىٰ تَطبِيقِ كِتَابِ رَبِّهِم وَسُنَّةِ نَبِيِّهِم ﷺ، وَأَخَذُوا بِنَشرِ التَّوحِيدِ، وَحَذَّرُوا مِنَ الشِّركِ عَلَىٰ اختِلَافِ مَظَاهِرِهِ، وَأعَدُّوا لأعدَائِهِم مَا استَطَاعُوا مِن قُوَّةٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥].

وَقَالَ ﷺ: «ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّميُ». رواه مسلم.

* * *

٥١- الفهرس

٥١- الفهرس

* * *